﴿ فهرست الجزء الاول من كتاب صفوة الاعتبار ﴾

صحيفة

﴿القسم الثاني من الكتاب﴾

صحيفة

صحيفه

صحيفة

صحيفة

صحيفه

صحيفة

صحيفة

صحيفه

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿تمت الفهرست﴾

هذا كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار
والأقطار تأليف الفاضل المحقق والأستاذ
المدقق قدوة العلماء وصفوة الأذكياء
وحيد عصره وفريد دهره
الشيخ محمد بيرم الخامس
التونسي نفعنا الله
به وبعلومه
آمين

﴿الجزء الأول﴾

﴿طبعة أولى﴾
﴿بالمطبعة الإعلامية بمصر سنة ١٣٠٢ هجرية﴾

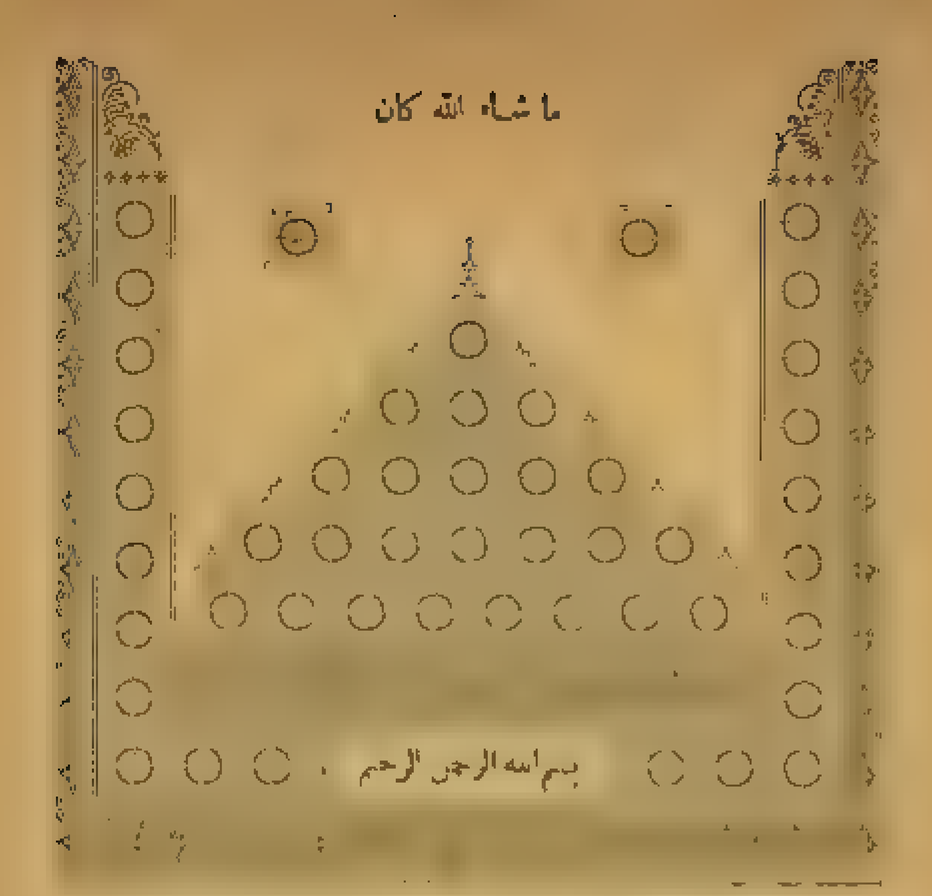

❁ الحمد لله مالك الملك والملكوت ❁ خالق النور والظلمة والضلال والهدى الى أقوم المسالك ❁ سبحانه الخالق الحكيم ❁ المبدع للكون وما فيه من حقير وعظيم ❁ رسم عليه دلائل وحدانيته لتدبر المتبصرين ❁ ومن آياته اختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين ❁ والصلاة والسلام الأكملان الأتمان على تاج العلم المصون ❁ ومظهر الكمالات المسرى به الى المسجد الاقصى والمقام المكنون ❁ سيدنا ومولانا محمد رسول الله ❁ الطاهر عنصره الجسماني ❁ والمبرء جوهره الروحاني ❁ من الكدر والاشتباه ❁ وعلى آله الطاهرين ❁ وأصحابه

❁ الذين جابوا الارض في هداية المخلوقين ❁ أما بعد ❁ فان الله جلت عظمته اقتضت حكمته الباهرة ❁ أن ربط في هذه الدار الاسباب بالمسببات حتى كانت أوطارهم ❁ والحق مراده في المكونين ❁ وكان مدار تكاليف الشرع هو اعتبار الاسباب رحمة بالمؤمنين ❁ وتفويض ما وراء ذلك الى خالق المسبب يجرى على مقتضى تقديره في الازل وما يدرك أسرار حكمته الا قليل من الكاملين ❁ وكان مما عرض للعبد

الحقير

الحقير * اذ دهمت بمرض اعيى علاجه الاطباء وقطرنا الشهير * ونشر على بالسفر لاجل ذلك الغرض * فاستخرت الله تعالى وبشرت لاصدقائي تحصيل ذلك الحق المعرض * فجبت بحارا وقفارا * ومدنا وامصارا على حسب ما يسره المقدور * وساعدت الوسائل على الوصول الى مشاهدة ما في المعمور * ورأيت بعيني البصر والبصيرة * امورا عجيبة وخطيرة * أحببت نظمها في سلك التحرير خوفا من الاهمال * وتسهيلا على من يطلبها اولى الكمال * كل سر جاوز الاثنين شاع * كل علم ليس في القرطاس ضاع * وهي وان كانت بالنسبة لما رأى الكاملون والفحول * ليست مما تمتد اليه أو يلاحظ بالقبول * لكنها على كل حال بضاعة من هم * تلاحظها بالاغضاء نفس أهل العلم * والله اسأل ان ينفع بها اهل وطننا واخواننا المسلمين * ويهدي بها الى حياة العالم المبين * (وسميتها) صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار * معتمدا في حصول المآرب الجليل * وهو حسبي ونعم الوكيل * فاقول رتبت هذه الرسالة على مقدمة ومقصد وخاتمة فالمقدمة فيها (ثلاثة) ابواب (الباب الاول) في السفر من حيث هو ويشتمل على ثلاثة فصول (الباب الثاني) في السفر لبلاد ارض الاسلام وفيه فصلان (الباب الثالث) في تقسيم أحوال أهل الارض وفيه خمسة اقسام وستة وثمانون فصلا والمقصد فيه ثلاثة عشر بابا (الاول) في سبب سفري (الثاني) في مملكة تونس (الثالث) في مملكة ايطاليا (الرابع) في مملكة فرنسا (الخامس) في قطر الجزائر (السادس) في مملكة انكلتره (السابع) في جزيرة مالطه (الثامن) في قطر مصر (التاسع) في الحجاز وجزيرة العرب (العاشر) في بقية الممالك العثمانية (الحادي عشر) في مملكة سويسره (الثاني عشر) في مملكة النمسا (الثالث عشر) في مملكة رومانيا وكل باب يشتمل على فصول بحسب ما يقتضيه الموضوع (الخاتمة) فيما ينبغي للامة الاسلامية تعاطيه من زيادة بث المعارف وما ثمر من الخيرات

(المقدمة وفيها ثلاثة أبواب)

الباب * الاول

(في السفر من حيث هو)

الفصل * الاول

﴿ فيما جاء في ذلك من الكتاب العزيز ﴾

(اعلم) ان الله تعالى قد أمر في كتابه العزيز بالسير في الارض للاعتبار والاستدلال
على وجوده ووحدانيته فقال تعالى قل سيروا في الارض في آيات من الكتاب المجيد وفي
بعضها قال ثم انظروا وفي أخرى قال فانظروا وكان العطف تارة بالفاء وتارة بثم اشارة الى ان
النظر والاعتبار كما يلزم في حالة السير يلزم بعده حتى لا يكون الزمن والعمل خاليا عن
فائدة صحيحة في نظر الشرع فأولا يحصل النظر الاجمالي في حالة السير ثم يحصل النظر
التفصيلي بالاعتبار عند الانفصال عنه حتى يستقر في النفس غاية التروي ولا يخفى ان
القاعدة الاصولية عندنا هي ان الامر (للوجوب) حقيقة ولا يصرف الى غيره
الا عند القرينة الصارفة وقد اشتملت الآيات المذكورة على أمرين وهما الامر بالسير
والامر بالنظر وكلاهما واجب غير ان الاول واجب لكونه وسيلة للثاني والثاني واجب
مقصود لذاته وافادة ترتبه على ما يحصل بكل من (الفاء) و(ثم) بيد انه يحصل
بكل واحدة فائدة خاصة (فالفاء) تفيد ترتب النظر على السير بغير مهلة (وثم)
تفيد ترتبه عليه بعده حتى يكمل وجوده وبهذا تبين الوجه في العطف بهما ولا نحتاج
الى ان الاتيان (بثم) لافادة التفاوت بين مرتبتي الواجبين حيث ان أحدهما مقصود
لذاته والآخر مقصود لكونه وسيلة كما ذهب اليه أبو السعود والقونوي لأن هذا
لا يكون فائدة يستدعيها المقام بخلاف ما ذكرناه ثم ان كون السير واجبا كما ذكر هو
ما عليه المحققون وان سبق قلم الزمخشري وتبعه القاضي البيضاوي الى ان الامر بالسير
للاباحة والامر بالنظر للوجوب فقد رد عليهم غيرهم بذلك ونبوا عنه المقام اما اولا
فلأنه اخراج للأمر عن حقيقته واما ثانيا فلأن ما ذكر كاباحة السير للتجارة وغيرها
في سياق الايجاب للجاحدين ثم عطف عليه ما هو واجب ولا يتم الا به فيه واما ثالثا
فقد تقرر في الاصول ان ما لا يتم الواجب الا به يكون واجبا فكيف يكون النظر
في آثار المكذبين واجبا دون سيرها فان قيل انا لم نر في دواوين اصول الدين ان من
واجبات الديانة السير كما ذكر فالجواب ان معنى الوجوب معلق على ما اذا لم يحصل
الاعتبار المفضي للاعتقاد الا بالسير لانه يؤدي الى رؤية الآيات بالمشاهدة التي

لها

هـا من التأثير ما ليس لغيرها أما اذا حصل الاعتقاد فلا داعي حينئذ لوجوب
السحر وانما هو مباح ولهذا كانت الآيات المذكورة في سياق الحجاج لاه بدين
وكأن ما ذكرناه هو الذي أدى بعض المصريين للقول بأن الامر للاباحة وقد ذكر الغزالي
في الاحياء ان السحر تعتريه الاحكام الخمسة من الوجوب والندب والاباحة
والكراهة والحرمة لانه من الوسائل فيأخذ حكم ما قصد به وأيا ما كان ذلك فانا نقول ردا
تقرير أن السحر واجب لاجل الاعتبار وموازنة ما يعتبر به اشياء منها ما دلت عليه
الآيات المذكورة من الاعتبار بعاقبة المكذبين للرسل ومنها ما دل عليه قوله
تعالى ومن آياته اختلاف ألسنتكم وألوانكم فان السائر يرى من عجائب قدرة البارى
جل وعلا من اختلاف اللغات واختلاف الاشكال والهيئات والالوان والبشرة ما يقضي
بوجود واجب وجود صانع ذي اختيار في أفعاله اذ لو كان الامر مستندا للطبيعة لجاءت
الخلائق على هيئة واحدة في جميع ما تقدم مع انا نرى الاختلاف والتباين تارة مع قرب
المناخ وتارة مع بعده مع ان الارض واحدة وعناصرها واحدة وأصل البشر واحد ومزيد
بيان هذا في كتب الكلام (ومنها) ما دل عليه قوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات
والارض الآية فأمر تعالى بالاعتبار بما خلق من اجرام علوية وكيفية وضعها
وحركاتها كما أمر تعالى بالاعتبار بما خلق في الارض من الجماد والنبات والحيوان وفي
هاته الآية جل المنظور به وقد فصله في آيات كثيرة من كتابه العزيز للاستدلال على
وجوده ووحدانيته فقال في سورة الرعد الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى
على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى (الآية) فذكر ان الاجرام
العظيمة الهائلة قد خلق كل منها في مركز مخصوص من الجو وله حيز ممتاز به عن غيره
من غير اضطراب ولا تلاطم وليس لكل منها ما يعتمد عليه من الاجرام الارضية مع ان
اجرامها في منتهى العظم مرتبة على خلاف المعهود فلا بد أن يكون جميع ذلك لموجب
أوجبه فان قيل ان موجبه هو وجود أعيانها وذواتها فهذا مردود لوجهين (الاول) ان
الاجسام متساوية في تمام الماهية فلو وجب حصول جسم في حيز معين لوجب حصول
كل جسم في ذلك الحيز (والثاني) ان الخلاء لا نهاية له والاحياز المترصدة في ذلك الخلاء
الصرف غير مختلفة وهي امور متساوية ولو وجب حصول جسم معين في حيز
لوجب حصوله في جميع الاحياز ضرورة ان الاحياز متساوية فثبت بهذا ان وجود
الاجرام الممكنة في احيازها ليس هو لذاتها وانما هو لمدبر حكيم قادر خصص كلا منها

بماشاء (ثم ان) كمال الاعتبار بترتيب تلك الاجرام العلوية وكيفية أوضاعها
وأشكالها العجائبية الى أكروية بالنسبة الى الارض فانا نرى منها في جهة القطب ما لا نرى
من المناطق المعتدلة وكذلك ما نرى في أحد نصفي الكرة لا نرى من النصف الآخر
(ثم قال تعالى) عقب الآية السابقة وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وأنهارا
ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم
يتفكرون قال المفسرون انه تعالى لما قرر الدلائل العلوية اردفها بالدلائل الارضية
باعتبار نباتات الارض وما احتوت عليه من عجائب قدرته تعالى في حكمه الماضية
بوجوب وجود صانعها فان حكماء المتأخرين الذين وصلوا بالمعرفة والتعليل والآلات
الى ما لم تبلغه فلاسفة الاقدمين حتى زعموا انهم كبروا عن مرقاتهم وتبنوا اختصاصهم وهؤلاء
حذاقهم قد أقروا بانه لابد من خالق لما هو موجود دائما ولا يلونه كثيرا من أشياء من
قولهم المادية والنواميس والطبيعية وغيرها فقد صرحوا بانها عبارات اصطلاحية
ولا يفهمونها أمور مجهولة بأنهم فتبعوا الاعتراف بالصانع من هؤلاء الحكيم المتبحر
فياكس لاروس وهو من مشاهير فحول علمائهم في القرن التاسع عشر المسيحي
حتى ان كتابه في الجغرافيا الطبيعية الموسوم بالدروس الاولية عليه مدار تعاليمهم
في المدارس واختير لأن يعرب ليعلم ويعول به في المدارس المصرية وقد صرح بهذا
في كتابه المذكور في مبحث الجو وكرة الهواء بقوله واذا فرض زوال ما يحتوي من
الهواء فانه يتشتت في الفضاء الى ان قال لكن الحكماء لا يطيقون الآن ضبط
الأشياء وضبطها في مواضعها الشاغلة هي طبيعة موجبة قوة مجهولة دائما الاعلام تسمى
بالجذب وهي كلمة يعلم منها العقل لا السبب اذ هذا الاخير مع كثرة بحث الطبيعيين عنه
وتفتيشهم عليه لم يزل مجهولا الى الآن وعلى الدوام بدراسة معلوم ان لا باحد يطوي هو
مثل هاته الكلمات العلمية التي يوضح بها اسباب أو أسبابا طبيعية مجهولة للحادث من
الحوادث فاذا قيل هنا مثلا ان الاجرام تتزن أو تنتقل لانها مجذوبة لغيرها أو انها جارية على
مقتضى نواميس الجذب كان ذلك الدور المعيب (اه كلامه) ثم ان الاعتبار باحوال
الارض استدراجا في الآية الكريمة هي من جهات أو طبقات هيئة الارض وهي كونها
جرما عظيما حتى ان منتهى ما يصل اليه بصر الانسان يرى مبسوطا مع انها هي كرة قال
العلامة الرازي ما معناه انه لا ينازع في كونها كرة الا من لا تدبر له (وقد) ألف الشيخ محمد
بيرم الثالث قدس سره رسالة في ذلك استدل على تكويرها بكلام الحكماء والفقهاء

واهل

وأهل الباطن وها نحن نسرد هنا نبذة من ذلك مع اختصار وزيادة فأما كلام الحكماء
فقد نصوا على ان الشمس تطلع عن بعد عند ما ترتفع الشمس والكواكب في جهات من
الارض بخلاف جهات أخرى حسبما هو مدون في كتب أهل الارتفاع وأما كلام
الفقهاء فقد ذكروا في كثير من المسائل ما يشعر باختلاف المطالع في الصوم فيجب على
أهل المشرق برؤية أهل المغرب الهلال لان الوجوب معلق بشهود الشهر لعامة
من الناس بخلاف الامساك والافطار فانه يكون لكل أهل قطر بحسب ما عندهم لان
الوجوب معلق بدخول الوقت لا كالصوم وذكروا في الصلاة ان بعض الجهات تطول فيها
الاوقات وبعضها تقصر حتى يفقد بعض الاوقات كالعشاء في بعض الجهات الصائرة الى
أقاصي أحد القطبين وذكروا في المواريث اذا مات متوارثان في يوم واحد وزمن واحد
مثلا لكن أحدهما في المشرق والآخر في المغرب فان المغربي يرث المشرقي لسبق وقت
المشرقي متقدم في الوجود على وقت المغربي كالزوال مثلا وأما كلام أهل الباطن فقد
نقل عن سيدي عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه في ساعة الاجابة من يوم الجمعة الوارد
فيها الحديث بانها من عند جلوس الامام على المنبر الى انقضاء الصلاة قال ان ذلك خاص
بوقت صعود امام المدينة المنورة وان كان ذلك وقت لا يتفق في جميع البلاد مع الله
بساعة النبي صلى الله عليه وسلم وحده ثم اختلف صعود الائمة على المنابر من
ذلك اليوم وجميع ما تقدم انما ينبني على القول بان الارض كروية ولو كانت مسطحة
لما تأتى شيء من ذلك اذ الشمس اذا ظهرت ظهرت على الجميع في آن واحد ومن كلام
القطب سيدي أحمد بن عروس رضي الله عنه الصريح فيما نحن بصدده وهو من
أنواع النظم المسمى بالحوفي قوله

وادينا مثلنا دلاعا ※ تتركب في حلة ادلاع
ما دلفوها من طالما ※ وردناهم في بيرما الوقاع

وهو صريح في تكورها ودورانها على ما سيأتي وليس في القرآن ما يعارض ذلك اذ
مساق الآيات لما يشاهد والمشاهد البسط في نظر العين ولما كان خطاب التكليف
بجميع أنواع الشريعة المطهرة عاما لجميع طبقات الناس كان خطابهم على أسلوب تقدر به
كل عين للوصول الى قدر مدركاتها هذا في مثل هذه التكاليف العامة كالاستدلال على
وجود الخالق وصحة الرسالة والعلم بدخول أوقات الصلاة والصوم ونحو ذلك أما ما
يكتفى فيه بالاستفتاء من العارف الخصوص به الفقهاء (وقال تعالى) فاسئلوا أهل الذكر

ان كنتم تعلمون وهذا أصل مهم يجري في كثير من الأشياء وقد بسطه الشاطبي
في موافقاته (وثانيها) الجهات المشار إليها في الآية الاستدلال بالجبال المعبر عنها
بالرواسي فان عظم حجمها واختلاف أوضاعها واختصاص كل بجهة ومكان يقضي بوجود
مدبر خصصها بتلك الحالات ولو كانت بمجرد الطبيعة التي هي اسم بلا مسمى لتساوت
في جميع الحالات مع ان المشاهد هو اختلافها هذا بحسب الظاهر وأما اذا دقق النظر
فيما تختلف به مما تشتمل عليه من أنواع الصخور والتراب والطين والمعادن فذلك أمر
يحير العقول ويوقف الأذهان ومن أراد الاطلاع على أمر ذلك فليراجع كتب
الطبيعيات والكيمياء (وثالثها) الجهات المشار إليها في الآية الاعتبار بالانهر واختصاصها
بأحوالها التي هي عليها فانها تقتضي وجود مخصص لها ولا غرابة في نظم القرآن قران
الانهر بالجبال فان الغالب أن تكون الانهر بسبب الجبال اما من الثلوج المذابة منها
أو من منابع له من المنحدرة منها وكذلك بسبب كثرة هاته المنابع في الجبال هو ان الجبال
من أسباب جذب الابخرة والامطار على الدوام من سطح الأرض لانه يكثر في باطنها
الحرارة فوق الأراضي المنبسطة فتتصاعد تلك المياه بخارا محمولة فتعود أبخارا في أجسام
الارض المتصلة بخلاف الاراضي دون الجبال فمتصلا ثم تعود المياه بخارا كما
تقدم من تأثير حرارة الشمس فلا يزال الماء يجتمع في مغارات الجبال الى ان يتكون منه
مقدار عظيم فينفجر بقوة ثقله على ما حوله من الارض وتتكون منه الينابيع
والعيون وتسيل جداول وأنهار واذا اجتمعت في حوض تكون منها بحار ويعظم
ويصغر بحسب ما يلتقي فيه من الانهر والينابيع (ورابع) الجهات المشار إليها في الآية
الاعتبار بما في الارض من الثمرات وما كان منها من ذكر وأنثى وهذا التعبير
الذي نحوه فيه الآية على حقيقته الآن من (قوله تعالى) ومن كل الثمرات جعل فيها
زوجين اثنين انما علم ما بينه من ترقي العلوم الطبيعية والفلاحية فقد ثبت بالتجربة
والمشاهدة وقرره جميع علماء الفلاحة في كتبهم ان جميع أنواع الثمرات بل حتى
الزهور أيضا تشتمل على ذكر وأنثى واذا انفرد أحدهما عن الآخر لا تتولد الثمرة غير ان
بعض الأنواع تكون فيه الشجرة الواحدة مشتملة على أعضاء الذكر وعلى أعضاء الأنثى
وتلقيحها يحصل بالريح وهو المشار إليه (بقوله تعالى) وأرسلنا الرياح لواقح وبعض
الأنواع تكون فيه شجرة الذكر منفردة عن شجرة الأنثى وهذا النوع الأخير كان معلوما
عندهم سابقا ببعض افراد كالنخل ولكن الآن قد تحقق ان جميع الأنواع لا تثمر الا
بالتلاقح

بالتلاقح بين الذكر والأنثى حتى إذا تتبع قطع أحد الصنفين من شجرة نشأ لها وأما في نوع
الآخر بحاله ولم يكن في ذلك الموضع شجرة أخرى مثلها كان ما بقي فيهما من النور لا يثمر
وقد حرر ذلك وعلمت علامات الذكر وعلامات الأنثى في كل نوع بحسبه فسبحان القادر
الحكيم الذي أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم حقا وأيده بأوضح المعجزات فقد أنبأ بهذا
منذ أكثر من ثلاث عشرة مائة سنة عندما لم يكن هناك حكيم يختلج هذا بفكره فضلا
عن الأمة الأمية وهو واحدها لا يقرأ ولا يكتب ولا شك أن هذا إنما هو بوحي من الخالق
الذي يعلم ما خلق سبحانه وتعالى ولدقة هذا الأمر وغرابته قد اعترف منصفوا أهل هذا
العصر بأن الحكمة قد فارقت هذه الأمة العربية منذ بعث فيها رسولها واستدلوا لما
اشتمل عليه القرآن من بديع الحكم فإن معرفة كون الريح تلقح الأشجار لم تعلم عند
الحكماء إلا في آخر هذا القرن والقرآن الكريم ناطق بها وقد قال مستر جنبري (خوجه
يتحقق به بين التامو لشبي) الإنكليزي معلم اللغة العربية في مدرسة عمدة الفنون في بلد
أكسفورد الكائنة في لوندرة إن أصحاب الإبل قد عرفوا أن الريح تلقح الأشجار
والثمار قبل أن يعلمها أهل أوروبا بثلاثة عشر قرنا أولا وكذلك كون الثمار تشتمل
على الزوجين ومادلت إلا بعلم الخالق لا بواسطة التعلمات والتجربات وتحليلات
كيماوية وتوسلات بعلم حقيقة دول من قال أن القرآن لم يعبر على حقيقته وإنما كانوا
يلتمسونه على قدر ما تصل إليه العقول وعلى قدر الحاجة في الأحكام وبما تقدم يظهر أنه
لا حاجة إلى تأويلات المفسرين في قوله تعالى ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين
حيث حملوا الزوجية على معان أخر كاختلاف الطعوم والطبائع مما يلي وعنده أنه تأكيد
بالثنين فإن ما ذكروه لا ينحصر في اثنين إلا بالنظر للأمثال وحيث ثبتت الحقيقة فلا داعي إلى
التأويل ويجب أن ما قالوه من التأويل ويؤيد ما حررناه من الحمل على الحقيقة أن ما أولوا
به لا يستقيم على نمط واحد في آيات القرآن العظيم الواردة في هذا المقصد كقوله تعالى
في سورة الحج وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل
زوج بهيج فإن ما قالوه من اختلاف الطعوم أو الطبائع لا يطرد في جميع ما تنبته الأرض
بل فيه المتوفق في ذلك وإن كان بحسب التشخيص مختلف الأنواع بخلاف ما قلناه فإنه
مع الحمل على الحقيقة هو مطرد أيضا (وبما تقدم) يعلم وجه طلب العلوم الرياضية على
ما سيأتي في محله إن شاء الله تعالى حيث أن التفسير المتقدم في الجملة الشريفة مما يبين
بها كما أن تمام الآية اشتمل على إشارة غريبة من ذلك القبيل وهو الجملة (الخامسة) من

جهات الاعتبار المشار اليها. قوله تعالى يغشى الليل النهار فقد تقدم أنه تعالى بعد أن
ذكر في الآية السابقة الدلائل العلوية ذكر بعده الدلائل الارضية وسيق فيها تعاقب
الليل والنهار لجعله من الحوادث الارضية فقال المفسرون اعتبروه فيها وان كان هو من
متعلقات العلويات وهو الشمس واعلم أن مسئلة حركة الارض أي هل هي التي تدور
أو أن الشمس هي التي تدور هي من المسائل الفنية أعني ان أدلتها حسية وكثير من
من يزعم الهيئة هو على هذا النحو الى الآن كمسائل الابعاد بين الكواكب ومقادير
اجرامها وطبائعها وما تشتمل عليه وعلماء هذا الفن مقرون بذلك كما يأتي و يشهد له أنهم
كانوا متفقين على أن بعد الزهراء من الشمس مقادير معلومة ففي سنة (١٢٩٣) كان
اقتران الشمس بالزهراء يعني أن الزهراء تعترض حائلة بين الارض والشمس فاعتنوا لذلك
من قبل وأرسلوا العارفين الى الجهات التي يمكن منها رؤية ذلك لتحرير الرصد بالآلات
فحرروا ذلك ووجدوا أن جميع حسابات السابقين خطأ فان البعد الذي حرر هو أقل
مما كانوا يزعمون وكذلك مقدار جرم الزهراء ومن الجائز أن يظهر الخطأ في هذا
التحرير في وقت آخر وحيث كانت المسائل في هذا الفن ظنية اختلف علماؤه
في أسباب وجود الليل والنهار واختلاف الفصول بالحر والبرد بعد الاجماع على أن
ذلك من آثار تقابل الشمس والارض فقدماء الفلاسفة ذهبوا الى أن الارض هي
التي تدور والذين بعدهم ذهبوا الى أن الارض مركز الافلاك وبدوران الافلاك يحدث الليل
والنهار وأن الشمس هي التي تدور معه ولها سير خاص بها يحدث منه الصيف والشتاء
واشتهر هذا المذهب وزاد انتشاره عندما انتشر هذا العلم وشهد في الامة الاسلامية لما
اشتغل فيها العلماء وكان ذلك المذهب هو المشهور الى أن أخذوا عنه العلوم الرياضية ثم
أحيي المذهب الاول وتركوا الآن عند علماء العصر بهذا الفن وانكره المنتسبون
للعلم من المسلمين ظنا منهم أن المذهب الآخر هو من عقائد الاسلام أو أن المذهب الآخر
مصادم للنصوص والحق أن ليس شيء من هذا ولا من ذلك هو مما يجب اعتقاده عندنا
وانما المدار عندنا على الاعتبار بالآثار المشاهدة من الليل والنهار وأشباه ذلك وثبات
جريان للشمس وأما كيفيته فلا تعلق لها بالعقائد وسير الشمس ثابت على كلا المذهبين
لان المتأخرين يثبتون لها حركة رحوية على نفسها وحركة ثانية على منطقة لها أيضا ثم
حركة انتقالية مع جميع ما يتبعها من الكواكب حول شيء مجهول كما أن هذه الدورة
مجهولة المستقر أيضا وكأنها هي المشار اليها بقوله (تعالى) والشمس تجري لمستقر لها

ذلك

ذلك تقدير العزيز العليم وذلك أن المستقر أوتي بلفظه منكراً للإبهام فيفيد أنه غير معلوم
للخلق ولهذا أوتي به مضافاً الى الشمس باللام وكان منكراً ولم يقل مستقرها بالاضافة
المفيدة للتعريف لان ذلك المستقر غير معروف وعلماء هذا الفن الآن من غير المسلمين
مقرون بذلك فهو (حينئذ) اجماعي بيننا وبينهم ثم ان كون حدوث الليل والنهار
هو من آثار دوران الارض ربما كانت آيات عزيزة تشير اليه منها الآية المتقدمة فانه
(تعالى) بعد ان ذكر الدلائل على وجوده من السماء ذكر الدلائل الارضية وخلط فيها
الليل والنهار فيشير بذلك الى انهما من آثار الارض لان وجودهما وان كان يستلزم
الشمس والارض معاً لكن تخصيصه بالانخراط في الدلائل الارضية يدل على تعلق
خاص وهو كون دورانها هو السبب على أن منطوق الآية فيه تدعيم لهذا حيث قال
يغشي الليل النهار فجعل الليل الذي هو ظلمة الارض يغشي به النهار الذي هو ضوء الشمس
فيه تلميح الى ان الارض هي التي تحدث ذلك بفعل الله ومن الآيات المشيرة الى ذلك
ايضاً (قوله تعالى) والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا
يغشاها فجعل النهار الذي هو مقابلة وجه الارض للشمس مجلياً لها والليل الذي هو ظلمة
الاصابة للارض مغشياً لها واسند ذلك لغير الشمس بل الى شيء آخر وهو الليل
والنهار الذي هو من آثار الارض ولما كان هذا ثابتاً فيحمل من الآيات على طلوع
الشمس وغروبها ونحو ذلك مجاز او يقال باعتبار الابصار والعرف الجاري في اللسان
(ثم اعلم) انه لا يلزم من دوران الارض نفي السماء على ما شرحه علماء المعارف لان
السموات لا شك في وجودها بالنصوص القطعية عليها غير ان جرمها غير معلوم لنا وانما
نعتقد أنها اجرام شداد هي بالنسبة لكل من على الارض فوقه كما هو المفهوم اللغوي
للفظ سماوات وأما ماهية اجرامها فالله أعلم بها ونعتقد أنها سبع طبقات شداد ثم طبقة أخرى
تسمى بالكرسي ثم طبقة أخرى تسمى بالعرش ولا يلزم من كونها شداداً أن لا تخرقها
الكواكب بسيرها فان ذلك مشاهد لنا كما أنه لا يلزم من سير الكواكب انعدامها
حتى يقولون ان الكواكب ملقاة في الفضاء لان ذلك متوقف على معرفة كنهها وهو
فوق عقولنا لان العقول انما تتوصل الى المعهودات للحواس وما لا تعهده الحواس يعسر
ادراكه على حقيقته ولهذا كان علينا ان نصدق الصادق ونكل معرفة ذلك الى خالقها
فقد قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه عند قراءته (قوله تعالى) وأكواب
كانت قوارير قوارير من فضة ما معناه ان القوارير الزجاج الذي لا يحجب ما وراءه

والعصا اذا ارقت ماءها امكن ان تطرق لانه لا تكون الا كثيفة فهاته العصا هي نوع آخر
لا نعلمه ونكل علمه الى الله بل الاعرف أن مثل هاته المسائل أقر بها الحكماء الذين
لا يعتقدون الشرع فقد قال أحد حكماء الفرس او من المتأخرين ما ترجمته ان للعقل
حدا محدودا لا يتجاوزه كما أن للبصر حدا محدودا لا يتجاوزه فاتعاب العقل في التوصل
الى معرفة كنه الاجرام العلوية وماهيتها كاتعاب البصر في أن يرى ما فوق السقف
من اسفله فهب انك اعنته باعظم المرايا المكبرة فانه لا يمكن أن يخترق السقف حتى
يرى ما فوقه (اه) ويمكن لنا أن نورد لاولئك المنكرين للسماء دوما وجودها على
مقتضى علم الهيئة لديهم هاته الآن أليس يسلمون وجود كرة الهواء محيطة بالارض
وأنها عظيمة شديدة حتى قرروا أن ذات الانسان المتوسط مضغوطة وحاملة لا كثر من
ثلاثة وثلاثين ألف رطل من الهواء ومع ذلك بان هاته الكرة العظيمة الشديدة تخترق
كيفما اراد الخرق لها فلم لا يجوز أن تخترق الكواكب السيارة السموات على هذا النحو
ثم ان هاته الكرة الهوائية نهاية ارتفاع سطحها الاعلى عن سطح الارض نحو ستة عشر
فرسخا وهي في ذاتها تختلف طبقاتها وما فوقها ليس مخلوا بل يوجد في الكون خلو
مطلق كما هو رأي قدماء الفلاسفة ومتأخريهم كما قرره الحكيم لامروس في كتابه السابق
ذكره فلم لا يجوز أن يسمى الشيء المعبر عنه محدود من الفضاء باسم سماء وما فوقه من حد آخر
باسم سماء آخر وهكذا وان كنا نجهل حقائقها لكنا نقول انها لا تمنع من سير الكواكب
في مناطقها ومن ذلك الارض فالارض التي يقع بها الاعتبار بالاوجه المتقدمة لا يكاد
يزيد الاعتبار عليها من اختلاف أقطارها حرا وبرودة ليلا ونهارا وجبالا وسكانا
الا بالسير ومشاهدة عجائب خلق الله فيها

الفصل • الثاني

فيما ورد في السفر من السنة روى السيوطي في الجامع الصغير عن ابن السني وأبي نعيم
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم) انه قال سافروا
تصحوا وتغنموا فأرشد الرسول صلى الله عليه وسلم الى أن في السفر ثمرتين راجعتين الى
الجسم زيادة على ما تقدم من ثمرات الروحية (الاولى هي الصحة لما يشتمل عليه السفر
من الرياضات البدنية فلا يخلو عليها عن مشقة ولهذا رخص فيه من ارخص ما هو معلوم

في

في الفروج بقطع النظر عن العلة الباعثة عليه كما هو المذهب الحق واتعاب البدن بغير
صحته وأيضا الاستنشاق للهواء المشار إليه لدى هو أدوم للجسم من الأكل والشرب
لأن الإنسان لا غنى له عن التنفس في كل لحظة بخلاف الأكل والشرب لإمكان الصبر
عليهما مدة ما (وبيان وجه احتياج الإنسان إلى الهواء في كل لحظة للتنفس) هو أن الله
قدر بحكمته تركيب الجسم الإنساني على أبدع وجه وجعل سبب قوامه هو الدم المصفى
من الغذاء فبعد هضم الغذاء في المعدة تمتص صفوته في ماسورة توصلها إلى القلب بعد
اختلاطها بما في قناة واحدة وهو الدم الذي في ذات الباسط وقبيل الوصول إلى القلب يصب
ذلك في قناة الدم الدورة الراجع إلى القلب أيضا والقلب شكل صنوبري منقسم داخله إلى
قسمين يمين وشمال وكل منهما منقسم إلى قسم علوي وقسم سفلي وبينهما حاجز فيه منفذ
يوصل بينهما له غطاء ينفتح وينطبق بالصدمة المتقدمة ثم في الطبقة العليا من القسم
الأيسر ومن هناك ينفتح الغطاء فيصب نفسه في الطبقة السفلى ثم ينقبض الغطاء
بسرعة ثم ينفتح أخرى وهكذا وكلما انطبق الغطاء صدرت جميع الأنباض التي في البدن
فحركتها تابعة لحركة الغطاء قوة وضعفا سرعة وبطئا ثم يخرج الدم من القسم الأيسر
السفلي في عرق عظيم هو مجمع عروق الأنباض فيصعد إلى أعلاه ثم يتفرع منه فروع
وهاتيك الفروع تتفرع منها فروع أخر أقل منها وهكذا إلى أن يعم جميع أجزاء
البدن وهي عروق الأنباض وكلما انتهى نبض إلى جذب في الدم منه عرق من عروق
الشرايين التي لا تتحرك وهاته وبينهما يرجع الدم إلى القلب فتكون عند اتصالها
بالأنباض صغيرة الحجم ثم لا تزال تجتمع فتنضم إلى أن تصير عرقا واحدا فيصب في القسم
الأيمن من القلب الذي هو منقسم أيضا مثل الأيسر وحركته مثل حركته ثم إن الدم يخرج
من الطبقة السفلى منه في عرقين يوصلانه إلى الرئة ولا يخفى أنه أي الدم إذا ذهب ودار في
جميع البدن ونقص من أصل كميته ما ارتفع بواسطة العروق إلى اللحم والعظم وقد تغيرت
عناصره وقل منه الأكسوجين وزاد فيه الحامض الفحمي حتى يتغير لونه ويصير أسودا
بعد أن كان أحمر ولو بقي على حاله لأضر وأقوى في البدن لكن حكمة الله تداركت هذا
الأمر بالألطف فجعلت رئة تجذب الهواء الذي هو مركب في حالة سلامته من أجزاء من
الأزوت وهو أكثر جوانبه ولا يضر ولا ينفع الحيوان إذ الدم إذا كان خاليا مع قلة
الأجزاء ومن الأكسوجين الذي هو الجزء المناسب لحياة ذي الدم وأقل منه كمية
الحامض الفحمي الضار للحيوان المذكور ومتى تيسر من الماء حالة كونه مجردا إذا

دخل الهواء الرئة استرجع الدم منه الاكسوجين الذى فقده ودفع فيه ما عنده من
الحامض الفحمى المضر ثم أخرجته الرئة بالتنفس وأخذت هواء آخر لترد اليها من
الدم أيضا وهكذا فى كل لحظة وبعدما يصير الدم فى الرئة برجوعه الى اعتداله ينبعث
منها فى عرق عظيم ويرجع الى القلب من الجهة اليسرى على نحو ما قدمناه وهكذا
(سبحان القادر الحكيم اللطيف) وبهذا البيان ظهر وجه احتياج الانسان للهواء
أكثر من الغذاء واذا علم ذلك علم وجه كون السفر مفيدا للصحة لان الهواء فى الاماكن
المسكونة يكثر فيه الجزء الحامض الفحمى المدفوع بتنفس السكان بخلاف الاماكن
الغير المسكونة فان هواءها يكون أصفى وأنقى من غيرها والسفر لا يخلو من قطع مفاوز
وبحار فيستنشق ذلك الهواء الخالص فيصفو دمه ويصح بدنه كما قال (عليه الصلاة
والسلام) سافروا تصحوا وما قررناه فى التنفس والهواء يعلم وجه كراهة النفخ على الماء والطعام شرعا
لان الهواء المنفوخ به يكون حاملا لجزء كثير من الحامض الفحمى الذى هو مضر بالصحة
واعلم أن ما قررناه فى حسن الهواء وسلامته للمسافر هو بالنظر الى الغالب الكثير فلا
يعترض عليه بان هناك اماكن خالية عن السكان ومع ذلك هى وخيمة لما يعرض لها
من تعفن أو غيره فلا يكون هواؤها طيبا لان ذلك قليل والحكم على الغالب (وهكذا)
القول فى المنفعة التى ترجع الى المال اذ شأن المسافر الاطلاع على أحوال التجارة والسعى
فيها فيربح ويتسع رزقه ولا يعترض بكون المسافر لا يربح اذا سافر لقصد سياحى وتنزهى
أو بدنى أو غير ذلك اذ المدار حصول الشئ على السعى فى اسبابه

الفصل * الثالث

فيما ورد فى السفر من كلام الحكماء والادباء اعلم انه قد ورد فى مدح السفر كثير من كلام
البلغاء والحكماء فلا أطيل عليك هنا واقتصر على كلام الامام الشافعى رضى الله عنه
حيث قال

تغرب عن الاوطان فى طلب العلا * وسافر ففى الاسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة * وعلم وآداب وصحبة ماجد

فقد جمع من فوائد السفر ما تتشوق النفوس الى اكتسابه

الباب الثاني

﴿في السفر لغير أرض الاسلام وفيه فصلان﴾

الفصل الاول

﴿في النصوص الدالة على الجواز﴾

لا خفاء أن الاعمال بمقاصدها فاما أن يكون السفر لقصد صحيح شرعا كقصد مصلحة عامة أو مصلحة خاصة لا مندوحة عنها أو يكون لمجرد توسع في المال وتنزه وعلى كلا الوجهين فالسفر جائز غير أنه يختلف حكمه بالنسبة للمروءة وحفظها حتى تبقى العدالة أولا تبقى بانعدام المروءة وها نحن ننقل ما عثرنا عليه في المسألة ففي الفتاوى البيرمية نقلا عن خط الشيخ محمد بيرم الرابع ما نصه سئل حفظه الله عن ركوب البحر والذهاب لدار الحرب هل يسقطان العدالة أم لا فأجاب بما نصه أما من ركوب البحر فانه لا يمنع قبول الشهادة الا من مظن الهلاك وأما الذهاب الى دار الكفر فينظر فيه للسبب الحامل عليه فان كان مصلحة عامة كالسعي أو خاصة بالذاهب كما اذا كان به مرض عجز عن علاجه هنا فهذا لا بأس به ولا تسقط العدالة بسببه وان كان لغرض التجارة والاستكثار من حطام الدنيا فهذا هو الذي تسقط به العدالة هذا ملخص ما فهم من كلام أصحابنا كما في الوهبانية وشروحها والله تعالى أعلم انتهى وفي الفتاوى الهندية من كتاب السير ما نصه أن ذا رأى رجل لا يخرج للجهاد الا اذا رضي أبواه ومن يقوم مقامهما على التفصيل المقرر هناك قال وان أراد الخروج للتجارة الى أرض العدو بأمان فكرهها أبوه (أي الأبوان) فان كان أميرا لا يخاف عليه منه أو كانوا قوما يوفون بالعهد يعرفون بذلك وله في ذلك منفعة فلا بأس بأن يعصيهما ثم ذكر مسائل تحوم على أن المدار في الجواز وعدمه على غلبة الظن بالأمن فاذا حصل ذلك جاز له السفر ولو بغير رضى أبويه فتلخص مما تقدم أن السفر الى أرض غير المسلمين جائز كيفما كان القصد على شرط الأمن وانما يختلف الحكم بالنسبة للعدالة ولا يخفى أن العدالة مدارها على حفظ المروءة والتنزه عن الرذائل وسفاسف الأمور فاذا كان يقتحم الأخطار من السفر المذكور لمجرد زيادة في التحسينات كالتنعم بالنظر أو زيادة المال كان ذلك قادحا في العدالة وان لم يكن محرما وأما اذا كان

السفر المذكور لغرض صحيح ولو تجارة يحتاج إليها سيما خاصة أوله وآخره فهو مع كونه مباحا لا يسقط العدالة أيضا بل له الأجر الأخروي إن صحح النية وأخلصها التي هي أساس العبادة وقد علم مما مر أن شرط الجواز هو الأمن وهذا الشرط لا يختص بأرض غير الإسلام بل هو شرط أيضا في أي أرض كانت كما في حواشي الشيخ ميارة على لامية الزقاق حيث قال في أثناء الكلام على الإقامة ما نصه إن الإنسان إن لم يستطع كف الظلم والمعاصي تجب عليه الهجرة فإذا كانت تجب الهجرة منها فكيف يجوز الإقدام على الدخول فيها والله تعالى يقول ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ثم إن الأمن يعلم حصوله وعدمه من الباب الآتي في أحوال الأرض لأنه يختلف باختلاف الأوقات والأحوال

الفصل * الثاني

في تطبيق الحكم على سفر العبد الفقير إلى ممالك أوروبا ليعلم من المقصد الأولي الحامل لي على السفر إلى ممالك أوروبا وهو ما قد تداوى به العبد العاجز عن علاج أمراض في لا ما أو مصلحة أو ضرورة وكل الوجوه الثلاثة مما يسوغ السفر بلا خلاف في العدالة وإذا اعتبرنا ما حصل من ثمرته وأقمنا الدليل على جميع هاته الخلاصة فإني أرجو من كرم الله تعالى أن يعفو عن زلاتي ويعاملني بمحض جوده وفضله سيما والبلاد التي قصدناها من بلاد الأجانب هي تامة الأمن كما يعلم من الباب الآتي

القسم الثانى من
الجزء الاول
من صفوة
الاعتبار

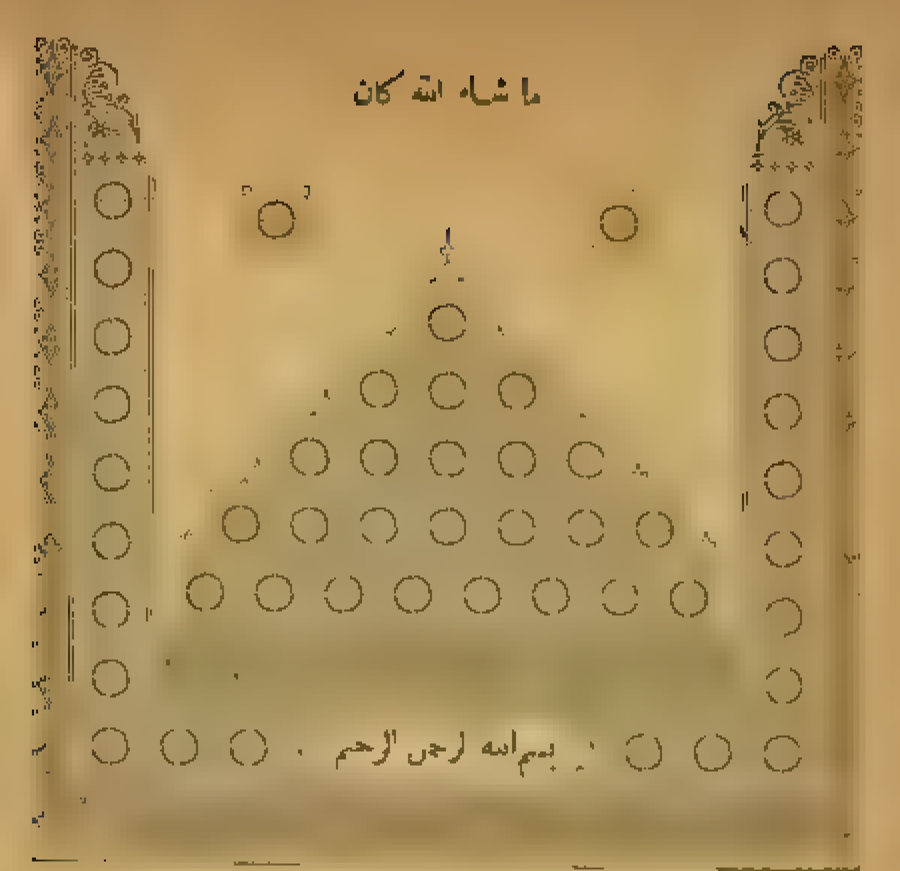

(الباب الثالث)

في تقسيم أحوال أهل الارض الآن

وفيه سبعة وثمانون فصلا

اعلم ان الله جل قدرته قد قسم الخلائق في هذه الارض وخالف بين عوائدهم واصطلاحاتهم ولغاتهم وان اتحد الجميع في أصول الاحتياجات كالطعام والملبس واللوازم وقد قرب الجغرافيون سكان كرة الارض من ثنتى عشرة مائة مليون الى ثلاثة عشر مائة مليون وقسموا الارض الى أقسام خمسة وهي (آسيا) و (اوروبا) و (افريقيا) و (أمريكا) و (استراليا) وهي أقسام اعتبارية اذ الارض واحدة وما فيها متشابه متماثل

﴿القسم الأول آسيا﴾

اعلم ان القسم الأقدم عمرانا والاكثر سكانا والاشرف معنى لما حواه من كونه مصدر للديانات الالهية ودار الرسل (عليهم أفضل الصلاة والسلام) ومنبع شموس النور العظيم الحاوى للذات الشريفة المحمدية (عليها أفضل صلاة وأزكى تحية) هو قسم (آسيا) الشامل لمكة والمدينة وقدس وهو محدود شرقا بخليج برنغ والمحيط الشرقى وجنوبا بالمحيط الهندى وخليج فارس والبحر الاحمر وغربا بالبحر الاحمر والبحر الابيض وبحر مرمرا والبحر الاسود ونهر دون وجبال أورال وشمالا بالمحيط الشمالى وهذا القسم يشتمل على عشرين مملكة

الفصل * الاول

﴿فى المملكة العثمانية﴾

اعلم ان أعظم الممالك الاسلامية فى هذا القسم هو المملكة العثمانية لاستيلائها على أغلب الممالك الاسلامية التى كانت تسمى واعتاد تحت سلطنتهم ولاشتمالها على الحرمين الشريفين ولأن سلطانها هو صاحب الحرمين الشريفين ولامتدادها على ممالك وسيعة اسلامية فى أفريقية كما أن لها فى أوروبا ممالك وسيعة فتتألف من المجموع مملكة عظيمة تختها القسطنطينية وبوغازها يفرقها بين أرض آسيا وأرض أوروبا ويفرقها بين البحر الابيض والبحر الاسود فكان لها بهذا الموقع عظيم الاعتبار وسكان هذه القاعدة قدرهم مليون ونصف وأقسام هذه المملكة هى الاناضول وفيه آسيا الصغرى والشام والعراق وديار بكر وأرمينية والجزيرة والحجاز واليمن ولها فى أوروبا قسم الروملى ولها فيه ولايات تعرف بالايالة البلغارية والروملى الشرقية وفيه جزائر البحر الابيض التى منها ما له امتياز كجزيرة كريد وسيسام ولها فى أفريقيا ممالك أيضا وهى طرابلس ومصر وتونس وهاتان الاخيرتان لهما امتيازات خاصة فى الادارة وتشتمل المملكة الآن فى الاقسام الثلاثة من السكان على نحو ثلاثة وعشرين مليونا عدى الممالك التى لها امتيازات واذا ضم ذلك كان الجميع يناهز الاربعين مليونا والذى يخص قسم آسيا فقط من السكان نحو ستة عشر مليونا وقد ابتدأ تأسيس هذه المملكة من سنة ٦٩٩ تحت رئاسة السلطان عثمان فى أرمينية

ولازالت تعظم الى ان بلغت نهاية السطوة على جميع ممالك المعمور ثم ابتدأت از وسيا في حروبها وتفاحات الدول الاوروباوية تارة لدفاع عنها وأخرى لترجيح مصالحها ولازالت بين الدول لها اعتبار وحكومتها شورا وية في الرسم لكنها الا آن تحت الحكم المطلق ولم تزل سلاطينها يعممون على الامن في جميع انحاء المملكة وفي جميع انواع السكان الذين اغلبهم مسلمون وهم نحو ستة عشر مليونا وباقيهم اعاظم نصارى على مذاهب شتى والباقي من ديانات مختلفة ولزيادة توطيد الامن واجراء العدل أسس المقدس السلطان عبد المجيد التنظيمات الخيرية في سنة (١٢٥٧) ثم اكدها ولده السلطان المعظم عبد الحميد بالقانون الاساسي الذي اصدره في سنة (١٢٩٣) وفقه الله لما يرضاه وبقية التفاصيل المتعلقة بهذه المملكة تأتي ان شاء الله تعالى في المقصد وقوتها المالية والحربية تاتي في آخر المقدمة في جدول قوات الدول بحول الله وارادته

الفصل * الثاني

﴿ المملكة الثانية هي مملكة فارس ﴾

وهي مملكة اسلامية قاعدتها ايران وعدد سكانها من الخمسة ملايين الى سبعة ما بين سنية وشيعية ولها تقدم في الحضارة وبعض رجال دولتها مهذبون لهم معارف كافية في السياسة ورئيس الدولة يلقب بالشاه وهو الا آن الشاه ناصر الدين من آل البيت المعمور وقد التفت الى الاصلاحات التي يقتضيها الحال لما شاهده في اوروبا وغيرها عند اسفاره لما انه استدعته الدولة الانكليزية (في سنة ١٢٩٠) لحضور المعرض الذي فتحته فأجاب دعوتها كما اجاب السلطان عبد العزيز العثماني دعوة دولة فرانسا لمعرضها (في سنة ١٢٨٧) والشاه المشار اليه زار في سفرته المذكورة الدولة العلية فانه بعد ان وصل الى لندره على طريق روسيا والمانيا رجع على طريق فرانسا ثم النمسا والمدعو اليها ومن هنالك توجه للاستانة ولما علم السلطان بقصده لزيارته ارسل له باخرة جليلة سلطانية تلاقيه وصحبه مدرعتين بحفاظته وارسل له فيها وزيرا البحر فركب الشاه الباخرة من احدى فرض ايطاليا بعد زيارته لملكها فوصل الى جناق قلعة في يوم الاحد (٢٢) من جمادى الثانية (سنة ١٢٩٠) فاطلقت له المدافع من القلعة واصطفت له العساكر واستقبله هنالك الصدر رشيد باشا في باخرة سلطانية ومعه سفير الشاه في الاستانة ووالي جزائر البحر الابيض

الابيض وفى يوم الاثنين لاقاه فى بحر مرمرا سفراء الدول فى بواخرهم الرسمية ووجوه تجار
الفرس فى سفينة بواخر أخر ولاقاه هنالك أيضا فرقة من الاسطول العثمانى فوصل فى
موكبه البهى الى الاستانة من يومه وأرسى قبالة قصر بكاربيلك المعد لنزوله فأطلقت
له المدافع وتوجه السلطان للقائه فى الباخرة ورحب به وآنسه ولبثا مليا والمترجم بينهما
ميرزا حسين خان صدر دولة الشاه ثم نزلا معا الى القصر وأطلقت المدافع من جميع
الاسطول العثمانى ثم رجع السلطان الى قصره بباشكطاش ثم زاره الشاه بعد
الاستراحة وآنسه وكان كل منهما متقلدا بنيشان صاحبه وزينت له سائر الدواوين
الملكية ومنازل تجار الفرس وحصل له من العناية ما أكد له مزيد الالفة بين السلطنتين
ثم عاد الى بلاده وأخذ فى فتح الطرق للتقدم لكن السير فيها بطئ . ثم عاد الى أوروبا سنة
(١٢٩٥) لزيارة معرض باريس على وجه غير رسمى وزاد استبصارا فيما ينبغى اتخاذه
وشرع فى شئ من التنظيم سنة (١٢٩٦) تداركا لما يحيط به من سياج الحفظ لامته ومملكته
التى أخذت منها الروسيا قسما عظيما فى أواسط القرن الحالى وهاته المملكة حكمها
الآن استبدادى مطلق غير أن ما لا نص عليه من الجزئيات يجرى فيه الحكم الشرعى
الاسلامى والغرباء لهم الامن من جهة الحكم اذا دخلوا المدن العظيمة منها وحلوا بها
﴿أما غيرها﴾ فلا اطمئنان فيها الا اذا أخذ المار توصيات من رؤساء الحكام أو خفراء
له ودخل هاته الدولة وترجمتها يأتى ان شاء الله تعالى

الفصل ❁ الثالث

﴿المملكة الثالثة هى مملكة أفغانستان﴾

وموقعها شرقى فارس وقاعدتها كابل وقد كانت هاته المملكة مقرا للمملكة الغزنوية
ثم السلجوقية ثم استقلت بولاية أحمد شاه فى القرن الثانى عشر ثم دخلت تحت السابقة
الذكر ثم استقلت فى عشرة الستين بعد الالف والمائتين باعانة الانكليز وسكانها نحو
الستة ملايين وقيل ثمانية والاول أقرب أكثرهم أهل بادية وسكان جبال والديانة
العامة هى الاسلامية السنية والحكم استبدادى مطلق ولا راحة تستقر فيها لكثرة
الثورات وعدم انقياد القبائل ثم تعارض سياستى الروسيا والانكليز فيها حتى اغتر
أميرها وحارب الانكليز فوقعت المملكة فى قبضتهم وخذلته الروسيا حيث لم تعاجل

قصدها من حرب سنة (١٢٩٤) بتعليم الانكليز ومن عادات هاته المملكة أن
يكون نحو عشر السكان عساكر دفاعية عن الوطن وفيهم المشاة والخيالة وهم غير
منتظمين ولا يعرفون في الخدمة العسكرية الاوربية والاهالي تقوم بهم فان كل مقاطعة
أو ولاية عليها مقدار معلوم من العساكر يلزمهم ثم هم يقسمون اللوازم على
ما تقتضيه الحال فأصحاب الاملاك يقومون بالخيالة وغيرهم يقومون بالمشاة ﴿وأما
الطبجية﴾ فهم خيالة ومنهم مشاة وكلهم ملازمون للخدمة والدولة تقوم بهم وتجرى
لهم مرتبات وحدث في خدمتهم بعض تنظيم على النوع الجديد منذ مدة قريبة وتقدير
عددها مجهول

الفصل * الرابع

﴿المملكة الرابعة هي مملكة بلوجستان﴾

وتسمى سابقا بالسند أي داخلة فيه وموقعها الجنوبي المملكة السابقة وعدد سكانها نحو
المليونين وهم متفرقون تحت رؤساء شتى وأعظمهم الآن خان كلات والديانة الغالبة
هي الاسلام على مذهب أهل السنة لكن كانت بالنظر لغلبة الاسم الاسلامي حيث
كانت الغارات مستمرة بينهم وسفك الدماء فتغربه سيما في الاقوام المتركبين الذين
بقوا في الجبال فهم لا يعرفون معناه للحماس وحيث كانت اراضي هاته المملكة رديئة
وهواؤها رديئا وتجارتها قليلة لم يرغب فيها الانكليز ورضوا بمعاملة رؤساء القبائل
اليهم بعضهم بالارهاب وبعضهم بالارغاب وعسى ان نعلم حال هذه المملكة

الفصل * الخامس

﴿المملكة الخامسة هي مملكة الهند الانكليزية﴾

وموقعها على شاطئ البحر الجنوبي الهندي وتتوغل في دواخل القارة الى جبال
هملاي وهي محادة للمملكتين الاخيرتين في الذكر من شرقيهما وهي مملكة عظيمة جدا
تشتمل على ما ينوف عن المائتين والتسعين مليونا من النفوس منهم مسلمون نحو أربعين
مليونا وزادوا في السنين الاخيرة نحو خمسة عشر مليونا بدخول الاهالي في دين الاسلام
طوعا بدون وقوع المناظرات الآتي ذكرها والجميع تحت الاستيلاء الانكليزي غير ان
بعضهم لهم استقلال في اداراتهم الداخلية وهم عدة ملوك وأمراء وعدد هاته الممالك

المنارة

لمنازعة ثمان عشرة مملكة وسبب استيلاء الانكليز على هاتيك الممالك الرحيبة على
وجه الاجمال ان هاتيك الممالك كانت فى القرون الاخيرة انقسمت الى امارات وملوك
طوائف يتناحرون على مدى الزمان سيما بعد ضعف المملكة الاسلامية التى عند
انقراض دولة السلطان محمد شاه فى أواسط المائة الثامنة هجرية الموافقة للمائة الرابعة
عشر مسيحية فمن ذلك الوقت تزايدت المنافسات بين ملوك تلك الاقطار وزاد انقسامهم
الى حد فاق المقدار مع أن نفس أجسامهم وحالتهم البدنية بعيدة عن الحروب والاتعاب
لانهم أناس ضعاف الاجسام يميلون الى الراحة والتنعم باللذات الرائقة والمآكل
الطيبة والاستكثار من المال والجواهر لاسيما أهل الامارات الجنوبية لحرارة
أقاليمهم بقربها من خط الاستواء ولهذا من قديم كانت سائغة للفاتحين متوالية عليهم
من غير بعيد وتسلط عليهم فاتحوا تلك الممالك التى فتحت منها نفوسهم وتجبروا واشتد
المصريون بشدة طماعيتهم وقد كان أهل البرتغال من الاوروباويين قصدوا السير على
طريق رأس الرجاء الصالح من أوروبا الى الهند وتمكنوا من مراكز فى تلك الجهات
سنة (٩٠٣ هـ و١٤٩٧ م) ثم قلدهم فى التجارة غيرهم من الاوروباويين حتى
عقدت شركة انكليزية للتجارة فى الهند وعينت أولا سفينتين مصحوبتين شراعيتين
محتويتين على قوات دفاعية للخوف مما عساه يعرض عليهم من تعدى أهل تلك الاقطار
الذين كانوا يجهلون تفصيل أحوالهم لبعد المسافة وطول الطريق لدى طور رأس الرجاء
الصالح وكان هذا فى سنة (١٠٥٣ هـ و١٦٤٠ م) فنفقت التجارة الانكليزية هناك
وكثر خلطة الانكليز بالاهالى وعرفوا أحوالهم وعاملوهم لكنهم لم يتداخلوا فى سياستهم
وتدابير ملوكهم وابتداء ذلك بحيلة تجارية الى أن وقعت الحرب بين فرانسا وانكلترا
فى سنة (١١٥٩ هـ و١٧٤٦ م) فحينئذ ابتدأ النفوذ السياسى واعانات الشركة
وتسلط الانكليز على بعض الشعوب الهندية مع التوسع لحاجة فى غيرها حتى ان
بنباى أعطيت من الهنود مهر الكاترينة زوجة كارلوس الثانى ملك الانكليز فى عشرة
الستين وستمائة والف أى حدود سنة (١١٧٥) وتلك التى استولت عليها دولة
الانكليز بدون واسطة شركة التجارية هى الممالك المعروفة بحكومة البنجاب ومنها
جزيرة سيلان التى هى فى الجنوب الغربى من الهند وسكانها نحو (٢٣٧٥٠٠٠) وكذلك
جهات كثيرة غيرها فجميع ما استولت عليها دولة الانكليز بلا واسطة ولهذا كانت ادارتها
هناك مخالفة لبقية ممالك الهند فلحكومة البنجاب ادارة منفردة تحت حاكم عام له

مجلس شورى ومجلس نواب للنظر فى مصالح العموم وتأليف ما يصلح بهم من القوانين أعضاؤه
هم كل ذى وظيفة فى تلك الحكومة من الاهالى وأعضاء أخر من الانكليزيين تولّيهم
الدولة ثم الرئيس العام هناك يرجع نظره لوزير المستعمرات لا لوزير الهند ويخاطبه بدون
واسطة الحاكم العام فى الهند (وأما بقية) الممالك الاخر فقد أخذتها الدولة من الشركة
المار ذكرها ولم تزل سلطة الانكليز تتقدم هناك حتى استولوا على بنجالة فى سنة
(١٢٧ هـ و ١٨٥٧ م) وازدادت حينئذ السلطة تقويا ونفوذا وامتدت فى تلك
الممالك حتى دخلت فى حوزتها جميعها من غير كبير مشقة الى أن حدثت ثورة عامة شديدة
هائلة من الاهالى وأوقعوا بالانكليزيين الذين هناك أشد وقعة فى سنة (١٢٧٤ هـ
و ١٨٥٧ م) حتى آيس الانكليز من تلك المملكة وأيقنوا بتقلص ظلهم منها لولا اغترار
الافغانستان ومساعدتهم للانكليز على ثوار الهنود فقهروهم وقتلوا منهم خلائق
لا تحصى ومثلوا بهم شر مثلة وعادت السلطة للانكليز بصفة تامة ولم يحصل
للافغانستان الا التسلط على سياسته ومملكته بما لم يستقر معه قرار الى الآن ثم ان
الانكليز لقبوا ملكتهم بامبراطورة الهند فى سنة (١٢٩٣ هـ و ١٨٧٦ م)
وعقدوا له فى الهند موكبا حافلا لا يجمع بنظيره وحضره كل ملوك الهند الذين تحت
ولاية الانكليز وحيث كان من الغرائب بمكان رأينا أن نثبت هنا ما ذكره أحد مراسلى
الصحف العربية فى شأن ذلك الموكب ونصه بينما الناس فى فترة واذا بالانكليز اخترعوا
طريقة أنتجت جملة فوائد لهم ولرعيتهم وهاك بيانها تفصيلا وهى تلقيب ملكة
الانكليز بامبراطورة الهند فلهذا أجمعت جمعية عمومية من ملوك الهند ومن امرائها
فى بلدة دهلى التى كانت قبلا تخت ملك ملوك الهند فبعد أن حضر جميع هؤلاء الملوك
والامراء وأهل الثروة العظمى ونصبوا خيامهم الفاخرة خارج البلدة كثرت الناس من
كل فج عميق الى دهلى ما بين متفرج وتابع وما بين تاجر وصانع وعامل الى أن
غصت المدينة بالناس وصار المحل الذى أجرته عادة فى الشهر خمس روبيات مائة روبية
والعجلة التى تكرى عادة بربع روبية بعشر روبيات فكأن السماء أمطرت والارض
أنبتت بنى آدم فان شارع دهلى عرضه أربعون مترا وكان المار فيه يخشى على نفسه
من شدة الازدحام وجل هؤلاء الناس وصل الى دهلى بواسطة سكة الحديد فانها متشعبة
فى جميع أقطار الهند كتشعب عروق الجسد وهذه الجمعية الكبرى تسمى بلغة أهل
الهند بالدربار فجميع ما شاهدته فى هذا الدربار يعجز اللسان عن بيانه والقلم عن حسابه

واثما أذكر ثلاث فصول (أحدها) في كيفية دخول حكمدار الهند الى دهلي وكيف
استقبله ملوك الهند وأمراؤها وكيف مشوا في صحبته واقتدوا في موكبه وخلف ركابه
(والفصل الثاني) في صورة محاسنة أي هيئة اجتماع الملوك وكيف ألقى عليهم
خطاب امبراطورتهم وكيف تلقوه بالاستحسان والقبول (أما الفصل الأول) فهو أنه
في السادس من ذي الحجة سنة (١٢٩٢) بعد الظهر بساعتين اصطفت العساكر
الانكليزية البيض وهم في أحسن الملابس وعليهم النظام في الصفوف والاستواء من
محطة سكة الحديد الى محل خيام الحكمدار وهو مسافة ثمانية أميال وازدحموا من طرفي
الطريق أكثر من الجانبين فبعد ساعة اذنت بقدومه أصوات المدافع ايذانا بوصول
الحكمدار وشرع أول الموكب في المرور وكان أولهم فرقة من خيالة على خيل حمر غاية
الجسامة على لون واحد مسروج بلون واحد ولباس فرسانها بلون واحد وعددهم نحو
الخمسمائة ثم تبعتها فرقة أخرى خيالة نحو خمسمائة على خيل بيض سمان كنظام ما قبلها
ثم تبعتها فرقة أخرى خيالة نحو الخمسمائة على خيل شهب في غاية الضخامة كنظام
ما قبلها ثم أعقبتهم مرة أخرى خيالة نحو الخمسمائة على خيل ادهم كنظام ما قبلها ثم خيالة
أخرى على خيل شقر ثم أخرى على خيل صفر ثم وثم الى أن مر نحو خمسة آلاف خيال
جميعهم بعدة السلاح ثم أقبلت الطوبجية ومعهم مائة مدفع جاذب بعضها فيلة لصحة
وحسن النظام وحسن الآلات وبعد مدفع كبير تجره الخيل وحسن هيئتها ثم أقبلت مرة
الفيلة وأولها فيل عجيب الشكل أسنه أعلا فيل في أرض الهند وبلاد برمن من شدته
نحو ذراعين وعليه الأطواق من الذهب حليه وعليه تخت جسيم جميعه من الفضة
الخالصة ورخت طول الى الأرض مرصع وعلى ذلك التخت اللورد ليتون حكمدار
الهند وهو رجل سمح بحمل أحمر للحيته وكان على يساره زوجته وخلفه فيل مثله
في الحلية لابسا بنتان صغيرتان وخلفهم نحو عشرة أو أقل من الفيل الأول في الحلية
وعليهم أتباع ذلك الحكمدار وخدامه ثم أقبلت أفيال أخر نحو العشرة وعليهم حاكم
العسكر وعليهم حكمدار مدراس وأتباعه ثم جملة أفيال أخر نحو العشرة وعليهم
حكمدار بمباي وأتباعه ثم مرت أفيال نحو العشرة عليهم حكمدار لاهور ثم
أفيال أخر عليهم حكمدار السند ثم فرقة أفيال أخر نحو العشرين وهي مركوب
سلطان حيدرآباد وتبعته ورخت الفيل الأول مرصع بالجواهر ثم فرقة أفيال أخر
نحو العشرة عليها راجا جيت برادور راؤه (هكذا) ثم أقبلت أفيال حاكم أخر عليها

ملوك الهند والراجات وعددهم نحو التسعين وكانوا كلهم خلف الحككدار بغاية
الوقار والرزانة والخضوع والتؤدة ويقال ان عدد الافيال فى ذلك الموكب نحو ألف
ومائتى فيل وليس فيها كلها أعلا من فيل الحككدار (وهكذا) انتهى الموكب الذى
لم يسمع بمثله منذ نزل (آدم عليه السلام) على جبل سرنديب ولا أظن انه سيحصل مثله
وكان مبدؤ مروره من الساعة الثانية ونصف الى الساعة الرابعة وعلى ما اتفقت ان هذا
الموكب لم يسمع بمثله لانا ما سمعنا ان ملكا من ملوك الهند المتقدمين أطاعه جميع
النواب وجميع الراجات بدون توقف ولا غضاضة ولا توان وأنهم مشوا خلفه فى موكبه
وتحت ركابه وهو جالس بالتعظيم على فيل أعلا من جميع أفيال الدنيا وجميع الملوك
ينقادون خلفه مع الادب والتؤدة واذا امكن لاحد قياصرة اوروبا العظام وملوكها
الفخام أن يحشر اليوم عسكرا مثل هذا العسكر ومدافع مثل هاته المدافع من اين له ألف
ومائتا فيل تنقاد خلفه وعليها تسعون ملكا فرسه لو لم يكن للانكليز فى الشرق فخر
الا هذا الموكب لكفاهم (الفصل الثانى) فى صورة الحلقة أى كيفية اجتماع الملوك
وكيف ألقى عليهم الحككدار خطاب امبراطورتهم وكيف تلقوه بالقبول والاحترام وكان
ذلك يوم (١٤) ذى الحجة سنة (١٢٩٣) بهيئة نصف دائرة جنوبى ونصف دائرة
شمالى وجميعه مسقف بالقماش وبين النصفين طريق فاصل للمرور فالنصف الجنوبى
عليه ملوك الهند أرباب النيشان وهو عبارة عن دكة مرتفعة مدرجة عرضها نحو اربعة
أذرع وطولها نحو مائة ذراع وعليها كراسى الملوك مصطفة بحسب رتبهم والنصف
الشمالى هو مثله الا ان بينهما طريق فاصل وارتفاع الرصيف نحو اربعة أذرع وله
درجات للطلوع وفى وسط الدائرة دكة مرتفعة نحو اربعة أذرع مساحتها ستة فى ستة
ولها مرقاة للصعود عليها فهذه الدكة الوسطى جلس عليها الحككدار الهندى ووجهه الى
جهة الجنوب جهة الملوك والربع الذى على يمينه جلس عليه الانكليز المتفرجون
أرباب المناصب والربع الذى على يساره جلس عليه أعيان أهل الهند وامراؤها غير
أرباب النيشان وهم المدعوون للحضور وقطر هذه الدائرة نحو مائة ذراع وحولها دائرة
أخرى كبيرة خالية من الناس لها حاجز من درابزين خشب فاصل بين المتفرجين العوام
وبين مجلس الامراء والمسافة بين الدائرة الداخلة والدائرة الخارجة نحو مائة ذراع ومن
حول الدائرة الخارجة عسكر الانكليز قياما وخيالة مرتصين فى ذلك الفضاء وعددهم
بالتقريب نحو العشرين ألفا وأكثرهم من الانكليز البيض وما بقى من الاجناس

وما

وما بين دهلى ستة أميال فى صحراء واسعة بقرب جبل صغير يسمى جبل افتح فان الانكليز
فتحوا دهلى من هذا الجبل سنة (١٢٧٤) ثم اجتمع الناس يتفرجون من كل فج عميق
ما بين ماش وراكب حتى ملأوا ذلك الفضاء فصار من بيده تذكرة العزيمة يدخل
فى الدائرة الداخلية ومن ليس بيده تذكرة يقف خارج الدرابزين الخشب ففى الساعة
الثانية عشرة اقبل حكمدار الهند وهو لابس من فوق السترة والبنطلون جبة واسعة
الاكمام وطويلة الذيل وهى أشبه بالفرجية التى تلبسها كبار العلماء بمصر ولونها
رمادى وجميع اطرافها مطرزة بالذهب ومع الحكمدار زوجته ومن خلفها ابن السلطان
لكهنؤ وابن اخى سلطان يتمثل فى صورة خدمي ولما صعد على درج التخت رفع
الغلامان أذيال جبته من الوراء الى ان استقر فوق التخت فاجلساهما على كرسيين
صغيرين خلفه وجلس هو على كرسى مذهب وزوجته على يساره ثم اخرج الحكمدار
من جيبه ورقتين اعطاهما الرجل الكاتب الجهورى الصوت فقرأ الاولى وهى باللغة
الانكليزية ومضمونها ان الملكة لقبت بامبراطورة الهند وان جميع الامم ارتضوا
بذلك ثم قرأ الورقة الثانية وهى باللغة الهندية ومضمونها مثل الاولى ومعناها ان
جميع ملوك الهند وصاحب بارك الله لها فى هذا اللقب ونحن ايضا جميعا راضون بذلك
واطلقت المدافع من طرف عساكر الانكليز ومن طرف ملوك الهند وشغلت آلات
الموسيقى باحسن الالحان وانقضى الاحتفال فى ساعة واحدة فكانت مدة جلوس
الملوك نحو ساعة ومدة جلوس الحكمدار وقراءة الورقة نحو ربع ساعة ثم تفرق جميع
للمدائن من جرى من العاب البارود ما يعجز عن تصوره وكيفية وصول ملوك الهند
الى الدربار ان كل ملك قدم بعساكره من ابنائه وخدمه وعبيده فلما وصلوا الى محل
الجلوس ترجلت الملوك وجلسوا على كراسيهم تجاه الحكمدار ووقفت عساكرهم
وافتتم شرح الدائرة وعددهم نحو اثنين وستين ملكا وهم مرتبون بحسب العدد
(وهكذا) المدافع التى كانت تقابلهم بالسلام عند قدومهم أعنى انه عند قدوم ملك
حيدر اباد على قلاع الانكليز اطلقوا له واحدا وعشرين مدفعا ولراجا برودة كذلك
ومهاراجا جيبور وتسعة عشر لراجا كشمير وثلاثة عشر لنواب رامبور على
خان لان رتبته بالنسبة لاقرانه هى العدد الثانى والخمسون (وهكذا) يتقهقر العدد
فى مدافعهم الى آخرهم وهم نواب دجانة لم يطلق له سوى ستة مدافع فكانت كثرة
الاطلاق باعتبار كبر دولتهم وكثرة ايرادهم واتساع دائرتهم بالحرية والتصرف المطلق

❁ وأكثر ملوك الهند من الوثنيين أما المسلمون فهم خمسة عشر ملكا ثم ان الانكليز
❁ استفادوا من هذا الدربار ثلاث فوائد (احداها) انهم جعلوا أهل الهند وملوكها
رعية لهم برضاهم واختيارهم لا بالسيف وحرق الغالب كما في الازمان السابقة
(الفائدة الثانية) انهم جمعوهم ليختبروا ما هم من جهة المال والقوة العسكرية وهل
عندهم أسلحة جديدة يخشى بأسها أولا فوجدوهم على الحالة الهمجية القديمة
في الاسلحة وآلات الحرب حتى ان بعضهم كان اعلا كرهم البنادق والفتيل أى المشاعلى
وبعضهم يحمل القوس والنشاب والرمح وبعضهم يلبسون الدروع والخوذ على العادة
الجاهلية فاطلعوا على قوتهم وعرفوا انهم ما داموا عادمين للاسلحة الاوروباوية
فلا يمكن للعصيان لديهم وسوسة فصار لا يوسوس لهم (الفائدة الثالثة) ان تجار
الانكليز ربحوا من هذا الدربار عشرة ملايين روبية مما حصل عنه من رواج التجارة
وفيه في العالم حتى فاق على معرض باريس في زمن نابليون حيث جلب اليه من كل
غريبة ونادرة وعجيبة وناهيك بعدد تذاكر سكة الحديد التي جاءت الى الدربار الى دهلي خاصة
ضوءها يوقد تذكرة وبعض الوفود رحل من محل بعيد عن دهلي مثل أهل كلكوته
وأهل مدراس وأهل السند وأهل بنجاب وأهل بشاور وكان بعضهم يركب في الدرجة
(الاولى) وبعضهم (في الثانية) وبعضهم (في الثالثة) فالدرجة (الاولى) اجرتها نحو
(عشرين) جنيها والدرجة (الثانية) اجرتها نحو (عشرة) جنيهات والدرجة (الثالثة)
نحو (ثلاثة) فاذا ضربت القليل في الكثير والنزر في العديد كان المدفوع من
مليون نحو ثمانية ملايين ليرة وجميع ملوك الهند حضروا ذلك الدربار امتثالا للاوامر
الحكمدارية ما عدا ملكة بهوبال فانها اعتذرت بانها في حالة الولادة ونواب وأمير
وعالي على خان فانه تعلل بانه مريض بداء البرص وانه لا يمكنه الحضور في جمع الملوك
❁ الثلاثة وعجبوا منه (انتهى) ثم زارت الملكة وولي عهد ملكة الانكليز واحتفلوا به
وهادوه بهدايا نفيسة ملوكية يأتي الكلام عليها في الكلام على معرض باريس من
المقصد ثم ان استيلاء الانكليز كما هدم كان شيئا فشيئا فبعض الملوك والامراء سلموا اليه
السيادة وابقاهم على ولاياتهم عندما قصدوهم بالحرب وبقي لهم ما يلزمهم من المال
واجروا رواتب في خاصة ذاتهم وبعض التصرفات والتصرف الحقيقي بيد الانكليز سواء
كان في الادارة المالية أو السياسية (وأما العسكرية فالكل تحت أمره وكثيرا ما تأتي

العساكر

العساكر الانكليزية لارهاب الولاة والملوك واخضاعهم فالتصرف حقيقة للانكليز
لكن للملوك الابهة والاسم بحيث ان التصرف ينسب اليهم لانهم كانوا اعضاء من
الملوك والامراء صاحب لدخول الماراى المواقب آيلة اليه ممالك لم تزل الى الآن
ممالك مستقلة تارادوا تحت ولايته فمنها ما يؤدى له خراجا ومنها ما يأخذ الملك وحكومته
مقدار ما يكفى للقيام بمصالحهم وما بقى يرجع الى حكومة الهند العامة وتصرفهم على نحو
ما سبق وقد قسم الانكليز ممالك الهند بعد حكومة الخاقان المتقدمة الى
(ثلاثة) أقسام كبيرة فالقسم (الاول) مملكة بنغالة وقاعدتها كلكوته وهى مقر
الحاكم العام ويتبع هذا القسم من الجهات المنازة بالادارة (احدى عشرة مملكة
فاولها) مملكة نيزام وهى واقعة فى وسط أرض دكن بين مملكة بنباى من غربها وبين
مملكة مدراس من شرقيها وجنوبها. والمملكة مدينة حيدر اباد التى سكانها نحو
اربعمائة الف نفس وللانكليز عساكر فى بلدة صغيرة من غربها تسمى سكندر اباد
وبجنبه مملكة بلدة تسمى اورنك اباد بها معابد عجيبة تحت الارض دالة على مهارة مهندسى
ذلك العصر عندهم وسكان هاته المملكة نحو عشرة ملايين وملكها من الهنود وله
زيادة ثلاثين الف من العساكر ... للانكليز ويؤدى لهم خراجا معينا سنويا
وهى مملكة اسلامية (وثانيها) بلوكستان وهى عدة خانات كل خان يحكم على
قبائل وجهات خاصة وعدد سكان هاته المملكة على الحالات نحو ستة ملايين
ولكل خان مركز تحت حكومته (وثالثها) مملكة نوبول وهى مملكة اسلامية وسكانها نحو
ستمائة الف وسبعين الف وتحتها بوبول (ورابعها) مملكة سنديا وهى ممالك أيضا وسكانها
نحو مليونين وصفوف ... التى تمرها الهنود مبدأ الغول
وتحتها كواليور (وخامسها) مملكة هلكار وهى ممالك أيضا وسكانها نحو ستمائة
الف وتحتها اندور وهاته المملكة لاربعة لاحرف الاركان هى مملكة
المهرجات سابقا (وسادسها) مملكة راجبوتان وهى ممالك وسكانها نحو ستة ملايين
وتحتها اوديبور (وسابعها) مملكة جوبال وهى سلطانة اسلامية بالوراثة للاناث من
آباتها ... شرقا تصرفات ... عالم كاد ... هذا
المحل وسكانها نحو ستمائة الف وتحتها جوبال (وثامنها) مملكة لادك وهى امير
وسكانها نحو مائة الف وسبعين الفا من الانفس وتحتها الادث (وتاسعها) مملكة
بستان وهى مملكة ... فى الادارة وسكانها من المسلمين وقاعدتها على نهر

السند تسمى اسكردو وتسمى هاته المملكة أيضا ببلاد البلتى (وعاشرها) مملكة
كاردو وهى صغيرة وعدد سكانها قليل وحاكمها أمير (وحادى عشرها) مملكة سيرمور ومثل
المتقدم معاملها وتختها نحومن (والقسم الثانى) من الاقسام الكبرى هو ممالك بونباى
ويتبعه من الممالك الممتازة خمس ممالك (وأولها) مملكة كاش وتختها بوهج
(وثانيها) مملكة كانى وتختها كانباى (وثالثها) مملكة كورى كووا وسكانها
نحو مليون وثمانمائة ألف نسمة وتختها ماردوه (ورابعها) مملكة ساوندوارى وتختها
ساوندوارى (وخامسها) مملكة كولابور وتختها مدينة كولابور (والقسم
الثالث) من الاقسام الكبرى هو ممالك مدرس ويتبعه من الممالك الممتازة اثنان
(فأولها) ميسور وتختها ميسور وسكانها نحو ثلاثة ملايين (وثانيها) مملكة
تراوانكور وسكان هاته المملكة مليون وثلاثمائة ألف نسمة وتختها بلدة تريوان
درم ولكل حاكم مستقل باعتبار فى الادارة على نحو ما تقدم ذكره فى تقدم فى الاقسام
الكبرى التى لكل منها اقسام صغرى تختها وممالك ممتازة ترجع اليها كما انه يوجد
أربعة اقسام صغرى ليست داخلة تحت الاقسام الاولى وتعلقها الادارة منه فقط تحت
نظر الحاكم العام الانكليزى وهى أقسام أربعة داخلة تحت الانكليز وادارتها
بيدهم مثل الاقسام الكبرى وهاته الاربعة أقسام (أولها) المسماة بولاية الشمال
الغربى (وثانيها) المسماة اود (وثالثها) المسماة بنجاب (ورابعها) المسماة
بالولاية الوسطى كما تقدم ممالك الهند الانكليزى مملكة كشمير لكنها لما
كان لها زيادة امتياز ذكرناها منفردة وسبق فى الكلام عليها والممالك الممتازة ان كانت
اسلامية فرئيسها يلقب نواب لانهم فى السابق كانوا نوابا للسلطان المسلم الذى تحته
بلد دهلى وان كانت الممالك غير اسلامية فرئيسها يلقب براجه هذا (وقاعدة كيفية
الادارة السياسية والعسكرية فى جميع الممالك الهندية فان جميع الاقسام ترجع لى
حاكم عام انكليزى يرتبط مع دولة انكلترا بواسطة وزرة هند فى لوندره ثم هو فى نفسه
قد وظفته دولته بهذا الاسم فى (سنة ١٢٧٥) هـ و (١٨٥٨ م) ورتبت للهند
قانونا خاصا فمن مهمات كلياته ان الحاكم العام له النظر العمومى على أقسام المملكة كلها
وما يتبعها وتصرفه مقيد بمجلس شورى مركب من أعيان الانكليز المقيمين فى الهند ومن
أحد كبراء الاهالى وهذا المجلس رئيس عليه الذى هو الحاكم العام تحت احتساب
مجلس الندوة فى لندرة ومسؤول له والواسطة بين الدولة والحاكم العام هو وزير الهند

في لندره وله في الوزارة مجلس عدد أعضائه خمسة عشر وكاتبان ومن حقوق مجلس الهند المذكور انشاء القوانين العامة في الهند وتنظيم الادارة السياسية والعسكرية وانشاء الاحكام العامة وما يشبهه هذا المجلس اذا وافق عليه مجلس الندوة في لندره يصير معمولا به في ممالك الهند ثم لكل من الاقسام الثلاثة الكبرى المذكورة حاكم خاص ومجلس شورى مركب من أعيان الاهالي وأعيان الانكليز تحت رياسة الحاكم ومن وظائف هذه المجالس انشاء قوانين الاحكام الخاصة بقسمهم وعرضها على الحاكم العام وبعد نظره هو ومجلسه فيها والتصديق عليها يرفعها الى الندوة بلندره كما تقدم كما ان للمجالس الثلاثة المذكورة الاحتساب على سيرة الحكام في قسمهم والنظر على الضابطة المتكفلة بالامور السياسية والاحوال العرفية ولهم النظر على الملوك والامراء الراجعين الى قسمهم كما ان لحكام هذه الاقسام المقيدة تصرفهم بالمجالس قوة على التنفيذ بواسطة القوة العسكرية ثم في كل قسم ولايات فرعية ومنها الممالك والامارات المستقلة وكل من هذه الولايات لها مجالس ادارية تحت رياسة الوالي أو الامير أو المالك ويتصرف بمشاركة نظار المجالس في الادارة السياسية والمالية والعسكرية والموظفون يكونون بحسب أهالي الولاية اما من مسلمين فقط وهنديين فقط أو مختلطين والتصرفات الصادرة من هؤلاء سواء كانت حكمية أو سياسية أو مالية يمكن رفعها لمجلس القسم الراجعة الولاية اليه وله تحقيق النظر في الشكاية على قوة عددهم في ذلك وهكذا الاحكام الشخصية في كل ولاية لها مجالس وقوانين يتصرفون بمقتضاها وهذه القوانين قواعدها الكلية هي قواعد احكام الانكليز غير ان لكل ولاية قوانين خاصة مطابقة للعوائد والعرف المتعارف فيها أما ما يرجع الى الزواج والارث ونحو ذلك فان الاهالي تجري عليهم أحكام دياناتهم بواسطة مجالس من اهل الديانة ويمكن رفع احكامهم الى مجلس الولاية ومنه الى غيره الى ان ينتهي الى المجلس العام والديانات التي لها متوطنون هناك من الدولة هي الديانة الاسلامية والبرهمية وما أشبهها من الديانات المجوسية والوثنية ولهم خرافات مبسوطة في كتب الكلام والسكان الآن مختلطون من عرب وفرس وأوروباويين وهنود أصليين والمعارف عندهم الآن في تقدم سيما العلوم الرياضية والحكمية لفتح الانكليز هناك المدارس مشتملة على ما في أوروبا من المعارف واقتدت بهم الاهالي حتى ضعفت تجارة الانكليز بما ينتج من مصنوعات البلاد والعلوم الاسلامية نافقة السوق ولها فحول ولعلهم منهم سلطان بهوبال الذي طبع الآن

من تأليفه في مصنفه ومطابع الممالك العثمانية كثير من تآليفه فمنها تفسير للقرآن
سماه فتح البيان في مقاصد القرآن بحث فيه التوسع بين المعقول والمنقول ومنها الحصول
في علم الأصول ومنها القضية الخلاف يحتاج الى معرفته حاجة الانسان وهو كتاب
بديع فيه تحرير كثير من المسائل الأصولية والكلامية والعربية وله عدة تآليف
أخرى وهذا العالم الثالث هو من نوابغ هذا العصر وهو مع اشتغاله بمهام السياسة التي
تقلدها نيابة عن زوجته صاحبة بهوبال مملكة قد تبحر في الفنون العلمية سيما الشرعية
والأدبية وصاحبه في سعة تآليفه وعنايته بأهل اللغة العربية وعلى الخصوص
في هذا الزمن الذي كادت أن تتلاشى فيه العلوم الأدبية الاسلامية ومن مشاهير
علمائهم في هذا العصر الشيخ العلامة رحمة الله صاحب اظهار الحق لدى أنه
بسبب مجادلات دينية مع الرهبان البروتستانت الراغبين دعوة أهل الهند المسلمين الى
ديانتهم فدعى الحال الى مناظرتهم مع الشيخ المذكور وآل الحال الى هزيمتهم ثم ألف
فألحمهم بتأليفه المذكور مستندا في ردّه على كتبهم وأقوال علمائهم بما ينبئ عن
اتساع باعه واطلاعه وهذا التأليف قد ترجم الى الفرنساوية وغيرها من اللغات وهو
مطبوع في بابه وقد صار الآن عزيز الوجود مع أنه طبع مرتين وشاعت منه آلاف من
النسخ وفي هذه المملكة عمائر (وتاج محل) كأنه ذهب تشهد بالحذق والصناعات
سيما النقش والترصيع في الخشب والعاج من قديم الزمان ومنسوجاتها وطرزها شهيرة
في أغلب الأقطار كما أن أهاليها هم الذين اخترعوا الأرقام الحسابية والتي تسمى بالأرقام
الهندية الى الآن وهو اختراع عجيب يجمع الأعداد في تسعة أشكال ويكفي
للدلالة على ما كان عندهم من الحذق في الصنائع المباني في جزيرة الفنتة ومساجد
الكائنة قرب بمبي فإن تلك معابد منحوتة في الصخر نحتا عجيبا في الصناعة
والاتقان كما أنه في بلدة بيجابور في جبل نحتت معبدة مأثورة كانت تحت أيدي
المسلمين هناك وفيها مساجد بديعة ولا تزال آثارها بهذه المملكة لما كانت مقسمة الى
فهواؤها معتدل ويمكن تعلق فيها المريض نزل في غيرها وتشتمل على أغلب النباتات
المعروفة في غيرها ولها نباتات تختص بها كالقماري ونحو الصبي وغيرها وقد امتدت
فيها الآن طرق الحديد شرقها وغربها في أغلب الجهات كما أن المواصلات في أنهارها عظيمة
متوفرة بالسفن كما أن الطريق الحديدي اخترق أهم جهاتها وذلك أهمه ما وصل اليه
فمنه فرع من كلكوته الى دكه ومنها الى ميربور ومنها أيضا الى دهلي ومنه الى أباد الى

بنباى

بنباي ومنها الى كوراتشي ومنها أيضا الى مدرس ومن هاته الى بيحول ومنها الى نيغاباتام
ومن مدراس الى كلكوته ومن كوراتشي الى حيدراباد ومن ملتان الى لاهور ومنها الى
بيشاور ولارلوايد ومنها في أعقاب الحوت حتى قربت الى حدود الافغانستان ويمكن ان
تصل الى الصين والممالك العثمانية اذ التفكر في ذلك مسفر بحيث ان السفر الآن
في الهند مع الامن في غاية سهولة الوصلة بالطرق الحديدية والعادية والانهر والابحر كما
ان سلك التلغراف في واصل بعضها ببعض كاتصالها بأوروبا بحيث ان انكلترا تصل لها
الاخبار من الهند على ثلاثة طرق (أولها) من الهند الى خليج فارس الى الممالك
العثمانية الى شبه أوروبا (والثاني) من لندرة الى جبل طارق الى مالطة الى السويس
الى عدن الى الهند (والثالث) من لندرة الى فرنسا الى الجزائر الى مالطة الى البقية مما
تقدم ولا يبعد أنه يصل أيضا على طريق رأس الرجاء الصالح فانه وصل من لندرة الى
هناك ومنه الى زنجبار فلم يبق الا منها الى الهند ومن [illegible]
وأما قوة هاته المملكة الحربية والمالية فستأتي ان شاء الله في جدول الدول

الفصل * السادس

﴿ المملكة السادسة ﴾

هي مملكة بورمان هي في شمال الشرقي من المملكة السابقة وعدد أهلها نحو ثلاثة
ملايين ونصف ودينهم بوذية مشركون وحكومتهم استبدادي مطلق وهم أهل مكر
وخديعة وليس لهم ولوع بالعلم النجوم والارصاد والسحر وأكثرهم يعلم القراءة
والكتابة وأراضيهم خصبة وتجارة واسعة مع مجاوريهم من الهند والصين وقاعدة
المملكة مدينة آفا في القديم والآن مدينة مندلاي والداخل اليهم يكون في قبضة
البحث من حكامهم وان كان للانكليز في هاته الازمنة مرشد اليهم بعد أن أخذ
منهم قسما في سنة (١٨٢٥) وقد صدر أمرهم بالعدل حتى انكر على ملكهم
في سنة (١٢٩٦) قتله لغائب عساه من الرجال والنساء والاطفال شرقتله وهم من
عائلات الملك وكان يقدم معه حربا لاجل استتباب الامن حوار الهند ودخل هاته
الدولة ونزعها جهول وخوفها من النوع لطمعي وكأنها لا بأس ان تدخل في حكم
الانكليز

الفصل السابع

﴿المملكة السابعة﴾

مملكة سيام او صيام وهى جنوبى الممالك السابقة وشرقى فيه الممالك الهندية الانكليزية وعدد أهلها واهل ما يتبعها فى جزيرة ملقا وغيرها نحو ستة ملايين ونصف وديانتهم وحكمهم مثل المملكة السابقة وعددهم أقل من سابقهم لكنهم يوصفون بالادبية وحرفتهم من معادن بلادهم الغنية مع الهند والصين والاوروبيين وقاعدة المملكة صيام فى القديم والآن مدينة بنكوك والدخل والخرج والقوة كأنها دولة وهى فى القوة على غير نظام

الفصل الثامن

﴿المملكة الثامنة﴾

هى مملكة كوشين الصين او انام وهى شرقى المملكة السابقة وعدد أهلها قبل استيلاء الفرنسيس على قسم منها ما بين اثنى عشر مليونا الى ستة عشر مليونا لكنها الآن نحو تسعة ملايين وقاعدتها مدينة هوى او باسم الهنود وشوانش وقيل وهو الاصل مدينة هو ... وهى مربعة الشكل يحيط بها نهر هو من حجر وترعة من احسن الآخرين عرض هذه الترعة سبعون ذراعا وكل ذكر عندهم ملزوم بالدفاع عن الوطن من سن العشرين الى الستين ولهم اخلاق متوحش ولبس الصوف ... سروال وجبة الى الكعب والرجال لا يزيلون شيئا من شعورهم والاظافر يتركونها ومن عاداتهم ... السكر ولا ديانة عندهم وهم يعتقدون خرافات كثيرة والنساء لا يحجبن وسلاطين الانعال مثل الرجال وملوكهم لها اعتناء بتعليم الاهالى العلوم الرياضية وارسل خمسة عشر تلميذا من ابناء اعيانهم الى فرنسا للتعلم فيها وعند رجوعهم يعوضهم بعدهم وهم يبثون علومهم فى الاهالى وبعد استيلاء الفرنسيس على قسم من مملكته صار محافظا على موالاتهم وحفظ عهودهم حتى ارسل سفيرا مخصوصا لباريس مدة ولاية الرجل الشهير تيارس رياسة الجمهورية الفرانساوية كما رتب هذا الملك جيوشه

على الطراز الاوروباوى وستأتى بقوة العسكرية فى جدول الدول وأما المالية فمجهولة
وأما العادات الحكمية فلا تخرج عن عادات الممالك السابقة

الفصل * التاسع

﴿المملكة التاسعة﴾

مملكة كمبوديا وهى غربى نصف المملكة السابقة وجنوبى نصف صيام وعدد أهلها نحو
مليون وقاعدتها مدينة كانت تكون فى القديم والآن مدينة بنوم بنه ويقال فى ديانتهم
وحكمهم وقوتهم ما هو واقع فى الممالك المجاورة لهم وقد استولى الفرنسيس على قسم
من هذه المملكة عند مصب نهر كمبوديا وقد صارت هذه المملكة تحت حمايتهم من
سنة (١٢٨٠ هـ و ١٨٦٣ م)

الفصل * العاشر

﴿المملكة العاشرة﴾

هى مملكة ملاقا وهى شبه جزيرة فى الجنوب من مملكة صيام ويحيط بها البحر من جميع
بقية الجهات وعدد أهاليها نحو ثلاثمائة وخمسة وسبعين ألف نسمة والديانة الغالبة فيها
هى الاسلام وحكمها الصورى ملك مستقل مستبد لكنه ذليل لانه دون أهل القبائل
تعيش بحريتها تحت رياسة أكابرها وكل قبيلة تدافع عن نفسها ولذلك تعدها
الجغرافيون منقسمة الى اربعة قواعد (الاولى) براك (والثانية) سلنكور
(والثالثة) جوهر (والرابعة) باهنك وأراضيها غير مخصبة لكنها مشتملة على معادن عديدة
وتجارة الافيون كثيرة فتجارتهم فيه مع الصين واسعة وقد استولى الانكليز على جهات
من هذه المملكة منها مدينة ملاقا

الفصل * الحادى عشر

﴿المملكة الحادية عشرة﴾

هى مملكة الصين وهذه المملكة هى أكثر ممالك العالم سكانا وأغناهم لاحتوائها

على أقاليم مختلفة ففيها جميع أنواع النبات والمعادن وتجارتها متسعة مع جميع الاقطار
ولاهاليها شهرة قديمة في اصطناع وأهم اصطناعه الخزف فانها اشتهرت باتقانه على
جميع النواحي فيتنافس الناس في اقتناء أواني الخزف الصيني تنافسا كبيرا بعضهم
يبلغ به درجة خارقة للعادة وللاعتدال سيما في أوروبا حتى تجد الواحد منهم يزين بيته
بترصيف تلك الاواني التي تتكلف عليه مئات الالوف وكذلك ملوك الهند وما والاه
يتنافسون في اقتناء ارفع من أواني ذلك الخزف وقد بلغ ببعض الناس اشتراء صحن
واحد بمال فرنك فما فوق وعلى وجه العموم كل الناس يرون رونقه وحسنه غير ان هاته
الصناعة الآن انحطت في هاته المملكة عما كانت عليه بكثير لعدم الاتقان لسابق
فالنفائس والعالي عنها هو في الخزف القديم وله صفات كثيرة يميزه عن غيره منها انه هو
وان كان كثيفا لكن النور يظهر من ورائه ومنها انه اذا ضرب عليه يكون حسن
طنينه كأنه طنين معدن معرق من المعادن الممزوجة بحسن الالوان به كما انهم
لهم اتقان في صناعة النقش والتصوير في الحل وغيره (واما المعارف والعلوم)
فالظن انهم كانت لهم في القديم فنون كثيرة وبقيت فيهم لدعوى فقط بحيث يرون
انفسهم أعلم أهل الارض لكن في الواقع ليس لهم الآن شيء من الحكميات والنجوم
معروفون باعتقادهم في علم الطب واشتغالهم بالاطباء الا انهم تحصلوا حتى يوم أخذ
بعض الطبيعيات من الاوروباويين واستخدموها في معاملهم كالجار والكير بالة لكن
لم يتجاوزوا الى الآن المقدار الذي أخذوه ولم يخترعوا شيئا فيه وقد كانوا كشفوا
بيت الابرة وقد أثبت بعض المؤرخين أنه من اختراع العرب كما ان اهل
الصين اخترعوا البارود ولم يعرف انهم استعملوه في حرب بل استعماله فيما عند غيرهم
وعما كانوا يستعملونه للاصلاح كدك التلال وغيره وان وجد من آثار سلاحهم
قديما ما يدل على انهم كانوا يستعملونه فيه وقد ما عرف البارود في حوادث من
العرب سنة (٧٢٧) هجرية وتقع هاته المملكة من مبدأ الشطوط الشرقية من آسيا على
المحيط الشرقي الى ان تتصل ببلاد الروسيا ومن الجهة الجنوبية تبتدي من جبال
هملاي الى سيبريا من جهة الشمال فهي حينئذ تحاذي الهند من شماله وما والاه
من الممالك الشرقية منه وعدد سكان هاته المملكة نحو الثلث من سكان العالم كله وهم
على ما تحرر في سنة (١٢٨٦ هـ و١٨٦٩ م) قريبا من خمسمائة وسبعة وثلاثين مليونا
من النفوس وهذا المقدار يساوي نحو الضعف من سكان أوروبا كلها ومع هاته الكثرة التي

هم

هم عليها كانوا في السالف لا نكاد نجد منهم خارج مملكتهم الا النادر القليل لاعجابهم
أنفسهم ولان اصطلاحات أحكامهم تمنع الخروج من الوطن الا باذن خصوصي مع
التشديد فيه حتى يتبين وجه الاضطرار لذلك السفر ثم مع ذلك اذا غاب المسافر عن وطنه
مدة ثلاث سنين يمنع من العود اليه والدخول فيه كما ان من احكامهم منع دخول اجنبي
الى ارضهم الا برخصة مخصوصة فاذا نالها كان أين ما حل مكرما محروسا (واما) اذا دخل
بغير رخصة فلا يأمن على نفسه من الحكم وقد بقوا على هاته العوائد الى أواسط
هذا القرن ثم اطلق الاذن لمن يريد السفر فصار يخرج منهم الكثير الى الهند وجزائره
والى امريكا والخارجون لهم براعة في التجارة وتكاثر الخارجون لضيق الارض بهم حتى
انهم في وطنهم يضطرون الى السكنى على الالواح في الشطوط بل انهم يحملون على الالواح
بساتين لان الارض لا تكفيهم لكثرتهم واتقانهم لامورها بالفلاحة حتى انهم يعملون من
أنواع البساتين ما لا يعلمه غيرهم الى الآن وهذه المملكة تنقسم الى ثماني عشرة ولاية
تسمى كل واحدة منها في لغتهم سنغ (واولها) المحتوية على تخت السلطنة تسمى باكنج
أو ناوناشي أو بي ويبلغ عدد سكانها [illegible] مليونا ثم ان كل ولاية تنقسم الى أوطان
يقال للواحد منها في لغتهم فو وكل وطن من هاته ينقسم الى أجزاء يسمى كل واحد منها
تشيو ثم كل جزء ينقسم الى أقسام متعددة صغار تسمى هين وكانوا يمنعون اقامة نواب
الدول الاجانب في مملكتهم فضلا عن قاعدتها وحيث كانت دول أوروبا في هاته القرون
لا حاجة لهم مزيد الاعتناء باتساع تجارتهم معهم اذنت لك دولة الصين لتجارهم بالاشتغال
في المملكة والاقامة بها كما يقيمون سفراؤهم عندها وبعد مشقات شديدة حصلوا على
الرخصة في وفود تجارهم السكنى بخصوص مرسى معلومة على البحر وكذلك السفراء على
شرط أن لا يبيت أحد منهم في البلد أو في مرسى بل يبيتون في سفن حول الشاطئ ثم
في أواسط هذا القرن أرادت الدول زيادة اتساع الخطة والتقدم في الاقدام بأن يكون
لتجارهم الدخول الى دواخل المملكة مع التعهد من الدولة بحمايتهم وان يكون
سفراؤهم مقيمين في قاعدة المملكة وحيث كان أهل الصين أشد الناس محافظة على
عوائدهم امتنعوا من ذلك ووقعت من تجاسر الاوروباويين مهاوش قتل فيها منهم كثير
ممن وجد في مرسى المملكة بدون اذن له فيه فتعصبت حينئذ دولتا انكلترا وفرنسا
على محاربة الصين وحاربوهم [illegible] حتى وصلت عساكر أوروبا الى
قاعدة المملكة وعقدوا صلحا على نحو ما طلبوا وبهذا تبين للعالم حالة أهل المملكة في

الشجاعة والفنون الحربية إلا أنهم مع كثرتهم العرضية قهرتهم دولة الانكليز والفرنسيس
بما لا يخفى من كثرة تجارة بين أوروبا والصين معا وقد ذكر ذلك قبل فتح
خليج السويس الذي سيأتي الكلام عليه في المقصد الثاني إن شاء الله تعالى فكان طريق
الوصول إنما هو رأس الرجاء الصالح ثم إن لكل من الدولتين مراكز بحرية في الهند
لاسيما دولة الانكليز التي مملكتها في الهند أعظم من مملكتها في أوروبا بل كل هؤلاء علموا
ما بأيديهم ولو كانت دولة الصين على كثرة سكانها أهل الاستعداد الحربي مع الحولية
في السكان لأمكن لهم الاستيلاء على جميع العالم فضلا عن المدافعة عن بلادهم وكان
السبب في عدم اقتدارهم كثرة استعمال الأفيون الذي هو مصيبة عامة فيهم وقد أوقع
بعضهم بعضا نسأل الله تعالى منها اللطف والحماية عن هاتيك الحالة ثم مع
انقسام المملكة ودخلت هاته المملكة ترتيبه تنقسم إلى ثلاثة أقسام كبرى (الأول)
منشوريه وهو الجهة الشمالية الشرقية من المملكة (الثاني) المقاطعات الثماني عشرة
وهو الجهة الشرقية والوسطى من المملكة وهو الصين الأصلية وتغلب عليه أهل القسم
الأول ثم تغلبوا على القسم (الثالث) وهو الأملاك التي فيها المغول والتبت
وغيرها وصار الجميع مملكة واحدة معروفة بالصين فأهالي الصين الأصليون هم الذين
تغلب عليهم أهالي القسم المتقدم ذكره وأما منشوريه والمغول وغيرهم فهم قبائل وأشد
لا يعجب أمر الدولة (ولهذا) كانت أسلحة أهل الصين غير صالحة ولما تيقنوا
في السنين الأخيرة بما لحقهم من قبل أوروبا وبين لهم ما تقدم من جهة إنكلترا
وفرنسا ومن جهة أخرى نهر الروسية لهم من جهة الغرب والشمال وجهة الجنوب لبعض
مماليك التي تغلبوا منهم وجدوا الآن في الاستحضارات الحربية حتى يرى بعض
الأوروباويين عنهم أنهم أحدثوا ترتيبا في القوات الحربية يمكنهم من احتمال حرب
ملايين من العسكر تحت السلاح وشرعوا في الاستكثار من الآلات الحربية وجاءوا من
أوروبا بالضباط الحربية كما اتخذوا معامل في ممالكهم لأجل ذلك وكذلك بقوات
بحرية قد حضروا واعتنوا في ممالكهم معامل لأجل السفن والمدرعات والدوننمات
واستصنعوا في أوروبا كثيرا منها فإن تم مقصدهم على نحو ما تقدم يمكن أن يصيروا
على حالة الهجوم بقوات مجتمعة (وأما الديانة) فإنهم ليسوا على دين واحد بل على
(ثلاثة أقسام) كبرى (أولها) وأقدمها الدين الذي أسسه حكيمهم المسمى
عندهم فوهي وقيل إنه كان أول سلطان في عائلة هيا قبل هذا التاريخ بنحو أربعة
آلاف

آلاف سنة وعقائد هذا القسم وفروع عباداته لهم فيها تآليف يعتبرونها كأنها كتب
سماوية وفي القرن السادس عشر قبل التاريخ المسيحي هذب لهم ثالث الديانة حكيمهم
المسمى كونفوشيوس ومضمون هاته العقائد الاقرار بالخالق سبحانه وتعالى وبالحشر ومن
أخلاقهم التسامح ولا يعيبون على دينهم أحد ولا يحتقرون ديانة من خالفهم (القسم
الثاني) هو الدين الذي أسسه حكيمهم لاوتسو ومضمون عقائدهم القول بالتناسخ
وعدد أتباع هذا الدين نحو مائة مليون (القسم الثالث) الدين الذي أسسه حكيمهم
المسمى فو وصاكيا أو بودها ويعرف بالمذهب البودهي وكان أول ظهوره أواسط القرن
السابع قبل الميلاد وعندهم من الكتب تآليف عديدة منقسمة الى مجموعين (أحدهما)
يقال له غندجور وهو مائة وثمانية مجلدات والثاني يسمى دندجور وهو مائتان وأربعون
مجلدا ويوجد من كل منهما نسخة تامة بمكتبة باريس الكبرى قيل ان المجموع (الثاني)
اشترته دولة الفرنسيس بأربعين ألف فرنك كما انه يوجد أقسام أخرى من الديانات
كالبراهمة وغيرهم من عبدة الأصنام أو النصارى واليهود والديانة العامة فيهم هي
البودية وهي نوع من الوثنية كما ان فيهم جماعة من المسلمين يبلغ الى ما ينيف عن
الستين مليونا من هؤلاء نحو أربعين مليونا متفرقين في الثلاث أقاليم من الاهالي ومن
العساكر المسلمين الذين جاءوا بلاد الصين في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور
حيث ثارت عليه رعاياه واستنجد الخليفة على ان يؤدي اليه معلوما ذا عدد فأرسل له
أربعة آلاف من صناديد المسلمين وقهر بهم رعاياه ومنحهم عن ذلك بجواز الاقامة
في مملكته مع جواز التزوج ببنات الاهالي ومصاهرة الاعيان واعطائهم ما يحتاجون
اليه فأقاموا على شرطه وهي أسلافهم في ادارتهم الخصوصية وعباداتهم واشهارها
فأجارهم صاحبهم لكن فرقهم على المدن العظيمة في مملكته وصار في كل مدينة مدينة
مستقلة بالمسلمين على حسب كثرتهم وقلتهم مستقلين في أحكامهم الخصوصية منتمين
الى شرع الدين ولهم قضاة وأئمة بحيث لا يتداخل فيهم الحكم الصيني الا في عموم السياسة
ولهم في مدينة باكين قاعدة المملكة نحو عشرين ألفا ولهم جامع ضخم قديم حسن
جدا ويسمونه بلغتهم هوى هوى ومساجد أخرى نحو العشرين منها اثنان لاهل
الشيعة بحيث حدث فيهم هذا المذهب في القرون الاخيرة وأعظمهم أهل سنة على
مذهب أبي حنيفة وكذلك بقية المسلمين في الصين مثل ما ذكر من القدمين ومن عادة
هؤلاء المسلمين أن ينشروا في رأس كل سنة تقاريرا تشتمل على بيان أوقات الصلاة مكتوبا

بأداها من أركان الاسلام الخمس كلمة الشهادة والصلاة والزكاة والصوم ولابد ان يكون
الركن الخامس وهو الحج قال بعضهم ان عدهم أسقطوا ذلك لعدم تحمل مشقة
الطريق لبعد مسافة الحج عنهم وأظن ان علة منع خروج من ممالكهم هي الباعث
على ذلك والا ليست مملكة الصين أشق في السفر من أهالي سمرقند وأقصى المغرب
ودواخل السودان جرت على ذلك عادتهم ولو بعد انقطاع المانع وسهولة السفر بحرا
في البواخر ومن عاداتهم ما أصاب كثيرهم على أبواب الجوامع دوائر حوى تاريخ أو محل
الجماعة الاسلامية وان يكتبوا نسبتهم سواء معبد الله الحقيقي ويسمون علماءهم
لاهوتو أي المعلم الاكبر وأما أهل الصين فيسمون جوامع المسلمين أيضا سواى محل
العبادة الاسبوعية وحيث كان الدين الاسلامي لا يصورون لكعبة شعائر كبير أسلم كثير من
نسائهم لروعة الات النساء وتزوج من المسلمين وتناسلوا الى ان بلغ عددهم نحو
الاربعين مليونا في هذا العصر ولم يزالوا على الاستقلال الاداري حتى حكى عن رفاعة
ابن طوطه وهم عليه الى الآن ومن المسلمين أصالا أقسام في جهة الغربية والغربية
الشمالية من المملكة فهم الجند من المشرق وتسلطت على ممالكهم دولة الصين ولا
يزالون ينتهزون الفرص للخروج عنها فتارة يتمكنون من ذلك وتارة تعود للاستيلاء
عليهم مثل مملكة كاشغار في جهة الشمالية الغربية فقد استقلت تحت ملك في عشرة
الثمانين ومائتين وألف وهو الامير يعقوب خان الذي ولد في جوار تشقند وحصل العلوم
في سمرقند واشتهر في أعظم مدارس بخارى مع مهارته في السياسة أهلته لان يكون مشيرا
مطاعا عند أمير خوقند وأرسله حاميا لمحاربات الروس على قلعة اكمشيت ثم توجه الى
كاشغار للحرب مع الصينيين وحصل على انتصار عظيم أورثه شهرة وثقة من المسلمين
هناك وطمع في تأسيس مملكة مستقلة لصين مملكة اسلامية وكسر لهم جيشا فيه
أزيد من مائة ألف مقاتل واستولى على جهات معتبرة حتى ارتعدت منه مملكة الصين
في سنة (١٢٩٣) وحيث كان بين عدوين مال الى مسالمة الروسيا وعقد معهم معاهدة
تجارية ورام احكام وحدة الاسلام فبايع بالخلافة للسلطان العثماني وتلقب بدولة
العثمانية بالامير أدبالغ الخليفة وجلب من قاعدة الخلافة معلمين للفنون الحربية
والصناعات الهندسية وتنظيم الجيوش فاخترمته المنية قبل رسوخ المملكة وتنازع بنوه
وسعوا المملكة فاستردت دولة الصين الفرصة واستولت على الجميع وإلى الآن أحوالها
مضطربة (وهكذا) أنشأت دولة اسلامية في أواسط الصين عيل لي العرب تحت
سلطنة

سلطنة رجل يسمى السلطان سليمان في حدود الصين المذكورة وجعل قاعدة مملكته
مدينة صابعة و نشأة الاصلاح في ممالكه وطلب التشرف به من الدول وانه متوطن على نحو
الستين مليونا من مسلمين وغيرهم فلم يكن الاحتلال نزعت منه السلطنة (ومن عجائب)
مملكة الصين السور العظيم الذي يبتدئ من الشطوط الشرقية و يمتد بوسط المملكة
الى حيث العرض اربعين درجة شمالية والطول تسعة وتسعين شرقيا فمجموع
طوله نحو الف ومائتين وخمسين ميلا وسمكه من الاسفل نحو خمسة وعشرين قدما ومن
أعلاه نحو خمسة عشر قدما وارتفاعه ما بين خمسة عشر الى عشرين قدما وفي اماكن منه
حصون يبلغ ارتفاع بعضها الى اربعين قدما وهو مبني بالحجارة والآجر والقرميد وبعض
اماكن طين فقط بناه بعض ملوكهم قبل التاريخ المسيحي بنحو مائتي سنة وعشرين سنة
قاصدا به رد الهاجمات على المملكة الصينية الاصلية من المغول والقبائل الشمالية ولم
يجد نفعا لانهم الذين تسلطوا على المملكة والسور الآن خرب في جهات كثيرة وقد غلط
من توهمه السد الذي بناه ذو القرنين لمنع فساد يأجوج ومأجوج محتجا على ما يقول
بان ليس في الارض سور عظيم غيره وقوله ظاهر البطلان لان الصفات المذكورة
في القرآن للسد غير الصفات التي عليها ذلك السور ثم ان صفات يأجوج ومأجوج
المذكورة في النصوص الواردة بعدم وجودها في اولئك الاقوام ودلت النصوص ايضا
على ان ذلك السد يندك قرب الساعة وتحدث منهم حوادث لم تظهر الى الآن فلا يكون
حينئذ ذلك السور هو السد ولا يخفى ان بعض ذوي الآراء ليس لهم دعوى مثل بقية
البشر الغير متصورين من اكتشافاتهم وعلمهم وادعاء بلوغ الغاية في العلوم حتى انهم
انكروا وجود السد لدعواهم ان كرة الارض صارت الآن معلومة ولم تجدوا فيها السد
وبطلان الدعوى هي في نوع [illegible] منهم واعتقادنا ان اكتشافهم الآن لم يبلغ اكثر
من اكتشاف ادم الساعين الذين وصفوا البلاد [illegible] وان احتمل اطلاع غيرهم على
ما اطلع عليه الآن او اكثر لكن لم تجد لذلك اثرا ولا يلزم من عدم وجود الدليل
انعدام المدلول اما الاحاطة بجميع كرة الارض وعلم جميع ما فيها فهو غير مسلم لو جوزنا
ان جميع علماء الجغرافية نصوا في تأليفهم ان جهة القطب الجنوبي لم يمكن الاكتشاف عليها
الى الآن وان المجهول جهة القطب الجنوبي اكثر من المجهول جهة الشمالي لانه في
الجنوبي اشد انجمادا من وصول الاشعة الشمسية اليه [illegible] وهم ان الاكتشافات
لا زالت تحدث شيئا فشيئا وبعد مدار بعثة لم تكن امريكا معروفة من علماء ذلك

العصريون أن ما وراء خطوط العارات القديمة هو بحر صرف حتى أن من ضمن
في وجود عمران وراء ذلك البحر واسمه تارة وصعه بعد حين لاعتقاد الديانة تارة أخرى كما
يأتي الكلام عليه في أحوال أمريكا ثم تبين بالواقع وجود ذلك العمران الذي يحسب
(القسم الثاني) من أقسام الارض ثم بعد بمدة اكتشف استراليا التي هي
القسم الخامس من القارات والارضات لا تزال تكتشف إلى الآن في أمريكا وفي
غيرها ومنذ أربع سنين فقط اكتشف سواح الانكليز جزيرة من جهة الشمال
معمورة بخلق صغار الجثة قصار الانوف كبار الاذان كأنهم نوع من الخلق ويلبسون
[illegible] وكذلك اكتشف منذ قريب قوم من البشر على شواطئ [illegible]
في شمالي أمريكا الشمالية [illegible] يحملون [illegible] في
[illegible] (وهكذا) لا يزال
الاكتشاف [illegible] سياق الآية الكريمة في حكاية
حال ذي القرنين إلى بلوغه إلى يأجوج ومأجوج [illegible] من السبق انهم جهة أحد
القطبين (اذ قال تعالى ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين
حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا قال أما
من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء
الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع
على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ثم أتبع سببا حتى
إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين
إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم
سدا قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد
حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا
فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي
جعله دكاء وكان وعد ربي حقا الآية) وبذكر أن ذا القرنين [illegible]
منتهى الارض من جهة الغرب فوجد الشمس هناك تغرب في ماء أسود كأنما هو
بالحمئة أي الطينة السوداء وهو [illegible] البحر المحيط الغربي لشدة عمقه يرى كأنه
أسود [illegible] وما اطلع عليه ذو القرنين الذي البحر
المذكور [illegible] إلى آخر الآية ثم ذكر أتباعه الطريق [illegible]

به

نه الى منتهى مطلع الشمس من الارض وذكر ما وقع هنالك أيضا ثم ذكر اتباعه لطريق
آخر وظاهر السياق أنه المغرب والمشرق والمغرب هو حينئذ الى أحد القطبين وهو الذي
ذكر فيه قصة يأجوج ومأجوج وعلى ذلك فذو القرنين سافر الى أقاصي ثلاث جهات من
الارض والله أعلم أي القطبين الذي هو الجهة الشمالية ويؤيد هذا الفهم المأخوذ من
السياق ما روى من ان سيدنا الخضر كان وزير ذي القرنين وانه اختار معه أرض الظلمة
حتى وجد عين الحياة في أرض الظلمة لا تكون الا في أحد القطبين أو ما قاربه لانه هو
الذي يطول مغيب الشمس عنه كما هو معروف عند الحكماء واستدلوا على ساكنيه هؤلاء
أحكاما في الصوم والصلاة مقررة في دواوين الفقه وابحث في أرض عبر المعروفة وتمام
أنها الصلة مما أشرنا اليه ثم ان قارات الارض ان كانت اذ ذاك على حالتها الآن
فلعلها تقتضي ان القطب الذي وصل اليه هو الشمالي هذا اذا كانت هيئة الارض
اذ ذاك هي على نحو ما عليه الآن أما اذا كانت على شكل آخر فيمكن أن يكون القطب
هو الجنوبي أيضا واحتمال هذا لان الارض تتغير أشكالها على طول الزمان بما
يحدث فيها من الزلازل العظيمة وانخفاض جهات من اليابسة وزيادات في جهات من
البحر (وهكذا) فان امريكا على ما قيل كانت متصلة بقارة آسيا من جهة بوغاز بيرنغ و
ان جهة من مملكة تونس الغربية تسمى برج بو الشامر في عمل ... كانت مدنها
مرسى السفن في دولة القرطاجنيين والآن صارت محرثا تخصب والبحر بعيد عنها
نحو خمسين ميلا وكذلك في جهة توزر ونفطة من بلاد الجريد كان فيه بحر يدخل الى
دواخل قارة الافريقية والآن صار صحراء وهي المسماة بالصحراء الكبيرة وسيأتي تتمة
الكلام عليه في الكلام على تونس وكذلك خليج السويس كان صحراء وصلا بين البحر
الابيض والبحر الاحمر ثم شقت فيه الآن على ما سيأتي في الكلام عليه أيضا في محله (ان
شاء الله تعالى) وقد قال المفسرون في قصة سيدنا (موسى) وسيدنا (الخضر) عند (قوله
تعالى) حتى أبلغ مجمع البحرين الآية ان المراد بمجمع البحرين هو محل اتصال بحر
الروم ببحر فارس وهل ذلك الا من السويس أو من مكان آخر من سواحل اليابسة وهو أيضا
بعيد المطلوب فتقلب حالات الارض لا تبعد أن يكون سد يأجوج ومأجوج جهة
القطب الجنوبي الذي هو وما قربه أكثر مجهولية من الشمالي سيما وآثار سلسلة الجزائر
الى استراليا كالآثار الدالة على الاتصال ويؤيد أنه في أحد القطبين الصفة التي ذكرت
ليأجوج ومأجوج في حلقتهم في الاحاديث الصحيحة كما في البخاري وغيره من الصحاح

وهي صفات تقرب كثيرا من الصفات التي وجد عليها أهل الجزيرة التي ذكرناها قريبا
جهة الشمال وأكتشفها الانكليز وشاع أمرها وذكره في صحف الاخبار ورسمت
في خارطات الجغرافيين ووصول ذي القرنين الى هاتيك الجهات وما وراءها ليس
بغريب أما أولا فلأن حرارة الارض اذ ذاك ليست هي التي عليها الآن فجهات القطبين
لم تكن على حالة من البرودة ولذلك أدلة مسلمة في كتب الجغرافية الطبيعية
خلاصتها على مذهب المتأخرين الذي لا يخالف الشرع ان هذه الارض كانت
كوكبا ناريا ثم انطفأت طبقتها العليا ولا تزال تثخن تلك الصفة وعلى قدر ثخنها تبرد
وتنحصر الحرارة في جوف الارض ومركزها وهكذا وصلت الصفة الى درجة من الاعتدال
الصالح لحياة من مخلوقات الله حيث قدر الله فيها (وهكذا) على التدريج الى أن تم ما أوجده
الله فيها واضمحل منها من أنواع الحيوان ما لم تبق صلاحية له كنوع شبيه الفيل وهو
أضخم منه وأنيابه مرتفعة الى فوق فانه الآن منعدم وهو معروف من الارض
واكتشف على عظامه في طبقات … من الارض بأمريكا وسيبريا وبشهادة صحة
هذا القول الاحاديث الواردة في التكوين وأن (آدم عليه السلام) خلق بعد الارض
بمدة طويلة وأن الجن خلقت قبل (آدم عليه السلام) بكثير الى غير ذلك من الصفات
الواردة عن الشارع في كيفية التكوين وقد وجد في سيبريا من عظام الحيوانات التي
لا تعيش الا في الارض الحارة كالفيل وغيره بكثرة مما يدل على أنه ليس مجلوبا وانما هو
حيوان أصلي هناك مما يقضي بأن تلك الجهة كانت حارة ليست على ما هي عليه الآن من
شدة البرد فيعقل أن زمن ذي القرنين كانت الحرارة معتدلة هناك حتى يمكن الوصول
الى تلك الجهة بلا مشقة ولا يقال ان التاريخ من زمن ذي القرنين الى الآن لا يقتضي
هذا التغير الكثير لانا نقول ان ذا القرنين هذا هو عربي كثر ذكره في أشعار العرب واسمه
الصعب وكان من ملوك العرب العرباء معاصر (لابراهيم عليه السلام) أو يقرب منه هذا
هو الصحيح وان غلط الرازي وغيره في توهمه انه اسكندر المقدوني فقد زمنه لا يمكن
الوقوف على تحقيقه وذلك ان ذا القرنين كان قبل (موسى عليه السلام) بكثير حسبما
تقدم في كون (الخضر عليه السلام) وزيره وهو لدى … وتعلم منه (موسى عليه
السلام) وجميع التواريخ المدعة يعتمدونها المؤرخون على التوراة وهي قد وقع فيها
التحريف فضلا عن كثير من الآيات لا سيما ما يتعلق بالتاريخ تحريفا فاحشا ولا يلتفت
لما طعن ابن خلدون في دعواه عدم التحريف بعد ثبوته بالعيان وقد بينا ذلك أثبته الشيخ رحمه
الله

الله قدس سره في كتابه ويحق من الاختلاف الكثير في التاريخ بين نسخ التوراة
القاضي بعضها باجتماع (نوح وابراهيم) وبعضها بالبعد الكثير بينهما وجرى
مؤرخوهم انه سنة (٢٥٢) مع ان العبرانية تقضي باجتماعهما لان نوحا مات بعد
ولادة (ابراهيم) ٥٨ سنة والسامرية تقضي ان (ابراهيم) ولد بعد موت
(نوح) ٩٢ سنة واليونانية تقتضي انه بعده (٧٢٢) سنة والاولى يحتملها
الاجتماع والاخريان بينهما التناقض التام وغاية ما تحقق ان (ابراهيم) لم يجتمع (بنوح)
في عصر (عليهما السلام) والاختلافات على هذا النحو وعدم التحرير في التواريخ
كثير جدا فلا اعتماد حينئذ على ما هو موجود من التواريخ ثم ان متأخري المؤرخين
حدثت وتهذبت لكن وجروه باستدلالات من الآثار القديمة والاطلاع على لغات قديمة
لكن لم نطلع الى الآن على آلة وجدوها تثبت مقدرة ذي القرنين على فرض نعته
وكم مدة السنين بينه وبيننا فلا يبعد ان يكون لدى القرنين اذذاك من آلات
حمل الاثقال وتيسير السير ما لا يعلم الآن ويدل عليه (قوله تعالى) في حقه (انا مكنا له
في الارض وآتيناه من كل شيء سببا) مما يقتضي اتساع اقتداره وتهيؤ الاسباب
لمقصده كعلم جر الاثقال مثلا الذي شوهد الآن اثره مما لم يقدر عليه متأخروا
هذا العصر وكذلك الصنعة اللطيفة التي لم تعلم كيفية صنعها ونقلها حجر وقد
وجد في مصر من صورة الملك الكهربائي ورسم ما يقتضي علما اقدم صور آلات
أخرى غير معلومة كما يأتي الكلام عليه في أحوال مصر فيمكن أن تكون حالة
الارض من هيئتها وبعد ولدى القرنين وعلمائه وجنوده من المعرفة والآلات ما تيسر
لهم به الوصول الى الاماكن الصعبة مما لم نعلمه الآن وأما قول بعض المؤرخين ان
الواثق من بني العباس ارسل من يمشي الى السد فوقفوا عليه ووصلوا الى غير بعيد من
الصفات التي ذكرت له مما لم يكن على نعته ولم تقف عليه بعينها ولم يبين أولئك
المؤرخون مكانه واين ينتهي كلامهم به في نحو الشمالية الشرقية من آسيا
فلا يبعد أن يكون ما وصلوا اليه هو سور الصين واذا فرضنا انه هو المراد بالسد في
النصوص الواردة يلزم حمل الصفات المذكورة فيهما على بقاع من ذلك السور لكونه
من زبر الحديد ومفرغ عليه النحاس والصفائح (حينئذ) فارغا من ذلك السور كما
تأول صفته بأخرج وما خرج الى ما يصح اصلا هاهنا على التواتر المذكورة ويكون
وعد الله الذي يدك فيه السد هو قرب الساعة ولا شك أن الساعة قربت كما علم به

(رسول الله صلى الله عليه وسلم) في قوله بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة
والوسطى كاد يتقدم من زمن الفرق وكما (قال تعالى) اقتربت الساعة وانشق القمر لا آية
فما بقي من الدنيا بالنسبة الى ما مضى شيء قليل جدا والطبيعيون أنفسهم مقرون بذلك
لما يستدلون به من كيفية تكوين الارض وارتقاء الاجرام العلوية (وحينئذ)
يكون الفساد الموعود به في النصوص من أشراط القوم هو ما وقع من التتار المغول من
الفساد في الممالك وكفى بوقائع جنكس خان وما فعله هو وأصحابه في الدنيا مصداقا
لذلك فان من له المام بتاريخه يرى فيه العجب العجاب وهي مصيبة عظمى لم تحدث على
المسلمين مثلها ونظرا لتطاول الزمان وعدم علم الجمهور بها هو الذي لم يصيرها اعتبارا
الآن وكل هذه الاخبار تبعد دعوى ما يلزم له آل البلاد فرضنا الاحاطة حقيقة بجميع
أطراف الارض والحاصل انه مهما وجدنا نصا من الصادق يلزم التسليم به والتصديق
به فان وجدنا ما يخالفه وهمه في الوجود وجب توهيمه على ما هو في الوجود اذ يستحيل
مخالفة خبره للواقع وقد نص على هذا العلماء الراسخون ومنهم سعد الدين التفتازاني
في المواقع (ثم ان) لمملكة الصين من الانهر العظيمة الحاملة للسفن الشراعية والبخارية
ما أغناهم عن كثير الطرق الصناعية في الارض (واما الجهات) التي لا تصل اليها الانهر
فانهم يصنعون فيها ترعا متصلة بالانهر ميسرة للسير وحمل الاثقال حتى ان منها ترعة هي
من عجائب الدنيا وطولها نحو ستمائة وخمسين ميلا وصنعت في عدة أجيال من الجيل
السابع من تاريخ المسيح أي القرن الثاني الهجري الى القرن الثامن من الهجرة ولم
تحدث فيها الطرق الحديدية الى الآن (وأما المعادن) فعندهم أغلب المعادن
المعروفة ولكنهم لقلة مهارتهم في استخراجها وتصفيتها يحتاجون الى جلبها من خارج
(وهكذا) نباتات هذه المملكة فيها أغلب نباتات المعمور لاتساعها واختلاف أقاليمها
وكذلك الحيوانات والهواء وقاعدة المملكة هي مدينة بكين التي هي من أعظم مدن العالم
سكانها أزيد من ثلاثة ملايين ولها سور يحيط بها وأغلب أبنيتها طينية واحدة مقسمة
الى عدة أقسام لا قصور الملوك فيها طبقات والاهالي يتزوجون امرأة واحدة شرعية
ويتخذون غيرها كالسراري على أن حريات لها ولهم شرائع في الزواج والدلالة على
البيوتية والقيام من الاغنياء والاكابر يخلدون الى الراحة حتى لا يكادون يتحركون
وتعاب هاته الصفة في نسائهم ومن عجائب عاداتهم في ان بنت الاعيان اذا ولدت
يجعلون لها حذاء من حديد أو ما أشبهه من الاشياء الصلبة ويلبسونه لها في سن المهد

وتترك

وتربط كذلك الى نهايات شبابها فتكون أقدامها صغيرة جدا بحيث لا تستطيع المشي
وكذلك كفوف يديها حتى لا تقدر أن تشتغل ولا ترفع شيأ مع الاعتناء بتزيينها فتصير
ذاتها مختصة وكفوفها وقدماها في غاية الصغر دلالة على أنها لا تحتاج لعمل شيء بنفسها
وكل اضطراباتها وتحركاتها تفعلها الخوادم فيصنعون سلالم يحملونها على الاعناق
عندما تريد المشي أو حركة كانت وهكذا جميع الحركات وبه كثيرون من الخدم على
قدر البسطة في المال والجاه وعادة الحمل على الاعناق عامة حتى في رجال الكبراء
والاعيان وهاته الحالة جارية أيضا في أهالي الهند (وأما حكم) هاته المملكة المتسعة
فهو يرجع الى عمل واحد ذي حكم استبدادي مطلق وله وزراء يدبرون ويحررون أمر
المملكة الى ارادته ثم في كل جهة أمراء مستبدون في التصرف في امارتهم تحت أوامر
السلطان الذي لديه يقلدهم ويعزلهم حسب ارادته ومع ذلك الاستبداد فانهم
يحافظون على القوانين القديمة فتجد كأن أحكامهم قانونية لاحترامهم العوائد شبيهة بعضها
ولا يتجاسرون على خرق العادات القديمة في جميع تصرفاتهم لأن أمرا كهذا عندهم مما
يشنع ولهم اعتقاد في ملوكهم وعائلتهم الى غاية الرهبة ولهم أيضا ويبين
يضبطون بها دائرة التصرف في الاموال والرزق لما كره الى جميع تصرفات
المملكة تجدها مشابهة لنظام مشابهة في الدول الدستورية وكان ذلك هو سبب دوام هذه
الدولة وعدم تلاشيها لأن السلطان عندهم وإن كان له أن يفعل ما يشاء الا أنه لا يفعل
شيأ الا بعد ورود حال دونه وأرباب مجالسه في جميع الامور وكل من أمرائه لا يتصرف
الا بعد أوامر أرباب مجالسهم ولا يتوظف أحد في خطة أبدا من ذات الآن يكون من أصحاب
العلوم والمعارف لديهم وحينئذ لا بد كتابة شرطا في كل موظف أن يكون متأهلا
وجديرا بالخطة التي تعد لها ومن عاداتهم الشبيهة بالقوانين أن المتوظف اذا ظلم أحد
الرعايا ولو في أمر لا شيء يعاقب أشد العقاب وانهم مطلوبون كل على حسب خطته
عما يطرأ على الأهالي من المصائب السماوية التي يكون في وسع البشر تداركها
كفيضان الانهر وسقوط الامطار ونحو ذلك ويعاقبون عليه بالعزل ولهم صحيفة
رسمية قديمة قبل أن تعرف الصحف في أوروبا بقرون ولها نحو [illegible] صحيفة تنشرها
يوميا ولا تحتوي الا على الحوادث الخاصة بدولتهم وتصرفاتها وحيث كانت الكتابة
عندهم صعبة جدا (لانها فيها) علامات عوضا عن الحروف منها أصلية ومنها فرعية
تدل على الكلمات فكانت نحو ثمانين ألف علامة وهي مستعملة الآن (أما)

العلامات القديمة التي لم يبق استعمالها الا نادرا وهي صور بعض الطيور وبعض الحيوانات
ونسعة وأربعين شكلا فلذلك كانت معرفة الكتابة عندهم الى حد ما وقد تعارفوا
صناعة الطبع قبل معرفتها في أوروبا بكثير وهي على غير الصورة المعروفة الآن فانهم
كانوا ينقشون الكتابة في ألواح بحيث تكون على عدد صفحات الكتاب الذي يريدون
طبعه وان شئت قلت ينسخون الكتب أولا كتابة بالنقش في ألواح ويطبعون بها ما شاؤا
ثم يدخرونها الى وقت الحاجة فيعيدون الطبع متى أرادوا (وأما) الغنا في المملكة فهو
كثير لكثرة موارد الثروة وكثرة السكان ومع ذلك هو بالنسبة لغنى الممالك المتمدنة ذات
الصنائع المخترعة قليل نظرا لعظم المملكة ومساحتها وقد تقدم ما في عدم دوامها وما شرعت
فيه من القوة الحربية (وأما القوة المالية) فهي غير معروفة لاختلاف أنواع الأداء
وتوزيعه على أنواع التوظيف كل منهم له كيفية في الاستخلاص على وجه من الأهالي

الفصل * الثاني عشر

﴿ المملكة الثالثة عشر مملكة روسيا في آسيا ﴾

هاته المملكة تبتدي من الشمال الأقصى من القارة ثم تنعطف مع حد الصين الغربية
وتصل الى مملكة ايران من شمالها والى الممالك التي تحف بها من شرقها وهي متسعة
جدا ولا تزال تتوسع في تلك الصحراء بأواسط آسيا بحيث تفرقوا شيعا وصارت تتغلب
عليهم بتسليط بعضهم على بعض وانتصارها الدائم حتى ابتلعتهم شيئا فشيئا بحيث لم يبق
منهم الا القليل كما سيأتي الكلام عليه عند وصولنا الى هذه المملكة وسنبين في الكلام على
هاته الدولة في ممالك أوروبا وكيفية تصرفاتها السياسية وسنقول هنا ان جميعها
قسمان يسمى سيبيريا وهو شمالي الصين في نهاية شدة البرد وهو قليل السكان والحيوانات
الا بعض الحيوانات المعتادة على البرد كالدب الابيض والذئب الكبير وقد اطلع علماء
الطبيعة على ان تلك الجهة كانت عامرة بأنواع من الحيوانات التي تألف الجهات الحارة
كالفيل وبعض أنواع من الحيوانات وقد وجد الآن مثل حيوان أكبر من الفيل ويشبهه
في الخلقة وله شعر صلب متصل بعضه من مبدإ رأسه الى مغرس ذيله يكون مرتفعا
مفروزا عن بقية شعر بدنه وله أنياب طوال مقاربة لشكله مثل أنياب الفيل غير أنها
مرتفعة الى فوق واطلعوا على وجود هاته الأنواع هناك بكثرة عظامها في طبقات

سفلى

ملى من الارض تدل على أن تلك الجهة كانت حارة كما تقدم وهي الآن من شدة بردها
اتخذتها الروسيا منفى لاصحاب الجرائم الشديدة فيرسلون اليها الا انه يفقد أكثرهم
في الطريق ومن وصل منهم لا يبقى سالما وتحدث لهم وللسكان الاصليين أمراض
في الاعين من شدة الضوء المنبعث من سطوع اشعة الشمس في بياض الثلج المتكاثر
الدائم ويوجد في هاته المملكة أعني بقية مملكة الروسيا في آسيا أنواع شتى من الفراء
العالي وفيها أنواع النبات المختلف الذي يوجد في أغلب الاقطار الباردة والمعتدلة
وتجارتها متصلة مع جميع الاقطار لكنها لم تبلغ منتهاها لصعوبة النقل حيث لم تتم الطرق
الكافية لمواصلة شواسع هاته المملكة المتسعة ولاجل ذلك انحطاط درجة المعارف والصنائع
التي يمكن بها منافسة الاوروباويين في هذا العصر ولا يخفى أن مملكة متسعة مثل هاته
تشمل أصنافا من البشر لابد أن يكون أهلها مختلفين في الطبائع والعادات فالمسلمون
كالتركس والكرج هم أهل شجاعة وجلد وصبر على اقتحام المشاق مع تعصب لبعضهم
وغيرهم من المسلمين وغيرهم كالارمن والداغستان هم أيضا فيهم ثلاث
الصفات غير أنهم اقل من سابقيهم ودونهم أيضا في التعصب وقد استولت الروسيا على هاته
الممالك تدريجيا فأخذت نحو الاف نفس وهي تعاملهم شيئا فشيئا ومع كون الروسيا استبدادية
فالمسلمون الذين طال استيلاؤها عليهم وتناسوا العداوة تعاملهم الآن بالرفق وحرية
الديانة بحيث يكون الاذان والصلوات في المساجد وعقد الانكحة كلها قائمة وكذلك
تعلم العلوم الدينية وادامتهم هو أيضا مباح ولا يتعرض لهم بشيء وتجري عليهم بقية
الاحكام الشخصية والسياسية مثل بقية الروسيين حتى في اتخاذ العساكر منهم لكن
أكثر العساكر منهم هم على غير نظام مما يسمى درك نوع من الخيالة لغير انتظامية وأما
المسلمون الذين استولت عليهم من قريب فتجري فيهم أنواع القهر والغلظة من الحكم
العسكري الجبري مانعة منه الهياج وذلك للتحرس من ثورتهم وتربية الجيل ناشئ على
المذلة والخضوع الى حكمها ولله الامر من قبل ومن بعد

الفصل الثالث عشر

(المملكة الثالثة عشر مملكة هرات)

هاته المملكة موقعها شرقي ايران وغربي بعض الصين والهند وجنوب الروسيا وشمال

أفغانستان وكانت تابعة لايران ثم استقلت منذ استقلال الافغانستان وأهلها مسلمون
سنيون والظن أنها لا تلبث أن تبتلعها احدى الدول المجاورة لها لصغرها بالنسبة اليهم
والاقرب رجوعها لايران باعانة الانكليز في هاته المدة لاتمام مآربه هو في الافغان
حيث انهم موافقون لهم في المذهب ويعدونهم بالاعانة على حرب الانكليز ولذلك أغرى
ايران بالحرب لهم والاستيلاء عليهم بيد أن سياسة الروس عطلت ذلك وعدد الاهالي
مجهول الحقيقة وعلى التقريب انهم نحو مليونين تحت ملك مسلم استبدادي مطلق من
ذرية أحمد شاه الذي أنشأ في أفغانستان ومالاهو مملكة ذات شأن والاحكام شخصية
شرعية ولهم أوصاف واحكام سياسية أشكل الموقف لان أغلب السكان قبائل رحالة
فيهم حرية البداوة وهم من أصل التركمان وكانت في المملكة مدن عظيمة في أودية بين
الجبال التي على جنوبي صحراء خوارزم هدمت كلها بحرب جنكس خان التترى
وقاعدة المملكة مدينة هرات وهي مدينة عظيمة على نهر ينشعب في شوارعها
ودورها ولها تجارة حسنة في نتائج أراضيها لخصبها مع الممالك المجاورة وبها من النباتات
كل نباتات الاراضي المعتدلة لاعتدال هوائها وسلامته وكانت منبعا للعلوم ومنبتا
للعلماء الافاضل حتى قال ياقوت في المشترك ان علماءها لا يحصى كثرتهم الا الله وهي
الآن دون ذلك واعيانها فيها من العلماء بحسب الحال ولاهلها من الصنائع جيدة السيوف
وآلات القطع لان تيمورلنك نقل اليها ماهري هاته الصناعة من دمشق وبقيت فيهم
الى الآن ولهم مهارة في صناعة البسط والاقمشة الحريرية وقيل في دوتها الحربية
والمالية ما قيل في أفغانستان على نسبة عدد سكانها

الفصل ❁ الرابع عشر

﴿ المملكة الرابعة عشر هي أمارات التركستان ﴾

هاته الامارات موقعها غربي الصين وشرقي وجنوبي بعض الروسيا وشمالي وشرق
هرات وبعض ايران وجميع السكان مسلمون سنيون وحقيقة عددهم مجهول وانما يقال
على التقريب انهم نحو سبعة أو ثمانية ملايين وقد كانت الممالك منقسمة الى (جملة)
أقسام كل قسم مستقل تحت حاكم يلقب بالخان (وهي) خيوه وبخارى وتشقند وخوقند
وقبائل التركمان الرحالة المعروفة بتيكي (وأما الآن) فان خيوة دخلت في حوزة الروسيا

وصارت

وصارت جزأ من ممالكها وان بقيت لها بعض امتيازات ظاهرية كابقاء خانها ولقبه غير أنها في الواقع هي من مستعمراتها الداخلة في حكمها وتحت أمرها (وأما بخارى) فهي أيضا مثل خيوة عبارة عن امارة اذ خرمنها وعلى كل حال فكلاهما يصح أن يقال انهما مستقلتان بالادارة الداخلية تحت الامراء وهي ويؤديان له الخراج السنوي ولهما عساكر بقدر ما يسمح لهما به روسيا للمحافظة على الراحة في المملكة ولاء عمال روسيا فيما تأمرها به (وأما تشقند) فقد صارت ولاية روسية تحت حكم جنرال روسي فهي حينئذ مشمولة بالكلام الذي سبق في أحوال مملكة روسيا (وأما خوقند) فامارات مستقلة تحت أمارة ... وحكمها استبدادي وعدد سكانها خمسة مليون (وأما قبائل التركمان) فقاعدة مملكتهم هي (مرو) وموضعها جهة الشرق الجنوبي من بحر قزوين المتملكة جميع شطوطه الروسيا وعدد السكان نحو مليونين ونصف ومملكتهم ايضا خاضعة حقيقة للعثمانية وانما هم قبائل لكل منها رئيس وكانها مع أختها لا تلبثان أن تلحقا باخواتهما اذ الحرب الآن قائمة على ساق بين الروسيا وبين قبيلة تكى وقد كسروا الروسيا في هذا العام وهو سنة (١٢٩٧) مرتين الا ان كسرانها للدولات تستعد لحربهم واحتوائهم ممن استولت الروسيا عليهم وغيرهم ينظرون اليهم كما كانوا هم ينظرون الى من يجيئهم معها الى أن ينفذ حكم الله الذي لا معقب لحكمه ويدركون الحكمة البالغة (سبحانه وتعالى) حيث تفرق المسلمون شيعا للاغراض والاهواء النفسانية ولم يحكموا الشرع في الاحكام الكلية والجزئية واخلدوا الى الجهل والعصبيات الزائلة حتى تمكن العدو منهم وصارت بلدان الاسلام ومنابع العلوم لعبة بايدي الاعداء وأصحاب الاهواء (ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم) فو أسفاه على بخارى وسمرقند وغيرهما من مدارس الدين في الفنون والعلوم الدينية والرياضية وواهاً على تلك الدقائق والاستنباطات والاختراعات لتأسيس العلوم وتهذيبها واتقانها رحم الله أولئك الرجال الذين عمروا الارض وحموا الدين ولم تزل الأمم تستمد معارفهم الى الآن ولم يعلموا بما يئول ولم يتعلموها حق علمها حتى كادت أن تصير في خبر كان والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

الفصل الخامس عشر

﴿ في الممالك المسلمة عشر هي ممالك الائمة في جزيرة العرب ﴾

هذه الممالك يحيط بها البحر من جهتين في الشرق خليج فارس ومن الجنوب المحيط
الشرقي وبحر القلزم غربا بالحجاز واليمن من توابع الممالك العثمانية وعدن التابعة
للانكليز ومن الشمال العراق العربي للدولة العثمانية وهاته الممالك هي المعروفة
سابقا بنجد وتهامة واليمامة وأخلاقهم هي أخلاق العرب في هذا العصر من التجرد عن
أغلب الصفات التي كانت لعرب السابقين وأما الديانة في الجميع فهي الاسلام وأما
المعارف والعلوم فتكاد أن لا يعرف عندهم منها اسم ولا مسمى الا لبعضهم في قليل من
علوم الدين والحاصل أنهم أمم يقربهم الجغرافيون بسنة الملازمين للشعوب على البداوة
وأعلم رجاله يسمعون في الاحكام الى شيوخ كثيرة يلقب كل رئيس منهم بالامام كامام
مسقط وامام رياض نجد من الوهابيين أعني أتباع عبد الوهاب الذين ظهروا في أوائل
القرن الثالث عشر ناشرين دعوة شيخهم محمد بن عبد الوهاب حيث كان مدعيا بعودة
السنة وابطال البدعة فتجاوزوا الحدود حتى منع المباح وقويت شوكته وكثرت أتباعه حتى
تسلط على الحرمين الشريفين وقصد من العراق كربلاء وقصد علي وخربه وهدم
البناءات على القبور وأزال الكتابات التي عليها وأراد أن يحمل الناس على الاتباع حتى
في العادات والاحوال الدنيوية وان اختلف الاعصار ولم يتقيد بمذهب خاص بل انه
يدعي العمل بالحديث على مقتضى ما يفهمه وسيأتي ما يتعلق بحركته المشئومة في فصل من
المقصد عند الكلام على رجوعي من المصر الاول الى باريس وملخص الكلام أن هاته
الفرقة تجاوزت المقصد الصحيح في الدين الذي ينبغي التيقظ اليه وان كانت تدعيه كما أن
بعض الرادين عليها تجاوزوا واحذروا منها وجرحوا أعمالها كلها عن حدود الشرع بل
كادوا أن ينسبوها الى الكفر وقد ألفت تآليف كثيرة في الرد على مذهبهم من علماء مصر
وتونس وغيرهم لما استفحل أمر هاته القبيلة واستولت على الحرمين الشريفين ونشرت
دعوتها في تأليف خاص وبقيت على ذلك الى أن غزاها ابراهيم باشا من أمراء مصر
وقهرها وأسر رئيسها سعود بن عبد العزيز النجدي من ربيعة الفرس حيث كان هذا
من أعظم أنصار الوهابي والقائمين بدعوته وانتشار مذهبه الى أن مات في ضراعة وتلاشت
من ذلك الوقت تلك الدعوة والدولة ولم يبق لها اعتبار الا في نجد وأمامها الآن أحد
نسل سعود المذكور وهو في التصرف أشبه بشيخ قبيلة بعيد عن الملك وانتظامه وشارته
وهكذا سائر الأئمة المتفرقة بتلك الجهات ولا أحق أن لا يعتبر وأعلمه مستقلة وإنما
يعتبرون كأنهم قبائل في أطراف الممالك العثمانية غير خاضعين لها ولو أنها أحدثت

التصرف

التصرف بالدين والسياسة فانها بارادة الله تصير الى محالكها وتنتظم أمرهم على
أحسن ترتيب فيتصلح حالهم وتتقوى بهم الدولة الاسلامية لان في أراضيهم أودية
فسيحة خصبة وجبالا غنية بالاشجار والمعادن لاسيما في عددهم كرامة نجباء في الدنيا
والرغبة فيها من جميع أهل العالم العارفين بالحال وكذلك عندهم من الحيوانات
الانسية والوحشية ما هو مورد للثروة كما امتدت الدولة العلية بالولاية على البعض شيئا
فشيئا الى العهد القريب كذلك ان شاء الله تعم كلمة الاسلام هناك في خليفة واحد
وكان سبب بقائهم الى الآن لم تستول عليهم احدى الدول هو اتساع أراضيهم وكون
أغلبها صحارى ووهادا وأكثرهم قوم رحل فلا يضبطون بسهولة لانهم يلتجئون الى
الدواخل والدولة العلية يسهل عليها ذلك لاتحاد الدين والاستيلاء على أغلب حدودهم
ولا يصعب عليها العدو لاستعانة بمن جاورهم وبالعلماء في هدايتهم حتى تجرى فيهم
التراتيب الشرعية وتتمتع بهم الامة كما يتمتعون هم بالعدل والتمدن والمعارف ولا شك
أن لاتحادهم اعتبارا عظيما عندما يتقدمون لاسيما وأصل العرب هو لامر بيعة سامية ولله
محمد أصدق قائلة لانه قدم من عمرها وشاهد ما حصل من العرب بعد غرس الحكمة فيهم
بالدين الاسلامي وأهم هؤلاء قبيلة [illegible] وأئمة الآن هي قبيلة [illegible] ولها امام وقد أدخل
تحت طاعته قبائل [illegible] في هذه السنة وهي (سنة ١٢٩٧) وله نوع اهتمام بالاسلام
كما سيأتي في الكلام على زنجبار من أفريقية

الفصل ❁ السادس عشر

«المملكة السادسة عشر»

هي مملكة نيبول وموضعها بين جبال هملاي الوسطى وتراى وبين سكين من شرقيها
وكيماون من غربيها فهي واقعة بين الصين والهند الانكليزية فلها الصين من
الشمال والشرق الشمالي والهند من الجنوب والغرب والشرق وعدد سكانها نحو
مليونين ونصف وعندهم مثل أوربيين من جميع من الدول الشرقية [illegible]
وكذلك أحوال دياناتهم

الفصل * السابع عشر

﴿ المملكة السابعة عشر ﴾

هي مملكة بوتان أو بهتان وهي أرض بين جبل هملاى وأسام وهي شرقي المملكة السابقة ويفصل بينهما وبينها من ممالك الهند الانكليزي بعضها وبالهند الانكليزي وكذلك شرقا وغربا وتحدها الصين شمالا وسكانها نحو مليون من النفوس وديانتهم وثنية ولهم ملكان أحدهما ديني ويعتقدون حلول الاله المسمى عندهم بوذا فيه ويلقبون هذا الملك دهرم راجا أي هو الملك الروحاني وبيده القوة الحربية والحكمية ويلقبونه دب راجا ويتصرف في العساكر بواسطة أميرين أحدهما في مشرق المملكة والثاني في مغربها وهم في الحقيقة تابعون للانكليز غير خاضعين للحكام

الفصل * الثامن عشر

﴿ المملكة الثامنة عشر ﴾

هي مملكة كشمير الشهيرة بشالاتها من المنسوجات البديعة وتختها مدينة كشمير وقد صارت دولة مستقلة من سنة (١٢٦٣ ﻫ) و(١٨٤٦ م) غير أنها تؤدي خراجا سنويا للانكليز وموقعها في الشمال الغربي من ممالك هذه الانكليز يحدها جنوبا ما ذكر وشرقا الصين وشمالا التتر المستقلة وغربا بلاد الافغان وأهلها نحو مائة ألف لكن امارات اتباعها على التوالي عليه من قبائل الجبال التي فوق التتر وأهلها مسلمون ولها ملك بادارة استبدادية شبه القانونية وعليه ناظر الحاكم العام الانكليزي في الهند لكن الكثرة امتيازاته ذكرناه مستقلا وكذلك يرسم في الخرائط

الفصل * التاسع عشر

﴿ المملكة التاسعة عشر مملكة الجابون ﴾

هذه المملكة هي أول ممالك الجزائر التابعة لآسيا وهي متكونة من عدة جزر شرقي مملكة الصين وكانت في القديم تابعة للصين وأهلها مثل أهل الصين في الشكل والعادات

والعادات والحذق بالصنائع وعددهم نحو ثلاثة وثلاثين مليونا وثلاثمائة ألف وستمائة
وخمسة وسبعين نسمة ثم استقلوا في أحكامهم وملوكهم وفي أواخر هذا القرن أعني منذ
نحو عشرين سنة استولى على ملكهم رجل عاقل من عائلة الملك وشرع بمساعدة في
أحداث عصر جديد للمملكة حتى خرجت عن أن تشبه الممالك الشرقية وصارت كأنها
دولة ومملكة أوروباوية غريبة من أعظم الممالك ذات السطوة والشأن والتمدن
والتقدم والمعارف والصنائع وذلك أنه تولى ملكهم المسمى الميكادو وكان حدث السن
ذا أخلاق حسنة وتربية صالحة وكان متبعا بأحوال الاوروباويين القادمين إلى
دولته للسياحة والتجارة وكان سمع من أحوال أوروبا وتقدمها ما هو معروف ورأى من
تقهقر مملكته وما جاورها ما أوجب له العزم على تغيير حالتها ولكنه خشي من تمسك
قومه بالعادات القديمة التي يعتادون عليها كأهالي الصين لكنه استعان بالحالة
الخصوصية بهامته وهو اتجيبهم بالحوادث الجديدة فابتدأ بتغيير زي المتوظفين ورؤساء
الدولة وحملهم على الزي الاوروباوي وبقي هو في ذاته على الزي القديم معتبرا لأفكار
القوم بذلك فلم ير منهم الا الامتثال والاستحسان لما أمر به فلم يلبث أن غير زيه في نفسه
وأرسل سفراء إلى أوروبا للاستقراء مادوم من أصول المنافع والصنائع وآلات الحرب
وحركاته وجلب المبادي المحتاج إليها في مملكته من علماء وآلات وغير ذلك ثم ألزم أمته
بإعطاء الحرية العمومية حيث كانوا تحت حكم الأشراف بمعنى أن كل عائلة شريفة تملك
قسما من الأراضي عن فيها من الناس يكونون تحت عبوديتهم وامتثال أوامرهم
فأبطل هذه العادات وانتقى من قوانين ممالك أوروبا ما يصلح في نظره وصلحه على
مقتضيات عوائد بلاده وأمر بالعمل به كما أمر أهل بلاده بالطريقة العسكرية في حركات
الحرب المعمول بها في أوروبا وألزم كل ذكر بالغ سن العشرين بالانتظام في سلك
العسكرية للدفاع عن الوطن على قانون معروف وفتح المكاتب والمدارس في العلوم
الرياضية وغيرها وكثر منها التكثير اللازم وألزم الأهالي بعقد شركات البريد وتوسيع
التجارة والفلاحة وفتح الطرق الحديدية واستخراج المعادن وزيادة على ما جلبه من
السلاح الاوروباوي من البارود الحديد أحدث معامل في مملكته وأنشأ السفن حتى
كانت عنده احدى عشرة مدرعة وبالجملة فان اتقاد النهضة الاوروباوية في هذا الملك وتقدم
هاته المملكة في أسرع وقت من عجائب هذا القرن التي تعد في التواريخ وستأتي
قوتها الحربية والمالية في جدول الدول وعلى ما تقدم تعتبر كاحدى الدول

الاوروباوية الاول المتقدمة وفيهما من الثروة والتمدن والعلم ما في ممالك اوروبا وما في
مملكة الصين وقاعدتها مملكة مدينة جدو في جزيرة نيفون التي بها جبل بركان
كثير ولاجلها يكثر فيها الزلازل ومعادنها عجيبة وأصل ديانتهم كديانة أهل الصين

الفصل * العشرون

﴿ المملكة العشرون مملكة آتشين ﴾

وهي قاعدة جزيرة سومطرى وهاته الجزيرة خصبة جدا وفيها معادن جيدة ومغاص
على اللؤلؤ ويقسمها خط الاستواء الى قسمين وهواؤها على العموم جيد في الجبال
ردي في الاودية وسكانها نحو ثلاثة ملايين وكان من الحق ذكرها في اتباع الدولة
العثمانية لكن العاقل من بعض المتوصفين أوجب الحاقها بدولة لحوزتها على
ما سيأتي وأوجب التكلم عليها باستقلالها وذلك ان هاته المملكة كانت في الزمن
القديم تحت رؤساء من المجوس الى ان فتحها السلطان (جوشاه) من أمراء الهند في
رمضان (سنة ٦٠١) واسلم كبراؤها وتمذهبوا بمذهب الشافعي وفي
(سنة ٩٢٥) في ولاية سلطانها (ارماشاه) بايعت الخلافة العثمانية (سليم خان)
وحصلت منه على فرمان مخصوص لقبول حمايتها واقامة سلاطينها الى دالوريستان
باشا ثم جدد ذلك السلطان عبد المجيد (سنة ١٢٦٧) وارسل الى سلطانها (علاء
الدين منصور شاه) فرمان البيعة ونيشانا مرصعا ونشرت على قلاعها رسم الراية
العثمانية وعدة سلاطين تلك الدولة الى (سنة ١٢٩٣) ستة وثلاثون سلطانا
وبمقتضى مالهم من الرخصة في ادارة المملكة مع عدم تسلط الاجانب وعدم التسلط في جهات
الهند وجزره عقد احد سلاطينهم المسمى علاء الدين محمود شاه سنة (١١٥٥) معاهدات
مع الهولانديين على أحوال التجارة والسياحة ومنها أن لا يقع منهم التعدي على أحد من رعايا
آتشين ولا التعدي على حقوقها وممالكها ثم معاهدة أخرى مع الانكليز سنة (١٢٤١)
أيام السلطان جوهر العالم شاه وعوض ذلك وقع للانكليز امتياز في مملكة آتشين
فاما الانكليز فقد كانوا على عهدهم الى الآن واما الهولانديون فاخلوا بالعهد منذ
سنة (١١٨٠) فاستولوا على بعض جوانب من المملكة لكن لما كان أهلها ... عن
سلاطينهم وبينهم عداوة سكنت دولة آتشين على الاستيلاء عليهم كما هي المسيئة في هذا
الزمن بالمسلمين من الشماتة ببعضهم بدخول الاجانب فيهم حتى تمكنوا منهم

جميعا

جميع الاقطار ابيه ثم لا زالت هولانده تفتح في أبواب التسلط على المملكة الى ان فتحت عليهم
حرباً في سنة ١٢٩٣ وكان سلطانها اذ ذاك حديث السن وهو (محمود شاه علاء) وعند
غيبة الناظر عليه ومدبر أمور المملكة الامير عبد الرحمن الزاهر حيث توجه الى الاستانة
لاستمداد الدولة العلية أيام السلطان عبد العزيز بزعم مساعد واشتدت الحرب بينهم ولا زال
الهلانديون يتحرون في تلك المملكة الى الآن وان وجد واهل الحمية والشجاعة ما عاقهم
عن انفاذ غرضهم عن محل لكن اعاقهم خذلان بعضهم لبعض مع عدم آلات الحرب
وعدم معرفة آلاته الحديثة وأما قوة هاته الدولة المالية والحربية فغير معلومة وكأنها
لا تلبث ان تصير من أتباع هلانده كما وقع في جزيرة جاوة وجزاير و دواق وغيرها مما
استولى عليها الفرنسيس والهلانديون وغيرهم من الدول الاوروباوية فان لكل
من هاته الدول مستعمرات في هاته القارة في خطوط الهند وفي شرقيه وجزره وتجري فيهم
أحكام الدول المتغلبين بحكم الوقت كأحكام مع المحكوم وانما هي أحكام استبدادية
عسكرية بمراعاة الفوائد للاهالي ولما كانت هاته المستعمرات لا تبلغ الى مستعمرات
الانكليز لم نذكرها على حدتها مثل ما ذكرنا الهند الانكليزية ولله ميراث السموات
والارض

﴿القسم الثاني من الارض﴾

هو قارة أوروبا هاته القارة يحيط بها البحر من جميع جهاتها الا الجهة الشرقية فتتصل
بقارة آسيا السابق ذكرها والحد بينهما هو جبال ارل ونهر دون الذي يصب في البحر الاسود
ثم يحدها جنوبا البحر الاسود وبحر مرمرا والبحر الابيض وبحر طارق وغربا المحيط
الغربي والمانش وشمالا المحيط الشمالي والمنش والبلتيك والمتجمد القطبي وهاته
القارة الآن يعرفها السعد بالمحافظة وحط لديه ركابه فتمكن فيها أفراد الانسان وتعس
كذلك بقية الارض حاشا البقاع المكرمة بالانوار الالهية والغامي البحث الدنيوي
فان هاته القارة كانت قد لبثت مدة وهي في الحضيض الاسفل ما بين جهلا وخراب ودمار
وتوحش فيما سلف من العصور الى أن حدثت فيها دولة الرومان واليونان ونشأت
فيها المعارف ورقي فيها التمدن والصنائع لكنها لم تلبث ان عادت كما كانت عليه
من التوحش والبربرية لانقراض تلك المبادي الحسنة على افراد وان كانوا كثيرين
في مراكز مخصوصة وانحصار السلطة القهرية في تلك المراكز فزال التقدم بتقهقر تلك
السلطة عبرانها حدث بها تمدن آخر في مدة الامبراطور شارلمان المعاصر للخليفة هارون

الرشيد الذي أكب على المعارف وملازمة أهلها وبث منها في مملكته ما وسعه الامكان
غير انها تقهقرت بعده أيضا وشرع فيما تمدن منه جميع الافرنج على خلاف المعهود
سابقا وأخذ فيهم تدريجا الى ان بلغت في هذا العصر الى الدرجة القصوى من تهذيب
والتمدن والمعارف الدنيوية حتى صار لاهلها الوجاهة والمزية على جميع أقسام الارض
ودونك الموجود في الاخبار في ذلك الترقي وحاصله ان أهالي اوروبا استفادوا من العلوم التي
باللسان اللاتيني واليوناني الذين تحصلت عليهما الكنيسة وكان أهلها في مدة الدول
العام يبذلون أقصى الجهد في الحفظ على تعلم ذينك اللسانين وترقي تلامذتهم
في العلوم الموروثة من الرومان واليونان كما استفادوا من الامة العربية في المغرب
بمجاورتها في الاندلس وأخذوا عنها العلوم الرياضية وتهذيب الاخلاق والجغرافيا التي
علمتها المسلمون بالاسفار للجمع من الاقطار القاصية والفتوحات الممتدة شرقا وغربا
والاعتناء بالتجارة حتى ان ملك صقلية دعا الى مملكته الادريسي والف عنده كتابه
المعروف المسمى نزهة المشتاق في الجغرافيا واستفادوا أيضا من الاسلام في المشرق في مدة
حروب الصليب لمخالطتهم وتطلعهم على ما لهم من الترقي والتقدم في المعارف فانبثت
فيهم في جهات عديدة في وقت واحد فكانت في القرن الثالث عشر المسيحي الموافق
للقرن الخامس والسادس الهجري مدارس في العاصمة وغيرها في كل من فرانسا وايطاليا
والمانيا واجتهدت من ذلك الوقت كل جهة في ترقيتها والتشبث بالوسائل التي
لا تحوجها الى غيرها واعظم الوسائل التي أعانتهم على بلوغ المعارف صناعة طبع
الكتب التي كثرت بها الكتب ورخصت حتى تيسر الاطلاع عليها حتى لعديمي الثروة
ولما انفتحت بصائرهم وعلموا ان العوائق عن بلوغ المقصود منحصرة في عدم انتظام
الادارة والاحكام على مقتضى المصلحة وعدم صرف النظر الى منافع الامة حيث لم تكن
لهم شريعة تضبطهم واعانهم الملوك المستبدون بهم الذين يتصرفون كما ارادوا وجذبوا
اليهم العلماء بالترغيب والترهيب فاماتوهم على الطاعة الى ان وصلوا الى درجة
الاضمحلال فلما انفتحت بصائر الامم ضربوا في جهات الى تقييد التصرف من الملوك
بمشاورة رؤساء الامم ووجهائهم وان تكون الادارة على قانون معلوم موافق لعادات الامة
وما تقتضيه حالها وان يستوي الشريف والمشروف في الحقوق الشخصية وان لا يختار
قسم من الناس بالاشياء الضرورية كالعلوم والاراضي والتجارة وغيرها فحصل هذا
المقصود في بعض تلك الممالك باراقة الدماء الغزيرة بين الملوك المستبدين وبين الامة

وفي

وفي بعض الممالك تفطن عقلاء ملوكها الى وجوب العدل بتلك الوجوه اما لحذقهم وايثارهم المصلحة العامة على الخاصة بهم حيث علموا انها اي الخاصة لا تدوم الا بدوام الامة فآثروا مصلحة الامة أو اتقاء من ايلولة أمر المملكة الى ما آل اليه غيرها ممن لا ثمرة لهم في الاصرار على منعه فسارعوا الى منح الاهالي القوانين والحرية بقصد منهم وما حصل في احدى الممالك اجراء القوانين على أي وجه من الوجوه المتقدمة الا اخذت في الترقي والثروة لانكشاف الظلم المؤذن بالخراب فتحسنت احوالها وغنت سكانها وعمرت أرضها وكثرت صنائعها وانتشرت فيها المعارف وزادت اتقانا وانتشارا وامتدت تلك المملكة بسطوتها على من لم يجارها فيما هي عليه ومن يرد الدليل على ذلك فلينظر في جميع ممالك أوروبا تدريجا الى ان عم جميعها ولم يبق منها الآن خاليا منه الا مملكة الروسيا بحيث يصح ان يقال ان جميع أوروبا كانها مملكة واحدة على نمط واحد وغاية الاختلاف بينها انما هو بزيادة الثروة والقوة والحضارة اما اصول هاته الاشياء فهي موجودة في الجميع ولذلك نتكلم على هاته القارة كلاما عاما ونذكر اسماء ممالكها وقواعدها اذ هذا كاف في المقصود من هذا التأليف حيث ان المقصود هو معرفة الممالك الآمنة من غيرها سيما ونحن سنذكر ان شاء الله تعالى في المقصد تفاصيل عن بعض مهماتها فيقاس عليها غيرها اذ هي متشابهة على القريب وعلى نسرد دولة الروسيا لمخالفة سيرتها لبقية وأما الدولة العلية فقد تقدم الكلام عليها في قسم آسيا لان احكامها جارية في الجميع على السواء غير انها لما كانت لها في قسم أوروبا ولايات معتبرة وولايات غير معتبرة فنعيد ذكرها هنا ايضا وعلى ذلك فدول أوروبا تنقسم الى دول جنوبية ودول وسطى ودول شمالية وجميعها ثمانية عشرة مملكة كلها نصرانية الا الدولة العلية كل منها مستقل عن الآخر وان كان بعضها يتألف من أكثر من مملكة واحدة فالدول الجنوبية ستة وهي الدولة العلية والجبل الاسود واليونان وايطاليا واسبانيا والبرتقال والوسطى ستة أيضا وهي فرانسا وسويسرا والبلجيك واوستريا والمجر والروم ورمانيا والشمالية ستة أيضا وهي الروسيا والسويد والدانيمرك وهلاندة والمانيا والانكلتيرة

الفصل * الحادي والعشرون

فأما الدولة الاولى فهي الدولة العلية وتختها القسطنطينية فحالتها العامة تقدم الكلام

عليها وأما الخاص منها بهاته القارة فان لها ممالك رحيبة فمنها ما هو ممتاز ويؤدى
اداء سنويا معلوما وادارته فى نفسه مستقلة كولاية البلغار التى قاعدتها صوفية فانها
بعد معاهدة برلين الناشئة من حرب سنة ١٢٩٤ التى سبق تفصيلها فى المقصد ان شاء
الله تعالى صارت هاته الولاية أمارة نصرانية مستقلة وادارتها على نحو الادارات المقيدة
فى ممالك اوروبا ذات القوانين التى يرد الكلام عليها عن قريب ان شاء الله تعالى
واغلب سكانها بلغاريون وبقية سكان الامارة من المسلمين واليونان وكل منهما فى اشد
الضنك لاسيما المسلمين من قساوة القسم الغالب الذى صارت له السيادة على الجميع لانهم
وان كانوا ظاهرا ادارتهم حرة قانونية لكن الباطن استبدادية تحت اشارة الروسيا
المستبدة المبادية بامارة المذكورة وهاته الامارة ليس لها حق فى انشاء حصون على
حدودها والحصون التى كانت فيها للدولة تهدم بمقتضى معاهدة برلين وعساكر الامارة
يكونون من الاهالى واغلب رؤسائهم الآن من الروس والى الآن لم يتعين مقدار الاداء
السنوى الذى يلزمها اداؤه للدولة العلية بسبب تراخى عن اجراء جميع فصول معاهدة
برلين وكذلك للدولة العلية فى هاته الامارة ولايات اخر مستقلة فى الادارة وما زاد من
دخلها عن مصارف مصالحها الداخلية يؤدى الى خزنة الدولة الا الكمرك والدخان
فهما راجعان للدولة وهذه الولايات نصرانية وشروط واليها أن يكون نصرانيا يولى
من الدولة بعد موافقة الدول عليه ولا يعزل قبل تمام خمس سنين واما العساكر فليس
لها ان تتقدم حيثما ومتى تحدث تشويشا أهليا لامداد الاحكام وحفظ الراحة المعتادة وان
احتاج الحال الى قوة عسكرية فان الدولة ترسل للوالى مقدار ما يطلبه لذلك وللدولة
أن تقيم فى الحصون والحدود عساكر على حسب ما تريد لها بشرط أن لا يكون على
الاهالى منهم أدنى كلفة أو تضييق وهاته الولايات هى ارميلى الشرقية واكريت وساموس
والاحكام الجارية فيها قانونية بواسطة مجالس من الاهليين كما ان للدولة ولايات أخر
فى هاته القارة ليس لها امتياز عن غيرها من بقية ممالكها وهى ولايات الرميلى كادرنة
وشقودرة وسلانيك وجزائر البحر الابيض وأما بوسنة وهرسك فكلاهما تحت تصرف
النمسا وهما من حقوق الدولة ولذلك كان لهما العلم بحيث يشتمل كل من علم أوستريا
وعلم الدولة معا والخطبة باسم السلطان العثمانى والموظفون العثمانيون ان صحوا
فى نظر الوالى الاوستورياوى يبقون كما ان أوستريا أحدثت عساكرها مشتركة للعساكر
العثمانية فى صنجق نوفى بازار مع بقاء الادارة بيد الدولة وكل ذلك بموجب معاهدة

برا ويحد أملاك الدولة فى أوروبا الآن شمالا النمسا والطونة وغربا النمسا والصرب والجبل الاسود وبحر البنادقة ويحدها جنوبا بوغاز القسطنطينية وبحر مرمرا وبوغاز جناق قلعة وبحر الجزر والبحر الابيض واليونان وشرقا البحر الاسود وبحر الجزر

الفصل * الثانى والعشرون

وأما الدولة الثانية وهى الجبل الاسود فانها استقلت بعد الحرب الواقعة سنة ١٢٩٣ وكانت تابعة للدولة العلية ولا زالت تلقب بالامارة ثم ضم اليها قطع من ممالك الدولة العلية وصار الآن سكانها نحو الاثمانمائة ألف ويحد هذه المملكة شمالا فى البعض أوستريا وغربا بحر البنادقة ومن بقية الجهات الدولة العلية وقاعدة المملكة ستنى

الفصل * الثالث والعشرون

وأما الدولة الثالثة وهى اليونان فانها كانت تابعة للدولة العلية أيضا واستقلت فى سنة ١٢٤٦ وكان اذذاك عدد سكانها نحو ثمانمائة ألف فتكاثروا الى ان بلغوا الآن الى ما يزيد على المليون ونصف ولهذا الجنس الشهرة التامة فى التقدم وفنون العرفان فى الاعصر السابقة الا انهم لم يبقوا على ما كانوا عليه والى الآن لهم اعتناء زائد بالاسفار وقوة البحر وهذه المملكة شبه جزيرة فى البحر الابيض يحيط بها من جميع الجهات الا الجهة الشمالية فيحدها الدولة العلية ولها جزائر أخر قريبة تابعة لها وقاعدتها اثينا

الفصل * الرابع والعشرون

واما الدولة الرابعة وهى ايطاليا فقد كانت منقسمة الى عدة امارات وممالك ثم فى أواسط هذا القرن أخذت فى الاتحاد الى ان تم اتحادها بجعل مدينة رومة تختا لها فى سنة ١٢٨٧ وصارت دولة من الدول العظام سكانها نحو سبعة وعشرين مليونا ويحدها البحر الابيض من الغرب فى البعض وفى الباقى فرانسا ويحدها جنوبا البحر المذكور ويحدها من الشرق بحر البنادقة فى الجل وفى البعض أوستريا ويحدها شمالا أوستريا فى البعض وفى الباقى سويسرة وفرانسا وسيأتى مزيد الكلام عليها بمرادها فى المقصد ان شاء الله تعالى

الفصل * الخامس والعشرون

وأما الدولة الخامسة فهي دولة اسبانيا وقد كانت متلاشية في شمال الاندلس ولما
ارتكب المسلمون هناك على شهواتهم ومالوا الى الظلم بعد ان بلغوا الدرجة القصوى من
العدل والمعارف والقوة حتى فتحوا قسما عظيما من اوروبا ثم تركوا ما كانوا عليه
وانقسموا الى ملوك طوائف كما قال شاعرهم

مما يزهدني في أرض أندلس * ألقاب معتضد فيها ومعتمد
ألقاب سلطنة في غير موضعها * كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد

فحينئذ استعانت دولة الاسبانيول بذلك الانقسام والظلم واعانت بعضهم على بعض
واستبدت بالمائدة الى ان تسلطت على الجميع وفعلت من التوحش والقسوة ما تنفر من
سماعه الآذان حيث ألزمت المسلمين ما تبديل دينهم او القتل فهرب من قدر منهم
على النجاة او اجلوا او اخرجوا عراة وتشتتوا في المغرب والجزائر وتونس ايدي سبا ثم
استفحل امر تلك الدولة أي الاسبانيولية الى ان كانت هي وحدها اذ ذاك ذات التقدم
على سائر الدول الاوروباوية لما ورثته من ثمرات فنون المسلمين وصنائعهم وكانت
وحيدة في القوة البحرية حتى ان أول من اكتشف أمريكا كان من ضباطها كما سيأتي في
ذكر ذلك ان شاء الله تعالى وعمرت مستعمرات في أمريكا والبحر الهندي وافريقية وغيرها
وبما بعد ما تمكن فيها الاستبداد دخل الضعف في ارضه وتقهقرت الى ان كادت أن
تتلاشى وخرج عنها كثير من مستعمراتها وعم بها الظلم ونقصت فيها الانفس والاموال
والثروة الى ان استفاقت الامة من غفلتها وثاروا ثورة واحدة حتى حصلوا على ترتيب
دولة قانونية واستمر امرهم في تحصيل مقصودهم بضع سنين وهي من سنة ١٢٨٦ الى
سنة ١٢٩٣ فاستقر حالهم على حكومة حرة وملكوا عليهم ابن ملكتهم السابقة التي
ثاروا عليها بعد ان صيروا الحكومة جمهورية ثم عدلوا عنها وارادوا احد عائلات ملوك
اوروبا فملكوا عليهم ابن ملك ايطاليا ثم بدا له منهم نفرة فخلع نفسه ووصلوه الى بلاده
مع رسم اكرام وعادوا الى الجمهورية ثم نفر منها اشرافهم واغلب الاهالي فاستقر امرهم
على ابن ملكتهم المذكور على ان يكون تحت القوانين المرتبة وخاصة الاهالي استقام حالهم
بذلك واقبلوا على اصلاح شؤونهم بيد ان ذلك لما كان حاصلا من عهد قريب وبعد

حروب

حروب أهلية لم تتراجع دولتهم الى ان تقدمت الدول الاوربية وسكان هاته المملكة عدى
ما بقى لها من المستعمرات سبعة عشر مليونا ولها مستعمرات فى أمريكا وفى شطوط أفريقيا
وآسيا وبحر الاقيانوس يبلغ عدد سكانها نحو ستة ملايين وهاته المملكة يحدها جنوبا
بوغاز طارق والبحر الابيض وشرقا البحر الابيض فى البعض وفرانسا فى الباقى وشمالا
المحيط الشمالى وغربا المحيط المذكور ومملكة البرتقال وقاعدتها مدريد

الفصل • السادس والعشرون

وأما المملكة السادسة وهى مملكة البرتقال فقد كانت قسما من الاندلس ثم اسبانيا
وعند تقهقرها انه استقلت عليها واسرت الفرانسيين فكانت متقدمة السيرة على قدر حجمها
وسكانها نحو أربعة ملايين ونصف ولها مستعمرات فى شطوط افريقية والصين والهند
يبلغ عدد سكانها نحو ثلاثة ملايين ونصف ويحد هاته المملكة غربا المحيط الغربي ومن
بقية جهاتها اسبانيا وقاعدتها اشبونة المدينة العربية وحرفوها الآن فصارت لزبون

الفصل ❁ السابع والعشرون

وأما الدول الوسطى فاولها دولة فرانسا ذات الحظوة والشأن المتقدمة فى التمدن
والسطوة والعرفان وسيأتى تفصيل الكلام عليها ان شاء الله تعالى وانما نقول هنا ان
هاته المملكة حوت من المحاسن والصنعات ما اقر لها به معاصروها ومنافسوها ولولا
تقسيم أهلها لاحزاب مع سرعة العمل بين تحملها لما بارتها دولة وهى تشتمل على نحو ستة
وثلاثين مليونا من النفوس ولها مستعمرات فى جميع القارات يبلغ عدد سكانها نحو ستة
ملايين واستقلالها قديم وتختها مدينة باريس ويحدها جنوبا البحر الابيض وبطاليا
واسبانيا وشرقا بطاليا وسويسرة وجرمانيا والبلجيك وشمالا الطريق المانش والمحيط
الشمالى وغربا المحيط المذكور وهى من اقدم الدول الاوروبية وان طرأ عليها فى الوسط شئ
من الاستبداد لكنها الآن حرة وحكومتها جمهورية وقاعدتها باريس

الفصل * الثامن والعشرون

وثانيها دولة سويسرا ويحدها جنوبا ايطاليا وشرقا اوستريا وشمالا المانيا وغربا فرانسا

وقد كانت تداولها كل من فرنسا والمانيا مدة قرون وفى خلالها يحصل لها فى بعض
الاحيان استقلال الى أن تم استقلالها باعتراف جميع الدول الكبيرة وضمانتهم لاستقلالها
وذلك (سنة ١٦٤٨) أى أواسط القرن الحادى عشر الهجرى ولا زالت على ذلك وسكانها
نحو مليونين ونصف وحكومتها جمهورية حاصلة على ان المجلس لها ينتخب
أعضاؤها من أنفسهم سبعة أشخاص لمدة ثلاث سنين يكونون بمثابة وزراء فى ادارة
الامور على نحو ما تتفق عليه بالمجلس وينتخب هؤلاء السبعة رئيسا لمدة عام واحد يكون
هو رئيس الدولة لعام وتخت المملكة مدينة بارن

الفصل * التاسع والعشرون

وثانيها دولة البلجيك ويحدها جنوبا وغربا فرنسا وشمالا بحر المانش والمحيط الشمالى
وشرقا المحيط الشمالى وهولانده والمانيا وعدد سكانها نحو خمسة ملايين وتخت
المملكة مدينة بروكسل وكانت من ملحقات فرنسا ثم استقلت بأمرها مع اتحادها
بهولانده بعد سقوط نابليون الاول ثم استقلت بنا (سنة ١٨٣٠) مسيحية الموافقة
(سنة ١٢٤٦) هجرية فبلغت أقصى العمران والثروة

الفصل * الثلاثون

ورابعها مملكة دولة النمسا المركبة من دولتين مستقلتين وهما أوستريا وهنكاريا وكل
منهما لها ادارة خاصة بحسب دواخليتها ووزراء يباشرون الادارة فى كل منهما ولهما
ملك واحد يلقب بامبراطور أوستريا وملك هنكاريا ولهما قانون معلوم فى كيفية الاتحاد
والانفراد وحدود كل منهما وتم أن يكون وزير الخارجية وعلائقه متحدا فى كل من
المملكتين ودولة أوستريا من اقدم دول أوروبا وكانت فى مبدئها صغيرة ثم تعاظمت
ودخلت فى العصبة الالمانية حيث ان من أهاليها قسما عظيما من الجنس الالمانى
وصارت لها الرياسة على العصبة مدة الى ان انتزعتها منها دولة بروسيا (سنة ١٢٨٤)
فى حرب عاصمتها وتاقيم ايطاليا واستقرت الآن منفردة عن العصبة الالمانية وعدد
أهالى هاته الدولة نحو سبعة وثلاثين مليونا ويحدها جنوبا رومانيا والصرب والدولة
العلية وبحر البنادقة وايطاليا وغربا سويسرة والمانيا وشمالا المانيا والروسيا وشرقا
الروسيا

الروسية والرومانيا وقاعدة المملكة الأولى هي مدينة فينا وقاعدة الثانية هي مدينة بست وتحت تصرفها بوسنة وهرسك

الفصل * الحادي والثلاثون

وخامسهم دولة الصرب وهي صارت دولة مستقلة بعد حرب سنة ١٢٩٣ وكانت امارة مستقلة بالادارة تابعة للدولة العلية وتؤدي لها الخراج وبمقتضى معاهدة برلين صارت دولة مستقلة يحدها جنوبا الدولة العلية بامارة البلغار وغربها وشرقها هي أيضا ونهر الطونة وشمالا المذكور والنمسا وغربا ولاية بوسنة وهرسك الراجعة للدولة العلية وتصرفها بيد النمسا وعدد سكان هذه الدولة مع ما أضيف اليها بمقتضى المعاهدة المذكورة نحو المليونين وقاعدتها بلغراد

الفصل * الثاني والثلاثون

وسادسهم دولة الرومانيا يحدها جنوبا الدولة العلية بولاية البلغار في البعض وفي البعض نهر الطونة ويحدها شرقا البحر الاسود والروسيا وشمالا الروسيا والنمسا وغربا النمسا وقاعدتها بخارست وعدد سكانها نحو خمسة ملايين ونسبة أحوالها مثل الدولة المتقدمة عليها في الذكر لكنها متقدمة في التمدن والمعارف والقوة وعندما كانت تابعة للدولة العلية كانت تسمى بالولايتين أي الافلاق والبغدان حيث كانت منقسمة اليهما ثم اتحدتا في عشرة السبعين والمائتين والألف تحت أمير واحد ثم استقلت بمقتضى معاهدة برلين بعد أن دخلت في اعانة روسيا على كره منها ولا زال لقب الامارة الى الآن

الفصل * الثالث والثلاثون

وأما الدول الشمالية فالدولة الأولى منها دولة انكلاتيرة السابقة في الحرية والثروة وهي جزيرتان منقطعتان في المحيط الشمالي يحيط بهما البحر من جميع الجهات وأقرب جهة من القارة اليها هي مملكة فرانسا ويفصل بينهما بحر المانش وضيق جهة منه بينهما نحو عشرين ميلا وسكانها نحو ثلاثين مليونا وقاعدتها مدينة لندرة ولها مستعمرات في جميع أقسام الكرة منها الهند وبرمه وعدن في آسيا كما تقدم الكلام على ذلك

ومنه رأس الرجاء الصالح وغيره في أفريقيا ومنها آيالات في أمريكا الشمالية وأخرى في الجنوبية وأعظم جزائر أوستراليا وعدد جميع من يقيم في المستعمرات نحو مائة وتسعين مليونا وسيأتي الكلام على هاته المملكة مفصلا في باب خاص من المقصد ان شاء الله تعالى

الفصل * الرابع

﴿والثلاثون﴾

والثانية منها دولة هلاندة ويحدها شمالا وغربا المحيط الشمالي ويحدها جنوبا البلجيك وشرقا المانيا وقد كانت تلك الدولة جرمانيا واسبانيا الى أن اتحدت مع البلجيك بعد سقوط نابليون الاول ثم انفصلت عنها البلجيك سنة ١٨٣٠ م و ١٢٤٨ هـ وعدد سكانها نحو ثلاثة ملايين وثمانمائة ألف نفس ولها مستعمرات في جزائر الهند وجاوا وسمطرا وأمريكا وأفريقيا عدد سكانها نحو عشرين مليونا من الانفس وقاعدة المملكة مدينة هاك

الفصل * الخامس

﴿والثلاثون﴾

والثالثة منها دولة المانيا المؤلفة من ستة وعشرين دولة كل منها مستقل باداراته الداخلية ولهم قانون في الوحدة ومجلس يشترك فيه الجميع عدد أعضائه على قدر نسبة سكان الممالك المشتركة فيه والرياسة على جميع هاته الدول الآن لدولة بروسيا وملكها يلقب بامبراطور المانيا ويحد جميع المملكة شرقا الروسيا والنمسا وبحر البلتيك وشمالا البحر المذكور ودولة نيمرك وغربا هلاندة والبلجيك وفرانسا وجنوبا سويسرة وايطاليا والنمسا وعدد سكان الممالك المتحدة ونحو أربعين مليونا والقاعدة الكبرى للجميع هي برلين وهذه أسماء الدول المؤلفة منها العصبة مع عدد السكان وأسماء القواعد

عدد سكان الممالك	أسماء القواعد	أسماء الممالك
٠٠٠ و ١٧١ و ٢٥	برلين	بروسيا
٠٠٠ و ٨٦٤ و ٠٤	مونيخ	باوير
٠٠٠ و ٨١٨ و ٠١	استوتكادر	فورتمبرغ
٠٠٠ و ٤٦١ و ٠١	كارلس	بادن الكبرى
٠٠٠ و ٥٦٠ و ٢	درارد	الساكس
٠٠٠ و ٠٩٧ و ٠٠	نويسترلتس	مكلنبورغ سترلتس
٠٠٠ و ٣١٦ و ٠٠	أولدنبورغ	أولدنبورغ
٠٠٠ و ٢٨٦ و ٠٠	ويمر	الساكس ويمر
٠٠٠ و ١٨٨ و ٠٠	ميننجن	الساكس ميننجن
٠٠٠ و ١٧٤ و ٠٠	غوطا	الساكس كوبرى غوطا
٠٠٠ و ١٤١ و ٠٠	التنبورغ	الساكس التنبورغ
٠٠٠ و ٠٧٥ و ٠٠	رودولاشتد	اشوارزبورغ
٠٠٠ و ٠٦٨ و ٠	سوندرسوزن	شوارزبورغ سوندرسوزن
٠٠٠ و ٠٨٩ و ٠٠	شلايز	أوليس شلايز
٠٠٠ و ٠٤٥ و ٠٠	غرايز	أوليس غرايز
٠٠٠ و ٢٠٣ و ٠٠	ديسو	أنهات
٠٠٠ و ٣١٢ و ٠٠	ابرونزويك	ابرونزويك
٠٠٠ و ١١١ و ٠٠	ديتمولد	ليب ديتمولد
٠٠٠ و ٠٣٢ و ٠٠	بوكيبورغ	ليب شاومبورغ
٠٠٠ و ٠٥٩ و ٠٠	ادرسن	فالديك
٠٠٠ و ٨٥٣ و ٠٠	دارمستاد	اس دارمستاد
٠٠ و ٥٤٨ و ٠١	(كولما)	(استرسبورغ) (ميتز) الجاس والاورين
٠٠٠ و ٣٦٠ و ٠٠	هامبورغ	بلدة هامبورغ
٠٠٠ و ٠٥٢ و ٠٠	لوبك	بلدة لوبك
٠٠٠ و ١٢٣ و ٠٠	بريم	بلدة بريم
٠٠٠ و ٠٠٣ و ٤١		

وكلها ذات قوانين والسياسة الخارجية متمكنة فيها الدولة الرئيسة

الفصل السادس

والثلاثون

والرابعة منها دولة السويد المتألفة من دولتي السويد والنورويج وكل منهما مختصة بادارتها الداخلية والوزارة والديوان والعساكر بحيث لا يجمع بينهما الا كون الملك واحدا والسياسة الخارجية أيضا لحكومة السويد وكانت مملكة قديما ذات عظمة فاستقلت عنها الدانيمرك وأخذت قسما عظيما منها الروسيا واستقرت على الحالة التي هي عليها الآن منذ سقوط نابليون الاول ومجموع سكان المملكتين نحو ستة ملايين ونصف يخص السويد نحو أربعة ملايين ويخص النورويج نحو مليون ونصف وقاعدة الاولى استكهولم وقاعدة الثانية كريستيانية وحد المملكتين التي هما شبه جزيرة ممتدة الى نهاية القطب الشمالي في الجنوب بحر البلطيك وخليج بوتنيا وشمالا المحيط الشمالي في القطب وغربا خليج السوند والبحر الشمالي وبحر الاسكندنافيا الذين هما من المحيط الشمالي وشرقا الروسية في البعض وفي الباقي خليج الفاصل بينهما

الفصل السابع

والثلاثون

والخامسة منها دولة الدانيمرك وانفردت من السويد والنورويج في أواسط القرن الثالث عشر من الهجرة ثم في أوائل عشره لغاية الرابع عشر استولت بالحرب عليها كل من بروسيا والنمسا واخذتا منها ولايتي الشلسويج وهولشتين التي هي أول شرارة القدح لانقلاب الموازنة السياسية في هذا القرن كما يأتي تفصيله في المقصد عند ذكر ايطاليا ان شاء الله تعالى واستقرت المملكة في شبه جزيرة ممتدة من الجنوب الى الشمال ويحدها جنوبا حيث تتصل بالقارة المانيا البروسيانية وشرقا خليج السوند وبحر البلطيك الفاصلان بينها وبين السويد وشمالا خليج سكاجراك الفاصل بينهما أيضا وغربا البحر المحيط الشمالي وسكانها نحو مليونين وثمانمائة الف ولها مستعمرات في جزائر البحر الشمالي من اوروبا ولها في امريكا بعض مستعمرات ومجموع سكان مستعمراتها نحو مائة الف وخمسة وعشرين الفا وقاعدتها كوبنهاغ

الفصل الثامن

والثلاثون

الروسية منها دولة الروسية وهي باعتبار امتدادها على سطح الارض هي اكبر الممالك وقد تقدم الكلام على قسميها من آسيا واماكن اوروبا فحدها شمالا البحر الشمالي وشرقا جبال اورال ونهر دون الفاصل بين آسيا واوروبا وجنوبا البحر الاسود والروماديا والنمسا وغربا المانيا والسويد وعدد جميع سكان كل من آسيا واوروبا نحو [illegible] وثمانين مليونا من الروس منهم نحو ستين مليونا من المذهب المسمى ارثودوكس وهو مذهب اليونان من المسيحيين وكان منهم نوع من البشر المسمى السلاف وبقية العدد منه نحو ثمانية ملايين مسلمون والباقي من مذاهب شتى من الديانة المسيحية وغيرها والدولة على المذهب الارثوذكسي وهي وان لم تجبر اهل ذلك المذهب على تبديل دياناتهم او مذهبهم غير انها تمنعهم من حرية المذهب ونشر تعاليمه بل تجبرهم على تعليم ابنائهم في مكاتبها وتجبرهم ايضا على ترك لغتهم ولا يخفى ان اهل هذه المملكة [illegible] في الاتساع وكثرة الاجناس لا يمكن ان يكون لهم لغة شتى حتى قبل ذلك الا ان الاصلية فيهم تعدون الخمس عشرة لغة وهذه الدولة تكونت على انقاض الممالك في مدة قليلة جدا هذه المملكة كانت قديما لا يعرف منها الا اهل الجنوب باسم [illegible] الى [illegible] المسيحي وتأسست في روسية اوروبا امة عظيمة من امة [illegible] ثم تلاشت بالحروب الاهلية وبهجمات الامم الشرقية على اوروبا وغلبت على ذلك الى ان استولى على اغلبها التتر في مدة [illegible] ابن [illegible] ثم [illegible] المملكة سنة ١٤٨١ م و٨٨٦ هـ على يد ايفان الملقب بالامير الكبير وخضعت له ولذريته القبائل المتكونة منها روسية الاصلية ثم انقطعت عائلته وحدثت في المملكة فتن اشرفت بها على الاضمحلال الى ان تولاها ميشال رومانوف وهو الذي اسس الدولة الموجودة الآن وذلك سنة ١٦١٣ م و١٠٢٢ هـ واخذت في الراحة الاهلية وضم ما كان خرج عنها الى ان تولاها بطرس الاكبر [illegible] ثالث الدولة فهو الذي اسس [illegible] بين الدول المتمدنة واجتهد في ترقيتها [illegible] مع مزيد اعتنائه بالسياسة [illegible] بنفسه تحمل اتعاب السفر الشاق في ذلك الوقت [illegible] صانع [illegible] على الاقتداء به ورتق مدة في ترسانة هولانده [illegible] صناعة التجارة حتى تقن تعلمها وجلب للمملكة معلمين من عدة صنائع واخذت من ذلك الوقت في الترقي والاتساع مع [illegible]

خلافه ومهارتهم في الفنون الحربية والمكايد السياسية الى ان آلت الآن الى ما هي عليه
من مزيد القوة والاتساع وانها كانت في المعارف والحرية مثل قيمة ممالك أوروبا
لما كادت ان تسلم منها دولتها بعد تقاعدها على اصول الاستبداد وحدث فيها قلة الثروة
والمعارف فلم تقدر على انحسار كرامتهم وان كان القيصر الموجود الآن وهو
الاسكندر الثاني قد حرر الفلاحين من عبث الاعيان لهم حيث كان سابقا ان قسم الاعيان
من المملكة من ملكهم أرضا على كذا من فيها من البشر ويستعملهم استعمال العبيد
بحيث يتصرف فيهم تصرفه في المتاع كما كانت تلك العادة جارية في أوروبا حتى ان الفلاح
اذا أراد التزوج بعد الاذن له من سيده يأتي بمورده ليلة عرسه الى سيده ولا يمكن له أن
يدخل بها قبل أن يبارك له عليها سيده وان أراد الاختلاء بها وله حق ذلك وقس على
ذلك من أنواع الشناعة وفي سنة ١٨٦٧ م و١٢٨٤ هـ أبطل القيصر اسكندر
الثاني ذلك الحكم وحرر الفلاحين وأما رتبة المملكة فهي من قبيل الاستبداد
المطلق بمعنى ان رئيس المملكة ويلقبونه بالكرزني قيصر او امبراطور مع انضمام
معنى الرياسة الدينية فهو الذي يتصرف في الكليات والجزئيات على حسب ارادته
واختياره ومن ينوب عنه في الوقت يتصرف مثل ذلك التصرف باسم الاكبر والاكار
رياسة التصرف في الديانة وفي الامور في العسكر وفي التعصبات ومع ذلك لهم ترتيبات
ومجالس لتدبير الملك وادارة الولايات وتنقسم الى مجالس المجلس الاول يسمى بمجلس
السلطنة وهو مجلس تشريع وادارة وحكم يستشار في جميع الامور المهمة غير السياسة
الخارجية فانها مختصة بالملك ويستعين بوزرائه فيها وهذا المجلس ينظر في احداث
القوانين واجرائها وتعيين المداخيل والمصاريف وتدقيق النظر في محاسبات الوزراء وترفع
اليه الاحكام المختصة بالعدالة ويتركب من الوزراء واعضاء العائلة الملكية واعضاء
ينتخبهم الامبراطور لمدة حياتهم وحضور الاعضاء فيه على نوعين فالاول لازم الحضور
والثاني يحضر بالاستدعاء للداعي تقتضيه وله تقاسيم في الادارة كل قسم منها به شيء مما
يتعلق بالوظيفة المجلس الثاني هو مجلس السناتو الذي أسسه بطرس الاول ووظيفته
حرسه القوانين والمراقبة على سيرة كبار المتوظفين والولاة والحكم النهائي في الجنايات
السياسية الخصوصية التي يختص بها الامبراطور وهو ينقسم الى اقسام مراكزها
في عدة جهات من المملكة في المدن الكبيرة ويجتمع في أوقات الاجتماعات العامة
المجلس الثالث مجلس ينظر في خصوص العرائض المقدمة للامبراطور وهو المشتكي

من

من الحكام عرض نورهم على أحد المجلسين المذكورين سابقا المجلس الرابع مجلس
الديني المركب من اساقفة الايالات الكبيرة ووظيفته تسمية كبار الكنائس والنظر
في ادارتها اذ أعضاؤه الامبراطور والمجلس الخامس مجلس الوزراء المؤلف من تسعة وزراء
وأكثر على ما يقسم الامبراطور وزراؤه والمجلس السادس مجلس الرقيب العام
أعضاؤه مثل الوزراء ثم ان المملكة تنقسم الى أقسام وهي أيضا تنقسم الى أصغر منها الى
آخره سواء كانت في المدن أو في البوادي فللأقسام الكبار المتصرف فيها هو الوالي
العام البلدي وهو المطالب للامبراطور بجميع ما يحدث في ولايته ولذلك كان له
الاطلاق أيضا في انتصاب ما يراه مجلس الولاية أو حصصه وهكذا كل رئيس في قسم أصغر
منه هو مطالب لمن فوقه ولاحد دونه ان كان لكل منهم مجلس مركب من أعضاء من
أهل المكان وفي كل قسم كبير جمعية تسمى جمعية الاعيان يعدد أعضاؤها على حسب
الدوائر والشعبات الراجعة لذلك القسم ورئيسها يلقب عامل رئيس الاعيان ووظيفتها
تعيين عوائد المتوطنين في كل ثلاث سنين اذا اقتضاه الوالي أو الامبراطور وفي كل مدينة
أو قرية مجلس بلدي تحت رياسة أحد أعضائهم والذي ينتخب أعضاء المجلس والرئيس
هو البلدية من البلدان ومعنى بلدية هو الاعيان وأواسط من الناس وأما أصحاب
الخدم لبلدية فليس لهم هذا المقام ووظيفة المجالس البلدية ادارة الاشغال العامة
ومصالح البلدان والحكم فيما يحدث بين البلدية في التجارة كما يوجد في هاته الاقسام
مجالس للحكم في الجنايات ومجالس للحكم في الامور المدنية ومحل الحكم ما له رئيس
القسم كما تقدم كان لكل مشيخة بالبلاد جمعية من كبراء الاشخاص أهل نورهم وتسمية
الاداءات اللازمة للدولة وتعيين من يدخل للعسكر ورؤساء هاته الجمعيات هم أقدمهم
في المشيخة ولهم الخيار أيضا في تعيين رؤساء الجمعيات ومن جملتهم مجلس الصلح وهو لدى
يوقع المتوطنين عن تجاوز أمور بينهم والحكم في الجنايات الخفيفة والمسائل التي لا تبلغ
أربعمائة ربلك ومن قواعدهم ان يخصص حكما أحد يمضي حكمه على شرط تقييده
في دفتر مخصوص لذلك أما أحكام الحكام فهي شفاهية ويشترط في القاضيين ان يكون
أصحاب عرض وان لا ينقص سن أحدهم عن الخمس والعشرين سنة وفي خصوص
الولايات التي في حدود المملكة يوجد حاكم عسكري مع الحاكم المدني وله الرياسة عليه
وبخصوص ولاية فلاند وزارة خاصة في قاعدة المملكة ومجلس سنا ينتخبه الامبراطور
في كل ثلاث سنين وتخت جميع المملكة هي صان بطرسبورغ فادارة هاته المملكة وان

كانت لها مجالس وقوانين وكثير من منتظمي الاهالي لكنها في الواقع استبدادية حيث ان حرية كل شيء وتنفيذه منوطة بالامبراطور ثم بخواصه ولهم الخيار في التنفيذ وعدمه من غير تقييد بحجر ولا يخفى ان ذلك الرئيس وان كانت اغراضه تلائم جميع الجزئيات لكنه له حواشي واتباع فرعى الكل منهم بعض الوجوه ولكل منهم علائق واغراض فيتسع الخرق في الرتبة والادارة وتجري الامور على الشهوات ولهذا لما كثرت الصحف الحرية في بعض المملكة وكثرت قراءة الصحف الاجنبية وكثرت المدارس التي تعلم اصول التهذيب وكثرت المواصلة بينهم وبين ممالك اوروبا بالطرق الحديدية انفتحت بصائر اهل المدن الكبيرة في روسيا وجرى لامر منهم المدن توالي في جهات من المملكة فعمل منهم سنة ١٢٩٦ ثورات عديدة ولا زالت مستمرة الى الآن لكن تارة تشتد وتارة تخف في طلب الحرية وقوانين مثل بقية اوروبا وزادهم حملا على ذلك ما رأوه من دولتهم عند اعلان الحرب على الدولة العلية سنة ١٢٩٤ الى حربها في المقصد [illegible] نصره الله تعالى حيث صورت اهل البلقان انهم احسن ادارة منهم وجهات هم ولا [illegible] رتبة [illegible] وسائر الاموال تحكم على حريتنا ونمنع غيرنا ونهرق لاجلهم دماءنا ونحن في حالة اتعس منهم فكان لسان حالهم يقول

يا ايها الرجل المعلم غيره • هلا لنفسك كان ذا التعليم

فالحاصل ان الكثار وسيما [illegible] بالقوة والقوة مجرد حذق امر ثم فات القيصر ولان كان له التصرف المالي لكنه دائما يرعى مصلحة [illegible] ويقتصر على حظوظه الخاصة ولا يصرف من اموال الدولة الا في مصالحها وهو في حد ذاته في غاية الاقتصاد ثم انه يتعين الرجال [illegible] بمن يجربهم صادقين ولا يعزل احدا من الكبراء من منصبه الا لمصلحة [illegible] اوجبت حتى ان وزيره الاكبر الآن وهو غرتشكوف له في الوزارة سبعة وعشرون سنة مع كبر سنه الذي بلغ [illegible] ولم يعزله بل به مرض مرضا شديدا في هذه السنة وهي سنة ١٢٩٧ واضطر للاستعفاء فلم يعفه وحمل له اتباعه المباشرة الاشغال الى ان تبرأ مبشرة لاحوال وعاد بعد في مرضه كانه استعفى مرارا ولم يجبه الى ذلك وهو اي الامبراطور [illegible] الدرجة المحس العروس وهكذا اسلافه فان الوزير نسلرود الذي كان قبل غرتشكوف مكث في الوزارة ثلاثين سنة وبذلك حصل التقدم للدولة وصارت مدنها الكبيرة لا يفرق بينها وبين

مدن أوروبا القانونية لا في الادارة الملكية ولا السياسية ولا التحسين الشخصي أما
غيرهم من بقية المملكة فكأنما الناس عبيد يستعملون للرعاة حتى حكى لي أحد
السواح الثقاة ان مشايخ القرى يضربون الرعية بالسياط وهم مارون بالطريق
ولا يأمر الشيخ أحدا بشئ الا ويتبعه بالسوط ضربا بلا حاجة فتعجب السائح
من ذلك وقال له يا أيها الشيخ لا لزوم لهذا الاكراه حيث ان الواقعة هي ان الشيخ لما قدم
للقرية وبيده توصيات من الحكومة في الالتفات اليه من الرعية واكرامه عمل شيخ
القرية ذلك وأمر بعد أحد من الاهالي بالاتيان بعلف الدواب من عنده وأمر آخر
بالاتيان بأكل الطيب من عنده أيضا وتبع الامر بالضرب والشتم فقال له السائح
المقالة المار ذكرها فأجابه بعد سماعه هذا الكلام ان هؤلاء الكلاب لا يصلح فيهم
الا هذا العمل ولو لم يحاسبوا منهم ما أطاعوا الا ما يكون من الاخذ عن طيب نفس لما
أطاعوا لشئ وكلام هذا الشيخ وان أمكن أن يكون فيه مبالغة لكنه لا يبعد عن الحقيقة
لان الاهالي أشقى انهم تربوا على المداهنة الجبرية ولم تتهذب أخلاقهم مع نشأتهم على
الذل والهوان والتحكم الشديد وطلب منهم الحكام كثيرا اعتادوا على اعماله مجانا بالوعد
بالثمن لما صدقوا بذلك ورأوا ان رزقهم يؤخذ منهم قهرا وحب المال مجبولة عليه
الطباع فيتكاسلون عن أعمالهم الا بالعصا ويصنع حكامهم معهم ذلك أيضا ولو انهم
عودوهم من الصغر والنشأة على مكارم الاخلاق والاكرام لاستبصروا ورأوا منهم مراعاة
الحقوق والعمل لما خالفوا طبيعة البشر ومن العلم ان في سكان هذه المملكة أقواما
كثيرين من المسلمين هم أهالي ولاية قازان الذين أسلموا من الصدر الاول اذ قيل انهم
أسلموا في عصر بني مروان في مبدأ القرن الاول من الهجرة وقيل في خلافة المأمون وقيل
في خلافة الواثق ابن أخيه وانتشر فيهم الاسلام باسلام ملك بلادهم الماس خان بن بلكى
خان في خلافة المقتدر فتسمى بالامير جعفر وقاعدة دولته بلغار وهي مدينة بلغار المذكورة
في كتب الفقه للاختلاف في وجوب العشاء على أهلها في مدة الصيف حيث لا يغرب
فيها الشفق وانما وردت بالذكر مع عموم الحكم لكل ما قرب الى أحد القطبين لانها
هي التي كانت اذ ذاك معروفة باسلام أهلها ولم يحدث الخلاف في وجوبها الا في المائة
السادسة لا نص عن المتقدمين وقد أورد المسألة بالتأليف بعض أحد علماء هذه البلدة
في هذا العصر وهو العلامة هارون بن بهاء الدين المرجاني بن شهاب الدين البلغاري
أيد القول بالوجوب وله فيه نص بديع وقول مصيب اختصره ملك بوبال السيد محمد

صديق خان في لفظة العجلان فنقال الحمد على وجود أمثالهم في هذا العصر الذي تغرب
فيه الدين وصلاح العلم ونبت المدينة وتقع على عرض خمس وخمسين درجة شمالا
ونحو سبع وأربعين درجة طولا شرقي باريس وهي على نهر الفلكي الشهير

الفصل * التاسع والثلاثون

وخلاصة الكلام على جميع قسم أوروبا هو أن يقال ان جميع الممالك المار ذكرها الا
ما استثني كلها ممالك قانونية بمعنى ان ادارتها منضبطة في السياسات بأمور معدودة
مكتوبة يعلمها الخاص والعام ولا يجوز التصرف بمجاوزتها والمباشر لاجرائها هم الوزراء
باذن رئيس الدولة على اختلاف اسمه من امبراطور أو ملك أو رئيس جمهورية وعدد
هؤلاء الوزراء يختلف بحسب كبر الممالك وصغرها حتى تحتاج الادارة الى زيادة
الفروع أولا وأصول الادارات التي لا بد منها في كل مملكة هي ادارة الداخلية ثم
الخارجية ثم المالية ثم الحربية وقد يتفرع من هذه فروع على حسب الحاجة ولاهميتها
تفرد بوزارة فمن فروعها الاصول المفردة بوزارة الاحكام والبحر والمعارف والاشغال
العامة والديانة ويجعل لهؤلاء رئيس في الاغلب يكون هو احدهم وتارة يكون منفردا
برأسه عند الاجتماع وبعدها يتوقف على جمعهم ورئيس المملكة ينتخب دائما
الرئيس وهو يعين لصاحب المملكة بقية وزرائه فيوظفهم وليس له بعد ذلك الا امضاء
تصرفاتهم أو تنديدهم اذا وقف على ما يكون من التصرف الذي يتصرف فيه بواسطتهم
ثم يعقب على الوزراء مجلسان أحدهما مجلس الاعيان من الامة واختيار اعضائه بيد
صاحب المملكة أو بواسطة وراثة تتوارثها بعض العائلات وقد تنتخب الاهالي بعض
الاعضاء ببعض الممالك والثاني مجلس النواب أي نواب الامة تنتخبهم الاهالي لمدة
معلومة بطريقة الحرية في الاختيار على شروط في المنتخب والمنتخب تؤول الى صفات
تثبت حق الغيرة على الوطن ومعرفة مصالحه والاهلية لتدبيره ومجموع المجلسين يسمى
بمجلس الامة أو المملكة فاذا رأى هذا المجلس فسادا في تصرف أحد الوزراء أو
مجموعهم أصر الاعتراض عليه على وجه يلزمه الاستعفاء لانه يتصرف على خلاف ارادة
الامة وهنا يكون لصاحب المملكة الحق في قبول عرض المجلس وابدال المعترض عليه
أو يأذن الامة بانتخاب مجلس آخر بعد حله للأول فان وقع انتخاب الامة على أناس

موافقين

موافقين للمعترض عليه بقي الامر على ما هو وان اتفقوا اهل المجلس الاول انهم
اوغيرهم ممن يوثقون فيهم في الرأي لم يبق لصاحب المملكة حينئذ الا عزل الوزراء المعترض
عليهم وتوظيف غيرهم ممن يوثق برأي الامة فقد زيادة على هذا المجلس من حفظ جميع
المواثيق ومراعاة مصالح المملكة في المال والسياسة والاحكام وعقاب المذنبين من
المتوظفين ولو من الوزراء غير ان مباشرة العمل ليست بيده وانما هي الى من تعود له من
وزير او مجلس حكم او صاحب المملكة فهذا هو نبذة من ادارتهم السياسية واما اصل
الادارة الحكمية الشخصية فهي مجردة عن السياسة ولا تسلط للسياسة على احكام
الشخصيين وهم يوظفون لمذهبيتهم واستقلال لدرجة اعلى وتصرفهم مناط بمجالس
متعددة الاعضاء ووراءها مجالس اخر لرفع المحكوم عليه شكواه من المجالس التي حكم
بها ووراء ذلك ايضا مجالس الاقضية والاحكام يعتمدون في القوانين مرتبة برضاء
مجالس الامة وتكون الاحكام علانية الى غير ذلك من الاوجه المقربة لبعث الانصاف
ودفع الظلم فهذه هي الاصول المعمول بها وتختلف فروعها بحسب الممالك وعاداتها فليس
قانون الاحكام متحدا في جميع الممالك بل ربما تجد جميعها على اصل الجنايات كالقتل
مثلا هو ممنوع في جميعها ومرتكبه معاقب في جميعها وان اختلف عقابه بحسب
العادات كما ان من الاصول المتفق عليها ان يكون نصيب ما تدفعه الاهالي الى دولتهم
يصرف في تحسين المملكة ورونقها واصلاحها كسد الجسور والطرق الحديدية
وتنظيف الطرق زيادة على انشائها وكذلك كل ما يؤول لتوسيع التجارة والمعارف
والفلاحة وغير ذلك مما يعود على المملكة بالتحسين والتحصين

﴿ القسم الثالث من الارض ﴾

هو قارة افريقية هذه القارة صارت الآن جزيرة عظيمة جدا يحيط بها البحر من جميع
جهاتها فيحدها شرقا المحيط الشرقي والبحر الاحمر وخليج السويس والبحر الابيض
ويحدها شمالا البحر الابيض وبوغاز طارق والمحيط الغربي ويحدها غربا المحيط الغربي
ويحدها جنوبا المحيط الجنوبي وقد عرفت جميع شطوطها وما قاربها على التحقيق
وبقيت دواخلها غير معمورة على التحقيق الى الآن لشدة حرها حيث كان خط
الاستواء قاطعا لها ولصعوبة السفر من توحش اهلها وقلة الماء والطرق وتشتمل هذه
القارة على ستة وعشرين مملكة ما بين مستقل وتابع لغيره فمنها الجهة الشمالية من القارة

فانها الشهيرة انشأته وما كتبت بتقدمها غيرها من القارات فى العصور السابقة
ولا زالت الى الآن مرعية الاعتبار

الفصل * الاربعون

فأول دولها سلطنة مراكش ويحدها غربا البحر الغربى وجنوبا الصحراء الكبيرة
وشرقا بلاد الجزائر والصحراء المذكورة وشمالا البحر الابيض وبوغاز طارق وهى مملكة
متسعة اذ ادعى الجغرافيون فى عدد سكانها من خمسة ملايين الى ثلاثة عشر مليونا
والاورباويون لا تعرف على حسب ما سمع من اهاليها الذين لهم معرفة باحوالها بان سكان
المطيعين للحكم نحو سبعة ملايين ومبتدأ الحكم نافذ من الشعوب الشمالية الى بلدة
رودانة فى الجنوب وهى تبعد عن مراكش من جنوبها نحو مسيرة ستة أيام وموقعها جهة
السوس الاقصى وهم مسلمون بالاسم وهم أكثر من الخاضعين للحكم وليس فيهم
من امارات الخضوع الا مجرد الدعاء باسم سلطان المغرب وهم على نوع من الهمجية وتناصر
الجاهلية وجميع السكان مسلمون الا نحو ثلاثمائة الف من اليهود وبعض تجار من
من الافرنج فى المراسى وحكومتهم استبدادية فى السياسة واغلب الاحكام الشخصية يحكم
فيها بالشرع والمباشر للحكم هو ... والمذهب العام هو
المذهب المالكى ولهم معدودون يوليهم القاضى وبعضهم يوليه السلطان وهؤلاء المولون
من السلطان يستشيرهم القاضى عند طلب الحكم للشورى فى حكمه أو عند توقف
القاضى فى وجه الحكم وهكذا فى كل مدينة أو قبيلة قاض وجميع ما يرجع الى تلك
المدينة من الايالة يرجع الى ذلك القاضى وله نواب فى القرى الصغيرة وفوق الكل
قاضى فاس وهو قاضى القضاة وفى فاس قاضيان لما ان المدينة كل منهما مستقل بجهة
من المدينة وما يتبعها لانها تنقسم الى فاس القديمة وفاس الجديدة ثم فى هاته المدة رتب
قاض ثالث دون الاولين فى الرتبة وانما هو بصفة نائب عن قاضى فاس القديمة
لان هذا مع كبر علمه ومزيد فضله استعفى مرارا معتذرا بكبر السن وضعف البدن فلم
يسامحه السلطان لذلك ووضع له ذلك النائب وهذا القاضى هو الذى يولى جميع
القضاة الا قضاة مراكش فلا دخل له فيهم لانه اذا اراد السلطان أن يولى احد علماء
فاس قاضيا بمراكش فحينئذ يستشير قاضى فاس فى تعيين القاضى وكل مكاتب يشتمل

على قاض له ولي يسمى في عرفهم قائدا له فصل النوازل العادية والسياسية وبعض
المخصصات والدولة مركبة من السلطان ووزير والحجاب ووزير الشكايات وكتبة
ورؤساء الجند وجهات سياسية. أما السلطان فإن سلسلته الشريفة ثابتة النسب برسول
الله صلى الله عليه وسلم كان أرسل إليها بعض أهل المملكة وأتوا بجدهم من ينبع النخل
من المدينة المنورة منذ نحو ست مائة سنة للتبرك بهم في صلاح ثمار نخلهم حيث كانت
بركة آل البيت في جهة أخرى من المملكة ثم عند وقوع حروب أهلية وقيام
المملكة إلى طوائف نادى بعضهم بمولاي محمد الشريف من المملكة وبايعوه في الثلاثين بعد
الالف ثم اجتمعت بيعة المملكة على ولده من بعده ولم يزل الملك فيهم لكن المتولي لا يعهد
الى معين من عائلته وغالبا يوطئ منهم من رآه أهلا في كبار الأعمال وعند فقد
السلطان تجتمع أعيان الدولة يطيرون الخبر ويعينون الأهلي ويبلغون أحدا من عصبة العائلة
ويعرفونه بالسلطنة ويقيمه أعضاء العائلة تجب عليهم تربية أهل ومن يوظفه ثم
السلطان يشتغل بوظيفته ومن لا وظيفة له يشتغل بصناعة يتعيش منها وهي لا تكون
الا نبيلة كالتجارة والتدريس والفلاحة ومع ذلك يحصل لهم من بيت المال شيء لا يكاد
يسد من عوزهم وأما الوزير فيتخذه السلطان ولا يكون لا عائلة وعد من الأهالي وهو
وزير قلم على الطريقة المعتادة في دول العرب من أن يكون وزيرهم وزير الإنشاء
ولذلك يجب أن يكون ماهرا في فنون الأدب مع مشاركة حسنة في غيرها والعجب أن
صناعة الإنشاء في الدول بالمملكة المغربية كانت لا بد أن تكون مقصورة على دولة
مراكش وأما غيرها من الدول المغربية فمنتهية وكادت كتابتهم أن تخرج عن
الأسلوب العربي بل صاروا لا يتحاشون عن اللحن وكلمات بربرية بخلاف كتاب
المغرب وهداة بهم من قديم ومما يحسن ذكره هنا أن حدث بشارحه أنه ارتحل الشهير
من أمراء العائلة الحسينية بتونس المتولي في أوائل هذا القرن لكن وقع في أثناء ولايته
قحط شديد باضطرار رعيته لطلب الميرة والحبوب من سلطان المغرب لأن أرضها كانت
مخصبة في ذلك العام ولم تمكن المواصلة لتفشي وروباء وغيرهم من الاقطار مثله في ذلك
الوقت وكان من عادة سلاطين المغرب أن تمنع خروج الحبوب من مملكته فأرسل حموده
باشا العالم المدرس سيدي ابراهيم الرياحي لطلب ذلك المهم ووجه معه مكتوبا كان من
جملة عباراته تبني أن تخرجوا ... فقوله نبي عبارة بربرية اعتادها كتاب
التونسيين في الأوامر الرسمية ولما قرأ ذلك الكتاب تعجب وزير السلطان بدولة المغرب من

تلك العمارة واشتد حنقه منها كيف يخاطب السلطان به ولولا تبحر سيدي ابرهيم
في العلوم لخاب المسعى [illegible] انها عبارة عربية وهي حيث دعا به في صورة الجرايد انا
بتحقيق الاحد [illegible] للسلطان [illegible] جملة خايفة [illegible] يكون دائما شمولا
[illegible] كما لدى تحو جانب المساوي من الاخطار [illegible] الاذن عليه ثم قال
لهم وعلى فرض حل اعتبار هل [illegible] السلطان من السلطان لا يرحم عصابة اسلامية
[illegible] بالكون [illegible] من [illegible] كتب وراق الحال [illegible]
المقصد [illegible] اسماعيل [illegible] رحمه الله واما سيدنا [illegible]
السلطان [illegible] والسلطان يجلس يوم [illegible] الشاكين
كيفما كانت الدعوى ويكون قبل جلوسه [illegible] الوزير [illegible] بتقرير في جميع من
ورد ذلك [illegible] بيان دعوى كل واحد ثم [illegible] مجلس السلطان بوقوف وزيره
والحاجب وكبار الاعوان [illegible] السلطان [illegible]
بادخال المشتكين على حسب ترتيبهم في كتاب التقرير ويسمع من المشتكي دعواه
[illegible] على التقرير [illegible] فان [illegible] السلطان يجيب
المشتكي [illegible] في [illegible] او [illegible] ثم [illegible] الوزير [illegible]
السلطانية [illegible] جميع المشتكين وتطبيق شكواهم
في التقرير يوقع السلطان في التقرير في كل مادة [illegible] ويدفع التقرير الى ذلك
الوزير [illegible] السلطان [illegible] عموم الدولة على النمط
القديم في الامور [illegible] على [illegible]
وسوق العلوم [illegible] جدا بحيث لا [illegible] في كل وقت ومن اهم
[illegible] واما العلوم الرياضية [illegible] منقطعة عندهم بالمرة
او ان بعض فروعها لم يزل [illegible] على النمط القديم وذلك مثل علم الاسطرلاب
والهندسة كما [illegible] ودعوى في علم الطلسمات وسر الحرف وكذلك علم
الكيمياء [illegible] المعادن [illegible] في البحث عنه رجال واموال
من [illegible] والصباغ على [illegible]
واقتحام المشاق [illegible] العيش ولاهل المدن اخلاق حميدة وصفات جيدة
[illegible] وكل قادح في [illegible] العدالة وهم [illegible]
في التجارة بحيث ان [illegible] اي على البحر [illegible]

ويرسلون

ويرسلون منهم الى اقاصى الممالك قطعات لا تزال التجارة وصلها بممالكهم حتى
لا تكاد تجد مدينة شهيرة للتجارة فى احدى قارات اوروبا وآسيا وافريقيا الا وفيها من
تجارهم من له مزيد الرواج والثروة ولهم براعة فى ادارة التجارة يناكبون بها
الاوروباويين ولا زالوا يحترسون من تداخل الاجانب فى حول ممالكهم حتى انهم
يمنعونهم من السكنى فى غير المراسى التى على البحر وسفراء الدول يسكنون فى مرسى طانجه
ومن اراد منهم مواجهة السلطان يرسل اليه يطلب ذلك فيرسل له السلطان خفراء
مخصوصين ويقدمونه من هناك الى تخت المملكة وينزل فى احدى القصور الملكية
ويعين له يوما للمواجهة يخرج فيه ويقف فى ساحة رحبة معلومة وتقف
العساكر والمتوظفون بجانبيها ثم يأتى السلطان راكبا فى حشمته وحاشيته وهم
مشاة الى ان يقرب من السفير فيتعرض له وعند الوصول اليه يوقف السلطان
جواده ويسلم على السفير ويلقى اليه السفير الكلام الرسمى المعهود للاقتضاء ويجيبه
السلطان بمثل ذلك ويعطيه الاذن ويرسله لمن يتفاوض معه فى الامور نحو سفير
فى سيره وينفصل الموكب وبعد ذلك يقع التفاوض بين وزير السلطان والسفير
الى ان يستقر المراد على شئ ويعود السفير الى البلاد مستقربة محفوظا ومن عوائدهم فى امن
الطرق ان كل قبيلة حول احدى الطرق يكون كفيلة بامن ذلك الطريق الى حدود
معلومة ثم يدخل المسافر فى كفالة غيرها وهكذا الا انهم لا يسيرون ليلا ويعطى
على كل دابة اجرا مخصوصا للقبيلة وهذه الامر لا يحصل للمسافرين اذ حصلت
مضرة لاحد المسافرين تغرمه القبيلة التى وقع فى حدودها ذلك الحادث واذا دخل وقت
الغروب فيجب على المسافر المبادرة الى احدى المنازل التى على الطريق اتقاء الاغتيال
وهم يرحبون به لهم منازل كثيرة حول الطريق وكذلك للبريد له فى كل بلد شيخ وله
اتباع يحملون المكاتيب ويأخذ عليها اجرا زهيدا يعرفه الكامل ويعرفون بسكى
لا يقع تعطيل عرض او غيره ويمشون راجلين ويكتبوا المكاتيب فى كل بلد يسلمها
بريدها وهو ... ما لم يعرض امر ... يرسل بريد ... اجره على
على حسب بعد المكان ومحصل البريد مرتبة فى سير البريد بدولة ... عهدة
اقياد يرسلونه من واحد الى آخر الى ان يصل لمحله واصحابه ركب ولا يسمح لاجنبى
مطلقا ان يقيم داخل المملكة واليهود يسكنون فى المدن وغيرها على صفة اهل الذمة غير
ان عوائدهم القديمة معهم حاولوا فيما حدد الشرع فى هيآتهم واداباتهم حتى قعدوا

عليهم بابا المداخلة للدول بواسطة الجمعيات اليهودية فى ممالك أوروبا وكانت أرسلت فى
أوائل هذا القرن دولة الانكليز نائبة من اعيانها تخبر ملك المغرب بأحوالهم
لصالحهم قائلا ان الحكومة تسلك معهم هذا المسلك وان الاهالى يجبرونهم كرها على مخالفة دين
بجميع الاوامر وهى الحكومة مراقبتهم بقدر لا يستحقوا على اليهود بذلك اذ تمنعوا من
قبول تلك النصائح وارسلوا الى أوروبا قائلين دعونا على عوائدنا الموروثة ولا تتداخلوا فينا
ودعوا للحكومة ولا ادل بذلك من انهم لا تعرف بهم الامان على أنفسهم وأموالهم
وسنة وأعلى ما كانوا عليه ووجه سلوكهم ذلك السلك أمران أحدهما ظاهرى وهو
ان ديانتهم قاضية عليهم بتحمل الهوان والمشاق الى خروج المسيح الذى ينقذهم على
دعواهم وثانيهما وهو الباطنى انهم يعلمون تسلط الاهالى عليهم وعدم معارضة
الحكومة لهم اذا عجزوا أو تعرضوا لمعونة فى خلافهم وعلى فرض أحد للدول لنشرهم فيما
فاتهم بعد تعرضهم وقد صرح بذلك بعض رؤسائهم لانهم احرص الناس على حياة فى
هذه الدنيا وفى سنة ١٢٩٧ حرك الاهالى اليهود بقصد التعرض من الجمعيات المذكورة
آنفا ووجدت دولة اسبانيا فرصة للتداخل تماما عما اعتادته مع اليهود من هذا
ذلك القبيل وشدد بها اليهود من قدم الى تعديد حقوقهم فى حمايتها ولم يزل ذلك الى
عقد اعطاء الحرية لها مع اسبانيا بعد عهد قريب ولكن مرند التداخل نقش
على ما يوافق قصدها ولذلك دعت دولة اسبانيا جميع دول أوروبا لعقد مؤتمر لاجل النظر فى
أحوال اليهود ورعايا الاجانب فى مملكة المغرب لان اليهود اكثرهم بالرحيل الى بعض
الممالك الاجنبية ويحصلون منها على الحماية ثم يعودون الى المملكة المغربية ويتمسكون
بما كسبوا من الحماية وعند اجراء الاحكام والعادات عليهم يتعاصون باظهار الحماية
الاجنبية فلم تعترف لهم الدولة المغربية بذلك وتقول اما ان تكونوا أجانب ولا تدخلوا
للمملكة واما ان تكونوا اهالى فتجرى عليكم الاحكام هذا وفى تسليم تجارة ودولة
اسبانيا تريد الانتصار للحاميين وان يكون لهم الحكم فى دواخل المملكة بدعوى تعميم
التجارة وبعض الدول يوافقها لكى يتمتعوا بتمتعات فى داخل المملكة حتى تساعدهم
والدولة المغربية مصرة على الامتناع وتمسك بالمعاهدات والعادات المألوفة فعقدوا
لذلك مؤتمرا فى مدريد فى شهر جمادى الثانية سنة ١٢٩٧ وكانت كل من دولتى فرنسا
وانكلاتره مساعدة للدولة المغربية أما فرنسا فلمصلحة لها فى الجزائر وهى قد رأت
من أهالى الجزائر تعصبا شديدا فى ما اصيبوا عليهم عند حمايتهم وهم لازالوا يحدثون
الثورة

الثورة عليها فهي ما سنحت لهم الفرصة مع قلة الفائدة بالنسبة للتجارة فتريد توكيد
المودة مع دولة المغرب لكي لا يحدث لها عثار تزاحمها في الجزائر حيث انها وهي تعلم ان
الاستيلاء على المغرب غير مقدور لها لمعارضة دول اوروباوية قوية في ذلك واما انكلترة
فتريد استقلال دولة المغرب وبقاؤها لكي لا تستولي على خليج طارق دولة قوية يمكن
ان تمنع الانكليز من المرور الى البحر الابيض كما تخشى ايضا من انها اذا اطمعت لها
الشدة فلربما تميل الى دولة اخرى ذات اقتدار وشوكة او يصير تجمع ضدا
للانكليز في وقت الحاجة ومثل هذا اثر دولة اسبانيا فكثيرا ما تظهر المودة لدولة المغرب
ربما ان تمكنها من الاستيلاء على احد شطوطها ولا اقل من ان يكون مجرد حماية لها حتى
تخشى اعراضها وهو عند تقدم الحرب من اسبانيا من هجوم المغرب على الجزائر وبقية
الدول لا ارب لهم في ذلك الا ان لا يحصل ضرر على هاته الدولة من ذلك الموقع
لان اسبانيا وحدها لا تقدر [illegible] مساعدة الدول لها وهي [illegible] ولان كانت قادرة
على التسلط على المغرب لكن الدول الباقية المذكورة لا تقبل منها ذلك لمعارضة
[illegible] في قصدها ومع هذا كله فلا بد ان يظهر اشياء للمملكة حتى تراعي
الاتحاد الاوروباوي [illegible] الشرع [illegible] اهل الدولة لا
ما امر به الشرع [illegible] ويقضي بالاهمال ولا حول ولا قوة الا بالله ثم ان صناعة
النقش في الحصر على ظواهر الجدران [illegible] في العرف [illegible] جديدة لها رواج عظيم
بهاته المملكة وكذلك دبغ الجلود وما [illegible] الحريرية فان لهم [illegible] مخصوصين معروفين
من [illegible] لاداء للدولة وهم [illegible] مع اعطاء الدولة لهم المرتبات والسلاح
والخيل وعلى [illegible] زيادة على [illegible] والعشرات يدفعونها للدولة مقادير معينة من
الخيل [illegible] عند حدوث الحرب [illegible] جميع المملكة اداء [illegible] من الكراع والذخيرة
ولا زال سلاحهم على الصور القديم وكذلك حركتهم العسكرية [illegible] منذ نحو ثلاثين
سنة ابتدأ بتنظيم العسكر على الطرز الجديد [illegible] على سنة عشر الفا
[illegible] من [illegible] ولكنه [illegible] وهرب اغلبه ولكن قد اخذ السلطان المتولي
الان وهو مولاي حسن في تنظيم الجيوش على مقتضى الطرز الجديد وارسل تلامذة الى
مدارس فرانسا وايطاليا لتعلم الفنون الرياضية والله يبلغ سعيه ويحرس المملكة

الفصل * الحادي والاربعون

﴿ المملكة الثانية ﴾

هي مملكة الجزائر وهي شرقي السابقة ويحدها شرقا تونس وجنوبا الصحراء وغربا المغرب وشمالا البحر الابيض وهي تابعة لفرانسا من سنة ١٢٢٧ وسيأتي تفصيل الكلام عليها في المقصد وانما نقول هنا ان عدد سكانها نحو خمسة ملايين ونصف واكثرهم مسلمون وقاعدة المملكة هي بلد الجزائر والاحكام السياسية والضبطية لفرانسا والاحكام الشخصية بين شرعية اسلامية وبين قانونية فرانساوية

الفصل * الثاني والاربعون

﴿ المملكة الثالثة ﴾

هي مملكة تونس ويأتي تفصيل الكلام عليها في المقصد ان شاء الله تعالى وللاجمال نقول انها مملكة اسلامية تابعة للدولة العثمانية مستقلة بالادارة وحكمها استبدادي عصري وسكانها نحو مليون ونصف وقاعدتها مدينة تونس ويحدها شرقا وشمالا البحر الابيض وغربا الجزائر وجنوبا صحراء الكبيرة وطرابلس

الفصل * الثالث والاربعون

﴿ المملكة الرابعة هي طرابلس الغرب ﴾

وهي مملكة اسلامية من عهد سيدنا عمر رضي الله عنه وكانت في ايام دولة الرومان والقرطاجنيين في غاية العمران والخصب ومن كثب لمن يجهلها فان بها الكثير من الآثار القديمة دالة على اخراج منابع الماء من العيون والآبار وحفظ ماء المطر فيها الآن قليلة الخصب والسكان فسكانها لا يتجاوزون المليون واكثرهم بادية خاصة وقاعدتها طرابلس ويتبعها ولايات مثل برقة وغدامس وفزان وبنغازي وهذه الاخيرة تارة تفرد بالادارة وتارة تتبع طرابلس وقد استولت الدولة العثمانية على هذه المملكة في المائة العاشرة من الهجرة سنة ٩٥٨ وذلك ان الدولة الحفصية التي قاعدتها تونس لما ضعف امرها

أمرها واستبد عليها الولاة في الأطراف فكان من جملة من عصى عليها والي طرابلس التي
كانت تابعة لها فجار في الأهالي فعزله السلطان الناصر الحفصي وعاقبه وولى على
طرابلس أبا محمد عبد الله بن حمدان حفص فقبل الولاية بعد امتناع طويل على شروط
أولها أن يقيم واليا إلى أن يعيد البلاد إلى أعز ما كانت عليه من الغناء والراحة الثاني أن
يستقل بالإدارة مدة ولايته بحيث لا يعارض ولا يرد أمره في شيء الثالث أن ينتخب مقدارا
من العساكر بحسب إرادته لا يقاتلهم في حياته فأجيب له ذلك وبقي في الولاية إلى أن مات
وولي ابنه الذي هو على شاكلته فاستقر العدل وتناهى في المملكة حتى بلغ النهاية
واعتادت الأهالي الراحة وتركت السلاح لعدم الحاجة إليه حتى كان ذلك سببا
لطمع العدو فيهم وذلك أنه قدمت إلى ثغر طرابلس سفينتان مشحونتان تجارة فاشترى
جميع ما فيهما رجل واحد ودفع الثمن حالا وسدد ما في ذمتهما والتجار أعقبهم وبعد
احضار الطعام أخذ لؤلؤة فاخرة ذات قيمة عظيمة ودفنها في الصابون فرآها منهم ووضعها على
الطعام قائلا هذا ديدنكم مقام العدل ثم أحضر بطيخة خضراء وأراد قطعها فلم يجد سكينا
فسأل منهم سكينا ولما سئل عن سبب عدم السكين عنده قال إن الأهالي قد هجروا
من حمل السلاح إلا ونحن في أيام الظلم والعدوان وأما الآن فالأمن والعدل صار سلاح
يحتاج له فسار من جملة أهل من الأهالي بعض المدعوين من بينهم من الاسبنيول
الحاكم في ذلك الوقت كما يرد ذكره في تاريخ تونس فأخبروا أصحاب السفن دولتهم فساروا
وهجمت في طرابلس وكان عند ذهابهم السلطان الحفصي مستنجدا بهم على أبيه فجمعت
جيش قابل على طرابلس وامتلكها باسم أحمد الحفصي الابن المذكور وجار في البلاد
أشد الجور هو والاسبنيول ولما رأى ذلك السلطان الذي هو أحد ممالك ايطاليا
تداخل بين الأهالي بالإفساد ووعدهم بحماية من الظلم وأنهم إذا أطاعوه حماهم من
الظالم ولا يتداخل في أمورهم وإنما يستولي على الحصون فقط فكان ما كان وأجرى
فيهم الأمر أولا على نحو ما وعد ثم ابتدأ بالتداخل في أمرهم فامتنع من أعيان الأهالي
وعصى خوافي (تاجوري) وكانت الحرب بينهم قائمة غير أنهم عجزوا لضعفهم عن
امتداد المقاومة فأرسلوا وفدا منهم إلى الآستانة مستنجدين بالدولة العثمانية في انقاذهم
ودعوها للاستيلاء على جميع البلاد حيث كانت هي إذ ذاك أقوى دول الإسلام وجمعت
تحت رايتها أغلب الممالك الإسلامية كمصر والشام والعراقين ولما وصل الوفد إلى
الآستانة تعجب من شكلهم كل من رآهم ولم يعدوا أحدا منهم لعتهم حتى صادف أحد

الطواشيين في القصر اساءوا في الجمع المختلط للتفرج عليهم وكان عالما باللغة العربية
فعلم القصد وكان هو الواسطة في ابلاغ هذا المهم للدولة فارسله هو على تلك البلدة
وأرسلهم معهم مع جائزة ضعيفة لانهم لا مهم لهم على الدولة لكنهما ان وصل ذلك
الوالي وعلم حقيقة الامر ارسل بتفصيل الاخبار الى الدولة و ... وأرسلوها الى وجه
الى الاستيلاء على تونس على أهبة لهم تحت رياسة سنان بيك وأمر بالتعريج
على طرابلس أولا فتملكها من أيدي الاسبان وبقيت مستقلة بالادارة وريس
للدولة عليها الا هدايا وعادات في وقت الحرب الى ان عصى يوسف باشا قرمانلي وحاربته
الدولة في أواسط هذا القرن أي سنة ١٢٥١ واستولت استيلاء تاما على المملكة
وصارت دائرتها مثل دائرة سائر الولايات العثمانية ومركز الولاية مدينة طرابلس الغرب
وسكانها يميلون للبداوة ولو أهل المدن ويحدها شرقا مصر وشمالا البحر الابيض وتونس
وغربا تونس وجنوبا الصحراء الكبيرة

الفصل * الرابع والاربعون

المملكة الخامسة هي مصر واجمال الكلام عليها انها مملكة اسلامية مستقلة بالادارة
تابعة للدولة العثمانية وقاعدتها مصر وتتبعها ممالك مثل النوبة ودارفور وكردفان
وسنار وغيرها من ممالك السودان وجميع سكانها مختلف في عددهم من الثلاثة عشر
مليونا الى الستة عشر مليونا والاخير باعتبار الاضافات اللاحقة بها أقرب وحكمها ظاهرا
قانوني بين شرعي وسياسي ويحدها شمالا البحر الابيض والصحراء وغربا طرابلس وشرقا
الشام وجزيرة العرب والبحر الاحمر وجنوبا الحبش والسودان والصحراء الكبيرة
وتفصيل الكلام عليها يأتي في المقصد ان شاء الله تعالى

الفصل * الخامس والاربعون

المملكة السادسة هي الحبشة ويحدها من جميع جهاتها السودان المصري وعدد أهاليها
نحو خمسة ملايين على التوحش والبربرية والديانة عندهم الغالبة نوع من النصرانية
واليهودية والوثنية أعني انها كانت نصرانية ثم امتزجت بنوع من تلك والحكم
استبدادي متوحش ولا يعرفون حقائق العلوم ولا التمدن ولهذا لا يعلم كم دخلها
ولا

ولا حدها وهي لا تزال في ضعف من الحروب الاهلية وبين أهلها كثير من المسلمين
دخلوا الاسلام من عهد البعثة

الفصل السادس والاربعون

المملكة السابعة فهي مملكة زنجبار وموقعها على شطوط افريقية الشرقية على المحيط
الشرقي وقاعدتها في جزيرة امام لها وهذه المملكة هي سلطنة عربية من قديم وتارة
تكون تابعة لامراء من ملوك جزيرة العرب وتارة مستقلة وفي أواخر هذا القرن
استقل ملك أحد أئمة مسقط بجزيرة العرب وهو المسمى بالسيد سعيد من اعيان ملوك
الاسلام المتأخرين وعبر السيد سعيد البحر واستولى على زنجبار وسواحلها وقرر المملكة
وانشأ فيها الحصون ورتب فيها ادارة المملكة مع نشر شعائر الدين الاسلامي وكان
من أتباع المذهب الوهابي كما أنشأ اسطولا بحريا يتألف من اربع سفن كبار حربية
ذات مدافع ومن جملة مداركه السياسية معاهداته مع الدول الاوروباوية وطمح
أنظارهم الى الجهات الشرقية وغيرها كما حصل للدول في شطوط افريقية والهند ولكن
حينئذ دولة الانكليز وحصل معها عهد حتى تكون الدولة بحماية لمملكته من تسلط
الغير لانها أقوى دولة اوروباوية وهي مشوكة في بث دعوته وفي آخر حياته ولى على
مسقط أحد ولديه وهو المسمى السيد ثويني عند موته (؟) ثم ولى على زنجبار ولده
الآخر المسمى السيد ماجد وبعد وفاته حصلت نفرة بين الاخوين وعزما على الحرب
فتداخلت بينهما دولة الانكليز وتصالحا على دفع ملك زنجبار الى امام مسقط مقدارا
سنويا بحيث ان المملكة الاولى غنية من تجارة والثانية أقوى وكانت مالكة للاولى
ثم زادت ثروة مملكة زنجبار واعتبارها بعد فتح خليج السويس لانتباه سلطانها السيد
برغش واجرائه للعدل ولاهتمامه بتمدن وعمارة جزيرته وقد زار سلطانها السيد برغش ممالك
أوروبا في أوائل عشرة التسعين بعد المائتين والألف وأخذ بجوامع التمدن
الاوروباوي في بعض شؤون مملكته لانتشاره لديه وأساس الدول ودخل
هاته المملكة في انتشار الثقة لدى دخول الدول وأما عدد السكان فهو نحو
مليونين تقريبا

الفصل * السابع والاربعون

المملكة الثامنة هي مملكة برنو وهي في دواخل القارة في الجهة الشمالية الشرقية
ويحدها شرقا وادي وجنوبا الاراضي المجهولة وشمالا الصحراء الكبيرة وغربا قبائل
بمبرا وهي مملكة سودانية اسلامية يعدل في صحتها واحوالها ما شابه مملكة مراكش
وملكها من نسل العرب ويقال من الاشراف وتختها كوكا او كوكه قرب بحيرة تشاد
اكبر بحيرات دواخل افريقية وهذا التخت منقسم الى قسمين كل قسم له سور وفيه
ميدان للتجارة منتظم وبه معامل صبغ وانسج ثياب القطنية وسلطانها مستقل
ويلقب في عرفهم بالشيخ ومن دونه يعبر بسلطان وله اقتدار ويوصف بالعلم بل يقال عنه
انه يقرأ درسا من تفسير البيضاوي ودرسا من صحيح البخاري وبالمملكة قبائل تؤدي
خراجا له وهي مركز تجارة دار وداي ولوكون ولهم صنائع في النسج وغيره ولسلطان
برنو جيش من السودان على انواع عديدة وله عسكر خاص يقدمه بين يديه على
احسن صورة واكمل خلقة اشداء لهم رماح وافراس من الحديد والكل في دروعه
حلق من حديد ماسكة ببعضها مشتملة على الصدر والابط لهم الامان ستر العورة
وباصابعهم خواتم من حديد تغني عن حمل القوس لصلابتها عند ضربه ولا يلبس
العمامة الا السلطان وهي عمامة كبرى بيضاء وللدولة المذكورة مواصلة ومهادات
لاعانة جمعية الجغرافيا على الاكتشاف ويقال انه يقدر ان يعسكر من الفرسان اربعين
من مئة الف من عموم الاهالي ويستعمل عندهم الاسلحة النارية ولغة الدولة هي العربية
وفيها العلماء وعدد السكان باعتبار الاضافات نحو ثمانية ملايين تقريبا

الفصل * الثامن والاربعون

لا يخفى ان بقية افريقية الباقية غير مكتشفة حق الاكتشاف تجربة وليس لاهاليها
من التقدم ما يماثل بقية الممالك فقد قسمها الجغرافيون الى احد عشر قسما كبرى
فاولها المعروف بالسودان ويحده شرقا ولايات مصر السودانية ويشمل دارفور ويحده شمالا
الصحراء الكبيرة ويحده غربا سنيغامبيا ويحده جنوبا كينيا العليا وبلاد الكفر
وهذا القسم يشتمل على عدة ممالك وقبائل مستقلة ﴿تنبيه﴾ لما كان غالب اسماء

هاته

هاته الحروب والقبائل منقولة من لسان أعجمى الى الفرانساوى ومنه نقلنا أغلبها ورعاياهم تحريف فى الاسم ولكن على كل حال يفيد تقريبا المقصود بالمادة ومن ممالك هذا القسم سلطنة برنو المتقدمة وأكثر الممالك التى فيه أهلها مسلمون ولهم علماء اجلة لهم تأليف فى هذا العهد ولكن الاطلاع على تفاصيل أحوالهم النسبية الينا لما كان عسرا اكتفينا بذكر الاجمالى

الفصل * التاسع والاربعون

مملكة واداى وهى مملكة اسلامية لها ملك مستقل ولها تجارة واسعة مع مصر وطرابلس الغرب ولاهلها وفاء عظيم بالعهود حتى نقلوا ان احد اهالى واداى ادعى عليه بالاسر فبيع فى طرابلس والحال انه حر وذلك قبل صيانة شرع الملك الذى هو مباح للعوف من الوقوع فى الحرم حسبما شهد لذلك ما كتبه عالم افريقية سيدى ابرهيم الرياحى من المالكية وشيخ الاسلام بيرم الرابع لاحمد باشا عند امره بعتق العبيد وكتب اليه كل من العالمين المذكورين كتابة جيدة فى امضاء رأيه ثم ان ذلك الاسير بعد ان أقام مدة وصل فيها الى سن الشيخوخة بطرابلس عتقه مالكه ورجع الى بلده وكان غنيا وبعد نحو ثمان سنين قدم على معتقه ومعه هدية ثمينة وفاء بحق الصحبة ومعه تجارة وقضى امره ورجع الى بلاده وعدد اهالى هاته المملكة نحو اربع مليون ونصف وتختها مدينة وره وعادات هاته المملكة واحكامها على نحو مملكة برنو تقريبا

الفصل * الخمسون

فى قبلة ممالك القسم المسمى بالسودان وثم مملكة كانم وهى فى الجهة الشمالية من برنو وقد كانت سابقا مستقلة ثم صارت الآن تابعة لواداى المتقدمة مع اعتبار وقائعها ثم قبيلة باكرمى وهم تابعون لواداى أيضا ومن وقائعهم ما سمعنا وهى غربى السابقة ومن غريب ما فيها ان عندهم نوع من النمل يحفر بيوته كبيرة جدا بحيث يكون ارتفاعه نحو عشرين ذراعا واتساعها نحو مائة وعشرين ذراعا وهاته الممالك والتى قبلها هى حول أعظم بحيرة فى قسم السودان المسماة تشاد فواداى من شرقيها وكانم من شمالها وباكرمى من جنوبها ومملكة برنو من غرب

عادتهم ان الرجل والمرأة اذا التقيا فاذا ابتدأ أحدهما بالكلام خط الآخر خطوطه
بالخط حتى ينتهي صاحبه فيمحوها ويرفع [illegible] صاحبه ويفعل فعله لكي لا يقطع عليه
الكلام ولذلك ترى أفواههم مغطوة عن النظر لاجل ذلك [illegible] بأن
الامري [illegible] من [illegible] منهم ما به أصابه مرض أكلوه قبل ان يتحف ولا يصرح
أحد عرض للوقوف على [illegible]

الفصل * الحادي والخمسون

مملكة ولاتا ومركزها [illegible] التي بها شعب أقوياء من السودان و [illegible]
[illegible] وهم خاضعون الى ولاتا وهؤلاء [illegible] حسن [illegible] على ما هم [illegible]
[illegible] كانوا [illegible] وأعظم [illegible] عندهم
[illegible] وأهلها مسلمون ولهم [illegible] كلهم [illegible]
السيادة على جميع القبائل [illegible]
ومن بلادهم [illegible] ولاتا [illegible]
بحرا [illegible] وأعظم [illegible] قوة [illegible]

الفصل * الثاني والخمسون

القبائل المتحدة المسماة بركوا التي [illegible] من تنبكتو وكورماوت [illegible] وقد كان الجميع تحت
سلطنة واحدة جمعهم عليها أحد علمائه [illegible] وهو من العلماء الاجلاء
من كبار [illegible] سيدي محمد الذي [illegible] وتوصل بجمع البلاد [illegible] الى ان
[illegible] التي ذكرها تحت سلطنته [illegible] في أمراء [illegible] وقعت
حروب [illegible] الى ان قتل [illegible] فقال انه [illegible] أبيض من الحرب وكان ذلك في حدود
سنة ١٢٨٣ وله عدة [illegible] وهم [illegible] وهم تجارة
مع المغرب لكنهم الآن [illegible] تحت عدة رؤساء متعاضدين على
دفع هجمات الاعداء من الجنوب والتوارق من الشمال ثم يلي هذه المملكة من غربيها
قبائل (بمبره) وقاعدتهم [illegible] وهذه القبيلة مستقلة تحت رياسة حاكمهم
ويقرب منها مكان [illegible] قبيلة [illegible] ولا [illegible] لا يعلم [illegible]

﴿القسم الثاني﴾

هو أراضي سنيغال أو سانيغامبي وهو يشتمل على عدة أمم ويحده شمالا الصحراء وشرقا قسم السودان وجنوبا مملكة جبال الاسد وكينيا العليا وغربا وبعض الجنوب المحيط الغربي وفيها جبال كثيرة ونهران عظيمان وعدد جميع سكانها نحو اثني عشر مليونا وقد استولى الفرانسيس والانكليز والبرتغال على أكثر شطوطها

الفصل * الثالث

﴿والخمسون﴾

في المستقل من سانيغال قد تغيرت دولها مقسمة الى عدة حكومات أكبرها ثلاثة الاولى بالس الثانية ماديبك الثالثة كيولوس ثم البقية صغار منه رون

الفصل * الرابع

﴿والخمسون﴾

ممالك تعلى وسوليمانه وموقعها في جنوب السابقة بينها وبين كينيا العليا وتحتها فالابا وباراهانه فيها قبائل كورانكو وتحتها كورانكو

﴿القسم الثالث﴾

هو كينيا العليا وفيها قبائل وأقسام وهذا القسم ممتد على شاطئ البحر الغربي من ... ج ... الى الشرق ثم الى الجنوب الى مبدأ خط الاستواء القاسم للارض ويحده جنوبا كينيا السفلى عند خط الاستواء والمحيط الغربي وغربا المحيط وشرقا بلاد الكفر وشمالا أقسام السودان في الاغلب وفي الاقل سانيغال

الفصل * الخامس

﴿والخمسون﴾

أول أراضي هذا القسم هي المسماة كرومان وهي قبيلة من الاعراب هناك ذات أخلاق حسان وهم أقوياء تألفهم العرب ويوجدون بالعبيد وهم في شمال كينيا العليا وعلى الاجمال فجميع سكان كينيا العليا متوحشون من السودان بينهم مسلمون ونصارى ارتحلوا الى هناك ومنهم من صار لهم فيها مستعمرات

الفصل السادس

﴿والخمسون﴾

في مستعمرات الانكليز بهذا القسم وهي الاراضي المسماة جبال الاسد. وسكانها من السودان وتختها فريتون

الفصل السابع

﴿والخمسون﴾

في مملكة ليبريا هي مملكة جمهورية مستقلة تسمى ليبريا سكانها من السودان المعتوقين من امريكا وتعرفت بها دول اوروبا من سنة ١٢٥٦ هـ ١٨٧٤ م وسكانها نحو خمسمائة الف من السودان ولها مجلس نواب الى غير ذلك من سمات الدول المتقدمة ولغتهم الانكليزية وسياستهم ساعيهم في تحرير العبيد السود في الدنيا وموقعها على الشاطئ الغربي المذكور وتختها مدينة مرنوفيا وتحت هذه الجمهورية ولاية اخرى اسمها الجمعية الحرة المذكورة ومن قانونها ان لا يدخلها الا السودان الذين يقسمون ايمانا على ان لا يشربوا مسكرا واسم تختها هربر

الفصل الثامن

﴿والخمسون﴾

في أرض شاطئ اصيل وهي تلي المملكة المتقدمة وهي من أراضي كينيا يحدها المحيط المذكور جنوبا بقرب خط الاستواء ولم يمكن للسواح التوغل والاقامة بها لفساد هوائها وان اصطلح الفرنساويون اماكن أقاموا بها وشرق الارض المذكورة الارض المسماة بشاطئ الذهب سميت بذلك لمعادنه واستعمرها الانكليزيون ببلدان كثيرة

الفصل التاسع

﴿والخمسون﴾

في دواخل كينيا العليا وفي دواخل كينيا عدة ممالك سودانية منها قبائل فاركي كانم

مع بعض شعوب قبائل اسماتى التى هى فى الدواخل المذكورة وهم مثل أمة قوية مخوفة لسفكهم الدماء حتى انهم يحبون لا دميين فى حضر كبرهم وعند انتصارهم وتختهم يسمى كوماسى

الفصل * الستون

فى قبة شطوط كينيا العليا ودواخلها ثم شرقى الشاطئ الذهب شاطئ الممالك يسمى باسم القارة الرقيق هنالك ثم فى دواخله ممالك داهومى به سكانها نحو ثمانمائة الف من السودان وطغاة ملكه عشرون ألف من العسكر منهم خمسة آلاف نساء ويضحون المئات من الآدميين فى أعيادهم. تختهم (أبومى) ثم فى شرق ماذكر ممالك (هوسا وكانا كالا) وهوى (وبالى) وشرقها ممالك (برنا) تمتد الى ان تصل الى غرب ممالك برنو وماجاورها وقد تقدم ذكرها ونزلها مملكة (أكاس) الذين التجؤا من كثرة الحرب بعضهم الى جبال صخرية وشيدوا هنالك بلاد تحصنين بها وعددهم نحو مائة ألف تحت رياسة رئيس انتخابهم وطلب رئيس حرب وأسلحتهم كثيرة وثمة واسطة بلاد الى مملكة تمبكتو وشرق السلطنة مملكة بنين وشرق هاته شاطئ كالابار ثم جنوبى هاته محاذيه على الشاطئ مستعمرة فرنساوى يسمى كبون وهو نهاية ممالك كينيا العليا

﴿القسم الرابع﴾

﴿من الاقسام الكبرى لأمريقة الجنوبية﴾

الفصل * الحادى

﴿والستون﴾

فى ممالك رأس الرجاء الصالح فى نهاية الجنوب على الشاطئ من المحيط الجنوبى رأس الرجاء الصالح وهو مستعمرة انكليز وتختها بلد الرأس سكانها سبعمائة ألف وبها شمالا فى داخل القارة ولايات صغيرة وهى ناماكاس وكوراناس وبوشماس

﴿القسم الخامس﴾

﴿من الاقسام الكبرى بلاد الكفر﴾

وهو شمالا الرأس وهو أراض واسعة عظيمة تنتهى الى الشاطئ الغربى والشاطئ

الشرقي وتتوغل في القارة وتسمى بلاد الكفر ومنهم قبائل الزولوس وقبائل ناتال وجمهورية اورانج وجمهورية ترانسفال وبلاد البشوانا وبلاد ازناتو

الفصل * الثاني

﴿والستون﴾

فاما الزولوس فهم أقوياء أشداء أهل حرب وقد حاربوا الانكليز سنة ١٢٩٦ كما هي عادتهم وهزموهم ومات في هاته الحرب ابن نابليون الثالث امبراطور الفرانسيس لترؤسه على عسكر انكليزي ثم دمر الانكليز الزولوس وأسروا ملكهم ثم لدى تعقد نفسه كما كان في الاول وحصلوا الانكليز على شروط استقلال ادارتهم

الفصل * الثالث

﴿والستون﴾

وأما أراضي ناتال فسكانها انكليز وهولانديز وزولوس وباسوتوس بربريس وهنود وجميعهم نحو أربعمائة ألف نسمة وتختها ماريس بورك

الفصل . الرابع

﴿والستون﴾

وأما جمهورية اورانج وهي شمال رأس الرجاء وسكانها من الكفر المسمون بوشوانس وهولانديز وتختها بلومفونتين ولهم رئيس ومجلس شورى ومجلس نواب وديانتهم بروتستانت وهناك قبيلة من الكفار مستقلة تسكن بالجبل الازرق

الفصل * الخامس

﴿والستون﴾

وأما جمهورية ترانسفال وهي واقعة في بلاد الزولوس وعددهم نحو ثلاثمائة ألف وثلاثين ألفا وتنقسم الحكومة الى أربعة أقسام لكل مجلس ورئيس ومندوب كاتب وتختها

وتختها بوتش شيفستروم ومن قوانينهم ان رئيس جمهورية مدته اثنا عشر عاما والادارة الحكومية بيد ثلاثة نفر

الفصل * السادس

(والستون)

واما مملكة بادجونه وتختها كوروومان وبجوارها مملكة ونانتو وهم فاسدوا الاخلاق حتى يشربون بالمعزل وعقولهم ردية حتى انهم يدخلون منازلهم يمشون على ايديهم وارجلهم كالحيوانات وفي كلامهم اضطراب لسانهم ثم وفي شمالها نهر اوريج صحراء تسمى كالاهاري لاماء فيها ولا نبات الا اذا صب المطر فتنبت عروقا وبطيخا بكثرة ويوجد الفيل هناك بكثرة والجاموس والزرافة والنعام والكركدان وهناك نوع من البشر وحشي يصطادونه كما يصطاد السبع ثم اراضي ارنيز يسكنه نوع من السودان يسمى ماتيوبا واندبي وكولولو وغيرهم

(القسم السادس)

من الاقسام الكبرى كينيا السفلى وهي على شاطئ المحيط الافريقي يحدها شمالا كينيا العليا وغربا المحيط وشرقا بلاد الكفر وجنوبا قسم الراس وهي ارض غنية بها نوع من القصب يسمى بانبو يدوم من الازمنة الى خمسة آلاف سنة وساق شجرته محيطه نحو ستين ذراعا وبها نوع من القردة اكثر شبها بالانسان الكبير ونوع من الذباب قتال للبهائم واغلب السكان من السودان وحشيون ومنقسمون الى عدة عمالات

الفصل * السابع

(والستون)

في ممالك كينيا السفلى فالاولى تسمى لوانقو وتختها بولي ثم عمالة كاكونكو وتختها كين كلي ثم عمالة نكويو وتختها كابندا ثم عمالة كونكو وتختها سر كوندي ثم عمالة انكولا تحت استعمار البرتقال وتختها لوندو ثم عمالة بنكالا للبرتقال ايضا وتختها صان فليب وهذا سكانهم نحو ثمانية آلاف من السودان ولكل حاكم وفي جنوبها صحراء سيم بيارى

﴿القسم السابع﴾

من الاقسام الكبرى هو المسمى موزمبيك وهو شمالي بلاد الكفر على الشاطئ الشرقي للمحيط ولا يعرف منه الا الشط وهو مستعمر للبرتغال وينقسم الى سبع حكومات

الفصل الثامن

﴿في السودان﴾

في ممالك هذا القسم وهي مركز وانهباك وسوفالا وسينا وكليماني وموزمبيك ودلكاد ويعد هذا القسم شمالا ممالك الزنجبار التي تقدم ذكرها

﴿القسم الثامن﴾

من الاقسام الكبرى قسم سوموليس وهو في الشرق الشمالي من زنجبار ويحده شمالا جون عدن وشرقا المحيط وجنوبا الخط وزنجبار وغربا زنجبار

الفصل التاسع

﴿في السودان﴾

في ممالك هذا القسم وسكانه من بربر وبربرية الشمالية والعرب والسودان وهاته المملكة هي المسماة بربرة ونشأ وتوطنها الدولة العلية ثم سلمتها لمصر بارادة في [illegible] وفي [illegible] ابناء بلاد عدل واعل سكانها مسلمون ولهم امام من العرب وفي الشمال الغربي منها بلاد هرر وفاء مدينة هرر وسكانها نحو القبائل الغا كلهم مسلمون على أوصاف جيدة وبلادهم خصبة ذات انوار والتجار آمنون ولهم تجارة واسعة مع اليمن وغيره مع خصب الارض وسلامة الهواء في أغلب الجهات وهي داخلة في الممالك التابعة لمصر

﴿القسم التاسع﴾

﴿من الاقسام الكبرى﴾

هو القسم المجهول وهذا القسم الكبير الاوسط من افريقية الجنوبية مجهول ويحده شرقا زنجبار وما حولها وغربا كينيا السفلى وما حولها وشمالا برنو وماولاها وجنوبا بلاد الكفر ويعرفونها خط الاستواء ويمتد منه جنوبا نحو عشرة درجات وكذلك شمالا

ولا

ولا يعرف منها عند الجغرافيين الا ثلاث ممالك أولها مملكة كازمب وتختها لوسندا وثانيها أوبيام ورى وتختها كرح وثالثها اوجيجى وتختها كاولى

﴿القسم العاشر هو الجزائر البحرية﴾

واما الجزائر التابعة لافريقية وهى فى المحيط كالجزائر الاعتبارية الاجورية وسنتياجو المقابلة لحوض كمبيا فى دواخل المحيط وانما اشتهرت لكونها محطات بحرية الاول منها فى أسر الانكليز واغلب تلك الجزائر فى تملك دول أوروبا الا ما يتبع زنجبار وكذلك ما يتبع جزيرة مادغسكار التى هى الجزيرة الوحيدة فى افريقية فى المحيط الشرقى تجاه شاطئ موزمبيك كما يأتى

الفصل ❁ السبعون

فى مملكة مادغسكار او كسكار وهى من الجزائر الكبيرة المعتبرة فى الدنيا وهى غنية وفيها انوع من السباع اسمه ماكى وهاى هاى وغيره من حيوانات البر المعروفة وسكانها مختلطة ملايين وكلهم من السودان ونوع يسمى هوواس يظن انهم من نوع سكان الهند وعددهم نحو خمسمائة الف والدين العام هو الكفر من عبدة الاوثان والجميع تحت حكم واحد وعليهم ملكة اسمها رانافالو الثانية وقد أمرت باحراق جميع آلهتهم وهدم جميع معابدهم وأمرتهم بالديانة البروتستانتية فأطاعوها وهم على ذلك الآن لكنهم بالاسم فقط اذ لا يعتقدون شيأ وكان ذلك الامر فى سنة ١٨٦٨ وتخت المملكة مدينة تناريبو وقد اكتشف هذه الجزيرة العرب قبل ان يعمروها أهل اصين وأهل ملالاى

﴿القسم الحادى عشر﴾

من الاقسام الكبرى قسم الصحراء وتنقسم الى ثلاثة أقسام (أولها) صحراء المغرب (وثانيها) الوسطى أو بلاد التوارق (وثالثها) الشرقية أو بلاد التيبوس فالاولى هى بين مراكش وسنيغال على شاطئ المحيط الغربى والشاذلى فى ابحر علوه صحرا والريح العربية تخرج من البحر الاطلانتيك فيصير رملها منتقلا وقد تحقق ان وسط هاته الصحراء يكون الرمل دائما منتقلا الى الجهة الجنوبية الغربية وكان ذلك أحد أسباب عدم النبات بها وتسمى هاته الصحراء بالساحل ويوجد بها عدة جزائر

بالنبات على خط واحد لقلة وجود ماء جار على صفحاته تحت الارض أو ندى والقوافل
غدواتها على بعضها لتسقى من آبارها ولتتزود من عشبها

الفصل الحادى

والسبعون

في ممالك الصحراء الغربية ويسكن بجهاتها الآن في بعض الاوقات نوع من البشر
يسمون زنقا وكذلك التوارك والعرب يجذبهم الى هنالك ربح تجارة العبيد وكلهم
يغيرون على القوافل المارة عليهم وتارة يسرقونهم وتارة يبادرون معهم هذه الطريق
والاصليون من سكان الصحراء المذكورة مسلمون وهم مركبون من عرب بنى حسن
الذين يقال انهم رحلوا من اليمن في القرن الحادى عشر الى بلادنا وفيها عمالة تسمى
تيريس في شمال الصحراء على الشاطئ تنبت الحبوب ثمن العرب والسنيغال
ورعاة رعى حيواناتهم دون زراعة لكثرة الخصب وسكانها اولاد دليم وهم اقوياء
شداد مقاتلون ويخترقون الصحراء لاجل شن الغارة ويغيرون بالحرب وفي جنوبها
بلاد بها شجرة صمغ يتزودونها الى الجنوب على الصحراء الى بلاد تنبكتو وكان في صحراء
المغرب سوقا تسمى ادرار على نحو ثلاثين ميلا من سنيغال وبها جبال كثيرة
وبلدان وقرى وتحتها تسمى وادان وسكانها من عرب وبربر ثم جوار تاغانيت كان
يسكنها قبائل رعاة وتحتها تيشيت ثم خزائر والاراضى الجنوبية لصحراء بلادها
ضاربة في الجنوب وتحتها كساء ابعرب سانيغال بلاد ترارس و بركاس وبلاد
سيدى هاشم الذى كان دخل الى مراكش

الفصل الثانى

والسبعون

في ممالك الصحراء الوسطى وأما صحراء الوسطى فيسكنها العرب المنتقلون الى هنالك
بالاستيطان والتوارك ويمتدون من حدود فزان ببلاد طرابلس الى بحيرة تشاد ومركز
قوتهم في رباط على شكل مثلث وبه جبال كثيرة ونهيرات وثلاثة جبال كبرى بجبل يسمى
غات وخارج المثلث المذكور جهة الجنوب الغربي بلاد اوداو وهذه الجهات صحراء
والتوارك يسمون انفسهم ايموشاك بمعنى مستقلين واشراف واسم التوارك اطلقه

عليهم

عليهم العرب وهو معنى التركيب لمركبهم لحق في الصدر الاول (وأما) الآن فهم
مساوون وأهلهم تسمى تاماشك وينقسمون الى عدة قبائل طوارق هقار في جبال هكار
وطوارق أزقر في جبال غات وطوارق مويدير في جبال سكارت وطوارق العوقاس وفي
الجنوب جهة تنبكتو طوارق الصراح وطوارق أنتهو وأولاد احمد والعباءل وتالموي
وجميع هؤلاء القبائل ينقسمون الى اربعة اقسام كبرى وهي طوارق هكار وطوارق ازقر
في غات وطوارق كاوي وطوارق اوليميدن في شرق تنبكتو والقسمان الأولان معروفان
بكثرة التجارة معهم من الجزائر ويدعون أنهم أشراف لبربرهم بعض حسان الخلقة
شجعان يحملون الرماح والسيف والمكحلة اي البندقية والسكين ويركبون الهجين
السريع للغاية مع قوته ويلبسون قميصا أبيض أو أسود وعلى رؤسهم شواشي طوال ولثام
بحيث لا تظهر الا عيناهم ولهم ملك يحكم مع كبار القبائل وولد أخت الملك هو وريث الملك
(هكذا) قانونهم وحكمهم ليس بهذه [illegible] بل لهم نوع من الحرية ومن عاداتهم
ان لا يتزوج الرجل الا امرأة واحدة شرعية ولعدم [illegible] دياناتهم الآن الاسلام لبسوا
[illegible] فيها [illegible] هي حالة [illegible] ولهم [illegible] كبيرة للغاية ولهم
وبل يحمل الاثقال وهجان للركوب ولهم نوع من الخيل من أجود الجياد وفي جزائر
الصحراء لهم خيل كثير ولقب [illegible] هم الدارسون للقوافل المارة في بلادهم بين
شواطئ [illegible] فيه [illegible] واسود [illegible] معروفة و [illegible] من
على مسيرة ثلاثة وثلاثين يوما [illegible] والامارة [illegible] هذا [illegible] كثير
وهو أصعب طريق بين السودان وطرابلس ومن شهر [illegible] الى [illegible] فيجتمع
في بلاد غات أزيد من ثلاثين ألف جمل بحمالها وفي الجنوب الغربي هضاب على
جبال هقار تكادان تسمى [illegible] بقمة لانها جبال ذات [illegible] ووهادات
تسقى من عيون غزيرة ويدوم فيها الثلج من ديسمبر الى مارس ومن هاته الجبال منبع
أعظم أنهر الصحراء المسمى ايغرغر ويذهب جهة الشمال وينقطع قرب تقرت
في حدود الجزائر وهي مسكن لطوارق [illegible] من جاورهم [illegible] وشجاعتهم
واكثر بلادهم تسمى [illegible] وفي الشمال الغربي [illegible] كثير [illegible] توات
المكونة من عدة جزائر نباتية متقاربة و [illegible] نوع من الشجر يسمى [illegible] هو أحسن
فحم للبارود وأرضهم خصبة تجمع النبات ولهم حيوانات كثيرة والسكان [illegible] طيبون
مسلمون متصلبون ويتجرون مع المغاربة والجزائريين [illegible] والسودان وأكبر

مدنها بنميوم وادرار وتامنتيت وتجتمع الطرق فى بلد أولف ولذلك كانت موقعا
مهما للحرب وفى الجنوب عمالة ابر فى طريق السودان وهى متكونة من جبال
صخرية وفى الاودية يبت كل نبات وفى شهر صغر تنزل أمطار غزيرة و اسكان
يسمون كاوى أصلهم ما بين اتوارك والسودان وتجتهم تسمى اوكاديس ولهم ملك
يمكن بها وفى حدود السودان بتوغل فى الجنوب ايالة دامركو وفى لقرب منها اقرب
نهر دور يبا ايالة والى ما نبدن وبها بلدة مبروك لو قعة على الطريق بين تنبكتو
وغات

الفصل الثالث

﴿ والسبموب ﴾

فى مملكة الصحراء الشرقية وأما لصحرا الشرقية المحادية لمصر من غربها فهى ابيت
كيفية لصحراء لانه بها الرمل نوع من الملح كثير و بها جبال لونها صاصى
أو أصفر و ماربامن الرمل رحالة الى جهة الجنوب وجهة العرب وسكانها يسمون
تيبوس من السودان من نوع اقانورى النابع اربو وينقسمون لى عدة قبائل وهى
الرشاد وقران وبركو وباتلى وعمرها الطريق ما بين مرزوق الى كوكا ممتدة على سلسلة
من الجزر المتتابعة طويلة جدا وأكبرها تسمى كوار وهو حقيقة تسمها اون سموها
باقما ويوجد فى هذا القسم جزائر أخر وهى تبستى وبركو وموقعها بين مرزوق
ووادى ثم جزيرة كوفارا التى بها بلدة كابو لواقعة فى الشمال وجهة الشرق من
هذا القسم تسمى ليبيا بها بعض جزر تابعة الآن لمصر وهاته الاماكن التى عبرنا
عنها بالجزر تسمى فى العرف بواحات (والخلاصة فى مربقة) ان جميع سكانها عدى
الممالك الشمالية وممالك التى على الشطوط خصوصا ملبون وأهم الشطوط بيد
ممالك اوروبا ولهم فيها حكم استبدادى عن عاقلة وند عدا انهم يستعلون القوة
القاهرة توحش السكان و نقبة اسكان غير الممالك التى مر ذكره بتحصيل حالتها
هم أناس متوحشون كالحيوانات العجم ودأبهم غزو بعضهم بعضا ولبعضهم رؤساء
يامرون بالسلب النهب ويجرون الحكم الفورى ولهم عادات مبنية على خرافات وعامهم
اشد الناس تعلقا بالسحر وزعامته وبعتقدون لهم من التاثير أمورا عجيبة يكاد
لسامع أن لا يصدقها حتى ان بعضهم يستعمل السحرة فى الحرب بل و يعتمدون فيهم
الاحياء

الاحياء والاماتة ومن هذا القبيل فى حكاية ما يعتقدونه ما أخبرنى به ثقة عدل راويا
عن ولده الذى هو منه له انه رأى من عجائب سحرهم ان قبيلة وقوم من دأبهم
التجارة ويرحلون لاجلها الى بلد قصى من بلادهم السودان فيتهيأ لذلك كل عام
نحو ثمانية أو عشرة من كبرائهم أهل السحر ويعلنون بذلك فلا يزال الناس يأتونهم
بأقربائهم ووكلائهم المريدين للسفر ويستودعونهم عندهم الى ان يجتمع منهم آلاف
كل منهم يحمل بضاعته على عاتقه ويسافرون (هكذا) مشاة فاذا مات أحد المستودعين
اجتمع السحرة واخذوا شيئا من نوع شجر عندهم لكى لا يفسد جسده ثم يأخذون ذنب
بقرة مصنوع فيه السحر على زعمهم ويمسكونه بيده ثم يوقفونه ولا يزال سائرا معهم الى
الليل فيجدونه ميتا (وهكذا) ذهابا وايابا وبضاعته على عاتقه وهو ميت الى ان يرجع الى
صاحبه. ولولا تواتر الاخبار بمثل ذلك فى أنواع سحرهم لما ذكرناه هاهنا للعلم بأحوال
ما يعتقدونه وديانتهم شئ من أنواع الكفر وبعضهم يعتقد الالوهية فى ثعابين
أو عقارب أو حيات أو اصنام أو ملوك حتى اعتقد قوم منهم فى صائغ أبيض انه الشمس
وعبدوه ولما اراد الرجوع خاف على نفسه منهم من عصبيتهم على البقاء بين أظهرهم الى
أن اختفى وعدا وهكذا يعتقدون الالوهية فى كثير من الحيوانات وبعضهم له لباس
وبعضهم عراة بالمرة ولفساء كالحيوانات المشتركة وبعضهم يستتر على العورة
الغليظة وبعضهم يلبس شيئا من الثياب وبعضهم يسكن تحت السماء ويتقى البرد
والحر بظل الاشجار وبعضهم يتخذ بيوتا من الحشيش أو أغصان الشجر وبعضهم له قرى
وهم يتفاوتون فى هاتيك الحالة شدة وضعفا وفى هؤلاء الاقوام قدر من المسلمين وهم
على توحشهم أحسن حالا من غيرهم لان الديانة هذبت من أخلاقهم نوعا ما وان كان
بعضهم لا يعلم من الديانة الا الانتساب اليها وبعضهم يعلم الكلمات الخمس الواجبة اجمالا
من غير معرفة تفصيلها واذا قام أحدهم الى الصلاة يصير يركع ويسجد من غير عدد
مخصوص لانهم انما يعلمون وجوب الصلاة التى هى قيام وركوع وسجود من غير تفصيل
ولا عدد ولا ترتيب وهكذا يوجد فى افريقية أقوام ينتسبون الى الديانة النصرانية
واليهودية وليست على قواعدها المعروفة ولا تزال الاوروباويون يرسلون دعاة
لادخالهم فى النصرانية هم وغيرهم من أمم تلك القارة كما يرسلون سواحا للكشف عنها
وتحقيق ما فيها وكأنها الآن ثبت أن تصير مطمح الانظار وعرضة للتقدم فقد اعتنوا من كل
الجهات بالبحث عن ذلك رغبة فى ازدياد التجارة والربح ونجح كثير من سواحهم فى

الحصول على اكتشافات نافعة من خصب أرضها وكثرة سكان ووفور معادن وغير ذلك
من حيوانات وحشية وأهلية لجاولوه في التجارة والاعواض في صناعات البلدان التي
شاهدوها كثيرة مفيدة وعلى الاجمال بقاء بعض قارة افريقية لا تزال غير معروفة حق
المعرفة الا ما تبينا منها منذ زمان وقد رأيت أبيات للشيخ احمد بابا التنبكتي وهو عالم مشهور
من علماء السودان في أوائل هذا القرن قدم من بلده تنبكتو وقالها لما مر مارا على المغرب
وتونس وهذه الابيات تفيد معرفة أسماء قبائل من السودان ومعرفة ديانتهم وهي

كل لدى من صنف متش ودما * عالك بالكفر عليه فاحكما
كذاك كرم كنذ كل وربا * تنبع وركبس وبوما كنبا
فهم مجوس فيهم السباء * وبعضهم مجوس والنمرة
واحكم بالسلام بلاد برنو * كشنكاع وكنو وصنغو
مولى وكوبر وصنفي كذلك * وجل فلات وبعض زكزكا

﴿القسم الرابع من الارض﴾

هي قارة أمريكا يدعي علماء أهل العصر ان هاته القارة كانت مجهولة عند القدماء
الى سنة ١٤٩٢ مسيحية الموافقة لاوائل القرن العاشر من الهجرة فاكتشفها رجل
اسمه كريستوف كلومب وهو من أهالي جنوه متقنا صناعة الملاحة وهي اذ ذاك
تستلزم معرفة الحروب لكثرة الحروب البحرية سيما في شطوط أوروبا وكان الذي في
فكره وجود أرض وراء المحيط الغربي وعزز خيالات بمعرفته بالجغرافيا ورسم
الخارطات فسعى في ذلك مع ملك البرتغال ثم مع ملك جنوه وخاب أمله وبعد محاولات
الطول بالمدة بلا مالكة اسبانيا في مدة ثمان سنين حصل على المساعدة بثلاث سفن
والعهد اليه بأن يكون خليفة الملك على ما يكتشفه وأحد العشر من المداخيل لمدة ثم
بعد مقاسات شديدة له من الملاحين الذين أرادوا قتله لما يئسوا من نجاح كان سعيه بالنجاح
بعد سبعة وعشرين يوما من شطوط اسبانيا الى جهة الغرب وأول جزيرة اكتشفوها
سماها سن سلفدوري ولا زال يكتشف جزائر بعدها اخرى كانت في غاية النضارة
وسذاجة الاهالي وسلامتهم حتى انهم عراة نساء ورجالا ولونهم ذهبي ويبنون بيوتا
من أغصان شجر وبعض الخزر يعملون العري من الحجارة والطين وكشف فيهم على
البطاطس والتبغ اللذين لم يكونا معروفين من قبل وهكذا اكتشف بها على
الطماطم

لعلماء التي يقال انها هي السبب في حدوث المواد الطرية في القارات لانه لم يكن
معروفا هذا المرض من قبل حتى سمي بالحب الافرنجي نسبة الى الافرنج لانه عرف منهم
بجلبهم للطاعون وسيأتي الكلام ان شاء الله تعالى على وجه تسمية اهل اوروبا بالافرنج
ثم ان كلمبوس رجع الى اسبانيا وعاد باسطول وعاد كرا كثيرة حتى اتى به سابقا ولم
يبق هذا ثم قدم بعده بمدة رجل يقال له امريكوس وهو الذي اكتشف على امريكا
الجنوبية وبه سميت جميع القارة وتحقق انها كانت معروفة سابقا وكذلك طريقها
من جهة المحيط الغربي ودليله انهم اثبتوا ان اهالي النورويج كانت لهم تجارة ومعاملة
مع اهالي كريلاندا من امريكا الشمالية من مدة القرن الثالث والرابع من الهجرة حيث
ذكروا ان رجلا من اهالي اسكاندناوي هي الآن من ممالك الدانمارقة وكانت اذ ذاك
تحت حماية النورويج ساقته الرياح في ذلك الزمن في ابحر شمالية الى ان وصل الى
كريلاندا ثم رجع الى بلاده وصار لهم اتصال معهم غير انهم لم يتنبهوا لزيادة اكتشاف غيرها
ومما يدل على ذلك ايضا ان الاشارة كبيرة جدا وكذلك رأيت في خريدة ابن الوردي انه قال
ما معناه ان وراء الجزائر الخالدات بحرا مظلما فيه جزائر عظيمة جدا ومواحل كثيرة وقد
وصل اليها احد المغاربة عن غير قصد بطرد الرياح ثم رجع منها بعد ان ايس من
الحياة ووصفها ووصف جملة مما اكتشف من بعد واتصل في المحيط الغربي
بحر الظلمات لانه تتكاثف فيه مواد الابخرة حتى يصير مظلما بالليل والنهار
كما هو مشاهد لان جميع المسافرين من اوروبا لامريكا حتى تضطر المركب عند عبورها
ان تصرخ بعد كل دقيقة ببوق لتدرك لا تتصادم مع غيرها لان نور الشمس
محجوب ونورها ضعيف لا يعرف به كانه لا يخرق وكذلك نقل لي ثقة انه رأى في بعض كتب
الشيخ محيي الدين ابن العربي ان وراء المحيط ارضا من بني آدم وعمرانا وهو في القرن
السادس رضي الله عنه فيدل هذا على معرفة هذه القارة من قديم واعلم انه يتضح تمام
ما لاهالي هذه القارات لم يعرف الا مدة قريبة ثم ان هذه القارة العظيمة التي تعد
نحو نصف الارض المسكونة هي محيط بها البحر من جميع جهاتها وبعضها عن غيرها
من القارات الاخرى الجهة لقطب الشمالي الى اربعين درجة بعيد وبعضها فهي مجهولة كما
ان القليل من الجهات الشمالية وسط ساحلها لم يعرف بالتحقيق وهكذا الوسطى من
الجنوبية وجميع القارة تنقسم الى شمالي وجنوبي ويوصل بينهما برزخ من الارض
ضيق يبلغ في بعض الجهات الى اربعة وعشرين ميلا يسمى برزخ بناما وقد ارادت في

هاته المدة جمعية فرساوية تحفر حتى يتوصل من المحيط الشرقي الى المحيط الغربي
بقصر في المسافة وكأنه يتزعزع قريب وسكان جميع هاته القارة يبلغون الى نحو السبعين
مليونا ولو أضيف اليهم أربعمائة مليون وسعتهم الارض وقامت بجميع ثروتهم واكثر
أولئك السكان من أهالي أوروبا وآسيا وافريقيا والاصليون قليلون ثم تنقسم القارة
الى عدة دول

الفصل . الرابع

﴿ والسبعون ﴾

المملكة الاولى دولة امريكا المتحدة وموقعها في امريكا الشمالية وتمتد من الشرق الى
الغرب على جميع القارة ويحدها شرقا المحيط الغربي ويحدها غربا المحيط الشرقي
ويحدها جنوبا خليج مكسيكو ومكسيكو وجزائر كاليفورنيا ويحدها شمالا الاملاك
الانكليزية والبحيرات الشمالية وسكان هاته المملكة نحو ستين واربعين مليونا
مقسمون الى ستة وثلاثين حكومة كل حكومة مستقلة بدرايتها الداخلية ويحكمون في
الامور العامة مما يعود الى مصلحة المجموع ويخضعون لجميع البلاد واشغالهم يتركب فيها
مجلس من جميع الحكومات وينظر في مصلحة الجميع ورئيس هاته البلاد هو رئيس
جميع الدول التي هي جمهورية وهي التي لها المعاملة السياسية مع الدول الاجنبية
ورياسة العساكر البرية والبحرية وسير الدولة وقوانينها مثل سير الدول الاوروباوية لاكثر
حرية وتقدما ولازالت تتقدم في الحضارة والمعارف والقوة حتى كان لها الشأن العظيم
وصار لها الاعتبار التام عند جميع الدول وكانت سابقا من مستعمرات الانكليز
ثم استقلت سنة ١٧٨٩ أوائل القرن الثالث عشر هجريا وهاته هي أسماء الحكومات
المركبة منها العصبة وهي (نيوهمشير) و (مساشوست) و (رود ايسلاند)
و (كنكتيكوت) و (نيويورك) و (نيوجرسي) و (بنسلوانيا) و (دلاوار)
و (مريلاند) و (ورجينيا) و (كارولينا الشمالية) و (كارولينا الجنوبية) و (جاورجيا)
و (ماين) و (فرمونت) و (متشيغان) و (أوهايو) و (انديانا) و (الينوي) و (كنتوكي)
و (تنيسي) و (الاباما) و (فلوريدا) و (مسيسيبي) و (لويزيانا) و (وسكونسن)
و (ايووا) و (ميسوري) و (اركانساس) و (كنساس) و (نبراسكا) و (اريغون)
و (منيسوتا) و (تكساس) و (كاليفورنيا) و (واشنطون) وهاته الاقسام تكونت
شيئا

شيئا فشيئا وأول ما تم منها الثلاثة عشر الأولى ما تفرقت كما تقدم ثم منهما أتم قسم
شروط العمران والدخول في العصبة قبل ولهذا ارتقت بعض أقسام إلى الآن تتمم
في استعدادها لكي تدخل في العصبة وسكان هاته الممالك من الغرباء وأطردوا السكان
الأصليين إلى شمالي القارة والأصليون يسمون بالهنود لشبههم بهم في اللون والخلقة وقد
تهذب منهم أفواج ولازال أغلبهم على التوحش يسكنون مع الوحوش أما الغرباء فقد
داموا الغاية في التمدن والحرية فمن حريتهم أن ولي رئيس الجمهورية عندهم رجل
صناعته الحدادة حيث كان مستكملا شروط الأهلية ووقع عليه الانتخاب وذلك في
عشرة ثمانين ومائتين والف كما تقدموا في فنون المعارف الرياضية والسياسية
واخترعوا أشياء عجيبة من الكهرباء والأبخار فأول ما عرف استعمال البالون أي القبة
الهوائية للاطلاع على أحوال العدو في الحرب في هاته المملكة عندما كانت الحرب
مستمرة بين الحكومات الشمالية من الدولة المذكورة والحكومات الجنوبية منها
التي نشأ بسبب منع العبودية فإن الجنوبيين أصروا على إبقاء بيع العبيد وبقيت
الحرب بينهم عدة سنين وذلك في عشرة الثمانين من القرن الثالث عشر من الهجرة
فمن الاختراعات في ذلك الحرب أن أصعدوا ركابا في قبة الهواء متصلين بأسلاك
كهربائية يخبروا مراكز الجيش بأحوال جيوش العدو لهم مرور على جبال أوروبا ومن
ثمرات قوة الاختراع التي ظهرت عندهم الطريق الحديدية التي وصلت بين شطوط
المحيط الشرقي بشطوط المحيط الغربي وكان يوم تمامها يوما مشهودا احتفلت له جميع
البلاد وآخر مسمار انتهت به صناعة الطريق صنع من ذهب ودق بطرقة من فضة
ورتبت عند آخر دقة أسلاك الكهرباء إلى جميع البلاد فعند آخر دقة على المسمار
حصل لهم علم بذلك في آن واحد ولهم ثروة عظيمة بالمعادن جدا سيما معدن
الذهب في كاليفورنيا الذي ينبعث منه الذهب بمقادير عظيمة وهكذا الصنائع والتجارة مع
الأمن العظيم والاطمئنان لهم وقد تملكت هاته الدولة بالشراء من الروسيا
أملاكها جهة الشطوط الشمالية من جهة غربي القارة

الفصل * الخامس

(والسبعون)

في بقية ممالك أمريكا الشمالية (قولنا) مستعمرات الانكليز في القسم الشمالي

حاد للممالك السابقة الا انها ارستقراطية وهى يجرى فيها الحكم الارستقراطى بنوع امتياز (وثانيها) ما اتى ماذكرناها وهو قسم الوحشيين الاصليين وبقية اقسام المريدة للدخول فى العصبة السابقة

الفصل * السادس

﴿ والسبعون ﴾

(وثالثها) مكسيكو وهى تلى البلاد المتحدة جنوبا واستقلت اواسط هذا القرن من تسلط اسبانيا عليها ولكن لم تزل ساخرة فى جميع انواع عمرانها حتى الآن لاختلاف سكانها وحكومتها الآن جمهورى وعندما كشف الاسبانيول عليها وجدوا فيها أمما فيهم بقايا التمدن ولهم ملك ولم يوجد فيهم من آثار التمدن ما يدل على تقدم أهاليها ودونهم قديما وعدد سكانها نحو تسعة ملايين وعاصمتها مكسيكو

الفصل * السابع

﴿ والسبعون ﴾

(ورابعها) أمريكا الوسطى وهى تلى السابقة جنوبا وحكمها جمهورى وهى أقرب الى الخراب لانقسام الفتن بين أهاليها وانفصلت ايضا عن اسبانيا فى اواسط هذا القرن

الفصل • الثامن

﴿ والسبعون ﴾

(وخامسها) الجزائر الكثيرة المتفرقة وهى تابعة أما لنفسها وتحت حماية الدول متفرقة من أوروبا كانكلترا واسبانيا وفرنسا وهولانده والدانيمرك والسويد كما ان لهؤلاء الدول أملاكا فى القارة الجنوبية وأكثرهم انكليز واسبانيا والانكليز وحقيقة عدد السكان مجهولة لكثرة الوحش وعدم اعتناء الدول الكبرى بتهذيبهم وقد جربوا ان كل من تقدم منهم تجنح للاستقلال بادارة نفسه ومع ان عدد السكان قليل فى جهة ثم ان بقية القارة الجنوبية تشتمل على دول شتى

الفصل * التاسع

﴿والسبعون﴾

فالدولة السادسة كلومبيا المقسومة الى ثلاثة أقسام كل منها مستقر تحت الحكم الجمهورى وعدد جميعهم نحو ثلاثة ملايين وهم على حالة التأخر وموقعها من مبدأ البرزخ الموصل بين القارة الجنوبية والشمالية يقسمها خط الاستواء متصلة بالشاطئ الغربى والشمالى والشرقى

الفصل * الثمانون

(والسابعة) دولة بيرو وسكانها نحو مليون ونصف وحكمها جمهورى وموقعها على الشاطئ الغربى جنوبى المملكة السابقة

الفصل . الحادى

﴿والثمانون﴾

ثم يلى ما ذكرنا يمتد الى الشطوط الشرقية وعلى جميع سواحل القارة لدولة الثامنة وهى برازيل وسكانها نحو سبعة ملايين ونصف وحكمها ملكى مقيد بقوانين ويوجد فيها عدة آلاف من المسلمين أصلهم من سودان افريقية ولكنهم لا يعرفون الا كتابات لدينية على سبيل الاجمال كما يستفاد ذلك من رحلة عبد الرحمن بن عبد الله البغدادى لذى كان اماما فى بعض سفن الدولة العثمانية وسافرت الى البصرة على طريق البحر المحيط الغربى على بحر طارق وصادفتهم زوابع فطرحتهم عن غير قصد الى شطوط برزيل ولما خرجوا الى التفسح فى البر اقبل عليهم أقوام مسلمون وطلبوا ابقاء الامام عندهم لتعليم الديانة فبقى هناك مدة وألف رحلته المختصرة المترجمة الى التركى المسماة مسلية الغريب وكان ذلك فى سنة (١٢٨٢) ولا يبعد أن يكون فى جميع امريكا أمم كثيرة من المسلمين ولا يجدون من يهديهم ولا حول ولا قوة الا بالله

الفصل * الثانى

﴿والثمانون﴾

وبين بيرو وبرازيل الدولة التاسعة وهى بوليفيا سكانها لا يبلغون نصف مليون وحكمهم جمهورى

الفصل * الثالث

﴿والثمانون﴾

والدولة العاشرة هى الشيلى سكانها نحو مليون وربع وحكمها جمهورى وموقعها على بقية الشطوط الغربية الى نهاية القارة فى الجنوب

الفصل * الرابع

﴿والثمانون﴾

والدولة الحادية عشرة دولة سيوداس ايرس ويقال لها لاپلاتا وهى وسط القارة الجنوبية تحدها شيلى من الغرب والمحيط الشرقى وبرازيل من الشرق وسكانها مجهولوا العدد وحكمها جمهورى

الفصل * الخامس

﴿والثمانون﴾

الدولة الثانية عشرة أوروكواى هى جنوب برازيل سكانها نحو مائة وخمسين ألفا تحت الحكم الجمهورى المستقل وهى على الشاطئ الشرقى الجنوبى

الفصل * السادس

﴿والثمانون﴾

والدولة الثالثة عشرة هى بقية أمريكا الجنوبية المعروفة بتاكونى وأهلها من الاصاهيب هناك طوال شداد متوحشون يقال تقريب عددهم مائة وخمسون ألفا فى تلك الاراضى الواسعة

الواسعة وموقعها على الشاطئ الشرقي في نهاية القارة جنوبا وغرب الشيلي والحاصل ان
هذه الدولة المتحدة لم يكن في أمريكا من الدول ما يعتبر داخلا لاقسام المذكورة لان
كانت تحت أحكام منتظمة لكنها لم يتسع فيها نطاق المعارف والتقدم واهتمام الحروب
الاهلية عما يصلح شأنهم سيما وأغلبهم حديثو عهد بالعتق من تسلط الدول
الاوروباوية عليهم الذين كانوا يجرون فيهم الحكم الاستبدادي الظالم وأما أطرافها فانهم
من الاهالي الاصليين الذين اما انهم تناسوا التمدن أو لم يعرف فيهم ولم يحسن الغرباء
معاشرتهم وانما عاملوهم معاملة الوحوش وطردوهم أو أفنوهم من ديارهم فبقوا
على الجهل والتوحش وفي بعض الاماكن لا تساعدهم طبيعة الاقليم على شيء فقد ذكروا
ان في الجهات القطبية لاقصى الشمال قوم يحفرون من الجليد بيوتا ويجعلون لها
مصاوي تحتا ويسدونها بطبقات من الجليد الصافي ليمنع مرور الهواء ولا يمنع الضوء
ويبقون في تلك المدة الزمهريرية الى الشتاء الطويلة التي هي أغلب أيام السنة عندهم
ويكتسون بجلد عجل البحر ويأكلون لحمه ويوقدون شحمه ومن أغرب ما يحكى عنهم
انهم يطبخون اللحم المذكور في قدور من الخشب وصورة طبخهم انهم يتخذون من
بعض الاشجار التي تنبت في الارض الجليدية قدورا يضعون فيها قطعا من اللحم
ويصبون عليه الماء ثم يأخذون حجارة ويحمونها في النار الى أن تصير حامية جدا
فيلقونها في القدر فتعطي الماء حرارتها ثم غيرها وغيرها الى أن يصل اللحم الى
الاعتدال الذي اعتادوه وربك يخلق ما يشاء ويختار وهو القادر الفعال

﴿القسم الخامس من الارض استراليا﴾

هي مجموع جزائر جهة الجنوب من المحيط الشرقي قبالة الهند والظن انها كانت متصلة
بشبه جزيرة سمطرا قديما وصار انفصالها قديما كما يتبين من النظر الى الخريطة
ويدعى ان أعظمها اكتشف منذ أقل من مائة سنة والحال ان بها سكانا نحو مليونين من
البشر وفي لونهم سواد في أشكال من جهة التعليل بان سواد اللون من كثرة الحر تحت
خط الاستواء مع ان عرض أعظم جزيرة هنالك يبتدئ من عرض خمسة وثلاثين جنوبيا
وذلك العرض من المناطق المعتدلة فغالب الاهالي الاصليين سود وكلهم متوحشون وانما
يفترقون في شدة التوحش وضعفه وقد أخذت بعض الجهات في التمدن شيئا ما وكل هاته
الجزائر تحت تسلط دول أوروبا وأغلبها ملك الدولة الانكليزية وقد جعلت أوستراليا

منفى لأصحاب الجرائم العظيمة من انقرض والحكم المشدد هناك ثم نفذوا وتقدموا شيئا
فشيئا إلى أن أنكروا على الدولة الانكليزية نفي المجرمين إليهم لأنهم ابتدأوا بأهل
المستعمرة ثم أخذوا استقلال ادارتهم برضاء الدولة الانكليزية ولا زالت حمايتها
وبقية دواخل البر مجهولة الى الآن وهكذا جهة القطب الجنوبي وإن اكتشف الدونيه
منذ أربعين سنة على أرض في ثلاث جهات واسعة ولم يروا فيها سكانا والى الآن لم يزل
البحث على ما فيها وما وراءها وكذلك سنة (١٢٩١) اكتشف نوتية من النمسا
أرسلتهم دولتهم للاكتشاف على أحوال القطب الشمالي في بابور فانقطعوا فرجعوا
بعد عامين بعد أن خلصتهم بابورة روسية عندما كادوا يهلكوا لانكسار بابورهم
بالجليد ورجوعهم في قوارب صغيرة فأخبروا باكتشافهم لأرض واسعة في درجة
ثلاثة وثمانين ثم لما انتهوا إلى رأس دعوه رأس أوستريا وجدوا بحرا جهة
الشمال منها عليه يسير من الجمد لا يحصل حول المراكب الجليدية وحدس بذلك علماء
هذا الفن على ان الحرارة من الكثير بجهة القطب يمكن معها الحياة والسكنى أريد من
المناطق المتجمدة وهو يؤيد ما ذكرناه في بحث البرد عند الكلام على الصين والله أعلم
بما خلق وذرا وهو الحكيم الخبير

الفصل * السابع

{ والثمانون }

وحيث قد تبين في هذا الباب احوال حالات الممالك وما هي عليه من الاحكام والأمن
ناسب ان نذكر هنا خلاصة في أسماء الممالك وقواعد بلدانها وعدد سكانها وكمية
عساكرها وعدد سفنها الحربية ومقدار دخل حكومتها ومقدار خرجها وكذلك قيمة السلع
الداخلة والخارجة بتجارات المملكة وكم على حكومتها من الدين وكمية ما مد من طرق
الحديد فيها ليتبين بذلك قوة الممالك ومراتبها في الاعتبار وهي ليست لتفاصيل جمعناها
من عدة مواد وتنوعات كلها في سنين متقاربة من سنة (١٢٨٨) الى سنة (١٢٩٧)
بحيث لا تتجاوز العشر سنين واعتمدنا على هذا لان الاعداد المذكورة في الاغلب
تتغير بعضها بطول السنين لكنها في الاغلب لا تتغير في أقل من عشر سنين لا لأمور
جزئية إلا أن يطرأ على مملكة من الممالك حادث غير اعتيادي بحرب هائلة أو غيرها كما أنا

لم

لم تعتبر فيه نقلناها الاعداد القابلة بالنسبة الى ما يقتضيه كل نوع من الانواع المذكورة
لعدم احتوى فيه بالنسبة لما نحن بصدده — عما وكثير من تلك الانواع هو من اصله
غير محرر بالتدقيق الا في بعض مواد في بعض الممالك

﴿ جدول احصا آت الممالك ﴾

﴿التمهيد﴾

﴿وفيه أبواب﴾

الباب * الاول

﴿في سبب سفري﴾

﴿فصل﴾

قد عرض لعبد المقصر السفر الى أوروبا ثلاث مرار الى هذا التاريخ وهو سنة (١٢٩٧)
فاما في مرتين وهما الاوليان فكان السفر لاجل التداوي فقط على ما سيأتي بيانه واما
المرة الثالثة فكانت لما ذكر ايضا ولاشغال سياسية أوجبت التوجه بها الوزير ثم عند رجوعي
من هاته الثالثة نقص ما ذكر وعزلت وحملني على مفارقة الوطن حفظ ما اوجب
الله علي حفظه فوجهت القصد الى أداء حج المفروض وتشرف بزيارة أعظم الرسل
(عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام وعلى آله الكرام وخلفائه الاعلام وأصحابه
الفخام رضوان الله تعالى عليهم اجمعين) ثم استقررت بالقسطنطينية العظمى ثم سافرت
الى أوروبا رابعا سنة (١٢٩٨) وعدت الى الاستانة وسنفرد كل مملكة شاهدتها
بباب خاص نذكر فيه احوالها وما شاهدته فيها كما اني في هذا الباب اذكر المرض
الذي عانيته على السفر وما فعل في التداوي شرحا وما عولجت به وحيث كان لاصل
النشأة والاقليم دخل عظيم في اصلاح كما ذكره الاطباء المتقدمون والمتأخرون لزم أن نذكر
طرفا من حال نشأتي ونفرد كل قسم من هاته الامور بفصل خاص والله المستعان

فصل

﴿في نشأتي﴾

اعلم ان نهاية ما اعلم من نسبي هو ما يذكر وهو انني محمد بن مصطفى بن محمد الثالث ابن
محمد الثاني ابن محمد الاول بن حسين بن أحمد بن محمد بن حسين بن بيرم وهذا الجد
الاعلى قدم الى تونس عند قدوم سنان باشا وزير الدولة العلية مع العساكر العثمانية
لفتح تونس من يد الاسبانيول سنة احدى وثمانين وتسعمائة ثم أقام بها وتزوج بابنة
ابن الابار أحد وزراء الاندلس وعلمائها صاحب القصيدة التي استغاث بها على لسان

صاحب

صاحب الأندلس سلطان المغرب للاستئناس عند قدومه عليه مستعبرا من تقدمه (ومطلعها)

ادرك بخيلك خيل الله أندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا

ثم تناسل نسله الى حسين بن الاحمر متخرطين فى سلك الوظائف العسكرية أو الملكية مع
التحلى بالآداب العلمية وتزوج حسين هذا ابنة طاهرة من ذرية المولى الشريف سيدى
(حسن الشريف الهندى) الشهير رضى الله عنه وبارك فى آل بيته العامر السعيد
الى قيام الساعة وولدت له محمد بيرم الاول ومنه دخل النسل الى سلك العلماء الى
الآن وارجو من كرم الله ان يديم ذلك فى أعقابنا ما قدر لهم بالوجود واستعمل العلم فى
هذا البيت ولله الحمد حتى سمعت من شيخنا العلامة شيخ الاسلام محمد بن الخوجه يعرف
جدى محمدا الثانى بقوله أبو يوسف الثانى ومؤلفات هذا الجد تشهد لشيخنا بصدقه
وكذلك بقية علماء بيتنا ما بين عدة عظيمة مجيدة وتقلدوا فى الوظائف العلمية الى
رياسة الفتوى وتلقب منهم اربعة بشيخ الاسلام ولما تأهل (والدى قدس الله
روحه) للزواج زوجه أبوه بابنة وزير البحر محمود بن محمد خوجه والدته من بيت
العماد ذى الشرف المعروف وقد ألف الجد محمد بيرم الثانى تأليفا حافلا فى التعريف
بنسبه الجثمانى والروحانى بلغ فيه الى نفسه والعبد مذيل بعده ذكر من لم يحوه ذلك
التأليف من فروع هذا البيت وما ذكر فى هذا الفصل انموذج منه وكانت ولادتى
فى سنة (١٢٥٥) ثم اشتغلت بالقراءة والتعلم متفرغا الى ذلك الى أن وليت خطة
التدريس سنة (٢٧٨) وكذلك مشيخة المدرسة العنقية ولم يكن لى هم بشئ من
أحوال الدنيا الا مطالعات الحوادث السياسية الداخلية والخارجية الى أن توفى
والدى رحمه الله ونفعه سنة (١٢٨٠) فاضطررت لى دارتى شؤونه ولم يكن لى الاعتص
الوداد مع سائر السكان لبعدى عن مواقع التحاسد بينهم وتحرى التحفظ حتى ان خطة
التدريس والمشيخة المذكورتين اغتصبتهما بعد الالحاح عند وفاة عمى شيخ الاسلام
محمد بيرم رابع واضلال الخطتين المذكورتين بسبب موته حيث كانت مشيخة المدرسة
اليه واغتصاب وظيفة التدريس بسبب انتقال صاحبها الى ما فوقها وصاحب ما فوقها
ترقى الى مشيخة الاسلام وهو شيخنا العلامة محمد بن الخوجه المشار اليه آنفا وبقيت على
ذلك مرتاح البال سليم الوداد الى أن ولى الوزارة الكبرى بتونس الناصح الامين خير
الدين باشا وتم منحى الحكومة الشورية فى اجراء العدل فرأى اجتهادا منه فى تنقاء

المتأهل للحظ ان يشعر بالعبد في بعض الخطط حسن ظن منه فلم يسعني الا مساعدته
لما كنت منه على علم من توغله في حب العدل والميل الى القوانين والشورى حتى
كان اول ناشر لمانحوها في قطرنا بتأليفه أقوم المسالك مع امتناعي سابقا عن كل وظيفة
لما أعلم من خمول الانصاف وظهور الاعتساف وعندما غلب على الظن حصول [illegible]
ولاية الشهم المذكور اجبت استدعاءه وقلدت رياسة جمعية الاوقاف التي هي من
مبتكرات الوزير المذكور في تونس ادرتب قانونا لها بحفظ الاوقاف ونموها بضبط
لم يسبق اليه فاستعنت الله وبذلت مقدوري للوفاء بما عهد الي ثم ضم الى ذلك ادارة
المطبعة وهكذا بذلت ما استطاعه غيري في ذاتي [illegible] من الاتعاب الفكرية
والبدنية مما لم تحصل لي منه شيء بل وكذلك الجائزة السنية لان المرتب لدي جعل لي وان
كان في نفسه نظرا للبلاد وافرا لكنه كان غير واف بما اعتدته من المصاريف التي
كنت احصل على الوفاء بها من دخل املاكي ومعاطاة تجارتي ولما استغرقت الوظيفة
الاوقات للقيام بها حق القيام تعطل الدخل السابق وعوضا عن الاستمداد [illegible] صرت
أبيع من كتبي شيئا بعد شيء للوفاء بحاجات المعاش ولا اعد ذلك منة في جنب القيام بحق
الوطن بل اني احمد الله تعالى على ما انعم

فصل

في مرضي وما عولجت به حيث كان نسل بيتنا متوارثا فيه ضعف الابدان وكثرة
الاسقام حتى قال الجد الثاني في تأليف نسبه المشار اليه آنفا عند الكلام على
اقرانه شرح صدر الشريعة على الوقاية والسبب في طول مدة قراءته له كثرة ما كتب
على مباحثه المهمة من التعاليق المختصرة والمطولة مع التعلل بحفظ القصة والضعف
البدني الى ان قال فانا اهل بيت خاص السقم في بيتنا وفرح وشوى [illegible] نسأله سبحانه
ان يجعل ما فاتنا من القوة في ابداننا قوة في ديننا وان يعافينا ويعف عنا ويميتنا على
الاسلام بلا محنة انه جواد كريم وقد كان الجد المذكور مبتلى بمرض عصبي أعيا علاجه
أطباء زمانه الى أن حصل له انكماش في أصابع يديه وهو مع ذلك يطالع ويؤلف الى أن
توفي سنة (٢٤٧) وهو ابن اربع وثمانين سنة لا يفتر عن التحرير والمطالعة
قدس الله ثراه كما ان والدي رحمهما الله ونفعنا كان بها مرض الاعيا يعتريها بكثرة في

ركبتيها

ركبتيها وهو من الامراض العصبية وكذلك كان بها مرض عصبي في معدتها ولما
تقدم كان مزاجي من هذا المرض العصبي لانه من الامراض التي يعتريها التوارث ولما
شببت على الاشتغال بالفكر وقلة الرياضة وكانت طبيعة امزجتي مائلة الى الحرارة واشتد
الارق في الصيف كنت استحم بالماء البارد بعد التعب بالشغل نحو سبع ساعات تقريبا
لانشط ولا ارتاح للاستمتاع بذلك في الاشغال عشية وارتكبت ذلك مرتين أو ثلاثا
وعند آخرها احس لي وجع شديد بكبدي لا يطاق يبتدئ من فم المعدة ثم يتجه للجنبين مع
مصاحبة الاسهال وتطول مدته من الساعة الى الساعتين وتكرر ذلك مع شدته ولم
ينجع فيه شيء من علاج اطباء بلادنا مع تنوعه وكثرة اجتماع الاطباء اليه بحيث لم ابق
واحدا من مشاهيرهم لم احضره لدي وجربت وعينت ما ارتئي عليه صلاحهم واستعمال
الملح المسمى بكلوروفورم الذي يستخرج من روح النبيذ ويسمونه علولاق في
الماء المقطر ونصف قمحة من الملح المذكور أي عشرة من مائة من غرام واحد
في ستة غرامات من الماء المذكور ثم اوزن منه حقنة صغيرة تعمل عن ماء واحد الارباع
من الماء المذكور ويحكمون ادخال انبوبها في رأس ابرة خاوية الوسط ويغرزون في
... فائدة ثم يمسكون الجلد من المريض بين اليدين ويجذبونه الى ان يمد شيئا بعيدا عن
اللحم ثم يدخلون الابرة فيه ثم يدفعونها الى خارج الى ان لا يبقى الا آخرها من الجلد
ويبقى عالقا بها ثم تمدد ويندفع من الماء المذكور بحسب الحاجة بين لون الابرة وقد
تم حينئذ عمل العلاج في مدة دقيقة او دقيقتين او اقل ويسكن الالم بحول الله وعادت
الحال على ذلك مع كثرة تردد المرض كل يوم مرة او بعد يومين مرة وبعد كل نوبة يترك
في غاية التعب ويورث ارتخاء وضعف وقد كان الاعم ... ستة ... يمكن
ويلزم الصدر عن شدته ثم ... لي ان بان السبب فيما ياتي لا وقد وجدني أحد
... لا اعلم احد اطباء الذي يشتغل جسمي وصار منزويا في بعض الاحيان دون زيارة
بعيرة تحصرم في القبض مع شدة صده وامتد ذلك نحو غاية اشهر وحينئذ الح على
الحكيم الماهر النصوح منيابيني بالسفر الى أوروبا وقد كان اشار علي بذلك من قبل
الامر ... ان غيره من الاطباء خالفوه وانهم لو لا يلزم السفر ويمكن العلاج في البلاد
لكني لما رأيت من طول الامر وزيادة الضعف ما رجح لي كلام منيابيني أعرضت
استشارة الاطباء ورفضوه وكان قصدي من السفر (اولا) ذات السفر فانه من اسباب
الصحة طبا وقد علم من اهل الفن من المقدمات ان السفر من اسباب الصحة شرعا ايضا

(وثانيا) الارتياح لي من الاشغال الفكرية التي لم يمكن لي التخلص منها في البلاد (وثالثا)
ملاقاة مشاهير الاطباء الذين لا يوجدون عندنا كما سيعرف في محله وهذا الاخير هو
الذي اوجب تعجيل توجهي الى خصوص اوروبا فسافرت حينئذ وكان ذلك في ديسمبر
واجتمعت بمشاهير من اطباء ايطاليا وفرنسا واستقر رأي اكثرهم واعظمهم على ان المرض
عصبي مع ضعف شديد في الدم ومركزه ما بين اعصاب المعدة والقلب وعالجوني بالمياه الباردة
حيث اني منه موقوذ وذلك بأن يضرب بها كفي القدمين ثم الساقين ثم فقرات الظهر ثم
المعدة ثم الوجه والرأس ويتم جميع ذلك في دقيقتين او ثلاث ثم ينشف البدن بخرق من
الكتان مع عنف وضرب خفيف واستعجال ثم تلبس الثياب ويداوم المشي اطول نحو
نصف ساعة، واريد الى ان يسخن البدن ويحصل شيء من العرق او حك حوالي فقرات
الظهر بخرقة من الشعر الصلب ثم امرار اسفنجة مبتلة بالماء البارد على ذلك الظهر عند
النوم مع تكبيس الاعضاء والظهر بالايدي وظهر لهذا العلاج بعض النفع غير ان شدة
البرد هناك لمحاربة اعتدالنا في اقليمنا المعتدل اوجبت على الاطباء الاشارة بالعود الى
الاقليم مع الوصية بالتحذير من الاسباب المثيرة للمرض ككثرة الشغل والمآكل
لعسرة الهضم ثم تعاطي المشروبات الباردة وشرب ادوية عديدة منها شيء قليل من
روح الزيبق واشباهه من اجزاء يسيرة من قمحة لمنع التخدير مدة دوره ووقف
المرض عند الرجوع الى الوطن حتى لم اضطر الى استعمال المسكن بالحسنة نحو ثمانية
اشهر لكن المرض لم ينقطع وعلى ما كان الى غيبتها ومع العود الى الاسباب التي لم اجد
عنها مندوحة عاد لالم الى ما كان وتضررت للعود ثانيا لخصوص باريس التي وجدت
بها مهرة رأيته من الاطباء وهو الحكيم شاركو وقد ورد الحمد بانتفاعي بالعلاج
حديد من المعادن والمساعدة اليه عملي بالكهرباء التي سيرد الكلام عليها ان شاء
الله وصورة العلاج بالالات على نوعين احدهما مكينة للعضو العصبي وهي آلة
مركبة من ثمانين اسطوانة مقسومة الى قسمين كل قسم يشمل اربعين اسطوانة ويوضع
كل قسم فوق القسم الآخر وكل اسطوانة مركبة من طبقتين احداهما نحاس
والاخرى زنك وبينهما قرص ثالث طبقة من الجوخ وفي مركز كل اسطوانة
عمود من سلك حديدي يخرقها وتصل الجميع صفيحة من الكاوتشو ويغمس الجميع
في ماء مخلوط بالنشادر وهذا الغمس لا يلزم في كل مرة بل اذا حصل ضعف في عمل
الكهرباء ثم تحفظ من القاطر وتوضع في صندوق من خشب بداخله صفيحتان من

الفولاذ

المولد موصلان للكهربائية بقطعة الصفيحة العليا وفى هذا السطح بيت ابرة وسامير من
نحاس مسطحة الرأس منقوش عليها أعداد من عشرة الى أربعين يمينا وهكذا شمالا
وعمودان قصيران مثقوبان بهما ثقب نافذ الى مركزهما ويوضع مرود يماس له ممتد
المقلوب من المسامير بحيث يجرى على المسامير اليمنى واليسرى على المسامير الشمالية وعلى
بيت الابرة ضلع من خشب وعند اراده تحريك الصندوق العلوى يلزم وضعه بحيث
يكون الضلع المشى الممتد على بيت الابرة متوجها جنوبا وشمالا ثم تدار اليدان لتحريك
القوة الكهربائية وتوضع احداهما على أحد الاعداد المناسبة لقوة الهيجان وقوة
المريض أيضا وهكذا الاخرى بحيث لا يبلغ مجموعهما الى نهاية العدد من الجهتين التى هى
درجتها القصوى فى القوة الكهربائية لان درجتها تخشى منها الصاعقة على الانسان ثم
توجد سلكان من النحاس موصلان بالمولد محكم لفهما بخيوط الحرير حتى لا يبدو منهما أقل جزء ويوضع
كل منهما فى أحد العمودين المثقوبين ويحكم امساكهما هناك بلولب وفى رأس طرفيهما
الآخرين شبه خاتم من معدن ملفوف فى جلد رقيق يبل بالماء المملوح لتوصيل الكهربائية
ولكل من المختارين مقبض من خشب يمسكه العامل ويسمى أحد السلكين بالموجب
والآخر بالسالب ثم النوع تسمية الكهربائية والموجب هو الذى يكون بيد الدورة
من جهته فى درجة أعلى من الجهة الاخرى واذا الصق المختاران بعضهما او انفصلا ثم
يوصل بينهما دارت الابرة فى بيتها تضطرب بتفاوت ولكن يشتد اضطرابها ويضعف على
حسب الدرجة المجعولة فيها قوة الكهربائية واذا حصل هيجان فى المرض يوضع المختاران
على المريض بقرب مجلس الالم على هيئة التقابل بين السلكين وفى جميع ذلك يسكن
الهيجان بذاته من غير ان يحس المريض بادنى حركة او الم ويسمى هذا النوع من
الكهربائية بالكهربائية الساكنة وهاته الآلة من اختراع كشاف طروفيه وعندما كان
يعترى المرض بالدور وضيق الصدر كان الحكيم يضع المختار الموجب على الناحية
منا كان والسالب على الجبهة فيديره من أحد طرفيها الى الطرف الآخر فكان اذا قرب
من الحاجبين أرى كان العرق يتطاير من عينى متواليا ويلزم ازالة السلك شيئا فشيئا بأن
يرفع بعض أطرافه ثم ثم الى ان ينفصل جميعه واما الآخر فيفصل دفعة واحدة والآلة
الثانية الكهربائية هى آلة لتقوية الايدى والاعصاب وصورتها مربع من خشب عليه
اسطوانتان من البلور مركوزتان على قطع من الكاوتشو (هو نوع غروى يجف
ويتصلب مستخرج من صمغ الاشجار) غير ان احداهما محيط بها الكاوتشو الى نحو

الثاني منها والثانية الى محور سع ويجعل عليهما اسطوانة عظيمة من النحاس حاوية
الوسط وفي أواسط كل من الاسطوانتين البلوريتين رباط من نحاس فيه موضع لوضع
قطب أحد الدائرتين الآتي بيانه وهو القطب وسطه فولاذ وظاهره كوتشو يتصل
بدائرة مجوفة جيدة من الكاوتشو أيضا وأحد طرفي قوسها لاحق للاسطوانة البلورية
متصل به كرة صغيرة من نحاس كما في محور الربع الثاني من الاسطوانتين موضع
القطب دائرة مثل ذلك الكهربائي البلوري وتمام كرها على القطب من الكاوتشو وبقية
قطبها من نحاس واحد طرفي قطبها لاحق الاسطوانة البلورية متصل بدائرة من خشب
لها بدقدار بها وعلى حد نهايتها على الوضع جزء من حلقة مركب بوصل يتساوى
الدائرة الخاصية التي فرقوا انه مع دائرة الكاوتشو وبهذا تكون هاتان الدائرتان
المشبهة تدور كل من دائرة البلور ودائرة الكاوتشو الآتي وضعهما بين الاسطوانتين
وتعد احداهما عن الاخرى بخواصها وعرضا ومركز الكاوتشو أعلى من مركز البلور ثم
ان الاربع حاشي تصف به الشفات وصفائح لا [illegible] في خشب وصفائح
مشقوقتان بالشعر ولها الواجب بقرب تماس سطوحهما او بعدهما وفي تمامهما يحصل
الدائرة البلورية بينهما بحيث لا تحتك بكل من سطوحهما ادنى حك حتى يحصل
حكها جيدا وبذلك كل الوساد ثم يغشى بمحلول من الكبريت تقوية لاحداث
الكهربائية ثم يتصل باحدى الاسطوانتين البلوريتين عند مركز قطب دائرة [illegible] قوس
من نحاس بمفصل ويتأتى بحيث اذا دار يتصل طرفه بالاسطوانة الكبرى الخاصية وفي
هاته الاسطوانة حلقة من خشب خارجة عن رأس الاسطوانة البلورية لوضع فيها رأس
قضيب من نحاس وذلك رأس محنى لمكن [illegible] كما في الحلقة وهي اى القضيب طويل
أزيد من ثلاثة أمتار ويجمع تلك الآلة توضع على مائدة من خشب مرتفعة على
الارض نحو ذراعين ونصف بأرجل متينة لا تضطرب عند دوران الآلة ويكون وضعها
في محل خالي عن النداوة بعيد عن المواد [illegible] عن الاشجار والبحر نحو عشرة أو اثني عشر
ذراعا ووضعها هي في اعلى مكان بعيدا عن الحيطان في لا اقل من ذراعين واذا كانت
الكهربائية ضعيفة فيربط برجل القوس عند الاسطوانة البلورية سلسلة من اي معدن
وجد ويربط طرفها الآخر بالماء ثم يوضع كرسي أرجله من البلور لتغيب بعدا عن
الآلة قدر ذراعين ويوضع عليه طرف القضيب المتسلك في الاسطوانة النحاسية
ويجلس على الكرسي المريض وتدار الآلة اما باليد او بالدولاب ويفتح القوس [illegible]

وعند

وعند ذلك يمتلئ الجالس بالكهرباء من غير ان يحس بشئ الا اذا قرب منه جرم ما فانه
يطاير بينه وبين الجالس شرر يشبه البرق ويحس به الجالس ضربا واحراقا لكنه
لا دقيقة ولزيادة قوة الدواء أحدث الحكيم عصا من نحاس ومعها اثنتان يمسكهما من البلور
وفي احداهما تربط بها سلسلة معدنية متصلة بالارض وللحذر من مسها للحكيم سلكها
جامعة مقبضة من النحاس موصولة بيد من البلور يمسكها الحكيم بيده اليسرى ليبعد
جرم السلسلة عن نفسه من غير تعطيل لحركتها واتصالها بالارض حيث كانت تمر
في حلقة الواسطة ثم يصوب رأس القضيب الذي بيده وهو مخروط مدبب صوب
المريض ويلامس على التكرار على الجهات التي هي محل للألم وذلك ترى شعلة
من الانوار زرقاء اللون خارجة من رأس القضيب ويحس المريض بريح باردة واصلة
اليه وان قرب منها القضيب خرج الشرر وتارة يعوض رأس القضيب بكورة نحاسية
توصل به وتارة يعوض بكورة خشبية متعددة الانواع من صلابة الخشب ورخاوته
لان الصلب أشد كهربائية ويستعمل من تلك الانواع على حسب قوة المريض ويدام
العمل من خمس دقائق الى عشرين دقيقة تدريجا مع تأنس المريض ونباهته وحصل
لي بهذا العلاج مدة أربعة عشر يوما نفع عظيم ونقص حتى كاد ان ينقطع به الألم بالمرة
لانه بالقليل لا اعتبار بها وعند الرجوع الى الوطن اكد علي الحكيم الحذر من الاسباب
وتنفيذ العلاج المذكور وشرب قطرات صغيرة من محلول الذهب لدي بان تشفه أيضا
من ست قطرات في نصف كأس من ماء الى خمس عشرة قطرة تدريجا قبل الاكل فطورا
وعشاء وعند النوم فكنت أستعمل آلة الكهرباء والدواء التي ظهر نفعها عيان الاطباء
اوقفوني على عدم ملازمتها دواما من تأنس البدن ولذلك تركتهما مدة مع اني كنت
شريت آلة واستصحبتها معي ولم ارق بها دون الآلة التي عند الحكيم في باريس ان
اي أخذتها ابتداء باليد والاخرى تدار بالبخار لكثرة اعتبار لها حيث يحصل بها كثير من
وأما التي عندي فتكون فيها قوة لا دمي اذ لا يدوم العمل بها أكثر من عشرين دقيقة في اليوم
ثم عند تركي للعلاج بها مدة كنت أخاف من اشتداد الألم الذي تتظاهر مخايله من
حدوث بعض الدور والارتعاش والحرب الذي هو من علامات الهيجان للنوع الثاني من
المرض وهو عبارة برد شديد في الاطراف وصغر في النبض مع ألم عام لا أقدر اعبر عنه
ولا أعلم محله الا انه مع ارتعاش في الاعضاء وجفاف في الريق وصعوبة في ابتلاع
الريق والطعام وضيق في النفس وهذا الهيجان لا ينفع فيه الا آلة المسكنة الا اذا كان

شديدا واما اذا كان خفيفا فلا ومن عجيب عوارض هذا النوع من الهيجان شدة السمع
حتى كنت أسمع الشئ الخفي البعيد الذي لا يسمعه الحاضرون معي مع التأذي من شدة
صوته عندي وصلابته اذا كان الصوت قويا حتى يتبرم من حضر عندي السكوت
من رعب تأذيت من صوته وهكذا الشم فقبل حصول الهيجان كنت أشم ما لا يدركه
أحد لكن وقت الهيجان يصيبني زكام مفرط ورعاف اذا جاء لا يسكنها ولا يمكن
الحمية الا بعد مدة وهي أشد علي من هيجان الوجع ولذلك كنت أستعمل عند تعطيل
الماهد بالآلة الكهربائية شرب ماء الذهب المذكور وقد قالت الحكماء عند وصفه
هذا الدواء انه من مجرباتها هذا الزمان أكل الذهب المقوي معلوم عندنا وقد كان
الامام ابن عرفة في المائة الثامنة والتاسعة يرد كل يوم بندقيا (البندقي نوع من سكة
الذهب منسوب الى البندقية وزنه نحو نصف دينار ذهبا) على دجاجة ويطعمها اياه
ويأكلها فقال البندقي كثير فقال له حيث ان الذهب غير محلول فلا يأخذ منه البدن
الا مقدار ما تهضمه المعدة وما عداه يذهب في الفضلة فقال نعم وعلى كل حال فلهذا
المعروض في الاقتصاد لم يمنعني الاقتصار وهذه الآلة المعدن كنت استعملها قبل
السفر بالتكلم على ظاهر الجسد وذلك بأن يوضع شئ من أحد المعادن الخالص
ويجعل منه قرص أو سوار فان ظهر في المريض التأثير نوع يلازم عليه والا يبدل بمعدن
آخر وأول من اكتشف هذا طبيب مساوى ولم يلتفت الى قوله الى ان أصغى اليه الحكيم
شاركو المرحوم وحققه ووجده صادقا وأعان به من يجلس من أطباء باريس وصار
معمولا به عندهم ووجدت قريبا من الكتبخانة أني ذهبت الى الطبيب الباريسي كسا ...
ومن ما فعله الطبيب الباريسي ان الاول كان يستعمل المعدن ويبقيه اياما وفي كل
المعادن التي جربتها الرفاق سيما نحاس فانه يحدث التخدير الا الذهب فجربته
حتى تحقق وعرفت أعصابي وكان العرق الذي أتى من الالم جاريا على خلاف ما كان
من برده ولما أعانت بذلك الحكيم شاركو أن الطبيب المباشر وهو فهرو بأن يجرب
المعادن فأعطاني ميزان القوة وقبضت عليه بيدي وقيد الدرجة وكذلك علم ميزان
النبض ثم أول ما بدأنه من المعادن معدن القصدير وهو على هيئة قطعة من حديد
موضوع على مائدة واصقه بذراعي الأيمن وجعل وصلا بينه وبين البدن بقطعة من
ورق فبانت بحود بقي الا وحصل هيجان عظيم في المرض خشيت منه وكان تأبى
عجلا باستعمال الحقنة تسكيني وما الطبيب واستعمل الآلة الكهربائية لسكنة

المار

المشار ذكرها في فصل السكون فحصل انه وتبين ان ذلك البدن غير ملائم وهو نظرى
ووافقني عليه الحكيم شركو وان كان الطبيب فيه يرى انه موافق بمعنى انه لما
احدث تأثيرا دل على تأثر البدن منه لكنى اقول ان البدن يتأثر منه بالضرر
لا النفع ولم أعد اليه ولم اعبره ذلك اليوم حذرا على البدن من كثرة الاضطراب ثم جربنا
الصابون وهو ايضا صاحبه موافق كما تقدم غير انه لم يحدث شيئا كما [illegible] ثم جربت [illegible]
ثم تداوى ولم اقصد به [illegible] موازنة بين القوة والنبض ثم جربت البدن فكان ملائما
لحرارة البدن وزيادة القوة ونشاط النبض ولذلك استقر الرأى على عمله لكن
لا يكتفى فيه بالاستعمال على ظاهر الجلد فقط بل بالشرب أيضا في نحو مائة درهم وكل
معدن كان تجربته في يوم خاص كما علمت قبل السفر الى [illegible] وبونا [illegible] يوم
باشرة طبيب [illegible] وفى [illegible] في [illegible] رآه الطبيب [illegible] كثيرة
فلما [illegible] مع [illegible] عليه أكثرت على اللوم حتى كدت ان أكون [illegible]
واربعين ساعة [illegible] مقدار [illegible] كل ساعة من الماء المذكور وبعد
رجوعي من باريس والعلاج بالكهرباء على نحو ما ثبت على الموافقة [illegible]
صام الاسبوعين أيام حيث تراكمت الاتعاب الفكرية والبدنية وحوادث في [illegible]
[illegible] الى باريس و [illegible] في هذه المرة مع مصاحبة الاتعاب
الفكرية [illegible] عدم نجح العلاج [illegible] بعد فراغ
[illegible] وحدث الحال في الوطن غير الحال واخلاق الحكومة و [illegible] اوروبا
بخصوصه غير ما [illegible] كأني أتيت شيئا غير [illegible] وتحقق لدى ما كنت أتوقعه
من [illegible] الاعمال [illegible] ان شاء الله
تعالى وعزمت على [illegible] بيت الله الحرام [illegible] الى رسول عليه الصلاة والسلام
لكشف الضر الخاص والعام [illegible] المرام [illegible] القيام [illegible]
فيه ومنه حسن الختام

فصل

﴿في حكم التداوى شرعا﴾

اعلم ان التداوى مقرر بالحديث والقرآن [illegible] كما في (قوله تعالى يخرج من بطونها

شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) فدلت الآية الشريفة على أن العسل دواء
للآلام يستشفى به منها كما بينه الحديث الشريف الوارد في صحيح البخاري وغيره من
قصة الصحابي الذي قال للنبي (صلى الله عليه وسلم) إن أخي يشتكي بطنه فقال له (صلى
الله عليه وسلم) اسقه عسلا ثم عاد وأعاد الشكوى وأمره (صلى الله عليه وسلم) بسقية
الدواء ثانيا ثم تكررت الاعادة أيضا ثالثا وقال الصحابي قد سقيته وما زاده الا استطلاقا
فقال (صلى الله عليه وسلم) اسقه عسلا صدق الله وكذب بطن أخيك وفعل الصحابي
وشفي المريض ومن الحديث تدبر ان شفاء الناس هو تداويهم به من أمراضهم حيث
قال صدق الله أي في قوله فيه شفاء للناس ثم يدل الحديث أيضا على ان استعمال
الدواء لا بد فيه من مقادير وأوقات ولذلك أمره بالتكرار لانه تعالى كما اراد في جعل
الشيء سببا في الشفاء اراد في خصوص مقداره وأوقاته ومن هنا ينبغي ان يجعل الدواء
اذا لم ينفعه نفعا في المرة الاولى فلعله لم يكن هو المقدار الكافي لما يستحقه بدن
المريض وتستدعيه علته ولله حكم في الاشياء لم تصل عقولنا للاطلاع على تفاصيلها
وينبغي اتباع عادات العادة والتجربة على جعله سببا لاسباب مقتضى الحكمة الربانية
ومن ادعى عمل الاشياء بالطبع لا يسعه الا التزام ما تخالفه بسوء ثم اذا كان طبعها
كذا وادعا تقريبه لما اذا كان ذلك العمل وهكذا [illegible] ثم كانوا يعجزون من أول
الامر فيقولون ان الشيء الفلاني يعمل كذا بخاصية حتى اذا تداويتم به [illegible] لهم به
التعليل لاولي والحق ان ذلك جميعه بخلق الله وجعل تلك الاشياء اسبابا عادية
يتعلق عندها ما اراده بسابق حكمته وبالتقدم أجمعت الامة على جواز استعمال
الادوية بنوعها ووقع الخلاف في جواز استعمال المحرم دواء ووقع الخلاف في المرجح عند
الحنفية ومحل الخلاف هو ما اذا تعين الشفاء في خصوص ذلك المحرم ولم يوجد شيء آخر
حلال يقوم مقامه أما اذا وجد فلا يصح (حينئذ) والقائل بالاباحة يستدل بالضرورة
وانها مبيحة للمحظور فيكون كالمخمصة من الهلاك حيث جاز أكل الميتة ومقتضى تجويزهم
الكتابة بالدم على جبين صاحب الرعاف الذي ينقطع عنه هو ترجيح التداوي بالمحرم
لان الكتابة بالدم تحصل اهانة لمعروف ولا سيما اذا كان فيها اسم الله وذلك محرم قطعا
واغتفاره للضرورة ولا يكون اذ ذاك حراما ومن يمنعون من احتج بقوله (صلى الله
عليه وسلم) لم يجعل الله شفاءكم فيما حرم عليكم فان الشيء لا يتعين فيه الشفاء يرتفع عنه
التحريم وبيان هذا المعنى هو ان يقال ان الاشياء المحرمة انما حرمت لما فيها من المفاسد

والمضار

والضرر للمخلوق لانه تعالى منزه عن الاحتياج لشئ وكلما ورد به الشرع فانما هو
لهداية لما ينفعنا فنؤمر به أو لما يضرنا فننهى عنه وحيث لم يكن في طوق عقولنا
الاحاطة بعلم جميع ذلك لان بعضه يتوقف على علوم تغيب عنا وهو تعالى خالقنا
الرؤف العالم بنا ورسوله هو بنا الرحيم الشفيق بنا ونحن على يقين من ذلك ولله الحمد
فما علينا الا ان نتبع ما شرع لنا ونقبل ونسلم ان ذلك هو الصالح بنا كتسليم الابن
لابيه العاقل وتسليم الجندي لرئيسه الخبير من غير بحث عن موجب تكاليفه مع ان المشبه
به يمكن فيه حصول الاعلام بالبواعث مع انه ترك حذرا من فوات الغرض واطالة
الامر بخلاف المشبه فقد علمنا عجز عقولنا عن ادراك جميع مصالح ما نهينا عنه او امرنا به
ما امكن ادراكه فلانه معقول المعنى وما لم ندركه علمه به ولذا نتعبد به الا ان الكل
معقول في نفس الامر فالشئ المحرم اذا اضطر الانسان اليه لبعض المعنى انه يرتفع الضرر
الذي حرم من أجله بل ان ضرر الحاصل الذي يراد دفعه به أعظم من ضرره السابق
فيرتكب أخف الضررين كما هي القاعدة الشهيرة فتحريم الخمر مثلا لتوقع جره الى افساد
العقل اذا غص الانسان وخشي الهلاك جاز له شربه لدفع الهلاك الذي هو أعظم ضررا
من توقع جره لافساد العقل ولا يقال انه على هذا يلزم التوقف في كل جزئية على علم
مقصد المحرم لدى اربابه نستحق له وحرم من أجله ومقايسته بالمفسدة التي يراد دفعها
به مع انك تصرح بعدم علم الجميع ولما تأمرون بالجواز لم يحصر وما علمت مراتبه ونبين
بينها لانا نقول القواعد الكلية في مثل ذلك كافية في حصول المقصود وقد علمنا منها ان
حفظ النفس هو ثاني مرتبة بعد حفظ الدين وجميع الاشياء المبحوث عنها آيلة الى حفظ
النفس من الهلاك والهلاك أعظم مفسدة ومضرة من كل ما يمكن ان يكون في الاشياء
المحرمة من أسباب التحريم الراجعة الى أجزاء خاصة من النفس كالعقل مثلا فيقدم
حفظ النفس جميعها عليها ولا يمس ذلك الدين لان محله القلب أي الروح التي هي محل
الاعتقاد وذلك لا يخرج منه الاعتقاد الحاصل فيه كما هي العبارة المشهورة ولذلك صرح
الفقهاء بانه لا يفتى بالردة لمسلم الا حتى يثبت اضطراب العقيدة والعبادة بالله ولو صرح
في الفتاوى ببعض أشياء انها مكفرة فلا يعول عليها ما لم تجمع الشعائر الظاهرة هي
من الدين أيضا ومنها حفظ النفس وقد علمنا من الشرع تقديمها على كل ما سواها
الا الاعتقاد وهذا لا يتصور تلاشيها في الاقبال على الدين وهكذا على شعائره فانهم صرحوا
بأن من ترك واجبا الاذان يقاتلون حفظا للدين وتقديما له على النفس لكن ذلك

اذ كان منشؤه من الاستخفاف الراجع للاعتقاد ما اذا نشأ عن التأول أو لعذر المانع عن
صحة الاعتقاد فلا يقاتلوا (حينئذ) وهذه لم تؤثر بقتل تارك جمعة ولو بوجوب
الامام المعصوم مع انها من شعائر الدين وعلى ما تقدم بجواز القبح لحفظ دري من الحيوان
أو لامان لانه قد ثبت بالتجربة المفيدة للقطع انه حفظ من هلاك أو مما يقرب منه
ومن هذا الباب تجويزهم للكتابة بالدم مع ان فيه استخفاف بالحروف التي مرجعها
الدين وبيانه أن الاستخفاف عمل القلب ولا عمال الظاهرية دالة عليه وأبعث مقام
الحرمة بسبب دلالتها الالزمها فهلاك النفس تعارض مع ما يدل على الاستخفاف فقدم
دفع الهلاك المتيقن وسلامة الاعتقاد وغاب ذلك الدلالة لارتكاب أخف الضررين
فان قيل كيف يكون أخف الضررين مع ان الآخر حفظ للدين وهو مقدم على
النفس فالجواب أن الدين قد علمت انه سالم وهو الاعتقاد ولم يبق الا الدلالة في حفظ له
النفس التي هي محل الاعتقاد والقيام بجميع التكاليف فلما ترجحها كما صرحوا
به في جواز التيمم لخوف المرض في أن ذلك ليس تقديما للنفس على الدين بل من باب
تقديم أعمال الدين على بعضه لان الانسان اذا سلم أقام الطاهر والصلوات الكثيرة
وغيرها من التكاليف بخلاف ما اذا هلك وقد ضيعوه جميع التكاليف المتوافقة له
فلا يسوغ له ان يسعى في ابطاله تكاليف كثيرة لاقامة عبادة واحدة فهو (حينئذ)
من باب أخف الضررين كما تقدم واعلم ان بعد توقف شديد في دعوى جواز مسألة
الكتابة بالدم لحفظ النفس من ارعاف (الخ) وبيانه ان صاحب الفصول العمادية
وغيره من نقل عنهم الشيخ بيرم الثاني في كتابه حسن النبا في جواز التحفظ من الوبا قد
صرحوا بأن تعلق الاسباب بمسبباتها على ثلاث مراتب أحدها التعلق القطعي وهو
ما لا يتخلف فيه المسبب عن السبب الا على وجه خرق العادة كالشبع للاكل والري
للشرب وثانيها الظني وهو ما يكثر فيه ارتباط المسبب بالسبب وقد يتخلف نادرا ومثلوا
له بالادوية مع الامراض وثالثها الوهمي وهو ما لا يرتبط فيه المسبب بالسبب الا نادرا
ومثلوا له بالكي والرقى مجمعين على ذلك وعينما اختلفوا فيه هو ان تعاطي القسم الثالث
هل هو مخالف للتوكل أم لا واختار صاحب حسن النبا لكونه غير مخالف للتوكل
رادا على صاحب الفصول بثبوت الرقيا من (النبي صلى الله عليه وسلم) وكذلك الكي
فليراجع ما أطال به هنالك فأنت ترى أطباقهم على جعل الرقيا من الموهوم وما تقدم
من الكتابة بالدم للراعف ليست هي الا رقيا فكيف ينطبق عليها شرط جواز استعمال

الجرم وهو تعريضه للشفاء وأين التيقن من الوهم وكيف يقدم على أمر محرم بإجماع لأمر موهوم فعلى الآخذ للأحكام الشرعية التثبت وعدم الاغترار بهذا فقد صعبت درجة المفتي لكي لا يضل ويضل بغير علم ولا يغتر بمجرد وجود المسائل في كتب بعض المتأخرين فكثيرا ما زلت الأقدام من بعضهم في نقلها عن غيره كأنها المذهب الذي عليه لا يذهب والله يعصم المسلمين من مزالق الشبهات ولعل منشأ ذلك القول هو ما قاله صاحب الهداية في مسألة جواز التداوي بالمحرم إذا تيقن فيه الشفاء وضرب لذلك مثالا وهو جواز كتابة الفاتحة بالدم للراعف على جبينه وأنفه لكنه قيد ذلك بحصول العلم الذي هو اليقين وذلك على معرض التقييد بدليل عطفه البول حيث قال وبالبول أيضا أي إذا حصل العلم ومن المعلوم أن الفقهاء يصورون المسائل ولو المستحيلة تقريرا للحكم على ما عسى أن يعرض فيمن لا يقدر فيه على أسباب الأحكام وليس كلامه دالا إلا على الجواز في تلك المسألة لأنه مقيد بالعلم وقد علمت أنها من قبيل الرقيا والرقيا من الموهوم فلا يعول ولا يستند إلى كلامه مع الغفلة عن قيده الذي هو العلم ولم نر في كلامهم من يسوغ إطلاق العلم على الوهم وغاية ما قالوه في المسألة أن بعضهم جعل كلام حذاق الأطباء مما يحصل به العلم ونقل العلامة السيد ابن عابدين في حواشي الدر أنه لعله من التوسع في إطلاق العلم على الظن أقول وذلك لأن مسائل علم الطب على قسمين أحدهما ما يرجع إلى علم التشريح وكيفية تركيب الأبدان وهي يقينية والثاني ما يرجع إلى الدواء ومسائله ظنية كما تقدم ثم إن تعاطي الأسباب بأقسامها الثلاثة التي تقدمت في صدر هذا المبحث هو من أعمال الكاملين في الدين ولا ينافي التوكل على الله وقد بسط المسألة بيرم الثاني في كتابه حسن النبأ المشار إليه وحققناها في كتابنا على باب لا يلدغ (المؤمن من جحر واحد مرتين من البخاري) وخلاصة الكلام أن العمل بالأسباب مع التوكل على الله في نجاحها هو المشروع ومخالفة ذلك سوء أدب مع الخالق جل وعلا فيعصي الإنسان من حيث يظن أنه يطيع وقد صرح بمثل ذلك العارف الشعراني في المواثيق والعهود حيث قال إن التوكل لا يشرع إلا مع الأسباب أو عند فقدها أما مع إمكانها فهو كالعاصي وبكلامه (رضي الله عنه) يتبين الوجه في الفرق بين حالي (النبي صلى الله عليه وسلم) مع صاحبه الصديق (رضي الله تعالى عنه) فإنه (عليه الصلاة والسلام) لما هاجر إلى المدينة عندما اجتمع قريش على أذيته لم يكن له (عليه الصلاة والسلام) من الأسباب الحامية منهم مع كثرتهم وشدة عداوتهم

وأنه فهم الا الاعتماد على أمر الله بالهجرة ووعده له بالاعانة الى المأمن وانتصار
الدين وظهوره فلما هاجر واختفى فى الغار مع صاحبه (الصديق رضى الله عنه)
وخرجت قريش فى طلبهم ووصلوا الى الغار ولم يكن لهم مانع مانع من تفتيشه والدخول
اليهم مع شدة حرصهم على ذلك كان (سيدنا أبو بكر رضى الله تعالى عنه) خائفا فزعا
يدعو الله (والرسول عليه الصلاة والسلام) مطمئن يقول له ما أخبر الله به لا تحزن ان
الله معنا وفى غزوة بدر لما أعد (الرسول صلى الله عليه وسلم) العدد لعدوه بأسباب
القتال والتقى الجمعان للقتال كان (الرسول صلى الله عليه وسلم) يدعو الله بالحاح
حتى قال اللهم ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعدها فى الارض أو كما قال وكان (الصديق
رضى الله عنه) يقول له لا تحزن ان الله منجز لك ما وعدك من النصر ولا شك ان (النبي
صلى الله عليه وسلم) أكمل حالا من جميع الخلق فكيف اختلف حاله فى الواقعتين مع
ان ظاهر الامر فيهما واحد (وصديقه رضى الله عنه) فالوجه يتبين بما ذكره الشعرانى فى
القاعدة المار ذكرها وهو ان حال الغار ليس فيه مجال للاسباب لفقدانها فليس هناك
الا التوكل البحت ولذلك كان (صلى الله عليه وسلم) مطمئنا لانه أكمل توكلا وأما
حالة الغزوة فهى حالة الاخذ فى الاسباب ثم التوكل معها ولا يسوغ التوكل البحت
ولذلك كان (صلى الله عليه وسلم) مجتهدا فى الدعاء لتكون الاسباب ناجحة وليس
للامة الا اتباع الرسول فالعمل بالاسباب عند وجودها مع التوكل على الله فى
نجاحها هو المشروع ولا يشكل على هذا ما نقل عن كثير من الصالحين من تركهم
للاسباب وخرق العادة لهم لانه مندفع بما ذكره أبو اسحاق الشاطبى فى الموافقات
من ان هؤلاء وان خرقت لهم العادة لكنهم لم يخرجوا عن الاسباب لان خرق
العادة من الاسباب الخفية واستشهد لذلك بأدلة تشفى العليل وبينه ما وقع
من العارف الربانى الامام فى علم الباطن والظاهر سيدى (عبد العزيز المهدوى) شيخ
مظهر العلم (سيدى محيى الدين ابن العربى) الحاتمى الذى ألف لاجله الفتوحات
المكية وخاطبه فى رسائله بقوله يا ولى فانه قد ذكر عنه أن أحد الصالحين كان
مارا بطريق فوقع فى جب حفره بعض السابلة على ذلك الطريق ورأوا الجب فقالوا ان
هذا الجب يضر بالسابلة لوقوعه فى الطريق فلندع أداة ونضع هذا الحجر العظيم على
فمه ونسده ففعلوا من غير أن يعلموا بالصالح الواقع فيه وخطر بباله أن يعلمهم ثم قال
لا ألتجئ الى مخلوق والله أعلم بحالى وبعد مرور السابلة جاء سبع وحفر حتى فم البئر
وأدلى

وأدلى ذنبه الى الرجل الصالح فقال ان هذا دين من الله تعالى فعمل بذيل السبع وأخرجه السبع من البئر وذهب الى حال سبيله وسمع مناديا يقول قد نجيت من الهلاك بالهلاك وسئل الشيخ سيدى (عبد العزيز) كيف يصح هذا العمل من هذا الرجل الصالح والحال انه مخالف للشريعة لان (الله يقول ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) وعدم اعلامه هو للسابلة من باب الالقاء باليد فأجاب سيدى (عبد العزيز رضى الله عنه) بأن التكاليف الشرعية العملية هى ثانى رتبة من التكاليف الاعتقادية وذلك الرجل الصالح علم من نفسه ركونها للاسباب وعدم صحة توكلها فقهرها حتى يثبت صحة الاعتقاد الذى هو الدرجة الاولى فاذا كان الرجل قد عمل بالشريعة بوضع درجات التكاليف مواضعها هذا محصل كلامه (رضى الله عنه) وبه يعلم ان كل من ارتكب منهم مخالفة للاسباب لابد أن يكون له حامل خاص والا فهم (رضى الله عنهم) أشد محافظة على الشريعة فلا يغتر أحد بأن أحب لهم مخالفة لمشروعية الاسباب بل يحمل كل منهم على أمر خاص يليق بحاله وفقنا الله للاهتداء بهداهم

الباب • الثانى

﴿فى قطر تونس﴾

لما كان مسقط الرأس فى هاته البلاد وهى منبت الآباء ومستقر الاجداد وكنا بصدد التعريف والكلام على ما شاهدناه فى الاقطار على حسب مشاهدتنا لها فى التواريخ لزم بالضرورة تقديم الكلام على الوطن الثابت حبه فى القلب الثبات الحسن

فصل

﴿فى التعريف بالقطر التونسى﴾

اعلم ان موقعه على شواطئ افريقية الشرقية الشمالية على البحر الابيض ويحده البحر المذكور شمالا وشرقا وطرابلس الغرب فى بعض الحد الشرقى والصحراء الكبيرة جنوبا والجزائر غربا ويبتدئ شمالا من عرض سبع وثلاثين درجة وسبع عشرة دقيقة وعشرين ثانية هذا عند أعظم المرامى هناك وهى مدينة بنزرت ويمتد من هناك الى الجنوب الى ان يدخل فى الصحراء الكبيرة من غير تعيين لحدها واغا أشهر المدن جهة

الحد الجنوبي هي مدينة توزر وهي واقعة في عرض اربع وثلاثين درجة واحدى عشرة
ثانية وعشرين دقيقة وهذا القطر طوله من الشمال الى الجنوب أكثر من عرضه من
الشرق الى الغرب ممتد على ساحل البحر ويبتدئ من عرض درجة (٣٧) ودقيقة
(١٩) وينتهي معموره الى درجة (٣٣) ودقيقة (١٠) ويبتدئ في الطول
الموسوم على باريس من طول درجة (٩) ودقيقة (٣٢) الى نحو درجة (٥)
ودقيقة (٥٠) وبه رأس داخل في البحر يسمى رأس ادار وهو أطول رأس في البحر
الابيض ويتصل ببقية القارة بالمكان المسمى دخلة المعاوين كما به رؤوس أخر وهي
الرأس الابيض ورأس الزبيب الاثنان حول بنزرت ورأس سيدي على المكي ورأس
جبل المنار ورأس المهدية ورأس كبودية ورأس اقداميس ويتبع هذا القطر عدة جزر
صغيرة أعظمها جزيرة جربة قرب الحدود الجنوبية ثم قرقنة وهي امام صفاقس ثم جزيرة
الكلاب والجوامير وجالطة وغيرها ويوجد به اجوان كبيرة أحدها جون سيدي ابي
سعيد وهو قرب الحاضرة وجون قابس جهة الجنوب وجون الحمامات وجون بنزرت
وجون رواد وبه ثلاث بحيرات أولها بحيرة الحاضرة وثانيها بحيرة المرتوقة قرب بنزرت
وثالثها بحيرة اشكل وهي بين ماطر والجبل (وأما الانهر) فليس به الا نهر واحد
وهو مجردة ومنبعه من ولاية قسنطينة التابعة للجزائر ويقدم من هنالك مشرقا مع زيادة
نماء المياه بالجداول التي تصب فيه الى ان يخترق القطر متوسطا ما بين الغرب الى الشرق
في جهة الشمال من القطر وتزداد مياهه أيام صب فيه من الجداول الى ان
يصب في بحر جون رواد من جهة ابه قرب غار الملح وهذا النهر لم يكن سهوا في هذا
القطر فهو لا يحمل الا القوارب الصغيرة في الصيف واما في الشتاء فيمكن انه يحمل
القوارب الكبيرة لا السفن واذا تكاثرت الامطار فانه يفيض ويعلو على أراضي وسيعة
وربما حصل منه بعض أضرار واما الجداول فهي ايضا بكثرة جداول ولكنها جارية
لاهل الجهات ومنها ما يجري دواما ومنها ما يجري عند هطول الامطار ومن أشهرها انه
الجداول وادي ملاق ومنبعه من جبال بقرب من الجهة الغربية ويخترق وادي رياح ثم
ينحدر الى ان يصب في البحر في رادس بعيدا عن الحاضرة شرقها اميال وكثيرا ما يقع بسمارة
من ميوره عند كثرة الامطار وتارة يفيض لكن لا يحصل منه ضرر لمجاوره غير انه
يضر من يكون فيه من الرعاة والمارين حيث ان فيضانه في دفعة واحدة وجريان مائه سريعا
لكثرة انحداره واما العيون فليست كثيرة في عموم القطر لكنها تكثر جدا في الجهة
الشمالية

الشمالية في جبال ماطر وجبال طبرقة وجبال باجة وفي الكاف عين عظيمة جدا كثيرة ماء وعذوبة وبرودة حتى تقع الحمرة في الصيف لمن يقدر ان يرفع شيئا من فم الماء الجاري عند منبعه ثم تنحدر من الجبل وتسيح في البساط مهملة وكذلك في اسفل طاله عين عظيمة وفي زغوان وجقار عيون كثيرة وبعضها وهو اكبرها مجلوب الى تونس الآن في قنوات [illegible] من حديد مع آثار القنوات القديمة التي كان جلب فيها الرومان الماء من هناك الى قرطاجنة وكذلك في جريد عيون غزيرة عذبة الماء وحارة كما يوجد بها معطر مياه كثيرة معدنية أشهرها ماء حمام الانف النابع من جبل أبي قرنين وهو ماء جار عليه عدة حمامات والماء نابع من عدة عيون أحسنها عين حمام العرياني ثم عين الحمام الكبير وله نفع عظيم لعدة امراض وقد افردت منافعه وكيفية استعماله برسالة خاصة للحكيم الكبير وترجمها ونقحها له العلامة بيرم الاول قدس الله روحه وهذا الحمام يبعد عن الحاضرة بنحو عشرة ميلا جهة الجنوب الشرقي منها على شاطئ البحر جامع للنزهة والانتفاع والتأنس حيث كان على الطريق العام الموصل الى الساحل وغيره من اكبر جهات القطر ودرجة حرارة مائه من (٤٨) الى (٤٩) من تورموميتر صانتي غرام الذي هو ميزان للحرارة الذي يقدره من الجمود الى المائة درجة هي درجة غليان الماء وكل لتر منه يزن ألف غرام وعشرة غرامات وسبعة صانتي غرام ومعتاد الماء الصافي المقطر يزن ألف غرام والغرام هو نوع من مقادير الموازين كل ثلاثين غرام اوقية وتفصيل الاجزاء التي في هذا الماء من المعادن هو ما يأتي بيانه

صنتي غرام	غرام	
٠٠	٠٢٨	ففي كل ألف غرام من الماء المذكور حامض فحم الحجر
٠٠	٠١٢	حامض المانزيا
٠٠	٠٠٠	حامض الحديد قليل
٥٢	٠٠١	الجبس
١١	٠٠٠	ملح الصود
١١	٠٠٠	ملح بوتاس
٧٥	٠٠٩	مغنزيا كلورور صوديوم
٩٠	٠٠١	كلورور كالسيوم
٥٥	٠٠٠	كلورور مغانيزيوم

٠٧ ... كلورورديه دناسيوم
٠٧ ... آسيد سيليسيك أى طين البلور

وفى كل كيلو (٢٢٠) صانتى ميتر ومربع من الحامض الفحمى وفيه (٢) ميلغرام من بروموروماتيزيا واصطلاح هاته الأعداد معلوم فى الحساب وكذلك يوجد فيه حمام قريب البعيد عن الحمام السابق بنحو ستين ميلا فى الجهة الشرقية الجنوبية منه وهو أكثر عيونا وأشد حرارة وله نفع عظيم فى كثير من الامراض العصبية وأمراض المواد الطبيعية ومن غريب خواصه انه اذا وضعت دجاجة فى مجرى المياه قرب منبعه نحو بضع دقائق يزول ريشها تماما بل ان بعضا من الاهالى يضع قدرة الطعام هناك فيطبخ اللحم أحسن طبخ وهكذا غير الابيض الدجاج فمع شدة تلك الحرارة ومع سهولة طبخ البيض فانه لا ينضج ولو ابقى هنالك يوما تاما هكذا يروى عن كثيرواجر ويقرب من أجزاء ماء حمام لامد وكذلك يوجد قرب رأس الجبل من وطن بن زرت حمام معدنى غير انه لا يستعمل الا عند بعض البوادى وأهل القرى هناك ولا شهرة له مع انه كثير النفع وكذلك يوجد فى الشمشمياه معدنية نافعة للشرب والاستحمام وهى مشهورة كغيرها من منابع الثروة والتقدم وأما جبال هذا القطر فتتصل بسلسلة جبال أطلس التى تبتدى من عرض (٢٨) درجة وتنتهى فى عرض (٣٧) فى مملكة المغرب وأعلى رؤوسها بين فاس ومراكش وارتفاعه على سطح البحر ثلاثة عشر ألف قدم ومائة قدم وفى اختراقها القطر التونسى عدة فروع أشهرها جبال مطماطه وجبل طبرقة وجبل الرقبة وجبل زغوان وهواء بلادها وجبل الرصاص وجبل أبى قرنين ومناخ هاته الجبال هى الجهة الشمالية والغربية الشمالية ثم لا تزال تنحصر وتضيق عند توجهها للجنوب مارة بقرب سواحل البحر الى ان تتصل بجبال الودارنة من عمل الاعراض وعلى هاته لا يوجد جهة الجنوب الا ربا لا اعتبار لها وليس منها جبل الكاف الا جبل أبى قرنين فان الآثار دالة على انه كان فى الاصل بركان حيث يوجد فى قنته العليا فوهة مسدودة الآن مع منابع المياه الحارة المتدفقة منه ومع الأحجار البلوع الكائن فى أحد رؤوسه التى بقرب البحر فى الجهة الشمالية منه المعروفة بضربة السيف الحادث ذلك لانحلالها بسبب الزلزال الشديد الذى هو من علائق البراكين وقد علمنا مرارا فى الحد الجنوبى (الصحراء) الكبير وقد قال قوم انها كانت بحرا متصلة بالبحر الابيض على من شطوط قابس ومما يستدلون به الارض السواحية التى بين الشاطئ المذكور

والصحراء

والصحراء وراء فرديناند دي لسبس الرجل الشهير صاحب عمل خليج السويس ان يحفر خليج
قابس لكي يصير البحر في وسط [illegible] وحسبوا ان [illegible] على سطح الصحراء
يحمل السفن الكبيرة وان الجزء [illegible] الى [illegible] بنحو ثلاثة [illegible] ورأى قوم
[illegible] ذلك ولكن المسيو [illegible] الآن [illegible] في امريكا [illegible] الكلام [illegible] في
بحر الصحراء (وأما) [illegible] القطر فهي لم تزل في [illegible] ولا شك انها غنية
[illegible] الآن المعروف هو [illegible] في كثير من جبال رصاص
وحديد واول [illegible] الاكثر وآثار [illegible] الرومانية العظيمة لازالت الى الآن
ويستخرج المعدن [illegible] حتى ان الاعراب [illegible] به وطنا
صار اسم المعدن عنوانا على الجبل وقد [illegible] في [illegible] ان ثم
[illegible] الى [illegible] ولم تر ايديهم الى الآن [illegible] ولا للبلاد
وثانيها الآن [illegible] من اعمالها
[illegible] القديمة انها [illegible] الى الآن لم تحدث فيه شيئا كما
يوجد المعدنان المذكوران [illegible] من جبل [illegible] كما يوجد
[illegible] ولا [illegible] يوجد [illegible] والزئبق ويوجد الحديد
في جبل [illegible] وهو [illegible] استخراج في [illegible] كما يوجد
[illegible] في الجبل الاحمر وهو [illegible] ويوجد فيه [illegible] كما يوجد معدن
[illegible] الاحمر [illegible] الرومان [illegible] كالهم
[illegible] وآثار [illegible] موجودة [illegible] بوادي [illegible]
[illegible] كما يوجد [illegible] الاسود في جبل [illegible] ويوجد [illegible]
[illegible] في جبل ابي [illegible] الى الآن [illegible] الحجر
وكذلك في الجبل الاحمر [illegible] كما يوجد الملح في [illegible] مدينة [illegible] قرب
الحاضرة وفي [illegible] احد علماء
الطبيعيات بطلب من الحكومة [illegible] في جميع [illegible] وكتب ما يشتمل
عليه من المعادن [illegible] ولكن [illegible] التقارير لم تصل للحكومة
التونسية الى الآن [illegible] الاسماء
وكثيرا [illegible] اسم افريقية من
باب اطلاق الاسم على الخاص [illegible] اسم خاص

بعد القطر سمي به جميع ما اتصل به من الامارة ويؤيده تسمية الجهة الاكثر خصبا
منه بخصوص هذا الاسم وهي الجهة الشمالية الشاملة لماطر وباجة وما يليهما فانها
الى الآن تسمى على لسان العام والخاص افريقية فبيرانهم يدلون لقف كافة خضمة
وينقسم القطر الى ثلاثة أقسام باعتبار الخصب فالجهة الشمالية التي هي أكثر
جبالا هي الاكثر خصبا على مرور السنين فالمزارعون هناك لا تكاد تجد سنة
لا يرفعون فيها من مزروعاتهم ولا أقل انهم لا يخسرون شيئا وعلى الخصوص في هذا
جهة جبال ماطر كان الخصب في هاته الجهات لا يتجاوز الحدود المتعارفة في الربح
وأما القسم الثاني وهو الجهة الوسطى من القطر والجهة الشرقية من الجنوب على
قرب من البحر وذلك كالساحل والقيروان والاعراض وصفاقس وخصب هذا القسم
باعتبار السنين وما يدوم بها من المطر قليلة وكذلك وحيث كان نزول المطر في تلك الجهات قليلا
فكذلك الخصب قليل ففي العشر سنين مثلا يحصل عندهم الخصب مرة أو مرتين
لكنه خصب خارق للعادة ويكاد السامع ان لا يصدق به ولا تشهد به العيان وتواتر
لنا فيه حتى بلغ حد القطع بان رجلا زرع في أرض الساحل التابعة لسوسة
ربع قفيز فحصل له مائة قفيز وخمسة عشر قفيزا وبلوغ هاته الدرجة قليل والاكثر ان
من يزرع قفيزا يأخذ من السنة عشر قفيزا الى الخمسة والثلاثين قفيزا وقد حكى لي الوزير
أبو محمد خير الدين باشا عندما كان وزيرا بتونس ان نائب احدى الدول ما يحصل بتلك
الجهة من عظم الخصب وان الامير احمد باشا كان أتى في أحد أسفاره بعدد من شعيرة
واحدة أنبتت مائة سنبلة واريد اظهاره على وجه الاشهاد استبعاد الحقيقة وسكت
الوزير عن ذلك ثم أرسل الى عامل القيروان وجلاص أن يبعث عند استواء الزرع
على أعظم جذور أكثرها سنابل فأرسل اليه صندوقين مختومين بكل واحد منهما
جذر واحد فاستدعى الوزير ذلك النائب وجماعة من الاعيان واراهم الجذر
فاعترفوا بأنهم بحثوا عن المنبت ووجدوا أصله شعيرة واحدة وعدوا كم تفرع
في أحدها فتجاوز في العد الاربعمائة والخمسين وبقي نحو الثلث بلا عد ولو يكفي
الذي تحصل منه هذا العدد فانه ان يتجاوز حتى الالف ويعظم طول السنبل أيضا حتى
يحجب الفارس بفرسه اذا مر فيه والعادة عند فلاحة تلك الجهات ان يزرعوا حبات
الشعير كزرع الشجر اعني يتركون بين الشعيرة والشعيرة مسافة وسيعة وأما بقية السنين
فاما ان يخسروا رأس المال أو بعضه أو يحصل لهم ربح يسير وذلك لقلة نزول الامطار

بتلك

بتلك الجهات لخلوها عن الجبال المرتفعة والأشجار الطويلة وأراضي هذا القسم يلزمها لبذر القفيز بالنسبة للقسم الاول مقدار من الارض الذي يبذر فيه قفيز في القسم الاول يبذر فيه في هذا القسم اربع وأقل وأما القسم الثالث فهو عبارة عن أرض الجريد بالجهة الجنوبية المسماة بالجريد لانها أراضي منخفضة من الرمل وقريبة الى الصحراء الكبيرة ولا تصيبها الامطار الا نادرا واذا أصابت أضرت أهلها لان نباتهم أكثره النخيل والمطر يضر بثمره الرطب (وأما نبات) هذا القطر فأغلب زراعة أهله في القسم الشمالي والاوسط هي الحبوب من قمح وشعير وأول منها الذرة والفول والدرع والجلبان والحبة الحلوة والكروية والعباس والتابل والحبة السوداء والكتان والدخان واللوبياء والبطاطس والحمص والعدس والكثرة حسب هذه الاشياء في هذا القطر يسمى بمخزن حبوب رومة ويزرعون من البقول الطماطم والبصل والفلفل والكرنب والبروكار والقناوية أي البامية والملوخية والفلفل الاخضر والاحمر والمعدنوس والنعناع والكرصون والدباء وأنواعها والقثاء والشبت والثوم والخس والسكوريا والزعتر والفجل والسماق والكلاوس والقرع والبطيخ الاحمر والاخضر وغيرهما والكسبر والبوخربش والاسفاناخ وفيه أنواع برية عجيبة في الرقة واللون لا يعرف منها الا خالقها ومنها القحوان والبابونج والحناء وهو غير مستعمل وفيه من الازهار المتنوعة زهر الخوخ ويزيت بعضه أصناف ريحان وغيره من الاشياء الكثيرة وهكذا الورد والسوسن بأنواعهما والفل والقرنفل على أنواع شتى وغير ذلك من ازهور الطيبة الكثيرة حتى تكون جبال هذا القطر وأوديته وبسائطه أيام الربيع وأوائل الصيف روضة نضرة بألوان النبات المخضر به الارض وأنواع الزهور والنور المختلف الاشكال والروائح ومما ينبت به البرنس الخارج من الحشيش الذي يقال له الحلفاء والكروم وينبت فيه جميع النباتات من الكلأ المرعي من أحسنه لغذاء الحيوانات لحمها وفي الجهات الشمالية (أجمام وغياض) وغابات عظيمة عديدة وأشهرها غابة طبرقة يستخرج منها الاخشاب لبناء السفن والحفاف وأعواد الصوقوف من الطرفا وغيرهما مع متانته والدوام والحطب والغابات مع كثرتها وتجارة الاخشاب الحلو بها من أورو با رائجة في أغلب حواضر القطر والتنبت الغابات شجر عظيم فقد ذكر لي ثقة انه رأى في غابة طبرقة شجرة من الزيتون أحاط بسوقها ستة عشر رجلا كل منهم فاتح يديه تامة

أيضاً صاحبه • وأشجار الغابات هي الدرو والصفصاف والبلوط والبندق
والقسطل والزان والمران ومنه يستخرج الخشب [illegible] [illegible] [illegible]
وشجر [illegible] والدردار والعرعر وغيرها من شجرات أخر (كالجوز [illegible]) [illegible]
[illegible] ولا [illegible] سوق [illegible] كالجوز [illegible] [illegible] فثمرها [illegible]
للصبغ [illegible] وأكثر هذا في جبل [illegible] وكل [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] لا لحفظ طرقه من جهة [illegible] للعسكر [illegible] [illegible] الحرف وهي [illegible]
أخشاب [illegible] كما هو معلوم على نوع من قشر [illegible] استعمل [illegible] و [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] في جميع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحمية
[illegible] [illegible] على أنواع شتى [illegible] من [illegible] [illegible]
بأوراقها وفروعها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] من فروع الشجرة [illegible] [illegible] [illegible] ذراعين
في طولها وعرضها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
الذي [illegible] بالمرقين [illegible] عندهم [illegible] [illegible] شجرة
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من حديد مركب [illegible] [illegible]
[illegible] كذلك إلى [illegible] الأصل [illegible] [illegible] [illegible] من القشر
[illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] شجرها
[illegible] شجرة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] هذا النوع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من
أول الأمر [illegible] عدد كثير منها في مكان مخصوص [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كل شجرة [illegible] [illegible] [illegible]
ولا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الشجرة [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
أنواع كثيرة [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأسود [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على حسب [illegible] التي [illegible]
[illegible] في الجبل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
* هذا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

لا يكاد يخلو منه بستان ذو حاجة في صنعه ومن أنواع البرتقال الحسنة الطعم النوع المسمى
بالمرساوي وهو أحمر متوسط الحجم مائل إلى الطول دقيق الورق وبعض صنعه أهل زغوان
بالنارنج وأهل الحضرة يسمون ذلك بالشينة وباللعوين في الأصفر والأحمر ومثله النوع
المسمى بالطارلا الكبير الحجم [illegible] الأسود الثاوب ومن أنواعه العادي المسمى بالمكي
وهو مكور كبير مائل إلى البياض [illegible] وبقية أنواع الأشجار المتقدمة في البرتقال
أي النارنج [illegible] وفيه أنواع وهي الطرابلسي والصفاقسي والجالي وأغرب نوع
لم أره في غير هذا القطر مع بحث عنه برتقال المكي وهو نوع [illegible] فيه أصلا بل فيه
حلاوة [illegible] مخلوطة بسكر أو عسل ومن النارنج [illegible] الحلو والليمون الحامض
وفيه أنواع [illegible] في جميع الفصول [illegible] وفيها أنواع أكل زمن
من فصول السنة [illegible] من الورد بأنواع تعم كثيرا ويعنى بزيتها [illegible]
[illegible] ثم [illegible] والتفاح [illegible] ذلك والمشمش ومنه نوع
يسمى بالشاشي صغير [illegible] بحمرة أو سواد لم أر مثله فيما رأيت من الأقاليم طعما
و[illegible] أنواع كثيرة منها الأحمر والأسود والأبيض والأخضر والمركب
والمستطيل والصغير والكبير ويسمى بالموبة [illegible] المكي وهو صغير مستطيل
[illegible] والتين والخوخ والهندي [illegible] الهندي وهو نوع يخرج من شجرة
لها شوك كثير ولا ساق لها وورقها [illegible] شوك كثير ويسمى في
المشرق بالصبارة ويستعمل بكثرة [illegible] وهو [illegible] في هذا القطر
[illegible] حلاوة [illegible] لا [illegible] من أهل [illegible]
مع قلة ثمره [illegible] كثيرا [illegible] على [illegible] فقتل [illegible] ومن طبيعته
أنه يكثر في [illegible] أي في [illegible] الأمصار ولذلك صار الهندي أهم
[illegible] النافع للفقراء كما [illegible] في هذه الأيام [illegible] أي ورق [illegible] والنشوق
فأما ورق [illegible] لكنه لا [illegible] نوع منه وأما ورق النشوق فإنه
أعلى من جميع أنواع ما يزرع منه في [illegible] ما يزرع منه في [illegible]
و[illegible] في هذا [illegible] وقد كانت فيه أرباح
للقطر كثيرة [illegible] الخارج [illegible] زرعه
بالإطلاق حيث كان لها عليه [illegible] أيضا [illegible] والعناب
و[illegible] والرمان [illegible] والورد [illegible] لا [illegible] أنواع

وهى التمر الاخضر والاصفر والرطب وما فى حريد ذلك أنواع عددها بعضهم ثمانين
نوعا ويختص على جميع ماعداها من الاقاليم بزوفه وجمالها لتنوع المسمى بالدقنه الذى
لا نظير له حلاوة ولذة طعم ويحمل منه لسائر الجهات رغبة فيه الى غير ذلك من سائر نباتات
الاقاليم المعتدلة لا سيما الجهات الشمالية بكثرة المياه فانه يوجد بها حتى بعض
نباتات الاقاليم الباردة وهى على [illegible] خضرة نضرة [illegible] من جمال النبات
والخصب (والهواء) هذا [illegible] ومعتدل لا غالب واجهة جنوبية يغلب فيها
الحر واذا هب الريح الجنوبى على اى جهة وفى اى وقت يحصل منه حر لاسيما فى
الصيف وانه يؤدى بحره حتى يصير [illegible] وفى غير ذلك لاعتداله. الغالب
ويشتد البرد فى الشتاء لكن لا يصل الى جماد الماء أو نزول ثلج الا نادرا فى جبال
الشمال [illegible] يحصل تجمد فى كل سنة بل يبقى الثلج فى بعضها الى الصيف لكنه
قليل والجهات [illegible] الهواء موافق للصحة [illegible] جهات حسنة الهواء جدا
[illegible] ولو عرض السل لذى أحسن ملاجئه الهواء الا [illegible] الرشفى [illegible]
الجهات الحسنة المشهورة المكان المعروف برأس الجبل وهو [illegible] من [illegible]
[illegible] شاطئ الجزيرة [illegible] هى مركز على البحر [illegible] ميل [illegible]
[illegible] وهو [illegible] جبل [illegible] الى [illegible] بآبار
[illegible] شاطئ البحر [illegible] الجريان [illegible] من الصخر [illegible]
[illegible] كثير [illegible] الشارب منها يأكل أكثر من عادته وكذلك
من الاماكن المشهورة [illegible] الهواء [illegible] هى قاعدة [illegible] وهى
على مبتدى رأس [illegible] رأس [illegible] الى [illegible] وهو
من [illegible] وهى فى وهاد [illegible] وماء [illegible] البساتين
والجنان بأنواع الفواكه [illegible] وغيرها من الفواكه وأحسن [illegible] هذه الاماكن
هو [illegible] على الخاضرة [illegible] الشمال [illegible]
عن [illegible] هواؤه لا [illegible] يغلب عليه البرد وفى [illegible] ومزارع [illegible] وعيون
دافقة وأمامه [illegible] خضرة [illegible] الى [illegible] هذا
المكان أحسن هواء من جميع جهات القطر أن أهله لم [illegible] كثير من الامراض الوبائية
مع ان كل تلك الامراض عمت القطر التونسى عدة مرار ولم [illegible] ان احدا من أهل ذلك
المكان أصيب بشئ من ذلك بل [illegible] اليه [illegible] عند الحلول به [illegible] من [illegible]

ما

ماشاء الله ماشاء غير أن هذا المكان به آفة عظيمة وهي كثرة الحيات المؤذية والسنة الصيف
كما يوجد ببعض جهات وجهة رديئة الهواء ولا سيما من عمل الجريد وبلاد نفطة وعدة
أماكن تسمى بها الذباب على أهلها الأمراض وترى وجوههم صفراء والواردون عليهم في
أول زمن يمرضون لا سيما في الصيف وأما في ربما تقدم فالهواء معتدل سليم
(وأما حيوانات) هذا القطر ففيه أغلب حيوانات أقاليم الاعتدال أنسية ووحشية فمن
الوحشية الأسد وأغلبه في الجهة الغربية ويضرب المثل بجرأة أسدها ومن أقسام تلك
الجهة والعرفي كل الأجم المحاذية للعمران والضبع والذئب والثعلب والفهد والنمس
وهو النسناس وخنزير الوحش والغزال والأرنب والجربوع والقنفذ ودلدل
والورل والجرذ على أنواع والبرادموس كان حاضرا في جبال ماطر وجبل
أشكل لدى بحيرة أشكل وهي حلوة فتشاهد هنالك زروعه على ملك
الحكومة وتوحش بحيث صار إذا احتيج إلى شيء منه يلزم صيده حيا وبعد ما أخذ منه
الحكومة أو بعض رجالها الحر لاشتغال وبين وقد نقل في هذه المدة الأخيرة صيد الولاة
وعدم حراسته صيد ويوجد في القطر (من الحشرات) الثعبان والأفعى في جبل
الوذارنة فإنه بعض حد لكنه غير ضر هناك بحيث يكون ما كثيرهم في الحيوانات
الأليفة كالقطط وأشباهها وهم لا يؤذونه وهو لا يضرهم ولا ينصرهم ويبلغ طول الواحد إلى
ثمانية أذرع وعلته أريد من شبرين وأما في جهات الجريد فالضرر وهنالك أنواع من
الثعبان مضرة ومنه نوع يسمى بالرقيق رقيق قوي جدا إذا قصد شيئا يصير عليه بجرأته
كالسهم وكذلك الحيات القتالة ويوجد بكثرة في الشبيكة وتامغزة من الجريد والعقارب في
الجهات غير أن كثرتها البادية في الجريد وهي مؤذية ولا سيما في القيروان وفي بعض
الجهات لا أذية منها كما في بردو وعقر الأعراب بل لا تكاد توجد هنالك وفي جبل الناظور توجد
بكثرة صغيرة الحجم لا أذية منها وكذلك يوجد العنكبوت وتارة يعظم إلى أن يصير في حجم
العصفور الصغير وهو قاتل الأذية وكذلك يوجد النمل على أنواع شتى وكثيرا ما يضر
بالزرع من القمح والشعير وكذلك الجراد يأتي في بعض السنين ويدمر بالنبات جميعا إذا
كان كثيرا والخنفس على أنواع شتى والوزغ والحرباء وغير ذلك مما هو قابل للوجود في
هذا القطر (وأما الحيوانات) الأنسية فيوجد منها الخيل ومنها الجياد العتيقة العراب
وأكثر ألوانها الزرق أي الشهب المشوبة بالسواد وبقية الألوان كالحمر والكميت
والدهم والشهب وجودة أيضا بكثرة غير أنها أقل من الأول ويوجد بقلة

البغال والحمير وهذا الجنس يستعمل للركوب وحمل الأثقال بأنواعها
والحرث ومثله البغال وأما الحمير فهي موجودة بكثرة لكنها لا تستعمل لركوب أهل
المدن وأعيان القبائل لعادتهم الاستحياء من ركوبها وإنما تركب من عامة الأعراب
والسوقة وتستعمل للحمل ومثل ذلك الإبل فلا تركب إلا كما هو في مصر وكذلك
توجد [illegible] من المعز و[illegible] من أنواعه [illegible] السلوقية وأنواع (وأما الطيور)
في هذا القطر فهي لا [illegible] وهي [illegible] في أنواع والأوز والبط و[illegible]
وهذا النوع اختلفت أسماؤه فتسمى في إقليم نسبة إلى جهة وفي تونس قد رأيت
تسميته وفي غيرها [illegible] قولا رومي وآخرون هندي وآخرون صيني [illegible] وكذلك يوجد
الحمام على أنواع شتى ومن هذه الأجناس [illegible] وأما الوحشية فمنها
[illegible] ومنها الرحالة فأما [illegible] الزرزور أي عصفور [illegible] وهذا النوع [illegible]
مخلوقة [illegible] وإن اختلفت بشدة الحر والبرد [illegible] في المدر [illegible] في مكة [illegible]
لا فرق بين داود وسوى [illegible] في البلاد الباردة [illegible] في البلاد
الحارة يميل لونه إلى البياض ومنها [illegible] والحجل و[illegible] و[illegible]
ودجاج الحرث [illegible] والنسر [illegible] و[illegible] والعصفور [illegible]
[illegible] الغراب [illegible] و[illegible] والبط [illegible]
وأما الرحالة فمنها [illegible] و[illegible] و[illegible] والكركي [illegible] و[illegible]
والبيط والزرزور [illegible] (وأما البحر) [illegible]
تونس وهي في عرض ست وثلاثين [illegible] وست وأربعين [illegible] وأربعين [illegible]
شمالا وطول تسع درجات شرقا من [illegible] من ساحل [illegible]
سيدي أبي سعيد إلى [illegible] منه [illegible] بحيرة [illegible] البحر
[illegible] القوارب أحدهما في حلق الوادي والثاني [illegible] و[illegible]
[illegible] جزيرة تسمى شكلي [illegible] على [illegible] البلاد مرسى
للقوارب الحاملة للبضائع والركاب [illegible] ومرسى حلق الوادي [illegible]
المرسى أي مرسى البحيرة [illegible] من طريق [illegible] العربية [illegible]
مع شركة فرانساوية تسمى [illegible] وهي صاحبة [illegible] الحديد العربية [illegible]
في جعل [illegible] المرسى [illegible] ويلزم [illegible] من الأعم
وهاته [illegible] أكثر [illegible] إلى [illegible] من العرض [illegible]

الأمن

الا من جهة الشرق فان حدها هنالك هو البحيرة المذكورة كما ان السور ابتدئ فيه من
جهة الجنوب ولم يتم ما بين باب الفلة وباب القرجاني وفي السور تسعة أبواب أولها في
قرب نهاية السور عند اتصاله بالبحيرة من جهة الشرق الشمالي وفتح الباب الى
الشمال ويسمى باب الخضراء ثم يليه (باب) ابن عبد السلام ثم باب سعدون ثم باب
حومة العلوج ثم باب سيدي عبد الله ثم باب سيدي قاسم ثم باب القرجاني ثم باب الفلة
ثم باب عليوة وهو في نهاية السور من جهة الجنوب الشرقي عند اتصاله بالبحيرة أيضا
ولهاته الابواب حصون على كل باب الا باب حومة العلوج وفي خلال السور حصون
أخرى كحصن القصبة وهو أكبرها وموضعه على أعلى ربوة في البلد لان البلد جاءت
في سفح ربوتين متصاعدتين أحداهما ربوة القصبة والثانية ربوة القرجاني ومن
الحصون حصن درب بن عبد الله وحصن سيدي يحيي وخارجها أيضا بقرب منها حصون
منها حصن الجلاز على أعلى رأس في جبل الجلاز من جهة الجنوب للحاضرة ومنها حصن
الرابطة في الجهة الشمالية الغربية في الجبل الأخضر وبقربه حصن فليفل وحصن
زوارة وأمام حصن القصبة داخل المدينة بطحاء عظيمة وفي جهتها الجنوبية سراية
المملكة التي بناها حمودة باشا ولا زالت معتنى بها الى الآن وهي مقر الحكومة والوالي
عند وجوده بالحاضرة وفي جهتي الشرق والشمال من البطحاء سوق ذو حوانيت وامامها
مظلات مرفوعة على أعمدة من الرخام وفي جهتها الغربية الحصن وبوسطها جنينة وفوارة
لها من ماء زغوان وبعضها بالمدينة فاصل بينها وبين الربض بطريق متسع وأشهر
الاماكن الرحيبة بالحاضرة بطحاء رمضان باي وبقربها مركز الضابطية وبطحاء الحمر
بربض باب الجزيرة وكذلك بطحاء الركاض امام القشلة الصبايحية وبطحاء الحلفاوين
بربض باب السويقة وبه أيضا بطحاء البانية وبين الربضين بطحاء باب البحر وهي أنزه
وأرحب الأماكن وحولها بناءات أنيقة وبوسطها جنينة وفوارة ويخرج منها طريق عظيم
متسع الى مرسى البحيرة وذلك المكان هو منتزه الاهالي في عشايا الصيف لان حول
الطريق العريض أشجار وقهاوي وملاهي وحول باب البحر وبقربه حارة الافرنج
ويتصل بها حارة اليهود وماء زغوان مخترق لاغلب جهات البلد في قنوات من حديد
وأغلب الاسواق متصل بعضه ببعض وقد كانت كل صناعة لها سوق مخصوص لكن
الآن وقع بعض تداخل ومعظم هاته الاسواق هو الجهة الغربية من المدينة حول جامع
الزيتونة الذي هو بقرب القصبة المار ذكرها وجامع الزيتونة هو أول جامع بني بالحاضرة

وكان تمامه سنة ١٤١ حسبما كتب ذلك على أقواس بيت الصلاة ما فوق
المواجه لمحل المقصورة ونقش عليه تاريخه بلفظ ﴿أعلم﴾ وهذا الجامع هو أعظم جامع
بالحاضرة وهو بركة أهلها ولا يخلو من رجل صالح وهو منبع العلوم وتخرج فيه فحول
علماء قديما وحديثا وإن كان أقدم منه في البناء جامع القصر لأنه كان كنيسة قبل
الفتح فصار جامعا وتشتمل الحاضرة على سبعة جوامع خطب للحنفية وأعظمها جامع محمد
باي بتجاهه ومسجد محرز بن خلف وبقية الجوامع والمساجد البالغة نحو الثلاثمائة كلها
مالكية وأعظمها جامع الزيتونة وفي الحاضرة زوايا كثيرة منها ما به ضريح سيد من
الصالحين كزاوية سيدي محرز بن خلف عماد البلد رضي الله عنه وزاوية سيدي
علي بن زياد من كبار أصحاب مالك بن أنس وزاوية سيدي أحمد بن عروس وزاوية
سيدي منصور وغيرهم رضي الله عنهم وتبلغ أربع مائتي زاوية وسكان الحاضرة
تقرب عددهم نحو مائة وخمسين ألف نسمة منهم نصارى وأكثرهم اتباع للدول
الأجنبية نحو عشرين ألفا ويهود نحو أربعين ألفا والباقون من أهالي أوبرنو بنحو
ثمانين ألفا وقرب الحاضرة على نحو ثلاثة أميال من غرب الشمال البلد باردو التي
هي مقر الحكومة وتشتمل على قصور للأمراء وقصر سكنى الولي ودار ضربه وعلى جامع واحد
وحمام وأقفاص حص وحول الحاضرة إلى مسيرة تسعة أميال وأول ما يدهش عمران
وأحسن المكان المسمى منوبة لاشتماله على قصور جميلة في بساتين ممتدة وساقية
حول زاوية تولية لصالحة السيدة عائشة المنوبية وهي في الجهة الغربية من الحاضرة
على مسيرة تسعة أميال وفي الجهة الشمالية قرية أريانة وهي البلاد البديعة حسن
هوائها ثم في الجهة الشرقية بساتين مرسى قرطاجنة التي هي أنزه وأبهى مكان حول
الحاضرة وتبعد عنها نحو سبعة عشر ميلا على شاطئ البحر لدى محل مدينة اسمها شهير الأقطار
وقال أبو عبد الله الباجي المسعودي في عدة موشحات من قوله

يا شاطئ المرسى السلام * عليك يا نزهة العيون

وأشهر أماكنها العبدلية المشتملة على سوق وقصور أنشأه لولي العهد في الولاية الأمير علي
باي وفي الجنوب الشرقي من الحاضرة على بعد تسعة أميال ... مرسى حلق الوادي
التي هي أكبر مراسي القطر ويكثر سكانها صيفا حيث ينتقل لها الولي ورجال الحكومة اليها وكثير
من اليهود للنزهة بها ويبلغ سكانها إذ ذاك إلى نحو الاثني عشر ألفا وقد أحدث خارج سورها
بناآت كثيرة نحو بلدة حديثة في شرقيها على ترتيب هندسي وبينها وبين مرسى

قرطاجنة المتقدمة بالمتحف والمنار هى أقرب الى الشابية وهى مقر امراء أهل الحاضرة
في الصيف تشتمل على أزيد من أربعين دارا أعلاها بيت متقن مطلة على البحر بحيث
يرى الجالس فى الغرف على أحسن منظر لتباعده فى الجبل مع تروى لا بد منه وان كان
طريقها وعرة وقد الصعود الى المدة الاخيرة ان شيء من ظرفها وتشتمل على ضريح
الولي الصالح سيدى أبى سعيد الباجي وعدة من الاولياء رضي الله عنهم وتنسب
البلدة الى سيدى أبى سعيد كما انه بين هاته البلدة وبلدة حلق الوادى عدة قرى
في مكان مدينة قرطاجنة العتيقة التي هي الآن خراب ولم يبق منها الا الامواجل للماء
وقد كانت مدمومة بالتراب ثم في هاته المدة الاخيرة فرغت منه ووجدت حيطانها
وطاقاتها أحسن مما بنى جديدا وهي نحو احدى عشرة ماجلا متصلة ببعضها فهي لا
تحتاج لاشياء يسيرة من الاصلاح وهي من الابنية العجيبة التي تقصدها السواح
لرؤيتها كما ان في تلك الجهة لا يزال يستخرج منها الصور الحجرية والاسطوانات
المرمرية من الارض بحث فيها على الآثار العتيقة وتستخرج منها التصاوير
والاصنام وصنوف من رسوم بها كتابات عتيقة وهي بوراقة الآثار وتارة يستخرج
بعض فصوص منقوش عليها التصاوير في غاية الاتقان ثم دخل بعد ظهوره سوق بمحلة
وان بعضهم يجري ومن قد لا يمنش ان تصدق حيل تصويرها ولا يستغرب هيئتها
الا انها أقل كثيرة كما يستخرج أحيانا قطع من المسكوكات وغيرها والحاصل ان هاتين
الجهتين وما حولهما الى جبل الخاوي لا زالت تشتمل على كثير من آثار الاقدمين
ومن القرى الواقعة هناك الآن أشبه شيء بالخراب المعلقة ودوارين طاهر بينهما
وبين حلق الوادى بساتين قرطاجنة على البحر وهي جميلة ذات قصور رائقة وفي الجهة
الشمالية الشرقية من الحاضرة بساتين سكرة وسميت بذلك لانها كان يزرع بها قصب
السكر بكثرة وتسقى من عين عظيمة عذبة جارية تحت الارض لا يعلم منبعها الا انها
آتية من الشمال الغربي ذاهبة الى الشرق تجرى في قنوات من البناء المتقن والآن عليها
آبار كثيرة ولكن من العقود صارت تلك الجهة كأنها خلاء وليس بها قصبة واحدة
سكرية وصارت أشهر رويش من السجعاني هي في شمالها الشرقي بينها وبين بساتين
قمرت التي هي قرب شاطئ البحر شمالي الجبل تحوي فيها جبل عظيم من الرمل المتنقل
أهلكت أملاكا وبساتين بتلك الجهة وهي آتية من شط ملاذ به الشاطئ ذاهبة الى
الجنوب وكأنها من الرمل التي يقذفها البحر بعد التصعيد منها في بعض مجردة والمدينة

الثانية في القطر هي القيروان وهي اختطتها الصحابة رضوان الله عليهم عند الفتح في مكان صالح لمعيشة حيواناتهم وقريب من طبيعة أرض الحجاز تشبهاً بها وبعيدة من البحر حذراً من هجمات المحاربين قبل التمكن وهي في الجنوب الغربي من الحاضرة في طول (٤٥) ثانية و(٣) دقائق وعرض (٤١) ثانية و(٣٠) دقيقة وبها الجامع الكبير الذي بناه الصحابة ثم جدده بنو الأغلب عندما كانت تلك البلدة هي قاعدة القطر ولا يزال بعض سقوف الجامع مما صنعه الأغالبة إلى الآن كما أن بها أيضاً ضريح الصحابي سيدنا أبي زمعة الأنصاري رضي الله عنه وعليه بناءات ضخمة ومدارس للعلوم وأوقاف كثيرة ولتلك البلدة سور وضريح السيد خارج السور وفي أسوارها منافذ ضيقة معرجة للخروج منه ليلاً عند غلق الأبواب وعلى السور عدة حصون وهي الآن ليست على ما كانت من العمران وسكانها الآن نحو عشرين ألفاً كلهم مسلمون ولا يدخل البلدة غير مسلم وهم قائمون بجميع ما يحتاجون إليه من صنائع وتجارة ولا يزال العلم في أهلها وبالجامع الأعظم وبمدارس السيد عدة دروس في علوم شتى (ثم ان القطر) التونسي ينقسم إلى عدة أعمال بالنظر إلى السياسة (١) فالحاضرة وما حولها إلى نحو عشرين ميلاً من كل جهة عمل (٢) ويليه من الجهة الشرقية الجنوبية عمل الوطن القبلي وهو ينقسم إلى الجزيرة ويلي الحاضرة وقاعدته سليمان وسكانها نحو أربعة آلاف نسمة وإلى الوطن وقاعدته بلد نابل وسكانها نحو ستة عشر ألف نسمة وفي الجميع أزيد من ستين قرية فمما ينقسم الأول إلى المنزل وبني خلاد وقليبية التي هي حصن على رأس أدار ومما ينقسم الثاني بني خيار وقربة والحمامات وهي حصن في الحوت المعروف بها وفي ذلك رأس الطويل مقر السادات العلويين التابعي الشريف رضي الله عنهم ثم يلي ذلك جنوبا (٣) عمل الساحل المنقسم إلى وطن سوسة ووطن المنستير ويتبع كل منهما عدة قرى فمما يتبع سوسة بلد مساكن أهاليها أشراف والقلعة الكبرى والقلعة الصغرى وغيرها وسوسة التي هي القاعدة ذات سور وحصون وهي مرسى على البحر وبها جامع عظيم وسكانها نحو ستة آلاف نسمة ولهم حضارة وبقايا من العلوم ومما يتبع المنستير بلد المهدية ولها حصن وسور وجامع وهي مرسى تجارية أيضا ولها قاض خاص وأكثر سكانها حنفية من أبناء الترك الذين سكنوا تونس وعدد سكانها نحو ثمانية آلاف نسمة ويتبعها أيضا بلد جمال وبلد المارة وغيرها والمنستير هي القاعدة ولها سور وحصون وهي مرسى تجارية أيضا وسكانها نحو

سبعة

سبعة آلاف نسمة وهي دون سوسة في الحضارة والمعارف ويلي هذا العمل (٤)
عمل صفاقس وهو جنوبي السابق على شاطئ البحر وقاعدته مدينة صفاقس وسكانها
نحو عشرة آلاف ولأهلها شهرة بالتجارة في دواخل القطر وفي الممالك الاسلامية ولهم
مزيد محافظة على الصلوات في المساجد ولهم رغبة في العلوم الدينية والأدبية وبهذه
البلدة فساقي وحصون وهي مرسى تجاري أيضا وتأوي اليها سفن الحكومة في
الشتاء لأنها أمن مرسى للسفن وشاطئها مدور وجزيرة قرقنة التي بها قرى
ولأهلها صناعة الحلفاء والحبال ثم يلي هذا العمل على الشاطئ الجنوبي (٥) عمل
الأعراض على جون قابس التي هي قاعدة العمل وسكانها نحو تسعة آلاف وهم على
البداوة ولهم مرسى قليلة التجارة وهذا العمل ينتهي الى غاية الحدود من جهة الغرب
والجنوب الشرقي الى طرابلس ثم يلي هذا العمل في الشرق (٦) عمل جربة التي هي
جزيرة في البحر وعدد سكانها أربعة من ثلاثين ألفا متفرقين على عدة قرى ولهم شهرة تامة
بالتجارة في سائر ممالك الاسلام ويلي عمل الأعراض من غربيه (٧) عمل الجريد الواصل
الى نهاية الحدود الجنوبية في الصحراء وهو منقسم الى أربعة أقسام الأول في جنوبيه وهو
وطن الوديان والشبيكة وتامغزا وبلده ثم الوطن نفطة وبلده ثم الوطن توزر وبلده
ثم الوطن قفصة وهي بها حصن وقاعدة جميع الجريد هي توزر وقد كانت مناخا
للعلوم ولا زالت بها بقايا وعدد سكانها نحو الف نسمة ثم يلي هذا العمل (٨)
عمل القيروان وقد مر ذكره لأنها التقدم على غيرها ويلي عملها شمالا (٩) عمل
أولاد سعيد من البوادي سكان الخيام ويليه في شمال الغربي (١٠) عمل رياح
المشتمل على بلد زغوان في جبلها الشهير وعلى بلد تستور وعلى بلد مجاز الباب وغيرها
وأكبرها تستور وعدد سكانها نحو أربعة آلاف وهذا العمل يتصل بعمل الحاضرة
(وحينئذ) فقد عرفنا جهة الشط الجنوبي الشرقي الى الحدود ثم ما والاه من دواخل القطر
وبقي علينا تقسيم جهاته الغربية والشمالية فأما الغربية فيتصل بعمل الحاضرة
(١١) عمل طبرنة وقاعدته طبرنة وهي قرية الآن في غربه الماء (١٢) ثم عمل
تبرسق وهي قاعدته وسكانها نحو ألفي نسمة (١٣) ثم عمل باجة وهي قاعدته وهو
عمل كبير وقاعدته ذات حصن وقصر للباي الوالي الذي يسافر بالعسكر كل صيف
الى هنالك في القديم وعدد سكانها نحو خمسة آلاف نسمة (١٤) ثم عمل الكاف وهي
قاعدته ولها حصن وهي في رأس جبل وعدد سكانها نحو خمسة آلاف نسمة ويتصل

عماله الى نهاية الحدود لمن يتقدم غير أنه لا يصل الى الشط من جهة الشمال فتلك الجهات
هي لاعمال الشمالية وتبتدئ من جهة [illegible] سكانها (٥) بوادي
ومواضع ولاية (١٦) عمل جبال مطروهي قاعدة [illegible] وسكانها نحو [illegible]
البوادي ثم ولاية (١٧) عمل [illegible] وهي قاعدة وهي مرسى [illegible] حد الوصول لها
بعض [illegible] في منفذها الى البحر يمكن ان [illegible] في أمان ولو [illegible]
اعتبارهم في التمكن من البحر الابيض وسكانها نحو ستة آلاف نسمة ولها حصن وسور
والماء يجري اليها في قنوات من [illegible] لاهلها [illegible] وصل الى
[illegible] بشكل [illegible] كالجزيرة [illegible] كثيرة [illegible]
[illegible] ويتبع هذا العمل [illegible] في نهاية الحد الشمالي من الشرق
وسكانه نحو [illegible] يتصل [illegible] الحاضرة على ذلك فقد
تصور القارئ هيئة تقسيم ارض هذه المملكة [illegible] بالنظر
الى [illegible] (ن ص ر) [illegible] هم
من البربر كانوا [illegible] بعض [illegible]
شيء من عادات النصارى [illegible] صورة
صليب [illegible] وكذلك استوطن به كثير من العرب واختلط [illegible] بالاصليين ثم
استوطن به [illegible] الاندلس بعد [illegible]
[illegible] وكذلك في [illegible] تسمى الى الآن حومة
الاندلس ومن [illegible] التي أسسوها [illegible] وتستور
وكلها مؤسسة [illegible] على شكل حسن [illegible]
واختلط [illegible] بالقاطنين ثم وفد عليهم الترك واختلط [illegible] أيضا بالاصليين ولكن
الاكثر [illegible] الاسلام [illegible] اليهود
أغلبهم في الحاضرة وباقيهم متفرقون في [illegible] النصارى
الاوروباويين نحو الاربعين الف من اجناس شتى اغلبهم [illegible]
الطليانيون ثم الفرنساويون ثم غيرهم [illegible] الفرنسيس
والاوعدد الفرنساويين [illegible] الاهالي الاصليين كانوا في
صدر [illegible] على مذهب أبي حنيفة [illegible] المعز بن
باديس حملهم على أتباع مذهب مالك وذلك في حدود سنة (٤٠٧) وبقوا على ذلك

الى

الى ان جاء الترك فكانوا هم وقضاتهم على مذهب أبي حنيفة ولذلك كان أكثر الاهالي مالكية وهذا بيان أسماء الاعمال والقبائل والاشارة الى أماكن اقامتهم (١) الحاضرة (٢) القيروان (٣) أولاد خليفة من جلاص جنوبي القيروان (٤) الكعوب والكوازين منهم غربي القيروان (٥) أولاد بدر منهم مثل السابقين (٦) أولاد سنداس منهم مثلهم (٧) كسرى في الغرب الجنوبي منهم (٨) الساحل (٩) المثاليث حول صفاقس من غربيها وجنوبيها (١٠) صفاقس (١١) جربة (١٢) الاعراض (١٣) نفات في الاعراض (١٤) نفزاوة من الجريد في جنوبيه الغربي (١٥) الورغمة في جنوبيه (١٦) الحامة في جنوبيه الشرقي (١٧) توزر في شماله (١٨) نفطة في وسطه (١٩) الشبيكة وتامغزا في نهاية الجنوب منه (٢٠) قفصة في شماله (٢١) أهل بيت الشريعة من عرب دريد رحالة ما بين الجنوب الغربي والغرب الشمالي (٢٢) أولاد سيدي تليل في تلك الجهات (٢٣) أولاد سيدي عبيد مثلهم (٢٤) أولاد عزيز من الهمامة ما بين القيروان والجريد والاعراض وهم رحالة في تلك النواحي ارحبة (٢٥) أولاد معمر منهم مثلهم (٢٦) أولاد رضوان منهم مثلهم (٢٧) الهمامة في غربيهم (٢٨) أولاد ودارمين لمراشيش في جهة الغرب الجنوبي (٢٩) أولاد ناجي منهم مثلهم (٣٠) أولاد علي منهم مثلهم وجميع رحالة في تلك النواحي (٣١) تبسة في الغرب المتوسط من اقطار (٣٢) سواد قرب الساقي (٣٣) أولاد منهم مثلهم (٣٤) أولاد بوغانم في الحدود الغربية (٣٥) رعية منهم (٣٦) شارن منهم (٣٧) عواد منهم مثلهم (٣٨) أولاد يعقوب قربهم (٣٩) النوايل مثلهم (٤٠) ورغة في جبال الشمال (٤١) الحمامسة ووطن في بحر الكاف (٤٢) الكاف سبق ذكره (٤٣) ورتان في الجنوب من الكاف (٤٤) أولاد عيار قربهم (٤٥) أولاد عون قربهم (٤٦) جندوبة شمالي الكاف (٤٧) أولاد بوسالم قربهم (٤٨) الرقبة شرقي الكاف الجنوبي وغربي جنوبي باجة وفيها جبال وهضاب من مكان الجبال (٤٩) باجة سبق ذكرها وجميع الجبال تشتمل على قبائل شتى غير خاضعين حقيقة للحكومة ممتنعين بجبالهم الوعرة وكثيرا ما ترسل عساكر لأخذ الضرائب منهم وكثيرا ما يؤدون ليها عددا عن غير تحقيق لعددهم وكسبهم وهم عمدون وامرة ووشه وجير وشيبة (٥٠) تبرسق سبق ذكرها (٥١) رباح

تقدمت أيضا (٥٢) الجديدة ورادس كل منهما قرية لها عامل مخصوص والاولى
كانت مدينة قاهرة في ولاية أحمد باشا فأتى عليها لدى انحى على ابيه في بعض حروبه
وكانت متنزهه ومستقر جنده (٥٣) ثم امرسي وحلق الوادي وقد تقدما (٥٤)
أريانة وحصن كذلك (٥٥) بنزرت كذلك (٥٦) ماطر وبجاوة تقدما وقد
تقدمت (٥٧) الوطن القبلي كذلك (٥٨) قبطنة (٥٩) طاباش (٦٠)
مجرى ليس لهم مقر بل هم متفرقون في الاوطان (٦١) أولاد سعيد في القبصة
في الشمالي الشرقي لقيروان (٦٢) السواسي جنوبيهم (٦٣) الطرابلسية
متفرقون في الاوطان (٦٤) العربة كذلك (٦٥) العروش الرقاق الاولى كذلك
(٦٦) العروش الرقاق الثانية كذلك (٦٧) دريد رحالة ما بين الغرب والجنوب
(٦٨) عرب مجور وتابعون اليهم (٦٩) أولاد حسن جنوبيو المذهب من دريد (٧٠)
وطناسة اتباع جلاص (٧١) ولاد سيدي عبد الظاهر في الجهة الغربية الجنوبية
(٧٢) طبرية تقدمت (٧٣) السالة في الشمالي الغربي من الحاضرة على فوق
عشرين ميلا وعدد جميع السكان نحو مليون ونصف لان تحقيق العدد عسير وجود سعيا
وكبير من أعراب الاعراض مثل ورغمه وكذلك جبالية جبل لا يعرف عدد ذكورهم
البالغين القادرين على التكسب فضلا عن غيرهم ولا يعرف عدد الذكور البالغين
من بقية السكان الغير العاجزين عن التكسب وهم مائة وسبعة وعشرون الفا عدى
سكان بلد تونس والقيروان والمستير وصفاقس لاستثنائهم من الاداء المرتب
على الرؤس

فصل

﴿في إجمال تاريخ هذا القطر التونسي﴾

ويشتمل على ثمانية مطالب (الاول) في نبذة من تاريخه القديم (الثاني) في علاقته
بالدولة العثمانية (الثالث) في سياسته الخارجية (الرابع) في سياسته الداخلية من
العائلة الحسينية (الخامس) في وزارة مصطفى خزنه دار (السادس) في وزارة خير الدين
باشا (السابع) في وزارة محمد خزنه دار (الثامن) في وزارة مصطفى بن اسماعيل
(المطلب الاول) في نبذة من تاريخه القديم اعلم ان هذا القطر تداولته ولاية الرومانيين
والفرطاجنيين منذ قرون عديدة قبل البعثة وصدر من زمن الخلفاء الراشدين الى ان

افتتح

افتتح الخليفة الثاني (سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه) مصر ووصل أمير
جيشها بالفتح الى برقة بين طرابلس ومصر فأرسل يستأذنه في فتح أفريقية يعني بها تونس
كما تقدم بيان وجه التسمية في الفصل السابق فأرسل اليه يقول ما معناه انها الغادرة
المغدور بها ماؤها قاس مفرقة لقلوب أهلها لا أفتحها ما دمت حيا الخ وكان وجه ذلك
سياسة منه (رضي الله عنه) لخبرته بالأمور وهو علمه بالاختلاف الدائم بين أهلها الذي
صار طبيعة لهم بحيث لا ينقادون لبعضهم ولذا اشتهرت شوكتهم وصاروا طوع الأجانب
المستولين عليهم بحيث لا يعهد منهم قيام بشأن أنفسهم بل تعلم أنفسهم الانقياد الى
الغريب عالا تسلمه الى واحد منهم والدليل على ذلك أن هذا القطر مهما تغلب عليه أجنبي
انقاد له أهله الى أن ينقرض أو يستولي عليه أجنبي آخر وحيث كانوا على تلك الصفة
فلاستيلائه عليهم ولأن كان من الاعتراف به لا تؤمن عواقبه أما (أولا) فلأن الجيش اذا استقر
هنالك ربما سرت اليه طباع أهل الإقليم كما هو شأن الطبيعة البشرية من سريان الطباع
بالمخالطة والملازمة فيقع بينهم التنافر الواجب لتصدعهم وأما (ثانيا) فإذا طلب الجيش
الإسلامي ولاة القطر الذين هم أخلاط من الرومان لابد أن يرجعوا الى بني جنسهم
ويعيدون الكرة على المحارب وهؤلاء لا يمكن لهم الاعتماد على أهل القطر في امدادهم
واعانتهم لما تقدم من جبنهم وأنهم طوع الغالب كيفما كان وذلك لا يجدي معهم رويتهم
لعدل المحارب واستقامة أمور دينهم ودنياهم لتنافي أصل الطباع من التفرع عن التعاون
وميل كل لخويصة نفسه والحامل الديني وحده غير مجد لأنه يلزم له رسوخ وتخلق ومع
ذلك قليل من يكفي له ذلك فقد قرر (أبو اسحاق الشاطبي) في موافقاته أن العلماء
على ثلاثة أقسام الأول من بلغ به العلم الى درجة تصير المظاهر في حقه ضروريا
لاطلاعه على أسرار العلوم وتخلقه بها حتى يصير العلم له طبيعة راسخة يرجع اليها
رجوعه الى سائر الضروريات ولا يمكن له العمل على خلاف ذلك كما لا يمكن للانسان
العمل على خلاف الضروري وهذا القسم قليل ما هم والقسم الثاني اطلع على أسرار
العلم لكن اطلاعا محتاجا الى المراجعة والتذكر والتدبر وهؤلاء لا يجرون على مقتضى
العلم الا بكلفة من خوف لوازع الظاهري غير أنهم ينقادون اليه بالتسليم وهو في حقه
خفيف وأدنى درجاته تؤثر المطلوب منهم والقسم (الثالث) هو الذي لا يطلع على شيء من
أسرار العلم وانما يسمع تكاليفه وينقاد اليها بالتقليد البحت وهذا لا يحمل نفسه على
مقتضاه الا بالوازع الظاهري وهو القسم الأكثر والأغلب في الوجود ولهذا أقيم في الدين

وازع الحكم الحارس للدين الشامل لجميع أقسام التصرفات الدنيوية والأخروية ولا يقال ان
أهل القسم الأول يلزم أن يكونوا معصومين وذلك لا يصح لانا نقول تصدر منهم الخطيئة
على وجه الندرة كما تفعل الخواص في بعض الاحيان هذا اجمال كلامه وأنى لاهل
افريقية اذ ذاك وبلوغ درجة القسم الاول هذا على فرض اسلامهم واما اذا رضوا
بالطاعة وضرب عليهم الخراج فالامر أيسر مع أن المقادر للمسلمين وخط التجائهم بعيد
جدا وهو جزيرة العرب حيث كانت مصر اذ ذاك في أول فتحها ولم يستقر قرارها وليس
من المعقول الرغبة في الفتوح بالتهور وعدم التقدم بتدبر أشكال بين وهو كيف يتوهم
سيدنا عمر رضي الله عنه عن بث الاسلام في افريقية متماديا بذلك التعليل وهو
تفرق أهلها مع أن الامر ببث الاسلام ليس بضرر وبانه في قلوب أهل الاقاليم ويؤيد
ما قلناه أن سيدنا عثمان رضي الله عنه لما ولي الخلافة واستقر اذ ذاك أمر الاسلام في
مصر وكان لجيش المسلمين قرب منه وقد دام أمرهم فتح افريقية بعثت سنة ٢٩ على
يد سيدنا عبد الله بن سعد بن أبي سرح رضي الله عنه معضوبا بعشر من أعيان الصحابة
والتابعين رضوان الله تعالى عليهم وكانت أسبيطلة هي القاعدة الثانية في القطر وهي
مركز المشاورة واجتماع أهل الحل والعقد لكي يكونوا أحرارا في مفاوضاتهم لبعدهم
عن الملك الذي مقره في قرطاجنة وما يرمي عليه أمرهم يبعثون به اليه وحيث كانت
تفاصيل التواريخ لهذا القطر قديما قد تكلفت بها مؤلفات متعددة ومن أجلها الحلل
السندسية ولا يمكن استيعابها في هاته الجملة لانها خارجة عن المقصود الذي هو معرفة
الحالة الراهنة وانما الذي يتوقف عليه المقصود هو بيان ما عليه الحال لكن هذا الحال
كان له مساس بامور سابقة لزم بيان مقدار الحاجة لتقرير الاسباب من جهتها ولذلك
نذكر جملة الدول التي توالت هذا القطر من حين الفتح في جدول مع ذكر صفة الدولة
اجمالا وتاريخ مدتها بدايتها ونهايتها وأسماء أصحاب الملك الى أحمد باشا من أمراء الدولة
العلية العثمانية ومنه نأخذ في ذكر بعض التفاصيل التي ينبني عليها المقصود حتى
يكون المقصود مستوفى البيان ان شاء الله تعالى

تاريخ

﴿تاريخ الولاية﴾	﴿الاسماء﴾	﴿الملاحظات﴾
٠٠٢٩	عبد الله بن أبي سرح	عامل للخليفة ثم من بعده عمال لوالى مصر التابع للخليفة
٠١٥١	عمر المهلبى أول دولة المهلبيين	تابع للخليفة المنصور العباسى وهكذا من بعده تابعون للعباسيين مع الاطلاق فى التصرف بجميع وجوهه حتى الحرب والصلح
٠١٨١	ابراهيم بن الاغلب هو أول دولة الاغالبة	مثل السابق وتوارثها بنوه
٠٢٩٧	دولة العبيديين وأولهم عبد الله المهدى	فى نفس الامر مستقلة وفى بعض الاطوار تظهر الخضوع للعباسيين وطورا للفاطميين بمصر
٠٣٦٥	دولة صنهاجة وأولهم المنصور بن يوسف	مثل السابقة
٠٦٠٣	دولة الحفصيين وأولهم الشيخ عبد الواحد	مستقلين واستولوا على المغرب ودانت لهم مصر وأخر من الشرق بعض برهة من الزمن
٠٩٨١	الدايات والبايات المرديون والباشوات منهم	اتباع للدولة العلية العثمانية فتارة يكون صاحب التصرف يلقب بالداى وتارة يلقب بالبى وتارة بالباشا
١١١٧	الحسينيون أولهم حسين باشا ابن على تركى	اتباع للدولة العلية باعتبار فى التصرف
١١٥٣	ابن أخيه على باشا	مثله
١١٦٩	محمد بن حسين باشا ابن على	مثله
١١٧٢	أخوه على باشا	مثله

﴿تاريخ الولاية﴾	﴿الاسماء﴾	﴿الملاحظات﴾
١١٩٦	ابنه حمودة باشا	مثله
١٢٢٩	أخوه عثمان باشا	مثله
١٢٣٠	محمود بن محمد باشا	مثله
١٢٣٩	ابنه حسين باشا	مثله
١٢٥١	أخوه مصطفى باشا	مثله
١٢٥٣	ابنه أحمد باشا	مثله
١٢٧١	محمد بن حسين باشا	مثله
١٢٧٦	أخوه الصادق باشا	مثله

﴿المطلب الثانى فى علاقة القطر بالدولة العثمانية﴾

اعلم أن سبب استيلاء الدولة العثمانية هو أن الدولة الحفصية ضعف امرها أخيرا الى أن استولى الطليان على طرابلس وحربه ثم افتكتها الدولة العثمانية سنة (٩٥٨) وامتد أمرها الى القيروان واضطرب من أهلها اذ كانت الدولة العثمانية هى الزاهرة أعلم الدول الاسلامية واستقلت الجزائر وكثرت حروبها لاهاليها وكانت قاعدتهم تلمسان وخشى الاهالى من استيلاء الاسبنيول عليها وكان أحد كبراء رجال الدولة العلية المسمى خير الدين باشا وأخوه عروج غازيان فى البحر فاستصرخهم أهل بجاية للنجاة من ربقة الاسبنيول فاستولى خير الدين عليها وافتكت سائر أهالى الجزائر وخطب للسلطان سليم العثمانى وذلك فى حدود عشرة الثمانين والتسعمائة ثم أنقذ تونس أيضا من جور الحفصى والاسبنيول ثم استعان آخر الحفصيين حسن الحفصى بالاسبنيول وعادا الى تونس فأنقذها ثم سنان باشا سنة (٩٨١) ورتب بها جندا من عسكر الينكشارية قدره أربعة آلاف وعلى كل مائة رئيس ومرجع الجميع الى الوالى الملقب بالباشا وهو اذذاك حيدر باشا ثم وقع تنافر بين الرؤساء آل الى حرب واستقر قرارهم الى تسليم الامر الى واحد منهم يلقب بالداى وجعل على خلاص الجباية مولى يلقب بالباى وفى عهدته تأمين السبل وجباية القبائل ويسافر لاجل ذلك مرتين فى السنة احداهما شتاء الى الجهة الجنوبية والثانية صيفا الى الجهة الشمالية ويسافر فى عسكر مؤلف من العساكر المشاة وهم اذذاك الينكشارية ومن قسم الفرسان الموطنين فى الحكومة ولهم جراية

ويسمون

ويسمون بالحوانب والصبايحية وعلى كل خمسمائة رئيس يسمى بالآغا وكل قسم يسمى
بوحق وجميعهم سبعة أوجاق لكل وحق مركز من القطر كما يستصحب الباي في سفره
قسما من فرسان القبائل يسمون بالزوارقية ويسمى جميع الجيش المسافر فيه الباي
محلة وجرى العمل على ذلك غير أن رياسة التصرف العام تارة تكون بيد الداي
وتارة تكون بيد الباي تغلبا منه واحيانا يحصل الباي على رتبة الباشا من الدولة
العثمانية واستقر الامر على ذلك الى أن كثرت الحروب الاهلية ما بين البايات والدايات على
حوز الرياسة العامة وملت الاهالي من ذلك فنادوا بطيب نفس واختيار منهم بحسين
ابن علي تركي جد العائلة الموجودة الآن اذ كان اذ ذاك آغة وجق باجة وسلموا له امر
الولاية العامة بعد قتل كل من الباي والداي السابقين وأقرت ولايته الدولة العلية ولا
زالت الولاية متوارثة في عائلته كبيرا عن كبير الا ما ندر من ولاية حموده قبل محمود بعهد
من أبيه وكذلك أخوه عثمان وأمضت الدولة العلية ذلك له في حياته ومنذ ذلك التاريخ
استقرت الرياسة العامة للباي وصار هو الذي يولي الداي الى أن انقطع هذا اللقب
وعوض برئيس الضابطية في سنة (١٢٧٧) في ولاية الصادق باشا غير أن استقرار
الولاية هكذا على نحو ما مر لم يكن بتعهد من الدولة العلية رسميا بالكتابة وانما اقتضاه
جريان العمل وذلك أن الدولة العلية كانت عادتها في الولايات اطلاق التصرف
للوالي بحيث يكون له التفويض المطلق لاتساع أطراف الممالك مع صعوبة المواصلة
الا بعد مدة مديدة لاسيما في مثل الاماكن التي طريقها البحر من مقر الخلافة كتونس
وطرابلس والجزائر ومصر وغيرها وتسمى عندهم بالاوجاق ومن كمال الاطلاق الذي
اضطر اليه البعد اختيار الوالي لانه اذا مات الوالي أو وقع ما يوجب عزله بتغلب غيره أو
بثورة عامة يسلم أهل الحل والعقد في تلك الجهة لواحد منهم لاجراء ما لابد منه وما يصل
الخبر للدولة الا بعد مدة وحيث لم يكن من قصدها الا الاهتمام بالممالك الاسلامية واجراء الشرع
فيها والادلاء بالخضوع للخلافة والانقياد اليها واداء الواجب لها من مال أو غيره لم يكن من
فائدتها مخالفة ما يراه أهل الحل والعقد في الصقع الواقع به الواقعة لان ذلك لا يحصل لها
فائدة بل ربما توقع حصول غير فائدتها المذكورة (ورب البيت أعلم بما فيه) ولذلك تولي
هي من ارتضوه لحفظ امورهم وحفظ حقوقها والمتقرر في هذا القطر التونسي من
الحقوق التي رسمتها الدولة العثمانية فيه عند تقدمه هو اعانته بالمدد من الحربية وما يلزمها
في الحروب وهدايا ترسل من الوالي الى دار الخلافة عند ولايته أو عند ولاية سلطان

أو عندما توجد مناسبة للاهداء والاغلب في الهدايا انها ان تكون من بضائع البلاد كالخيل والحيوانات الغريبة من الصحراء والمنسوجات الحريرية والصوفية ومنها آنية عطرية منقشة تصنع عند وريث السلطان فقط ويكتب فيها آيات قرآنية وأبيات من البردة وتزركش بالفضة ومنها أيضا السروج المحلات ومصحف مرجان وأعمدة الطيب والأسلحة المرصعة بالمرجان ومنها أزرار [illegible] والشمع ثم توسع في هاته الهدية حتى صارت من المال والجوهرات النفيسة وقد بلغت في بعض الاحيان الى مليونين فرنكا وما يساويها من الجوهرات وكذلك يترتب على القطر من الأشياء التي هي علامة على التبعية الخطبة باسم السلطان والراية من نوع راية الدولة ورسم اسم السلطان على السكة واعطاء لقب الباشا من الذات العلية والصدر الأعظم مع خواص الوكلاء كخير الدين باشا وامير عسكر وأمثالهم وأما عدا ذلك فلم تكن حالة القطر تقتضيه ولذلك لما رأى وزير الدولة حسين باشا ان اتجاه حالة القطر أمر رؤسائه بالحماية يقيمون بها ضرورياتهم ومن يلزم لحماية القطر من الاستعدادات الحربية وما يلزم اليه من المصالح العامة ولم يرسم شيء آخر ثم قدم قبطان باشا في حدود سنة (١٢٤٣) النقد حال القطر وما تقتضيه حالته بعد استقرار مرادبي باستقلاله في حلق الوادي وخرج له ادد الاعيان ذاك في جماعة من كبراء جنود تونس وصوابهم على مصالح بلادهم وبعد أن تحقق عنده انقيادهم لطاعة الدولة وعدم الاقتدار على الاراء فيهم من هنالك رأيهم وبقي الامر على ذلك الى أن بدى للدولة العلية ابدال عادة لدولة في شأن ولاة الاقطار من اطلاق التصرف لهم لما تفاقم حال ظلمهم وعدم ايثارهم أحيانا لاوامرها ومنهم حسين باشا والي الجزائر الذي تسبب بعماله في دخول الجزائر تحت الفرانسيس بحربهم وكان ذلك الانقلاب في دولة السلطان محمود وصدر من ولاية محمد شلبي الباشا المذكور من وصول النوبة اليه في التعمير وادخوه بسبب ما كان حصل من سابقه من تعريضه بالامتناع من نزول قبطان باشا في حلق الوادي عند قدومه لارادة التوجه الى الجزائر لعزل واليها لدى عقد الحرب مع الفرانسيس ونزوله بحلق الوادي فاعتذر له دون المكرنتينة أي تحفظ من المرض العام لاتباع نزوله وأكرم مقدمه وهداه في ذلك وكان السبب الحامل له على الامتناع هو أن دولة الفرانسيس لما أذنت بحرب الجزائر بعد الشكوى للدولة العلية كاتبت حسين باشا والي تونس بالاخبار بانها ان اعان أي شيء يلحق المضار والحرب به مع اجماع الحق على ظلم والي الجزائر فخشي والي تونس أن بعد مرور

قبطان

قبطان باشا أعانة للجزائر لأنه لا يمكن مروره بدون حماية فإذا دخل للجزائر بحمية من
عسكر تونس يعد هذا الفرنسيس اعتداء وأصابت المراد غرور باشا الجزائر في وسط
الولاية هادئ والمنافق طبع عموم من التشكي من المتولي كيفما كانت سيرته علمًا أن الجديد
يساعدهم على مرادهم كيفما طلبوا وقد كان ذلك من العلة التي تقدم القدر لهذا
الأمر في الجزائر فقتلى أحمد باشا ما سبق وأضف إلى ذلك فتح الباب من الدولة العلية في
مقدمات ما كان يعتاده وطلب أهالي تونس الأداء السنوي والاحتياج المرة بعد
المرة إلى أن توجه سفيرا عالم القطر الأوحد الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي وواجه السلطان
محمود وقبل اعتذاره وسكتت عن طلب الخراج وأما طلب من الباشا القدوم بنفسه
لدار الخلافة ولم يكن معتادا منذ أن فتح الخاقاني إلى الآن وطلب منه أيضا أن
تكون حامية تونس مع الدول بإذن خاص وولاية المنصب بأمر السلطان والاختيار
لأصحابها من الوالي ويرفع في كل عام حساب دخل الحكومة وخرجها وأما الدفوعات
للدولة في طرابلس ما تعلقه في سائر ولايتها من التعبير وكذلك في مصر لكنها
بامتيازه وقوي خوف الرجل وحصل برود كل الأبواب لاطمئنان على إقامة عادته
المألوفة ولا كل بيته والقطر من غير أن تعترض قط الاستقلال لا هو ولا من سلف من
آله فضلا عن الدخول في حماية دولة أجنبية فوقع الأمر بإرادة المواصلة منه مع دولة
فرانسا والمداراة عما لا يجر شيء من الفساد مع علمه بمحافظة ذاته لو تريد الدولة
العلية مخالفة [illegible] ما حصل عليه من دولة فرانسا هو الوعد القطعي بحمايته وحماية
امتيازاته الجاري بها العمل والعادة (وشهد) لم تر سياسة ولاية العائلة الحسينية
المستقرة الآن أن الدولة العلية في سنة (١١٠٣) أعطت جزيرة طبرقة التي هي من
القطر التونسي إلى دولة الجنويز وأذنت بذلك والي تونس فسلم الجزيرة بشروط التي
عينتها الدولة وهي أن لا يكون لهم بها حصون ولا يحفرون في سواحلها خنادق حدودا
ثم خالفوا الشروط ولذلك افتك الجزيرة منهم علي باشا والي تونس إذ ذاك في تلك السنة
وفي سنة (١١٨٤) حصلت وحشة بين فرانسا وبين علي باشا الثاني والي تونس من جهة
الخلاف في الأسرى الذين أخذتهم تونس من فرنسا قبل استيلاء الفرنسيس عليها
وكذلك صيد المرجان الذي أذن للفرنساوي [illegible] بعدد معلوم من القوارب وأداء
معلوم فأدى الخلاف إلى أن جاء الأسطول الفرنساوي إلى شطوط تونس ورمى بعض
الحصون وكان إذ ذاك رسول الدولة في تونس قادما لطلب إعانة السفن الحربية على العادة

في حرب الدولة اذ ذاك مع الروسيا فتداخل رسول الدولة في النازلة وأبرم الصلح على أن
تدخل كرسكا في عهدة فرانسا وان ترد الاسارى الذين أخذوا بعد استيلاء الفرانسيس
عليها وأن يمكنوا من صيد المرجان خمس سنين مستقبلة بثمن عشرين ورقا لا غير وأن يمكنوا
من شراء ثلاثة آلاف قفيز قمحا ويحررونها من غير أداء مراح عليها وأن يدفعوا ما جرت
به العادة عند عقد الصلح من الهدية ورجعت بعد ذلك العلاقة الحسنة المعتادة بين تونس
وفرانسا على يد رسول الدولة العلية وكذلك أرسلت خمس سفن حربية بجميع لوازمها
لاعانة الدولة في حرب الروسيا المذكورة سنة (١١٨٥) وفي سنة (١٢١٣) أمرت
الدولة العلية حمودة باشا بحرب الفرانسيس حين أغاروا على مصر فامتثل الامر
وقطع المخالطة مع القنسل وأرسل سفنه الحربية لاعانة الدولة غير انه تحفظ بالعناية على
أموال التجار الفرانساويين في بلده ولم يتعرض لسفنهم التجارية حتى قال تجار الفرانسيس
اذ ذاك نحن بلا قنسل أحسن حالا من وجود القنسل وأعلم الباشا الدولة بسبب تلك
المعاملة وهو كثرة المخالطة التجارية المتقادمة الموجبة لاشتراك مال التونسيين مع مال
الفرانسيس فلو تعرض لاموالهم لكان تعرضا للمال التونسيين أيضا وانتهت عليه من
بعض الجهلاء من الداخل والخارج وعند وقوع الصلح عرفها له نابليون الاول وصارت
بينهما مهاديات واعترف بالجميل وفي سنة (١٢٣٦) أرسلت الدولة العلية رسولا آمرا
بعقد الوحدة وترك الحرب بين تونس والجزائر وعمل بأمره وفي سنة (١٢٣٧) أرسل محمود
باشا سبع سفن حربية ثم أردفها باثنين لاعانة الدولة على حرب اليونان وفي سنة (١٢٤٣)
أرسل حسين باشا اسطولا حربيا لاعانة الدولة في حرب اليونان واحترق مع جملة سفن
الدولة ومصر والجزائر بعمل أساطيل الدول كما في تفصيله في بابه وفي سنة (١٢٥١)
أرسل مصطفى باشا والي تونس هدية لقبطان باشا عند قدومه على طرابلس انتزعها من
ايدي آل قرمانلي ثم طلب قبطان باشا الاعانة الحربية من تونس فأرسل والي تونس في
تلك السنة ثلاث سفن حربية وأتبعها بتسع سفن تجارية حاملات لاعانة من الخيل وفي
سنة (١٢٥٥) طلب أحمد باشا والي تونس تقليده رتبة مشير مع هدية فاخرة فانعمت
الدولة عليه بذلك ثم زادته نيشانا آخر يرسم في غطاء الرأس والآن زال من رسم الدولة
ولم يزل مستعملا في ولاة تونس وفي سنة (١٢٥٦) أمرت الدولة العلية والي تونس بالعمل
بالتنظيمات الخيرية وقرئ أمرها في موكب مشهور وأجاب عنه أحمد باشا الوالي بالامتثال
غير أنه طلب وقتا للعمل مع مراعاة ما يلزم من التغيير بسبب عادات البلاد ثم ألح عليه في
اتمامها

عام سنة (١٢٥٨) فأرسل هدية فاخرة مشتملة على سفينة حربية ومائتين وخمسين ألف
فرنك وطلب دوام لطف الدولة بالعطيات وفي سنة (١٢٥٧) أرسل رتبة للوالي المذكور
أمر تعظيم المولد النبوي فأمر بتعيين حكومته أبو العباس أحمد بن أبي الضياف لما ناسب
أن تخرج من باردو راكبا عنها تأمين لما ذكر مما يكفي في الوقوف بين باردو وجامع
الزيتونة فلم يفعل ذلك سلطان عثماني وليس له أن يفعل مثله فإنه خلاف الأدب
معه وإن حدث بعد الوزير المذكور وفي سنة (١٢٥٩) حصلت نفرة بين دولة
الصاردو ووالي تونس أحمد باشا كادت أن تفضي إلى حرب بسبب منع الوالي خروج ميرة
إلى سردينيا فتقدم حصل الفقر وكانت الشروط مخالفة فأرسلت الدولة العلية رسولا
خاصا للبحث عن السبب وأمر الوالي بعمل اللازم للصلح وحذرته ببراقي المبارأة وتمت
الصلح بيننا على ما كان ودفع ما أخذ من تجار الصاردو في شراء الميرة وفي سنة (١٢٦٣)
أرسلت الدولة رسولا مخصوصا للوالي المذكور لتأمينه من جميع ما توهمه من إسقاط
منصب المال السنوي وتأبيد الوالي في الولاية مدة حياته وأجاب بالفرح والقبول
لكنه طالب بإبقاء جميع الامتيازات ومنها نقل الولاية لآله عند موته وفي سنة (١٢٦٥)
أرسل عباس باشا والي مصر مكتوبا وديا للوالي وحده للأخوة ينصح فيه للوالي المذكور
بترك الأوهام لأن مقالته وبه قد ذهب للآستانة وقال بيته الصدارة مع أن أباه وأجداده
دفعوا المال لعموم حوله ولاة تونس وأنه لو يسعه عسى الآستانة في أدعية وعصطبانيا
للآستانة يكون له الحظ الأوفر فأجابه بأنه عبد للدولة ولم يحط بمكر ديني بما يتسم به
وقصارى أمره التمسك بالامتيازات التي جرى العمل والجاري به من القديم في القطر
التونسي ثم أرسل عباس باشا رسولا من العلماء وآخر من التجار لإفهامهم مع الوالي في
مقصود الدولة من ولهم غاية أملهم من إرادة للمصلحة الإسلامية وخضوع للدولة العلية
في ما جرى من الامتيازات والولاية فيتعد عدم وجوب قدوم الوالي إلى الآستانة وفي سنة
١٢٦٣ وقع خلاف بين والي تونس أحمد باشا ودولة فرانسا في شأن قبيلة من جماعة
باجة حيث أن القبيلة مقسومة إلى قسمين قسما على أرض تونس وقسما تابع للجزائر فاستولى
الفرانسيس على الجميع فتحرر الوالي أحمد باشا وكتب إلى القنصل فأجابه القنصل
بمضمون مكتوب دولته وهو أن فرانسا تعطي إلى تونس أرضا أخرى عوضا عن هذه بعد
تحرير الحدود فأجابه الوالي بأن ليس عنده الخاصة به وإنما تحديد التحديد أو إبدال بعض
الأعمال التي تعجز عن غيرها معلوم أنا تتوقف فيه على المشورة من جهة الدولة العلية وإن كان

إذ له التصرف العام في الإيالة بمقتضى اجتهاده نائباً عن المصلحة أما بقبض منهم أو بإبدال
بعضها أو لإعانة من مناب [illegible] الإسلام أولاً لما للسلطان وتقرر ما بقيت أيام المضرة بسبب
ذلك بخزانة العلي اهـ وفي سنة ١٢٧٠ أرسل أحمد باشا أربعة عشر ألف عسكريا
بجميع لوازمهم الضرورية من الحربية وفرقاطة شراعية وستة سفن [illegible] لإعانة
الدولة العلية في حرب القريم وفي سنة ١٢٧١ أردف ابن عمه محمد باشا عند ولايته ذلك
العسكر بأربعة آلاف وخيل ومهمات وفي سنة ١٢٨١ أرسلت الدولة العلية رسولا
بخلعة وصلة [illegible] حيدر أفندي [illegible] حال الثورة العامة في القطر [illegible] وأرسلت
إلى الحكومة [illegible] كالإعانة على [illegible] وفي سنة ١٢٨٨ أبرم
الفرمان الآتي ذكره الذي استقر به القرار وفي سنة ١٢٩٣ أرسلت الإيالة نحو [illegible]
ونصف [illegible] للإعانة للدولة على حرب الصرب وفي سنة ١٢٩٤ أحضرت الإيالة نحو
ذلك المقدار لكنه لم يصل منه إلى خزانة الدولة العلية إلا أقل من ربع [illegible] في صرف
منه على تهيئة [illegible] التي قدرها نحو أربعة آلاف في كسوتهم وتهيئتهم للإرسال
وحصل الصلح قبل سفرهم وهم في انتظار [illegible] من الدولة العلية [illegible] ولم يمكن للحكومة
[illegible] عليه [illegible] الأحوال كما أرسلت [illegible] لتلك [illegible]
للإعانة المذكورة نحو [illegible] وما زاد على ذلك [illegible]
بقي عند الحكومة التونسية [illegible] على إرسال [illegible] في أغلب
الأحيان بين التابع والمتبوع الذي هو كثير [illegible] نص المكاتيب
التي أرسلت من ولاة هذا القطر في النصف الأخير من هذا القرن حتى [illegible]
[illegible] كل شبهة [illegible] كما كان قبل هذه المكاتيب لأن المكاتيب [illegible] ترسل باللسان
التركي ولما تقادم عهد ولاة تونس [illegible] لا قدرة على [illegible] باللغة التركية وكان
أحمد باشا صاحب المكتوب الأول [illegible]
[illegible] الدولة [illegible]
ولا [illegible] ورسال هذا المكتوب
مع عامل [illegible] (إبراهيم [illegible]) في المرض الذي تقدمت الإشارة إليه وهو
طالب [illegible] (الأيوم) بإنعام عليك [illegible] إليك
يا فاتح أبواب القبول والإقبال وما [illegible] على [illegible]
العصمة والجلال ولا تزال عبادك [illegible] بخصوص الرحمة والإفضال [illegible] عليهم [illegible]

تعرض

تعرض عليه الأحوال ويروع عزمهم ما بتلك الاختلال ويسوسهم لاصلاح في الخلل
ولمثل صل على سيدنا (محمد) ختم الرسل وعلى آلهم عند اشتداد الازمة
والاهوال وعلى آله وأصحابه الذين وروثوا في الاقوال والافعال وسرت مكارمهم
مسرى الامثال واستوهب منك عز الابداع حده وصرائض في الاعداد حده
الدولة العلية والسلطنة العثمانية والمملكة الخاقانية التي رفعت من الملة
الحنيفية أركانها وشيدت من معالم الدين بنيانها وأقامت للحق قسطاسها وميزانها وروت
أحاديث العناية بالبيض حاصلها وورثت ملوكها الارض وهم الصالحون سلطانها
فسلطانها حتى استقرار الوجود بدعة لوقت الموعود وهو مولانا السلطان محمود الاعظم
أعانه على ما أوجبت له من فروض الطاعة وأيده الحق بجهد الاستطاعة وأحدثنا
برفقه وعدله من الاضاعة واحمل الامانة وفي عقبه الى قيام الساعة وعطف قلبه الى
سماع هذه الضراعة من بابه ومن يهمن الجماعة على لسان أحد القيم على طاعته
فيما وإنني من ثمرتها ما يلزم ويكملها وهاهو خلاف ذلك فرض على أهل الارض
وهي عنده سنة فرض فإذا لم يعرض الحال عليك فهي من العرض توس وضع
شعائر الاسلام قد يبعدها عن اعتبار أيادي الحكام وصاحبه مورها الاكبر
خوالفه أيام شأن أهل القفش من الرث والبر والصوف والوبر يهاون في
غضبه من الخز والبز هذا غالب ما عندهم الحلة ويوجد غيره يكن على قلة
ومقدار ركاة ذلك لاعانة عجب اتباع العالة هي عصل من خصباته ولا تحط
عدة وملك دائم عرانهم هذا أداه لا أصل من دينك أترف ولوفي سبيل شرف هد
معظم دخل مطر يجدت ... يلزمه ضرورة ... وحماية
أوصيه وأمين سكانه وإصلاح ... وبلاده جاه وأجناد في كل جهة
وبلاد الشام من الجبال والوهاد وردع أهل الفساد ويلزم لها كل الكسوة والطعام
والمرتب على الدوام ولا بد لهذا العدد من آلات وعدد ودوام هذا المال وهو
السبب في عرض الحال بباب الدخل على قدر الانفاق وذلك بشرط ... عليه
وإذا كانت الرعية ... وترعاها الرفق والاشفاق كان ذلك ذريعة للانفاق وسلما
للشفق وريع ... للدولة شيوخا وولدانا وكهولا وشبانا يسوقهم ...
ويقودهم الامل الى من في طاعته أثبات ... فالسلطان ظل الله في أرضه
يأوي إليه كل مظلوم وهذا من الواضح المعلوم وعندكم حسبه أمير البلاد وحفظها

من طوارق الفساد عن معظم الحماة والاجناد ، وعمرت بالاقامة احوالها وتعتبر راحة
شيوخها وولدانها ، وتعمها الخارق لامانها بما تنفقه غلاتها تمديه خلالها وعلى
هذه السيرة ودينها لا يقتنون لانفسهم مالا ولو سطر لذلك آملا الا ما يقتضيه
الحال من العادات المألوفة والمراسم المعروفة يصدهم عن ذلك عدم البدار لازهد
الابرار والله اعلم على الاسرار وعاد خطاب الكلام في حال هؤلاء الاسلام بطور
لائق بمصالح الانام ان لا قوة لهذه الا بالقيام على آداء لما بها في كل عام هذه ضراعة
رعيتك المتمسكين بطاعتك المتحرين بحمايتك المرتجين لعنايتك وعادتك قد
تبليغها بين يدي سلطنتك الخاقانية وهمتك العثمانية وتبليغها من الواجب في
حق رهو ... داعي وصدق والمأمول من همة الهمة ان الشرف هذا القطر بعين
الرحمة وهو لما له في حوزة الدولة ابد وتقلده في هذا الامر شديد فارحم ايها
المولى ضراعتها ولا تعرف عنا الا طيب حماتنا ولا مر حال وما قربناه بعض من الاسباب
والعدل وعدم فكره واعتقدنا الحل فم تعدد اه به اطلب لا يبقى رجل يقضي الى
نقص وحال او تقليل ينفع من رعية لامل ويضعف بسبب ذلك عدا العمران
وقت تعد الحاجة للاستمداد من كرم مولانا السلطان والله يعمر بك من حوادث الزمان
هذه رسالة من به استبداده ولم يكن بيده اختياره على لسان مملكة تونس مع
قدومها الوسن صالح مصرها وامام عصرها شيخ اخاعه ومنها المدى دعت له البلاد
بدعوتها وقالت به الاقصى امانيها السارية زنائبه في لنوحي السيد ابرهيم
الرياحي وجهه حالتها واستعرت ومن سبب ربك استغفرت انا وما انت اعلم بشأننا
ولا نقص من ملامة وقلنا به وعدعنا وارزدنا رحمن ساما والهمة لاعية او ما شاء له
على كل شئ قدير وكتب في اواخر ربيع سنة (١٢٥٤) ومنها ما كتبه احمد
باشا المذكور في تهنئة هذه عمارى من ارادة اتاه سنية وصل الجواب المعهود لبلوغ
الآمال ونجاح الاعمال جناب ركن الدولة وشمس ضحاها وقطب رحاها صدر صدور
الكبرا ومركز دائرة الوزرا المشير الفخم والصدر المعظم السيد مصطفى رشيد
باشا زين عقد الرجال وقبلة الوجوه بلغه من الله ما يؤمله ويرجوه (اما بعد) تقديم
ما يجب لسلطنة من فروض الطاعة بحسب الاستطاعة فان هذا العبد الذي مات
في خدمة الدولة علمه وعش في نصحها احلامه ... يجمع الدولة العلية ثابتة الاساس
معلومة في الناس واضحة وصرح الصبح غنية عن الشرح كما ... عليه سلطان
زماننا

زماننا من كرم الطباع وطول الباع أمر انعقد عليه الاجماع وما على الصبح غطاء
وما على الشمس قناع والامان الذى مهده لاهل الايمان واضح للعيان لا يختلف
فيه اثنان ولا يخطر بالبال ما ينافيه لانه من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه
وطالما تمنى هذا العبد الوفود الى الحضرة العليه ومشاهدة الانوار المجيديه لو ساعده
الزمن وتجرى الرياح بما لا تشتهى السفن وما قصده والله عدم الامان لانه من
المستحيلات العقليه مع انه لم يصدر منه خلل فى عمل ولاية فقال النص بأن التوجه
انما هو تعرض لعناية الدولة والمقام انما هو جمع ماله فى هذا القطر من الصولة
وتوقف واجب الخدمة على التعرض ازيد النعمة والصحيح فى خدمة السادات مقدم
على نعم خاصة لذات فاقتصرت بالضرورة على المسنون المألوف والملك المعروف
من تقربى الى الباب العالى بتقديم الهدية طبق الاصول الاعتياديه فى هذا الوقت
الذى أشرقت عليه الانوار العثمانيه وجمعته الشوكة الخاقانية وان كانت الدولة
عن أمثالها غنية فخار فى الامانى مكتوب الوزارة من انه صدرت المساعدة من
حضرة صاحب الخلافة بالتفضل بتوقيعه وان هديا بالوكلاء لعظام صار فى حيز القبول
بمقتضى الرحمة السلطانية فمفهوم العدد من التوقف عدم القبول ومن عدم القبول
نقصان الرضاء وفى المكتوب المذكور ما يشير الى ذلك مع ما ابداه الرسول من تفسير
الاشارة بصريح العبارة كما ذلك محرر فى صحيفة حزن لذلك الفؤاد وماج فى تيار
الافكار اذ لم يصدر منا ما يقتضى ذلك وما شككنا فى عدم ذلك أما كون سلامة
تونس وسعادتها موقوفة على تأييد الروابط المدعمة مع الدولة العلية فهو من المعلوم
ضرورة وجاحده منكر للبديهيات وأما التعهد والتوحش الموجب لانواع المكادر
فمحله اذا صدر منا خلاف ما انطوى عليه الضمير أو وقع ما يقتضى نوعا من التغير (أما)
والحالة هذه فان العبد لم يجحد حقا معتادا ولا اضمر بشهادة الله عنادا ولا وجد الاسباب
الشبهة عنادا ولم يصدر منه الا المعلوم بسالف الازمان وأقره السادة الماجدة من آل
عثمان ولا اصل بقاء ما كان على ما كان فلا غرابة والحالة هذه بالنفس ولا بالوطن
أما النفس فبوجود الامان من ظل الله فى أرضه والقائم بواجب الاسلام وفرضه
وعهد الله اعز به ونبيه بحيرة وشفقته على الرعية بأكثر من هذه لا تمال جرية
وأما الوطن فانه فى حماية دولته محوط بصولته يدافع عنه بقوته ويكافح عن
ناواه بشوكته ولا منافاة بين الحب على القطر الاسلامى وحمايته وبين التفصيل

باستمرار عادته واستغفر الله ان يحصر بالباب والحال الحال ما لا اقدر ان ادونه من
توهم الاستقلال أعوذ بك (اللهم) من هذا المقال كيف وهذا براعة طرفي كل
جمعة تنادي بطاعته مع الشكر على تقرير عادته ولا روج للدرهم والدينار الا
باسمه العلي في سائر الامصار وشرف ألقاب هذا العبد هو ما حلاه له السلطنة العليه
وأهلته له من المراتب السنيه بمحض وفاء وكمال عدلها وعدم امكان لحضور
هذا العبد الشكور اذا كان سببه صلاح الامور والمثابرة على دوام حفظ الجمهور
لا يتوقع منه المحذور وخلاف البشر في مدارك العقول معقول ومقبول وصدق
الخدمة يقتضي التصديق في القول هذا وطالب الورق شد ما به زرها وقرن باسمي
نهيها وأمرها من العبد الفقير ان يودع لامانتها في الصدر يوجب ان شرح باقي
وما فصلت عليه طويتي فأقول والله شهيد على سري وعلانيتي هذا العبد الذي
نشأ في طاعة الدولة العليه وربي في حال رضعتها الجليلة وتغذى بلبانها وعاش
باحسانها واستظل بامانها وتشرف بخدمة سلاطينها من بيت هو عاشر آبائه في
الخدمة وقوم هم مالدولة من النعمة أعظم اسبابه ودوام رضى مولانا السلطان وقال
أهل الايمان وان تبقى خدمته على سنن أبيه وجده ونيل هذا هو سعادة جده وان
هذه الامالة لصادقة على هذه الحالة لا يراع فيها مرتب ولاية كدرها شرب
حماية لعموم السلطنة وشوكة الخلافة وبهذا الحال حفظ ذاتها وصلاح
جماعتها وهو السبب في اجتماع الكلمة لهذه الامة المسلمة ومنه قول (واعتصموا
بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) واختلاف هو بعد الآفاق لا ينافي الطاعة والاتفاق
ولا يكون ذريعة للافتراق وقد ملك البلدان ما دامت مخلوق معدوديتها والمأمول
من الحضرة العليه أدام الله نصرها اذ رأت هذا العبد في مقعد صدق وحققت
ان نطق بحق ان يرق لهذه الفئة المسكينة ويرحم ضراعتهم ويجمع ما فاته عادته
الجميله جماعاتهم حاشا فضله وانصافه ان يفرع حبة تفصل بها اصلاحه [illegible] المأمول
من كرمه زيادة وهو اعلى لما [illegible] اسلافه السادة هذا ما في الجنان نطق به اللسان
بلا شبهة ولا تمويه ولا خواطر تنافيه فاذا ساعد القدر بالقبول فهو المظنون المأمول
وان كانت الاخرى فالله مع الصابرين وهو سبحانه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم
والله يعلم انا ما غيرنا ولا أضمرنا غير لدى أميرنا ويوم تبلى السرائر نسأل عما
صدرنا وهذا المكتوب بشرف بلوغه الى الباب العالي المستوجب لكل المعالي

الثقة

الهمة فاضل المؤتمن نخبة أقرانه أمثالهم أنه ابن أخينا محمد أمير لواء عسكر البحر
ومعه ما سكاتب الهمة الحبر العفيف لمنتهم ابن اعلى لدرناوى وجناب الوزارة يتحقق
بأن ما يأتى لى الحاملين من اسل يصل بعبد الفقير على أحسن حال والمرجو أن
يعودوا الى العبير يبسط النفس ويعيد لها الانس والتأييد للدولة العلية المجيدية
عز لا يحاول حده ونصر لا يحصى ثمن عنده حده والسلام وكتب فى ٢٠ ذى
القعدة سنة (١٢٦٥) (ومنها) مكتوب من أحمد باشا المذكور أجاب به مع العساكر
ارسله فى حرب القريم عند طلبه لصدر الاعظم (ونصه) أما بعد تقديم تحية
المناسبة فلان الوزارة امية ونعرض الرسالة الحالية فهذا أمير الامراء واحد
أعيان الكبراء الهمة أحمد فارس هذا الميدان ابن ارشيد وهو معظم قدركم بهذه
الهمة الصلة السابق تقريرها الحايل وزركم ووجهنا معه بقناعة أمر الالوا والتدبيرى
ما الابدا منه مرمن لاستيفاء عند عرضها على الباب العلى وبسهل الامران ذلك على قدر
العبد الله قبولا على قدر الدولة ذات العصمة والصولة والاعتماد على الوزارة العظمى
فى الانهاء والتقرير وبهم رجال تسال الآمل وتحسن الاعمال والمأمول من
وزارتكم لخصوصه امهات انتهت البالغ عند الله حسن الامنيات والبدء فى طاعة الله
وخدمة الخلافة الواحدة والمعلوم على ذلك متعاضده والانفاس متواردة والمأمول
ان يرى أمر هذا الجيش من عنايتكم فوق الأمل والله يسدده الى مرضى العمل
وينصر مولانا السلطان ويعلى بسطوته أركان الايمان ويديم وزارتكم ركنا منيعا
وكهفا رحيما والسلام وكتب فى شوال سنة (١٢٧٠) (ومنها) مكتوب من
محمد باشا عند ولايته على القطر بطلب الدولة والتقرير به لم بارسال نجدة عسكرية
لحرب القريم وهدية مالية مصاحبة للمكتوب (ونصه) اللهم انا اليك نتقرب
اليك وبالصلاة على رسولك وخلفائه الراشدين نسلك سبل المتقين ونشكر
نعمك اذ فتحت باب كرمك وهو باب الدولة العلية العثمانية والسلطنة المجيدية
الخاقانية المخدومة بالاعمال والنية المحمودة البلوغ للامنية الوارد فضلها
على الاقطار من كل ثنية والشامس عن مدح المادح غنية وكفاها ان رفعت
من الملة الحنيفية اركانا وأقامت للحق قسطاسا وميزانا وروت أحاديث العناية
صحاحا حسانا وورثه ملوكها الارض وهم الصالحون لها اتباعا سلطانا من
بنى ذى النورين لى من اختاره عبده سبحانه لعباده وأقام به شرائع دينه وفروض

جهاده وتولاه باعانته وامداده وبسر على يديه مصالح أرضه وبلاده لازالت القلوب بطاعته مؤلفة والسيوف والاقلام بخدمته مصرفة ولا السن فى الاقرار بحبها عاجز السنة منصفة وعاذا أحدى تلك الحضرة العلية الشامخة واعدم لثى فى كل وصل واصفة ضاق نطاق العبارة ولم يبق الا منعطف الاشارة فالرجوع الى السنة وضحية أهل الجنة السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله من عبد نعمته العبد كم منذ نشأ على خدمته محمد بن خديم الدولة حسين باشا باى (اما بعد) فالمعروض على تلك الحضرة وهما تؤول الامر ونفوذ الامر ان رهين نعمتكم وعبد عتقكم وعاشر هذا البيت فى خدمة كم ابن عم عبدكم ومقام أخيه المشير محمد باشا باى سار الى عفو ربه فدام الحضرة السلطانية متزودا بعبامات ذلبه من طاعة الخلافة وخدمتها بالعز والنية وفى كل بادرا هل الايالة التونسية عموما وخصوصا وكنواسبانا مرصوصا فى هذا العبد اسعروالقوا اليه مقاليد أمورهم والمعرفى حفظ حدودهم وثغورهم دهم اسعد عباو حمت عليه من جمع الكلمة الاسلامية ولدعا الى الى برالسلطنة لتيد برحياضر رضى الخلافة فى تأمين البلاد ورد وال روعة العباد وسد طرق الفساد واعتصموا بحبل اسحبها والى العبد الفقير سلطنتكم ساجد طيبا على عادة اسلافه الخدام مع اسلاف الخلائف الاطايب الكرام ووسيلته هذا العبد انه نشأ فى ظل سلطنتكم وسفى لبان نعمتكم وترقى من نعمكم الانواع والاجناس واستمد من عنايتكم بنور يمشى به فى الناس وابا الكرم يرى سالف الخدمة تأكد حرمة وقد ترجى العناية من ذلك الباب اعتمادا على فضل ذلك الجناب ولا يحتجب بغيره من الاسباب وعادات الماد ث سادات العادات والامل ان تزيد بخدمة عبدكم على خدمة من مضى حتى يرى من ظل الله الرضى والله يعلم انى فى تبنى فيما عرضت من امنيتى قبل حلول منيتى وقد بذل العبد خدمته عما كانت اليه فيه مع من تقدم واحده والقلوب والجوارح عليه متعاضدة وهو ارسال طائفة من العسكر اعانة لتلك الدولة القليلة التى تقدمت وحسن القبول قوبلت والامل الذى عليه المعول ان يشاكلها الفصل الاول ومهما وجد افل ومنتهى طاقة لضعيف وعلى قدر المهدى الهدية فى هذه الاعانة لجهادية وعلم السلطنة بالحال والكنه يقتضى الاعتصام عنه بقدم ذلك عبدا الطاعة المكتفى بوثوقه وامانته وسياسته وكفايته أحد خواص عبدكم ومحل ابنه محمد أميرا لواء وهو نائب عن العبد العاجز فى اب العمل الذى وسيلته الرجاء والامل وفضل الكرام لا يتوقف على ملاحظة عمل الالهم اعتناء على

ما

ما أوجبت هذه السلطنة من فروض الطاعة وتأدية الحق جهد الاستطاعة واعصمنا
بيدها الطولى من الاضاعة واجعلنا من رضاها على سنن السنة والجماعة (اللهم)
انا اليه ناظرون وعن أمره صادرون ونجاز وعدك في نصر من نصر دينك منتظرون
فما فقد شيأ من وجدك ولا خاب من قصدك آمين يارب العالمين وسلام على المرسلين
والخلفاء الراشدين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين وكتب في شوال سنة ١٢٧١
(ومنها) مكتوب من محمد الصادق باشا عند ولايته في طلب الولاية والتقرير مثل
السابق (ونصه) الحضرة العلية الخاقانية السلطانية المعدومة بالعدل والنية الواثقة
من عدلها وفضلها ببلوغ الامنية والشمس عن مدح المادح غنية خليفة
(رسول الله) وظل الله في الارض الحامي لشعائر الاسلام من سنة وفرض من اختاره
الحميد سبحانه للخلافة وزين عنابر صيته أوصافه وحلى بعدله كل اكنافه (اللهم)
يا كريم يا مجيد أدم له النصر والتأييد والعز المزيد والعمر الطويل المديد في الزمن
السعيد والعيش الجديد وأعن العباد في ما أوجبت له من فروض الطاعة واجعل
السلطنة فيه وفي عقبه الى يوم الشفاعة (أما بعد) السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله
فان العبد الشاكر على وفور نعمته الداعي في نعمته الناشئ في مجاريها يعرض
للاعتاب العالية ويبتهج لوصول المنولة نه تقدم بها دار للاعتاب العالي بوفاة
أخي وللحضرة العلية طول العمر ودوام الامر فصبر العبد على القضاء ورضي به حيث
توفي في خدمة الخلافة الرحمة والرضى وسلط العبد العاجز بنيه على العادة المقررة
من السلاطين السادة ووجه بنيان الاصل عند السلطنة العلية نخبة الاعيان
وصفوة الاقران وزير الجراية امير الامراء خير الدين بطالع على لسان العبد الفقير
الفضل المعتاد من لباب السلاطين لاسلاف وعلى عادة هذه البلاد وقدم العبد على
قدره ما يقتضي لعظمة السلطنة من ذكره وان كان مقام السلطنة الكبير يسمو على
التقدير ويرى الفضل بالقبول ويلزم وكل مأمول فالعبد وجه رسالة لباب الفضل وينظر
وارد من وضع الامل موضعه مثيل الوطر وسأل ان يطيل بقاء امير المؤمنين
ويعز به الدين ويقوي شوكته حبل الله المتين ويحيي بعدله سنن الخلفاء الراشدين
ويديم الخلافة فيه وفي عقبه الى يوم الدين آمين يارب العالمين والسلام على أمير
المؤمنين من عبد نعمته الخاص في خدمته المؤمل لنعمته الفقير الى ربه تعالى المشير
محمد الصادق باشا باي وفقه الله كتب في ١٨ ربيع الثاني سنة ١٢٧٦ وكاتب
فيها ذكر الصدر الاعظم بما (نصه) الصدارة العظمى والركن الاعظم الاحمى

والرتبة الشامخة انهما صدارة ركن الدولة وعز الوزارة ومنتهى الامال ومصدر
الاشارة ومن لا تفي بمحاسنها عبارة الوزير الشهير الصدر الاعظم السيد محمد باشا
لا زال كاسمه مختار سعيد الاراء محمود الاثار ومساعيه تحمدها اعلام الاقدار (اما بعد)
تقديم التحية المناسبة للوزارة العلية المستمدة من انوار الخلافة المحمدية فان العبد
الفقير قدم للاعتاب العلية خبر وفاة اخيه فانا لله وانا اليه راجعون ومن اهل الانابة قدموا
العبد الفقير العاجز لجمع الكلمة من بعد لامة المسلمة فادبتهم لحفظ مصلحة الوطن
وقت ما رآه المستوجب سنا فهو عنده مستحسن والآن توجهنا نحو السلطنة العلية
ومنبع المصالح الجلية عبد السلطنة نخبة الاعيان وصفوة الاقران وزير البحر امير
الامراء ابن اخينا امير لدين وفي رفقته امير اللواء [illegible] الفضل المعتاد من
السادة [illegible] الاعياد وحملناهم هدية على قدر العبد الفقير لا على قدر
السلطنة الكبير كما جرت عادتكم السامية تقييد ذلك وحنانكم [illegible] في بابه
من المسالك وتحقق المأمول ان وزارتكم العظمى تتصل برسل العبد الماثر بحسن
القبول كما هو المعروف من آثاركم والشائع من اخباركم وبرجوع الرسول بحصول
السلطانية [illegible] والفؤاد ودمتم دوام ملككم لاسعاد وبلوغ الارب على عمر
الآماد والسلام من معظم قدركم العالي وشاكر فضلكم المقدم والمتلى الفقير الى ربه
تعالى المشير محمد الصادق باشا باي وفقه الله وكتب في ١٨ ربيع الثاني سنة
١٢٧٦ والمكاتيب على هذا النمط كثيرة وكفى باعلان الولاء في جميع مكاتيبهم
الرسمية بلقب المشير الذي [illegible] الدولة العلية تقول من قبلهم من المشير الان
باشا باي وهاته السياسة هي التي يدين بها اهل القطر التونسي كلاعة ذات الدين [illegible]
التمسك بالامتيازات الحاصلة الآن واهمها دوام آل حسين بن علي في الولاية [illegible]
بهم ومعرفتهم طبائع اهل القطر ومقاديرهم وطبقاتهم واعتدالها [illegible] تقدم بيانه وان من
الامر غني عن البرهان لما شاع في اذهان بعض من لا خبرة له بان احمد باشا شق عصا
الاسلام وتبعه من بعده وكدر ان لم يرضوا اهل تونس بالحكم رضاهم بانه [illegible] لم
يأت شيئا فريا وغاية امره العمل على الامتيازات التي اوجدتها العادة ورام ان يحصلها
[illegible] على عز الطريق الملائم ولم يحصل الا [illegible] طلب الاداء السنوي و[illegible]
[illegible] ثبات الى [illegible] من عدم الانقياد لما عاقبته الذي ترقى
للجمهور وابه شبهة خلاف ودفع [illegible] العساكر على ما كان عهد الذي هو

في

في أواخر عهده بهذه الدار وعزمه هو وابن عمه من بعده على التوجه الى دار الخلافة كما هو مشهور عند خاصتهم وقال ان تخوفه من الدولة العلية ان اراد ان يجر به الى العدم ومعاذ الله ان أكون سببا في خروج هذا الصقع الاسلامي من يد المسلمين وخروج روحي أهون علي من ذلك هذا وان الدولة تحررت من يدي هذا الملك المستعصم ورأيته بخط أمين أسرارهم كاتبهم الخاص الوزير احمد بن ابي الضياف

﴿المطلب الثالث﴾

في سياسة القطر الخارجية (اعلم) انه لم يكن من الدول جميعا معارضة للسياسة المتقدمة حتى ان الدولة العلية كانت مرتقبة لحدوث ولاة القطر معارضة لكل ما فيه استقلال للدولة العلية بظهور بعض الدول والولاة وقد كانت تشتد في ذلك بعد استيلاء الفرنسيس على الجزائر حتى انه لم تزل تقبل احمد باشا في سفره الى اوروبا الاوسطية قصد فرنسا الدولة الحبيبة وعدل هو عن زيارتها لما ذلك نحو بعد حيث كانت تقبل رسله بالاوسعة عنها مع انحراف سيرتها عنه وقصرت من مسالكها رجاء الا ان مع من يرد بدرايته لعوده من الدول كي يعودها بتدليله في الجهات التي هي فيها امتثالا مع وجود الاستقلال رسمي للدولة العلية في المدى كانت تحوم حوله وقد تقدم ذلك عند المراسلة وأما دولة ايطاليا فانها كانت في المدة السابقة متفرقة ولما اتحدت وصار لها اعتبار الدول في السنين الاخيرة وكانت موافقة لسائر الدول رسميا وداخلة في السر بنزع بعض مواطنهم المستعمرات تنزع اليه دولة فرنسا على غير الطريقة الرسمية وذلك لان اتحاد ايطاليا صارت مشاركة للدول العظام في النفوذ في البحر الابيض وتطلب المواضع التي تناسبها في حدودها ان وحدة ايطاليا وحصل تعهد بينه روسية أحبت رسم خريطة للاستيلاء على مراكز قد ذكرنا ذلك ومنها غير انها لم تحصل على ذلك تحمي ظهرها ان تقدم من حق الدولة العلية ولان دولة فرنسا انتشر لواء السعو سياستها لا توافق على ذلك فصارت ايطاليا محافظة على ابقاء ما كان على ما كان وأما دولة فرنسا فانها لم تخالف تلك السياسة ولم يكن يعنيها أمر تونس وعاقبتها الدولة العلية الى ان استولت على الجزائر بالسياسة التي سنوردها في الباب الخامس عند الكلام على الجزائر فمن ذلك التاريخ صارت متحذرة من زيادة اتصال الدولة العلية في القطر التونسي لاسباب (منها) ان الجزائر أصلها تابعة للدولة العلية ولم يكن استيلاؤها عليها بالحرب مع الدولة العلية وانما اضطرت اليه الحال في الانتقام من والي الجزائر لاهانته نائب فرانسا (ومنها) ان نفس

الاستيلاء على الجزائر اعتمادا على مدافعتها حروب طويلة مع أهلها ومازال أهلها يدينون
في عقيدتهم بالخلافة للسلطان العثماني (وثانيا) ان مجاورة دولة قوية متصلة لدولة
العلية توجب مشاحنات يقتضيها الجوار ولا تدع احداهما الاخرى بسهولة بخلاف
ما اذا كان الجار ضعيفا فانه لا أن يؤمر فيتبع وشاهده ان بمجرد ما تم أخذ الجزائر
سنة ١٢٤٥ قدمت ورقة من القنصل الذي كان على شطوط الجزائر وطلب
رئيسها من والي تونس زيادة في الشروط منها ان لا تختص الحكومة التونسية بتجر
بل ولا تتجر ومنها ابطال اللصوص بالسفن على السفن التجارية وابطال ملك الاسرى
وابطال ما عليها من الهدايا وان يكون للفرانساويين التعامل في القطر مثل تعامل أهله
فتوقف الوالي في ذلك على كره وعجل وارسل الى دولته مراسلا معلما بان شروطا أخذت شبه
غصب وكانت اذ ذاك دولته مرتبكة في شغل من الثورة على ملكها وعدلت تلك الشروط
بعض التعديل فلولا تلك الاسباب لم يوجد من مراعاة مصالحها ومداخلتها في حراسة
سياسة تونس والذي استقر عليه أمر الدولة الفرانساوية من ذلك التاريخ الى الآن
هو ما يشير اليه ما أسر به أمين أسرار الحكومة أبي العباس الوزير احمد بن ابي
الضياف رحمه الله حين أتى احد باشاءات فرانسا وهو لوزير في خلوة قال له ان كنت
تروم الاستقلال فلا سبيل اليه والذي تعتقده مني ان فرانسا تحمي سياستها حالتك التي
انت بها الآن بحيث لا يتعدى عليك أحد من جهة البحر واما البر فدبر أمرك فيه من
جهة طرابلس وأما من جانبك هو الجبل الى الغرب فلا دخل لهم معك ذلك مشافهة
رحمه الله وهاته السياسة التي صرح بها ذلك الوزير هي السياسة المعول عليها
عند عقلاء الفرانسيس فيما وجدنا حتى قال أحد كبار جنرالات الفرانسيس واحد حكام
قطر الجزائر بقصد التبليغ الى حكومة تونس والحال انه عسكري والغالب على الحزب
العسكري هو الميل الى الاستيلاء وذلك سنة ١٢٩٥ عند ختام مؤتمر برلين في شأن
الحرب الاخيرة بين الدولة العلية والروسيا وقد اشتهر اذ ذاك ان بعض نواب الدول
في مؤتمر برلين أو مشافهة نائب فرانسا في تسليم تونس الى الانكليز أو غيره على غير
الصورة الرسمية بان تستولي فرانسا على تونس ارضاء لها ولم يتم ذلك فقال ذلك الجنرال
المذكور ان يبلغ قوله لوزيركم وبايكم هل تعرفون من هي الدولة التي تصدقكم في التي
تكذبكم فانهم يقولون لكم انا نريد الاستيلاء عليكم ليعدوكم ويغروكم منا ولا لان قد
أعدوكم منا وابيناه لا الاستيلاء عليكم فتعرفوا من هو الصادق وتعرفوا انا لم نمتنع من
الاستيلاء

الاستيلاء عليكم بمجرد حب البلاد لان مصالح الدول لا تدخل فيها الشخصيات
وانما منفعتنا العدم فائدتنا الآن في تونس ان كانت هي المال فهي فقيرة
وخالية وفرانسا ليست بمحتاجة وان كانت هي تكثير الارض ففي الجزائر اراضي
واسعة ولا زالت الى الآن خاوية محتاجة الى العمران فالاولى بنا تعمير ارضنا قبل ان
نأخذ ارضا اخرى خالية نعم مصلحتنا انما في ان نرسل عساكرنا لاطلاق الرصاص
عليهم في قابس والحمد لله ما ذكرتم غاية ما نطلبه منكم هو الهناء والراحة في داخليتكم حتى
نرتاح نحن براحة جوارنا واما اذا احدثتم الاختلال في داخليتكم واحوجتمونا الى
اطلاق الرصاص لاجلكم فالاولى ان نطلقه لاجل انفسنا لاننا كنا نتباعد عنه
توقعونا نحن فيه اه فكلامه مصرح في ان سياستهم هي ابقاء تونس على ما هي عليه
وكذلك سمعت من اعيانهم في السياسة انهم كما لا يريدون هم الاستيلاء على تونس
لا يريدون غيرهم ان يتولاها مصرحين بحقيقة سياستهم التي وفى بها كلام الجنرال
المذكور مع الانفة من منة الدول في المؤتمر باعطائهم شيئا لا فائدة فيه من زيادة على ماهم
حاصلون عليه ورغبة اربابهم في تونس بان يكون لدولة فرانسا مزية الاولى فيها
وتتقدم على غيرها في النفوذ السياسي والتجري بحيث تكون كل مصلحة مهمة لا يقدر على
عملها الاهالي او الحكومة تسلم الى الفرنساويين ويرغبون في ان تكون الادارة في
الداخلية حسنة تثمر كثرة العمران وانتشار الثروة بازدياد متجرهم وحركاتهم ونفوذهم لكن
هي وحدها في الادارة لا يمكن ان يشتغل به قصدهم ويرى بعضهم ان من اسباب التعطيل
ان تكون الحكومة قانونية شورية اذ ربما راوا ان ذلك يعارض مصلحتهم في بعض
الاحيان باستناد الحكومة في الامتناع من الاجابة الى بعض مقترحاتهم لرأي الامة التي
هي مقيدة به وذلك عندهم مما لا يمكن ان يعارض لانه هو القاعدة الاساسية في مملكتهم
وما عدى ما تقدم فلا ارب لهم في الاستيلاء على الاحكام او معارضة لوصلة مع الدولة
العلية التي لا تنقض هاتيك الاسباب فهاته هي مقاصدهم فلو تجدد بيد الادارة
في الحكومة قادرة على الانتفاع بها ودفع غائلتها ومنها عدم الاستبداد في الحكم لكان مما
يعين على الراحة ورجال الدولة الفرنساوية قابلون لاصلاح الاحكام واطرادها كما
سيأتي بيانه ومثل ذلك تقييد الحكومة بالقانون الذي لا مندوحة عنه ويقينا رجال
الدولة الفرانساوية ان التقييد بالقانون لا يفوت مصلحتهم المذكورة لان ثقة الامة
باجتماعهم تكون حالتهم ادعى الى ما يزيد في خير الوطن وما يدركه افراد المستبدين

في تونس بالتصرف من وجود مراعاة الدولة بقوة المجاورة بل كمجموع العقلاء
للامة على وجه انهم ما هو الأوفق ويراعون مقتضى الاحوال مع انهم يعرفون بين
ما يعود لما ذكر وما يعود للاوفق في خصوصية دولتهم مما لا يرضاه عموم الامة لو اطلع على
تفاصيله ولأجل ذلك ألجأت دولة فرانسا باي تونس في تأسيس التنظيمات سنة ١٢٧٤ كما
ساعدتها دولة الانكليز حتى وردت اصول الدولة الاولى وكان في آثاره اصول
الدولة الثانية ومع ... من قيامهما في اجراء الامر المختص بالشريعة وعمل الدولة
العثمانية والسيرة الحاضرة وعضدهم رئيس لا يعول الا رأس الاوى ويتحققون ان
ذلك غير معارض لصالح ولهم الخاصة وان ... بعض الاحيان ميلا
الى مواطنيه لكونه ينتسب الى ان الحكومة شورية يخشى منها تعطيل مقاصدهم
وينهون الى دولهم الاحوال على ما يوافق سلوكهم وربما شاروا الى عوارض مقصود
دولتهم اذا خالفت رأيهم فتضطر دولتهم الى السلوك على ما يشيرون به حيث ان اصول
المطيعة ترمي لوصول الى مقاصدها في الخارج باي طريق امكن وتكسو تلك
الوسائل بحلل تخفيها عمن يرى لطوفرا قوة ولا مناسبة لسيرتهم في داخليتهم وسيرتهم
في الخارج بما في الجهات التي لهم فيها ادب ومرعاة بل يرتكبون في دولة ما لا يمكن صدور
مثله في داخليتهم ووجه ذلك هو التوصل الى نفع دولتهم لان مثل تلك المنافع الراسخ
ان تعقد لاجلها الحروب التي تراق فيها الانفس وتضيع فيها الاموال من الطرق التي
يتوصل اليها بوسائل اخرى ايا كانت فهي اخف واولى ولهذا لا ترى اثر لمثل تلك السيرة
في الجهات التي لا مقاصد لهم بها بل تراهم هنالك يحترمون على خصوصيتهم في داخليتهم
وسيأتي لهذا مزيد بيان في الخاتمة ان شاء الله تعالى اذ المقصد هنا خصوص ما يتعلق
بالقطر التونسي من جهة سياسته الخارجية وحاصله من جهة مراعاة ابقاء تونس على حالتها
واعتباراتها والامتناع من زيادة الاتصال بالدولة العلية ولذلك لما قدم قبطان باشا الى
طرابلس لانتزاعها من يد آل قرامانلي سنة (١٢٥١) أرسلت فرانسا اسطولا الى
حلق الوادي حذرا من قدوم الاسطول العثماني الى تونس وتخوف اذ ذاك والي تونس
مصطفى باشا من ان يتهم بسعيه في ذلك وكتب قنصل فرانسا باطمئنانه وبعد ان جناب
الدولة الفرانساوية وجهت اساطيلها لمرسى حلق الوادي على مقتضى الحب والمودة وقابلناهم
بالاكرام لان شفوف في مراسي الفرانسيس كأنه في مراسي عمالتنا فكذلك شفوف
الفرانسيس عندنا واما اقامة الاجفان في هذا الوقت بحلق الوادي ورد بالة مولانا
السلطان

السلطان بقربنا وفهمنا السيد قبطان باشا عن أشياء تنتج لنا مضرة في الحال أو في المستقبل من
جهة الدولة العثمانية أدام الله أيامها وجودها الانتظار بما تنظر في جنابنا ظنا بضررنا
ومعلوم أننا تحت طاعة مولانا السلطان في أمره ونهيه وباسمه نخطب في جوامعنا وعلى
سكتنا ولا يخطر ببالنا أننا نعصيه أو نخالف أمره أو نعارضه بشيء فالمراد أن تعرف الأمراء
بهذه المضرة التي نتوهمها والاعتماد على كمال عقلكم في حسن التبليغ وشفوف
الفرنسيس مهما أمرنا أو أتى لمرسانا بالترحاب وتقبلها بالإكرام على مقتضى قوانين
المحبة ولا زلنا الأخير والعافية وكتب في (١١) جمادى الثانية سنة (١٢٥٢)
وأجابه القنصل عاطرين تعريفه أنه بما وصل إلينا المكتوب الذي تشرفنا به من عند
السيادة وأعطيناه الأمر للمدن وعلمنا جميع ما تضمنه وجوابه عليه هو ما نذكره وهو
أن جنابكم العلي بري وأجنبي وخارج من الاتفاق الذي اقتضاه نظر الدولة الفرانساوية
في إرسال هذا الأسطول لسواحل تونس وأنتم لا يمكن لكم أن تمنعوا دولة الفرنسيس من
ذلك وهو إرسال شقوفها لسواحل تونس ولأجل ذلك لا يوجد عليكم لوم ولا عتاب من
جناب الدولة العثمانية لأنه لا وجه لذلك ولدولة الفرانساوية تعلم تحقيق حالكم مع
الدولة العثمانية وما شاهدناه وأنت أن ترضى بما يوجب لكم عارا مع دولتكم وإنما
مرادنا أن تبقى حالتكم مع الدولة العثمانية على العهد القديم السابق من غير
تبديل ولا تغيير لكن الدولة العثمانية لا يمكن لها أن تخترع أمرا جديدا تضر به مصلحة
الفرانسيس في ناحيتها التي تحت يده في أفريقية ولأجل أن يمنع ما عسى أن يقع من
المضرة أرسل الملك أسطوله لتونس لمنع قدوم قبطان باشا إلا لأجل التصرف بما هو
مأمور به والأمراء لما بلغه أن قبطان باشا أتى لطرابلس وأعلن مراده الإتيان لتونس
في ذلك الحين أرسل الأمراء حفظا من الاحتمال يأتي تحت حكمه هنا ليعلم قبطان باشا أن
حبيب السلطان الصافي وهو ملك الفرانسيس لا يمكن له أن يتحمل هذا التعدي بوجه
من الوجوه في المملكة التي تحت يده في أفريقية لأن قدوم دونانمة السلطان لتونس
يتقوى بها فاضل أي حسينية الذي عند ما نعهده في الآثار مع مكالمة وقع ما كان بيننا
وبينه حرب فلأجل ذلك علم قبطان باشا أن لا يقدم ويرجع للمحل الذي جاء منه فإن
صمم وعزم على القدوم فإن الأمراء واجب عليه أن يصده ويمنعه بالمدافعة القوية
بالقوة اهـ فأنت ترى كيف صرح بالحالة الطولونية مع تصريحه بأن الدولة العلية هي
دولة تونس لكنها باعتبارها كما هو صريح عبارته لمن تدبرها فهي هي السياسة

الخارجية لهذا القطر واستمر عليه الى سنة ١٢٨٠ التي حصلت فيها الثورة العامة
الآتي بيانها ونادى الاهالي بالتشكي للدولة العلية وقدمت تشكيات شفاهية وكتابية
لرسولها حيدر افندي عند قدومه بالاسطول العثماني مع أساطيل الدول وطلبوا
بواسطته تداخل الدولة العلية في تحسين ادارة القطر بل ان بعض البلدان طلبوا
الاعتصام الحسي بالدولة ورفعوا العلم العثماني وتداخل في هذه الثورة نواب الدول
كل على حسب ما تقتضيه سياسته فأثرت الحالة في الوالي ووزيره مع ما هو معلوم من الحالة
السياسية السابقة واتجه الرأي ان يرسل بالشكر للدولة العلية على معاملته ويطلب منها
تحرير الروابط والامتيازات كما تقدم لم يبق معه محل للقلق فسافر بذلك الوزير خير
الدين مع التفويض التام وعرض على الصدر الاعظم وهو اذ ذاك فؤاد باشا مطالبه
وحصلت مذاكرات مع رجال الدولة عديدة اقتضت الاتفاق على أصول الروابط المبنية
على العوائد المعروفة الآتي بيانها في نص الفرمان الآتي وتلقى الوزير خير الدين مع
مزيد الترحاب من الدولة ما يليق بالوالي من منح حلاوة الثناء عليه عبارة
الاعتراض على تصرفاته التي هوت بالقطر الى الخراب وتلقى ذلك حتى من فم السلطان
عبد العزيز نفسه ثم رجع بمكتوب من الصدر فؤاد باشا محتو بأن الاصول
التي وعد بانها سيصدر بها الفرمان الذي صدر لاذن السلطان به ولم يساعف الوقت
لحصوله بصدوره ثم كتب الوالي بشكر ذلك واستنهض صدور الفرمان مرارا فيرد
الجواب بالوعد وكان جميع ذلك فيماطل به الى سنة (١٢٨٨) وكانت فرانسا
اذ ذاك في شغلها الشاغل من حرب المانيا لها فاهتمت ايطاليا من جهتها وطلبت
تأييد الانتباه من الدولة العلية وسنحت لها فرصة وهي ان وزير الحكومة التونسية
مصطفى خزنه دار اكترى ارضا وبيعت باسم كمبانية الى جمعية ايطالية وارسل
الوزير أحد أعوانه الى تلك الارض رغما للنصيب لمنع الكراء مع ما فيه من ايطاليا
من جهة تونس فادعت الجمعية حصول الضرر لها من تعدي تابع الوزير لو بعث من
الذهب على سطح تلك الارض لساوت قيمتها وامتنع الوزير من جبر ذلك وأعلن قنسل
ايطاليا بقطع المخابرة وتهدد الوالي وجهزت ايطاليا أسطولها للاستيلاء لولا تعرض
الدولة العلية الذي عجزها عن ذلك وانفصلت النازلة بالشروط التي أرادتها دولة
ايطاليا في محاكمة التي ادعت بها الجمعية ولم تختص بالواقعة فقط بل هي عمومية فتيقن
الوالي ان لا نجاة الا باحكام الوصلة مع الدولة العلية بأمر ما تحصل منه الراحة

وكتب

فكتب الوالي بسخط صدور الفرمان وكتب الوزير خير الدين للباب العالي مكتوبا
في بيان الأخطار المحيطة بالإيالة والمتداركة للدولة العلية بحفظها فورد الجواب
من الصدارة بأن نازلة الفرمان مما تقتضي إرسال من يعتمد من الوالي بتماهم في
النازلة مع تلميح أو تصريح باستقباح السيرة التي عليها الوالي والصدر إذ ذاك علي باشا
ففهم رجال الحكومة أن الدولة غير راضية بأن يبقى الفرمان على ما في مكتوب الصدر
السابق فوجه الوالي الوزير خير الدين بأنه ونص الذي (نصه) من عبد الله سبحانه
المتوكل عليه المفوض جميع الأمور إليه المشير محمد الصادق باشا باي سدد الله تعالى
أعماله وبلغه آماله إلى الهمام المحتشم أمير الأمراء الأفاخم خير الدين الوزير الباشا أدام
الله حفظه وأجزل من السعادة حظه (أما بعد) فإننا نقتفي ما نعتقده من صدقك
وأمانتك وكفايتك وخدماتك للأبواب العلية السلطانية العثمانية أعز الله نصرها
وأدام الله ظفرها للكلام بما يؤكد أصول عاداتنا الأبوية المعروفة لا الآن وما
تحصل به مع الدولة العلية في ذلك بالكتابة وما ضى في حقه فوضنا لك في ذلك
التفويض التام بحيث لم نستثن عليك في ذلك فصلا من فصول التفويض ولا معنى من
معانيه وأقوالك بما ذكر مقام أنفسنا تعود صادر عن وفاق قدره والتزمنا به واسأله
أسأل لكم التوفيق والإمداد وبلوغ الآمال والإسعاد ومع التفويض المتقدم
ومعرفة لعادات الأبوة فإن الوزير المذكور لم يتم شيئا مع الدولة إلا بعد أن عرض
على الوالي الشروط التي استقر عليها رأي الفرمان وقبول الوالي لها مع الاستحسان
فتم الفرمان مع امتداد ... على يد محمد نديم باشا وقاسى الوزير خير الدين متاعبا من
... حال الدولة العلية في زيادة شروط الاعتبار وناضل الوزير خير الدين عن
... بما شهد له بصدق الوفاء والبراعة في السياسة ولم يرد في الفرمان
كتب الصدارة الأفاضل ورجع الوزير خير الدين بالفرمان على التمام على
وثيابه بالنيشان المجيدي المرصع للوالي ولعدة من كبار رجال الحكومة
... إقامة مدة لا يحتملها حيث كان في الأستانة
مرض الكوليرا ومن استبشار الوالي به وشكره على عمله أرسل له أمير لواء العسة
مصطفى بن إسماعيل وهو إذ ذاك أعز المقربين إليه فوجهه من خارج محل الأحفا
وأبلغ إليه التشكر وبات ليلة ورجع في الباخرة المخصوصة التي قدم فيها ولما قدم الوزير
المذكور بالفرمان المشار إليه عقد له موكب كان على ما يمكن من المواكب وألبس

الوالى النيشان ثم تشرف بالفرمان وعظمه ثم قرأه علنا (وهذا نصه) تعريبه بعد
الباب العالى الدستور المكرم المشير المفخم نظام العالم مدبر أمور الجمهور بالفكر
الثاقب متمم مهمات الانام بالرأى الصائب ممهد بنيان الدولة والاقبال مشيد أركان
السعادة والاجلال المحفوف بصنوف عواطف الملك الاعلى الوالى بتونس الآن
الحائز الحامل للنيشان المجيدى المرصع من رتبة الاولى مع النيشان الهمايونى
العثمانى المرصع وزيرى محمد الصادق باشا أدام الله تعالى اجلاله آمين ليكن معلوما
عندما يصلكم توقيعى الرفيع الهمايونى انه من حيث وأودعت من جانب سلطنتنا
السنية ادارة الايالة التونسية التى هى من ممالك دولتنا العلية المحروسة المتوارثة الى
عهدة تلك الذات الفائقة والاهلية كما وجهت سابقا الى عهدة أسلافك لم تزل تظهر حسن
السيرة والخدمة وتسعى الى مقاربة السلوك لاشرف خلوص النية والاستقامة حتى صار
ذلك قرينا لعلمنا المحيط بالحال ثم شمولنا الصادق على منتهى النيم المرضية التى جبلت
عليها هو المعلوم فى ذلك الملك ارضى والجد والاجتهاد فى كل ما يقتضى عمران تلك الا
الشاهانية وسعادة أهاليها التبعة دولتنا العلية ورفاهيتهم وراحتهم حتى تستديم بذلك
استحقاق عناية الشاهانية واعتمادى الصادق المدولين فى حقك ورئه او تعرف مقدار
تلك العناية والاعتماد وتشكرهما ولما كان المقصود الاصلى والمراد الحقيقى لسلطنتنا
السنية هو رتق فتق بنية الايالة المذكورة راجعة لدولتنا العلية وعواقبها وتأسيس
أبنية الامن والراحة لسكانها يوما فيوما وكان من البديهيات أن سلطنتنا العزيزة لا يعوزها
ولا تؤودها صرف الهمة والعناية الشاهانية فى حقوقها الاصلية لتمام استكمال هاته
المطالب وورد الطلب المندرج بكتابك المخصوص الموجه من طرفك أخيرا الى جانب
الخلافة العلية قررت وأبقيت ايالة تونس المحدودة بحدودها القديمة المعلومة مع تال
بضم امتياز الوراثة وبالشروط الآتية وحيث ان مرغوبنا السلطانى … بيانه
… هو ترايد عمران تلك المملكة الشاهانية … وقد
وتأخر فى الواردات الكل من الحكومة … ال
ما كان يرسل باسم معلوم من الايالة … بموجب التبعية المقررة
المشروعة راجعة لاهالى تلك الايالة (وأما) كانت الايالة المشار اليها من الاجزاء المتممة
لممالكنا الملوكية صدرت ارادتنا السنية بان يكون الوالى بتونس مرخصا له فى تولية
المناصب الشرعية والعسكرية والملكية والمالية وعزلها لمن يكونون أهلا لها

وفى

وفي العزل عنها مقتضى قوانين العدل وفي اجراء المعاملات المعلومة مع الدول الاجنبية
كما كانت سابقا ماعدا المواد البولتيقية المتعلقة بحقوقنا المقدسة الملوكية ونعني بها
ما كان كعقد الشروط المتعلقة باصول السياسة والحرب وتغيير الحدود ونحوها مما يكون
اجراؤه راجعا الى حقوق سلطنتنا السنية وعند حلول القدر المحتوم في الولاية وتقديم
المعروض على الفرمان الشريف من الوارث الاكبر من عائلتك لطرف سلطنتنا
السنية يرسل له الفرمان الشريف مع منشور الوزارة والمشيرية الهمايوني كما استقر العمل
بذلك الى الآن شرطا أن تستمر الخطبة باسم السلطان وتزين به السكة التي تضرب
هنالك علامة على الارتباط القديم الشرعي لايالة تونس بمقام الخلافة الجليل وأن
يبقى السنجق على لونه وشكله ومهما وقع حرب لسلطنتنا السنية مع أجنبي يرسل العسكر
من تلك الايالة الشاهانية بقدر الاستطاعة وفق ما جرت به العادة القديمة في الجميع ومع
تلك المواد يكون أمر الولاية بطريق الوراثة مخصوصا بعائلتك على أن تبقى سائر
المعاملات الارتباطية مع دولتنا العلية جارية مرعية كما كانت سابقا وان تجرى الادارة
الداخلية لتلك الايالة مطابقة للشرع الشريف وموافقة لقوانين العدل التي تقتضيها
الوقت والحال الكافلة بتأمين السكان في العيش والعرض والمال لذلك. لاجل ما ذكر
صدر هذا الفرمان الشريف الجليل القدر من ديواننا الهمايوني وأرسل موشحا اعلاه
بخطنا الهمايوني فالمأمول في خلاصة نياتنا الشاهانية انما هي صلاح حال تلك الايالة
المهمة ومآل ينشأ كم سوية ذلك حالا ومآلا واستكمال أسباب السعادة والرفاهية
والامنية المتوقف تحققها تمتعا بظل عدالتنا السلطانية ومأمولنا القطعي الملوكي أن
يبذل من حسن الخدمة في حصول ما ذكر حيث كان مقام المحافظة على حقوق سلطنتنا
السنية المحققة بتونس من قديم الزمان وعلى امنية الاهالي القاطنين بتلك الايالة المودعة
لعهدة عهدتك من حيث النفس والعرض والمال وسائر الحقوق العمومية شرائط
اعتبار الوراثة الاساسية المقررة فيقتضي انك تكد عنايتك في حفظها عن تطرق الخلل دائما
سرمدا والتباعد عن وقوع الحالة المحركة على خلافها اذا عرفت ذلك فلابد ان تعرف
انت ومن يقوم مقامك في أمر الولاية بالتوارث من اعضاء عائلتك قدر هذه النعمة العلية
الشاهانية وتشكرها فعلى ذلك تسعى لتحصيل رضاى السلطاني بالغيرة ومزيد
الاهتمام باجراء هذه الشروط الموضحة وحرر في اليوم التاسع من شهر شعبان المعظم سنة
ثمانية وثمانين ومائتين وألف ونشر الفرمان في صحف الاخبار وحصل لذلك من عموم

الاهالي أفراح خارقة للعادة في ذات الحضرة وفي سائر بلدان القطر وفي سائر مساكن العربان كل عامل يناسب عوائده ودامت الزينات أزيد من ثلاثة أشهر متوالية والسبب في ذلك أما ما يتعلق بالوالي فلاستقرار أمره على أساس متين له وأما ما لم يطمع فيه من كان قبله ولم يحصل عليه كما تقدم مع الارتياح من مقاصد الاجانب المتوقعة وأما الاهالي فحصول مرغوبهم من تمام الاتصال بالدولة الاسلامية مع شروط [illegible] من ظلم وحسن الادارة فيهم من ولاتهم المختصين بهم [illegible] بين عند عهدهم وإن لم يجر المطلوب فيهم على وجوه مما ألقى الباب [illegible] وحافظ حدهم ولم يحصل من الدول الاجنبية أدنى انكار ولا معارضة لمضمنه الفرمان المذكور الا دولة فرنسا فلم توافق على الاعتراف به وبقي الامر على ذلك مبهما الى الآن لكن المقاصد والسيرة صادرة من الوزير الحالي مصطفى بن اسماعيل وما شاعت [illegible] هم صائرون [illegible] هذا العهد وهو جمادى الثانية سنة ١٢٩٧

تنبيه قد حدثت حوادث مهمة أشرنا اليه بعد الفراغ من هذا الجزء نوردها بذيل وحدها ان شاء الله تعالى بعد الكلام على سياسة دول الخارجية

﴿ قد تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني ﴾
أوله مقالة في السياسة الداخلية
من المملكة الحسينية

﴿جدول الاحصاآت﴾

﴿جدول الاحصاآت﴾

الديانة	التجارة فرنك	سكك الحديد أميال	الديون فرنك	الخرج فرنك
اسلام	٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٨١	٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٦٨٠٠٠٠٠٠٠
اسلام	٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٢٠٥	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٠٩٠٠٠٠٠٠٠
اسلام	٤٠٠٠٠٠٠٠	٢٠٠	١٢٧٠٠٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠٠٠
اسلام	م	لا	٤٠٠٠٠٠٠	م
اسلام	م	لا	لا	٤٥٠٠٠٠٠٠
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	٢١٣٥٠٠٠٠٠	لا	لا	١٧٥٠٠٠٠٠
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م

الدول	التخوت	عدد النفوس لسكان ملايين	العساكر وقت الحرب	السفن حربية	الدخل فرنك
عثمانيه	القسطنطينيه	٢٢٠٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠	٧٨	٢٦٨٠٠٠٠٠٠
مصر وتوابعها	مصر	١٦٠٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠	١٣	٢٠٦٠٠٠٠٠٠
تونس وتوابعها	تونس	١٥٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٢	١٤٠٠٠٠٠٠
المغرب	فاس	٧٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
الفرس	طهران	٥٠٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠	لا	٩٢٠٠٠٠٠٠
افغانستان	كابل	٦٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	لا	م
بلوجستان	كلات	٢٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
[illegible]	برك	٧٥٠٠٠٠	م	م	م
هرات	هرات	٢٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
خوقند	خوقند	٢٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
التركمان	مرو	٣٥٠٠٠٠٠	م	لا	م
مسقط	مسقط	٢٠٠٠٠٠٠	م	م	م
رياض وتوابعها	رياض	٢٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
عرب الجزيره		٢٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
كشمير	كشمير	١٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	لا	م
تبت	لهسى	٣٠٠٠٠٠	م	م	م
زنجبار	زنجبار	٢٠٠٠٠٠٠	م	٥	١٧٥٠٠٠٠
برنو	ككوا	٨٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	لا	م
وداي وتوابعها	وره	٤٥٠٠٠٠	م	لا	م
فلاتا	ساكاتو	٦٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
تمبكتو وتوابعها	[illegible]	٤٠٠٠٠٠	م	لا	م
عادل وحواليها	هرر	٨٠٠٠٠٠	م	م	م
الصحراء الغربيه	كرعبره	٢٠٠٠٠٠٠	م	لا	م

اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
نصرانيه	م	لا	لا	م
مشركون	م	لا	لا	م
مشركون	م	لا	لا	م
مشركون	م	لا	لا	م
مشركون	م	لا	لا	م
مشركون	م	م	لا	١٨٠٠٠
مشركون	م	م	٧٠٠٠	٢٩
مشركون	م	لا	لا	م
مشركون	م	لا	لا	م
نصرانيه	م	لا	لا	٢٠٠٠
نصرانيه	١٦٥٤٠	١٢٠٠	٢٠٠٠	٢٦
نصرانيه	٢٨٢٥٠	٩٠٠٠	١٠٠٠	١٣٨٤٠
نصرانيه	م	٥٠٠	٧٠٠	٦٢٤
نصرانيه	م	٨٠٠	٢٠٠٠	١٣٠٠
نصرانيه	٨٠٠	٢٥٠٠	٢٤٢٩٣	٢٦٦٧
نصرانيه	م	٢٠٠	٢٥٠	٢٧
نصرانيه	٤٠٠	٢٤٠	١٠٦	٣٠٠
نصرانيه	٣٠٠٠	٦٠٠	١٥٠	١٥٩
نصرانيه	٨٠٠	لا	٣٠٠	١٤٠٠
نصرانيه	٣٦٣٠	٢٠٠٠	٣٥٠	١
نصرانيه	١٦٠٠	٢٧٠٠	١٩٤٨	١٨
مختلطه	٣٠٠	١١٠٠	٢٨٠	١٢٠
مختلطه	تا م	م	تا ع	تا ع
نصرانيه	٣٥٠	١٠٢٨	٢١٥	٣٢٠

الموره	ادلی وعمرها	٤٠٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
صحراء تيموس		١٠٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
الحبشه	ادوح	٥٠٠٠٠٠٠	م	م	م
بورما	سدلای	٣٥٠٠٠	م	لا	م
صيام	بانحوت	٦٥٠٠	م	٤٠٠٠	م
كوشن ايصى	بوتوشين	٩٠	م	م	م
كمبوديا	بونبنه	١٠	م	م	م
الصين	باكين	٥٣٧٠	٥٠٠٠٠	٢٧	١٨٠٠٠٠
جاپون	يدو	٣٣٠٠	٥٢٣٠	١٢	٢٩٠٠٠
تيبوت		٢٥٠٠٠	م	لا	م
بوتان		١٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
الجبل الاسود	چتنى	٣٠٠	٥٠	م	١٥٠٠
اليونان	اتينه	٢٠	١٠	٢٠	٣٦٠٠٠٠
ايتاليا	رومه	٢٧	٨٣٩٨٣٧	٨٧	٢٩٠٠٠٠
[illegible]	[illegible]	٢٦	٢٠٦	٨٢	٥٨٨
[illegible]	ربو	٨	٧	٥٠	١٣٠
فرانسا جمهوريتى	پاريس	٤	٢٢٢١٦٤	٥٤	٢٩٦٧٠٠
[illegible]	باب	٢٥	٢٠	لا	٣٧٠٠٠
بلجيك	بروكسل	٥	٢٠	م	٣٠٠٠٠٠
نمسا ناحيه	ويننا	٣٨٥	٩٤٠٠	٧	٨٧٥٠٠٠
اصرب	بلغراد	٢٠٠٠٠٠٠	٢٢٥٠٠	لا	٤
الرومانيه	بخارست	٥٠٠	١٤٠٠	م	١٠٠٠٠٠٠٠
انكلاتره	لوندره	٣٠	٥٤١٢٣٥	٣٨٣	١٨٣٠٠٠٠٠٠
[illegible]	كالكوته	١٧٥	٤٩١٠٠٠	لا	١٢٠٠٠٠٠٠
[illegible]		٥٠٠٠		لا	تابع
هلاندوتو [illegible]	[illegible]	٢٢٨	١٤٠٠٠	١١٨	٣٢٠٠٠٠٠

[illegible]	٢	٥	٢٥	١٢
[illegible]	١١	٧٧	٢١٢	٢٢٠
[illegible]	٣٠	٥٤	٣	١٣
[illegible]	٣	٩	٩٥	٥
[illegible]	م	لا	لا	م
[illegible]	م	لا	لا	م
[illegible]	م	لا	لا	م
[illegible]	م	لا	لا	م
[illegible]	م	لا	لا	م
[illegible]	م	لا	لا	م
[illegible]	م	لا	لا	م
[illegible]	م	لا	لا	م
[illegible]	م	لا	لا	م
[illegible]	م	لا	لا	م
[illegible]	م	لا	لا	م
[illegible]	٦	٧٤	١٠	١٧٥
[illegible]	م	٥٧	١	١٢٥
[illegible]	٣٨٧٧٥	لا	م	٨
[illegible]	م	لا	-	م
[illegible]	٤	٣٧	١	٢٠
[illegible]	...	١٢	١٨	٢٨١
[illegible]	م	م	م	م
[illegible]	م	٤٠	٢٠	٨٥
[illegible]	م	م	م	م
[illegible]	٢	م	م	م
[illegible]	٥١٥	٣	٤	١

المانيا	برلين	٤١٠ ٠	١٥ ٠٠٠٠	٧٣	١٣٢١ ٠٠٠٠٠
اسوج ونروج	ستوكهولم	٥٥٠ ٠	١٤٠٠٠	١٢٨	١٣٦ ٠٠٠٠
الدانيمرك	كوبنهاغ	١٨	٤ ٠	٣٧	٧٠٠٠٠٠٠ ٠
اروسيا	سان بطرسبورغ	٨٢ ٠	٥ ٠	٢٢٥	٢ ٠٠٠
باس وماحاورها	[illegible]	م	م	لا	م
نيبه ى	بور كوكا	م	م	لا	م
كرمان		م	م	لا	م
ادريا	ربوه	٥ ٠	م	لا	م
فا كى رما ...		م	م	لا	م
د ه به	اوشج	٨ ٠	٢	لا	م
[illegible] وما		م	م	لا	م
اورج بماه رها		م	م	لا	م
بادموان	د دمان	م	م	لا	م
[illegible]		٠٠٠٠٠ ٠	م	لا	م
[illegible]	تبارده	٥ ٠	م	لا	م
مركا لقة	[illegible]	٤٢ ٠ ٠٠	٢٠٠٠٠٠٠٠	١٧٨	٢ ٠٠٠ ٠
[illegible]	[illegible]	٩١٣٤٠٠٠	٢٢٤ ٠	٩	١٢٥٠ ٠٠
[illegible]	[illegible] لا	٢٥٨	٠	لا	٨٠ ٠٠٠
كاوبا	[illegible] وكونا	٣	م	م	م
م	[illegible]	١٥٠ ٠	٢٠٠	٢٥	٣٠٠٠ ٠٠٠٠
[illegible]	[illegible]	٦٥ ٠	٦١١٢٤١	٨٧	٢٨١ ٠٠ ٠
نواه	شوكرت	٢٥	م	لا	م
[illegible]	[illegible]	٢٢٥٠	م	م	٨٥٠٠٠ ٠
[illegible]	[illegible]	٢٥ ٠٠٠	م	م	م
نا بوذيا	[illegible]	٢٥ ٠	م	م	م
ارخاسى	[illegible]	١٨٧٧٤٩٠	م	م	١٠٥ ٠٠٠٠٠

ملاحظات

كل ماهنا اعتبار السادر واردى فى سنة ١٢٩٧

١١٦٢٥٠٠٠٠	عدد نفوس الصابى المستقلين باحكامهم

يضم عليهم عدد نفوس الصابى الداخلين تحت احكام غيرهم

٦٠٠٠٠٠٠٠	فى الصين
٤٠٠٠٠٠٠٠	فى الهند
٨٠٠٠٠٠٠	فى الروسيا
٣٠٠٠٠٠٠٠	فى فرانسا
١٠٠٠٠٠٠	فى بقية المحلات
١٢١٠٠٠٠٠٠	

١٢١٠٠٠٠٠٠	
٢٣٧٢٥٠٠٠٠	
٢٩٧٧٤١٤٩٠	عدد نفوس النصارى
٧٨٩٣٠٠٠٠٠	عدد نفوس الباقى من المشركين وغيرهم
١٤٢٤٢٩١٤٩٠	

﴿الجزء الثاني﴾

من كتاب

صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار

تأليف الفاضل المحقق والأستاذ المدقق قدوة العلماء وصفوة الأذكياء

وحيد عصره وفريد دهره

الشيخ محمد بيرم الخامس

التونسي رحمه الله

به وبعلومه

آمين

﴿طبعة أولى﴾

﴿بالمطبعة الإعلامية بمصر سنة ١٣٠٢ هجرية﴾

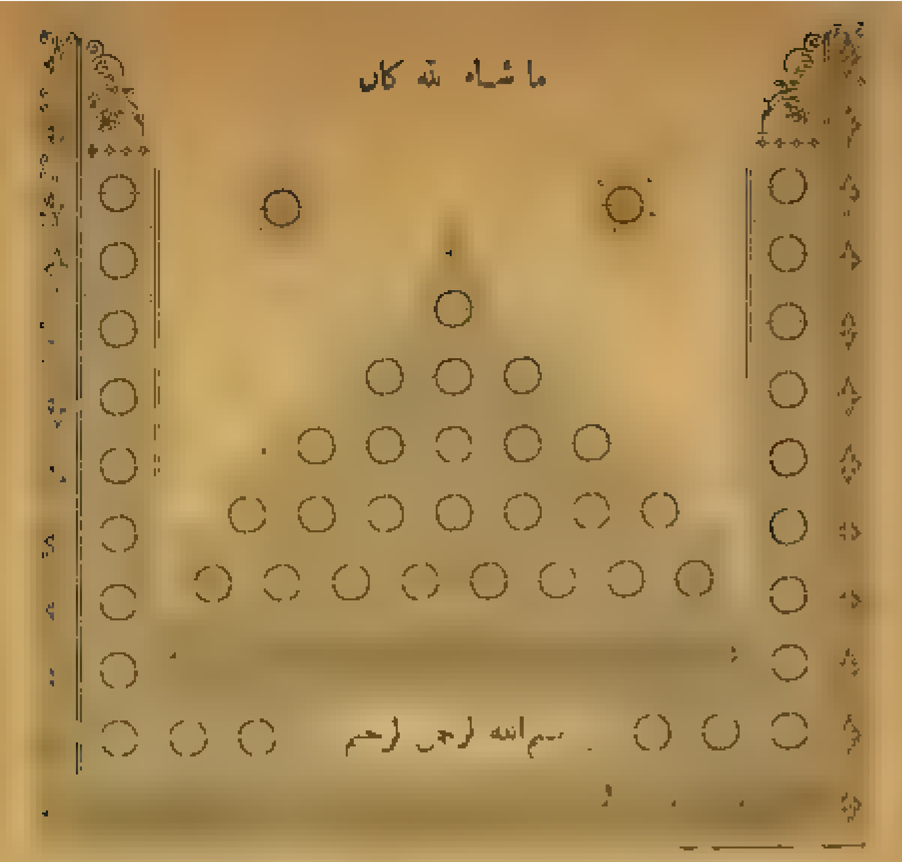

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

✱ (الباب الرابع) في البيان عن حلية من الدولة الحسينية أعلى الله منار دولتها الحسينية هذا القطر التونسي كان مدار أمرهم الرفق بالأهالي وتحوط واتباعهم عن مهمات الملك ورفاهية رعاياه داعيا الى تعلق اتباعهم وأمرائهم هي (ما يلي)

✱ فوظائف صاحب الطابع يعني حافظ ختم الوالي وهو مورد جميع المكاتب ومباشرة الموظفين ومسالم بمباشرة الوالي ويكون هو الواسطة بينهم وثانيها باش كاتب وله رياسة الكتابة ومحاسبة العمال والرأي في كل الأحوال وثالثها خزنه دار وهو حافظ مال الحكومة في قصر الوالي ورابعها باش آغة وله رئاسة أعوان أو حاق الخيل وخامسها كاهية وله نيابة الوالي في الأحكام وسادسها أمير الترسانة ولنظره ما يرجع الى البحرية وسابعها باش حانبه وهو الواسطة بين الوالي والمشتكين اليه ومن رياسة الحوانب وهم الأعوان المحبالة للحكومة وهاته الوظيفة منقسمة الى قسمين أحدهما باش حانبه ترك والآخر باش حانبه عرب وهذا له نفوذ على الآخر وثامنها باش ملوك وله رياسة

رياسة ادارة الشرطة الأمرى وتابعها الداى وله الحكم فى الجنايات مطلق الا القتل وهو
خاص بالوالى وله حفظ الراحة فى خصوص الحاضرة وعاشرها شيخ المدينة وله الحكم
فى الديار وحفظ المدينة ليلا من السرق ويرجع اليه سائر المعاملات العرفية وخصومات
الاجناس فى الديون كما ان فى كل ربض شيخ الخصوص حفظه ليلا وحادى عشرها آغة
القصبة وله الحكم فى العسكر الانكشارى والجنايات الخفيفة ومثله آغة الكرسى
بالمحاماة بالرحبة عن السابق وثانى عشرها رئيس مجلس التجارة ومعه عشرة أعضا
يسمون العشرة الكبار ولا يجتمعون الا فى مهم كان لكل منهم اعضاء يفصل الخصومات
المتعلقة بالصنعة وثالث عشرها كخية دار الباشا وفصل الجنايات الخفيفة حول
الحاضرة وهذه هى اهم المراتب السياسية والعسكرية واما الدينية فاولها الباش مفتى
الحنفى أى رئيس المفتيين ثم المالكى ثم المفتى الحنفى ثم المالكى وقد يزاد على واحد
فى كل من المذهبين ثم قاضيان لكل مذهب قاض ثم قاضى باردو ثم قاضى محلة أى
العسكر المار مع وارث الولاية ثم قضاة المدن الكبيرة وحكام قضاة المدن الاخرى
والجوامع المذكورة لا يحدث احباسها من ولاية مفتى حنفى فى المدينة والستر وهؤلاء
أصحاب الاحكام وهناك وظائف دينية كالمدرس والامام والخطيب وصاحب الولاية
أى الامير بمجلس يوم يعمل حتى الحكم بنفسه حالا فى المشتكى من العساكر والموظفين
ومن الحرابة وقطع الطريق ومثال ذلك اما نوازل المعاملة بين الناس فهى للحكام
الشرعيين ونوازل الجنايات للحكام وفى الجنايات الجسيمة يباشرها بذاته وله الحبس مع
لاعقاب الشاوى المنسوب بالعسكر اكثر وله الضرب ثلاثمائة سوط فقط واعظم به من مباح
حدود الشرع وهكذا كل نازلة ونهاية ترجع الى حكامه من رياسته مع التوقير التام
للحكام أهل الشرع ووجود احكامهم ولو على ذوى المناصب العلية ويجتمع رؤساء
المفتيين والخطيب والقاضيان وقاضى باردو يوم الاحد بحضرة الوالى وترد عليهم سائر
النوازل المهمة فى الحقوق الشخصية وليس للوالى الا التنفيذ فيما يحكمون به مع غاية
التعظيم والتوقير ولا زال طرف من هذا العمل الى الآن بحيث ان هيئة العلماء وتوقير
الشرع بعلامات فى القصر تزيد على بعض ما يجب لها من الاجلال وكذلك سائر
الشعائر الدينية ولقد ادركت ان سب الدين لا يمكن ان يكنى عنه بجهالة العبارة تعصبا
وتوقيرا بل يكنى عنه بسب المنكر ونرى الكبير والصغير يقول من سب المنكر أديب
بالرصاص فى حلقه كأنه هو حكمه المعروف وكذلك سائر العبارات الفاحشة مما يكنى به

عن العورات لا تذكر أبدا ومن يذكرها في خلواته يعد من السفهاء ولقد تعرضت في هذا
المعنى لحال وقت الأمر (وأما) ما يتعلق بالجباية وصروفها فقد كان لا يؤخذ من الأهالي
إلا الأعشار من الحبوب من القمح والشعير ثم عشر الزيت وأداء مالي حسب مقدار مرتب
العساكر المستكثر بها يقسم على المدن القطر يؤدى عن منه أقساطا في السنة وهو نزر
يسير ثم العاشر وهو المسمى في العرف بالقرق ثم مداخيل الأرضي والأملاك الراجعة
لبيت المال مع ضرائب خفيفة على القبائل مثل البلدان المار ذكرها عوضا عن زكاة
المكاسب يوزعها على أفرادهم مشايخهم وعرفاؤهم كل قبيلة بحسب حالها ولما
امتدت أيدي العمال بما يسمونه خوه وهو أخذ ما يقدمه أهل العمل للعامل برسم
الضيافة ثم ما يقتطعه منهم باسم وهبة أي هبة ثم العمل على الجباية بالمال جعل لذلك
حمودة باشا على العمال أنفسهم أداء يسمى بالاتفاق هو في نوع قسمة ما يأخذونه من
الأهالي ثم زيد على ذلك ما يسمى بالنصبة وهو ما يجعل رشوة للواسطة بين الوالي والعامل
وآخذها إما أن يعطى من أقارب الحكومة أو بأخذ الكل على حسب قربه من الوالي ثم
إن جميع ذلك مشروط فيه أن لا تشتكي منه الأهالي فإذا ضجت قبيلة واشتكت للوالي
من عاملها عزله حالا وينكله لم يؤخذ منه مقدار ما يجحف بالأهالي فإن تجاوزت حده
ثم يصرف جميع ما تقدم في مصالح الحكومة وأعظمها من مرتبات العساكر وقوتهم
ومرتبات المتوظفين بغاية الاقتصاد وهي مرتبات ضعيفة والناس إذ ذاك مقتنعون
بعيدون عن الترف يكتفون بمصنوعات القطر في الملبس والمسكن والمركب ولاسيما القبائل
لاسيما العلماء وقد رأيت بخط بيرم الثاني جدي في حساب خاص بشؤونه بيان مرتباته
ومراتبه من الأوقاف والحكومة فبلغ مجموعها شهريا إلى ثلاثين بالأوقية أرباع
الريال التونسي وهذا مع ما هو عليه من جمع وظائف العلية وهي رئاسة الفتوى ونقابة
الأشراف ومشيخة المدرسة الباشية ودرس وذلك في أوائل هذا القرن ثم كان له كما
لبقية أهل المجلس الشرعي جراية من الطعام وهي اثنا عشر قفيزا قمحا ومثلها شعيرا واثنا
عشر مطرا زيتا وكان ذلك كافيا له ولعائلته وأبنائه وكانت ولاة القطر من بني حسين بن
علي يعتنون بالاقتصاد وحمل الأهالي عليه وأوجه سياسية فيه فمنها أن حمودة باشا رأى
كثرة لبس الشال الكشميري أي الهندي بين الأهالي وحضر من الشال المصنوع في جربة
عددا ولبس هو منه وألبس رئيس الكتبة أيضا ولبس ذلك اللبس يوم العيد اتفاق
وفود الهناء والصلاة وكان في أثناء إقبال الأعيان على هنائه يلتفت إلى رئيس الكتبة
ويقول

ويقول جيورفيم الشال هذا صنيع الدنيا في ادارة او لاضاعة أموالنا خارجها او الاعيان
يسمعون وهم لابسون الشال الكشميري فودوا ان لم يكونوا لبسوه من الخجل حتى ان
من يسمع منهم قبل الدخول عليه ازاله ويستعار من غيره الشال العربي واستكثروا من ذلك
التاريخ عن الكشميري وله وقائع عديدة مثل هاته وهو في الحقيقة أعقل فروع ذلك
البيت الذين استولوا على المملكة وأنشئ فيهم ما لم يكن فيه من الحصون والقشل والسفن
والمحاجر حتى ان مبانيه الخاصة به لم تزل متمتعا بها الى الآن كبستان منوبة الذي صار
قشلة للعساكر وداره بتونس المسماة الآن سراية المملكة واعانه مقام وزيره يوسف صاحب
الطابع المنتسب أى مجرات من كثرة اياديه في عرق المرمر اصناف والاقتصاد الذي
لم يكن القطر يتحمل سواه حتى ان حمودة باشا المتوسع في الرفاهية زيادة عما تقدم
توفت حكومته في دين قدره خمسة ملايين ريالات أى ثلاثة ملايين فرنك باع بها رتبة
سلمها للتاجر الافرنجي ولم يكن ما احصاره لهم فنشأ عن ذلك ولا يقتصا كرصاحب الطابع
الاداره بشروطه الشديده على الوالى في ضبط يده عن التصرف في المال وفي الاعمال
والحفظ دولولى اغلب ما فيها من فضة وذهب واحتفظ على خاصة مصاريفه
الذاتية وتحملات الاهالى اولا ولا ينقطع لم ما يتبعه الى تحصيل الدين وعن عجز
الحكومة وموجبات الاقتصاد الكلي هي ضعف موردات الحكومة للاقتصار على
الحذق في تحصيل الشرعية أيام شيمة كما تقدم في توزيع جبايات العساكر [illegible]
على الديانة والاستمرار على ما تأمره به الديانة أيضا في سائر الاحوال الا ما شذ كالعقاب
بالمال على رجع من منعه شرعا وأمثاله كما تقدم طرف منه ما دامت الرعايا راضية به ثم
ان الاقتصار على ذلك لا يجمع منه مبالغ تقتضي الترف لان طبيعة أرض القطر ولان
كانت خصبة غير ان كثرة توالى الحروب عليه والامراض والمظالم في الدول السابقة أفنت
من السكان اقدارا اوفر وقد نقل بعض المؤرخين ان عدد سكان افريقية في صدر
الاسلام ويعني بها ما يشتمل برقة المغرب وفي الآن بلدي سارى وطرابلس وتونس والجزائر
هو تسعة عشر مليونا مع ان عدد الجميع الآن لا يبلغ ستة ملايين ثم مع قلة السكان ضعفت
أعمالهم واتسع عليهم الحال وبقيت الارض معطلة لوجوه منها عموم الجهل بصناعة
الفلاحة وتعمير الارض وتكثير الاثمار ومنها خوف صاحب الثروة على نفسه وماله
فيرى انه يعمل لغيره فيرجع منه الباعث ومنها الاكتفاء بما خف لسهولة الرحيل في
الفتن ومنها عدم الزراد كثرت الغلات وخوف لصعوبة نقلها للمدن وعلى تقدير

وصولها الا بعد دفعها مشتريا للمنع اخراجها من القطر لاجل الحروب المتكررة مع أوربا الا ان بعض
الاجناس أحيانا لوقوع الصلح معه فاذا بقيت التجارة في البلاد رخص سعرها لزيادتها
على قدر الكفاية واستمرت السيرة على نحو ما ذكر الى (ولاية أحمد) باشا وأخذت الحكومة
في طور جديد وتبعها الاهالى على مقتضى قاعدة الناس على مذهب أمرائهم وذلك ان
هذا الوالى كانت له همة عظيمة فكر في حالة القطر وقد وجد في ولايته ابتداء
تنظيم العسكر النظامي فانشأه وجمع معلماتهم وتنظيم رؤسائهم ثم جد في تفخيم هيئة
الحكومة تفخيما لا يخرجها عن المقام الحقيقي [illegible] في مكاتيبه القاب الشعر
بالاستقلال كالالقاب الدولة [illegible] في [illegible] تخفيفا من ذلك
كل [illegible] هو [illegible] الالقاب
المار ذكرها [illegible] رئيس [illegible]
بشيخ الاسلام في [illegible] على [illegible] واهمها
على الترقي [illegible] ثم [illegible] ثم [illegible] ثم امراء الامر
[illegible] ثم [illegible]
[illegible] من الحرير [illegible]
والظهور في هيئة [illegible] ثم [illegible] للموت واعيان بعض
الكبراء وشكل للوظائف السياسية وزراء ولقب كلا منهم بالوزير في خطاباته الرسمية
الا اذا عرض ذلك في مكاتيب الدولة العلية فانه يتحاشاه واول من تلقب بتلك الالقاب
في هذا القطر هم الوزير مصطفى صاحب الطابع وهو رئيس الوزراء عند اجتماعهم
وصاحب التقدم عليهم لسنه وسابق تربيته للوالى لكنه لا تصرف له في شيء معين ثم
الوزير مصطفى خزنه دار وزير العمالة أي الداخلية والمالية ثم مصطفى آغا وزير الحرب
ثم محمود كاهية وزير البحر ثم خوزاف رافو وزير الخارجية وفي آخر مدته لقب الذي بوزير
التنفيذ وهو اذ ذاك كاتب سر [illegible] وكان كل من هؤلاء الوزراء يباشر بنفسه فيما يتعلق
بوظيفته ولا يتداخل واحد في وظيفة الآخر بشيء ولا عود لاحدهم على الآخرين
وربما الا الوزير الاول لكنه لرتبته [illegible] معزى الوالى كان يقتصر على
نصح الوالى بما يراه او يبدى له رأيه عندما يستشيره وصاحب النفوذ الحقيقي هو
مصطفى خزندار لتقريب الوالى اليه ولان مقتضى وظيفته التعلق بالاهالى والعمال
وجميع أصحاب الادارة وحيث كان هذا التفخيم يستدعي زيادة المصاريف والميل

الى

الى الترف مع ما في نفس الوالي من الكرم على أهل اصطفائه وكبراء العساكر
دعاه ذلك الى زيادة الضرائب على الاهالي باعتناء مموهها أثقلت الظهور وأوجبت
التقهقر وزعيم ذلك الملك عمارة ومحمود بن عياد باتحاد مع الوزير مصطفى خزنه دار مع
انحصار جميع أنواع مصاريف الحكومة في يده من قوت العساكر وملابسهم وجميع
المهمات للحكومة وله ثالث الوالي ولذلك وظائف عديدة وهي الرابطة وهي قبض
الاعشار ودفعها والكوشة وهي عمل الخبز والغابة وهي قبض اعشار الزيت وخرجها
والمرفة وهي اشتراء جميع مهمات الحكومة والوالي وانحصر جميع ذلك وغيره في ابن
عياد وتماهى الوالي عن المذكور وكادت ان تنحصر فيه ولايات جميع العمل ووظائف
سائر جبايات الاموال المشتركة بينه وبين ذي اليد وقدم ابن عياد لاقتداره على
ارضاء الوالي باحضاره دفعة لا وعدا ما يطلبه من المهمات والاموال وامتدت يده بزيادة
انظار على ما تركه الحكومة باصناف مضاعفة ومن اشتكى لا يجاب الا بقول الوالي
الخاص مع عمومه وتوصل الى كتب الاوامر بخطه سرا هو والوزير وعصمه الله الوالي
من غير علم احد مع تحسين الوزير لذلك عند الوالي بان ما يجمعه ابن عياد يكون خزينة
حاضرة في ما اراد الوالي عند [illegible] استقلاله على كسبه وجمع ابن عياد بذلك اموالا
عريضة قدرها [illegible] وقد نقل الانكليز بتونس الذي اقام بها ما ينوف عن
العشرين سنة في رسالة التي الفها فقد حاق طريقة تلزيم مداخيل الحكومة بما بين
ما يوناه هو واشتهر على السنة الرعية في تونس وارسل ابن عياد تلك الاموال الى فرانسا
واحتال على السراح للسفر الى هناك للتداوي وعندما علم هو وشريكه ان عاقبته وخيمة
واحس بمباديها وسرحه الوالي ولم يحاسبه الوزير حتى سافر من غير حساب فلما سافر
الى هناك احتمى بدولة فرانسا واعلن بعدم الرجوع كما طلب الحماية لشريكه وحصل
على الاذن فيها غير ان دولة فرانسا اعطفت الامر ورجعت عن حماية الوزير وعلمت ان
سببها هو خيانته لبلاده وهو عندهم من أعظم الذنوب كما هو في نفس الامر لكن ابن
عياد ابام الشروط الواجبة في نيل الجنسية الفرانساوية وحصل عليها بالفعل قبل
الاطلاع على أعماله لم يكن في وسع دولة فرانسا نزع ما ناله اذ قوانينهم لا تسمح بذلك
وعندما علم أحمد باشا بضياع ابن عياد مع الاموال الذريعة التي نهبها ولم يحاسب على
تصرفه ديض لخصامه الوزير النصوح خير الدين واتفق الفريقان على تحكيم امبراطور
الفرانسيس نابليون الثالث فامر بعقد مجلس من ثقات المعتبرين في الوزارة الخارجية

للنظر في النازلة وعرض الوزير خير الدين مطلب الحكومة وعرض ابن عياد مطالبه
وألف كل منهما نحو ثمانية عشر رسالة في المنازلة وأرسى الأمر فيما بعد مدة سنين
على صدور الحكم من الامبراطور ومعناه

﴿ريالات﴾

٠٤٤١٧١٤٩٠	ثبوت مال على قبل ابن عياد للحكومة
٠٢٠٩٠٢٧٥٠	وثبت عليه أيضا من رسوم بنكه وتذاكر مراج
٠٣٥٠٧٤٢٤٥	
ـ ٧٨٤٥٩٠٧	وثبت لابن عياد على الحكومة
٠٢٧٢٢٨٣٣٧	فاذا طرح ذلك من مجموع ما ثبت للحكومة بقي

قبل ابن عياد سبعة وعشرون مليونا ومائتان وثمانية وعشرون ألفا وثلاثمائة وسبعة
وثلاثون ونصف كما صدر الحكم عليه من محاسب في تونس على الرابعة وغيرها مما لم يمكن
الحساب عليه في باريس وقد أفردت هذه المنازلة بتأليف مخصوص للوزير خير الدين
حيث كان له خبرة بالمنازلة لانه كان نائب الوزير خير الدين عند حضوره فيها ومعنا محمد
الأبداد في نازلة محمود بن عياد وما حصلت هذه المنازلة الا بعد ما ثبت في الحكومة نازلة
مثلها اذ الوالي مرض في ذلك الاثناء بمرض الفالج وصارت مدته واستبد الوزير مصطفى
خزنه دار وعوض ابن عياد بالقائد نسيم الذي وضعه نائب قابض المحصول وكذلك عوض
ابن عياد فيما يرجع للعمال بسعد بن عبيد وغيره ولم يمكن لبقية الوزراء انهاء الامر
الى الوالي لمرضه وبقي الحال على ذلك الى ان توفي ذلك الوالي سنة ١٢٧١ في نصف
رمضان ولم يترك على الحكومة ولا دانا من الدين بالربا ولا بغيره الا ما لا يمكن خلو الوجود
منه كدفع أثمان بعض موهومات مما لم يحل أجله واقدامه على عدم حصول الدين او دبر
خير الدين لان الوالي كان أرسله لعقد قرض في فرانسا عند ارسال العسكر لحرب
الروسيا سنة ١٢٦٩ ولم يمكن له معارضته لانه مستبد لكنه تشدد في شروط القرض
وسوف حتى توفي الوالي المذكور وساعده وزيره محمد باشا على عدم الاستقراض ومع
ما تقدم فاحمد باشا مدة صحته لم يستبد عليه وزيره لما ترجمته في تقرير أهمها احياء
العلم بعد ان كاد يندثر فرتب في جامع الزيتونة ثلاثين مدرسا جارية قدرها ستون ريالا
في الشهر وهذا المقدار اذ ذاك له موقع عظيم لما تقدم لك في مقادير مرتبات العلماء ثم
رتب اثني عشر مدرسا اخر بمرتب خمسة عشر ريالا في الشهر وحصص للأولين موارث

من

من لا وارث له الا جعل ذلك لبيت المال وللنائبين احباسا لاشتهار ايدي العدول كما
أقام بجامع خراش كتبا موقوفة آلاف مجلد وتخلص من ذلك احياء العلم وكثرة
العلماء بالقطر ومنهم من يحول بين غيرهم ولا زال ذلك مستمرا وعند ما ولي محمد باشا في
سنة ١٢٧١ لم يغير شيئا من نظام الحكومة لكنه جعل أكبر همه رفع المظالم على
الرعايا وجلب نفوسهم لما كان يتعقبهم من المضرات التي كانت حاصلة لهم وأبقى وزراء
ابن عمه على ما كانوا عليه ما عدا من كان منهم في خزنة دار لكنه عاد على الأمور وزير
المتقدم لديه اسماعيل الذي صاحب الطابع وكان كالباحث على حتفه بظلفه
عن شدة عن الجميع كما يرد خبره (والسبب) في ذلك هو تخوف اسماعيل من تقدم أحد
او بعده للوزارة المعتبرة وهي وزارة العمالة فابعدت بعضهم من ذلك وابعد وعاهده
مصطفى خزنة دار على الاقدام به وتقدمه لي عند ما ادخله في الوزارة فسارع للوالي
وقال له لا غنى لنا عن مصطفى خزنة دار لانه عالم بما عنده من أسرار الحكومة
وأموالها الى غير ذلك ولم يزل به الى ان أقره وعاهده على الصدق والنصح وأما الوزير
مصطفى صاحب الطابع فقد ابقاه شيخ الوزراء من غير مباشرة وأما محمود كاهية وزير
البحر فانه توفي وولي عوضه الوزير خير الدين وفتح الوالي أمره بتنقيص كثير من العسكر
بعد انفصال حرب مع الروسية مع مراعاة ضبطهم فابقى في الخدمة القدر الكافي
على قدر كفايته وجعل بعضهم ... مع ابقاء المقام وكذلك أسقط جميع المظالم
التي لا هي عوض عن ما أقره واحد على كل فرد ذكر بالغ قادر على السعي وهو ستة وثلاثون
ريالا في السنة أي ثلاثة ريالات في الشهر وهي قدر يكفي لمن لا يجحف به مع
مكان ضبطه ... أعفى من الغرر ... مع تحصيل العوض به بالمال وعمم ذلك
الاداء على جميع السكان وابطال بالسوية ولم يبق عليهم غير اعشار الحبوب من القمح
والشعير وعشر زيت أو عوضه من القانون وقانون ... أي الخراج على اعداد النخل
ولم يستثن من ذلك أحدا الا أهالي المدن الكبيرة وهي تونس وقيروان وسوسة والمنستير
وصفاقس فأبقى بها أنواع الاداء السابق اعتاضا لاعفائهم من أنواع المكاسب وتلك
الاداءة ذلك أقل بالمرور والانصباب ... بين الأشراف من أهالي الوطن
القبلي لعدم سابقية ادائهم وكذلك ضبط اعشار القمح والشعير وجعل على كل ماشية
قدرا معينا هو أقل ما يمكن حصوله في العالم الا ان يكون عند ما المرة وإذا ثبت أسقط
بعضه عن صاحبه وذلك المقدار هو ربع العشر من كل نوع وان زاد العشر الحقيقي على

ذلك القدر فهو موكول الى ديانة صاحبه يدفعه ان شاء كل ذلك تحاميا عن ايرث المظالم
وتكدر رتب اعتبارات وجعل لها مكاييل منضبطة ولا باحد الا بعشر وشيئا يسيرا
مقدارا معينا لكراء العمرة وشدد النكير على العمال فيما اداه نفث ايديهم الى
شيء زائد من الرعايا لانه جعل لهم مرتبات على حسب اعمالهم ياخذونها من الحكومة
ولم تمنعه منه قرابة العامل فرابته لانه كان صلبا في الحق حتى عزل اصهاره. ما احدثوه
من الرعايا وسجن بعضهم عما كانوا وسجن اتباعهم الذين تركوهم في لاحدوا وسعوا
فيه ولذلك انكف الوزير مصطفى خزنه دار وصار على حذر لانه نذر او احرمه الوالي
المذكور وكان هذا الوالي حريصا على الحكم ولو بالقتل فيما يراه من الحقوق واشتد
خوف الوزير منه باطنا الى ان حصل من احد اتباعه انه تفوه اليهودي بسب الدين
الاسلامي على ملاء من جمع عظيم من المسلمين وكان امر الدين اذ ذاك وشعائره بالمكان الاعلى
على من تقدم بيانه فاهتزت البلاد تعصبا للقضية وقد رأوا ان ارخاء الاحكام
لانه اعمال دم على مثل ذلك داعي لاحتقار نسيده الذي هو من خواص الوزير
وبلغ ذلك للوالي وقد كان منذ قريب قتل عسكري بالقتل لم يهوديا على مقتضى المذهب
الحنفي من قتل المسلم بالذمي مع ان احكام قتل النفس في القطر جارية على
مقتضى المذهب المالكي لانه يرى القود بمجردا وهو اوفق بحالة اهل القطر
ومذهب اعلامهم هذا المذهب لا يرى قتل المسلم بالكافر غيلة والى عادة البلاد
واجرى حكم المذهب الحنفي فلزمه نظر للهيجان العام توحيد النازلة الى المجلس الشرعي
فحكم المالكية بقتل اليهودي وخالفهم علماء الحنفية وكتب فيه الشيخ بيرم الرابع
بالموافقة مع نقل نصوص مدارها على تعزير الساب وقد يلحق به القتل وهو المذهب في
معروضات ابي السعود وقد تحقق مظنته العامة بان الوزير عارض انتصار اتباعه
في انفاذ الحكم وطلب من الوالي ان يحكم هو في الحق بغير القتل والح عليه فامتنع لما تقدم
واحتال الوزير حتى دعى قنصل الفرنسيس للتداخل في النازلة وانفذ الوالي الحكم
فانتهزها الوزير فرصة ولا دبر بواسطة قنصلها الى ان اتى الاسطول الفرنساوي
في اوائل سنة ١٢٧٤ والح رئيسه وقناصلهم وعضدهم قنصل الانكليز على انشاء عهد
الامان وعما استدل به كل منهم على الدولة العثمانية من تنظيمات خيرية حتى صرح
بذلك وزير الخارجية في مكتوبه المرسل في ذلك الشأن الى قنصله المأمور بقراءته
على الوالي وتعارض الوالي مع خاصته ووزرائه في ذلك واستقر الامر على انشاء عهد

الامان

الامان وقرئ في موكب شامل لجميع المتوظفين وأعيان البلاد ونواب الدول ورئيس
الاسطول الفرانساوي (ونصه) بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أوضح للحق
سبيلا وجعل العدل لحفظ نظام العالم كفيلا ونزل الاحكام على قدر المصالح تنزيلا
ووعد العادل وأوعد الجائر ومن أصدق من الله قيلا والصلاة والسلام على سيدنا
محمد الذي مدحه في كتابه بالرؤف الرحيم وفضله تفضيلا وبعثه بالحنيفية السمحا
فبين لنا فصولها وأصولها تفصيلا ورتبها كما أمره ربه بالحق وندبا وتحريما وتحليلا فلن
تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا وعلى آله وأصحابه الذين قاموا
على معالم الهدى على ما أراد الهادي دليلا ووفوا الشريعة تصاولا وتأويلا وأبقوا
من آثارهم الصالحة وأحكامهم العادلة أمانا جليلا وسنوهب اللهم توفيقا يوصل إلى
الأمل برضاك توصيلا وعونا على أمور الامارة التي من حملها فقد حمل عبئا ثقيلا
فقد توكلنا عليك وفوضنا اليك وكفى بك وكيلا (أما بعد) فإن هذا الامر الذي
قلدنا الله منه ما قلده وأسنده الينا من أمور خلقه في هذا القطر بما أسنده ألزمنا
فيه حقوقا واجبة وفروضا لازبة لا تستطاع إلا بإعانته التي عليها الاعتماد
ولولاه ما قام بحق الله وحق العباد فهو مما استودعه الله في عباده وأرصده
وبلاده والأمل أن لا يبقى فيهم مجهول يقطعها ولا ظاهر ولا يحرم لهم في قائمة
حقوقهم قطعا وأنى ينصرف عن هذا القصد عاقل بنيته من يعلم أن الله لا يظلم مثقال
ذرة ولا يعزب عنه مثقال ذرة في بريته فقد قال لنبيه المعصوم الأواب يا داود إنا جعلناك
خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين
يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وسيرى أني آثرت في
قبول هذا الامر على خطره مصلحة الوطن على ذاتي وعمرت بما تقتضيه الفكرية
والمراقبة على أوقاتي وقدمت من التعليمات في الجبايات ما علم خبره وظهر بعون
الله أثره فأثمرت الآمال وتشوقت النفوس إلى غرائب الاعمال وقبضت عن التعدي
أيدي العمال واستقصاء المصالح يقتضي تقديم ما هو من أهمها جهة وقد عرضها
بسبب التعدي إلى الاهمال ورأينا غالب أهل القطر لم يحصل لهم الامنية بإجراء
ما عقدنا عليه النية وجرت عادة الله أن العمران لا يقع من نوع الانسان إلا إذا علم أن
براءته هي الامن له والأمان وتحقق أن سياج العدل يدفع عنه خوف العدوان
وأن لا وصول لهتك ستره من حرمة الإباحة لدليل ووضوح برهان ولا يكفي لتحقيقه

الواحد والاثنان على رأى الحاكم تعدد لانا رغطات كان متصاحبه وقال ومن
يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه وقد رأينا سلطنة الاسلام والدول العظام الذين على
سياستهم المذكوره عمال الاسلام فى النقض والابرام يؤكدون الامان من انفسهم
للرعية ويرونه من الحقوق الواجبه المرعيه وهو أمر يستحسنه العقل والطبع
واذا اعتبرت مصلحته فهو مما يشمله باعتباره الشرع لان الشرع جاء لاخراج
المكلف عن داعية الهوى ومن التزم العدل وأقسم عليه فهو أقرب للتقوى
وبالامن تطمئن القلوب وتقوى وعلى هذا كان منا عاما لهذه الاركان ونص الاعيان
بعزمنا على ترتيب مجالس ذات اركان للنظر فى احوال الجنايات من نوع الانسان
والمتاجر التى بها ثروة البلدان ونشرع فى وضع قانون السياسية على ما لا يصادم القواعد
الشرعيه هذا وأحكام الشرع جارية على قواعده وبيانها على ما يلى وقيام اساسه
وهذا القانون السياسى يستدعى زمنا لتحرير ترتيبه وتدوينه وتهذيبه وارجو الله
الذى نظر فى هذا الذى أستقرى به هذا الترتيب أحوال الرعية ولا يصادمه ما ورد عن
السلف الصالح من اعتبار السياسه واما العهد الذى عهدنا من رضاء ربى ان تطمئن اليه
النفوس وتكون قراءه فى النفس منزلة المشاهد المحسوس وتأسيسه على (١٠)
قواعد الاولى تأكيد الامان لسائر رعيتنا وسكان ايالتنا على اختلاف الاديان
والالسنة والالوان فى ابدانهم المكرمة وأموالهم المحرمة وأعراضهم المحترمة لا يتعرض
بوجه نظر المجلس بالشورى ويرفعه الينا ولنا النظر فى الامضاء او التخفيف ما امكن
أو الاذن باعادة النظر (الثانية) تساوى الناس فى أصل قانون الاداء المرتب
أو ما سيترتب وان اختلف باختلاف الكمية بحيث لا يسقط القانون عن العظيم لعظمته
ولا يحط عن الحقير لحقارته ويأتى بيانه موضحا (الثالثة) التسوية بين المسلم وغيره
من سكان الايالة فى استحقاق الانصاف لان استحقاقه لذلك بوصف الانسانية
لا بغيره من الاوصاف والعدل فى الارض هو الميزان المستوى يؤخذ به للحق من الباطل
وللضعيف من القوى (الرابعة) ان الذمى من رعيتنا لا يجبر على تبديل دينه ولا يمنع
من اجراء ما يلزم ديانته ولا تمتهن مجامعهم ويكون لهم الامان من الاذاية والامتهان لان
ذمتهم تقتضى أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا (الخامسة) لما كان العسكر من اسباب حفظ
النوع ومصلحته تعم المجموع ولا بد للانسان من زمن لتدبير عيشته والقيام على أهله ولا
نأخذ العسكر الا بترتيب وقرعة ولا يبقى العسكرى فى الخدمة اكثر من مدة معلومة كما

نقرره

تحرره في قانون المجلس (السادسة) ان مجلس الشرع في الجنايات اذا كان الحكم فيه
بعقوبة على احد من اهل الذمة يلزم ان يحضره من يعينه من كبرائهم تأنيسا لنفوسهم
ودفعا لما يتوهمونه من الحيف والشريعة توصي بهم خيرا (السابعة) اننا نجعل مجلسا
للتجارات برئيس وكاتب واعضاء من المسلمين وغيرهم من رعايا احبابنا الدول للنظر
في نوازل التجارات بعد الاتفاق مع احبابنا الدول العظام في كيفية دخول رعاياهم
تحت حكم المجلس كما يأتي ايضاح تفصيله قطعا لنشب الخصام (الثامنة) ان سائر رعايانا
من المسلمين وغيرهم لهم التساوي في الامور العرفية والقوانين الحكمية لا فضل لاحدهم
على الآخر في ذلك (التاسعة) تسريح المتجر من اختصاص احد به بل يكون مباحا لكل
احد ولا تتجر الدولة بتجارة ولا تمنع غيرها منها ويكون لعامة الاعانة عموم التجر ومنع
اسباب تعطيله (العاشرة) ان الوافدين على ايالتنا لهم ان يحترفوا بسائر الصنائع والخدم
بشرط ان يتبعوا القوانين المرتبة والتي يمكن ان تترتب مثل سائر اهل البلاد لا فضل لاحد
على الآخر بعد الاتصال مع دولهم في كيفية دخولهم تحت ذلك كما يأتي بيانه (الحادية
عشر) ان الوافدين على ايالتنا من سائر اتباع الدول لهم ان يشتروا سائر ما يملك من الدور
والاجنة والارضين مثل سائر اهل البلاد بشرط ان يتبعوا القوانين المرتبة والتي تترتب
من غير امتناع ولا فرق في ادنى شيء من قوانين البلاد ونبين بعد هذا كيفية السكنى بحيث
ان المالك يكون عالما بذلك وداخلا على اعتباره بعد الاتفاق مع احبابنا الدول فعلى
عهد الله وميثاقه ان نجري هذه الاصول التي حررناها على نحو ما بيناها ووراءها لديه ان
ننفذها واشهد الله وهذا الجمع العظيم المرموق من الاعيان في حق نفسي وعلى من
يكون من بعدي ان لا يتم له امر الا باليمين على هذا الامان الذي بذلت فيه جهدي
وجعلت نسخة الحاضرين من نواب الدول العظام واعيان رعيتنا شهداء على عهدي
والله يعلم ان هذا مقصد لدي خطره وجعلت له هؤلاء الاعيان واشهرته هو ما اوده
انه في نيتي واجراء اصوله وفروعه نورا اعظم امنيتي وانه مطلوب بجهده ومن عاهد
الله لزمه الوفاء بعهده والحق هو العروة الوثقى ولا أحرى وأبقى واستخدم من
لدي من هؤلاء الثقات والحماة الكماة ان يكونوا معي في اجراء هذه المصلحة
يدا واحدة بقلوب سليمة متعاضدة في دولهم ولا تقصر الا بعد توكيدها ووعد
جزاكم الله عليكم كما لا ان الله يعلم ما تعملون اللهم من اعان على مصالح عبادك فكن
له معينا واورده من توفيقك عذب المعين اللهم اجعل للناس عنايتك واعانتك مددا

وهب الناس لذلك رحمة وهي للناس أمر ارشدا منك الاعانة على ما رأيت ولك
الشكر على ما أوليت انه يهدي من هديت واخبركم بما وصيت هذه مقدمة اقتضتها
الاستشارة ورآها لعبد الفقير بالحمد لله فاعمل اللهم ببركة القرآن واسرار الفاتحة
والسلام من الفقير الى ربه تعالى عبده المشير محمد باشا باي صاحب المملكة التونسية
في ٢٠ محرم الحرام سنة أربع وسبعين ومائتين وألف صح من كاتبه المشير محمد باشا
باي وبه على ما نقول وكيل (ثم عقد الولي) مجلسا رئيسه المشير مصطفى خزنه دار
وزير العمالة واعضاؤه مصطفى آغه وزير الحرب وخير الدين وزير البحر والوزير
اسماعيل السني والوزير محمد وكاتب اسرار الولي احمد ابن ابي الضياف وأذن لهم
باستخراج احكام سياسية تقتضيها احوال المملكة واستخراج احكام فرعية في
الحقوق الشخصية تجري بها الحكام في القطر دون ان يحكم شيخ الاسلام محمد بيرم
الرابع احدا عنه فامتنع من الحضور دون مشاركة من العلماء الحنفية والمالكية
واستقر رأي من حضر الشيخ محمد بن الخوجة المفتي الحنفي والشيخ احمد بن حسين
رئيس الفتوى في المذهب المالكي والشيخ محمد ... المفتي المالكي وهؤلاء الاعلام
الاربعة هم اكبر علماء القطر لذلك حضروا ولم امتنعوا وكتب كل
منهم شرحا مفردا على الاحدى عشرة قاعدة الوارد ذكرها ابداؤها للاحكام الشرعية
المطابقة لتلك القواعد واقتصروا على ذلك متعللين بأن لدى بدالهم من مغزى الجماعة
هو الميل بالبعث للسياسة الساذجة من غير التفات الى معاداة الشرع بل وربما عارض
ما يصادم القواطع وحيث كان عمل الناس على ما يستقر عليه رأي الغالب لم يأمنوا ان
يستند الى المجلس ما يخالف الشرع ويحمل ذلك على عهدتهم والذي تبين لكل من
انصف وجها بعدهم ولذلك لابد لي ان الصواب في غيرهما كما على ما تقرر ان شاء الله
تعالى في الخاتمة ولم يتم هذا المشروع في مدة الولي المذكور مع حرص العامل عليه
وتاكيدهم بانه لا محيص عما التزمه عيبه بالنيابة عن دولته ولم يخل الولي بذلك
لانه محب طبعا للعدل وبعيد عن ايمانه لاجل رفق آخر مدة امراء وزيره تاصد
مع روش قنصل فرنسا حيث كان العامل فرنسا او باعي ما أتى وجسنا الوالي جلب ماء
زغوان الذي كان جاريا بقرطاجنة في قنوات من البناء وعلى حنايا بنيابة عن جمعية
فرنساوية في قنوات من حديد ويوصل الى المرسى والحضرة وتفاعصل من فضلة للديار
والمزارع يوفي بالمصروف عليه في مدة يسيرة وينشأ منه فوائد للزراعة حول الحاضرة

والمرسى

والمرسى وكان الوالي معرضا عن العمران والفلاحة وبالمرسى أيضا وهي معطشة من قلة الماء الحلو ووقف على دمنة وعثروا على جلبه وعلى سد رأس الطلات فرانساوية خارج باب البحر من الحضرة بمقدار العمومي قدره اثنا عشر مليونا تدفع على أقساط أربعة كل قسط في سنة بثلاثة ملايين وقد عد بعضهم ذلك مبعدا عن القصد حيث آل الى دين بالربا وتحقق أنه لا لوم على الوالي في ذلك لأن الحكم على ما هو موجود وعلى اعتبار جريان الامر على لائحة تامة ولا يحمل عليه فساد غيره وان بنى على شيء من أعماله هو في نفسه سليم اذا المصدية فسادا على ما ربه والنظر في الحقيقة للعمل من حيث هو فينظر فيه هل فيه مصلحة أم لا وحاصل ذلك المشاهد على الكيفية المذكورة فيه مصلحة وهو تعطش البلاد في أغلب السنين لأن شرب أهل المواجل غور فيها ماء المطر ومن يرغب جلبها ماؤها غير خالص لعذوبة تسمى بالبرشكلاب ويستعمل أهل الصابون مياه فساقي حول الحاضرة لأن آبارها ماؤها ملح لا يصلح للاستعمال لتطيب البيوت وكثيرا من السنين تحصل الشدة للأهالي من قلة الماء صيفا حتى يبلغ ثمن القربة مقادير وافرة مع التعب في جلبه ثم اعتزم الوالي بالفلاحة ترغيب السكان في عمران البلد اغراقا لهم على ما سيرد بسدعي جلب الماء الحلو على أن ما يأخذ الحكومة ذلك وأوجب تلك المقدار لأن الفلاحة التي هي ركن وقد هذا القطر قد تكاثرت في تلك المدة وأوجبت عليها الناس اقبالا عجيبا حتى علت أسعار الأراضي والكراء وعلت أسعار الحيوانات وغلى فرض الأحمر المسمى بالجماس غلوا فاحشا حتى بلغ فرض الجماس الى ألف وخمسمائة ريال وذلك لكثرة منعما الأهالي بسبب الاعراس ومنهم من صناعة الجماسة لاقتدار كل على أن يصير فلاحا مستقلا بنفسه وينتج من ذلك ثروة الحكومة وزائدة على العدد مع نقصان المصاريف على العساكر فكان دخل الحكومة في الأول خمسة عشر أو عشرين مليونا في السنة وبيان تقريبه ما يأتي

(ريالات)

٩٧٠٠٠٠٠ عدد النفوس التي تؤدي الجباية ٢٧٠٠٠٠ على كل نفس ريالات ٣٦

٦٠٠٠٠٠ مدخول مكس الغلال في الحاضرة المسمى فندق الغلة

٥٠٠٠٠٠ دار الجلد أي محل دبغ الجلود

٥٠٠٠٠٠ كمرك الدخان

﴿ريالات﴾	
٠٦٠٠٠٠٠	كمرك السلع الداخلة والخارجة
١٠٠٠٠٠٠	سراح خروج الرز والقمح والحبوب
١١٠٠٠٠٠	قانون زيتون السواحل وصفاقس
٠٩٠٠٠٠٠	قانون نخيل الجريد
٠٥٠٠٠٠٠	محصولات المدن وغيرها أى الاداء على ما يباع فى الاسواق
٠٥٠٠٠٠٠	لزمات صغيرة فى الحاضرة وغيرها كالحوت والحجل وغيرها
٢٧٥٠٠٠٠	اعشار القمح والشعير على كل ماشية زرع قفيز قمحا ونصف شعيرا وعدد ١٢٠٠٠٠ المواشى يجتمع من ذلك قمح ٣٠٠٠٠ قفيز ومثلها شعير سعر ١٥٠ الاول وسعر ٧٥ الثانى
٠٣٠٠٠٠٠	اعشار الزيت متوسطا كل سنة مقدار رشا ١٢٠٠٠ سعر ٢٥ المطر
٢٢٩٥٠٠٠٠	الجمع

فالحكومة التى دخلها ما تقدم ومصاريفها الاعتيادية لا تتجاوز الاثنى عشر مليونا والان أحمد باشا مع كثرة عساكره ومصاريفها كان دخل الحكومة زمنه خمسة عشر ونيفا والى الغاية عشر ومصاريفه مثل ذلك لانه لم يتبدل شئ ومحمد باشا نقص كثيرا من العساكر فلم يكن مصروفه الاعتيادى يتجاوز الاثنى عشر مليونا مع نقص فى غير الاعتيادى ايضا عن ذلك ومادام هذا شأنها تبلغ مادة دفعها من دخل الحكومة فلا تبقى النقدة أربع سنين لمدة عامة لا يكون فيها ضرر ولا مقدرة على مثل ذلك اذ ترك له الوزير المذكور مصرف خزنته ذات مصروعا قيمة خمسة عشر مليونا فقط غصه اصالة كون ذلك ذخر للحكومة عوضا عما باعه أحمد باشا من ذخائرها الثمينة فى مصاريف حرب الروسيا لان المال الماضى يصل اليه الاستبداد والايدى بخلاف الجوهرات مع ما فى طبع الوالى من الميل الى طبائع الاقدمين ومنها ذخار المصوغ وهو وان كان مسرفا فيما يتعلق بذاته وحرمه بالنسبة لاسلافه لكنه يوفى الاوصاف الله فقوا اع لحكومة بان يستلطف هم لكى يقصدوا فى مصاريفهم يوم قدم عليه المولى الامام الشريف سيدى محمد الشريف فى رمضان وكان محبا للشرف معظما لحشمة اهل تونس الاسلامية

فأدخله

فأدخله القصر ووجه معه اياه مع اهتمامه ومؤانسته فعرض في اثناء الخطاب لومه للشريف
على التقصير في القدوم اليه فاجابه معتذرا ببعد مسكنه حيث كان مسكن الوالي بالمرسى
وبتعب الركوب على ظهر مركوب للوصول اليه لانه ليست له كروسة أي عجلة فاجابه
الوالي بان مثله لا تكون له كروسة نظرا لما يلزمها من المصاريف السنوية وهو لا يبخل عليه
باعطاء كروسة له بلوازمها ولكنه يخشى عليه كثرة مصاريفها فلذلك رأى أن يعطيه ثمنها
وثمن ما يجرها على شرط ان يشتغل به بما له دخل في مصالحه وأما ركوبه فانه مهما أراد
الركوب يرسل اليه ليبعث له كروسة ليركبها واعطاه خمسة آلاف ريال وأحرى انه من
نصح الاصدقاء وله في مثل ذلك كثير من المساعي سيما فيما يعود الى تكثير الفلاحة
وغراسة الزيتون والأشجار من الاهالي حتى رغب أهالي الحاضرة أيضا وأنشأوا في مدة
قصيرة ما ينيف على ستين ألف شجرة من الزيتون في أرض تعرف بسيدي حوجة
من مرناق وتوفي رحمه الله ولم يترك على البلاد ولا دانقا دينا لازما الا الاموال المقسطة في
مقابلة الاشياء المار ذكرها وبقايا أثمان أشياء لا يخلو الامر من مثله مع انه ترك
خزائن من الحديد مملوءة مسكوكات الذهب التي أنشأ ضربها كما ترك خزانة مهمة جدا
ملآنة بالمصوغ والياقوت الابيض المسمى بالالماس أو الدايمنت المتجمع من النياشين التي
أعطاها وأخذها من أصحابها وعوضها بنياشين من الفضة على حسب مجرى الدول وعوض
أصحاب الرتب العسكرية بعلامات في أعناق لباسهم وقد كان كل من أرباب نياشين
الافتخار ومن أهل الرتب العسكرية له نياشين من الدايمنت مختلفة النوع والمقاسة
على حسب الرتب فمنها نيشان يبلغ خمسة عشر ألف ريال ومنها دون ذلك وهي كثيرة جدا
فاجتمع منها مع ما اشتراه مقدار وافر يعرف ذلك كل رجال الحكومة وأتباعهم بل وجميع
آل بيته واستولى أخوه محمد الصادق باشا في (٢٤) صفر سنة (١٢٧٦) ولما كان
هذا الوالي يثق بالعموميات ويأمن من يرى أمانته ويطلق له التصرف من غير معارضة
كانت الوقائع تختلف في مدته اختلافا بحسب الوزير الذي بيده التصرف مع ان
الوالي مقيد فلذا لزم ذكر كل وزير بمفرده والوقائع التي جرت مدة ولايته ومن معه
لان الوالي يأمنه ويعمل على رأيه وهي القاعدة الجارية بها عمل الممالك المتمدنة
لو تمت شروطها وهي جعل محتسب من الامة لمراقبة أعمال الوزير حتى لا تضر به
ولا بالامة غيره بل ينسب الى الوالي تفخيم أمر الحكومة فاطلق عليها لقب الدولة
وعلى نفسه لقب الملك وأدمج ذلك في ألفاظ القانون المسمى بقانون الدولة ووزع منه

نصحا على سائر الدول ليكونوا شهداء عليه وسلم بيده الى يد الامبراطور نابليون الثالث
نسخة منه عند الاجتماع به في الجزائر وكتب بلقب وزرائه باسم الوزير في مكاتيبه
للدولة العلية وقيل له في ذلك من بعض رجال حكومته فقال للدولة علينا السيادة علينا
وطاعتها واجبة ولكن لا نهب أنفسنا وكذلك اخترع زيادة النيشين وقلدها نفسه
ورجال حكومته وغيرهم فنيشان العهد وهو مرصع بالياقوت الاحمر والاخضر جعل
للابسه قانونا وعددا ويتبعه شرط أيضا مثل الذي سبق ذكره في اختراع احمد باشا
ومنها نيشان عهد الامان على شكل آخر وخصصه بأصحاب المباشرة في الوزارة الى غير
ذلك من الاشياء التي مدارها على الابهة مع رأفة نفسه ورقة قلبه وأول ما افتتح به
حكمه باليمين اللازمة في قبول بيعته على مقتضى عهد الامان ومر عند البيعة العامة
التزاماته

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

تبارك من جعل الامان أقوى أسباب العمران والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله
وصحبه ومن تبعهم باحسان (أما بعد) فيقول العبد الفقير الى ربه المشير محمد الصادق
باشا باي وفقه الله لما يرضاه وأعانه على ما أولاه انى قبلت البيعة من الاعيان الحاضرين
على ما وقع الالتزام به في العشرين من محرم الحرام سنة (١٢٧٤) من المرحوم المقدس
أخينا المشير سيدي محمد باشا باي وهو عهد الامان الساتر للسكان على الاعراض
والاموال والاديان وما حواه من القواعد اللوازم والاركان وحلفت وأحلف بالله وعهده
وميثاقه على مقتضاه وان لا أخالفه ولا أتعداه وهذا الكلام صدر مني ونطق الناطق
به عني وخطي وختمي فيه أقوى شاهد وأوضح اعلان لكل من حوى هذا الديوان وسائر
الرعية والسكان وعلى مقتضاه عليكم السمع والطاعة وبذلك تم مع الجماعة حرر يوم
السبت الخامس من صفر الخير سنة (١٢٧٦) ثم التفت الى الوزراء فوجد الوزير
مصطفى خزنه دار هو صاحب التفوق على الكل لاتفاق أغلب أتباع الحكومة عليه
وانقيادهم اليه رغبة ورهبة لما له من اليد وكذلك قناصل الدول فسلم اليه أمر الحكومة
ووثق بالوزير الاكبر واقفا منقادا لرأيه ملازما للسير على نهجه في كل أمر حتى فيما يعود الى
خاصة ذاته فكثيرا ما كان يلبس الوالي ثيابه ويتقلد عظمته منتظرا ركوبه الى الحاضرة
في كل يوم من رمضان لكون عادته ذلك ويبقى منتظرا الوزير ليركب معه لانه لا يركب دونه
فيرد عليه رسول الوزير معتذرا له بأنه غير قادر في ذلك اليوم على الخروج لمرض أو شغل

فيلوي

فلوى الوالى عزمه ولا يتوجه للمحاضرة وحده وكان لا يباشر فيها شيأ من الادارة وانما
يذهب لمجرد التنزه و يتفرج على اصواف من شبابيك قصره وحيث علمت ما تقدم نذكر
لك بعض حالات هذا الوزير وما طرأ من تصرفاته كما نذكر لك غيره من الوزراء

﴿ الباب الخامس ﴾ فى وزارة مصطفى خزنه دار (اعلم) انه رجل اصله من قرية قرب
ساقس جلب الى تونس وسنه دون العشر سنين واخذه احمد باشا ورباه وتعلم القراءة
والكتابة وبعض الفروض العينية كالتوحيد والوضوء والصلاة ونشأ على مسايرة اخلاق
سيده بشوش غير متحمش غيورا على من تقرب اليه جالبا لمحالم الارباح بكل وجه كما انه
كان غيورا على تقرب احد من الوالى ومع ذلك كان كثير الاعتقاد فى الصالحين ومن انتمى
الى معرفة الحدثان مواظبا على قيام الثلث الاخير من الليل وله فيه اوراد مخصوصة الى ان
يصلى الصبح ثم ينام وكان أولا قليل الكبر بيده كرم كثير العطاء لحاشيته ثم صار تصبح
الشمس وهو يصلى الى الامساك و [illegible] ولم يعهد انه باشر احدا بشتم او كلام منكر مدة
وزارته على طولها وهى خمسة وثلاثون سنة الا رجلين قال لاحدهما على ريد
ولا آخر يا [illegible] ن هاشم وكان لا يقدم اليه احد بطلب شىء الا يعده بقضاء حاجته كيفما
كان حالها مع انه ربما لا يمكن الوفاء ببعضها عمدا وقيل له فى ذلك فاجاب بان ملاقاته تأبى ان
يقصد الطالب و يؤنسه بل يصرفه بالوعد وان كان عازما على عدم اعطائه ويرى ان تعليق
الآمال اولى من الاياس منها ولذلك كثيرا ما حصل منه خلاف عادته وصاهره احمد
باشا على اخته اخو به ثم ولاه خزنه دار ثم لما احدث احمد باشا القاب الوزراء ولاه وزارة
العمالة وهى عبارة عن التصرف فى الداخلية فراكن اليه محمود بن عياد وتشاركا سرا حتى صار
المنسب واعتمد عليه شريكين وحصر دخل الدولة وخرجها فى محمود كما تقدم ولما
حصل ما حصل بسبب خروج محمود لى فرانسا من غير حساب وخيانة محمود واظهر عقد
الشركة مع مصطفى خزنه دار وطالب على يد مجلس الحكم رام الشريك بدفع نصف
قيمة ما لم يخلو به اصالح الحكومة واستولت هى عليه بعد خروجه من تونس وعرض
هذا الحكم على الوزير مصطفى خزنه دار بواسطة قنصل فرانسا فى تونس كما اظهر ان
شريكه خزنه دار كاسه بطلب حماية فرانسا له كما ذكره فى الصحيفة الرابعة من الرسالة
الاولى التى عرضها على مجلس التحكيم وبعد ان كاد يحصل على الحماية عدلت فرانسا
عن ذلك والحال انه لم يبد له من سيده موجب لذلك بدليل بقائه على منصبه وتصرفه الى
ان مات سيده ثم بعد سفر محمود بن عياد استعوضه بمحمد بن عياد وجعله سمسارا على بيع

الوصف فكان المتولي يدفع ما تعلق بذمة سلفه والمعزول يغرم ما يدعى به عليه أهل
عمله مع كونه مضطرا إليه لأنه ما دفع المال لشراء الوظيفة إلا ليربح ما ينعش به وما
يدخره للمستقبل وعظم بذلك الخطر والضرر على الرعايا حتى شاهدت قبيلة أولاد عيار
كثيرا منهم يستقطفون حب الزيتون بالأجرة لأربابه وعندما يتم عملهم يأتون إلى
الفلاح ليحاسبوه على ما تجمع لهم من المال ومعهم أحد أتباع هذا العامل فيحصي لهم جميع
أجرهم بعد إخراج مقدار ما أخذوه لقوتهم ويرسله الفلاح معهم إلى دار العامل ليقبضه
لأنه حاجر عليهم في قبضه وأشباه ذلك كثيرة كما أنه استعوض عن ابن عياد ما يتعلق بشراء
مهمات الحكومة ودفع أموال أناس منهم عصبة لدى وقع منه أمور عجيبة منها أنه
ولي على أعشار الزيت ودفعها في مصارف عينها العرف ومنها الإجحاف في مؤونة العسكر
فكان يدفع إليهم الردىء من الزيت زيادة على مضاعفة الكيل من الدافع بل ومن سوء
عمله أنه كان يدفع للعسكر أوساخ الزيت الذي يجعل في قعر الجلد ولا يسيل منها كما
كان يعطي ما لصق بحيطان مواجل الزيت وبآنية المسماة بالجرار وما تجمع من ذلك
الدسم الوسخ يغلى في الماء المغلي ويدفع للعسكر على أنه زيت والأرباح التي تحصل
العظيمة كان يصرفها لمصالح الوزير خزنه دار ومن ذلك أنه ابتدأ في بناء جامع قرب باب
القرجاني ونسبه إلى نفسه مع أن المصروف عليه من مال الحكومة بعض منه على يد ابن عياد
والبعض الآخر كان صرفه على يد عطية المذكور والدليل على أن ما صرفه لم يكن له أنه
مات مفلسا ومع ذلك لم يتم الجامع إلى الآن وقد بنى الوزير خزنه دار سبيلا بالطبعة القصبة
ووقف عليه حوانيت بجواره ولا زال مستمرا إلى الآن وقد استعوض عن ابن عياد أيضا
انقاذ تسليم محصول وظيفته كونه قابض الأموال وكان يشتري المهمات بسعر
ويحتسبها على الحكومة بأضعاف كما أنه تحصل بواسطة الوزير المذكور بنيه عدة
زوايا فمنها تجديد زاوية الولي الصالح القطب سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه
الكائنة بجبل الجلاز بنيت على شكل حسن متقن حيث كان الوالي إذ ذاك أحمد باشا
تلميذا للشاذلي رضي الله عنه وكذلك جددت زاوية الولي الصالح سيدي علي الحطاب
رضي الله عنه الذي هو أحد تلامذة الشاذلي الكبار وهي في الجهة الغربية من تونس
تبعد عنها ثمانية عشر أو عشرين ميلا في الوطن المسمى بالمرناقية وبنيت أيضا بناء حسنا
ومنها زاوية الحاج علي شيحة الكائنة قرب الحلفاوين من ربض باب سويقة من
حاضرة تونس وهو منتسب للولي الصالح سيدي عبد السلام الأسمر رضي الله عنه وبنيت

بناء

بناء حسنا ومنها تجديد بناء زاوية الولي الصالح ملاذ أهل تونس وعمدتهم سيدي محرز بن
خلف رضي الله تعالى عنه وهو رجل كبير في العلم والصلاح من كبار رجال مذهب
الامام مالك رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وبنيت بناء حسنا وما صرف على جميع ذلك
من مال الحكومة كما انه استوهب من الولي محمد الصادق باشا سبخة السيجومي التي
بقرب الحاضرة من الجهة الغربية الجنوبية وأنفق على تنشيفها عدة مئين من الالوف
من مال الحكومة وحفر لذلك خندقا غائرا في واد بن حمدان أصل المعروف بفم القصبة ثم عبر
على الوهاد المعروف ببحيرة باش حانبة ثم يصل الى الأرض المعروفة بعدار ابن عروس
وهناك يتصل الماء المصدر من السبخة فحصل بذلك تلف الاراضي التي على مصب ذلك
الخندق لانه لم يحصل له سبيلا الى الوصول الى البحر مع كون مائه ملحا أجاجا وتعطلت
عند مصبه الطريق الموصلة الى مرناق والى حمام الانف ثم ما والاهما من الجهة الجنوبية
في وقت الشتاء لتعطل طريقه الاصلي من الوحل فصار الطريق الشتوي أيضا أمامه معطلا
أو صعبا جدا مع ان نفس السبخة لم تنشف لان ارتفاع قعرها على سطح البحيرة انما هو نحو
مترين ونصف ونحوه ويلزم لانحدار الماء في الاقل ما يأتي مترا لكل مترو طريق الخندق
لما كانت طويلة لم يكن فيها الانحدار المطلوب ولم تنشف السبخة وقد أنذر بذلك أحد
حذاق المهندسين وقال لا يمكن تنشيفها الا بنفق تحت جبل المنوبية لقرب المسافة
الكافية للانحدار فلم يعمل بقوله ولم يحصل المقصود وبقي الامر على ذلك الى ان سد
الخندق في مصبه باذن الحكومة في وزارة خير الدين لرفع الضرر عن الطريق
وعن الاراضي المشار اليهما جميعا كما شرع في عمل طريق صناعي بين تونس وحلق
الوادي عمل بعضه من جهة حلق الوادي نحو اربعة أميال ومن جهة تونس نحو ستة
أميال ثم ترك فاما الذي من جهة حلق الوادي فبطلانه حسبه طريق الحديد وأما
الذي من جهة تونس فلم يزل منتفعا به لكنه محتاج الآن الى التدارك بالاصلاح لانه
ضروري في وقت الشتاء حيث ان الارض التي عن جانبيه المسماة بالحصر أصعب المرور
لكثرة الوحل ولما ولي محمد باشا وأقر الوزير المذكور عاضده الوزير اسماعيل السني
حصل لاغراء الوالي على محمد المرابط أمير امراء عساكر القيروان وصهر أحمد باشا وعلى
صالح شيبوب أمير لواء عساكر الملح وغيرهما من خاصة أحمد باشا من أبناء البلاد
فنزعت رتبهم واستوصلت جميع أموالهم وسمع التعات من وزراء أحمد باشا الحاضرين
مواطن الاغراء شدة تعاطيهم من ذلك ولما وقع استقراره بالوزارة عند محمد باشا بوسطة

ماتقدم أراد أن يبرهن على صدق ما وعده به الوزير اسماعيل السنى من الصدق
والنجابة وعلم ما لا يعلمه غيره فطلب من الوالى عمل حسابه عما مضى وبعد ان جاء
بالدفاتر وبتلخيصها وعرضه على الوالى محمد باشا ورأيت فى صحيفة الموطن بخط الوزير
ابن أبى الضياف ما نصه وقال له بمحضر الوزراء ورجال الدولة هذا حسابى قبضت
فى مدة خدمتى ما هو مرقوم فى هذا الملخص وصرفت فى المدة ما هو مرقوم أيضا وكان
المصروف أكثر وأنا غير طالب له ولم أدفعه من مالى وأبين على دولتك المباركة دين
فقال له بعض الحاضرين من الوزراء بديهة أنا أول قادح فى هذا الحساب ومن أين جاءت
هاته الزيادة فأجابه الوزير بأنى وسيادتك أن تنظر فى فصول القبض هل نقص منها
شئ وفى فصول الدفع هل زاد فيها شئ وما وراء ذلك تعففا منى ولى أن أطلبه لو
استغلت الجباية ولهذا أتيت بالدفاتر ليطلع عليها كل من يريد الانتقاد على القادح
الخ والكاتب المذكور عالم بلاغة حيث ورى بقوله تخجل أى تخجل من الجواب
لانه قيل ان المال من الاشياء التى لا تخرج اثباتها بالقسمة مقابله اما ان يكون من فصول
المقبوض شئ لم يرسم كأن يكون المقبوض من الطبرى التى لا تنضبط كالاخدمة لعمال
زيادة على الوظف أو تكون بعض وجوه المصروف لم تصرف حقيقة أو يكون المقدار
المحقق منها دون ما رسم فى الدفتر أو يكون الدافع دفع من عنده أو اقترض وهذان
الاخيران قد قرر الوزير بعدمهما واقرار الانسان ماض عليه فلزم بالضرورة أحد
الوجوه السابقة ولعلها هى المرادة بقوله أصابنى ثم انه فى مدة محمد باشا لم يقع مظالم
الاصبة من العمال لما تقدم من سيرة ذلك الوالى وأيضا قال انه جعلت له حصص من المال
والمصوغ حلال من الحالين لماء رعوان وبنى المصوغ يكون له قد بتلك المقادير
وفى آخر مدة الوالى المذكور لما رمضت قدمه حصل الاخذ للوزير من بعض العمال
بدعوى انه مع تشديد الوالى فى قبض أيديهم لابد أن يسرقوا وحصل له مقدار جليل فقال
له خليفة لساتس مشاركا لسعد بن عبيد مع ما تحذر من أن يظهر أدى تلك من الرعايا
وقد أدركت المضرات حذاق القطر حتى قال أحد العلماء قصيدة يستغيث بها القطب
الصالح سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه لما دهى القطر من تلك الاعمال

﴿مطلعها﴾

كادت تنيط رجاءها باليأس ◦ مهج فغوثا يا أبا العباس

(الى ان قال)

انا

انا اليك نبث ما قد نابنا * من مكر دى شر شديد الباس
درب على دعل الغباء نم قائم * بالجور نائى عن هدى القسطاس

﴿ثم قال﴾

أشبت مخالب كيده فى قطرنا * وبدت مضربه على أحناس
ومراده والله يعو رسمه * الحاقه بالأربع الادراس
خمبت مدارك كيده فحيرت * فى غورها النهى من الأكياس
حار اللبيب ولم يعد تخمينه * مع ضربه الاخماس فى الاسداس

﴿ثم قال﴾

واستأصل الاموال من أربابها * ورماهم بالذل والافلاس
كل تراه وقد أمض فؤاده * يشكو القديم وللجديد يقاسى

الى آخرها وهى طويلة مع أن تبعد بين وطيءة المشتكى والمشتكى منه مما يؤيدان الشكوى عن غير اعراض شخصية ودليل صدقها الخارج ثم امتولى محمد الصادق باشا وكان الوزير يخشاه لما هو منشئ من الصلابة حد الوزير فى اتمام قوانين عهد الامان سيما والبلد كانت فى احالة من دبل ما لا طمئنان على نفسه بدليل ما جرى بعدوا عهر قبله بسبب لعوم العدل الكى يستغنى بجمى الانصاف على نفاذها فعمها وشرع فى العمل بها فى ١٥ شوال سنة ١٢٧٧ وحلف الوالى على انفادها وعدم عدم المتها وكذلك سائر المتوظفين واستغرقت جميع مداخل الحكومة فى المصاريف التى طمعت وكثر المتوظفون وتكلفة على ما نشأ منه القوانين وزيادة وفرت المرتبات على نحو غير معهود فى القطر حتى صار لذلك الوزير جريدة اركان من المرتبات ما بيانه فى السنة

ريالات	
١٤٠٠٠٠	مرتبه على الوزارة الكبرى
٠٦٠٠٠٠	مرتبه على وزرة العدلية
٠٦٠٠٠٠	مرتبه على وزارة الخارجية
٠٦٠٠٠٠	مرتبه على وزره المال
٠٦٠٠٠	مرتبه على نيشان آل بيت الوالى الذى هو حامل له
٣٨٠٠٠٠	الجمع

مع انه يصرف مصاريف غير ذلك من أموال الحكومه كما تبين من الحسابات فى الحكومة

وجعل القائد فيهم لا يدفع الى بيت المال من الحكومة الا باسقاط مقادير زهيدة زيادة
على الارباح من شراء المهمات واستغرق بمثل ذلك جميع مداخل الحكومة ثم جعل جميع
المال المطلوب للمعاقدات المذكورة من مارعوان وغيره دينا زائدا واستقرض له مبلغا
بالربا من اوروبا قدره نحو ستة عشر مليونا دورو حسبما هو محرر بالتقرير المصحح
بخطه وختم المجلس الاكبر وقد برح اذذاك الخفاء بان لعقلاء رجال الحكومة سوء
تصرفاته فكان أعظم المصادمين له من كان أكثرهم قربا اليه واحواء لديه في الكلام
عن تلك السيرة فصار لهم بالمرصاد وصار يشي بهم عند الوالي ويقدح فيهم ضد ما كان يقول
فيهم لانه علم حالة الوالي وانقياده اليه ورام نقض القانون او ابقاءه صورة لان مقصد
الامر على خصوص ذاته قد حصل بحجر الوالي على رأيه وابعاده كل أحد منه الا
الخدمة لخدمة ذاته واشتدت المناجزة بينه وبين الوزير خير الدين الى ان استعفى
من وظائفه ثم تبعه الوزير حسين والوزير مصطفى آغه والوزير رستم وخلا للخزنه دار
وأحدث السيرة في طور آخر جديد وهو ان يضاعف أداء الجباية على الاهالي ويصيرها
اثنين وسبعين ريالا على الرأس عوضا عن الستة والثلاثين ريالا التي أسسها محمد باشا وطلب
موافقة المجلس الاكبر فامضت مواتاة له وبانضمامهم مع تحذير العقلاء له فلم يلتفت اليهم
مع ان الاهالي في ثروة من أثرة محمد باشا تعويلهم على الدفاع عن انفسهم مما استأنسوا
به من تلك السيرة ومع سماعهم ان العدل والانصاف قد شملهم بالقانون وان لهم الكلام على
حقوقهم فامتنعوا قاطبة وارادوا عصيانهم على ذلك فثار القطر كله ثورة واحدة لم تعهد من
قبل على غاية من الرياضة والامن بحيث لم يتعرضوا بالاذية لاحد مع أمن السبل وكثرة
الغادي والرائح وضبط كل جهة بيد أهلها ردع السفهاء وحفظ الراحة والامن وكان
متولي أكبر الجهة الغربية والمتفق عليه أكثر قبائل الاعراب رجلا يسمى علي بن غذاهم
وذلك سنة (١٢٨٠) ولازالت هذه الثورة تسمى ثورة بن غذاهم وكتب الجهات بالاحوان
ومطلبنا واحد وليس المراد منه الافساد لواجب حفظ الامن والراحة وتأمين السبل ولا
نتعرض لاحد بشيء سوى اتباع الحكومة فان ارادوا اغتصابنا على الظلم ندافع عن أنفسنا
وابدرت القبائل عمالهم الذين كانوا بين أظهرهم فمن أراد منهم التوجه الى الحاضرة
أوصلوه بأمان ومن أراد الاقامة ممكنا من التداخل في أمرهم ابقوه بأمان ولما توجه أمير
الامراء فرحات الى الكاف لاخبار قبائل ما جرى على ذلك لاداء تعرضوا له وقتلوه وشدد
العسكر عليهم علي بن غذاهم وقال لهم أصل اتفاقنا هو على الدفاع عن أنفسنا وما ضركم

قدوم

قدوم الرجل الا اذا جاريكم فدافعوا عن أنفسكم وكاتب المذكور رئيس الفتيا العلامة
الشيخ أحمد بن حسين وطلب منه التوسط فى الصلح مع الحكومة وحصل ميل الجميع
ايضا لاداء المجبى بعد عزل الوزير مصطفى خزنه دار وبعد عزله امتنع الوالى أولا من
جميع مطالبهم واشتد الكرب على الحكومة حتى لم يبق امر الوالى نافذا الا فى الحاضرة
ونحو ثلاثة عشر ميلا حولها واشتد الخوف فى الحاضرة وقدمت اساطيل الدول واسطول
الدولة العثمانية وفيه رسول سامى نزل فى قصر المملكة بالحاضرة وقد جالت نواب
الدول فى المنازلة وفى قبائل القطر وابدى كل ما يوافق سياسته وكان من جملة الحاح
قنصل الفرانسيس على الوالى لارجاع الراحة عزل الوزير خزنه دار لكنه خاطبه بذلك
شفاها كما هو مشهور فى البلاد ورأيته بخط الوزير ابن أبى الضياف وأصر الوالى على
الامتناع الى ان أحضر الوالى عسكرا قليلا وجعله تحت رياسة اسماعيل السنى ايل
الاعراب له لصدقه ثم خانه الوزير رستم عند مرض الاول ووقع الاتفاق مع جمهورهم على
اعطاء الوالى الامان الى الجميع واسقاط الاداء المطلوب وعفا عنه عما سلف وكتب الوالى
بذلك أوامره وباشر باعطاء الامن كل من وفد عليه من رؤساء واشتهر الوزير [illegible]
لابطال القوانين بدعوى ان الثورة قامت لاجل ابطالها وما منع ذلك من أحد لان
أصولها لا تنافى الشريعة ولكن بقيت كلمات فى الناس هو موقع [illegible] ذلك انهم انكروا
كون قوانين الاحكام الشخصية لم تكن شرعية فى كثير من المسائل ونسبها الجهلاء الى
انها كلها مخالفة للشرع لجهلهم ورؤيتهم هيئة الحكم على خلاف ما تعودوه فى هيئة
الاحكام الشرعية وللتصريح بقصر الاحكام الشرعية على أبواب خاصة دينية ولعدم
ادمان الحكام الشرعيين فى الحكم بالقوانين ولان بعض من ادخل فى الحكام لا دراية
له بها حتى خرج عن صورة ما لم تحمله انفس المعاصرين ولانه اجريت القوانين دفعة
واحدة فى جميع الانحاء حتى فى القبائل التى لم يوجد بها ووظف فيها من يعرف القراءة
والكتابة التى هى ضرورية فى التوظف وصاروا يحكمون خبط عشواء وكذلك من
الاهالى من التهويل الزائد فى الاحكام على ما هو عادة الاشياء فى مبدئها فهو فى الحقيقة
ارادة لاصلاح بعض القوانين لا تركها بالمرة بدليل ان مجلس الاكبر لم يتعرض له
أحد من العامة والخاصة بالقدح فيه لعدم اشتماله على افراد من جهة المملكة
حذاق لكى يعرفوا ما يليق بأحوال اهل القطر والحاصل ان المجلس الاكبر هو
روح القوانين لمحافظته على أساسها لكن الذى لم يكن له قصد سوى الامن على نفسه

وقد وجد الوالي لا يخفى منه ما أشاع هو ومن كان على شاكلته أن الناس يطلبون
إبطال القانون وقد ذاع عقب تلك الإشاعة وإبطال القانون والدليل على أن الناس
لم يطلبوا ذلك المكاتيب التي أرسلها قنسل الانكليز تعجيلا على إبطال المجالس
ومفهومها قاض بعواقبه قنسل فرانسا على ذلك وإن كان سر الأمر هو الإعراض قنسل
فرانسا بإبطالها المذكر في سياسة فرانسا بتونس ونص تعريب مكتوب قنسل الانكليز
الأول في فبراير سنة (١٨٦٤ م ١٢٨٠ ﻫ) المعروض على جنابكم الرفيع إني أرى
من الواجب علي أن أذكر جنابكم في هذا الوقت لدى أحوال الإيالة السعيدة بنظركم الرفيع
توقف ترتيب الحسن المؤسسة على الحرية في بلادكم فإن هاته الترتيب وقعت
الوصاية في شأنها وكان ترتيبها بملاحظة لدولتي الحبيبتين الانكليزية والفرنساوية
وجنابكم وعدتم الدولتين رسميا بإتمامها وإبقائها على جميع قوتها وعدم تغييرها ووكيل
الدولة الإمبراطورية الفرانساوية ورد له الإذن من دولته كما ورد لي الإذن من دولتي لأننا
على اتفاق واحد في النازلة وفي الحث على طلب ترتيب المجالس المختصة بسرعة لفصل
نوازل الجنايات والنوازل المتجرية لما يلزم من الوقت لعمل القانون المتجري ولما كان
الإذن المذكور الصادر لنا من دولتنا الذي تشرفت بعرضه على جنابكم بمكتوبي
المؤرخ في (١٧) أكتوبر سنة (١٨٥٧) وهو نص المكتوب الذي خاطبكم به موسيو
روش نصا ولم تزل المكاتيب موجودة يجب أن تكون سير نواب الدولتين في هذه
المملكة على مقتضاها ولهذا يجب أن نطلب من جنابكم شدة حرص إجرائه على إبقاء
المجالس وهو المبادرة إلى المجالس المختصة الموعود بها منذ زمان طويل وبمقتضى
ما تقدم من الإذن طلبت مشاركة قنسل جنرال دولة فرانسا في هذا الطلب كما يطلع
جنابكم على نص مكتوبي إليه وهو موسيو دي بوفال هذا وزيادة على تأكيد
رسمي الذي أعطاه جنابكم لي ولقنسل انكلاتيره وفرانسا بحفظكم الترتيب المبنية
على الأمان والقانون التي أعطاها جنابكم لبلاده لا يخفى عليكم أن دولة انكلاتيره عقدت
مع دولتكم شروطا تقتضي دوام الترتيب المذكورة لأنها هي المحافظة لحقوق رعايا
انكلاتيره في هذه المملكة ومع وجود ذلك فتبديل ترتيب الحكومة الآن والرجوع
إلى الحكومة القديمة بدون سبقية إعلام لدولتي الانكليزية والفرنساوية بمقصود
جنابكم يظهر منه في السياسة أنه فعل يدل على نقصان الاعتبار ولا شك في عدم وقوع
ذلك من جنابكم مع دولتين حبيبتين وإنما يظهر منه أنه غير صواب مع الدولة
الانكليزية

الانكليزية التي في شروطها الاخيرة صدقت امان الحكومة التونسية ومحبة الدولتين
الى جنابكم توجب على عدم الزيادة في المشاق او جوده في حكومتكم بمطالب تشق
في هذا الوقت ولكن وجبات خدمتي تلزمني ان أطلب منكم رسميا دوام الاصول
المؤسسة عليها ادارة الحكومة وخصوصا ان اترك لجنابكم انتخاب الكيفية التي تظهر
لجنابكم انها الاحسن ومناسبة لاجراء تلك الاصول والخصوص المتقدمة في التمدن ربما
رمتهم في ازمان متعددة بدون ان يتعرضوا للاصول المؤسسة عليها قوانينها بتبديل كيفية
العمل بها وهذا الباب مفتوح لتونس اقتداء بالدول الاوروباوية الذين لا شك في
فطنتهم وحكمتهم وهذا الامر ضروري الاهمية حيث ان ما تشكي الواقع من زيادة الاداء
ومن تطويل المجالس في الحكم يمكن دواؤه بما تتهنى به البلاد وترجع الى حالها
الاصلي وهذا اعظم دليل على حسن خلاق الرعية لمستحسنين هذه الترتيب لانه لم يوجد
في تواريخ تونس مثل سيرة الاهالي في هذا الزمن لما لهم من الشكايات وهم متسلطون
على عاداتهم السابقة في سالف الزمن لكن لم يتعرضوا للاحوال الا احتفاء من اداء
ثقيل وفوق طاقتهم اه ثم كاتب الوالي ايضا عارض تعريبه في مايه سنة ١٨٦٤
الواضع اسمه اسفله يتشرف بتقريرها في جوابي لما اعتبرت شان الحال الغير المترقب
الذي عرض لحكومة تونس رأيت من مقتضى الود ان لا اعطل سير جوابها
لا يقتضيه الحال ومع ذلك حيث لم يبلغني اعلام رسمي منكم بشرح كيفية مقدار التوقف
الوقتي الذي وقع في [illegible] فقد وجب على الواضع اسمه ان يطلب
التعريف في ذلك كما انه يجب عليه المعاوضة بمقتضى هذا المكتوب على ما لها حصل
لدولة بريطانيا العظمى من الحقوق التي لا نزاع فيها المؤسسة في شروط معاهداتها مع جناب
الباي معاوضة مبالغة بحسبها مقتضى التوقيف الوقتي المذكور والواضع اسمه يقرر
للجناب ان تلك الحقوق يعتقدها لا اعتمادا [illegible] وبدل من شرح لاسباب المبنى عليها
تقريره وهو ان المرحوم سيدي محمد باي والجناب العلي أدام الله عزه لما اصدرا عهد
الامان قد صادق علماؤهما ووزراؤهما والمفتون والقضاة وجميع علماء الشريعة وعلموا بينا
واكدوا يمينهم باستدعاء حضرة وكلاء الدول الاجانب بانهم يحافظون على لوازم عهد
الامان بجميع شروطه وابانوا ان عهد الامان جزء من شروط الشريعة الشريفة
والعلماء الكرام المذكورون ورجال الدولة أشهدوا الله على صدق نيتهم في ابقائها
على الدوام والاستمرار من يوم صدورها فصاعدا وان دولة بريطانيا العظمى اعتمدت

على الوفاء والاعتقاد الذي لا يمكن منه فسخ لعهد الامان بمقتضى هذه الايمان وعقدت
مع على جناب الباي اعطاؤها منطبقا بامور منصوصة فيه فينتج من ذلك ان الحقوق المسلمة
لرعية الانكليز ولوازمها النافعة لتلك الحقوق بمقتضى الاتفاق المذكور معتمدة هو عهد
الامان والقوانين الناشئة منه وبذلك صار حقا من حقوق الدولة الانكليزية تقتضي ان
تعلم بسبب ذلك على حقيقة الحال في شأن عهد الامان هل هو عامل بجميع شروطه
أم لا وكذلك تعرف القوانين الناشئة منه هل هي معطلة وقتية ثم هل الحكومة
التونسية مرادها ان تجري في المستقبل الاصول المقررة به على صورة مناسبة لحظ
مكاسب الانكليز في المملكة التونسية وتأمينها والواضع اسمه يطلب بحرص واجتهاد
لا ينافي الادب والتواضع جوابا شافيا باشارة للاستفهامات المذكورة لجناب دولة
مالكته المعظمة وكذلك ان الواضع اسمه يبقى و يحفظ على لسان دولته في حقها على جميع
الحقوق ولوازمها والكمالات التي أعطيت لرعايا الانكليز بمقتضى ما هي مبينة
بالاتفاق المذكور ويقرر ايضا ان ذلك الاتفاق اتفاق عمومي لا يعتري فيه من الجانبين
انه واجب الكتابة في وليه الموافق لاواخر صفر سنة (١٢٨١) ونص تعريب المكتوب
الواضع اسمه اسفله نائب وقنصل جنرال حضرة المعظمة ملكة بريطانيا العظمى قد
تشرف بمخاطبة الجناب العلي بمكتوب مؤرخ في مايه سنة (١٨٦٤) طالبا منه
الشرح في شأن التوقيف الوقتي الذي وقع في رسوم العمالة بسبب أمر غير متوقع وقد أبقى
وحافظ على لسان دولته في حقها على الحقوق التي يتعلق النزاع فيها الحاصلة لدولة
المعظمة المالكة بموجب اتفاقها المعقود مع جناب الباي بمقتضى عهد الامان
والقوانين الناشئة منه وتوقيعها بعض الحقوق المذكورة وان الواضع اسمه لا يمكن ان لا
يحصل له في النازلة شيء من الفكر لانه يرى انه مضى شهران ونصف ولم يتشرف من
الحضرة برد الجواب عن مكتوبه ومراعاة الحكومة التونسية لم تقع معارضة غير
ضرورية في سبيل اطلاق عملها واعلم الواضع اسمه أثناء الاذن بعد ذلك في تقويم عهد
الامان بسنه مع ان دولة المعظمة المالكة لها اعتقاد بان عهد الامان لما كان مبنيا على
شروط الشريعة الشريفة فلا يمكن نقضه الا بنقض نص الشريعة ولم تتخيل ولا يخطر
ببالها بوجه من الوجوه ان السادة الاجلاء المفتين والمدرسين لشريعة الدين جاهدوا
جميعا على ابقاء عهد الامان ان يرضوا بان يشيع في العالم ما لا يناسبهم من وقوع اشتباه
في ذممهم بما عاهدوا عليه ومع ذلك دولة المعظمة المالكة ترى في الامور المتعلقة باتفاق

عمومي

عمومي بينها وبين الحكومة التونسية أعظم اعتمادها دون الاعتقاد العمومي وهو صدق
الباي ومحبته في اجراء العمل كما يجب بمقتضى الاتفاق المذكور ولذلك الوضع اسمه
يرجوان على جناب الباي بتفضل بالجواب عن الاسئلة المبينة في مكتوبه المؤرخ في سابعه
وذلك لاعلام دولته بجواب مقنع فأجابه الوالي في ذلك التاريخ بان عهد الامان باق
على قوته ومفهومه ولو كانت الاهالي طلبوا ابطال القانون لما استطاع القنصل
ان يحول ضد الرأى العام فجابر جميعهم على انه قد صرح رعيتنا بما هو
مطلوبهم كما هو بيان تدبر عبارة مكتوبه وكذلك ما نسب الى قنصل الفرانسيس ولو
كان امتناع الاهالي من القوانين ووجود الدكان للوالي أعظم حجة في التعامل بدليل انه
يحتج به في خلواته على من لا يقدر على معارضته ومن وقتئذ امتدت أيدي العدوان
على الاهالي بسلب الاموال والقتل والضرب بالسياط المؤدي الى القتل لان الوزير
اشتد حنقه عليهم حتى دخل عليه أحد الاعيان يوما وهو يقول طلبوا دمي فلا أرضى
الا بدمائهم طلبوا مالي فلا أرضى الا بأموالهم والحال مراده بطلب دمه هو طلب عزله وقد
اعتادوا في بعض الدول عند التنافس قولهم نطلب العزل يؤدي للقتل والافلاس فلذلك
لم يطلبه أحد اما المال فهم قد طلبوا احسانه وأول ما ذكروه بعد ابطال القوانين اقتنع بها
لاهل الحاضرة مع انهم هم وحدهم الذين بقوا خاضعين للحكومة الا انه كثر بينهم
الكلام في انصاف مطالب الاهالي فعاد أحد أعيانهم المسمى محمد بن مصطفى عجم الشهير
فيهم بالوجاهة بعد ما تهمه انه اغرى بعض غلمان القصر الامري بالهروب فاذاقه خمسمائة
سوط مؤلمة بحضور أحد خواص الوالي لاتقان واكمال عددها وسجن مع الاعمال
الشاقة في الكراكة ومنهم محمود بن سالم أحد الاعيان من التجار وأحد أعضاء مجلسهم
ادعى الوزير انه يشتكي عليه من جماعة المجلس وسجنه ومن أغرب الامور انه لما لاذ
أهل المسجون بالوزير طالبين تسريحه أو بيان ما هو مطلوب به ارسل الى جماعته يسألهم
ماهي شكواكم التي سمعناها من الرجل وقد جاوبوه ان جنابه أعلم بها منهم لانه اعتمدها حتى
عاقب الرجل بالسجن كما حصل من حال الحكومة اشياء منها انه حجر على الوزير اسماعيل
السني الذي اعتمد في حل عقدة الثورة وعلى أمير الامراء رشيد الذي سافر بالعساكر الى
الاستانة في حرب القريم وأمير اللواء الشريف السيد حسن المقرون الذي له اليد
البيضاء في حفظ الراحة في الثورة في الحاضرة وحسين ورديان باشا وخسرو وعلي جهان
ويونس الجزيري أمير لواء وحسن المدلي أمير الاى والسيد محمد المقرون ومحمد بن الحاج

رئيس عساكر زواوة الذى جمعهم له عند عدم وجود غيرهم فى الثورة وعانه بما استطاع
فجبر على جميع هؤلاء فى الخروج من بيوتهم ومخالطة الناس لانه كان يوجس منهم
الاعراض على التصرفات ثم قتل الاول بعد دقائق من عبره عساكرهم لدعوى ولا
حجة ولا استشارة وارتعبت البلاد لذلك وشنعت القناصل سيما الفرانساوى والانكليزى
وحملوا تحميلا شديدا فكاتب الاول اى الفرنساوى الى الوالى عباس تعريبه ما ان اهتم
شديدا بما فى تمامها وهى اعلام دولة الامبراطور بالحادث الموجع الذى لوث
قصر باردو بالدم فان الفريق رشيد وزير الحرب كان رئيس العساكر التونسية فى حرب
الكريم والفريق اسماعيل السنى صهر جنابكم وقع قتلهما فى القصر بمجرد تهمة لم
يقع اعلامهما من صدرت ومن عبرا ذنبى وجهه من أوجه الحكم فلم يتيسر لى السكوت فى
مثل هذا الامر وكان همى ان اقرر لجنابكم التأثير الذى لابد ان يقع من ذلك وفى سيرتى
هذه سبقت اذن جناب دولتى التى استصوبت فعلى المذكور استصوابا تاما وان كنت
مأذونا باعلام دولة جنابكم واعلام حضرتكم العلية رسميا بالتأثر الذى وقع لجناب
دولة الامبراطور من قتل الشخصين المذكورين ومن توقف دولة جنابكم فى حملها ثقل
المسؤولية القطعية كما انى مأذون أيضا بان أقرر لجنابكم التشويش الواقع من مشاق هذه
الاحوال التى لم تزل تعظم من مدة حدوثها (انتهى) وكتب الثانى اى الانكليزى
للوالى أيضا عباس تعريبه ان المعلومات المشتبهة التى تمامع الوضع ... اصل هذا
المكتوب فى عرضها على جنابكم فيما يتعلق بالامور او جهه اى وقعت بقصر باردو فى
شهر التاريخ لا يدانها الحادث حسابكم انها صادرة من الثانى لقوى الذى عندى فى شان
همة جنابكم ومصالحكم وفى شان التأثر الموجع الذى سيقع بمكانه من ذلك وذوائى
لا توافقنى اذا ادعيت التداخل فى تصرفات الدولة الداخلية التى يظهر لجنابكم استعمالها
لحفظ الراحة العامة من مقاصد بعض الاشرار وبعد الشرح والتفصيل الذى تحصل به
جنابكم على لا يبقى لى شك فى وجود جميع كاذبة أطورت لجنابكم توقع مقاصد موجهة نحو
ذاتكم العلية لا تلافها فى قصركم نفسه ولا شك بانى كونكم كبير الدولة ان يكون لكم
الحق فى استعمال سائر الطرق اللازمة لحل تلك العقدة التى مؤداها اتلاف ذاتكم العلية
وخراب المملكة ولكن بسبب كون جنابكم هو شخص الدولة المرتفعة شرعا فمصلحتكم
تقتضى ضرورة انكم لا تهملوا الاحكام الشرائع وعلى مقتضاها وانها أحسن ضمانة لكم
ولا يبعد عنها الا المتعدى عليها بفساده وبعد ان راجعت نفس جنابكم وتأملتم فى الاحوال

لا شك

لانك انكم تحققتم ان الخطر الحال الذى كان فيه جنابكم لم يكن حجة كافية فى قتل
فرنسى من دولتكم لان فى تباعدكم عن طريقة ميزتكم المعتادة بعدا عن القواعد السالفة
المرتبطة فى القوانين التى تحصل بها بلادكم وعلى وان توقعت بالضروب الموجعة الخارقة
للعادة فانها لم تزل موجودة مع ان دولتكم مطلوبة بالشروط المنعقدة بينها وبين
بريطانيا العظمى وجنابكم معترف بهذه الحقيقة لاعتراف لا حكمكم تتوقعوا فى
اقراركم الرسمى بانكم تحترمون القواعد المذكورة وذلك عند تنويهكم للمسيو أوود المؤرخ
فى (١٨) اغسطس واستناكم عن مدة توقيف القوانين وقد حصل لى سرور تام حق
لى جنابكم بانه لا يقع فى المستقبل مثل هذه الامور الموجعة التى وقعت واعيد القول
لجنابكم فى التداخل فى البحث عن جرم الجنايه التى يمكن ان الشخصين المذكورين
ارتكباها لان الجنايه التى كثير من أدلته كافية لى بان جنابكم كان محققا بانهما
قتلا على حق ومع هذا التحقق كان من الواجب لكم ان تكونوا على الصورة التى تقتضيها
القوانين وفيما يسعى ان يتهمكم به عدم ذكر ان جنايتهما تثبت ولا يحدثك فى
مساعدة ان القوانين هى أقوى للضمانات التى تستند اليها الملوك كافراد الناس وقد
رأينا فى كل وقت ان كل من يستعمل القوة المادية فى تصرفه يكون سببا
لاعدائه فى أن يعملوا [illegible] آثاره وارغب من فضلكم الساعة فى هذه
المعروضات فانكم لم تقصدوا الامور والاحوال التى فاتت لمجرد البحث ولا لتدبير لاجل
اصلاحها وانما المقصود بها الطلب من فضل جنابكم أن تذكروا ان بلادكم تبعد كثيرا
عن أوروباويا اذا لم تتقدم مع تقدم العصر فان قواعد التمدن المتداخلة فى كل مكان
تمنعها ولا يتيسر التصرف الآن كما كان فى زمن الجدود ولان كل عصر له احكامه واحكام
هذا العصر لا تقتضى ان الحاكم الذى يقبض على الاسرى الذين لم يزالوا فى المعسكر الامير
يتصرف فيهم بما عنده من القدرة ويرى ان الحق له فى الامر بذاته فى ازالة شخصية بل
يلزم توفية حق المتهمين لدى مجلس وان يسمع مقالهم ويحاجون على انفسهم ويبرئوا
انفسهم من التهمة الموجهة عليهم فاذا أثبتت جنايتهم فالقانون يحكم وبهذه الكيفية
تستحفظون على همتكم ولا تأخذون من قانون الا الرفيع العالى فى حق الملك وهو لعمو
المحكوم عليه (انتهى) ثم جمع الوالى جميع رجال الحكومة واخبرهم برأيه فى ذلك
اليوم الوزير خير الدين البلاء الحسن بقوله القرائن التى ذكرت لا تبرر ولا تفصل عن القتل
ثم على فرض صحة التهمة فبعد ايقافهما كان الواجب اقامة الدعوى عليهما وسماع

جواب ما علمها الى غير ذلك من الاعمال الوحشية وباية محنة فى قتل الشهيدين هى
التهمة باعانة أخ الولى محمد العادل باى على الهروب مع انه لم يذكر فى معرض لاحسان
معه الا رشيدا ولم يعرج على اعمال شئ ورشد نفسه لم يسمع الدعوى ولا قامت
عليه حجة وادمج فى اثر ذلك نفى جميع من تقدم ذكره وكان فى اثناء ذلك الوزير حسيب
خارج المملكة لما توقع من عقبى كرها بعد تسليمه فى جميع وظائفه فخلا المحل لغيره
ولحق به الوزير رستم فلم يبق من يعترض على التصرفات من رجال الحكومة واما أهالى
بقية القطر فقد أجري فيهم ما تقدم ذكره من تسليط الحزب الحسينى على الحزب
الباشى الى ان خضدت شوكته والصق بالارض ثم كر على هذا الحزب أيضا ولحق بصاحبه
فعاثت أيدى الاول بأهل الساحل وقتلوا النساء والصبيان مع معسكر الوزير أحمد
زروق الموصى بالنكال واحدث فيهم ما تقشعر منه الجلود من قتل أربعة من
رؤس الساحل حكما هنالك ولما اتى أهل اعيان الشرعى بالمنستير رئيس المعسكر أحمد
زروق قابلهم بعصى وأحكم الاغلال والقيود فى أعناقهم وأرجلهم وأمر بازالة عمامة
رئيس المفتين بالمنستير وعامل وفد صفاقس بما يقرب من ذلك ومحن الماسى
وحكم ايدى النهب فى الجميع وقد رايت بخط الوزير الكاتب لاسرار الولاة فى معرض
ما حصل من أحمد زروق ما نصه وبالجملة فجميع ما نسب فى هذه الوجهة لاحمد زروق
انما هى نسبة تبعية لانه مقيد التصرف بما يرد اليه فى الامر فى كل نازلة نعم انما يصدق
نسبة ما ذكرناه الى صاحب التصرف وان كان أحمد زروق قد تنوع فيما صنع حتى رآه بعض
رجال الحكومة انكار داخلا الى جامع الزيتونة وهو لابس نعله وقد جرى العمل باحترام
الجوامع بعدم دخولها بالنعال فقال له فى ذلك واجابه من رأى من الناس وسمع قوله لولاى
ربطت فى هذا الجامع خيل أهل الساحل مع ان أهل الساحل معلوم اسلامهم وعلى
فرض منعه المتعدى من ذلك لا يسوغ له ذلك سوء اهانته وهذا الرجل أعنى أحمد
زروق لم يزل مقربا عند الوزير حتى توجه دار الى ان انفصل عن التصرف ومن تصرفاته فى تلك
الوجهة نه قاس الشيخ محمد الصويلح رئيس الفتوى بالاعراض وغرم أهالى تلك الجهات
أموالا كثيرة افنت الطارف والتالد وبقوا فى قيد ديونها المثقلة للاجانب الى هذا الوقت
بحيث يصح أن يقال ان جميع ما يمكن ان يباع قد بيع وما لا يباع كالاوقاف وجميع ما
يحصل من كسب ابدان أهل الساحل كله دفع للاجانب بسبب ديونهم ولو فردت نازلة
الساحل وحدها بتأليف لجاء مستكملا زيادة على القتل والسجن مع الاعمال الشاقة

وضرب

وضرب أسقاط الوجه أو القبائل حتى ان الوزير خزنه دار المذكور لما رأى خروج
الضرب عن حده في لسعة الشرع على ثمود من أهل عساكر ممن أتى معه إلى محل
حكم الوالي أمام المتولي [illegible] وأرسل إلى الأعوان وقال لهم ان سيدنا أمر بضرب هؤلاء
لا بقتلهم فان قتل الآن فحصته واقع [illegible] الأمر الوالي لأن ذلك هو دأبه كما تقدم من
عدم مكاشفته لأحد بما يوجعه [illegible] جميع الأعمال للولاة وأما جهات القطر الأخر
التي سافر إليها العسكر تحت أمر الوزير رستم فلم يقع بهم من المضرات ما وقع بالأولى لأنه
اقتصر على مجرد قبض الأداء [illegible] لأن الباي أمكن له أن يرسل مثل القائد [illegible]
أذن عن المجتمعات [illegible] الأوامر التي ترد عليه في طلب اللحم [illegible] ومن ذلك
[illegible] خزنه دار [illegible] كلما تعرضت له التصرفات لعمال على
غير الوجه المعقول وكذلك العسكر الذي سافر تحت مرة ولي عهد الولاية أمير الأمحال
أبي الحسن علي باي فقد اقتصر به على منزله [illegible] في العوض كثير من
رؤساء تلك الجهات وانكرت عليه تلك السيرة من يريد الخراب حتى أرسل معه ابراهيم
ابن عباس الرباحي [illegible] يريد أمر أمير الأمحال باتباع [illegible] وهذا [illegible]
لا [illegible] للاستيلاء على الناس [illegible] في سبب ذلك [illegible]
حدث [illegible] الأمور [illegible] وكان ذلك سببا للوحشة [illegible]
[illegible] الطاهر [illegible] الأهالي [illegible] بعض
ما [illegible] ابراهيم بن عباس المذكور [illegible] ورأيت بخط كاتب أسرار الوزير
أحمد [illegible] المذكور في وصف استشاره [illegible]
في الوساطة [illegible] ذلك هو الأمر [illegible]
في اشتغال [illegible] الأمير
المذكور [illegible] المذكور
ثم ان [illegible] كل من [illegible] الباي والوزير رستم [illegible] أيدي العمال [illegible]
وجه الوزير خزنه دار [illegible]
[illegible] وأعلامهم [illegible] في خدمة [illegible] للأهالي [illegible]
[illegible] لهم [illegible] الحكومة [illegible]
[illegible] الوالي [illegible]
[illegible] ثم حكم عليهم [illegible] الوزير الكاتب المذكور في قصة هؤلاء

الرهط لدى عموم الشيخ الهرم المنسوب الى اصلاح الحاج مبروك صاحب زاوية تاله
مادصه فتقدمت مرده لعد بلى ما كرم منه من أبدان بنى آدم كوب وحده على وجهه
ويمدونه على الارض موثق اليدين والرجلين ودام الضرب فى أرجله لما كرب
يوما او ثلاثا عرايا ومنهم من توفى خلال ايام الضرب فدام اياما لا لفكة لا انكار بعد ولم
يقع الضرب يوم قدرهم حسبه وقوع الشماعة منه عند مشاهدته بين الحاله الفظيعة
الشنعاء واستمر الضرب باعداد هرات فانه مد وابتلاهم واملاؤهم ومات منهم باسباب
الضرب الذى لا تتحمله القوى الحيوانية على بن عباس شيخ ناله ومرحت روحه قبل كمال
عدد الضرب وكملوا العدد ضربا شلوه وهو ميت ومات بهذا الضرب الحاج مبارك شيخ
الطريقة لما ذكره ولم يسمع منه حافظا ضرب الافوه بارى بارى لى ان اغمى عليه
والحاج صالح بن الشابلى من بيوت هوشيش وغيرهم وعدد من مات بالضرب فى اقل من
عشرة أيام ستة عشر رجلا منهم كلاهما حنصر ومهنت خلائق من الاعمال الشاقة
ومنهم على بن فداهم بعدنا كبد لا مات اليوم وقد وهو مع ابن قطب الصالح سيدى أحمد
الصابى رضى الله عنه ودق فى حبس مظلم ندى الى ان مات وكذلك كثيرهم ممن لا
يمكن احصاؤهم وانتشر الخبر فى الآفاق واستعظمه من سمعه حتى ان ما بين الناس
امرا ... بعد ان رجوعهم الى زاوية وقعت فيهم ومهدهم ... وتعجب
لانه لى سعيه بعد ... وكان ذلك فى اثناء الهرج شوش حصب ... وجوهه وذكر
اسباب ثورتهم من حولهم عبائر دمهم وعدم سلوك الطريقة الماسية وصولهم واتى
على ما ذكره ثم قال وهذا حرب وخطاء الثوره لم يعهد هنا سدهم ولا شدة ولا ما يستوجب
النصر ثم وكان الدولة الاسلامية ... محل الذى نرى شبهه الى الآن مع من
الهرمان الحاصل لدينا ومع هذا التعذيب فى الابدان فقد تعدى على اموال الاهالى عن
آخرها ولم يبق للابدان ولقرى وقبائل العرب شئ يسد العوز ومن كان له أدنى شئ
من القوت كان يخفيه ويرسل اسراته لالتقاط العشب وعروق لا يجد زادا وقتهم وله ولد أرلى
أحد بيوتنا نذر يد به ان يرسل سوية الانثى لم يعهد الطوف فى البرارى لطلب عروق
البرطاس ويشمر على ظهر بيته ابره أعوان العامل ويطعما لا اقمح فى المامى عرطمس
الكى بجمع لماس حسن الرعاية ... ذكر لى أحد الثقات من تجار نه كان يوما
جالسا عند ابراهيم العامل المذكور وهو يوصى نائبه العادم الى المعرلى القبيلة ويحرضه
على خلاص المال فاجابه النائب بانه يعمل غاية جهده بحيث بيع كل ما يجده وجد

عنده

عنده نفقة يأكلها ومن وجد عنده شيئا أخذ ومن ومن إلى أن قال وفي أقرب وقت تخصص
مال الدولة ثم رجع مختفي علي إبراهيم وتخوف من بيت مال الدولة لا يصح وإنما المقصد
مال بوزيره فلما الحق [illegible] وقدم وذهب في ذلك العزم [illegible] كان عندنا كبد
الأمن لدى جميع رعيته فالكتاب والكلام [illegible] عن [illegible] هو شيء على الحش [illegible]
ذكر الوزير حسين قبل [illegible] من الأمر [illegible] بادية [illegible] قدوم أهل الساحل [illegible]
تخفى عليه وأوجبه [illegible] يكره [illegible] ووجوب لولاة العهد عقلا وشرعا كفى الناس ما هم
عليه من الفقر المدقع والمضرة التي لم تعهد ذهبهم الجوع والقحط القسيمان عن
حبس المطر الكثرة [illegible] من [illegible] الأموال التي تعمر بها الأرض في الفلاحة وشركت
في المضرة [illegible] أهل الحاضرة لانباع [illegible] كانت [illegible] أهل البادية فبات أفواج
الأقوام ترهم من كل حدب ينسلون متوجهين إلى الحاضرة والمدن وما وصل إليها إلا
الأقل [illegible] مرض حمى التيفوئيد [illegible] وكان مرضه [illegible] في حالات لا تحصى
وبقيت أكثر جثثهم في الفلاة للوحوش [illegible] ممن أفلت منهم [illegible] أعدادا وفرادى
ساعده الأجل ووصل إلى الحاضرة [illegible] مات أكثرهم في الطرقات [illegible]
أهل [illegible] عادة [illegible] وقت [illegible] القدس [illegible] حسين
[illegible] ولى في [illegible] الأهالي كل على
حسب استطاعته على حالة [illegible] إلى أن [illegible] كثير منهم
بأرياف لولا دين المساكين [illegible] بالموت
[illegible] وكان المرض [illegible] وصل [illegible] لا توصف وفشا فيهم الموت
إلى أن صاروا [illegible] في [illegible] واحد [illegible] وقد كنت كتبت لصديق
وهو [illegible] يوصف الحالة في [illegible] أرسل إليه [illegible] للعائلة
المذكورة في القطر [illegible] وقعة تاريخية [illegible] رآها
بعض ملوك [illegible] في القرون [illegible] بعض ملوك [illegible] في القرون المتوسطة
من تاريخ المسيح عليه السلام [illegible] أمر [illegible] عن [illegible] وهو [illegible] عندهم
[illegible] لأن أصحاب التنجيم هم الذين [illegible] معرفة علوم الحدثان فحضر المعبرين
يديه وقال له إنني رأيت البارحة في المنام ما [illegible] أمره [illegible] من [illegible]
فرعون في مصر في أيام يوسف الصديق عليه السلام وذلك أني رأيت ثلاثة جرذان [illegible]
[illegible] أولاد [illegible] حالها [illegible] ثم [illegible] جرذان على [illegible]

من الهيف والهزال بحيث ان استرسلوا على باديه ولا تستطيع اثبات على رجليها ورأيت
الخرد تدعى [illegible] من الهم بترتيب في شدة ترعرع [illegible] ثم نامت احداهن
ورأيته أعمى من كان [illegible] لا يبصر [illegible] وتنبهت [illegible] ورأيت احداهن
[illegible] على تلك الحالة [illegible] سودا [illegible] ولهم يتقدون
فاقتفوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون [illegible] بقوله سيدي ان رؤياك
ان [illegible] واحكم [illegible] وتصور [illegible] والسم بين
هوور [illegible] والاعمى [illegible] أيها الملك [illegible] فيه صلاح [illegible]
وتقود [illegible] لي ما [illegible] كان وهلاكهم [illegible] وكتبت الى صد في دبلها
ما [illegible] حال رؤيا العروس [illegible] لاحتره * في هذه
الحصره * [illegible] من النصوص الشريرة * فوى [illegible] السلام التي
[illegible] رؤيا * [illegible] البلاء * ولو [illegible] الاسرار * [illegible]
[illegible] ولولبت [illegible] مرار * من [illegible] * [illegible] ل * [illegible] ذات
الرحال * وتشببت الرجال * [illegible] لابتلاع [illegible] * [illegible] حال
[illegible] من رام [illegible] * [illegible] ل * [illegible] ل
وهوت لاالابالة الى [illegible] * [illegible] من [illegible] ل * [illegible] والفضت
الا [illegible] * [illegible] من [illegible] * [illegible] * واستراح من فقه
[illegible] * [illegible] ورب هذي دلالة [illegible] * وقال تعالى [illegible]
لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة * [illegible] * [illegible] والله
العظيم * [illegible] الكريم * [illegible] الى [illegible] * فاقتفى [illegible]
العيل * [illegible] من الوحدة [illegible] * اوقر [illegible] عند اضيق
ولم استطع [illegible] * [illegible] في [illegible] * [illegible] باسراب * وصفات
الرحمن [illegible] لله مع املاكي * [illegible] اشركي * [illegible] الاغن
ولم احد من يصرف [illegible] الوحدة [illegible] * ولوم [illegible] * فالناس [illegible] في
[illegible] * [illegible] في [illegible] * يبكون من [illegible] * [illegible]
ويقولون هل من مزيد * وترى [illegible] سكارى وما هم بسكارى ولكن [illegible] شديد * الى غير ذلك من [illegible] * وجرت [illegible] * [illegible] الطريق
* وصاح على الابواب [illegible] * [illegible] * حتى [illegible] فيها [illegible] الساق
بالساق

بالساق * فلا تسأل عن القلوب * وما دهاها من الخطوب * وقد فوضنا الامر الى علام الغيوب
اهـ ومع تلك الحالة في الاهالي بعثة ما رجوه به الوالي من الخزينة خمس عشرة ألف ريال
وله المعذرة به كثير ما ترتب أتباعه بل قبل عائلته ويه الى نصف الليل حتى يرسل
وزيره أحد أعوانه الى حيدة بن عياد لكاف عمل الجرايد ليستقرض ما يمكن ان تتغدى
به عائلة الوالي والوزير غاية ما تكرم به على اولئك المساكين سبعة آلاف ريال وان كان
سيدي حسين الشريف الحج عليه في اعانة المساكين مرارا فيعطيه من خزنة الحكومة كما
انه في هاته الشدة ابن البلاد حسن كثير من الاهالي والاجانب مرارا علنا وقاموا بكثيرين
قوتا وكسوة وسكنا ودواء وأطباء سوى الله يجزيهم عنه وفي أثناء المدة هرب العادل باي
اخو الوالي الى جبل باجة حيث كان أهله فذلك ثائر بين عدان في مثل ذلك في البيت
الحسيني منذ نحو مائة سنة وسبب ثورته لضيق الحال الذي حصل له من تعطيل مرتبه ومثله
سائر آل بيته وذلك احسن ولا عاده مروى الى العهد بالعسكر وارجعها وقاد الطاعة ثم
أبيد ترك مره هذا وبينما كان القصر على هذا الحال والاموال المختلفة لم تكف
وجهات الحكومة تستقرض من أوروبا فرصا بعد قرض فأول استقراض كان خمسة
وثلاثين مليونا [illegible] ثم لأجل الدين السابق الذي قدره تسعة عشر مليونا ولم يزل باقيه لم
يستخلص الى ان تشكل الكومسيون [illegible] في بيانه وهكذا كل قرض يدعى فيه مثل
ذلك ويبقى الاصل على ما كان واشترى من تلك الديون بواسطة [illegible] باضعاف قيمتها لانها
أكثر من سبعة [illegible] فرقا [illegible] بالصادق [illegible] أصلها [illegible] فيه طبقة
وصار شكلا [illegible] لارباب ذلك [illegible] وقد شاع عند الخاصة والعامة ان [illegible] من شراء
تلك [illegible] من الوزير مع أصحابه ثم [illegible] من القرض وقد
يبيع [illegible] ذلك [illegible] وكثيرا [illegible] باصلاحه وذلك عند عجز الحكومة
من [illegible] بعد [illegible] الشرى [illegible] المكثري وذهبت السمن
وثمن [illegible] ثلاثة عشر مليونا [illegible] مع ان أصل شرائه لا حاجة اليه سوى تحصيل
ربح [illegible] من الاستقراض لدفع الثمن وشاهده ما وقع في شراء [illegible] دفع
[illegible] الذي باع تلك
[illegible] ألف [illegible] التباين بين [illegible] وأجابه
[illegible] أردان [illegible] ألف في هذه البيع وامالا نقدر على منعه
وانت [illegible] حكومة تونس فرجعت [illegible] على ذلك هكذا افادنا المخبر لنا

رسل الوزير يرددون كل باب له ثم لم يحصلوا على شيء حتى ان الياس صار المستشار
اثناء ورود [illegible] سندات على المالية
باسم [illegible] وطبق [illegible] المالية [illegible] ويترتب على الحكومة بدفع
ارباب [illegible] الاموال [illegible]
الوزير الى القرض من [illegible] صرف [illegible]
يتصرف فيه [illegible] الحكومة وهي [illegible]
واستعمالها في تصرفاته [illegible] الحكومة [illegible]
به عن اسمه [illegible]
وفي [illegible] رفاع [illegible] اصبع [illegible]
واحد وقيل انه شاركه [illegible] وغير ذلك من مورد
مصاريف الحكومة امر [illegible] على [illegible] له [illegible]
بعد ان كان [illegible] قبله [illegible]
ابن عباد [illegible] الاحكام ومع ذلك
فان [illegible] المذكور لم يقصر [illegible]
[illegible] المال [illegible] الاعتبار [illegible]
العلم [illegible] لارباح [illegible] الحكومة [illegible] من
[illegible] الحكومة ورأى [illegible] المالية في
[illegible] المذكورة ارباحه كانت [illegible] في
المالية ثم [illegible] رأى الوزير [illegible] اموال الحكومة [illegible] من
الاحباب لاموالهم من وزارة المالية بالاسم الى الوزير [illegible] رياض [illegible]
لكي يقصد [illegible] ولا ارض والاموال [illegible]
الوزير اعوانه [illegible] على
الحكومة مالي سواء كان من [illegible] او المرتبات ومنهم [illegible] المال
يؤرخه وزير المالية بدفع ذلك [illegible] على يده من غير بيان
وكانت ترد تلك [illegible] وزير المالية يجمع على [illegible]
فلم يكن في وسعه [illegible] من تلك [illegible] عند [illegible]
ولذلك لم يصرح [illegible] طلب وزير المالية [illegible] عن ما يمكن ان [illegible]

العمال الى الحكومة ليمسك به الاجانب أصحاب الديون كانت تخدمه أعوان الوزير
خزنه دار من الطرفات حتى وقعت خصومات شديدة من الاجانب في مثل ذلك ولما كثر
القيل والقال من الاجانب في خراب القطر وفقر حاله وانه تلزم مساعدة الحكومة
للاهالي الرجوع شيء من رمقه كان الوزير خزنه دار يقول لخواصه عجبا لهؤلاء القوم أوأنا
المطلوب بايصال امر للفلاحة البيو نارويس كيفية الحرث والارض موجودة فما
منعهم عن ذلك كأنه لا يعلم السبب لكنه اراد تبكيت الاجانب فاعطى الى الكنت
صاسي الفرانساوي اربعمائة ماشية ارضا اي محراث بين ابيض وسمائة هكتار بحساب
كل ماشية مائة وثمان وثمانون هكتارا والهكتار عشرون ذراعا مكعبة كل ذراع
مدرجة على اربعة اقساط ومن شرطها ان تكون قابلة للزرع والسقي وان تمون
جميع الادوات التي بواسطته والتي بدون واسطة في جميع ما ينبت وما يربى من
الحيوانات وتنفعها ولم يحصل ذلك الحكومة مشاق كثير تفصيل نعم كان لجمعية
انكليزية احداث طريق حديدية من تونس الى حلق الوادي ومع خطابات صدر
نوع من التملك كبير سمي التي في مسعد بابن نبير حيث ابتاع مدة جبل ارصاص
واكترى لها ارضه المسماة بالجديدة التي حصلت فيها الخصومة المشار اليها عند الكلام
على سياسة القطر الخارجية ونشأت كل هذه المشاكل الصعوبات السابق بها عدم
العائدة وعدم اتحاد الحكم وزادت المشاكل بكثرة الدين وعدم المال وروح في القطر
سكة من النحاس كل قطعة منها نصف ريال وكان مقدارها وجد فيه نحو اثني عشر
مليونا بالاوعظم الخطب لامتناع الاجانب من قبولها في اثمان سلعهم وديونهم عامة
لاهل القطر وبلغ سعر الصرف الى ان المائة ريال فضة تصرف بنحو ثمانمائة ريال وبلغ
سعر الويبة من القمح الى العشرين ريالا بتلك السكة وبعد نفاق ما ضربته الحكومة
منها واشتداد الحال ترقت قيمة السكة النحاسية الى اصلها الحقيقي وهو ان
نصف الريال ثمن الريال وضاعت على الاهالي ثروة لا يمكن مع ما زاد على ذلك
بما جلبه نوع تلك السكة حقيقة واكثر ما اصيب بالخسارة اهل الحضرة وكانت
قطعة من غرم المال والتابع لخزانة الضيق شدد الاجانب في طلب ديونهم وهو نصبوا
وقطع القنصل الفرانساوي المخابرة مع الحكومة ثم استرضته واستقر القرار على تشكيل
لجنة مختلطة من الاهالي والاجانب وسميت بالكومسيون المالي ونص الامر الصادر في
ترتيبه ﴿واما بعد﴾ فقد اقتضى نظرنا لمصلحة مال مملكتنا ورعيتنا والتجار ان نرتب

كومسيونا

كومسيونا ماليا على صورة الامر الصادر في الرابع من ابريل من العام الفارط المؤكد بامرنا المؤرخ في التاسع والعشرين من مايه الموالي للشهر المذكور على الكيفية الآتية ﴿الفصل الاول﴾ الكومسيون الذي صدر به أمرنا المؤرخ في الرابع من ابريل سنة ١٨٦٨ يجتمع بحاضرتنا في مدة شهر الى تاريخه ﴿الفصل الثاني﴾ ينقسم الكومسيون المذكور الى قسمين متميزين قسم للعمل وقسم للنظر والتصحيح ﴿الفصل الثالث﴾ قسم العمل يتركب على الصورة الآتي بيانها وهي عضوان من متوطني دولتنا احدهما نحن اصطفيناه وناظر مالي وراييس نعينه نحن أيضا بانتخاب اصحابه المعينين من طرف دولة جناب الامبراطور ﴿الفصل الرابع﴾ قسم العمل هو المكلف بحصر المداخيل التي يتيسر للدولة أن تخاص بها ذلك ﴿الفصل الخامس﴾ قسم العمل يعمل دفترا فيه يقيد جميع الديون المنعقدة خارج المملكة وداخلها وهي التذاكر المالية ورقاع سافي عام ١٨٦٣ وعام ١٨٦٥ وأما الديون المترتبة بصورة تكمرانوات وعلى حاملي تذاكرها ان يأتوا وفي خلال مدة شهرين وكذلك يعين قسم العمل في الاعلان من ذلك في جرنالات تونس واوروبا ﴿الفصل السادس﴾ مهما أراد قسم العمل الاطلاع على جميع الحجج والصكوك المتعلقة بالمداخيل والمصاريف فان وزارة المال تعينه على ذلك حق الاعانة ﴿الفصل السابع﴾ بعد أن يقع حصر مداخيل الدولة ومصاريفها العامة المصاريف المراد عليها مبلغ الدين يبحث قسم العمل عن توزيع المداخيل العمومية على وجه الانصاف باعتبار جميع الحقوق على طريق العدل وكذلك يعمل تحريرا للمداخيل التي يمكن زيادتها على جميع الضمانات السابق تعينها لارباب الديون ﴿الفصل الثامن﴾ قسم العمل يعمل جميع التبديلات والترتيب المتعلقة بالدين العمومي وغيره بكل ما يلزم من الاعانة لانفاذ ذلك الانفاذ التام ﴿الفصل التاسع﴾ قسم العمل يتولى قبض جميع مداخيل المملكة من غير استثناء ولا يسوغ خراج تذاكر مالية من أي نوع كان الا بموافقة القسم المذكور على ذلك بعد التعويض اليه في ذلك من قسم النظر والتصحيح واذا اضطرت الدولة للعمل سلف فلا يسوغ لها ذلك الا بموافقة القسمين وجميع التذاكر التي تخرج في مقابلة المبلغ الذي يعينه الكومسيون لمصاريف الدولة يكتب باسم الكومسيون ويعلم عليها قسم العمل وقدر هذه التذاكر يلزم ان لا يتجاوز المبلغ المحدد في قائمة المصاريف ﴿الفصل العاشر﴾ قسم النظر والتصحيح يتركب على الكيفية الآتي بيانها بعضوين من عضوين من اصحاب رقاع سلفي عام ٦٣

وعام ٦٥ ومن عضوين انكليزيين وعضوين طليانيين ينوبان عن حاملى رقاع الدين الداخلى وهؤلاء الاعضاء يكونون بوكالات مخصوصة من قبل حاملى رقاع الدين وحاملى كونصوليدات مملكتنا ويصدر لهم اعلان فى ذلك من تحت نظر قسم العمل

﴿الفصل الحادى عشر﴾ قسم النظر والتصحيح له الحكم فى جميع تصرفات قسم العمل وهو المكلف بتحقيقها وبالموافقة عليها عند الاقتضاء وموافقته ضرورية حتى ان الذى يستقر عليه رأى قسم العمل مما يتعلق بالمصلحة العمومية يصير بذلك واجب العمل به

﴿الفصل الثانى عشر﴾ ان ناظرنا لا كبر بالعمل بما تضمنته الفصول الاحد عشر المذكورة أعلاه وتعيين العضوين وطلب الناظر المالى الامر السامى المذكورين بالفصل الثالث فى أقرب وقت ممكن كتبت الاثنا عشر فصلا أعلاه بسراية حلق الوادى فى السادس والعشرين من ربيع الاول سنة ١٢٨٦ ستة وثمانين ومائتين وألف فانتظم هذا الكومسيون واستولى رياسته الوزير خير الدين والعضو الاول فى قسم العمل هو صاحب رتبة الوزارة فى فرانسا فيليت والعضو الثانى الوزير محمد خزنه دار وسيأتى تفصيل ما نشأ عن هذا الكومسيون وجمع ديون الحكومة فكانت ما يأتى

جملة الجوامع	فرنكات	
	٣٥٠٠٠٠٠٠	الاستقراض من دار ارلانجى بباريس لايفاء الدين السابق الذى لم يحصل بقاسمه وقدره نحو تسعة عشر مليونا كما تقدم
	٠٩٠٠٠٠٠٠	الاستقراض من بينار بباريس سنة ١٨٦٣
	٢٥٠٠٠٠٠٠	الاستقراض من دار ارلانجى وغيره سنة ١٨٦٥
٦٩٠٠٠٠٠٠	٦٩٠٠٠٠٠٠	الجملة تسعة وستون مليونا
٦٩٠٠٠٠٠٠		

الاستقراضات الداخلية المعروفة بالكونصوليدات

جملة الجوامع	فرنكات	
٦٩٠٠٠٠٠٠	١٣٥٠٠٠٠٠	الاول
	٠٩٦٧٠٠٠٠	الثانى
	١٧٨٥٠٠٠٠	الثالث

الرابع ٧٨٠٠٠٠٠٠

	٤٨٨٤٠٠٠٠	٤٨٨٤٠٠٠٠
	جملة الدين العبر المنضبط بالتذاكر الرائجة	٣٦٨٠٠٠٠٠
		١٥٤٦٤٠٠٠٠
	جملة العوائد المتأخرة تقريبا	٠٢٠٣٨٠٠٠٠
	ريالات	١٧٥٠٠٠٠٠٠
جملة صرف تلك الديون بالريالات التونسية	٢٨٠٤٣٧٥٠٠	
فاذا أضفنا الى ذلك مداخيل الحكومة من وقت تعطيل القانون الى انتصاب الكومسيون الذى هو سنة ١٢٨٦ بحساب كل سنة خمسة عشر مليونا ريالا الذى هو أقل ما يمكن نظرا الى ما تركها عليه الوالى السابق محمد باشا ونظر الدخلها فيما بعد فيكون المجموع للستة سنين	٠٩٥٠٠٠٠٠٠	٠٥٨٤٥٠٠٠٠
	٣٧٥٤٣٧٥٠٠	٢٣٣٤٥٠٠٠٠
تقريب الغرم الذى دفعه السكان على مصاريف الثورة لانه ثبت بالحساب ان أهل الساحل وحدهم دفعوا من ذلك عشرين مليونا	٠٦٠٠٠٠٠٠٠	٠٤٠٠٠٠٠٠٠
ما أعانت به الدولة العلية الحكومة وقت الهرج	٠٠٤٦٢٥٠٠٠	٠٠١٠٠٠٠٠٠
ما أهداه صاحب القرض الاول باسم المارستان وأخذته الحكومة	٠٠٤٦٢٥٠٠٠	٠٠١٠٠٠٠٠٠
	٤٤٣٦٨٧٥٠٠	٢٧٥٤٥٠٠٠٠

فكانت جملة الاموال التي خاضت فيها الحكومة في مدة نحو سبع سنين مائتين وخمسة
وستين مليونا فرنكا وصرفت في آلات ماء ومرفوع بأثمان مزيدة لتصدق لما في
تحصيل الحوالات حتى امتدت الايدي الى الاوقاف وعمل ارسال مال الحرمين الشريفين
من أوقاف علماء المستنصر وكذلك تعطل مرتب المدرسين والعلماء من بيت المال لدى
اسمه أحمد باشا الاستيلاء الحكومة على ما فيها من المال واستحصل من تلك الاموال في
العصر ما يمكن ان يذكر وبعد سوى ما تقدم ذكره من الدين وبدافع المال مجموع غنمها الى
ثمانية عشر مليونا وان اضيفت الى ذلك ما خسرته الدولة والحكومة ضاع عندها
عياد واسم وكله بواسطة الوزير المذكور كان مجموعه مما يزيد على خمسين مليون
ريالا وحيث كان الحال على ما ذكر اتجهت نفس الوالي لمراقبة وزيره خزنه دار لانه
ادخر في مصر ما امكن ان يربو على عشرين مليونا وما ذكر احتياطا لما عساه يقع لان
الثورة العامة ادرت بما يخشى منه ولا بد ان يكون له ذخر خارج المملكة وقد ذكر ذلك
له مرة بحضرة احد قناصل الدول ثم طلب هذا القنصل اسقاط الضابط عنه بتلك الملايين
عند عزله ومن وقت انتصاب الكومسيون المالي قصرت يد الوزير خزنه دار عن
التصرف وكاد أن يكون اسناد الوزارة اليه اسما بلا مسمى وتحقق من ذلك أشد الحنق
ورام ان يغير الحال ولم يوافقه الوالي لاطلاعه على حقائق الامور وعلمه ان رجال الحكومة
لم يتفقوا على ما كانوا عليه من الائتلاف على لوره بوق على ذلك الى ان ظهرت نازلة
ارلانجي البنكير عامل مالي ودعى به البروسياني وكان ذلك في خلال محاربة ... نسامع
المانيا وفرنسا مدة القنصل البروسياني في مطالبه ولم يكن للحكومة مال وناهز الوالي ان
يستقرض من وزيره المال المطلوب فقبضه الحكومة وفرضها المال باوراق آجام وغابات
صيره بفائدة عشرين في المائة في السنة ثم ظهرت نازلة الافريقي رفعة وحصلها ان
الكومسيون المالي لما حصر جميع الديون ووحدها في دين واحد جعل له رقاعا جديدة
وشرع في ابدال القديمة بالجديدة وعند ذلك تبين ان رقاع الديون القديمة ... ما ضبط
من مقدار الدين لانه بقي بارقاع القديمة التي حاملها اصحاب المال فاستقرى الكومسيون
اسباب ذلك وتبين ان ... الكومسيون المالي ووجهت له الحكومة حسابا رسميا
فيه بيان حساب الرقاع الزائدة المخضرة سابقا في سنة ١٨٦٣ و سنة ١٨٦٥ بعد طرح الرقاع
التي رجعت بالخلاص للحكومة في الافترعات وبعد طرح الفي رقعة شرت على يد
البنكير ارلانجي للحكومة من ديونها فلم يعتبر الكومسيون في ديون الحكومة لاما بقي

من

من رقاع السالمين بعد طرح أصحاب المذكورين لأن كلا منهم هو خلاص لمقداره
من الدين وأذن الكومسيون بطبع عدد من الرقاع جديدة بمقدار ما بقى من الدين ولما
شرع فى تبديل الرقاع وجد فى رقاع سلف سنة ١٨٦٣ أكثر مما كان قدره على
مقتضى الحساب الرسمى المشار اليه فظن أن الأمر من رقاع مزورة وأمل فى جميعها ولم
يجد فيها علامات التزوير فحاول حينئذ الكشف عن منشأ هذه الزيادة واستخبر من الوزير
خزنه دار عن الألفى رقعة المشتراة على يد رلاحى وما كان فيها فلم يجب وأصر على
السكوت مدة أكثر من سنة مع تكرر السؤال له كما يتبين ذلك من تقرير الجلستين
المنعقدتين من الكومسيون فى ١٥ أغشت سنة ١٨٧٢ وفى غاية سنة ١٨٧٣ ولما
ألح الكومسيون على الوزير فى طلب الجواب زعم أن الحكومة لم تتصل بالرقاع
المذكورة وأن دار رلاحى هى المطالبة بذلك لكن الكومسيون قبل أن يطلب
من رلاحى البيان تحرى فيما يرومه من الاطلاع على الحساب مع الدار المذكورة وعلى
الرسائل الواردة منها لكى يعتمد فى المخاطبة ما هو الواجب فأذن الوالى فى ذلك وأطلع
عليها الكومسيون وثبت عنده أن الدار المذكورة سلمت تلك الرقاع للحكومة وكان من
المعلوم لدى الكومسيون أنه كان بين الوزير خزنه دار وبين رشيد الدحداح المتقدم
ذكره معاملة خصوصية وأن الوزير رهن خمسة آلاف رقعة من سلف سنة ١٨٦٣
فطلب الكومسيون أن يطلب بواسطة نائب فرانس وهو قنسلاتو الجنرال بالنيابة من
رشيد الدحداح المذكور جريدة أرقام الرقاع المذكورة كما يطلب من دار رلاحى
جريدة أرقام الألفى رقعة التى اشترتها الحكومة فاتصل بالجريدتين وكشف الحال
أن الألفى رقعة رهنها الوزير خزنه دار على يد الدحداح بعد خلاصها فعرض نائب
فرانس بالكومسيون على الكومسيون تقريرا مفصلا فيه ثبت الذنب فى المادة وقع عنه
تقرير جلسة الكومسيون المؤرخ فى ٤ نوفمبر سنة ١٨٧٣ وملخص تقرير الجلسة
أن الرقاع المذكورة سلمت فى ١ فبراير سنة ١٨٦٤ للحكومة التونسية على يد
نائب الباى عن دار رلاحى وقيد ثمنها فى الحساب الواقع بين الحكومة والدار المذكورة
المؤرخ فى ١٧ مايه سنة ١٨٦٧ ثم رهنها الوزير مصطفى على يد الدحداح القاطن فى
باريس وأن استعمال الرقاع المذكورة على الوجه المذكور أضر بالحكومة وأرباب
الديون وإن رأى أن الكومسيون أجمع على طلب التعويض والخسائر من الوزير مصطفى
المذكور اه وعلم الوزير بذلك ودفع دفعه لوزير خير الدين بفصل النازلة من عجل

فأبى انثناءه لاتباله الاحكام وبلغ ذلك للوالي من ابواب طمعه مصطفى بن اسمعيل اقرب
المقربين لديه لمنصب الوزير خير الدين به في انتهاء قطائع خزنه دار ابيه وافهامه ان
الوزير خير الدين مصادف حقيقة لمدلك الوزير وان كانت له عليه يد النعمة والمصاهرة لما ذكر
من سيرته فامتلأ وطاب الوالي من انكاره اعمال وزيره وابرام الوزير مصرا على الامتناع
من بيان الوجه في رواج تلك الرقاع ثابتا الى ان وجه الوالي ثاني رئيس الكومسيون
بمحضر المذكور وعرض على الوالي ملخص المزلة وطلب منه امضاء الحكم فباشر الوزير
ثاني رئيس الكومسيون بكلام شديد الى ان انتهره الوالي وقال له ان جوابك لهاما ان
يكون بالحجة في تبرئة نفسك او تقدم تحقيق لدى عائلتك وانفصل الوطن وبقي الوزير
ثم الوالي معه لكنه لم يكن يظن به بعزل وكاتب الوالي بالاقرار بما هو فيه الا في رقعة
وطلب عزله ودى الكومسيون ما طلبه واستاثق الوالي وساعة الدولة وتوقف عدم
الخوف من عزل الوزير بعد ان حصل جميع الجهات امر بعزله في غرة محرم من سنة ١٢٩٠
وكان مدة تقلده منصب الوزارة في سنة ١٢٠٠ وارتاحت البلاد عند سماع عزله وربما
وكان لا يصدق دهم به لشدة تمكنه من الولاية حتى يقول بعض الصالحين
انه قد لا يعدم بلاءه من يكون مع اوله معزله الا ان وقع انت في عزله الاح ودمع
الدعاء لقانون منادلته آخر مدة احدث وربت البلاد عند عزله ولم يسمع عن
ذلك هذا القدر واتسع جمع لافراح جميع البلدان والقاصي يحزن على عزله او راد من
خواص حاشيته ومن توفرت ارباحهم على يديه وزاد بالبلوغ من الاجانب ورام له
وجاهة منهم ان يتداخل في ارجاعه لصدارة لان ارتباط الوالي كاتحاد المتوطنين
فامتنع الوالي وجعل اتباعه يرددون كل وجه لارجاعه حتى سافر احدهم الى اوروبا والى
الاستانة واجتمع برجال الدول وسأل في الوصول امو لانه يحتمل يتداخل في توليته وزيرا
في حكومة مختبرة في ادارتها وحيث تيقن الوالي كثرة الاموال التي توصل اليه الوزير
المذكور من اموال الاهالي والحكومة سيما الاموال التي احدها بسبب الاكبر يتذاكر
على المالية مكتوب بتوقيع والان وزير المال فقد ذكر ان المال لامر الامراء فتاهد
في مصالح على يده الخ ونقص الآن المال ويمضي بخطه على القبض مع انه لا وظيفة له
رسمية تقتضي صرف تلك الاموال ومع عدم بيان الجهة المصروف فيها المال فاراد
محاسبته ومحاسبة ابنه على اموال الحكومة وتبرأ الوزير خير الدين من مباشرة ذلك
على ما جرت به العادة من ان صاحب الوزارة باشر مثل ذلك مع كل المتوظفين وقصد
لذلك

لذلك مجلسا مخصوصا برأسه ولي عهد الولاية الامير ابو الحسن علي باي واعضاؤه المفتي
الحنفي الشيخ احمد بن الخواجه والقاضي المالكي الشيخ محمد الطاهر النيفر والوزير
محمد خزنه دار كاهية ووكلت الحكومة في طلب حقوقها الشيخ عمر بن الشيخ احد كبار
المدرسين بالجامع الاعظم وارسل الى الباشا يدعوا ابنه لسماع الدعوى كما ارسل
الوزير خير الدين مكتوبا الى الوزير السابق يعلمه فيه بعقد المجلس للتأمل في مادة
المطالب المتوجهة عليه وعلى ابنه وحوزته عن ان يتمنع من الحضور ولما الح عليه بالحضور
ارسل الى قنصل فرانسا يطلب حمايته وتوجيه احد اعوانه ليحميه عند ذهابه للمجلس
فتعجب القنصل من الطلب واجابه بانه لا يتداخل في احكام البلاد سيما ولم يجر عليه ظلم
يقتضي مثل ذلك ثم ارسل وكيلا عنه من احد رعايا الاجانب فلما دخل الى المجلس سأله
الرئيس هل هو داخل تحت احكام البلاد ام لا فاجابه لا وتمادى على قوله
وعدمه على تلك الصفة فظهر لهم انه يجب ان يكون الوكيل داخلا تحت احكام البلاد
ليؤاخذ باعماله واقواله فيما يتعلق بوكالته وبما يورد لديه ولما علم الوزير خزنه دار
بذلك ارسل ابنه الثاني محمد المنجي الذي هو بريء من جميع الاعمال السابقة وجعله
وكيلا عن والده واخيه وعلم ما هي مطالب الحكومة بهما وحيث علم ان الحجة قائمة عليهما
ركن الى طلب الصلح فصالحته الحكومة وقال بعض الناس ان الصلح كان لا ينبغي
وقوعه لان المطالب مال بيت المال فاما ان يتحقق مقداره ويؤخذ بتمامه وعلى فرض
لدده يجبر بالحبس ولا مقابلة اما ان اذا كان يصدر الحكم عليه من ذلك المجلس واما ان
تثبت براءته ولا يؤخذ منه شيء واجاب الوزير خير الدين بان اختياره حصل منه القيل
والقال سيما وشيعته يشيعون ان اصل المطالب غير صحيحة وقصد التداخل لاجانب في امره
وحيث طلب الصلح بالصلح خير ووقع هذا الصلح بخمسة وعشرين مليونا درهما وملخص
صورة الصلح هو ما يأتي بيانه

فرنك	
٢٥٠٠٠٠٠٠	أصل المبلغ لدى صح عليه يطرح منه ما اسقطته
٠٥٠٠٠٠٠٠	عنه الحكومة
٢٠٠٠٠٠٠٠	

بيان ما دفع

فرنك	
٠٠٦٠٠٠٠٠	ما سبقه للحكومة في مقابلة من أرح دار السكة
٠١٢٢٥٩٢٢	ما هو بقية قرضه هابرهن عبره
٠٠٢٠٠٠٠٠	ما دفعه عينا
١٠٩٦٤٠٧٨	قيمة ما تملك من ربع والعقار والمنقول وسنة ... وقصر الحلاوين وكشف الموضوع من عبره
١٣٠٠٠٠٠٠	

فرنك	
١٣٠٠٠٠٠٠	
٠٧٠٠٠٠٠٠	فرق بين السبعة ملايين مقسطة لأقساط كل قسط نصف مليون في سنة وهي لولده الأكبر باسم خيار الحكومة في الطلب وكتب بشرح منه ... وعليه شاهد من عدول الحاضرة
٠١٥٠٠٠٠٠	طرح ما سقط عنه في مقابلة اسقاطه الانفاق في عمل دار السكة لدى احالة المرحوم بن عياد
٥٥٠٠٠٠٠	

فكان الباقي على المحال المذكور خمسة ملايين ونصفا فرنكا وبدوم الأقساط التي حلت عليه منها لدعوى الإفلاس وذكر لأعيان المقادير التي دفعها لم يكن بيده شيء من العين الا مائتي ألف فرنك وما بقي من الأملاك كالمائدار أخذها بهبات من الولاة كم تنهيه بدرسوها أو اشتراها من الحكومة بأثمان ضعيفة دفع ثمنها كانت الحكومة وهبتها له ... وربما الذي اشتراه من الحكومة بخمسمائة ألف ريال تونسية ودفع في ثمنها أرض سبخة أمام حمام الأنف مع الحمام المذكور لدى كان أخذ

جميعه

جبره هبة من الوالي الحالي ثم بعد أربع سنين عند الصلح المشار اليه عرض ان تكون
تلك قرينة اليه المذكورة أربعة ملايين ونصف فرنك وعما ينافي دعوى الافلاس أيضا
ان كثيرين ممن لهم علاقة بالحكومة يعرفون المالي ويحاسبون ادارة المداخيل علموا ان الوزير
المذكور كان قبل عزله يرسل من يستخلص له فوائض أربعة وعشرين مليونا ونحوها من
خصوص الدين التونسي ثم بعد ابرام الصلح صدر له اذن الوالي بأن يخالط من شاء
ويذهب أين شاء داخل القطر وخارجه والعود اليه متى شاء هو وأبناؤه الا زوجه وزوج
ابنه الأكبر لكونهما من عائلة الوالي ولم تكن عادتهم تسمح بخروج أحد من عائلتهم
خارج القطر ولم يتفق عليه الا الاجتماع بالوالي وكان يظن ذلك بسعي الوزير خير الدين
التونسي بعده لكنه كشف الحال انه من ذات الوالي لاقدامه على الامتناع من مواجهته
حتى بعد انفصال الوزير خير الدين عن الوزارة وبقي الوزير المذكور على حالة انفراده في
قصره بالحاضرة يتردد عليه دليل من اتباعه ولا اجانب الى ان توفي سنة ١٢٩٠ رحمه
الله (المطلب السادس) في وزارة الوزير خير الدين هذا الوزير أصله من بلاد الجراكسة
القاطنين في جبال القوقاز ونشأ بالقسطنطينية ثم نشأ في تونس بقصر الوالي أحمد باشا
واستكمل القراءة والكتابة والتجويد والدروس العلمية وبعده ذهبت همته فأقبل بها على
تحصيل الفنون العسكرية والسياسية والتاريخ ومشاركة في الفنون الشرعية حصلها اعتنائه
أهلها وطالعة الكتب وتعلم اللسان الفرنساوي وكان فصيحا في العربية عارفا بالتركية
والفرنساوية شديد التوقير للشريعة والعلماء محافظا على شعائر الدين عالي الهمة وقورا
حتى يخاله من لم يعاشره متكبرا فاذا نافثه رآه حسن القبول عميقا عن الاشارة مع الطبع
ثابت الفكر لا يتزلزل عن رأيه حازما في العمل ترقى في الخطط العسكرية في مدة أحمد باشا
مع شغفه به لمعرفته وقربه للوزير مصطفى خزنه دار حتى صاهره على ابنته ثم ولاه أحمد باشا
امارة الاوراط الخيالة سنة ١٢٦٦ ولما وقعت حرب القريم أرسله أحمد باشا المذكور الى
باريس لبيع مجوهرات الحكومة ليستعين بأثمانها على مصاريف العسكر المرسل لاعانة
الدولة العثمانية وناضل هناك على التعرض في ارسال العسكر كما تقدم شرحه ولم
يبع الجوهرات الا بعد عرضه لاثمانها على الوالي أحمد باشا مع انه فوض اليه وانكر عليه
التأخير بسبب الاستشارة وكتب له تفويضا تاما كما كلفه في تلك الوجهة بعقد قرض مع
احدى ديار المال فباع الجوهرات وأرسل ثمنها وحاسب عليه وقدره نحو مليونين فرنكا
وأخذ حجة تامة من محمد باشا في الحساب وبراءة ذمته وماطل في العقد للقرض وكيفية

شروطه لما يراه من المضرة على القطر ورجع الوالي مرارا الى ان توفي الوالي المذكور
ووافقه خلفه محمد باشا على عدم القرض وقد رأيت بخط كاتب اسرار ولاة الوزير
احمد ابن ابي الضياف في هذا العرض ما نصه وشكر رأي محمد باشا خير الدين في عدم
الاستقلال وانقاذه البلاد من هاوية الخ ثم عرض للوزير المذكور في اثناء وزارته
المذكورة هروب ابن عياد وتكلف الوالي احمد باشا الوزير المذكور بخصامه وقام في
خصامه سنين مبدأها من سنة ١٢٦٩ ومنتهاها سنة ١٢٧٣ وشرع في عمله بما
تقدم شرحه عند الكلام على ولاية احمد باشا ورأيت بخط الوزير احمد بن ابي الضياف
في ذلك ما نصه ولو تم مراد ابن عياد ووجد من خير الدين ذا صاغية لمواعيده لكانت
المملكة في امره لو قسناه بهذا الكثير مما بيده من الاوامر والرسوم الى ان قال لولا تدارك
الطاف الله على يد خير الدين الخ ثم في سنة ١٢٧٢ قدم الوزير خير الدين من فرانسا
اثر تنصيب الوالي محمد باشا فاكرم مقدمه وعرف له نصحه في النوازل المذكورة ورقاه الى
رتبة الفريق وعند انقضاء الخصومة المذكورة ولاه محمد باشا وهو غائب وزارة البحر
لموت صاحبها محمود كاهية سنة ١٢٧٣ وعند ابرام الحكم على ابن عياد رجع
الوزير خير الدين الى تونس واعتنى بعمارة وزارته مع اعتماد الوالي عليه في الاستشارة
فحسن حالة حلق الوادي التي هي اعظم مرسى في القطر على الاتساع ورتب هيئة خدمة
الوزارة بتقييد المكاتيب الصادرة وضبط جميع الحركات اليومية في دفاتر وكان اول
من عرف ذلك في القطر وكانت الامور تجري بلا ضبط وحصل اتفاقه مع الاهالي ان الذين
استولوا على اكثر اراضي تلك البلاد بلا وجه يتحصل منهم لا يزيد على ثلاثة او خمسة فمن
كانت بيده حجة من الوالي في الاذن بالبناء جعل له فيه كراء الارض حاويه سنويا على
حسب الكراء المؤبد لورثته من بعده ومن كانت بيده حجة في البناء من
خصوص وزير البحر فقط فله ابقاء البناء مدة حياته لخصوص ذاته ومن بعده يرجع
للحكومة وان امتنع فيسع مناداة او تراضي مع الحكومة في شراء الارض او كرائها ومن لم
تكن بيده حجة لزمه التوافق مع الحكومة او هدم بنائه ووقعه على ذلك وفاصل الدول
وحصل من ذلك نفع كثير وتحصل من الكراء المؤبد ما هو وقف الآن على جامع حلق الوادي
وقام به احسن قيام ثم احدث محلا للاعمار بالات تحتاج اليه السفن من الادوات الحديدية
والخشبية وابدل الجسر الذي كان على الخليج بجسر حسن متين واوسع الطرق ونظمها
وبنى محلا للادارة لوزارته حسنا وجعل امامه بطحاء وحسن لبس العساكر البحرية ثم انما
انشأ

أنشأ عهد الأمان كان الوزير المذكور فارس ميادين إنشاء القوانين الميلة للحرية
والعدل وكان المجلى في مضمارها بتدبيره وفصاحته وعدم استغنائه عن الحق حتى ان الوالي
المذكور لما أراد جلب ماء زغوان وجمع رجال حكومته واستشارهم وكان أغلبهم
ذهب إلى عدم الموافقة فالتفت إليهم الوالي بأني أعطيت كلمتي فلا تقبل إلا بالموافقة على جلبه
فتنفس الوزير خير الدين وقال أي فائدة لمجمعنا حيث أعطيت كلمتك وحيث إن سماع هذا
الكلام من سيادتكم كدر راحته كتب أسماءهم الوزير أحمد بن أبي الضياف ولما ولي على
القطر محمد الصادق باشا أرسل الوزير خير الدين المذكور إلى الدولة العلية لطلب فرمان
الولاية على العادة واستقبله بغاية الاحتفا وقضى مأموريته ولما أنجز الوالي المذكور
القوانين كما مر ولى الوزير خير الدين نائبا في مجلسه الخاص الذي يرأسه بنفسه كما ولاه
رياسة المجلس الأكبر أي مجلس النواب وكان في مبدأ الأمر رئيسا ثانيا للوزير مصطفى
صاحب الطابع وهذا هو الرئيس الأول غير أنه أحداث الوظيفة فقصر باعه لتقدمه
في سنه وعجز سنه وعارفا عن الوظيفة بالكلية ومن صفاته رحمه الله كان يصرح للوزير
خير الدين بحيث ويقدمه حتى أن القانون بعد تمام ترتيبه جمع الوالي أعضاء المجالس
حسب الاقتضاء وأمرهم بقراءة القانون وقدم مشافهة العمل به ولم يحضر الرئيس الأول
وقام مقامه الوزير خير الدين وقال في شأن ذلك الوزير أحمد ابن أبي الضياف ما نصه
وأبدى في تقرير معاني القانون وبسطه وتفسيره من حسن البيان وفصاحة اللسان
ما أعجب السامع وشنف المسامع وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اه وعرف له بالفضل
كل من حضر من العلماء وغيرهم ثم توفي الرئيس الأول وصار الوزير خير الدين هو الرئيس
بالاسم والرسم والعمل وقد كان على عزمه أن القانون مراد لتحقيقه شعر بمساعد
الجد وطفق يبرهن على المصالح ويفتح البصائر إلى مغزاها وثبتة الأعضاء لسد أبواب
المفاسد إلى أن نشبت مخالفات الصدر بينه وبين الوزير السابق كافة بدم شرحه
واضطربت أعضاء المجلس ورأى أن المآل إلى حل المجلس صور بالانفاذ لا عراض
على عتقه فاستعفى عن الرياسة وبقي عضوا في كل من المجلسين وقال في ذلك الوزير
أحمد بن أبي الضياف واستعفى المجلس بأنه أي الشاع من يأخذه بمله وعدله وإنصافه
الخ ثم أرسله الوالي سفيرا عنه إلى دولة السويد والبروسيا والنمسا والدانمرك وهلاندا
مكافأة بإرسال بعض شيء إلى ملوكهم عما أرسلوه إليه من النياشين إكراما له على إنشائه
القوانين وكذلك دعلت عاب دول أوروبا وفي أثناء عوده عرض على المجلس الخاص

ان فواضل الاوقاف تصرف للقيام بالعسكر موافقة لأحد العلماء المالكية فعندها
الفتوى بما جرى عليه العمل من غير المشهور من مذهب امام دار الهجرة مالك بن أنس
رضي الله عنه من ان فواضل الاوقاف تصرف في طرق البر ورأوا أن القيام بالعساكر
من طرقها فأفتى العموم الوزير خير الدين محتجا بأن القيام بالعساكر له نصيب معلوم شرعا
من بيت المال فان كان النصيب المعين شرعا صرف جميعه على العسكر ولم يف بذلك
فحينئذ ينطبق النص ويوافق على ما ذكرتم وأما اذا كان دخل بيت المال يصرف
في غير وجوهه الشرعية كما يعلمه الجميع فلا أرى انطباق النص على ما ذكرتم ولعمري
انه لوضوح الحق فيه غفرة لعلم تحقيق المناط وان ذهبوا الى العمل بما رأوه وكان ذلك
من أسباب ايغار صدور الخاصة والعامة كما تقدم ولما رأوا أن يضاعفوا الاداء المسمى
بالاعانة وهي التي كان سببها في الطامة الكبرى كما قال الوزير المذكور للوالي
حسبما رأيته بخط الوزير ابن أبي الضياف الحاضر في المجلس يا سيدي ان أخفيت
ما ظهر لي من نصح سيدي وبلادي أكون خنت الامانة الاستشارية نرى ان هذه الزيادة في
مال الاعانة تؤدي الى زوالها بالمرة أو تلجئ الى مال أكثر منها تصيير الجيوش لغصب
الناس ولا تجد في السنة التي بعدها ما يقارب الاعانة الاولى هذا باعتبار القدرة على
الغصب ولعمري انها مقالة دين ونصح تجد ثوابها يوم تجد كل نفس ما عملت الخ كلامه
وصرح بمثل ذلك في المجلس لاكبر أبصر وقال له بعض أعضائه مرتعشا أو حسب تسليمه
قال اني رأيت السقف يريد أن ينقض ولم استطع استدراكه ولا وجدت دعاء صاغية
فخرجت من تحته وعلى نحو ذلك مشى ثم لما أبطل القانون بقي الوزير خير الدين في
بيته مقبلا على شؤون نفسه لا يختلط بالحكومة الا عموميا في الشهر يتوجه الى
الوالي للسلام عليه أو عندما يدعوه لامرما كما وقع عند قتل الشهيدين اسماعيل السني
ورشيد لان الوالي جمع بعد ذلك جميع رجال حكومته وأعلمهم بالقتل ورأيت في صحيفة
المواطن بخط الوزير ابن أبي الضياف الذي كان حاضرا فيه ما نصه وقال له الوزير
المنصف أبو محمد خير الدين نرجو الله أن يكون هذا آخر البأس وان لا تقع ندامة على
هذا الاستعجال بعد وصولهما الى محلهما الآن تبع الزمان ينافي هذا الاستعجال
فاغتاظ الوالي وكاد أن يستهويه الغضب لولا لطف الله بخير الدين الخ وله في أمثال
ذلك من النصح والاقدام كثير وفي اثناء استعفائه كان التزاور بينه وبين الوزير مصطفى
خزنه دار مستمرا لقرابة المصاهرة ولا يتداخل معه في رأي من تصرفاته كما كان لا عيان من
المتوظفين

المتوظفين والاهالي يزورونه ولا يخوض معهم في شيء من أحوال سياسة البلاد متجنبا
التثقيل وانما قال مشتغلا في الأنس وراحة البال يخوض مع أصحابه مقبلا على مطالعة
الكتب والتآليف فالف كتابه أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك وهو أول كتاب
مبتدع في سياسة التي يقتضيها الحال والشرع وحلي بتقاريظ العلماء وفيه مع أن
الرجل ادرك بعيدا عن شائبة التملق اليه ثم لما اشتدت الاجانب في طلب أموالهم وأنشئ
الكومسيون المالي باتفاق الدول دعاه الوالي الى رياسة ذلك الكومسيون فامتنع ولما
ألح عليه الوزير السابق قال له ما معناه ان الحال قد تبين ان بيني وبينك
فرق في السياسة وانت رجل مثلي ولذلك لا نقدم على ان وافقتك خنت ديني
وأمانتي وان خالفتك صرت الى العداوة معك فالاولى بقائي على ما انا عليه فاجابه بترك
جميع ما مضى وان الحال قد بلغ نهايته وانه لا بد في المستقبل الا الاصلاح وموافقة
الرأي فاعاد الوزير خير الدين مقاله وان الوزير مصطفى خزنه دار لا يوافق السيرة التي
يراها وما كدله مزيد الموافقة في عدة مواضع وحصل اخذت الوزير خير الدين رياسة
الكومسيون ومن هذا الوقت وهو سنة ١٢٨٦ تنسب التصرفات اليه وان درج
الوزير السابق عن وعده وحصل للوزير خير الدين بعد ذلك مشاقات بالحكم ثم
منع الوزير مصطفى خزنه دار براءته الى ان انفصل عن الوزارة الكبرى كما تقدم شرحه
فاول ما ابتدأ به الوزير خير الدين من الاعمال انه رأى تداخل الكومسيون المالي في
مالية الحكومة يتسع نطاقه الى التداخل في السياسة كما يقتضيه صريح فصول تركيب
ذلك الكومسيون ودليله انه بعد انتصابه وجه تحرير الاوالي في امور يقتضيها وظيفته
من مباشرة العمال في استخلاص الاموال ونحو ذلك وتوقف عن امضائها الوزير السابق
لانها تؤول الى خروج التصرف عنه بل وعن الحكومة ايضا فاشتكى أعضاء
الكومسيون من الاجانب الى قناسلهم من اعمال الكومسيون توقفت لان اساسها
توقفت الحكومة في امضائه فكتبت القناصل للوالي بالتسجيل والحث على اجراء ما التزم
به للدول الثلاثة وهي فرانسا وايطاليا وانكلترا فجمع الوالي جميع رجال الحكومة
وعرض عليهم الامر وكان من الحاضرين الوزير احمد ابن ابي الضياف وكتب بخطها
رأيته بخطه فيما وقع في المجلس ما نصه وتكلم الوزير خير الدين بالمجلس بما يكتب على
صفحات الايام الى ان قال انكم دعوتموني الى هذه الخدمة وانا عبد لخدمة سيدنا وبلادنا
على كل حال ونطلب الاعانة من جميعكم فان اعنتموني فلكم الفضل وان اهملتموني لا اجمع

للهروب وانما اقول اخدم برهة من الزمان وأتأخر ليقدم غيرى من أمثالى يخدم مثل مدتى
وهلم جرا فضمن تجميع له لاعانة كل على حصته وانفصل الوطن الخ وأمضى لوثى
مطلب الكومسيون وخاطب العامل بذلك وكان ذلك مما يجر الى ابقاء الحكومة
صورية لان استخلاص الاموال يستدعى تحسين الادارة وهو يستدعى العدل وبتداخل
الكومسيون فى جميع ذلك وتوزع الى الاهالى ولا يبقى للحكومة الا الترؤس لذلك أشار
الوزير خير الدين على الوالى بحد يقتضى معه حقوق الكومسيون وتحفظ به حقوق
الحكومة وناموسها وهو تعيين رئيس الكومسيون بوظيفة وزير للوالى فى رتبة الوزير
الاكبر بحيث يشاركه عند حضوره وينفرد عند غيابه وتنقل خدمة الكومسيون
الى محل الوزارة ويكون مصدر جميع الاعمال واحدا فاستحسن الجميع ذلك رأى
ووظف الوالى الوزير خير الدين و[illegible] هذا الوزير المباشر ورتب أشغال
الوزارة على الصورة الآتية وهى الوزارة الكبرى وتنحصر بها جميع شعب الادارة
الا الوزارتين الآتيتين بمعنى أن الوزير الاكبر ثم الوزير المباشر هما اللذان
يباشران جميع المصالح اما بواسطتهما او بمن دونهم فى دائرة الوزارة الى اربعة أقسام
(فالقسم الاول) تحت رياسة مستشار ويرجع اليه جميع الامور السياسية العامة
والاحوال المالية الخاصة بدخل الحكومة وخرجها ودون ما يتعلق بالكومسيون المالى
(والقسم الثانى) تحت رياسة مستشار ويرجع اليه ما يتعلق بشكايات الرعية من
المتوظفين وبالعكس (والقسم الثالث) تحت رياسة مستشار ويرجع اليه ما يتعلق
بالحقوق الشخصية ثم اتحد هذا القسم بالقسم الثانى (والقسم الرابع) تحت رياسة
مستشار ويرجع اليه ما يتعلق بالخارجية كما جعل كلا من وزارتى البحر والحرب مستقلا
بنفسه كل منهما له وزير خاص غير انه تحت نظارة الوزارة الكبرى فهذا ما يتعلق
بكيفية الادارة وأما ما يتعلق بما حصل من الادارة فان ديون الحكومة حصرت فكانت
مائة مليون وخمسة وستين مليونا فرنكا كما تقدم تقريبه آنفا وكان الفائض الذى يدفع
سنويا نحو العشرين مليونا فرنكا فاسقط من الاصل نحو مليون فرنكا ثم طرحت العشرون
مليونا التى هى الفائضة التى لم تدفع وجعلت دينا بلا فائض يستهلك من دخل المضروب
حديثا على المصانع الداخلة للقطر وبقى القدر الذى يؤدى الفائض نحو مائة مليونا
وخمسة وعشرين مليونا فقط فجعل له فائضا خمسة فى المائة وصار مقدار الفائض
السنوى نحو ستة ملايين فرنكا وخمسمائة الف فرنك الذى هو نحو الثلث مما كان جاريا

ونقص

وخصص له أنواع مخصوصة من مداخيل الحكومة لان نوب أصحاب الديون وهم قسم النظر من الكومسيون المالي من ضوابط الحكومة تعهد لهم بدفع الفائض بل أرادوا ان تكون ادارة المال الراجع اليهم تحت أيديهم فعمل لذلك مجلس سمي مجلس الادارة أعضاؤه أجانب منتخبون من قسم النظر من الكومسيون وعددهم خمسة وعضو تونسي تحت قسم العمل وفوض اليهم قبض المداخيل الراجعة الى الفائض تحت احتساب قسم العمل ثم قسمت مداخيل الحكومة الى قسمين (القسم الاول) يتولى قبضه ذلك المجلس والانواع التي سلمت الى ذلك هي ما يأتي بيانه مع بيان تقريب دخله حسب الميزانية المسلمة من الوزارة السابقة

فرنكات	
٠٣٥٠٠٠٠	لزمة فندق الغلة أي الاداء على الخضراوات والفواكه المباعة في الحاضرة
٠٤١٢٠٠٠	محصولات سوسة والمنستير أي الاداء المرتب على نحو ماذكر وعلى بيع الحيوانات وغيره
٠٠٩٧٠٠٠	الرحبة أي الاداء على بيع حبوب القمح والشعير وشبهه
٠٥٠٠٠٠٠	القمرق أي الاداء على السلع الداخلة والخارجة للحاضرة من الممالك
٠١٠٠٠٠٠	خروبة الاكرية بالحاضرة أي ما يؤدى على كل ريال المنقسم الى ستة عشر خروبة خروبة واحدة أي جزء من ستة عشر على كل مكان يكرى
٠٠٤٠٠٠٠	قمرق صفاقس
٠٠٠٨٠٠٠	قمرق وادي قابس
٠٠٢٥٠٠٠	قمرق سوسة والمنستير والمهدية
٠٢٣٠٠٠٠	قمرق الدخان أي انحصار بيع ورق الدخان به والمنشوق في الحكومة
٠٠٥٠٠٠٠	قمرق الخمر أي ما يؤدى على المسكرات
١٨١٢٠٠٠	

فرنكات	
١٨١٢٠٠٠	نقلت
٠٠٤٥٠٠٠	فندق البياص أى ما يؤدى على بيع الفحم
٠٠٦٠٠٠٠	الجبس أى انحصار بيع الجبس فى الحكومة
٠٠١٠٠٠٠	صيد الحوت أى الأداء على صيد السمك وانحصار أماكن البحر فى صيد الحكومة
٠١١٠٠٠٠	الملح أى انحصار بيعه أيضا فيها
٠٠٥٥٠٠٠	الأداء على النشف والقريط أى الاسفنج ونوع من السمك المسمى بالقريط
٠٨٥٠٦٠٠	قانون الزيتون فى سوسة والمنستير والمهدية وصفاقس أى الخرج على شجرة الزيتون عوضا عن العشر
٣٠٣٢٠٠٠	
٠١٥٠٠٠٠	قانون زيتون الوطن القبلى
٠١٠٠٠٠٠	محصولات صفاقس مثل ما يناسبها
٠٠٩٠٠٠٠	محصولات جربة وقرقنة
٠٠٨٠٠٠٠	محصولات توزر
٠٠٢٠٠٠٠	محصولات حلق الوادى
٠٠٠٨٠٠٠	لزمة صيد المرجان أى القدر الذى يؤدى على ذلك من الفرانسيس
٠٠٨٥٠٠٠	محصولات الوطن القبلى
٠٣٠٠٠٠٠	التمبر أى الأوراق المختوم عليها من الحكومة لتكتب فيها الاتفاقات حيث لا تسجل حجة فى غير ورقة مختومة
٢٦٤٠٠٠٠	السراحات أى الأداء على ما يخرج من القطر من الحبوب والزيت والتمر والصوف والصابون
٢٥٠٥٠٠٠	

وقد أقيم الحساب على مقتضى هذه الميزانية فوقف فى أغلب السنين للغلط الذى وقع فى

في تقدير فصل المرتبات وهو الاخير لان ذلك غير صحيح كما ابانه الواقع وسبب ذلك عدم
امكان ضبطه في الوزارة السابقة بقرب نقود بابا القياس على سنة كانت خصيبة مع الطلب
في الثمن الى أوروبا ولذلك لزم الحكومة ان تكمل من دخلها الخاص ما ينقص من ذلك
الدخل عن الوفاء بالاقساط حسبما هو مشروط في اللائحة التي جعلها الكومسيون المالي
أساساً لاعماله فان منها ان قسط الدين الذي هو ستة ملايين ونصف فرنكا كما تقدم ان
وفت بها المداخيل المعطاة لمجلس الادارة فيها ونعمت والا فالحكومة ملزومة بان تكمل
من باقي مداخيلها ما يوفي بذلك المقدار غير انها في السنة الاولى لا تكون ملزومة الا
بكمال خمسة ملايين وما نقص يذهب مجانا على أرباب الديون وفي السنة الثانية تكون
ملزومة باكمال خمسة ملايين ونصف وفي السنة الثالثة تكون ملزومة باكمال ستة ملايين
وفي السنة الرابعة تكون ملزومة باكمال ستة ملايين ونصف وهكذا فيما بعد للاسباب
التي تقدم شرحها في ضعف المقدر ومن الشروط أيضا ان الحكومة لها ان تستقرض
من خزانة مجلس الادارة مليونا متى أرادت لسبب قوي على ان ترجعه قبل مضي ستة
أشهر ولا تؤدي عليه فائدة ومنها أيضا اذا زاد دخل القسم المذكور من المداخل على
المقدار اللازم فانه يبقى منه نصف مليون للاحتياط وما زاد على ذلك يشترى به رقاع من
الدين وتستهلك وهكذا في كل عام الا اذا زاد الدخل على ثمانية ملايين فرنكا فان
ما زاد يقسم أيضا فالنصف يلحق بما تقدم في استهلاك رأس مال الدين والنصف الآخر
تصرفه الحكومة على نظر قسم العمل من الكومسيون في المصالح العامة كالطرقات
وغيرها (وأما القسم الثاني) من مداخيل الحكومة وهو ما بقي من أنواع المداخيل
كأعشار الحبوب والزيت وخراج النخيل ومدبغة الجلد والاداء على الرقاب المسمى بالجباية
أو الاعانة الذي هو نحو خمسة ملايين ونصف فرنكا فانه يتولى قبضه قسم العمل من
الكومسيون وهو الذي يتولى دفعه الى الحكومة على مطابقة الميزان الذي يجعل في
رأس السنة لمصاريف الحكومة في مصالحها ومرتبات العائلة الاميرية ولسائر الموظفين
وتكون بطاقات لاذن حافظ الخزنة بالدفع صادرة من الوالي غير انه لا يعتبرها بامضائه
ما لم يعضد عليها امضاء أعضاء قسم العمل من الكومسيون اعلاما بان البطاقة موافقة
لاصول الميزان المالي ولا يكتب من تلك البطاقات في وقت من الاوقات الا بمقدار ما في
الخزنة من المال بحيث لا تقع المماطلة لصاحب البطاقة من القابض الذي هو حافظ
الخزنة حتى ربما يضطر صاحبها الى سقاط شيء من ثمنها المدفوع اليه أو انه يبيعها لغيره

مما يوجب احداث دين جديد على الحكومة هذا هو الرسم الذى جرى عليه العمل فى
الظاهر وروعى ما وقع مما يحتاج الى وجه تصعب مراقبته فيه واما ما يتعلق باحوال الديون وما
جرى عليه العمل فيها وقد رفعت فوائضها فى السنين الاولى على نحو ما تقدم من مداخيلها
المعينة لها ثم فى بعض السنين كملتها الحكومة من مداخيلها وفى بعضها زاد الدخل
المعين لها حتى اشترى منه شئ من أصل الدين وفى بعضها رهنت الحكومة دار الجلد اى
مدبغته لاكمال الفائض بحيث ان جميع مدة تصرف الوزير خير الدين لم يبق على
الحكومة شئ من فائض الدين واتفق دفعه فى اوقاته ثم حصل هذا الوزير معاهدة
مع سائر الدول الاجنبية على ان يزاد فى اداء القمرق على السلع الداخلة من
ممالكهم الى القطر لمقدار المزيد خمسة فى المائة وعين هذا المقدار الى استهلاك الدين
الذى يبقى بلا فائض واصله فائض الديون السابقة الذى لم يدفع وقدره نحو عشرين
مليونا على نحو ما تقدم ثم بعد خلاص ذلك الدين يرجع ذلك المقدار مع بقية دخل القمرق
الى فائض الدين المتحد واستهلاكه وصار اداء القمرق على السلع بالمزيد والمزيد عليه
ثمانية فى المائة واما ما يتعلق بغير الادارة المالية والحكمية فى القطر فاحدث امورا
عديدة نافعة فمنها ابطال أنواع الاداءات التى اختلفت كيفيتها وكميتها فى السنين المتقدم
ذكرها وجعل على كل ذكر بالغ قادر على التكسب اربعين ريالا تونسيا فى السنة مدرجة
فى أربع سنين (فى الاولى) يدفع المطلوب خمسة وعشرين ريالا (وفى الثانية) يدفع
ثلاثين ريالا (وفى الثالثة) خمسة وثلاثين ريالا (وفى الرابعة) اربعين ريالا ويجرى بها
العمل من غير زيادة وشدد فى الاخذ على ايدى العمال بحيث لا تمتد يد احد منهم لشئ
زائد عما ذكر وعين لهم اجرهم ستة فى المائة يأخذونها من ذات الاموال المستخلصة على
أيديهم الراجعة للحكومة منها اربعة للعامل وريالان للشيخ ثم ابطل هذا الاجر وعوض
بواحد على كل عشرة تستخلص من الدافع زيادة على العشرة بحيث صار على كل نفر
أربعة واربعون ريالا فى السنة وذلك الواحد الزائد يجمع عند العامل ويأخذ هو النصف
والنصف الآخر يقسم بين مشايخ العمل ونواب العامل المسمين بالخليفات (ومنها) جعل
قانون معلوم لرسل الحكم فى استخلاص الاموال سواء كانت راجعة للحكومة أو للاهالى
أو للاجانب بحيث يأخذ المرسل نصف ريال على كل عشرة يستخلصها من المأخوذ اذا
كان رسولا من الحكومة اى من أعوان الوالى اما اذا كان من أعوان العامل وغيره من
الحكام غير أهل الشرع فانه يأخذ ربع ريال على كل عشرة وقد كانت قبل ذلك على

حسب

حسب المشيئة (ومنها) ترتيب استخلاص أعشار الحبوب التي اضطرب سابقا أيضا العشر
ـه شركل ماشية أي ما يحرثه الرجل الواحد في السنة الواحدة على الحيوانات المناسبة
بحسب كل جهة وقدرها عشر ما يطاق على أنه اسم للماشية هنالك في جهة ويبات قمحا
ومثلها شعيرا الذي هو أقل ما يمكن ان يكون عشر الخارج من النبات في أغلب السنين
وما زاد على ذلك من العشر الحقيقي فهو في عهدة ديانة صاحب الزرع يدفعه ان أراد
واذا أثبت صاحب الزرع ما اجتاح زرعه فانه يسقط عنه مقدار ما ضاع له ويؤدي أجرة
الكيل والتقييد والمقدر بأربعة ريالات على كل ماشية هذا كله في الجهات التي تدفع
العشر من ذات الحبوب النابتة وأما الجهات التي تدفع عوض ذلك دراهم لبعدها عن
محل الدفع فان الدافع يدفع خمسين ريالا على كل ماشية في كل سنة وريالين أجرة
الاستخلاص وهذا المقدار روعي فيه حالة صاحب الفلاحة لان ثمن الخمسة ويبات من
القمح وحده تبلغ الخمسين ريالا بحساب ثمن كل ويبة عشرة ريالات الذي هو السوم في
أغلب السنين وروعي فيه أيضا جهة الحكومة لما يلزمها من كثرة مصاريف الحمل لعدم
الطرق الصناعية ثم ان ذلك المقدار حط أيضا تدريجا على أربعة سنين يبتدئ بثلاثة
ويبات ونصف من كل نوع على حدته ويزيد في كل سنة نصف ويبة الى ان يصل في
العام الرابع الى خمسة ويبات من كل نوع ومثله ما يقابله من المال وقد نتج من ذلك
عمران الايالة بدليل انه عند ولاية المذكور وزيرا مباشرا لم يكن في الايالة عشرة آلاف
ماشية ارضها مزروعة وعند خروجه من خطة الوزارة ترك في المملكة أكثر من مائة ألف
ماشية مزروعة (ومنها) التخفيف على خراج الزيتون المسمى بالقانون في الوطن القبلي
الذي كان أجحف بأهله في المدة الماضية حتى سلمت أصحاب الاملاك فيما يملكون ولم
يقبل منهم وأغروا البوادي بإحراقه لاستراحتهم من مطالبه فنزل من رتبة ريال والنصف
ريال على كل شجرة الى ثمانية نواصر على كل شجرة والناصري هو جزء من تجزئة
الريال الى اثنين وخمسين ناصري ثم اسقط عن أصحاب الزيتون احدى وثلاثين ألف
شجرة زيتونا احترقت واسقط عنها اداءها وبه يعلم مقدار ما كانوا يتحملون ومقدار
نقصان العمران فيما سبق ونشر ذلك في العدد الثاني من الرائد سنة ١٢٨٦ الذي هو
الصحيفة الرسمية للحكومة ثم اسقط هذا الاداء بالمرة ورجع الامر الى الوجه الشرعي وهو
العشر على ما يحصل من الزيت وفرح بذلك أصحاب الاملاك وأقاربهم فرحا شديدا
لارتياحهم من أعباء ذلك الثقل العظيم (ومنها) تخفيف قانون نخيل بلد توزر ومن جمل

الجريد حيث كان ملحقا بسائر عمل الجريد مع أنه غير مساو لما فيه من شجرة النخيل نفعا وحسنا فلذلك جعل على كل شجرة من نوع الدقلة ريالا ونصفا وعلى بقية أنواع النخيل ستة قوارب على كل شجرة وكل خروبة جزء من ستة عشر جزءا من الريال كما تقدم (ومنها) ترتيب مجلس محاسبة العمال والمتوظفين عما تعاطوه بحسب وظيفتهم ولم يوصلوه الى الحكومة وبقيت قباياهم وبذمتهم مطلوبين للحكومة بيقايا ما عليهم ثم تحرر من ذلك مبالغ جسيمة قبضت الحكومة بعضها وبعضها لم يقبض اما لاعدام من قبضه أو لموته واسقط ذلك من المطالب الباقية على أصحابها من أهل الجريد ودربه وجندوبه والساحل وأولاد عيار وأولاد عون ومن ذلك محاسبة أحمد زروق واتباعه وابراهيم بن عياس واعوانه وعلى السامي وعبد الرحمن بن عمر والحاج المدني وملخص الحسابات ما يأتي بيانه

ريالات	
٨٠٠٠٠٠٠٠	من الساحل حسبما أداه أحد أعضاء مجلس المحاسبة
١١٥٨٠٨٠٣	من بقية الاعمال المذكورة حسبما نشرت الحسابات
٩١٥٨٠٨٠٣	

٥٨٨	منها أبصاغنم	١٣ ر	منها أجرة
٠٦٤	منها بقر	١٣ ر ٠٧	منها الصرة نحيها
٠٢٠	منها خيل	١٢ ر ١١	منها ومرة شعيرا
٠٠٣	منها أرطال فضة	٠٤ ر	منها بغال
٣٤٠	منها ابل	٢٦ ر	منها عربات تبن

(ومنها) تنقيح المتوظفين بالاوغر الصدور الامن تحققت مقصاته فدحص واما غيرهم فلم يؤثر من كان من حزبه على غيره ولو على ضد داده فلم يدفعهم الاحسان ونقص بذلك اعتبار حزبه حتى رآه الوالي معقود الاعوان واتخذها ذريعة امرله من الوزارة وصدقت وصايات الحكماء الاقدمين لحاثين على جلب الاصدقاء والاعوان وعدم الركون الى الاعداء لان تقريبهم لا ينفع والاصدقاء يضمحلون بذلك وما دعوى التقرب بالجور فذلك أمر لا يتم الا للملوك الذين رسخت قدمهم في الملك بالتوارث وصار انقياد الانفس اليهم طبيعيا مالوفا فهم أشد الاصناف احتياجا الى معونة الاصدقاء (ومنها) الترغيب في غرس الزيتون والنخيل بان جعل لكل من غرس منها شيأ ان لا يؤدى عليه شيأ من الاداآت

الاداآت المرتبة على ذلك النوع مدة خمسة عشر سنة (ومنها) رفع الضرر عن أهل
الساحل من وطأة أصحاب ديونهم فانهم كانوا يسجنون المدين مع قيام الرهن بيد الدائن
ويبيعون غلة الاجناس المشتركة مع المدينين وغيرهم ويستولون على الجميع ويطلبون
الضامن قبل افلاس المدين مع عدم اشتراط ذلك ويستولون على مخلفات من مات من
المدينين ويبيعونها على غير يد الحكام واذا أفلس المدين لا يتركون له ما يستر بدنه
ولا ما يقتات به ويتركون المدين في السجن بلا تحديد مدة فأبطل جميع ذلك وأجرى
فيه أحكام البلاد الشرعية والعرفية (ومنها) ارجاع من هاجر من القطر من الاهالي
بالامن لهم والعفو عمن سلفت منه جناية واسقاط ما عليهم من المطالب الى الحكومة
وكذلك العساكر الذين فروا من القطر شملهم عفو ذلك (ومنها) ارجاع من نكب من
أتباع الحكومة وتأمينهم وتقليدهم عمل ما كانوا عليه من الوظائف اذا لم يكن من موجب
معقول لابعادهم أو نفيهم أو نكبتهم فرجع للقعود والوصيفة لسيد الشريف أمير اللواء
حسين مقرون وأخوه والوزير رستم والوزير حسين وأمير الامراء محمد المرابط وأمير اللوا
يونس الجريري وأمير اللوا مراد وأمير الالاي حسين ورديان باشا وأمير الالاي حسين
مدلجي والقائم مقام علي جهان وغيرهم (ومنها) حصر الديون التي على أهل الساحل من
الاجانب وبناؤها على أساس لائق بمحاسن بحيث انقطع تفاقم الربا وتضاعفت ربوت
السلم وجعل خلاصهم مدة معينة على اقساط (ومنها) أمير لواء العسة اذ ذاك علي ابن
فريجة نقم عليه الوالي وأراد أن يأخذ أملاكه أهم مصوغه ومكسبه بأوجه من الدعاوى
بلا بينة ولا أثر كما وقع مع الشهيد ابن اسماعيل السني ورشيد فامتنع الوزير خير الدين
وأقام له مجالس محاسبته ومكنه من مصوغه وما ثبت عليه بعد الحساب دفعه باختياره
(ومنها) بذل وسعه في استخلاص فرمان سنة ١٢٨٨ السابق ذكره على ما مر شرحه
ومن فرح الوالي به وأراد اكرامه على ما تم على يده ان وجه له وهو مقيم بالمحمدية
مصطفى ابن اسماعيل أقرب المقربين اليه ومستشار الخارجية محمد البكوش لاكرام
خاطره وابلاغ الشكر اليه وأراد ان يلبسه نيشان البيت الحسيني فتعرض له الوزير
مصطفى خزنه دار وأبدل له نيشان الصنف الاكبر بنيشان منه مرصع ثم كافأه على ذلك
بمرتب عمري قدره خمسة وسبعون ألف ريال تونسية في السنة ثم عاوض له هذا المرتب
بهنشير أي أرض وسيعة تعرف بالنفيضة (ومنها) اسقاط جميع البقايا الباقية على الاهالي
من مداخيل الحكومة على اختلاف أنواعها مما سبق تاريخ سنة ١٢٨٦ الذي هو

عهد امارة الشريعة الوطنية وانبعثت بذلك آمال الاهالي الى تعمير الارض حيث كانوا يرون ان
ثمرة أعمالهم ستذهب بها عدم الوفاء بتلك الجبايات الباهظة التي دفعوا أضعافها
(ومنها) تركيب المجلس للحكم في نازلة الوزير مصطفى خزنه دار عند عزله كما تقدم
شرحه وتعيينه المصادرة في مثل ذلك من كون الوزارة هي التي تباشر مثل تلك النوازل
لينفي الشكوك والتهم ومنذ ذلك التاريخ انفرد الوزير خير الدين بالوزارة اسماً ومعنى وارتقى
الى الوزير الاكبر وابطل لقب الوزير المباشر وقلده بنيشان بيته الحسيني
مع رفعه الى رئاسة الكومسيون المالي وذلك في غرة رمضان سنة ١٢٩٠
فزينت البلاد وقد الاهالي مصابيح ليلة مع التنوير وهكذا سائر بلدان المملكة وقبائل
عربانها عما أذكرهم احتفالهم بعزمانه سنة ١٢٨٨ حسبما سبقت الاشارة اليه
لثقتهم بالاستراحة من تصرفات السابق وأمامهم ما رد بالاصلاحات المتولي لما عرفوا من
اياديه مما مر ذكره وفي هاته الاثناء تم اسقاط خراج ارتفون المسمى بالقانون في الوطن
القبلي الذي مر ذكره وجعل عوضه لخزينة المدين تعميم الخروبة على جميع الاملاك سواء
أكانت بيوت او مسكن او الملاك اباب يقوم كراءها ويدفع بحسبه خروبة على الريال أي جزءا
من ستة عشر جزء وعم ذلك البلدان والقرى والبساتين لان نواب أصحاب الدين لم يرتضوا
باسقاط القانون لا بعوض عنه في المدخل ومن تصرفاته بعد ذلك انشاء جمعية الاوقاف
بان حصر نظر الاوقاف مطلقا في جميع انحاء المملكة وجعل لها جماعة من أعيان الاهالي مركبة من
رئيس ونائبه وعضوين وكان المظنون ان دائرتها الوطنية التي صاروا ينظرون في
مصالح الاوقاف سواء كانت أهلية أو على أعمال البر لكن الاهلية نظرهم فيها بارشاد
أهلها لاقامتها وحراستها من الاتلاف واتوا على اعمال البر يتولون تدبيرها وحفظها اذ
كانت تلاعبت بها أيدي الاهمال حتى كادت كثير منها تضمحل فمن وقف له شيء من
الدخل قليل او كثير الا ويعطي لاحد ذوي التقرب أو الاستقرار بيده التصرف وتعطلت
منافع الاوقاف وأهمل الموقوف عليه الى ان خرب اكثره وقد عينت ثقة تقدير ما يكفي
لاصلاح الموقوف عليه وحده فكان تقدير ما يكفي ٣١٦٦٧٧٥ ريالات مع
تعطيل مرتبات الشعائر وتراكم ديون القوانين الراجعة للحكومة من الموظفات على
الاوقاف حتى صار عليها من الدين ما يقرب من نصف مليون فتدارك أمره بذلك الترتيب
وأحيت الجوامع والمساجد والمدارس في كل جهات القطر وهكذا الاوقاف على قراءة
القرآن وغيره من أنواع البر ولكن دخل الاوقاف عدا أوقاف الحرمين الشريفين

وهذا

وعدا أوقاف جامع الزيتونة لان ذلك مستثنى من العموم لكل ادارة مخصوصة وهكذا
أوقاف المدرسة الصادقية الآتي بيانها فما عدا ما ذكر وعدد الاوقاف الاهلية
والزوايا التي لها دربة كان دخله في السنة الاولى من مباشرتي وهي سنة ١٢٩١
١٢٠٤٠٠٠ وصار دخله في السنة الخامسة وهي آخر السنين التي باشرت الادارة فيها
بقيامها وهي سنة ١٢٩٥ ما قدره ٢،١٥٤٠٧٣ وأصلحت في مدة الخمسة سنين
٣٢٣٠ مكانا وكان المصروف في سنة ١٢٩٥ على خصوص اقامة الشعائر
٥٦٧٠٨٣ وما دفع للحكومة في قوانينها على ما يخص الاوقاف ١٩،٩٣٤ وكان
المصروف في الاصلاحات ١٦٨٠٧٣ مجموع ذلك ٩٣٠١٢٣ ثم كان
المصروف من الداخل المذكور على عموم المصالح غير الموقوف عليه ٥٥٦٤٠٩
الجميع ريالات تونسية كما اثمر جميع ذلك الزائد تونسي الذي هو ضيعة الرعية
للحكومة ومن تصرفاته التي تحت باحوشها اجراء مرتب اهل المجلس الشرعي بالحاضرة
وقد كان هذا المرتب عين لهم في مبادي ولاية محمد الصادق باشا على ان يكون من فواضل
الاوقاف وجعلت اذ ذاك الاوقاف لنظر مختص فلم تقم بدفعها ولا وفت بتلك المرتبات الا
في بعض الاشهر واستدامت اذ ذاك معارضات كثيرة وصرفت في ذلك المصرف
وضاعت الموقوفات ومع ذلك لم يحصل المقصود حتى انبعث وكالة بعض الاوقاف باهل
المجلس الشرعي معرفة انهم اكفى بمتنهم واذا معا يقابل المرتب فجرى فيها مثل
ما كان ولم يحصل لهم المقصود حتى ذكر بعضهم انه كان بناله في جميع السنة خمسمائة
ريال واجرى لهم الوزير خير الدين من فواضل الاوقاف خمسمائة ريال في كل شهر على
مجرد الخطة الشرعية ولكل من شيخ الاسلام ورئيس الفتوى من المالكية
ثمانية آلاف في السنة عدا ما لكل منهم من مرتبات وظائف أخرى وجرايات من
القمح عشرة أقفزة ومثلها شعيرا واثني عشر مطرا زيتا ويزيد لكل من الرئيسين
المذكورين على ما ذكر قفيزين من كل نوع وثلاثة امطار زيتا واطرد جريان ذلك ولم
يتأخروا عن أصحابه ولا شهرا واحدا مدة مباشرتي (ومنها) أيضا الزيادة في مرتب
المدرسين بجامع الزيتونة لدى مرد كر ترتيبهم من احمد باشا فزاد لكل مدرس من
الطبقة الاولى ثلاثة ريالات يومية ولاهل الطبقة الثانية ريالا واحدا وكان اجراء ذلك
أولا من مال الحكومة ثم اجريته لهم من فواضل الاوقاف (ومنها) جعل مرتب
للحكام الشرعيين في جميع بلدان القطر على خصوص وظيفة الحكم الشرعي ولم يكن لهم

ذلك من قبل بل كانوا مقتصرين على مرتبات من دروس وإمامة وخطابة فأجريت لكل
قاض ببلاد فيها مفاتي مائة وخمسين ريالا في الشهر ولكل مفتي مائة وعشرين ولكل
رئيس فتوى مائة وخمسين ولكل قاض في بلاد لا مفتي بها وهي البلدان الصغيرة تسعين
ريالا في الشهر (ومنها) جعل وكيل للخصام عن الناس العاجزين عن الخصام
أنفسهم والعاجزين عن أجرة الوكيل (ومنها) إحداث طريق صناعي بين تونس
وحمام الأنف طوله نحو اثني عشر ميلا وقد كان ذلك الطريق الذي هو أهم طرق جهات
القطر يتعطل المرور فيه زمن الشتاء لكثرة الوحل وتموت فيه حيوانات كثيرة للمارة ولا
يكاد يصل صاحب العجلة فيه مع قوة مراكبه الى نحو العجلة الا في نحو نصف يوم هذا
إن سلمت عجلته حتى إن الأمراء والوزراء يربطون في عجلاتهم أربعة من الخيل أو البغال أو
أكثر إن يسوغ له ذلك ولا يصل الى حمام الأنف الا في أربع ساعات أو أزيد أما الضعفاء
فلا يستطيعون المرور فيه وترى المارة يرودون الطرق البعيدة بأضعاف طول ذلك
الطريق الذي هو ضروري لجميع من كان في الجهة الجنوبية الشرقية من القطر كأهل
الساحل وصفاقس والأعراض والجريد وغيرهم فزال جميع التعطيل بإحداث ذلك
الطريق وإن عده بعضهم من التحسينات التي تأخر عن غيرها فهذا لجهله بأسباب
العمران وعدم تفرقته بين الضروري والتحسيني (ومنها) التحجير على معاوضة
الأوقاف بمال من النقود بل لا بد بعد المسوغ الشرعي من أن يعوض مكان الوقف
بمكان آخر يدا بيد حيث كان ضاع على الأوقاف بسبب مخالفة تلك الطريقة أموال
طائلة إذ حررت الأموال التي وجدت شهادة بيدها بدفاتر القضاة والمفتين بأنها ثمن أوقاف
عوضت ولم يشتر بثمنها شيء وكان مجموع المال ٢٤٠٠٦٧٣ هذا عدا ما عوض
ولم يرسم في الدفاتر وإنما كتب في رسوم أصحابه ولم يبق للوقف حجة فيه وهو أيضا كثير
ثم ذلك المبلغ أكثره ضاع بالمرة إما لجهل من أمن تحت يده حيث يقال في الرسم وأمن
تحت يد من يوثق به أو لأنه أمن تحت يد أناس قدماء وأولادهم حتى أنه مع غاية الاجتهاد
إنما أمكن أن يستخلص من المطلوب وتبع المذكورة نحو مائتي ألف ريال فقط
واشترى بها أملاك أوقفت على مرجعها وزالت أسباب الضياع بسبب ذلك التحجير
(ومنها) التحجير على العدول الذين يكتبون رسوم بيوع الأملاك بأنهم متى وجدوا
في رسم معاوضة أو انزالا أي كراء مؤبدا الا وأخبروا به جمعية الأوقاف لكي تحرر سداد
العوض فنتج من ذلك ظهور أموال للأوقاف تبلغ قيمتها مئات الألوف كما ظهر بالبحث
أيضا

أيضاً أملاك أخرى أصلها وقف واستولت عليها أيدي العدوان ورجعت إلى أوقافها بالمرافعة والأحكام الشرعية وكان من جملتها نيف وسبعون هنشيراً أي قطعة من الأرض المتسعة ما بين كبير وصغير زيادة على الزياتين وغيرها من الأملاك التي تتجاوز قيمتها الملايين (ومنها) إبراء من كانت عليه رسوم في أموال من المعاوضات المذكورة مثبتة في دفاتر القضاة مع أن أصحابها دفعوها أو أن تداولها أملاكاً رجعت إلى أوقافها ولم يكتب على المرسوم في الدفاتر ذلك حتى لو ضاعت حجة الخلاص على المدين لبقيت رسوم الدين عليه قائمة والحال أنه خالص وكان الذي تحرر من ذلك الصنف ما يبلغ الستين ألف ريال أو تزيد فأبرزت أحصاؤها وعلم على رسوم الدين بالخلاص (ومنها) الإعانة على الصباح الذي مر ذكره به كانت له علاقة بالوزير السابق وقد نال الحماية من دولة الطليان مع أنه تونسي ولم يجر عليه طائفة كلام الوزير المذكور مع دولة الطليان بوجه سياسي إلى أن صدر وكتب منهما رسمي بأن الصباح المذكور لا تشمله حماية الطليان في خصوص القطر التونسي بل تجرى عليه أحكام بلاده وإنما يكون طليانياً إذا كان في غير ذلك القطر (ومنها) إنشاء مجلس مختلط من متوطني أجناس تبعيات الدول الأجنبية الذين لهم كثرة رعايا في القطر ورئيسه أحد المتوطنين التونسيين للحكم في نوازل الديون والمعاملات المالية الواقعة بين أهل القطر والأجانب فيما إذا كان لا يتجاوز المال الألف ريال ولم يتقاعس عن الدخول فيه إلا دولة إيطاليا لخلاف وقع في المقدار الذي يجوز التحاكم فيه لدى ذلك المجلس لأن دولتهم إنما تسوغ الحكم في رعاياها على خلاف قانونهم في مقدار لا يبلغ إلا ألف ريال فقط ودامت المذاكرات في ذلك إلى أن انفصل الوزير المذكور عن الوزارة وحصل من هذا المجلس قطع تشعبات عظيمة وفرج كثير في الخصام لأن الديون القليلة والمعاملات الصغيرة كثيرة الوجود واختلاف الحكم في الواحد من الصنف المعظم فزال ذلك بوجود ذلك المجلس (ومنها) شروعه في المذاكرة مع الدول العظام على اتحاد الأحكام في القطر ولما كان يعلم أن دول أوروبا لا ينقادون إلى إدخال رعاياهم تحت أحكام الشريعة الإسلامية في تونس إذا بقيت حالة القضاة على ما هي عليه الآن حيث إنه يوجد لكل من المذهب الحنفي والمذهب المالكي قاض مضيق الحكم في النوازل مع ما يوجد بين المذهبين من الخلاف في كثير من الفروع بل وفي المذهب الواحد تختلف الأقوال ويكون للقاضي الاجتهاد في الترجيح والتطبيق باعتبار الأصلح والعرف فيحكم هذا القاضي في حادثة بما يخالف حكم قاض آخر في

مثلا ولا الاوروباويون يريدون ان تكون الاحكام المعمول عليها معروفة لهم من قبل
مضبوطة لا يتوهمون معه ميل الحكام الى غير ما توجبه الحجة ولذلك احضر الوزير خير
الدين القوانين المعمول بها في الدولة العلية المنظمة للاحكام وكذلك القوانين المعمول
بها في مصر وكلف احد الوزراء العارفين بالاحكام الاوروباوية بان يستخرج من
احكامهم ما يوافق حالة القطر وعرفه وبعد ذلك عقد الوزير المذكور مجلسا مؤلفا من
شيخ الاسلام من العلماء الحنفية وهو الشيخ احمد بن الخوجه ومن عالمين من المجلس
الشرعي المالكية وهما الشيخ محمد النيفر المفتي والشيخ عمر ابن الشيخ قاضي باردو ومن
احد الوجوه العقلاء العارفين باصطلاحات البلاد وعاداتها وهو الوجيه حسونة الحداد
ليستخرج هذا المجلس من مجموع ما تقدم قانونا مرتبا مطابقا للاحكام الشرعية
والعرفية التي عليها اهل القطر من غير تخصيص بحد المذهب ولكن عاق عن الاستفادة
من ثمرة هذا العمل خروج الوزير المذكور من الوزارة وبقيت المجالس من ذاك الحين على
شكل قصر واحد ضروري (ومنها) انشاء المدرسة الصادقية لتعليم مبادئ الفنون
الشرعية كالقراءة والكتابة والقرآن والعقائد واصول الفقه الحنفي والمالكي والنحو
والصرف والادب والتاريخ والخط والمعاني وتهذيب الاخلاق والحديث وتعليم
اللغات التركية والفرنساوية والطليانية وتعليم الفنون الرياضية كالحساب والهندسة
والهيئة والجبر والجغرافيا والمثلث ورتب لها معلمين بكل فن وجعل بها نحو مائة وخمسين
تلميذا من جميع ابناء القطر المسلمين منهم خمسون تلميذا من ابناء الماجرين من المسلمين
وهؤلاء يسكنون بالمدرسة ويقوم بهم زيادة على التعليم بالاكل واللبس والسكنى مجانا
واما المائة الباقية فالمدرسة تقوم لكلهم بادارة مرقومة وبالتعليم مجانا ويلزم ان تكون
جميع التلامذة في لباسهم على شكل واحد واوقف عليها من املاك الحكومة
اوقافا مالية يزيد دخلها السنوي على الستين الف ريال ونتج من ابناء
البلاد ما شهد لهم به الوافدون من اهل اوروبا الحاضرون لامتحانهم ومثل هاته المدرسة
ضروري للممالك الاسلامية سيما في العلوم الرياضية التي اصبحت من الاهم وخاصة
التلامذة من ابناء المسلمين من خصوص الاهالي لا ابناء الاجانب لا يمكن اجراء الترتيب
في حقهم مطلقا لا اذا وافق اولياؤهم والموظفون كلهم بحرمانه في كل وقت سيما
مع اختلاف الاحكام التي مر ذكرها واما من خصوصيات المملكة الاسلامية فكذلك
استكمالهم للمعارف ان يتقدموا في جميع لوازم الاحتياج اليها في القطر على غيرهم

وهذا

وهذا انما يليق بأبناء أقطارنا الاجنبية وانما يتقدم من يستخدم بخصوصيات أخرى
وأما تخصيص المسلمين فلأن غيرهم بالنسبة إليهم قليل جدا كما مر ذلك في فصل صفة
القصر ثم أولئك العاملون لا يرغبون في اتباع جميع تراتيب المدرسة التي منها تعلم
العلوم الشرعية التي هي المقصد الأهم لكي يحصل التبصر من علماء الديانة بالعلوم
الرياضية ويحققون ما بين ما ظهر بحسب بادي الرأي انه مخالف للشرع من بعض العلوم
الرياضية ثم ان الوزير المذكور عزم على احداث مدرسة على ترتيب آخر صالح لدخول
غير المسلمين وغيرهم (ومنها) تحبيس كتب رجعت للحكومة من صلح الوزير السابق
تبلغ نحو ألفي مجلد فالمقصود بهذا تحبيس الكتب من أجل ذلك بالخزانة التي عمرها
صدر جامع الزيتونة (ومنها) ما أشار بأمره من احداث المكتبة الصادقية حول
جامع الزيتونة وجعل لها ترتيبا لم يسبق في البلاد على نحو التراتيب الجارية في
أمثاله والممالك المتمدنة بحيث لا يخرج الكتاب من المحل ويتمتع المريد بما شاء
من الكتب وأنواع الاستمتاع مع تحسين هيئة المكان واحضار فرشه والمحابر
والأقلام وساعة للإعلام بالوقت والرسم بأن كل الأوامر الرسمية العامة لعمل حفظ منها
تلك المكتبة معلقة بها لكل من أراد مراجعة ذلك ونظام وضع الكتب وترتيبها
على نسق يسهل الاستمتاع بها ومنه وقفها وأوقف عليها جميع كتبه العربية وكانت تبلغ
نحو ألفي مجلد كما جمع بها سائر الكتب التي كانت مفرقة في الجوامع والمدارس
ولا شتهار أيدي التلف حتى ضاع أكثرها فان خزانة الكتب الحنفية بالمدرسة الحسينية
وجد بها سائر مكتبة ولم يوجد بها ولا ورقة مع أنها كانت تشتمل على مئات من المجلدات
وهكذا أبواب الخزائن مع عدم الصيانة الآن كانت بيده وهم أعوان قلما يعثر عليهم
وجدان الكتاب الذي يريدونه لعدم ترتيب وضعه وضبطها بدفتر ونحوه فضاعت وعم
النفع بها لكل مريد من المسلمين حتى قال بعض من كانت بيدهم تلك الخزائن أقسم
أني الآن أستمتع بما كان تحت يدي من الكتب أحسن مما كان عندي (ومنها) انشاء
مجلس مكلف بنظافة البلاد كأنه شعبة من أخماس البلدي لكنه يزيد عليه بحصول
أعضائه من الأجانب لتيسير اداء الاجانب ما يلزم لنفقته فيحصل به شيء من النظافة
الضرورية (ومنها) انشاء ترتيب العلوم وتدريسها بالجامع الأعظم جامع الزيتونة حتى
لا تهجر علومه ولا يراد على مدرسيه الحاجة من غيرها ونصبها للدروس وتجري على الوجه
المطلوب للوصول وجعل امتحانا للتلامذة في كل سنة حتى لا يتقدم للوظائف العلمية

الا من قدمته نجابته وتحصيله (ومنها) انشاء ترتيب في ادارة المجالس الشرعية
لقطع وجوه تطويل الخصومات ودفع تعارض الاحكام وتسهيل المراجعة بينهم
وتحديد اجراآت ساعاتهم وتعيين محل للحكام الشرعية خارج الحاضرة حيث كان كل
حاكم في مكانه بحيث صارت المحاكم الشرعية معلومة مضبوطة أوقات الانتصاب فيها
الى الحكم وان كانت لذلك سابقية في خصوص الحاضرة من مدة محمد باشا
لكن اجراؤها الجاري فقد انتظامها على حسب الوقت (ومنها) انشاء ترتيب
لاعمال العدول المنتصبين للشهادة وضبط عددهم بالموجودين وحصر المحتاج اليه
في كل جهة بعدد مخصوص وعدم تولية غير الموجودين الى ان يصل العدد الى القدر
المحصور فيه واذا نقص منه احد لا يزاد الا بانتخاب أهل الشرع مع ضبط كيفية
أدائهم للشهادة وتحملها او كتبها بما يدفع به حصول الزور ويبعد به التهم (ومنها)
احياء ارسال محصول أوقاف الحرمين الشريفين للمستحقين من اهاليهما بعد ان مضت
على بطالة ذلك سنوات وأكلت اموال تلك الاوقاف على غير وجهها منذ ولاية
الوزير خير الدين اطرد ارسالها (ومنها) انشاء سجن عمومي للنساء وآخر
للرجال على صفة المعهود في البلاد المتمدنة من النظافة وتخلل الهواء والمبيت
والفرش الضرورية للنوم ومحل للطهارة ومسجد للصلاة وجعله مقسوما على عدة اقسام
بحسب الجنايات التي يسجنون فيها وبحسب حال المسجونين من السن والمرض بحيث
صار سجنا لا كما كان معتقلا وان حصر دخوله من يحكم عليه بالسجن أما الموقوفون
فقد صاروا يوقفون في السجن القديم فكانوا أشد عقوبة ممن ثبتت عليهم الجنايات
ولذلك كان الوزير خير الدين المذكور عازما على احداث محل لائق (ومنها)
حصر اجراء اعوان الحكومة وأشباههم المرسلين في الاتيان بالجناة في مقادير معلومة
معلنا بها للعموم على حسب الجنايات وبعد مكان الجلوس بحيث صار ذلك القدر
معينا بالحكم بعد ان كان غير مضبوط كما كان من قبل موكولا لارادة المرسل الذي كثيرا ما أضر
بالجناة بل بالذي تثبت براءته أكثر مما ناله من الحكم (ومنها) جعل خزنة تجمع
جماير اولئك الاعوان الموجهين من الحكومة ويخرج منها في رأس كل شهر أجر
معين للاعوان المسمين بالنوبة الذين كانوا يأخذون مقاديرهم من يد الشكاية
ويقع بسبب ذلك محاباة في تقديم بعض المشتكين على بعض ثم يقسم الباقي على
الاعوان الاخر الذين في نوبة الخدمة على حسب رتبهم وحصل بذلك تعادل فيما

يحصل

يحصل للاعوان وتحسين في هيئتهم وشاراتهم لانه قبل ذلك كان المقرب عند رئيسه
يحصل على مال كثير وغيره يبقى على الاعدام مع اتحاد الوظيفة (ومنها) ان من
يطلب من المشتكى بهم وتثبت براءته لا يؤدى اجر جالبه سواء كان في مال او جناية
فان كان للمشتكى شبهة راجحة في شكايته لا يؤدى هو ايضا الاجر ويحسب المتوجه
في الشارلة كان لم يتوجه فيما ورد توجيهه في نازلة اخرى لان اجره في الواقع يخرج من
عموم ما في خزنة الاعوان والا لما ظهر تعمد المشتكى للباطل فهو احق بالحمل عليه
(ومنها) حصر اجر ما كتب من التحصيلات في خصومات الاهالى على ايدى العمال
في مقدار معين وهو ريالات ١ ٢ ٣ بحيث لم يبق الامر على مشيئتهم لدى كثيرا ما كان
سببا لاستمداد ايديهم لاموال الاهالى (ومنها) الامر بعدم التشديد في تزبيق الكتاف على
من يطلبه اعوان الحكومة من الجناة اذ كان وسيلة لهم في التوصل الى المال (ومنها)
ابدال السكة الفضة التي كانت ناقصة في الوزن ومن كانت في يده يبدل له في الحال
بسكة الذهب الكاملة يدا بيد على خلاف ما سبق كما مر ذلك في واقعة الفلوس النحاس
(ومنها) ضبط العرف الجارى به العمل في الفلاحة التي هي اهم اشغال اهل القطر
ومورد ثروته وضبط ما يتعلق بشركة الخماس في قانون معروف يرجع اليه عند الحاجة
وقد كان من قبل لا يعرف له مرجع الا ما تقرره افراد اصحاب الفلاحة وكثيرا ما يقع
بينهم الاختلاف في الاخبار عن العادة والعرف حتى يحتار الحاكم فيما يحكم به (ومنها)
ترتيب مجلس الصحة العمومى على النحو الجارى به العمل في الممالك المتمدنة وجعل له
قانونا خاصا يرجع اليه وادخل في عضويته اعيانا من متوطني الحكومة مع اهل
الدول لدينهم اتصال بذلك المجلس (ومنها) الشروع في ترتيب الكتبة لاعمال العمال في
مواصلاتهم مع الحكومة وضبط مكاتيبهم واحكامهم في دفاتر لتكون حجة فيما يراد
الرجوع اليه وليعلم الداخل للوظيفة ماهي اعمال السابق عليه هذا واما ما يرجع الى
تحسين مالية الحكومة والاهالى فقد شدد النكير على العمال وسائر المتوظفين وحصر
اوجه الدخل والخرج وبناه على ميزان سنوى على نظر قسم النظر من الكومسيون
المالى وضبط كيفية القبض من الرعايا بان كل من يدفع ما عليه من المال المعين الذى
اعتمد في معرفة مقداره الاهالى جميعا يأخذ بيده وثيقة من نوع خاص من البطاقات على
شكل خاص مختومة من شيخ قبيلته او وطنه مقطوعة من دفتر خاص بذلك بحيث يبقى
نصف الرقعة في الدفتر مرسوما به اقل ما بيد صاحب المال لينقطع به الاستخلاص ولا تعدد

الايدى الى الاموال ومن خالف ذلك عوقب على حسب جنايته ثم خفف كثيرا من الاداء على السلع الخارجة من القطر لدى هو لامر معقول لتكثير الثروة فى اقطار مناق تمالكه واستمعوا ضعاف اموال عبره وذلك يحصل ترجيحها وتسهيل نقلها واخراجها فصدر لذلك مكتوب الوالى للقبائل مشتمل على ما ياتى بيانه (الاداء على البضائع)

ما كان سابقا	ما استقر عليه الحال	
ريالات	ريالات	
٢٠	١٠	قنطار شمع
٤٠	٢٠	الصوف المغسول عدا ما يؤدى للقمرق ودار الجلد وهو ٤
١٢	٦٠	قنطار الجلد الغريق
٣٠	١٠	قنطار الصوف بوشوف أى المركبة من المغسولة وغيرها
٢٠	١٠	قنطار الصوف غير المغسول عدا ما للقمرق ودار الجلد وهو ٢
٢٥	١٠	قنطار التمر لدبه
٦٠	٣٠	قنطار التمر الحرة
٦٠	١٢	تمر فاس
٠٢	٠٢	البعير
٢٠	١٠	جلد المعز
١٥	٠٨	بطانة الغنم أى جلدها
٣٠	١٠	القطن الغير المصنوع
٣٠	١٠	النيلة
٠٥	٠٥	الصمغة كاصله نوع من الابزار
٠٤	٠٤	القنطس مثله
٢٥	١٠	العسل
٦٠	٣٠	الشاق أى الصمغ المعسول
٤٠	١٠	العوه نوع من الصبغ
٧٢	٠٣	الحنه
٢٥	١٠	القرنبه نوع من السمك

ما كان سابقا	ما استقر عليه الحال	
ريالات	ريالات	
١٠	٠٥	رطل العلق أي دود الماء المستعمل لامتصاص الدم من الانسان في الامراض
١٥	٠٥	قنطار بيض السمك ولحم التن
١٠	١٥	قنطار الدشاش أي الاسم غير المعمول كاصله
٠٥	٠٧	قنطار النحاس أسقط عنه الاداء بالمرة قنطار الصابون
١١	٠٨	صابون [illegible] مع ان اداء الطبع داخل في [illegible]
٠٠	١٦	الزيت وقد كان من قبل يؤدى باعتبار عشره وربما

وعلى النسبة المذكورة وقع التخفيف على مصنوعات الصوف والقطن في تربة التي هي أعظم صنائعها على ما نختصره على ما يأتي

على ما يباع من الغزل	٦	في المائة
على ما يخرج من تربة الى مرسى المملكة	٣	في المائة
اداء المعامل على كل شدادة من المصنوعات	٣	ريالات
على ما يباع من المصنوعات	٦	في المائة
على كل شدادة للازام	١٢	ريال ونصف

(ومنها) النشاط الكثير في جهات الجهود واصلاح المصرف (ومنها) اتفاق دفع المرتبات لأصحاب الوظائف من الوالي وآل بيته بحيث يقبضون مرتباتهم من أول الشهر الاماما لولي فلم يتقاض مرتبه ولا شهرا واحدا عن ميعاده وقد حصل في بعض السنين زيادة في الدخل عن المقدار المعين للمصروف فاشترى به مقدارا من دين الحكومة لذاتها لأنه صار يرجع الى مجلس ادارة النائب عن أصحاب الديون واستفادت منه الحكومة في وقت قلة الدخل لكن لم تتم الفائدة حيث ان بعض المعرضين سعى في اسقاط اعتبار مالية الحكومة على ما سيأتي بيانه ولزم رفع ثمن سهام الدين اقراض الحكومة بعض التجار لظهور الرغبة في شراء الرقع عما ضمن به الصدر ورهنت رقع المشتراة للحكومة لذلك القرض ولم ينجح ذلك في ارتفاع الثمن بل زاد في الانحطاط الى ان خسرت الرقاع بالمرة وبيعت بما رهنت فيه وافلس التاجر الذي أقرض المال وعا

حصل من أعمال هذا الوزير مدة ولايته حصول مراكز من العربان في الطرق المهمة
واعفاء أصحاب المراكز من الاداء الموظف على بقية السكان واجراء شيء من الحبوب اليهم
على ان يعمروا تلك الجهات ويكونوا معاونين بما يحصل في أماكنهم من الجنايات على
المارة حيث انهم هم الحرس وبذلك وبانفاذ الاحكام من غير محاباة امنت السبل
واستقر الامن حتى صارت القوافل والمرادى في الامن وعدم الخوف سواء (ومنها)
الاحسان الى المحسن من الاهالي بامنه في ماله وعرضه ونفسه ومن كان مع وقت عدم انتمائه
الوزير وسوء العقاب بلا ضعف على من يخالف الراحة ولا يتبع أوامر الحكومة حتى انه
لما ظهرت فرقة من قبيلة الحماية عصيان وتعرض للامن بنهابهم اميرهم من قبائل
واخافة السبل وجه لهم عسكر تحت رياسة وزير الحربية ونهب دورهم وعاقبهم عند
ما ظهر من حربه وارجعهم الى الطاعة وأمن تلك الجهات وعند ما رجع للحضرة وعادوا
باستقراره عادوا الى ما كانوا عليه من بعد الحكومة عن ارسال عسكر اثرا سابق ولم
يكن من الوزير حينئذ الا ان وجه عليهم فرقة من العساكر وفرسان المتمين بالجوانب
واصطحبه مع أوامر يعرون عليهم من قبائل العربان بأن يتوجهوا معهم وبرسالتهم في
أدرب وقت لردع البغاة ولم يكن الا بضعة أيام حتى عاقبوا البغاة وحصدوا شوكتهم
على استقر معه الامن منهم الى الآن وعمل هذه الشدة في ابانها والرفق واللين في ابانه
خضعت القبائل وبادروا الى دفع أموال الحكومة في ابانها وسداد أوامر الحكومة بينهم
وانقادوا لها عن طيب نفس لاجرائها العدل فيهم على انه لم يبق لهم خوف من امتداد
الايدى الى مكاسبهم فاقبلوا على العمران وكثرت ثروتهم حتى ان في العام الثاني والثالث
من ولاية هذا الوزير كثر شراء الاعراب للحلي من اصناف شتى من عددهم مما تكاثر
ذلك تكاثرا فاحشا الى ان صار المصوغ لا يوزن بمنافعهم وصارت دار السكة كل يوم
تصنع علامة السلامة واصحاب المصوغ المذكور يبلغ وزنه الى عشرات أو مئات
القناطير الى ان كثرت الامارة في الصحف العربية والاوروبية (ومنها) جعل صندوق
مقفول له منفذ لوضع المكاتيب فيه لمن أراد رفع شكاية للوزير أو انهاء مصلحة بان يشرح
مقصوده ويبين دليله ولا يلزمه التصريح باسمه ليسهل رفع المظالم وعدم الخوف وجعل
مفتاح المحل لديه يمكن وصول كل ما يلقى اليه عنده والوزير يفتح هو بنفسه جميع
المكاتيب ويوقع عليها بما يراه من الملاحظات فيها ويوجهها لاحد أقسام الوزارة الراجعة
اليها النازلة بحيث يكون النوازل على ذكر منه حتى لا يقع التحريف في خصوصها

أو

أو اهمالها كما ربما يمكن أن يحدث في بعض النوازل وإن نسب إليه بعض المتوظفين في
ذلك عدم الثقة ببعضهم وحب الاستبداد بكل الأشغال وهو يقول انه انما حمل التعب
على نفسه ولم ينقص من مراتب المتوظفين شيئا لا عدم القدرة على فتح المكاتيب لا بإذنه
(ومنها) تحسين حالة مطبعة الدولة التي هي ضرورية في هذا الزمان لطبع الكتابات
الرسمية وغيرها مما يجري من الوقائع والكتب وتيسير نشر الكتب في الفنون ليسهل
تناولها بالثمن اليسير ويتوصل للانتفاع بها الواحد وغيره الذي هو من أعظم
الأسباب لترقي الأمة في المعارف والعلوم وهكذا تحسين إدارة الرائد التونسي الذي هو
الصحيفة الرسمية للحكومة وصار صدوره وقتا مثل سائر الصحف بعد أن كان لا يخرج منه
الأعداد يسيرة ربما لا تبلغ النصف أو أقل مما يلزم خروجه سنويا والحال أنه أسبوعي
ثم الزيادة فيه بأفكار الوزير في المسائل السياسية مما كان ينشر فيه من المقالات المرشدة
الذي هو ضروري للحكومة في ايقاظ أهالي المملكة وإرشادهم لما تراه بالإضافة إلى غير
ذلك من فوائد الصحف على ما سيأتي في الخاتمة إن شاء الله تعالى زيادة على نشر الأوامر
الرسمية التي تستوي في معرفتها القريب والبعيد ودليل ما ذكرناه اختلاف صحف الرائد بعد
خروج الوزير من الوزارة عما كان من قبل خلوها من المقالات السياسية كمقالة المدار على الرجال
وغيرها مما هو كثير والزم المتوظفين بقراءته وأخذه ليقبح بالمتوظف أن لا علم بأحوال
حكومته فضلا عن غيرها بل ذلك شرط في التوظف في الممالك المتمدنة (ومنها) جعل
خزائن المكاتيب الحكومية وجمع المتفرق منها على ترتيب يسهل به معرفتها والتوصل
إليها في أقرب وقت وذلك من أهم الأمور (ومنها) تعميم أمر تعظيم المولد النبوي على
صاحبه أفضل الصلاة وأزكى التسليم بعمل له موكب في جميع البلدان بالقطر مع
اطلاق المدافع عند الوقوف لسماع الأبيات (وهي قوله)

قابل المدح المصطفى الخط بالذهب * على ورق من خط أحسن من كتب
وأن تنهض الأشراف عند سماعه * قياما صفوفا أو جثيا على الركب
أما الله تعظيما له كتب اسمه * على عرشه يا رتبة سمت الرتب
فقد أوجب الراجي لنيل سعادة * قيام محب صادق الحب والأدب
وفي لذكر اسم الحب احضار ذاته * بقلب له في الحب وجد له لهب
ورب جليل عظم الناس ذكره * فكيف وهذا سيد العجم والعرب
عليه صلاة الله ثم سلامه * يكونان للرضوان من أعظم السبب

وعمل جميع ما يعمل مثله في الحاضرة على نفقة الحكومة (ومنها) تحرير المكاييل والاوزان وتحريرها كما يجلس أي الحص (ومنها) انشاء معمل الفاز بمدخنة تكايرية في الحاضرة (ومنها) انشاء بطحاء القصبة وتحديدها وانشاء قصر الوالي على الوجه المطل على البطحاء المذكورة من قصر المملكة لدى بناء جودة باشا واكمال بناء السوق المحيط بالبطحاء المذكورة وتعميره بتجار من الاهالي وترغيبهم بالشراء منهم والجلوس بحوانيتهم وقدوم الوالي اليهم في بعض الليالي المواسم وتحسين الحصن المطل على البطحاء المذكورة (ومنها) فتح باب للجامع العتيق الكائن بالقصبة على الطريق العام حتى عمر بالمصلين وتمتع به المسلمون وقد كان من قبل لا تكاد تصح فيه جماعة لان له بابا واحدا داخل القصبة وقد خليت من السكان منذ زمان (ومنها) تدارك السور الخارج المحيط بالحاضرة بالاصلاح واصلاحه من الاوقاف واصلحت الحصون المحيطة بالحاضرة وكذلك أغلب حصون البلدان التي بها حصون كصفاقس والقيروان وسوسة وغير ذلك (ومنها) انشاء بطحاء عظيمة خارج باب البحر ومتقاربة الطريق الموصل منها للبحيرة وهكذا انشاء عدة طرق في البلاد واصلاح غيرها (ومنها) العناية باحياء صناعة النقش حديدة أي النقش على الجص المطلى على الحيوط والقبب التي هي اغرب صناعات تونس والمغرب في البناء وقد انعدم صناعها من البلدان فجاء عارف بها من المغرب فجعل له الوزير خير الدين اجرا وصاحبه بعدة اناس من الاهالي واحسن اليهم الى ان تعلموا الصناعة المرتبة بعد انقراضها والحاصل انه اجرى مصالح عديدة ومن أعظمها مع مادة الرشاد بجميع الوالي الذي هو أساس العدل حتى عمت المكاسب وانكفت أيدي الموظفين الا ما كان على وجه الاختلاس مما لا يمكن التحرز منه ولم يرجع أمره اليه أو يقف عليه بواسطة من الوسائط اليه بحيث يقال في مدة ولايته في العمران حكومته استبدادية عادلة ناحية منحى الشورى لان أغلب ما مر ذكره من الخصال كان يستعد له بمجالس من اعيان الاهالي أو اعيان الموظفين أو العلماء والاغلب ان تكون تحت رياسته ولا تتم امور الا بعد التوافق والتعهد برغبته وأحبته الاهالي واعترفوا بفضله بما وقد أتاهم بعد شيء نذكرها حتى انه لما اتم امتحان تلامذة المدرسة الصادقية في السنة الاولى ورأى ابناءهم مالم يعهدوه في التعليم طهروا امنونيتهم وشكرهم بان اتحدوا صحبين كريمين وجعلوا لهما اسمين فاخرين وكتبوا على الاول منهما بالياقوت الابيض على احدى الدفتين المحفوظ بالسور والآخر على الثانية محمد الصادق باي وعلى الثاني منهما بالياقوت الابيض

الابيض ايضا على احدى الدفتين الناصح الامين وعلى الثانية الوزير خير الدين وذلك
اللقب هو الذى جرى التعرف فى اطلاقه عليه عند اغلب الاهالى ودفع ثمن ذلك ابناء
التلامذة من اموالهم كل على قدره وثمة فيهم من دفع ريالا واحدا وهو ما فى وسعه وقد يتكدر
ان لم يؤخذ منه ومنهم من دفع عدة آلاف واهدوا المصحف للوالى وللوزير مع خطبة
مفصحة عن الباعث على ذلك وهو نتائج المعارف لابنائهم ثم بعد سنتين اجتمع اعيان من
التجار البلدية وغيرهم من اعيان العربان وبعض اصحاب الاملاك المثرين وصنعوا فى لندره
مكتبة اى مائدة للكتابة من خشب رفيع مذهبة وملونة وادوات لها من ذهب وعليها
صور اشارة الى العدل وكتب عليها اسم الوزير خير الدين واهدوه فى رأس العام الى
الوزير المذكور مع خطبة مفصحة عن الباعث وهو ما حصل من ثمرة اعماله فى عموم القطر
حتى ازدادت الثروة وعمرت الاملاك وراجت التجارة وهكذا كانت عاقبة سياسته فى
الخارج على سلم وهناء ولم يحدث مع احدى الدول ادنى صعوبة ولا ظهر من احد القناصل
تشدد فى نازلة ما من متعددات دواعيهم ورغباتهم مع ان بعضهم كان يتغير من ذاته لعصبية
او منفعة له من الوزير السابق ومع ذلك لم يجد شيئا يستند اليه فى انشاء صعوبة او تكدير
هناء ولا يعترض على ما حدث منه ولا يشك فى الداخل او الخارج لما فى بيانه وهو اعطاء
مدة الشركة فرانساوية فى احداث طريق حديدية من حاضرة تونس الى الجهة الغربية
وتقدم هذا العمل بان سياسة فرانسا فى تونس معروفة وذلك الطريق يؤول الى تسهيل
استيلائها على البلاد وهنا القول على فرقتين فبعضهم يرى السهولة من اجل نقل
العساكر من الجزائر الى تونس فى اقرب وقت ومنهم من يراها بالتسهيل المعنوى وهو
زيادة النفوذ والاختصاص بالمتجر بل يقول بعض الانكليز ان مرامى تونس تصير
خالية وتصير عنابة اى بونة هى مرسى تونس وهى فرانساوية وذلك لان السلع التى توسق
من تونس لا تدخل الى فرنسا الا باداء يدفع عليها فى مرامى فرانسا بخلاف ما يوسق من
مرسى عنابة فانه اذ دخل الى مرامى فرانسا لا يؤدى شيئا ويكون سببا فى لتزام التجار
توجيه البضائع الى عنابة وتبقى مرامى تونس خالية وزاد للمعترضين قوة فى ان المقصد
بذلك الطريق امر سياسى ان الاتفاق فيه تم فى اقرب وقت حتى انشاؤه واتموه من غير
استشارة بقية الوزراء هذه مدار الاعتراضات ونحن نقص قصص ما وقع فى النازلة واحوال
متعلقاتها ونكل الحكم فيها الى المطالع وهو انه فى سنة ١٢٩١ قدمت شركة
انكليزية وطلبت منحة لاعمال طريق حديدية بين تونس ودخلة جندوبة فى الجهة

العربية من لفظ العنيبة بافريقية التي هي أهم الجهات في الفلاحة على ما تقدم بيانه في الفصل الاول من الباب الثاني من المقصد على ان تمر الطريق حذو بلد باجة وتصل الى معدن دجبة المركب من الرصاص والفضة وتختص بتشغيله على ان يكون للحكومة قسط من دخله بعد طرح المصاريف فقسطها يكون من الربح وحيث كانت منافع طرق الحديد في الممالك من أعظم أسباب عمرانها على ما سنورده ان شاء الله في الخاتمة وكانت تونس من أحوج الاقطار اليها لعدم وجود الانهر التي تمكن بها المواصلة بل ولا مجرد الطرق الصناعية وكانت نتائج الزرع في الاماكن الخصبة يتعذر نقلها بل يستحيل زمن الشتاء والوحل وكان نقلها في زمن سهولة الطريق يكلف مصاريف باهظة ربما لا توفي بخلاص ثمن الحبوب عند بيعها حتى كان الشعير لا ينقل من تلك الاماكن لمراعي الماشية ولا للبلدان اسواقه لعدم وفاء ثمنه باجرة حمله فضلا عن الربح فان كلا منهم يتركه في مكانه الى ان يضيع على أصحابه ولا يزال مثل ذلك الى الآن في جبال الماطر وغيرها بل وكان جلب الحبوب من الاماكن الاجنبية في أغلب السنين أرخص من جلبها من داخل القطر ورأيت في رسالة كابرول القنصل الفرانساوي بحلق الوادي من تونس التي ألفها في التعريف باحوال القطر ما معناه ان هاته البلاد التي كانت تسمى بمطمر حبوب أوروبا في الزمن السالف هي الآن يجلب اليها القمح من خارج ويباع بارخص مما يجلب من داخلها حتى كان ذلك سببا في تعطيل أكثر أراضيها ومزارعها (الخ) ولقد صدق في ذلك وكان تأليفه لتلك الرسالة في حدود سنة ١٢٨٠ التي مر تفصيل أحوالها ولما ذكر كان احداث الطرق الحديدية ضروريا للقطر وبقي الكلام فيمن يصنعه والامر منحصر في ثلاثة أوجه الاول ان تصنعه الحكومة وقد علمنا مما مر ان أغلب ماليتها راجع للاجانب بسبب ديونهم وما بقي من دخلها انما يوفي بضرورياتها التي لا مندوحة عنها فلا سبيل لها لاعمال الطريق المذكورة لما يلزمها من كثرة النفقات (والوجه الثاني) ان يتولى عملها الاهالي وهذا أيضا أمر متعذر أو صعب جدا لان سابقة الفقر فيهم قد أخمدت منهم حذقها وما تراجع لهم من بعد لم يكن موفيا بالمقصود وعلى تسليم اقتدارهم فانهم لا يأمنون الى ذلك (أما أولا) فلعدم معرفتهم بفوائد الشركات لان مثل ذلك لا توفي به قدرة الواحد وقد علمنا ان فتح أبصارهم لذلك العلوم الرياضية والاقتصادية والمدنية انما كان بعد ذلك التاريخ وعلى فرض حصول مبدأ التعليم من قبل فلا بد له من زمان ليرسخ ويعمل به (وأما ثانيا) فانهم لا يأمنون على اظهار أموالهم وما بأيديهم من قديم

رأوا

رأوا نقض عهد الامانة الملتزم به بعهود الله وشهادة الدولة العلية وسائر الدول الاجنبية
وحرص دولة فرانسا في نمائه ورأوا باعينهم كيف جرى قتل النفوس وتعذيب الابدان
واستئصال الاموال فما هي قدرة الوزير وحده في حفظ حقوقهم وأمنهم وهل ذلك
الا موقت بوقت تصرفه على انه من الصادر له في قضاء الوزير على ما هو عليه وهل هو
الا شئ قابل للتغير لافتكار وبهذا يعلم أيضا عدم امكان حمل الاهالي عصاة على منفعتهم في
ذلك الطريق من الوزير خير الدين ولانه كان لهم فيه نفع لكنه يظنونه باتلاف أموالهم
لما أثمرنا اليه بل ولو عاملهم مما يتوقع من استيلاء الحكومة على مداخيل الطريق
والتداخل في ادارته لا يدوم شغله كما حصل بالامر في معمل الملف الذي كان انشاه احمد
باشا وزيد ذلك ما حصل من الخلل في أشباه اشباهها وهو مما مر ذكره وسيأتي كيفية
خلله وتعيين حينئذ (الوجه الثالث) في أعمال الطريق الحديدية وهو أعمالها يدلها
اقتدار على المال وتأمين عليه وليس ذلك الا للاجانب ولما قدمت الشركة الانكليزية
المار ذكرها وطلبت تلك المنحة عقد الوزير بعده مجالس من بقية الوزراء والمستشارين
وكان بعضها تحت رياسة الوالي نفسه وتم وصوافي نصائحها مما مر ذكره نصه واستقر
الرأي على عقد الاتفاق مع تلك الشركة في احداث الطريق المذكور نفعا وقد سبقت
شركة انكليزية لاحداث طريق بين الحاضرة وحلق الوادي وتم الاتفاق على شروطه
التي منها ان للشركة ان تدفع وتامن الخط الاصلي يمينا وشمالا كل فرع بطوله خمسون
الف متر واي فرجة وأربعين ميلا اينما أرادت ومنها ان اذا مضت سنة ولم تشرع
الشركة في العمل تفسخ العقد فشرعت الشركة في جمع المال لذلك غير انها لم تتم لان
الانكليزيين ليس لهم همم في تجارة تونس ولا في سياستها ولا يصرفون المال الا بثقة
الطمع في ربح وقد علموا ان الطرق الحديدية على الثاني أول أمرها تخسر وشاهدوا في
طريق حلق الوادي عدم الربح لدى اصحابها فعند انقضاء الاجل طلبت الشركة
احلالها ما لها تحول الرغبة فلم تحصل على شئ وآل أمرها ان طلبت من حكومة تونس
ان تتعهد لها بربح خمسة في المائة على ما تصرفه وان وقع دخل الطريق بذلك او زاد فهو
لها وان نقص او لم يحصل شئ فالحكومة تلتزم باتمام خمسة في المائة او ان الحكومة
تدخل شريكة مع الشركة المذكورة بالربع من رأس المال ولا يخفى ان ذلك لا يتيسر
لان الوزير خير الدين على علم من ضعف مالية الحكومة ومن خسارة الطرق في أول أمرها
ومن الشك في حصول الربح من المعدن ومن صعوبة المحاسبة والاحتساب مع الاجانب

مع اختلاف الحكم زيادة على كون مثل ذلك لا يتم الا بموافقة الكومسيون المالي الذي
هو المحتسب على مالية الحكومة من الاجانب فرفض مطلب الشركة الانكليزية
المذكورة وصح الاتفاق معها واشتهر ذلك بجميع الجهات في اثره شركة فرانساوية وهي المدعاة
الآن شركة بون كالمة وطلب زعيمها من الوزير خير الدين احالة الاتفاق الذي صح مع
الشركة الانكليزية بعجزها الى الشركة الفرانساوية المذكورة بلا شرط الضمان
المذكور لكن على شرط ايصال الطريق بطريق الجزائر فاجابه حالا بعدم تيسر ذلك
لما فيه من مسائل سياسية لا داعي لفتحها فرجع الزعيم وقال نكتفي بالحلول محل الشركة
الانكليزية التي صح معها ما ارتضيتم من شروط الاتفاق معها وذلك الاتفاق يحال الينا
فاجابه بانه يعرض المطلب على الوالي واحضر الوالي بعد مجلسا مركبا من سائر الوزراء
والمستشارين الا الوزير حسين حيث كان في بلاد فرنسا لخصام ورثة القايد نسيم واستقر رأيهم
على قبول الصفقة لما تقدم من البواعث والاسباب ولان الامتناع من خصوص
الفرانساويين بعد حصول الصفقة لغيرهم وعدم الفرق في الشروط رعيا لنص ما
المعاهدات والاحتجاج ثم وان كان هنالك فرق في سياسة اصل كل من الجنسين لكنه
لا يمكن الاستناد اليه في الاحتجاج سيما وصريح المعاهدات مع الدول قائل ان كل مزية
أو تمييز أو اعتبار يحصل لاحد الاجناس يكون للجنس المعقود معه المعاهدات مثله
بل في بعضها يقول انه يكون له مثل الجنس الاكثر اعتبارا (الخ) وكيف مع ذلك كله
يمكن الامتناع ولذلك احيل الاتفاق المشار اليه الى هاته الشركة مع زيادة اخرى في
شروطه للحكومة فكان مما زيد على الشروط السابقة ان قسط الحكومة الذي تأخذه
من المدخول يكون من ذات الخرج قبل طرح المصاريف ومنها ان الجهات التي يمد اليها
الفروع يلزم الاتفاق فيها من قبل العمل مع الحكومة على مركز التنبيه اليه وعلى محل
المرور ومنها ان لا توصل الطريق بطريق الجزائر وبهذه الشروط طلبت الشركة
المذكورة ان يزاد ايضا ان ليس للحكومة ان تمنع الوصل بالجزائر لغير الشركة المذكورة
فزيد ذلك بحيث ان المدة كانت خاصة في مصلحة الشركة الانكليزية مع زيادة شروط
لفائدة الحكومة ولم يقع الاتصال ولا طلبه مدة الوزير المذكور وانما وقع فيما بعد على
ما يأتي شرحه في المطلب الثامن ان شاء الله تعالى ويشهد لما في ذلك من المنافع وعدم
المضرة المكتوب الذي ارسله قسم النظر من الكومسيون المالي الى الوزير خير الدين
أثر انعقاد الاتفاق ونصه سيدي فان اعضاء قسم النظر من الكومسيون المالي رأوا ان

من

من واجبات مأموريتهم ابداء سرورهم لجنابكم بالاتفاق المنعقد في هذه الايام على
احداث طريق حديدية بين الحاضرة ووطن باجه لان ما يلزم لنقل نتائج الوطن من
المصاريف الباهظة عطل وسق نعمه فكاد ان يبطل أهم فروع متاجر المملكة
مع الاقطار الاجنبية فكان من الاكيد ازالة هذه العوائق بتيسير اشتغال
الفلاحة والمعاملات وقد عرض فيما سبق قسم الخطر على جنابكم صورة احداث
طريق اعتيادي بين الحاضرة والوطن المذكور ورجاء لحصول الثمرات
الاكيدة فما وقع الان ما تأمر به عموم هذه المصلحة بما لا يثقل مالية الدولة مع
استيفاء الشروط الواجب اعتبارها في مثل هذه المشروعات صار فرضا علينا
نظرا الى مصالح البلاد التي هي لا محالة مصالح اهل المملكة والاوروباويين
المستوطنين بها على اختلاف اجناسهم كما هي مصالح ارباب الدين ان نهني جنابكم باتمام
هذا المقصد المبارك ولم يبق لجنابكم الان يؤملوا المناجزة فيه في اقرب وقت بحيث
تستكمل به رغبة الاهالي ويرون ان شاء الله اتساع نطاق التعامل واسباب العمران في
تلك الجهات وفتح ما بقي مرتجا الى الان من ابواب الفلاح وموارد الثروة وهذا اول
ما ترتبط به حينئذ بعد سائر جهات المملكة من الطرق الموصلة لمراسيها ولا حاجة
(حينئذ) للمداومة ومساعدة الوقت لتجديد شباب المملكة وفلاحتها والصناعة
والمالية بها فيتم بذلك ما يؤمل جنابكم ساعيا فيه حتى الى مدة ثلاث سنين من تاريخ
هذا لقطروا الكتب من معظمي السيادة أعضاء قسم الغرض الكومسيون المالي
في ٢٠ مايه المسيحي سنة ١٨٧٦ وجمع من الاعضاء الانكليزيين والطليانيين
والفرانسويين لو كان في تلك الطريق ما يخل بالسياسية لما سمع الانكليزيون
والطليانيون لان ذلك مباين لسياستهم ولو فرضنا جهلهم به فانهم اهل سياستهم لكي
يكون لهم مستندا يوما ما بل ان اهل سياستهم لم يتعرض منهم احد لذلك على ان توهم
الاستيلاء الذي بمجرد الطريق المذكورة من الفرانسيس ليس هو الا وهم لان قوة فرانسا
ومنعها من الاستيلاء على تونس ليس هو ولنوضحها على صعوبة الطريق فان بين مرسى
عنابة ومرسى حلق الوادي مسير تسع عشرة ساعة فقط بالبواخر في البحر بل ان مرسى ابن زرت
لا تبعد عليها اكثر من ثمان ساعات وسفن فرانسا التي توصلت بها من فرانسا الى
الجزائر ومن فرانسا الى سانيغال بافريقية الغربية والى كنشود بالهند الشرقية
لا يصعب عليها قطع تلك الساعات (تنبيه) قد ابينا هذا الرأي ما حصل بالعمل في طريق

القطر من هجوم عساكر فرانسا براً وبحراً على القطر سنة ٩٨ ولم تركب ولا فرقة منهم
طريق الحديد المذكور مع وصولها الى حدود الجزائر وأما الاستيلاء المعنوي فان كان
المراد منه زيادة نفوذ وزيادة تصرف فيأتي عليه الكلام في الباب الثامن ان شاء الله
وان كان بالمعنى الذي عرف به أحد الانكليزيين وهو مراعاة القطر حالية فهو
مدفوع بان البضائع التي تؤدي عند دخولها الى فرانسا تصير تؤدي ذلك في حدود الجزائر
وغاية الامر ان تبدل الطريق ومحل الاداء وأما ذات الاداء فهو واحد وبه تحدد ثمن
البضائع سواء خرجت من هاته المراسي أم من هاته وقد اجتمعت في وطن مع الوزير خير
الدين بعد الاتفاق المذكور ووقع ذلك الاعتراض بعينه لما ذكرته في دونه
عما يقرب مما شرحناه وزاد في الجواب وهو متين بان قال ان الاعتراض بان مآل ذلك
الطريق هو احتلال مراسي القطر التونسي وانحصار التجارة في مراسي الجزائر (الخ)
هو مما لا تقبله الاذهان أو غاية ما يبنى على الطرق الحديدية من العمران وعموم
المواصلة مما يكفي في البرهان عليه الوجود الخارجي في الممالك الحاوية لتلك الطرق
والخالية عنها فان ازدياد عمران الاولى وتوفر مكاسبها وعكس ذلك في الثانية مما يغني
فيه العيان عن البيان فاما الجزء من هذا الكلام فهو صريح في البحث وأما الحاصل
جوابنا له ان المضرة من جهة البضائع من طريق الحديد الى الجزائر على ما قالوا اما ان
تحصل للاهالي أو للحكومة فان قال انها للاهالي بانحصار البيع فرادى فالجواب ان الافراد
مدارهم على زيادة أسعار بضائعهم مع قطع النظر عن محل المشترين منه وذلك
لا يحصل الا بتسهيل النقل المحصل في طريق الحديد اذا خشي من خروج البضائع
الغلاء في البلاد فللحكومة منع الاخراج من أي طريق كان سواء كان من مراسيها ومن
الحدود البرية وان قلنا ان المضرة تحصل للاهالي باعتبار مجموعهم من حيث هم الوطن
فهو يرجع (حينئذ) الى منع الحكومة ويكون الجواب شاملا للكلام معا وهو ان
مضرة الحكومة منتفية بما تقدم شرحه من أخذها الاداء عن كل خارج للقطر سواء
خرجت البضائع من المراسي أم من الحدود البرية على السواء بل نقول ان بالطرق
الحديدية يحصل المنع ودفع الضرر في خصوص الاداء المذكور بخلاف وقت انعدام
الطريق وبيانه ان الحدود ما بين تونس والجزائر ممتدة على جميع طول الحد الغربي
للقطر التونسي المتجاور لها وأرضه غابة جبل وأغلب سكانه اعراب رحالة يتمكنون مما
يحملونه على ظهور ابلهم فاذا وجدوا أثمان النتائج أعلى في الجزائر لدخولها الى فرانسا

بدون

بدون اداء لانهم ينقلون بضائعهم في المحل الذي تمر فيه اكثر من غيره كما هو
واقع ويتحملون غلو الكراء بالحمل على الابل لاجل ذلك فاذا جعلت الحكومة مراكز
لاخذ الاداء عند الاخراج من الحدود لا يخلو الحال اما ان تجعل المراكز على طول
خط الحدود او بعضها في اماكن مخصوصة هي اكثر مرورا ونزلا من غيرها (فاما
الاول) فهو ممتنع لكثرة ما يلزمه من الحراس الذين لا يوفى بمؤنتهم ما يحصل من ذلك
الاداء (واما الثاني) فلا يحصل منه المقصود لانه لما كانت جهات الحدود كلها سواء
فصاحب البضائع يتحمل مسير بعض يوم زائد على جهة مركز الحراسة ويخرج
بضائعه بدون اداء شيء فتلخص من ذلك ان البضائع تخرج الى الجزائر دون اداء للحكومة
التونسية بخلاف ما اذا وجد طريق الحديد فان رخص الحمل فيه يعادل اضعاف الاداء
الذي للحكومة فلا اهل لهم يعدلون عن الحمل على ظهور الابل لغلوها وتؤدى اداء
الحكومة في مركز الطريق الحديدية ولا يضرهم ذلك لانهم يربحون ما توفر لهم من
الكراء مع قرب المسافة وقصر الوقت والحكومة يمكن لها ضبط مركز الاداء بجعل
حراس عليه لانه محدود معلوم هذا كله اذا فرضنا توجه الاعتراض وصحته لما اتجه
عليها وعلى ما وقع الحال ان المصادقة انما اعطيت بمشاركة جميع الوزراء والمستشارين مع
تقدم سماعهم فان اشار جماعة في رأى مع اعتماد بعضهم فكره على واحد منهم فقط
لمجرد مباشرة تنفيذها ما تقرر عليه رأى الجميع هذا كله على ان هذا كله مفروض عند
وصول الطريق وقد وقع الاشتراط عدم وصوله لمجرد الاسباب السياسية التي يأتى بيانها
لما تقدم ذكره فلا يتجه الاعتراض عند ذلك وسيأتي لهذا مزيد بيان في موضعه
ان شاء الله تعالى كما وقع الاعتراض على هذا الوزير بكون العائض جعل للدين اكثر
من النصف الذي ضبطت مدة حسابه لذلك حتى لزم الحكومة اكمال العائض في بعض
السنين من دخلها والاستقراض في بعض السنين بربح مدة الحاد للايفاء بالعائض
ايضا ومن المعلوم ان خلاص الدين بالدين يؤدى الى ماله واجيب عن هذا الاعتراض
بما تقدم شرحه في كيفية الوجه الذى اتجه في الدين وقد علمت ان العائض وقد حط
من عشرين مليونا ونادر الى ستة ملايين ونصف بمشاركة نواب الدائنين ثم تأسيس
ذلك المقدار على معدل المرتبة التي ارسلت من الوزارة السابقة التي وقع فيها اغلاط
في تقدير فصول المصروفات كما بيناه مفصلا وقد رأى الكومسيون الوفاء بذلك في
بعض السنين ورأى اقتدار الحكومة على الاداء في بعضها فلا يسلم صاحب المال في

رغبه بسهولة الابعاد تبقيه العزل ولا يحصل ذلك الابعاد الا بخلة قسم العطر من الكومسيون
في اموال ميزانية الحكومة لزحمة اضرار بها الخاصة وربما كان ذلك غير ملائم
لسياسة الحكومة ما يزيد التضييق عليها او التحجير على تصرفاتها الا حين خوف الضرر بين
الى ان يكشف الواقع على ما هو في الاقتدار حقيقة بقول له فوا الضرر به وتنقاد وكلاء
اصحاب الديون عن بينة لكن الوزير خير الدين خرج قبل حصول ذلك كلام الوزير
المذكور افراد قبلوه من التوطين على عدم احبائه للقوانين لكن على ان تكون على
غير الكيفية التي سبق بها العمل في تونس بل على وجه يندفع به الاعتراض الذي مر فيها
بان تكون موافقة لاحكام الشرع واداشرين للاحكام الشخصية ثم نص الحكام
الشرعيين بضبط نص الاحكام في قول واحد شرعي وجعل مجلس شورى لمصالح القطر
اعضاؤه من جميع جهات القطر الى غير ذلك مما يناسب الحال من القوانين مما هو معلوم
من ميله اليها كما مر في الكلام على قوانين عهد الامان وحاصل جوابه الذي علمناه منه
عند ابلاغ الاعتراض اليه وهو بتونس هو ان الدول الاسلامية لا يتيسر ذلك فيها
الا بارادة الملوك او الامراء الذين لهم استقلال في الادارة وقد كان والي تونس احرامانهم لما
ابطلت بالكيفيات التي مر ذكرها كان الوالي المذكور احد النافرين عنها ولا يميل الى
انشائها وليس في ذات الاهالي من يرغب فيها الحاح في طلبها الا افراد قليلون حكما بان
بان كاشف شيء وقع عند ابقائها كما هو بالاعتبار للاعيان عند اعلان الدولة العلية
بالقانون الاساسي فلم يبق الا احد شيئين وهما اما بقاء الوزير خير الدين في الخطة بدون
القوانين لرفع ما يستطيعه بذاته او بانه لا يبقى في الخطة الا بوجود القوانين فاختار هو
الوجه الاول بدعوى عدم امكان الوجه الثاني وهذه الدعوى المستندة لما تقدم ذكره
ربح عند بعض خلاف فيه لانه لو تمرد والي تونس في اول الامر اصرار الوزير على عدم
البقاء في الخطة الا بوجود القوانين لكان يحصل المقصود وتدوم القوانين معمولا بها في
الاقل مدة بقائه ولا لوم عليه بعد انفصاله ومن بلغ اجتهاده حق له العذر وقد كنا اطلعنا على
تحرير الوزير المذكور بعد انفصاله من الخطة بتونس في الجواب عن الاعتراض عما ذكر
ما اثبتنا خلاصته هنا اعني الكلام بين الشقين وحاصله انه لقنا ان أماما لا مواع على عدم
تأسيسه في مدة وزارته التنظيمات السياسية المعرض عنها لكن تسبب التي كنا أوضحنا
في كتابنا اقوم المسالك الادلة الدالة عليه والمعلقة على لزوم تأسيسها واجراء العمل بها واما
كون صدور مثل هذا اللوم منشأ عن عدم فهم من صدر منه اما كما شرحناه في الكتاب
المذكور

المذكور من الاحوال التى تنبنى عليها التنظيمات وجب اعادة الكلام على ذلك
وبذلك يتضح الجواب عما ذكر فنقول ان تأسيس التنظيمات السياسية الحاملة على
اتباع المصلحة قد شوهد انها نشأت فى الممالك المتقدمة باحدى طريقتين احداهما
ان يكون تأسيسها من الراعى وثانيتهما ان تطلبها الرعية والصورة الاولى هى الممكنة فى
الممالك الاسلامية اذا انتبه الراعى لفوائد التنظيمات فسعى بجد واجتهاد فى
تأسيسها وحمل الناس عليها مستعينا بالله وباهل الدراية والمروءة حتى تدرك العامة
منافعها ويتمسكوا بها او يحصل ان تسند فيها الامور من اسس ما يدوم به العدل
الذى فضل الحكماء صاحبه على فاتح الاقاليم الكثيرة ووجه ذلك ظاهر وهو ان مصير
الفتوحات المؤسسة على غير العدل الى التقلص والاضمحلال ومصير الممالك ذات العدل
الى البسطة والاعتدال والحكيم من لاحظ العاقبة والمآل وعند ذلك تدوم معمولا
بها اذا كان فى العامة استعداد الى فهمها وقبولها وبدون ما تقدم لا يمكن اجراء
ما ذكر بعمالات فلا يكفى لذلك معرفة الوزير وحده بعد المحاولة اليها ولا اظن
احدا من رجال السياسة العارفين يقول بنفى التنظيمات بعد التنافى هذا وكان
الواجب على المعترضين ان يبحثوا اولا عن معرفة حال امير تونس هل هو ساع فى
تأسيس ما ذكر على الوجه المذكور ام لا فهل دعاهم يعتبر خطؤها وقبولها
وفى ظنى ان كلا الامرين لا يوجد منه ما يسوغ الاقدام على تأسيس التنظيمات وفى
ظنى عدم نجاحه بدون ذلك كما عضدته التجربة فان التنظيمات التى اسست فى هذه
المملكة سنة ١٢٧٧ المتقدم بيان اصولها الكافلة بتأمين السكان ابطلت
عقب تمامها الخلف على امرائها بسعى الوزير واتباعه حتى آل امر المملكة الى ما قد
رأيت من تصرفات الحكومة زمن وزارة السيد مصطفى وما شاع عنها من المصارف
النفوس والاعراض والاموال ولم يتعرض احد لذلك بادى الفكر (١٨٠) كل الحال
ما ذكر ورأيت من لوالى تونس فى تأسيس التنظيمات سعيت فى تحسين ادارة
المملكة وتأمين راحة السكان بقدر الوسع والامكان مستعينا بالله وبمن كان من اهل
المروءة من رجال الحكومة الى ان آل امرى الى الاضطرار الى الخروج وان ترتب عليه
ما حصل لنا بعده من الصعوبات عند الناس من مغالطتنا ولم تحصل على الحقوق
البشرية الواجبة ثم علمنا مع ان ذلك وقع فى حق رجل تقلب فى سائر رياسات
الحكومة وحصل على نيشانها حسب الوسع ويسوغ له ان يقول حكاية للواقع انه

باعانة الله وعنايته حتى وجد مدة وزارته جميع السكان من الظلم والتعدي عليهم
بدليل انه بعد خروجه من الخدمة رجع الامر الى ما كان عليه قبل ذلك لان الوالي في الحكومة
لا زال هو بذاته وكذلك رجال الحكومة الذين خدموا معه وهم الذين خدموا مع
السيد مصطفى ايضا لانهم لو انصفوا وهؤلاء قسمان قسم ضعيف في نفسه غير قادر على منع
غيره من الظلم وظالم لكن مقهور ايضا عن ظلمه فاتضح بحمد الله من الحظة هذا وفي
لا زلت أقول ان تونس لا تستقيم بدون تنظيمات وانها الاسد جرتها من الطريقة المار
ذكرها والا فالتنظيمات في تونس بدون ما ذكر كالعدم ما لم يلا سعى فلا تغتر بقول
من لا يدرك الحقائق والله تعالى يرشدنا واياهم الى ما يرضيه عنه آمين انتهى وبما تقدم
من انتقاد بعض التصرفات وجد اضداد الوزير خير الدين السبيل الى ايقاع التنافر بينه
وبين الوالي الا ان مسئلة القوانين لم يجسروا عليها من ذلك لبعدهم لانه مدفوع بما
تقدم شرحه والوالي على علم منه فلذلك نزعوا الى وجهة اخرى وبيانها يستدعي بيان
منشاها واسبابها وخلاصته ان الوزير خير الدين لما باشر الوظيفة بلقب وزير مباشر لم
يكن له ضد في نفس عماله الا الوزير السابق مصطفى خزندار لكنه لم ينجح لتبصر
الوالي فيه ومعرفته سر المتوظفين ولا ما الى تصرفاته التي مر ذكرها حتى ذلت خدمة
الوالي في نفسه وقصره فكان الجميع يدا واحدة مع الوزير خير الدين ولما انزل الوزير
السابق مصطفى خزندار وولي مكانه الوزير خير الدين واستقر امره بعد الاستقصال معه
على ما مر شرحه همت نفسه للرجوع الى المنصب او في الاقل مواجهة الوالي واسقاط
خير الدين من الوزارة واستعان على ذلك بمراد من الاجانب وباحد خاصة الوالي وهو
الوزير مصطفى بن اسماعيل واعتمد الجميع كل على حسب فوائده فتارة يقدحون في
التصرفات العامة واشاعة ذلك في الصحف الاجنبية ويلقونها بذاتها او بتقريبها
للوالي بواسطة خاصته المذكور لكن لما رأوا عدم نجاح المقصود بذلك لانه لا يروج
على الاهالي لمشاهدتهم حسن ادارة الوزير رجعوا الى اشهار اراجيف تتعلق بالسياسة
الخارجية فمنها ما يرجع الى نفس الوالي وعائلته من الوزير خير الدين واشهروا ان
المذكور انما قصد سياسته ربط الدولة العلية ومنها ما يعود الى تنفير الاهالي من الوزير
المذكور فاشهروا ان مراده تسليم المملكة لفرانسيس ومنها ما يعود الى تخويف اصدقاء
الوزير خير الدين وعموم الناس فاشهروا ان مراد الوالي ارجاع الوزير السابق مصطفى
خزندار لخطة الوزارة حتى اثر كل قول في اصحابه ونشأ عن الاخير التشويش في عقول
العامة

العامة وتجار أوروبا مما أوجب انحطاط الأسعار فقام خير الدين التونسي عدة مرار
للخوف من تبديل السيرة في البلاد والموجبة لتحصيل فائدة الدين حتى أعلن الوالي
بتكذيب تلك الإشاعات فكتب للوزير خير الدين مكتوبا ونشره في الرائد التونسي
ونصه بعد الحمدلة والصلاة أما بعد السلام عليكم ورحمة الله تعالى فإنه بلغ لحضرتنا أن
بعض أشخاص كادت أن تكون أسماؤهم معروفة ممن كان لهم في تصرف أمر الأمراء
أبنائها صغير في منافع شخصية تعطلت عنهم بسبب سعيكم لجملة الإدارة المنوطة بعهدتكم
أشاعوا الأراجيف لأجل حصول قصدهم وهم على أمل الحصول على وفق شهواتهم وهي وإن كانت
مما لا يترتب عليه أثر ولا يكون لها موقع لأولي الأحلام إلا أنها ربما توجب لمن كان
خالي البال شغلا عما يعنيه من أن الأسباب التي اقتضت عزل المذكور لم تزل تعضدها
أنظارها والآثار التي أنتجتها مساعيكم الحميدة لم تزل تحمد أخبارها وتظهر للأعيان
آثارها وعلما بأن في شغل الأسماع ولهي الآذان بسماع هذه الأراجيف التي لا توصل
قائلها إلى مقصوده من إضاعة الوقت بنقلها والالتفات إليها حررنا لوزارتكم هذا
الرقيم لنهي من يشتغل بذلك وليتحقق السكان أن اعتمادنا للإدارة المنوطة بعهدتكم
لم يزل والمنة لله تعالى متزايدا بتزايد آثارها وأن ما يرجف به أولئك الأشخاص لا يجدون
إليه مستندا وتشهر ذلك للسكان لتزول عنهم الشبهة الذي قصد إيقاعهم فيه وشغل بالهم
به لترتاح أفكار من يريد مصلحة وطنه ونجح خدمته فالعمل أن تجتهدوا بالاستمرار
على تلك السيرة الحسنة التي ظهرت آثارها الحميدة لنا والله تعالى يحرسكم ويمدكم بحفظه
وإعانته والسلام من الفقير إلى ربه تعالى المشير محمد الصادق باي وفقه الله تعالى بمنه
كتب في الثاني والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة احدى وتسعين ومائتين وألف
(التوقيع) صح من كاتبه محمد الصادق باي فأنت ترى ما صرح به الوالي من حسن
نتيجة خدمة الوزير خير الدين وهو الذي تشهد به سكان الإيالة على اختلاف أجناسهم
ومع ذلك لا زالت الأعداء تسعى بالفتن بين الوالي والوزير حتى كان في خلال تلك المدة
جمهور رجال الحكومة في كدر من خوف تفاقم النفرة بين الوالي ووزيره الموجبة
لانفصال الوزير عن الوظيفة ولما تيقن الوالي ذلك دعى الوزير خير الدين ووعده بقطع
التعرضات وأمر مصطفى بن إسماعيل بالكف عن سيرته وموالاة الوزير خير الدين
وكان ذلك أواخر سنة ١٢٩٢ فدام على نحو ذلك بضع شهور ثم عادت الكرة في
أواسط سنة ١٢٩٣ واشتدت الأهوال في الوالي إلى أن صار يستفهم من عنده من

رأيهم في فصل الوزير عن الخطة فرأى معظم استمرار الامور وما قال بعضهم ان بلدنا
مصرية وليست متشابهة بفصل الوزراء على التتابع مع عدم رؤية الرعية لسيرة هذا
الوزير زمن عالية من فصله ما يوجب لعموم فاعتم الوالي عن فصله في اثناء تلك المدة
وقال احد الجميع للوزير خير الدين ان استناد الاضداد في اختراعاتهم يؤول الى
الاستبداد منك على الوالي ورؤساء المتوظفين وذلك يندفع بامرين اولا ان تتشارك مع
بقية المستشارين والوزراء في اعطاء رأيهم مع مستشار القسم الاول من الوزارة ومع اعضاء
قسم العمل من الكومسيون بحيث يشترك الجميع في الرأي عند ظهور ضرر من الحكومة
في الخارج في رأس العام وثانيا بتقسيم الادارة في الرسم تبعا لما هو جار في المعنى في اقسام
الوزارة حتى يكون مستشار كل قسم ناقب بوزير ويمضي هو على المكاتيب ويتحمل
مسؤولية ما يعود عليه ولما سمع ذلك الكلام الوزير خير الدين لاحد فيه ما يأتي وهو ان
الاول واقع بالفعل لانه بعد ظهور الميزان من قسم العمل ومستشار القسم الاول يعرض
على بقية الوزراء والمستشارين ويبدون ما يظهر لهم فيه ثم يعرض بعد ذلك على الوالي
فيروي فيه ويمضي ما يستقر عليه الرأي واما الثاني فان سعة ضيق القطر وصغر الادارة
لا تقتضي تعدد المصدر بل ربما اوجب ذلك التعاوض في الاوامر امور واحدة في
حادثة واحدة مع ما في ذلك من زيادة المصاريف بتعدد المأمورين في كل جهة وكل
قبيلة وذلك لا تسعفه مالية الحكومة ولا تتحمل الرعايا الزيادة عليهم هذا خلاصة
جوابه الذي لم يقنع الناصح حيث ان الغرض في الاول انما هو صوري والتضايق في
الثاني مدفوع بالاقتصاد وحسن التقسيم مثل ما هو واقع بين المستشارين لكن الاهم من
جميع ما تقدم امتناع الوالي من اجراء ما طلب بدليل ما جرى من بعد خروج الوزير خير
الدين من الوزارة واستمرار نوع الادارة على ما سبق من انحصاره في شخص الوزير
الاكبر كما نصح الوزير المشار اليه لا بعد لتمسكه بانه ينبغي له ان يسوي بين نواب الدول
في المعاملة ولا يزيد في تقريب نائب فرنسا وهو يقول ان معاملته مع ذلك النائب شخصية
لا تعلق لها بالادارة على انه لو قيل ان تلك المعاملة مما يقتضيها الحال في دفع غائلة فرانسا
المعدة لان ترجيح كفتها بتونس ضروري وان كان اخف الضررين واجب فان لم
تنفيها رجالنا تكالبت الى ان تصل الى قصدها ولو بالتغلب على ذلك البلاد كما
أوضحنا خلاصة سياستها فلولا ما تقدم عادت المصافاة بين الوزير خير الدين والوالي
حتى كتب الوالي الى قنصل الفرانسيس بشكايته مما اشيع تارة بعزمه على ابدال الوزارة

وتارة

وتارة بالعزم على التنقيص من مقدار الفائض عنها أو حبسه بعدم الاعتناء بمالية
الحكومة وغطت أثمان رقاع دينها فكتب اليه فى جمادى سنة ١٢٩٢ ما نصه
الحمد لله وحده اما بعد فقد رأينا فى الجرنالات العربية وغيرها ذكر ظنون ابرزت فى صورة
مقدمات مسلمة واستخراج نتائج منها بقصد اتهام صاحب التصرف من ادارة دولتنا وتنقيص ثقة
حاملى الرقاع بما بأيديهم من رقاع الدولة مع أن تلك الظنون لا حقيقة لها فى الواقع ولا
أصل وما استخرج منها ترده الادلة المشاهدة زيادة على كونه مبنيا على غير الواقع وهذه
الاراجيف وان كانت باطلة عند المنصف ويعلمها من يعلم حقيقة الواقع ولا يترتب عليها
ما قصد منها من الامور السياسية فانه نشأ عنها لغير من ذكر ولمن لا اعتناء له الا بما يعود على
ماله مراعاة كل ما يطرق سمعه خوف ترتب عليه بعض انحطاط فى سعر الرقاع مع أن
كونها يدفع فى أوقاته كاملا وادارة مداخيله جارية على الوجه الكامل بضبطه وعدم
خفى على جنابكم ما يلحق كلا من الدولة والمتجرين من ضرر هذه الاراجيف المدعى عدم
كونه لا حقيقة له ومصادرها واتهم لا داعى له الا الاغراض غير خفية ولما كنا على يقين من
أن سعادتكم تود الخير لبلادنا كاتبناكم بهذا مؤملا منكم السعى الجميل حسب وساطتكم فى
ايقاف هذا الضرر اذ لا شك فى أن المتصدى لنشر ذلك والحالة هذه لم يكن له قصد الا
ما ذكرناه ولحرصه على ترويج ما أبرزه تكلف ما يظن انه يعينه على مقاصده وهو توزيع
نسخ من الجرنال وتتابعها لمساكن اناس لا معرفة لهم به ولا اشتراك لهم فيه مجانا من غير
أن يطلب منهم عوضا عنه خلافا للعادة وغيرها هو من فروع مقصده هذه وغير ما
أشرنا اليه ان ذلك لم يكن للارشاد ولا للنصح اللذين برز كلامه فى صورتهما وانما هو
للقصد المشار اليه الذى تحقق ان جنابكم لا يرضاه ويبذل الجهد فى تعطيله ولو باشهار
هذه اعانة لنا بما تقتضيه المودة على ما نعلمه من الخير وتأييد الحق باظهار الواقع كما هو
المطبوع عليه من انصافكم وعشتم ودمتم فى أمن الله وكتب فى ٢٠ جمادى الثانية
سنة ١٢٩٣ ألف ومائتين ثلاثة وتسعين ثم حدث بعد ذلك فى الآستانة ولاية السلطان
مراد فتوجه اليه التهنئة من تونس على لسان الوالى وزير الحرب رستم وله مودة اقتضتها
المعاشرة الطويلة مع الوزير خير الدين كما له معه مصاهرة حيث أن الاول زوج بنت
الثانى وكان ذلك فى جمادى الثانية سنة ١٢٩٣ وحصلت اذ ذاك الحرب بين الدولة العلية
والصرب فظهر من جهات الاسلام الاعانة للدولة العلية بالمال لضيق ماليتها وبمقتضى
الحقوق الدينية والارتباط السياسى بين تونس والدولة لزمت الاعانة بالمال أيضا من

تونس وكان حال الحكومة في ضيق المالية وعدم امكان القرض ما علمت فاجتهد الوزير
خير الدين بعد الاستشارة والمفاوضة في حصول الاعانة بالمال من الاهالي عن طيب نفس
وصدرت بذلك مكاتيب الوالي والوزير الى الجهات من الحرص في التعجيل فظهر من
الاهالي غاية الرغبة الى ان حصل مقدار مليون واربعمائة الف فرنك مع مصاريف
الصرف والحوالات لارسال المال لخزينة في الاستانة وقدر ما دفعته الاهالي
ريالات ٢٣٨٤٠٤٢ ونشر حسابه في الصحف الرسمية ووصل تمامه للباب العالي
وفي اثناء ذلك رجع وزير الحرب بسبب المذكور ثم حصل في الدولة العلية صعود سلطانها
المعظم عبد الحميد على تخت السلطنة واعيد ارسال وزير الحرب المذكور لتهنئته ايضا واقام
بالاستانة ثمانية اشهر لتبطئه من الباب لانحصار حوالته وانحصار ما تتصل به الحضرة
السلطانية على الوالي مع كثرة شغل الدولة اذ ذاك بحرب الصرب والجبل الاسود
والبلغار وهرسك وبوسنه وبالمؤتمر الذي عقد في الاستانة وباجراء القانون الاساسي ثم
بحرب الروسية وكان وزير الحرب اثناء اقامته بالاستانة في المدة الاخيرة قدر شهرين
او ثلاثة لم يرسل مكاتيب تبعا بسبب تخوفه لان كل اسبوع يظن انه يرجع فيه وطالت
غيبة المكاتيب وجاءت دووا لاغراض على ما سيذكر (ثم طلبت) الدولة العلية الاعانة
العسكرية لحرب الروسية ولم يكن لحكومة تونس من العساكر التي تحت السلاح الا
مقدار ما يكفي لحفظ الراحة في القطر كما ان المال ضروري لذلك حصل ما علمت فرأى
الوزير خير الدين المسئلة مهمة جدا ولم يكتف برأي الوزراء ورؤساء الحكومة
وطلب من الوالي عقد مجلس عام من وكلاء الموجودين في الحكومة واهل المجلس الشرعي
والوزراء واعضاء جمعية الاوقاف واعضاء المجلس البلدي ورؤساء سائر اقسام الادارات ورؤساء
الكتبة والمستشارين وضباط العسكر من امراء الالوية والفريقان واعيان الاهالي
ورؤساء ديانة اليهود وكبرائهم المعروفين فامضى الوالي على ذلك وانعقد المجلس تحت
رياسة الوالي بنفسه واذن وزيره خير الدين بالقاء امره على المجلس فقال ما معناه ان الدولة
العلية قد اعلمت الوالي بان الروسيا اعلنت عليها حربا وانها في حد المدافعة عن
الخلافة الاسلامية والوطن بنحو ثمانمائة الف ومع ذلك لازالت تحتاج الى كثرة العدد
والعدد وانها تطلب من الولايات ارسال العسكر ولعله بمردفات العساكر الواردة من
الدولة ثم قرر ان للدولة حقوقا على تونس وان تونس لها عادات مع الدولة لا محيص عنها
وان حالة الحكومة في العسكر والمال معروفة للجميع وان الوالي جمع هذا المجلس

ليشير

لنشر عليه بما يراه في الطرق الموصلة للمقصود فخاض المجلس في الكلام وطالت
المذاكرات وحصل التشاجر في الرأي الى ان علت الاصوات وصار آراء المجلس هو ان
بعضهم يرى ارسال العسكر بالمقدار الذي يطيقه القطر من العسكر النظامي المدرج
أكثره وتقريبه خمسة عشر الفا لكن فيهم من عجز فلا أقل من وجود ستة آلاف
تقدر الاهالي على القيام بهم بما يلزم من الكسوة والقوت واما السلاح فالحكومة من
المدافع من الانواع الجديدة اربعين طاربة كالمدافع المكاحل المسدسة اربعين
عشرة آلاف وان كانت تعمر من أفواهها من النوع العتيق فالحكومة حينئذ تقوم
بالسلاح وتعين ما يلزم من المال لدى الحاجة ان تستقرضه من خزينة مجلس الادارة لمدة
ستة أشهر بلا فائض وترجعه بالاقتصاد من مرتبات ذوي المرتبات كل على ما يقتضيه
حاله فان بعضهم اراد اسقاط جميع مرتبه لذلك ويتم التجهيز وترسل العساكر ويجعل
على الاهالي تقسيط ما يقوم بهم بدون منه مع جريان الاقتصاد من الحكومة على
عمومها تقدم مع الاعلان بان كل من أراد القتال بنفسه فله ذلك ويعلل هذا القسم رأيه
بان احكام الدين قاضية بذلك مع نص فرمان سنة ١٢٨٨ مصرح بشرط ذلك
ونصه على فرض الاعانة بالمال لدى يمكن ان يوزع مصروف العسكر فلا يزال
التنكيت على القطر ربما لا يوف بشرطه واصحاب هذا الرأي قليلون وبعضهم يرى ان
الاعانة انما تجب بالابدان واما المال فلا يجب على أحد شيء ومن قدر ببدنه وماله
فعليه ان يسعف وليس على هذا الرأي الا اثنان وجميع العلماء والعامة ضدهما واسقط
اعتبارهما وقتئذ من اعين بعض رؤساء الحكومة سيما الوزير خير الدين وبعضهم يرى
ان العسكر يحتاج الى التدريب والى السلاح الجديد وبدونه العسكر كالعدم والمال
لاقامة ذلك غير موجود لان الغصب على أخذ المال من الرعية ضرره اعظم لما هم عليه وطول
الحال في الاواه مر فاذن يلزم ان يوكل الامر الى الاختيار كل بما يستطيع ويؤديه
لصورة لا يعلم مقدارها تحصر حتى يمكن الاعتماد عليه وتجهيز العساكر على مقداره
وعلى فرض حصول شيء أولا فلا تحقق كم بابه في المستقبل للقيام بالعساكر في المؤنة
والذخائر ولذلك يكون اللازم هو اخراج المال لاعانة الدولة العلية بالمال واعانتها
واحدة لا محالة غير ان جمع المال يوكل الى اختيار الدافع واجتهاده كما حصل في اعانة
الحرب مع الصرب وهذا هو راي الغالب الذي استقر عليه امرهم وهذا القسم يدفع
تعليل القسم الاول من شرط الفرمان بوجوب ارسال العسكر بان شرطه الطبيعي ان

يكون ذلك في الامكان وقد تبين ان الامكان غير موجود وعمل بهذا الرأي لانه رأي
العالم وحكم المسئلة شرعا أوردناه برسالة نحن كتبناها على باب الجهاد من صحيح البخاري
جامعة لحكم المذهب الحنفي والمالكي ثم جمعت الاعانة المالية على نحو ما تقدم وارسل
بعضها في مدة وزارة خير الدين ومقداره ٣٠٠٠٠٠٠ فرنك ولم يعلم حسابه بالتحقيق
لان الوزير خير الدين خرج قبل نهايته وبعده لم ينشر حسابه اعتناء انشر حساب السابقة
ثم ارسلت الدولة العثمانية تطلب سفنا تحمل الخيل لانقال الحربية وان كانت خيلا
وبغالا فلا بأس به فعمل الوزير خير الدين جمعه في طلبها من أعيان المتوطنين وقبائل
العربان والبلدان بان عين لكل فرد ما يدفعه من عدد البغال أو الخيل وكذلك القبائل
والبلدان على ان يشتروا ما يدفعه أهل البلدان والقبائل من الحيوانات بالمال ويقسط
ثمنه على جميع الاهالي على حسب المجبى وبيع الحيوان على اصحاب الحيوان بحيث لا يأخذ من
المال الا امثال غيره فتسابقت الناس الى ذلك وتنافسوا فيه وحضر من أصحاب
الحيوانات في القبائل والبلدان بعض من أخذ الثمن وجعله في سبيل الله وحضرت
الحيوانات وبقيت تنتظر من الدولة حملها الان جاها في السفن التجارية غير مأمون
عليه خشية تعرض سفن المحارب الذي انشاء ممن يريد اجتناب تونس من الدولة
العثمانية وتعطلت تلك الحيوانات لاستعارة بعد خروج الوزير خير الدين من الوزارة
بضعة أيام وفي مبدإ الحرب سأل احد قناصل الدول الوالي والوزير عن قصد الحكومة
في التداخل في الحرب وحذرها من عواقب قدوم الاسطول الروسي الى مراسيها
وخسارتها من ذلك مع عدم كبير الفائدة من اعانتها للدولة فاجابه الوزير بان الوالي
لا يستطيع ربط عهد بالكلام في عدم التداخل في الحرب ثم جاء قنصل روسيا وانذر
واحتج بان الوالي صرح بانه لا يتداخل في الحرب فكذبه الوزير وان الوالي لم يصرح
بشيء يفرح حريته كان الرائد التونسي ينشر من المقالات السياسية المنتصرة للدولة
العلية ما هو مشهور وهو لا ينشر الا ما يوافق مشرب الحكومة لانه هو الصحيفة الرسمية
لها والوزير هو الذي يشير بالمقاصد التي تنشر فيه وفي جميع ما تقدم تجد اضداد
الوزير خير الدين يبلسون الوالي منه واسقاطه من الوزارة وان وزير الحرب كان
سبب طول مكثه في الخطة لما يظهر للوالي وانه يكاتب الوزير خير الدين وهو
لا يفتر يكاتبه للوالي لا يخاصمه وان رياسة تدونه العثمانية ظاهرة مما تقدم
بيانه والوزير يقول ان الوزير المحارب علمه بعدها وقعه في نفس الامر هو

ما

ما تقدم شرحه وانه لو تروى العاقل في قوله لوجده غير صحيح لانه لو كان بينهما شئ
حقيقة للزم ان يأتي من وزير الحرب مكاتيب صورية ليطلع عليها الوالي ولما ساغ
عدم اطلاع رجال المملكة ولو واحد حتى يتفطن الوالي مما لا يجهله عاقل ودل ذلك على بطلان
أهل التهمة وقد حققه الخارج كما قول الوزير ان ما فعل مع الدولة العلية هو الواجب
بمقتضى فرمان سنة ١٢٨٨ وهو الواجب ديانة ولا قصد الا حفظ المملكة لم
يحث ذلك في السعاية بل أثرت في الوالي لانه كان حصل قبيل ذلك النازلة ادعاء
مصطفى بن اسمعيل على يوسف بن عطار احد تجار اليهود بتونس انه مطالبه بسبعة
ملايين او اربعة من جهة رقاع مالية ومصوغ اعطاه له للتجارة بها وانكره المدعى عليه
واستظهر وكيل مصطفى بن اسمعيل بحجة ثبت في الوزارة ورها على ما سيرد تفصيله في
المطلب الثامن وأراد اصحاب ان يكون هو الخصم والحكم ورفع المطلوب أمره للوزير
بهروبه الى قنصلاتو انكلترة وحمايته له وتداخل القنصل في النازلة فرأى الوزير
ان يعقد لفصلها مجلسا اوامر من ذلك الطالب ووافقه الوالي وامتنع الوزير من الحكم في
النازلة غضبا من الكلام فيها من الجانب فاراد اخذ مصطفى بن اسمعيل من الوزير
ومن ذلك التاريخ شعرت الوشاية واشاعوا ان الوالي نفر من الوزير بسبب ما تقدم
وانه بلغه عدم انتصار رؤساء الحكومة بمصره لوزيرهم مستندين الى ما سبقت الاشارة اليه
ثم اشاعوا ان الوزير يريد تسليم المملكة الى فرانسا مستندين بسكة الحديد المار ذكرها
والى عدم ارسال العسكر الى اعانة الدولة العثمانية فورد اشاعة هذا بعد انفصال
الوزير خير الدين عن الوزارة لقصد التعبير له في منفاه حيث ان الوجه الاول لم يؤثر فيهم
والوزير يجيب بنفس الوقائع وادلتها مما وقع في الخارج واستوفيناه كما ذكرنا والكلام
في هذا المعنى الى ان خاطب الوزير الوالي محكيا بمضمون ما تقدم شرحه من كثرة ما اشيع
في شأنه وان الاشاعات صادرة من خاصته وان ذلك مما يقدح في نفس المنصب ويبطل
الادارة وانه يلزم احد شيئين اما توثق الوالي به ورفع العوائق او استعفاؤه وقد كان الوالي
رد ذلك التصميم على قبول استعفائه لا لاعتقاده ما اشيع بل لان مصطفى بن اسمعيل غير
متداخل في الادارة مما يرضيه لان الوزير منع له ما يراه من تصرفاته حسبما يأتي ان
شاء الله في المطلب الثامن وعدم تحصيل للوالي هو ما ذكر صرح به مصطفى بن
اسمعيل عند ولايته فانه قال ما معناه لولا الوزير خير الدين ما عصى الخارج عن الوزارة
فلما اجاب الوالي الوزير خير الدين بسؤاله عن رأيه في النازلة اجابه بان رأيه

ماذكره فقال اعده على الكلام يوم السبت عند اجتماع الوزراء بعد الاشارة الى ان
أوداءه خانوه بأن أوقعوه في تلك الحال وذلك مما يؤيد القول بان للوشايات مصدقها
حقيقة وانه يريد تغيير الصدور بينه وبين أحبته ثم اجتمع الوزير خير الدين بالوزراء
والمشارين قبل الدخول على الوالي وقص عليهم الخبر بما كان ذكره لهم فرادى
ومجتمعين وكان مآل كلامهم ان الاولى به تحمل المشقة وعدم فتح باب الكلام في
الاستعفاء وقال الوزير محمد الذي تولى بعده وكان معلوما عند جميع الناس انه هو
الذي يتولى بشاعة المرض المتقدم ذكره واذ اعتبار لهم انما قام الوزير محمد على ولايته
وابلغوا المولى رضاه بذلك وكان على بن الزكي صاحب مصطفى بن اسمعيل الخاص
كثير التردد على جهات مسكن الوزير محمد ليظهر للناس صدق الدعوى فقال الوزير
محمد للوزير خير الدين اما انا فاني لا اتولى مكانك ولو دقت عناقي ولكني اخدم مع كل
من يوليه الوالي كذا شاع وحمل كلامه ذلك على تكذيب ما شاع عنه ولما دخلوا
على الوالي اعاد الوزير خير الدين الكلام في الاستعفاء على نحو ما مر فاجابه الولي بانه هو
أبو طالبه وقد حصل له التعب ويحتاج للراحة فيأمره ببقائه مرتاحا في محله فرجع
لبستانه بقرطاجنة وكان ذلك في رجب سنة ١٢٩٤ ومنع الوالي المتوظفين من
الاجتماع بالوزير خير الدين حتى خواص احبائه بل وتساقط الذين على ايديهم
منافعات كسبه الى ان خرج من القطر لاسنانه ولم يعمل حسابهم وفي عشية يوم
انفصاله عن الوزارة تذاكر بعض رؤساء المتوظفين في زيارة الوزير المذكور وذكر أحدهم
من أبلغ اليه انه بواسطة انه عازم على زيارته تلك العشية منفردا ولاعبا باه فحذره
الحاضرون من الوزراء والمستشارين من وقوع ذلك قبل الاستشارة وانهم هم في
أنفسهم عازمون على مثل ذلك واعاقوه على استشارة الوزير الجديد فلما استأذنوه
اطلعهم على اذن الوالي ولما استأذنوا اذن بالمنع وجعلت عيون على كل من يقدم اليه
فبقي منفردا وتكاثرت الاقوال في الخوف عليه ونازلة الشهيد بن اسمعيل السني ورشيد
متبرح من البال وكان هو متعادا متغافلا عما يقاسيه من التعب وطلب مواجهة
الوالي لمجرد الزيارة فاضطرب في امره ثم اذن له في وقت خاص ووقع بين الوالي وقنصل
الفرانسيس كلام سأل فيه القنصل الوالي عن سبب خروج الوزير خير الدين عن
الوزارة فاجابه بان خروجه ليس كخروج الوزير السابق لان الوزير السابق ارتكب
ما شين العرض واما خير الدين فلا سبب خروجه الا الخلاف السياسي الواقع بيني وبينه

وانت

وأنت تعرفه وهو اشارته الى ميل الوزير للدولة العلية لان الوالي كان تحقق لوم قنصل
فرنسا على سياسة الوزير مع الدولة العلية الا فما هو لخلاف السياسي الذي يعلمه
القنصل دون غيره وهذا يؤيد الكلام السابق في حقيقة أسباب انفصال الوزير المذكور
عن الوزارة ولما تفاقم التنافر طلب الوزير خير الدين السفر للتداوي من مرض عصبي فاذن
له بعد التصعب التام وودع الوالي ولما استقر في أوروبا حذر من العود خوفا عليه فكاتب
هو الوزير محمد عاصم ونصه انه كل رسل اليه مكتوبا جوابا عن مكتوبه بان الوالي سأل
عن حاله وعن وقت رجوعه وانه انما كان سافر لاجل التداوي أولا وثانيا لاجل
التباعد عن القيل والقال وهو المقتضى لتطويل الغيبة فاذا رأى رجوعه لا بأس فيه
فليأمر الوالي به لان غاية مراده هو ان يعيش في بلاده مع عائلته تحت ظل الوالي مع حريته
الشخصية من غير ان يتداخل في شيء من الامور كما هي عادته عند انفصاله من الوظائف
بدليل سيرته في القنصلية السابقة التي بقي فيها بلا مأمورية وانه كان ينتظر الجواب
عن ذلك المكتوب الذي نصه من الاعلام بعزمه على السكنى بالقطر حلالا فانما شبعه
المرضون تعهدا بعدم التداخل في شيء من الامور السياسية وانه طلب حريته الشخصية
حيث صدر الاذن للاهالي والمتوطنين باحتيانه ومع انتظاره للجواب مدة من الزمن لم يرد
له الجواب الا بكون رجوعه لا يتوقف على اذن مع التغافل عن الموجبات المشار اليها مع
انه لم يطلب الا ما كان الوالي سمح به للوزير مصطفى خزندار في صفر سنة ١٢٩٢ من
الرخصة في مخالطة من يشاء واسراح مع ان ذلك الوزير كان يطالب بالاموال جسيمة وليس
حر وجهها من الوظيف سواء لاختلاف الاسباب وما طلبه الوزير صاحب المكتوب هو
ضروري في حقه لما صدر من الاذن في المنع من الاجتماع به حتى ان وكيله المالي
امتنع من القدوم اليه حذرا زيادة على الصعوبات التي وقعت عند ارادته السفر ويجب
عن هذا المكتوب وكان القصد من اضداده الجاءه على عدم العود أو انه اذا عاد
ينسب له باتقاه في محذور وخيم ومع ذلك قدم الوزير خير الدين لتونس عندما شاع ان
بمصر بواخر الروسيا قادمة الى تونس وكانت حالته مع الوالي أشد مما سبق فارسل اليه بان
يقصر من القدوم اليه الا باذن متعللا بان الوزير مصطفى خزندار اشتكى من منعه هو من
زيارة الوالي مع عدم منع الوزير خير الدين وقال كثير من الناس هو قياس مع الفارق
ثم عاد الوزير خير الدين الى السفر أواسط سنة ١٢٩٥ ورجع الى ان أتاه اذن بتلك
الاشارة من الاعتاب السلطانية بالقدوم الى الاستانة فاستأذن الوالي وامتنع من

للاذن له حتى دعا أفاضل المعتبرين واستشارهم في ذلك فكلهم أشاروا عليه بأن لا وجه
في منعه والأوفق له الاذن بطيب نفس منه فأذن له عن كره منه ثم من وداعه وسافر
في رمضان سنة ١٢٩٠ وترقى في عتبة الخلافة إلى أن صار صدرا أعظم في ذي
الحجة من تلك السنة وجاءت عزلته في بانو سلامبة ومن ذلك الوقت خرج الكلام على
هذا الوزير عن موضوع المدخل في هذا الحد وقد انحصرت دعوى أعداء خير الدين
في أمرين أحدهما إرادته تسليم البلاد للفرانسيس والثاني ميله إلى الدولة العلية فلا
شك أن الخلاف الأساسي الذي ذكره الوالي للقنصل فرانسا لا يتعلق بالدعوى الأولى
وعليه فلا سبب إلا الثاني وعلى كل فقد أشهد الوالي قنصل الفرانسيس بعد خروج
الوزير خير الدين من الخطة باستحسان سيرته إلا الخلاف المذكور فهي الوثيقة المعول
في ذلك إذ الحق ما شهدت به الأعداء وعداوة الوالي لخير الدين بعد خروجه من الخطة
لا يجهلها أحد والحجة القطعية في ذلك امتناعه من مقابلته عند صدور الاذن بالقدوم
لدار الخلافة وطلب الوداع (المطلب السابع) في وزارة محمد خزندار (اعلم) أن
هذا الوزير أصله من اليونان وحضر إلى تونس في ولاية حسين باشا وربي في الحكومة
وتعلم العروض العربية والقراءة والكتابة ونشأ على صفة التعفف ورشاده وما
بحسن الرأي حتى أصبح كثير الصمت وراعى عادة الاشراف صاهره أحمد
باشا المولى الشريف سيدي محمد الشريف على ابنته صاحب صدق بشير به متقاعد
عن الشفوف مقصد السيرة كان ربيب المولى حسين ثم بارك عليه صاحب التصرف
إذ ذاك شاكير صاحب الطابع وصار من خواصه وورثته عناية الوالي المذكور
حتى أولاه خزندار وكذلك أخوه من بعده صار في باش آغا سنجقه إلى أن قيل أنه
حصلت غيرة منه لشاكير صاحب الطابع المذكور واتهم بأنه أغرى بعض خواصه به
في العسكر الذي توجه تحت رياسة صاحب الطابع المذكور وأمر أحدهم بأنه
فأطلق على الوزير محمد الرصاص في وادي مرسية فهالك فأصيب في رجله وعوفي مع
بقاء تأثيرها ثم استعمله أحمد باشا وولاه عاملا على الساحل وحسنت فيه سيرته
وطالت مدة ولايته عليه من حدود سنة ١٢٥٣ إلى سنة ١٢٨٠ ووقع
من أهله ما استفاع من تعديات محمود بن عياد فشكاه بخلاص حكاما
يطالبهم ابن عياد على أن لا يضرهم ابن عياد وحده أعوان لخلاص المرتبات التي
يطالبهم بها وأعان على مصاريف عسكر حرب القريم بألف نفر من الشعير ووجهه أحمد
باشا

باشا رسولا عنه للدولة العلية في استطلاع نيتها في ترديد الادعاء على تونس والاعتذار
اليها ثم وجهه أيضا لاحضار بعض العسكر في حرب القريم ثم عاد مع العسكر وأقام هنالك
مدة ثم رجع ولما ولي محمد باشا أرسله بالهدية وأخذ النائب من العسكر وطلب تقرير
ولايته وقضى مأمورية وعاد وكان في عزم الوالي المذكور تقديمه لوزارة الداخلية فوافقه
عند مماته في ابقاء الوزير مصطفى خزندار ولكن الوالي المذكور قربه وأعلى قدره
ورفع شأنه وأرسله رئيسا على العسكر الموجه الى الاعراض والجريد لجلب رئيس
قومه من اعراب طرابلس المسمى غومة عند ثورته على الدولة العلية هنالك ثم انحيازه
الى تونس عند خشيته استيلاء عليه وأحدث في أطراف الجهة الجنوبية من قطر تونس
شيئا من الاختلال ووجه عليها الوالي المذكور معسكرا تحت امرة الوزير محمد المذكور
ولديه في تلك الوجهة بامر الاعراض واستقال الوزير محمد من العمل لمساعدة الوالي
وفي ولاية الصادق باشا ولي الوزير محمد وزارة الحرب عند استعفاء وزيرها مدة ولاية
جده باشا وهو مصطفى آغا ثم ولي عوضا عنها وزارة الداخلية ثم عوضها بوزارة البحر كما ولي
رئيسا ثانيا بالمجلس الاكبر عند وجود القوانين حينما استعفى الوزير خير الدين ثم لما
حدثت الثورة العامة سنة ١٢٨٠ بقي الوزير محمد في رواياتها اول ان حدث
الكومسيون المالي ولي فيه عضوا وأرجعت اليه الولاية على الساحل ابتلى في
التخفيف على أهله من مصاعب الديون ما تقدم شرحه ولما ولي الوزير خير الدين ثم
سنة ١٢٩٠ ولي مستشارا عاما لثاني من الوزارة الكبرى مع لقب بوزير الاستشارة
ولما حصلت مبادي استعفاء الوزير خير الدين شاع الاعتقاد بالوزير محمد لاستعداد تقلده
الوزارة الكبرى حيث كانوا على علم بأن نقل الوزارة من خير الدين الى ابن اسماعيل
صعب في عين العامة والخاصة ويلزم مدة الاستئناس بغيره مصطفى ابن اسماعيل
للسياسة تحت رياسة غيره فلما استعفى خير الدين قلد الوالي الوزارة الكبرى
للوزير محمد خزندار بعدما استقاله مرارا وشكى واعتذر بكبر السن ومرض السلم
بساعده الوالي وعلماها وألبس نيشان البيت الحسيني وطلب من الوالي أن لا تتغير سيرته
عن الطور المعتاد له في الانتهاء للادارة فرياسة الوزارة كانت له أيضا رياسة الكومسيون
وكان ذلك في رجب سنة ١٢٩٤ وولي في وظائفه التي كانت بيده مصطفى ابن
اسماعيل وبقي الوزير محمد في الوزارة متحصنا في ما يستعينه على ابقاء ما كان على ما كان
وصاحب العقود هو غيره عن ماله في شرحه ومعا كثر الجزئيات التي تعرض له

لا يبدى فيها أمرا إلا بالاستشارة ولم يحدث في مدته شيء جديد سوى حرص الدولة العلية
على إرسال العسكر وفاء بما إليها بأن غاية ما في الوسع هو الإعانة المالية للأسباب التي مر
شرحها فلم تصغ لذلك وزادت الحاحا وشددت بلزوم العساكر وطالت المراجعات
والاعتذارات من تونس الى ان صرحوا للدولة العلية بان غاية ما في الوسع والقدرة هو
احضار أربعة آلاف من النفوس بلباسهم فقط وسلاحهم من النوع القديم وما عدا
ذلك يلزم أن يكون جميعه على الدولة فرضيت بذلك وأعلمت بأنها ترسل الى جلبهم على
عجل سفنها فوجب المبادرة باحضارهم فاحضروا وصرف على كسوتهم ولوازمهم مدة
حضورهم وانتظارهم للسفن مما جمع من الاعانة المالية من الاهالي التي سبق
ذكرها في وزارة خير الدين وبعد الصلح قفل سفرهم وورد الاذن بسراحهم وكذلك
حدثت نازلة انتهاء أجل الكنت دي صانسي لكنها لما كان كل من الحرص فيها وانتهاء
خصامها في مدة الوزير مصطفى ابن اسماعيل وهكذا نازلة وصل الطريق الحديدية المار
ذكرها بطريق الجزائر فانها وان وقعت في وزارة الوزير محمد لكنها في الواقع منسوبة
لسعي مصطفى ابن اسماعيل حيث كانت التصرفات بين هذين الوزيرين في مدة وزارة
محمد مثل التصرفات بين الوزير مصطفى خزندار والوزير خير الدين بعد ولايته هذا
وظيفة وزير مباشر وغاية الفرق بينهما ان وزارة محمد وابن اسماعيل لم يظهر فيها جهرة
التباين والعناد ووزارة خزندار وخير الدين بخلاف ذلك فليس من الانصاف نسبة
مساعي هذا الرجل الى الآخر كما ذكرنا مثل ذلك سابقا في جميع المسائل الخارجية
فقد كانت ان ينفرد بها الوزير ابن اسماعيل وليس للوزير محمد فيها الا الاجراء ودام
الوزير محمد على ذلك متجنبا لكل صعوبة مقتصرا على امتناعه من الرشا وبيع الوظائف
ثم صار مشيرا بلطف الى أسفه احوال يريد هدم مدار الاثر المتوطن الى ان اختص بالكلام
بارادة استعفائه بعد ولايته بستة أشهر فعرض حديثه للوالي منه الا بالجبر والمرض فاشار
عليه الوالي بالتحمل والبقاء في خطته الى الوقت الذي يشير عليه الوالي بالاستعفاء فعمل
بذلك وفي ربيع الاول من سنة ١٢٩٥ كثر الكلام في عود الوزير الاسبق مصطفى
خزندار فكذبته الحكومة بنشرها في صحيفتها الرسمية فصلا طويلا في ان ذلك
الكلام مما يشوش على السكان ويغير الافكار وبهتان والوالي لا يعمل به وهو من
الافتراء والارجاف وذلك في عدد ١١ من الرائد في ١٦ ربيع الاول سنة
١٢٩٥ والمراد بذكر ذلك ليتبين ان نصرة الوالي للوزير المذكور لا عمل له حقيقة

لا

لا كما قيل من أنه ابعد الوزير خير الدين حيث انه في ذلك التاريخ بعيد عن الوالي واشغاله ثم ان الوزير محمدا بقي منتظر الاشارة لاستعفائه كما بقي من جهة طالب المنصب وصاحب الولاية انتظارا لعادته هو بالاستعفاء أو التعريض به وبقي هكذا الحال كل شق ينتظر صاحبه مدة أشهر الى أن أضجر الوالي كثرة الكلام في الرغبة في استعفاء الوزير واحضر نيشان آل بيته الذي صار علامة ملازمة للوزارة الكبرى وفطن بذلك الوزير محمد فقدم للوالي معرضا بالاستعفاء على حذر حيث اعتمد الوصاية بان الوالي هو الذي يشير عليه فتبرز بالرحب والبشر واوصاه بان يكتب غدا مكتوب الاستعفاء فلما احضر الجميع الى قصر المملكة من الغد امر الوالي قبل أن يصل اليه مكتوب الاستعفاء الوزير محمدا بان يستصحب معه الوزير مصطفى بن اسماعيل الى محل الوزارة ويعلن لجميع الموظفين مدحهم بان الوالي أولى مصطفى الوزارة الكبرى ورياسة الكومسيون بعد أن ألبس الوزير مصطفى نيشان البيت ولاطف الوالي الوزير محمدا وأمره بان يعود اليه بعد ذهاب الموكب مصاحبا للوزير الجديد ففعل ذلك على هيئة استغربت اذ لم يعهد مثلها وبعد ذلك كتبت مكاتيب الاستعفاء وقبوله ونشرت في الرائد وكان ذلك في شعبان سنة ١٢٩٥ فمدة وزارته عام وشهر ولقب في ذلك الوقت بوزير الاستشارة وجعل له مرتب عمري وقدره ستون ألفا في السنة وأمره الوالي بان يقدم اليه في كل أسبوع في يوم السبت مع جملة الموظفين أو عند ما تدعو حاجة لحضوره وجعل منزلة حضوره في موكب الوالي فوق منزلة الوزير الحالي حيث لم ينزل عن مرتبته ثم استثقل هو من ذلك ونزل تحت الوزير ثم ولي عضوا في مجلس الشورى الآتي ذكره وبقي على ذلك الى الآن (المطلب الثامن) في وزارة مصطفى بن اسماعيل هذا الوزير من الناشئين في حاضرة تونس ولما شب رباه أحد متوطني قصر الحكومة الملقب بزهير حتى نسب اليه في اللقب ثم أخذه منه الصادق باشا الوالي الحالي وصار من خدمته وقربه ورقاه الى رتبة أمير لواء مع انضمام رتبة أمير لواء ثانيا في عسته العسكرية الخاصة وهي وظيفة مقصورة عليه لم تكن من قبل ولا بقيت من بعد ومن حدود تلك المدة عرف لقب ابن اسماعيل نسبة لحي والده الذي يقال انه مسمى بذلك وهو متواضع بشوش كثير التردد على الصالحين وزيارتهم شديد الاعتقاد فيمن ينتمي الى علوم الحدثان شره على الاشياء الجديدة كثيرا لا تفاق على ما يعود الى لذاته محب للتجمل بالملابس المجوهرة حتى تعدد الخواتيم المكللة باصابعه وترى الجوهرات على صدره وسلسلة ساعته

عارفا بالاخلاق سيده ملائما في سيرته معه لمرضاته حتى تمكن ميله اليه واشتدت
رغبته في استرضائه الى ان قدمه على معاصريه وأسا جفنه فبلغ الى الرتبة المشار
اليها ثم رقاه الى رتبة أمير لواء العسة وأبطلت الرتبة الثانية المشار اليها وفي أواخر مدة
التنافر بين الوزير خير الدين ومصطفى خزندار اتجهت تلك المرصة الى التنويه بشأن
مصطفى بن اسمعيل ورقي الى رتبة امير فريق وأرسل من الوالي كما تقدم الى مالطه لابلاغ
الملاقاة بالوزير خير الدين وكان يظهر الميل عن مصطفى خزندار ثم ولي عاملا على
الوطن القبلي أواخر مدة مصطفى خزندار واحد ملتزمات العمل المذكور بيقاها
اليه بدون انتهاء مدة من كانت بيده وامتدت الايدي الى ارزاق أهالي العمل المذكور
بالرشا في الاحكام وغيرها حتى قل كثير من أهله لفدرال لعنا من أهالي القطر لا يخفى
فاما لم نشأ من اثر ذلك لاعصاء الوزير خير الدين انظر منه لما اضطفته اباه واستولت
بعض حواشيه على الاوقاف ببلد باجة الى ان آل امرها لما كنا شرحنا بعضه فان
جامع الحنفية والمدرسة بالبلد ايضا لم يكتف فيهما باخذ دخل الوقف واهمال الموقوف
عليه حتى خرب وتعطل جريان الشعائر بل نقل منهما اموات من الرخام وغيره الى دار
المتولي كما أثبت في ذلك جم من أهالي البلد وقدموها الى جمعية الاوقاف وجرى على
الاهالي من المتاعب ما بلغ الى قتل النفس كما تكرر ذلك في قتل عبد الباقي أحد أهل
الحاضرة الذي انتقل بالسكنى الى هناك وذهب دمه هدرا ووجد في موته رقعة على
انه مات حتف انفه تبرئة عند الحكومة رغما عن دمه وشدد على الاعيان من أهل
الحاضرة وضربهم في خلاص قانون الرنتون الذي كان مرتبا على الوطن القبلي الذي
مر ذكره وعملوا من مباشري الخلاص اهانات لم تعهد لهم حتى ان بعضهم كان جالسا
بحانوت أحد أصحابه في العطارين فجاءه المتخلص وازعجه بالخلاص حالا مع ان الامر
عمومي فضلا عن كون الرجل لم يكن متعمدا ولا ماله محمولا عليه واهين بما اذرف دموع
المشاهدين من ذلك الملا ومثل ذلك متعدد ثم ولي الوزير ابن اسمعيل وظيفة صاحب
الطابع أواسط سنة ١٢٩٠ ويوم ولاية الوزير خير الدين الوزارة الكبرى ولي
الوزير ابن اسمعيل وزارة البحر غير انه لم يباشرها بل الوظيفة في محل الوزارة وانما جعل
ما يتوقف على امضائه يحمل اليه اين كان ليمضيه حتى يقال بانه يحصل عنها وهو
لا يعلم مضمون تلك الوظيفة اذ لم يكن التصرف على نحو ارادته ولانه يعتمد من ينيبه من
غير احتساب عليه ثم عزل من ولاية الوطن القبلي لان الوزير خير الدين قد استقر في

الوزارة

الوزارة الكبرى وظن انه غنى عن معاضدة ابن اسمعيل حينئذ فاقتحم مع الوالى صعوبة
الالحاح بعزله ومن ذلك التاريخ برح الخفاء فيما كان كامنا من منافرة الوزير ابن
اسمعيل للوزير خير الدين وان اظهارا لم يكن حقيقيا والتفت عليه عصبة الوزير
الاسبق خزندار من الاجانب وبعض المأمورين ترويج اغراضهم بما تقدم شرحه
وفى اثناء تلك المدة كانت اموال الوالى وذخائر الحكومة من الجوهرات والياقوت
الابيض الذى تركه محمد باشا كلها فى تصرفات الوزير ابن اسمعيل المذكور الا
ما اخرج من ذلك مما ارسله فى هدايا الدولة العلية وما اعطاه الوالى الى الوزير خزندار
وله قسط وافر او غيره وكان القيم فى تلك المدة بالوزير ابن اسمعيل شخص من سكان
الحاضرة ينقل له عن ابن الرى كانت الناس تتقيه من قبل ثم ازدادوا منه اتقاء لما
اتحد بالمذكور وتحصيل حالة هذا الشخص لا تناسب هذا التأليف على ان من شاهدها
لا يبلغ ما يذكره لما علمه ومن لم يشاهدها لا يكاد يصدق بوجودها ولذلك لا اذكر
الا ما يتعلق به من حوادث سيده فمن ذلك انه حسن اليه معاطاة التجارة فى رقاع ديون
الدول وزاد له تاجرا بعد تاجر الى ان استقر امره مع احد تجار الاقمشة الحريرية من يهود
الحضرة المسمى يوسف بن عمار وارسله الى فرانسا للتجارة هنالك ثم لما عاد التاجر
حصلت بينهم وبين على بن الرى امور واغرى به سيده لارادة استئصاله وسجن
التاجر فى سجن الضابطية لان الضابطية كانت لا تسأله عمن يريد سجنه وانما
حسبما السيد لما يراه وادعى على التاجر بخمسة ملايين فرنكا او تزيد بين مال
ومصوغ وحجارة كريمة من الياقوت الابيض على انها من اعلى نوع وانه سافر بذلك
الى فرانسا ولم يوجد منه حجة فى بيانها او انه ارجع اليهم بالارسال من فرانسا مقدارا
وافرا من الياقوت الابيض من النوع الردى مدعى انه لم يبع مما تسلمه منهم وقبلوا ذلك
وبقى التاجر الى ان احضر بالضابطية واخذت منه حجة على انها بضعته وانكرها
هو وطال الامر الى ان تخلص التاجر من السجن وهرب الى قنسلاتو الانكليز محتميا بها
طالبا اجراء الانصاف فى نازلته وتداخل القنسل الانكليزى مع الحكومة فى انصاف
الرجل ولاحت علائم الزور على الحجة ولم يكن معها من القرائن اولا اسلوب التجارى
ما يؤيدها سيما فى مبلغ وافر مثل ذلك بل ربما كان معها من القرائن عكس الدعوى
اذ ان المدعى به عليه من الياقوت هو من اعلى نوع وهو المصرح به فى الحجة ثم النوع
الذى ارجعه اليهم وقبلوه وارسلوا له فيه مكاتيب بوصوله من غير انكار لكونه من نوع

ما اعطوه ولا تعرض بذلك مع ان ذلك المقدار البالغ يعطى لانسان من غير بيان ولا حجة ولا دفتر ولا تؤخذ عليه الحجة الا بعد رجوعه بمدة وهو تحت الغضب زيادة عما كان عند انتهاء شهرا فان حججه تؤيد كلام التاجر فانه بعد ان رفعت النازلة الى الوزير خير الدين وارادته تشكيل مجلس للنظر فيها وامتناع الوزير ابن اسمعيل من ذلك حسبما تقدمت الاشارة اليه وبقى التاجر محتجا بالقضية لا تتصالح معه الوزير ابن اسمعيل بمائة الف فرنك وعشرين الف فرنك وتعجب كل من سمع بالدعوى التي هي نحو ثمانية ملايين كيف يصالح عنها بذلك القدر ولو كانت حقا والنازلة مقررة في الوزارة وفي المجلس الاول ولو نظرنا الى ما وقع في النازلة من الكلام على السنة الناس الذي منه ان مما قاله على ابن ازى الى الوزير ابن اسمعيل ان التاجر المذكور لما عاد من فرانسا ارجع له مصوغا او اتاه مصوغ قيمته بليونة من المال وانه اكتشف عن حالة المصوغ بعد الاتصال بالصيغ مع التاجر فاذا هو من البلور الملد على الياقوت فاذنه الوزير ابن اسمعيل ببيعه حيث لم يكن فيه من فائدة فاخبره بانه بيع ببضع آلاف وادخلها الله في حسابه ولما وقعت الواقعة الآتي بيانها مع ابن ازى تبين ان عين ذلك المصوغ لم يزل بخزائنه وانه من الياقوت حقيقة ومثال ذلك اطال الكلام في النازلة لكن لا ادعى ان ما ذكر ما يقال على السنة الناس سيما وهو مما يعود الى ما بين الخادم والمخدوم وانما الداعي الى ذكر ما تقدم هو بيان كونه سببا في خروج مسألة التاجر المذكور بباريس وصيرورتها تحت الحماية الانكليزية كما انها كانت سببا في تمكن النفرة واظهارها بين الوزير خير الدين والوزير ابن اسمعيل وميل الوالي لمعاضدة هذا لانه مكنه من جميع امواله حتى ان نفقته ونفقة عياله ذات على يده وقد نشرت اخبار متواردة في الصحف الخبرية عربية وغيرها فيما اقتضته المسألة من تباعة ذلك ولم يقع تكذيبه وحيث كان من الخصوصيات فلا نطيل به هنا ايضا وانما اشرنا اليه لتعلم خلاصة التصرفات المالية وبما تقدم وغيره من الاشارات التي اشرنا اليها في اسباب استعفاء الوزير خير الدين وقرائن الحال دلت على انه كان القصد توجيه الوزارة الى الوزير مصطفى ابن اسمعيل غير ان معرفة حال الموظفين والاهالي في التسليم لذلك كانت مجهولة فقدم للوزارة الوزير محمد وقدم الى استشارة القسم الثاني من الوزارة الوزير مصطفى ابن اسمعيل لكي يباشر العمال والاهالي في شكاياتهم ويتأنس بمباشرة التصرفات العامة فكان لا يتعرض لتصرفات الحاضرين

من اتباع الحكومة عند ورود الدعوى الآن تكون نازلة لهم باخرة بواسطة أحد
علائقه وتقررت له من قبل قدومها الى الوزارة فحينئذ يأذن فيها بما كان وقع عليه
الاتصال وحصلت في اثناء هاته المدة رشوة التي كادت تتمادى سيما في توظيف العمال
وبقدر ما قدر الوزير محمد على دفعها اعتبرانها لم تتحاش ذلك كما ولي الوزير مصطفى ابن
اسمعيل عاملا على الساحل لاستعفاء الوزير محمد عنه بجرى أول الامر العمل فيه على
ما كان ثم ولي على المستبزر حلا بالتماسه عن العامل بعمل ينيف عن المائة ألف وكان ذلك
الرجل مدينا للاجانب من قبل ولئن ترى الوظيفة لخلاص ما اشتراه به ولخلاص دينه
وتكسبه وامتدت يده الى الاهالي والى ... لدين ضمت نظره وتفاقم الامر مع شدة
الضعف المالي في الساحل واشتكت رعايا الاجانب الى قناصلهم هناك لان أهل
الساحل لم يراعوا في رق دينهم بما يحصل لهم من المال عوض ان يدفع لدائنهم صاروا
يدفعونه الى المتولي وبقي أمرهم على ذلك الى نحو ما سيرد خبره وفي أول مدة تداخله في
الادارة وجه قصده الى التداخل في المسائل الخارجية والداخلية مع نواب الدول
فاستعمله أحد نواب الاجانب على أمير اللواء الياس المصلي لعلاقة بينهما ذاتية على
ارجاع المذكور الى خطته التي كان فيها وهي وظيفة مستشار ثان في الوزارة الخارجية
وقد كان عزل عنها في أواخر وزارة خزندار اثناء ولاية خير الدين وزيرا مباشرا بسبب
واقعة وهي ان احدى الجمعيات الاجنبية التي تجمع المال لنوع من أنواع المرحمة
توسطت اذ ذاك عند فرانسا لتعين الحكومة التونسية بشيء من المال على وجه
المرحمة فارسلت الحكومة بواسطة المستشار المذكور مقدارا من المال ولما اجتمع
القنصل بالوزير شكره عنه وذكر له المقدار الواصل لتلك الجمعية فاذا هو غير مطابق لما
أعطته الحكومة ووقع التحقق في النازلة الى ان عزل المستشار المذكور وبقي بلا
وظيفة ولا مرتب الى ان قدم من الاجانب من عطف على المذكور وتوسط له لدى الوزير
خير الدين في وظيفة فافهمه ان ذلك غير لائق لما تقدم فالح على ان يحصل له نعم ونال
بواسطته مرتبا سنويا قدره ستة آلاف ريال وقطعة من أرض مقدار ما يبني بها دار
للمذكور وكبر ذلك على الوزير ابن اسمعيل اذ ذاك وجعلها عبرة لما انه ماطل هو
الاشغال السياسية وتوسط لديه في ارجاع المذكور لخطته السابقة بادر بالاجابة
بالقبول ولما انتهى الامر الى الى استفظع النازلة سيما وقد ... بعض القناصل بذلك
وأوغر بالانكار بل ربما قال بعضهم انه بعد ذلك اهانة لهم وحصل من المتوسط أيضا

التشديد في الاقدام بمقتضى القبول لدى جانبه الوزير بن اسمعيل وهو وان لم يكن
اذذاك وزيرا للخارجية الا انه علم ان كلامه رسمي مثل وزير الخارجية وانكر ابن
اسمعيل التعهد بالقبول وانما قال انه وعدت بالابلاغ للوالي المطلب فقط وتفاقم الخلاف
الى ان استرضى الطالب ووعد المذكور وظيفة مخترعة وهي كاتب سر الوالي
بالفرانساوي وجعل له مرتب اثنا عشر الف سنويا ثم ابتدأت نازلة الكنت دي صانسي
فالح الوزير بن اسمعيل في تحصيل فصلها وكان فيها ما سيرد خبره ثم جاءت نازلة وصل
السكة الحديدية التونسية بسكة الجزائر وذلك ان الشركة التي بيدها السكة وشرعت في
العمل بها امدادها رغبت ان تصل بلد باجه ثم هاوصل السكة المذكورة بسكة الجزائر لانها
ان لم يصلها لا تتوقع تجارة ويوثنها تنقص ربح الخمسة في المائة لان دولة فرانسا ضامنة
للشركة المذكورة ربح خمسة في المائة على ما انشأته من الطرق الحديدية بافريقية
وتتصل بالجزائر ودولة فرانسا انما صنعت ذلك لانه مما يعمل به كثيرا في الممالك
الاوروباوية لترغيب ارباب الاموال في انشاء المنافع العامة مع تحقق الربح من اموالهم وهي
لا تثقل عليهم مثل ذلك لغناها وكثرة موارده هي الطرق الحديدية فعلى فرض خسران
جهة من الجهات في الطرق يعدل بازاء ربح الحاصل من الجهات الاخرى واذ بقيت طريق
تونس غير متصلة بالجزائر لا تحصل الشركة على ضمانة المذكورة ولذلك قدم الى
تونس زعماؤها وطلبوا وصل السكة مستندين الى الفصل الثالث عشر من الاتفاق الذي
بايديهم في اصل الخط من الشركة وهو ان الشركة يسوغ لها مد فروع يمينا وشمالا
عن الخط الاصلي بعد الاتفاق مع الحكومة على جهة المركز الموصل له الفرع وعلى
جهة مروره وان المدار الذي بين نهاية الخط الاصلي وبين حدود الجزائر لا يبلغ الى
مقدار طول الفرع الذي لهم الرخصة فيه وهو خمسون كيلومتر واي نحو خمسة واربعين
ميلا وانهم غاية ما يطلبون الاتفاق على تعيين المركز المنتهي اليه وتعيين جهة المرور كما
يطلبون مد فرع الى جهة الكاف بمقتضى الرخصة الاولى ايضا فبلغت النازلة في البلاد
وعقد رجال الحكومة اهمية تامة لا بالنظر الى فرع بلاد الكاف لانه خال عن كل شائبة
وليس فيه الا النفع وانما الاهمية من حيث وصل الطريق بالجزائر وكثرت الاقوال في
وجوده ملبون وما تبتغي فرانسا لتيسير اسباب الوصول الى المقصود وتولى امر الحرص
فيها الوزير ابن اسمعيل وكان القنصل الفرانساوي معينا للشركة على غير الطريقة
الرسمية وغاية من باب مجاملة والنصح ويود فصل النازلة من غير ان تدعو الى تداخله
الرسمي

الرسمي باستنجاده من الشركة على ما يمكن أن تدعيه قيرا لو لم يجد إذ ذاك من يحمل
المسئولية وعقد لها مجلس تحت رياسة مستشار الخارجية وأعضاؤه ثلاثة تونسيون واثنان
فرانساويان واثنان طليانيان وكاتب انكليزي والجميع من موظفي الحكومة
فتفاوضوا في المسئلة لكن مع الإشارات المتواردة بالتعجيل واختلف رأي المجلس هل أن
الفصل ١٣ المستند إليه من الطالب يقتضي ذلك أم لا لأنه بالنظر للخريطة يتبين أن
المقدار المطلوب ليس بفرع بل هو تطويل للأصل لخروجه بتجاوزه عن النقطة الأصلية
المنتهي إليها خط الأصلي في العقد ولكن الذي ترجح عند أغلب المجلس أنه يصدق عليه
أنه فرع إذ لا فرق بين الفرع وعدم تجاوزه نقطة الأصل ومع هذا فإن الاستناد إلى ذلك الفصل
لا ينتج المطلوب لأنه ولو تضمن إمكان امتداد أحد الفروع فمعه ما يعارضه لتصريح
العطي بفصل خاص وهو أن الوصل لطريق الحديد التونسي للشركة عمله ولا رخصة لها فيه
الآن في تحديد وهذا تنصيص أيضا بأن الحكومة ليس لها إعطاؤه لغير الشركة المذكورة
وهو حجة قطعية بأن إيصال طريق الحديد للحدود الجزائرية مما تعهدت وزارة خير الدين بل
أنه شرط عدم الإيصال للحدود وإن إعطاء الرخصة لشركة العراماوية في إيصال
الطريق للحدود هو امتياز جديد أعطته الحكومة الآن بعد خروج خير
الدين من خطة الوزارة ولهذا تنقل الكلام إلى أن الوصل هل للحكومة فيه أم لا فذاكر
الجميع في منافعه ودفع الاعتراضات والمضرات الناشئة منه بما تقدم بيانه عند الكلام
على وزارة خير الدين بل زاد بعضهم بأن قال إنه إذا لم يوصل تتحقق المضرة المالية للحكومة
بأن ما يصل إلى المركز الذي يقرب من الحدود مع عدم انحصار جهة الخروج منها
تحمل البضائع على ظهور حيوانات وتخرج إلى الجزائر من غير أداء الضرائب للحكومة
إلى غير ذلك من المصالح ودفع المضار وبعد المفاوضة لا ريبا كانت المناسبة عنده
الامتناع من الوصل ولما كنت أحد أعضاء ذلك المجلس وافقت على ما ذكر غير أني
لاحظت شيئين (أولهما) أن الوصل إلى الحدود يلزم منه تعيين الحد وهو واقع فيه
خلاف وصالح النزاع فيه مدة أحمد باشا وليس للحكومة أن تعين الحد وإنما ذلك موقوف
على إعلام الدولة العثمانية وهي التي تعين الحد (وثانيهما) أن وصل الطريق ينشأ عنه
كثرة القادمين من رعايا الجزائر لسهولة التنقل وقرب الوقت ورخص المصروف وذلك
وإن كان فيه رواج التجارة وأن اللاحق من كل نوع فيهم المستقيم وغيره فإذا كثر الوارد
من رعايا الفرانسيس وحصلت كثرة المخالطة استدعى ذلك كثرة الخصومات الطبيعية

وليس لحكام تونس الحكم في نوازلهم بل النوازل ترفع الى القناصل وأين هذا في قبائل
العربان التي يمر بها الطريق بدو في نفس البلدان ليس لاتساع الحكام وضع اليد
على المطلوب فيعمل المتعدي ما يريد ويركب ويرجع الى بلاده فلا يصل المشتكي الى
حاكمه فعند ذلك تضيع الحقوق سواء كانت للاهالي وهم الاكثر او لغيرهم
ويضطرون الى اهمال وجوه يتوصلون بها الى حقوقهم مع ما اوقعت البلاد
في ارتباك او خروج رغبة عن حكمها ولا مندوحة عن هذا الا باتحاد الحكم وقد كان
السعي فيه من قبل ودولة فرانسا موافقة على أصله ثم لم يبق الا اعتباره ولذلك
لا يمكن الموافقة على وصل الطريق الا بالوجه المذكور ثم قيل لي ان هاته
المسألة التجارية من متعلقاتها مسألة الحكم وهل ترضى باتحاد الحكم جميع الدول حتى
تدخل فرانسا معهم اذ لا ترضى بذلك وحدها فقلت ان كانت نازلة الطريق تجربة
محضة فلا ضرورة لنا لضمها الى انضمام المسألتين السياسيتين المشار اليهما الا بعد الخلاص
منهما او مضرتهما تعدل وتتوقف على المانع المشار اليه اولا وان كانت النازلة فيها شائبة
سياسية وفرانسا تعينها فيما يتعلق بها فعلى موافقة الدول على اتحاد الحكم وتبدأ
بنفسها لان الداعي منها وهو اتصال المملكتين وسهولة الوصلة بالطريق الحديدي على
ما شرحه لا تشاركها فيها بقية الدول فادرأ أحرى بان الصبر بذلك مع طلب الوفاق منهم
يغلب على الظن توفق الجميع وكانت هذه الملاحظات هي مدة ورئيس بعضها دون
ومماكنة آخرين وأغلب الاعضاء انضموا وتكررت المذاكرات حسبما هو طبيعي
في تعدد الآراء وكاف في نماء ذلك أحد الاعضاء بصورة الشروط التي يمكن أن يقع
عليها التعاقد وبينما المجلس يوما في اثناء المذاكرات واذا بالخبر بان الوزير اسماعيل
أخبر بان القنصل قادم على الوالي ذلك اليوم للعرض على المسألة وانها لا تحتمل زيادة
الطول ففي ذلك التاريخ خرجت المسألة عن كونها شورية حقيقية وعدلت الشروط
المشار اليها في أقرب وقت ودفعت أولى الملاحظات المشار اليها بالنص على أن مركز محرق
لا يكون ملاصقا على الحدود ونظره يتعدى ذلك أم لا كما رفعت الملاحظة الثانية بان تكتب
بانفرادها في أوراق الوزارة لتكون اشارة على الحكومة في السعي على مقتضاها وأبقيت
في خزائنها مع تقرير كل ما وقع في المجالس واعتبرت الصحة وجمع من ناجزها وسعي فيها انها
من تصرفات الوزير خير الدين والواقف على كل ما قررناه يحكم بانصافه ثم أرسل هذا الوزير
من الوالي لتهنئة ملك ايطاليا امبرتو بالولاية عوضا عن والده ثم سافر الى معرض باريس
واحتفل

واحتفل به الوالي العام بالجزائر واجتمع في باريس برئيس الجمهورية ورجال السياسة
وذاكر بعضهم في فتح بحر بالصحراء الكبيرة من خليج قابس ووعد له منافع تنشأ من
ذلك للامر يدوذكر له أوصاف البحر بالتي هو عليها الآن وتقاعس الوزير اسمعيل
من الخوض في المسألة لانه يخشى من المذاكرات السياسية بانه كان في سن الصغر لما
كان الوالي يسافر الى تلك الجهات ولذلك لم يكن يعرفها وان المذاكرة في المسألة تجرى
في الوزارة بتونس فتعجب المخاطب من الجواب ثم شاع الخبر بالاستعانة ببعض
نواب الدول على توجيه الوزارة الكبرى الى الوزير بن اسمعيل وان بعض النصحاء صرح
له بان الوظيفة ما تطلب اليه لتوجه عناية الوالي اليه فلا داعي الى الاستعانة بالاجانب
على ذلك لانه يفتح بابا عسيرا مناسب فان الذي يستطيع ان يعين على الولاية يستطيع
صدها عند ما يريد فلم يفد ذلك ثم تقررت ولاية الوزير بن اسمعيل الوزارة الكبرى
في شعبان سنة ١٢٩٥ على الكيفية التي تقدم ذكرها في استعفاء الوزير محمد
واستبد الوزير بن اسمعيل بالتصرفات وحصلت في البلاد تغييرات تشبها عارفو منشأ
عزل الوزير خير الدين وقد علموا ما بينهم على ذلك اذ لو اما هاته فكانت امتثالا لما
أشير به عليهم بالاعراض عن الاتباع لما حدث في هاته المدة امور في الحكومة والقطر
(فمنها تعاظم) الامر في مسألة دي صانسي وخلاصتها ان هذا الرجل الفرانساوي كان
نجح في وزارة مصطفى خزندار ان تعطى له أرض قدرها ثلاثمائة ماشية كل ماشية كيل
مائة واثنين وتسعين حبلا وكل حبل طوله خمسون ذراعا على ان تكون الارض قابلة
للزرع والسقي ويعطى له ذلك المقدار على أربعة أقساط وهو وفى بشروطه في سنة
يعطى له قسط وعلى ان تعين له الحكومة من جميع الادوات واشترط عليه ان يربي في
الارض المذكورة أنواعا ثلاثة من الحيوانات وهي الخيل والبقر والغنم في كل مائة
ماشية عدد خاص من الانواع المذكورة على ان تكون الانواع من أحسن الموجود في
القطر أو خارجه الى غير ذلك من شروطه وهو بيعها لمن شاء وليس للحكومة شيء في
عوض ذلك الا تحسين الانواع المذكورة في القطر فمضت آجال متعددة ولم تنل الارض
الاولى وادعت الحكومة عدم وفائه بالشروط وادعى هو التعلل بانها لم توف له أيضا
حيث طالب لاعطائه من الادوات التي بواسطتها أيضا وكان ذلك في مدة وزارة الوزير خير
الدين فآل الامر بعد ان كادت ان تنفصل المسألة بالمرة وبعد ان عقد لها مجلس من
متوظفي الحكومة الى اجراء طلبه وأخذه القسط الثاني من الارض واسقاطه كل

دعوى فيما تقدم تاريخه فلم يوف بما اشترط عليه أيضا وادعى ان سبب ذلك تداخل
تونس في حرب الروسيا وان الأرض التي أخذها ليست كاملة المقدار وانها ليست
بكاملة الصفات وانها لم تعف مما هو مشروط وان الحكومة لم تحم حقوقه من التعدي
عليه من الاهالي فعقد لذلك مجلس تحت رئاسة الوزير ابن اسمعيل في مدة وزارة الوزير
محمد وطالت المراجعات بين الحكومة وبين دي صانسي وقنصل فرانسا الى ان ولي الوزير
ابن اسمعيل الوزارة الكبرى فرغب في تمام النازلة وتخليص الارض من يد المذكور
وعقد لذلك مجلس من متوظفي الحكومة من الاهالي والفرنساويين وتكررت
المراجعات الى ان استقر الرأي على ان لا حق للكنت المذكور فارسل الوزير ثلاثة من
متوظفي الحكومة مع مصاحبة قنصل اوستريا بحوز الارض المذكورة والشهادة على
كيفية الحوز فقبل ارساله أعلمه قنصل فرانسا بان الاولى الصلح في النازلة بان يضرب
لصاحب المنحة أجل لتدارك شروطه وبعده يسقط جميع دعواه فان لم يوف تخلص
دولة فرانسا الارض منه وتسلمها للحكومة تونس وبدون ذلك لا يمكن تسليم الارض
الا بمجلس تحكيم مختلط وانه لا يسمح لاتباع الحكومة بالدخول الى الارض وان أتوا
للاستيلاء يجدون من يعارضهم من اتباع القنصل لا توقفهم بقول منه ذلك وعند وصول
رسل منهم اتباع القنصل لا تومن الدخول بالكلام فرجعوا وكتبوا للتعديل حالا فورد
من قنصل فرانسا طلب (أربعة) مطالب (أولها) طلب الترضية من الحكومة (ثانيها)
العقاب المؤلمة على من تسبب في النازلة (ثالثها) عقد مجلس مختلط للنظر في اثبات
دعاوي دي صانسي أو ردها (رابعها) الجواب عن ذلك قبل مضي يومين والا فانه
يقطع المخالطة وشاع بالاعتراف المراد بالعقاب المؤلمة هو عزل الوزير واضطرب الوالي
والوزير واشتد الخوف وقال بعض الاجانب ان قطع المخالطة لا يعقبه الحرب فتربصوا
حتى تعلم الدول ولعله يكون منهم التداخل فتفصل النازلة بوجه آخر ولم يقع من أحد
القناصل جواب مقنع في عدم خوف الحكومة لعدم وصول الاخبار التلغرافية وضيق
الوقت ولم يحاور الدولة العثمانية وسعى أمير الامراء الياس عند القنصل بالوجه
الخصوصي بان يكون الوزير في امان ويجاب لجميع المطالب على ان يعزل الكاتب
الذي توجه في النازلة وهو الحاذق المتفنن التام ميرالاي الياس مصلي الذي على صغر
سنه كان يحسن سبع لغات ومطلع على السياسة ونصوح لتونس كان النصح ووفي بجميع
لوازم وظيفته ويقال ان سبب الرضا بعزله هو تعصبات نفسانية فارسل الكاتب
استعفاءه

استعفاء قبل العزل وقد وقع الرضا الشفاهي بأن يكون ذلك نهاية المؤاخذة التي
هي احدى المطالب ووقعت الاجابة الى المطالب من الوالي بعد ان كتب تلغرافا الى وزير
خارجية فرانسا بانه يريد ان يرسل له رسولا خاصا ليشرح له المفارقة فأجيب
بواسطة القنصل بأن لا فائدة وان المسألة قد انتهت في ذلك وان القنصل معتمد من قبل دولته
فاجاب الوالي حينئذ بالقبول ونزل الوزير ابن اسماعيل الى القنصلاتو باللباس الرسمي
ترضية من الواقعة ثم عقد مجلس برئاسة موسيو فولون أحد أعيان الحكام الفرانساويين
وكان رئيس مجلس التحقيق بالجزائر وهو رجل منصف عفيف واعضاء المجلس اثنان
تونسيان واثنان فرانساويان وبعد التروي في مجرد دعاوى دي صانسي هل هي
واقعة أم لا ... دعوى التعطيل بحرث استقر الرأي على ان مقدار الارض بالقيس
الهندسي الذي لم يجر بكيفيته العمل في تونس هو ناقص وان صفقتها مطابقة للشروط
وان الاعفاء لم يقع لان شروطه لم تقع وان حماية الحقوق موفاة من جهة الحكومة
ثم بقيت الارض بيد دي صانسي الى الآن وعند قبول الشروط كوفئ أمير الامراء الياس
بولايته مستشارا ثانيا للوزارة الخارجية ومما حصل ابان اقامته وروده الى تونس أحد
الفرانساويين وطلب انشاء مرسى أمينة للسفن على شاطئ قرطاجنة قرب حلق
الوادي والح على ذلك وخوفوا من منعه فأعطي خمسة وعشرين الف فرنك لكي
لا يتشدد وأعطي الى أمير الامراء الياس عشرة آلاف ريال لتوسطه عنده بان يرضى ولا
تعطى المرسى وكذب في الصحيفة الرسمية من كون اعطاء المال كان بسبب طلب قنسل
فرانسا (ومنها) جعل مركب لاحراق تذاكر البنك أي الاوراق الذي استخلص من
مبدأ المكوم بون الى ذلك الوقت وجازى الوالي الوزير ابن اسماعيل على ذلك الاحراق
بالسيف المرصع الذي أنعم به من طرف الخلافة (ومنها) ان أحد العمال من اشراف
مساكن ولي على قبيلة المثاليث فادعى عليه بانه أخذ منهم زيادة عن موظفات الحكومة
نيفا ومائتي ألف ريال ولم يجر الحساب على مقتضى الانصاف المطلوب فطلب
تحرير الحساب بحضرة أعيان من ثقات الحكومة ولم يجب وقبض به اثنان من اعوان
الوزير ومنعوه من الخروج من داره الى ان تخلص منهم بحيلة ورمى بنفسه من احدى
طوقي علوه والتجأ جارا الى قنسلاتو انكلترة فدخل بها مضطربا مغشيا عليه
ولما أفاق سأله القنصل عن سبب حاله فقرر انه عذب بربط يديه واحراق الحطب
في وسط بيته والمكر فيها وصب الجمر او القادورة على رأسه وغير ذلك من أنواع التعذيب

ليؤدي المال وأخذوا منه ابرا على ذلك خمسة عشر ألف ريال وآل الامر الى طلب
الفضل اعادة الحساب فامتنع الوزير من ذلك وحصلت بينه وبين الفضل عداوة دامت
مدة الى ان ابدل الفضل المذكور لفراغ مدة خدمته بالسن وهو مرير بتشاردو ودور رقته
دولته ثم حاسبه وصرح العامل المذكور باقل من ربع ما ادعى عليه به فدفعه على اقساط
(ومنها) ان أحد اعيان الساحل الملقب بابن المصيبة ادعى عليه بانه اشترى زيتا من
الوزير وكتب عليه حجة بنحو ثلاثين ألف ريال فتعاطف بالخلاص فلم يعد ثم طلب ان
يتوجه الى جهة الافرنج ليستقرض منهم ويدفع فارسل معه أحد الاتباع لمراقبته
ولما وصل بحاره قنصلاتو فرانسا دخلها مستجيرا فلقيه أعوان القنصلاتو وفر بذاته
واجتهد القنصل في حمايته لما ثبت عنده ظلمه وحماه من ذلك ولم يخرج من هنالك
الا وهو وجميع عائلته تحت الحماية الفرانساوية وتفاقم الامر في امثال ذلك
النوع الى ان كتب أحد القناصل الى دولته يقول كل من تعدى اليهم وكتب تقريرا فيما
هو واقع فاحس الوزير ابن اسماعيل بذلك فاستعفى من ولايته عاملا على الساحل
وناصف لقنصل بان يكون ذلك ختام النازلة فاصطلحا على ذلك (ومنها) ان أحد
التجار الملقب بالصباغ الذي تقدم ذكره عند الكلام على الوزير مصطفى خزندار
اقرض اهل ما كان في نكبة الساحل العامة سنة ١٢٨٠ اموالا اسلفها على
الزيت وتضاعف أمره الى ان عجزوا وحبسوا مدة طويلة فلما ولي الوزير ابن اسماعيل
على الساحل توسط في الصلح مع التاجر على ان تخصم ثلثه مما يطالبهم به وهم يدفعون
ذلك للوزير على اقساط فصرحوا على ذلك ونقل الناس عن التاجر المذكور ان المال
اسقطه هو عن الوزير ابن اسماعيل لتوسطه في ارجاع بستان الوزير مصطفى خزندار
بمنوبة الذي كان دفعه في الصلح عن مطالب الحكومة منه كما سبق ذكره وان لم يرجع
البستان الا لورثة خزندار بعد موته واعانه على ذلك العلاقة بينه وبين خزندار
المذكور وبين الوزير ابن اسماعيل بتخلص المال من أهل ما كان شيأ فشيأ هكذا
شاع عند من سمع من الصباغ (ومنها) ان أحد اتباع الوزير ولي على قبائل جلاص
فاستبد فيهم مدة الا واقبل منهم فوج عظيم شاكين الى الوالي بانهم ضربت عليهم غرامة
بنحو مائتي ألف ريال زيادة على أموال الحكومة ووقع في لفظه مبادي هرج
الى ان صرحوا برفع الغرامة وابقاء العامل (ومنها) تكاثر الحمائل على الوظائف
من العمل فقسمت لذلك بعض القبائل كالهمامة ونحوها تفوق الناس عدده من

امتداد

امتداد الايدي الى الاموال حتى أشاع بعض العمال انه شريك للوزير مما يستلزمه من
أنواع الدخل وبسبب ذلك انحطت بعض المداخيل ولزمة غابة لم تكن سنة ١٢٩٧
اشتراها تابع للوزير ابن اسمعيل بسبعة وعشرين الف مطرو رتبا واحجم عن زيادة
عليه سائر الاهالي لما أعلن الناس ان أحدهما شريكه مع الوزير وليست هاته
مما ينفرد بها لان الدين لا يخشونه لانه يحتاج الى ممارسة الاعراب ولم تسبق
لهم عادة باستلزامها (ومنها) ان قبيلة تسمى بالقوارين من المنتسبين لى أحد
الصالحين وعددهم لا يبلغ الى الثلاثة نفر حين يسكنون في الجهة الجنوبية في حدود
الصحراء كانت الحكومة منذ قديم معفية لهم من الاداءات لفقرهم وقلة كسبهم واستمر الامر
على ذلك الى سنة ١٢٩٦ فرد بادرتهم بالاداء فامتنعوا منه لالفهم بالعادة والحال قام
عليهم وتهددوا بالعصب فقبلوا باداء شئ من المال سنويا على انهم يوزعونه على أنفسهم
من غير أن يتداخل العامل في عددهم وتوزيع المال عليهم مثل ما هو جار في بعض
القبائل المتوحشين كورغمة وطماطه وشبههما وكان الفرق بين ما يمكن ان يحصل عليه
وبين ما أرادوه هم اعطاءه بأنفسهم لا يتجاوز الالف ريال على ما قرره أحد العارفين بهم
فامتنع الوزير من مساعفتهم وأذن بعصيهم وستعمل لذلك بعض القبائل الذين لهم معهم
عداوة مع بعض امراء الحيالة لغير المنتقين المعروفين بالحواسة والصابئية فقاتلوا
هم وقتل منهم كثير حتى النساء والاطفال بتصريف جثثهم رحمهم الله (ومنها) ان رئيس
أطباء الولي طلب أن يكون بالحاضرة مستشفى على نحو الاوروباوي فتمم ذلك بمال
الاوقاف وانتظم أمره وصدور بيت فيه بكل ما يحتاج اليه المرضى وتم بمراعاتهم حيث
كنت أنا المباشر الى انشائه وجعلت فيه قسما منفردا خاصا بالنساء وكل ما يصرف على
الداخل من المستشفى يكون من فواصل مال الاوقاف ولا يعطي المريض شيئا ولهذا
اشترط أن يكون الداخل اليه فقيرا كما جعلت به قسما منفردا خاصا بالاغنياء ويقوم
المستشفى بجميع لوازمهم على أحسن حال علاجا وسكنا ويعطون عوض ذلك قدرا
زهيدا من المال وجميع أدوات هذا القسم من الاسرة والخدم والفرش مماثل لحالة بيوت
الاغنياء المقتصدين في مصاريفهم وفائدة هذا القسم ان كثيرا من أهالي الحاضرة اذا مرض
لا يجد من يوفي له بواجبات العلاج للعدول من العائلة مع انهم يستكثرون أجرة الطبيب
فيندفع عنهم ذلك في المستشفى وهناك فائدة أكبر من هاته وهي أن أغلب بلدان القطر
خالية عن الاطباء وكثيرا ما يأتي منهم ناس للتداوي بالحاضرة فلا يجدون مأوى سوى

منازل المسافرين التي تسمى وكالة وهي غير صالحة لمثل ذلك فتحصل لهؤلاء اهانة الغربة مع الاضرار الحق للعائلة المقررة لاهل الحاضرة (ومنها) ان الوزير ابن اسماعيل استوهب من الوالي الاوقاف التي كان حبسها علي باشا الثاني على الاناث من ذريته فبقي في محل بنات تشهد بالحكمة في مدة وزارة خير الدين وعطاها اذذاك الوزير المذكور ثم بعد تزوجه بنت الحضرة بقيت الاوقاف عنده بالهبة ولما تكاثرت عنده الاراضي المسماة بالهناشير الخالصة كبارا وصغارا باع منها عددا وافرا لليهود فرانساوية وغيرها (ومنها) انه استوهب من الوالي ايضا مصطفى دار السعد به الهنشير المسماة بالنبارة ثم اعطاها الى لجنة اخرى كذا شاع ايضا (ومنها) عمل طريق بين باب ليمات وباب سويقة من الحاضرة قرب دار الوزير وغيرها اكثر مروره الى حومة باب البحر (ومنها) ان احد الاغنياء من الاهالي توظف في الحكومة المسمى محمد عريف توفي رحمه الله عن غير ولد وكانت له بنات من ابنه فاوقف كسبه عليهن وعلى من يتزايد له وبعد وفاته وضعت زوجته حملا فكان ولدا ذكرا ثم توفي في اثر ذلك وكان للمتوفى ابن عم فتعاضد مع الزوجة وارادا ان يبطلا الوقف المذكور ليصير الخلف ارثا فيرثان اغلبه واستعانا بتابع الوزير المسمى علي بن الزي على موعد له وقد كان القاضي حكم بصحته على البنات وحفظ الوقف ومتول فطلب التابع ان ينقل حكم النازلة من الشريعة الى الوزارة على خلاف الديانة والعادة من تحكيم الشرع في المواريث والاوقاف وارسل الوزير الى القاضي مكتوبا بان يسلم رسوم الوقف الى كاتبين احدهما من خواص الوزير والثاني من الوزارة مع الوعد في المكتوب بان الوزارة بعد الاطلاع على الرسوم تردها وكان المتسلم لها ابو الزوجة وهو وكيلها مع احد الكاتبين وطال الزمن وابلغ الوصي الى القاضي الوقوف على الرسوم فشاع انه سيقع فيها تغيير فارسل الى ابي الزوجة والى الكاتب الذين تسلما الرسوم طالبا ترجيع الرسوم اليها فاحضرهما فامتنعا فسجن ابا الزوجة حيث انه هو المتسلم واخبر بان الرسوم بعلو في داخل المحكمة الشرعية هو محل اشتغال الكاتب المذكور حيث كان من شهود الاوقاف وذلك العلو مكان اجتماعهم فبعد ان الح القاضي على الكاتب وامتناعه امر بان يمنع من دخول العلو خشية اخراج الرسوم منه وبقي القاضي يحمي حكمه على الهيئة الشرعية حسبما سبق التعريف بذلك من كون اهل الشرع بتونس لهم من التعظيم والتوقير قريبا مما كان عليه الحال في الاعصر المتقدمين للديانة وشهرتها كان غير بعيد الا وعلى ابن الزي المذكور قادم فضرب باب العلو برجله وكسر قفله وامر الكاتب بالصعود واخراج

واخراج الرسوم واخراج المسجون وامره بالذهاب حيث شاء وقدم على القاضي وباشره بما
لا يناسب ذكره وفشا الخبر وعظم الامر عند العلماء والعامة الى درجة لم تعهد فأبطلت
الدروس من الجامع الاعظم واغلقت دار الشريعة وكثر اللغط وسرى الى خارج الحاضرة
وأبلغ أمر النازلة الى الوزير ابن اسماعيل فاراد ان يهون النازلة بمنع تابعه من القدوم الى
تونس وأرسل معلما الى القاضي بانه محجوز فلم تتمكن لذلك العلماء وتقدم الشيخ أحمد بن
الخوجه شيخ الاسلام وجمع العلماء مرارا واتفق رأيهم على الانتصار للشرع وكتب جميع
المجلس الشرعي مكتوبا وارسلوه الى الوالي قصدا بلا واسطة الوزير على خلاف
المعتاد وقدم به رسولهم على الوالي في مجلسه العام فقرئ عليه فاذا فيه تفصيل الواقع
والاشارة الى ان الخطب عظيم فاهتز لذلك وتوقع عاقبة الامر واحضر الجاني وامر
بنزع رتبته وحبسه ثم نفيه الى حصن جربه وقدم على أهل المجلس باشكاتب
ووزير الشورى وتأسف لهم عن الواقع ووعدهم بأبلغ ما يصدر من الحكم فاقتنعوا في
الجاني بما وقع ولكنهم ابوا مواجهة الوالي وقصوا على باشكاتب المذكور ما هو
حال بالقطر مما تقدم شيء منه الى ان بلغ الحال الى تلك الدرجة وتوقعهم لما هو أعظم
وكان شيخ الاسلام يبكي على حالة من لا ارب له في الدنيا وكل تكلم بما يبدو له من فظاعة
الحال فابلغ باشكاتب ما سمع وما رأى فاضطربت أفكار الوالي وتكاثر الكلام في
الناس وكانوا كلهم على كلمة واحدة في اتباع اهل المجلس الشرعي وبعد كر راد ثم انهاء
الامر والشكاية الى حليم الذهن وطلب احترام ما تضمنه الفرمان المؤرخ في شعبان سنة
١٢٨٨ من اجراء العدل والانصاف في الرعايا وبلغ الوالي قصد العلماء وهو طلب
تشكيل مجلس للنظر في المصالح وفي اعمال المأمورين لكي لا يقع مثل ما وقع وحتى
مما شاع من تداخل الخلافة الكبرى لظنهم ان السلطان لا يرضى باضاعة أهالي تونس
لمخالفة السيرة الادارية لما هو مشروط في الفرمان السلطاني جميعا وقد بلغ الامر الى ما هو
راجع الى الشرع وحمايته وان ذلك ايضا يجري الى تداخل بقية الدول العالمين بقبح
السيرة مع كون الصدر بالدولة العثمانية اذ ذاك هو خير الدين باشا الذي يراعي دولته
فارسل الوالي الى العلماء ثانيا يقول لهم امهلوني بضع أيام فان جعلت ترتيبا مناسبا يقنعكم
فاقدموا الي حينئذ شاكرين والا فلكم ان تعيدوا ما ظهر لكم وكان هذا رأي اشير به
على الوزير بان يعمل كما قيل بيدي لا بيد عمرو وخشية تفاقم المطالب على ذاته فعمل ووقع اذ
ذاك مبادي الاضلال في عزم أهل المجلس الشرعي لان رئيسهم تقرب اليه الوزير سرا فانحط

حرصه ونزوجهت أطماع لبعض الى المسابقة لارضاء الوزير فاجابوه بنعم ثم جمع الوالي
وزراءه وأعلمهم بما سمعه من مطالب أهل الشرع وبأنه يريد أن يجعل مجلسا مركبا منهم أي من
الوزراء ورؤساء الادارة دون غيرهم من الاهالي للتصرف في المصالح وجريان السياسة فأجابوه
بأن ما يصدر له حسن فهو حسن وكان هذا الجمع من الوزراء والمستشارين مشتملا على
جميعهم حتى ان الوزير حسين كان اذ ذاك قدم من ايطاليا بالصلح في أمور بنكه صادف
الواقعة وكان ممن وافق الوالي على رأيه في جعل المحتسب والمحتسب عليه واحدا خلافا
للمعقول ولما يعلم من طبعه من لزوم احتساب الحقيق على تصرف المأمورين فما كان من
الاهالي الا فهم ذلك من أوجه العدل ومع هاته الموافقة فلم يسلم من القدح ثم ان
الوالي أرسل لاهل الشرع بعد تعليمهم بأنه أنشأ مجلسا مؤلفا من عشرة أعضاء تحت
رياسة الوزير ابن اسماعيل وأعضاؤه هم الوزراء والمستشارون وبعض رؤساء
الادارة ولما بلغ لاهل الشرع بعد ذلك قالوا ليس قصدنا الموظفين لانهم دائما تحت
الامر ولا حرية لهم عادة في أطراف القصر وانما المراد أن يكون أناس من المتوسطين
والعلماء والأعيان من البلاد والعربان ولا أقل أن يكون عددهم ثلاثين عضوا
وانهم لا يقصدون الا مصلحة البلاد لانهم ليس لهم غرض الا هناء القطر وهناء الوالي
وقيل ان قنصل فرانسا صرح بأنه لا يعترف بالمجلس وانه ان أراد الوالي الاستعانة بعساكره
لردع الظالمين فهو حاضر له حيث أن طريقة أوربا التي ترمي الى قصده تكاد كرباه
في عمله ثم لما بلغ الوالي جواب العلماء أرسل اليهم بأنه يريد انتخاب من رؤساء الموظفين
وأن هذا المجلس يتصرف فيما يقتضيه الحال من الكيفية ويجري العمل به وكان في أثناء
هاته الايام وقعت السعاية بالترغيب لبعض العلماء والترهيب لهم من تداخل الاجنبي
بالاستقلال رضي عدد منهم بذلك وكان سببا في تمكن القبض على من يتحدث انتهى رضاء
المترجمين عند ذلك وصرح الوالي بما يكشف عن ذلك وانه اطلع على السر ثم جعل
هذا المجلس في نفس الامر اذا اجتمع يعرض عليه ما يريد الوزير والاغلب أن يكون
المعروض هو بعض النوازل التي تعرض بقلة ولما كان أغلب الاعضاء يسايرون الوزير
لم يظهر لوجوده من أثر اذ لا يتداخل في نصب ولا في عزل ولا سيرة عامل او رشا او شاهد
ذلك الخارج فانه لم يمض عليه شهران حتى وردت الرسل على شيخ الاسلام بأن يتشفع في
الجاني على الشرع فلم يوافق حضرته بل أظهر زيادة الامتناع ثم سودت سرا بطاقة الى
المنفى ليكتب على عضها مكتوبا لاهل المجلس الشرعي ولما ورد مكتوبه على نحوها

كتبوا

كتبوا الى الوالي مستشفعين بعد ان امتنع بعضهم وقيل عندما علم بذلك ليت شعري
ما هو وجه كتبهم مع علمهم بالحقائق ومنها تشريح الوزير اثر ما تقدم في بناء دار
شيخ الاسلام المذكور بتونس وكذلك داره على البحر وكثر تردد تابعه الجاني المذكور
عليه حتى نشأ عنه قيل وقال بسوء حالة العلم والخطة ومنها انه اشتكى بعض
السكان في محل له من تابع الوزير المذكور الى القاضي فلما ادعى للجواب امتنع وورد
الاذن الى القاضي الشرعي بان المذكور لا ترفع نوازله الا للوزارة فليس له النظر فيها
وقد علمت ما فيها من حالة احترام الشريعة وحكامها ومنها بناء محل للكرنتينة
أي الاحتفاء للواردين من الاقطار التي يكون بها مرض عام معدي وبني ذلك بحسب
رغبة الاجانب وحرص رئيس اطباء الوالي وجعل له طبيب خاص وكان بناؤها باحدى
المراسي المسماة غار الملح ومنها حصول الهرج في القبائل بالجهة الغربية حتى ادعى
قبائل الجزائر التعدي من قبيله وشناته التونسية فارسل عليهم الوزير بعض اتباع
الحكومة وشاع انهم اقتصوا منهم نحو خمسمائة رأس من البقر اعطوها الى قبائل
الجزائر واخذوا الانصبة وكتبهم خمسمائة رأس من البقر ومنها ان تابع الوزير
بن اسماعيل التزم لزمة الصاغة أي دخل الحكومة مما يؤخذ على المصوغ المباع من
الصنعة فادعى على احد اهالي القيروان الاغنياء من الذين يتعاطون التجارة بانه احق
ما يلزم لاداء اللازم ووعر وكاد ان يهلك ورادته ... وجها الحماية في المستقبل
ومنها ان شركة ايطالية طلبت مسلك كوربانية بين تونس وايطاليا ولم يجبها الوزير
الى ذلك وكان ذلك سببا في تكدير المخالطة مع ايطاليا بدعوى ان شروط اصل انشاء
للاطراف لا يقتضي منعهم ومنها حمل اداء على العجلات التي في الحاضرة حسبما هو
جار في سائر البلدان لاصلاح الطرق ومنها منع لجنة فرنساوية لانشاء مرسى في شاطئ
البحيرة بالحاضرة بعد ان طلبت ان تكون المرسى حول حلق الوادي مع انشاء طريق
حديدية اليها من الحاضرة مارة على طريق رادس فابتنت في ذلك لشركة الطليانية
التي اشترت من الشركة الانكليزية الطريق الحديدية الواصلة بين تونس وحلق
الوادي المارة على العوينة مستندة الى شروطها وكادت تتفاقم الخلاف الى ان ارسى على
ما تقدم ومنها منح اللجنة الفرنساوية المذكورة وهي صاحبة طريق الحديد الواصلة
الى الجزائر بان تنشئ طريقا حديدية الى الساحل واخرى الى ابن زرت وان تنفرد
بالطرق الحديدية في المستقبل الى أي جهة ومنها ان احد اقارب صهر الوزير ابن

اسمعيل فقبل حلا قانا بالطلاق بكفلة عليه في دكانه المشاجرة بينهما ولم يقتص منه ومنها
ان أحد التجار الطليانية كان يدعي بان جده كان أتى حمودة باشا الذي توفي سنة ١٢٣٩
بشيء من السلع ولم يأخذ ثمنه وهو نحو خمسة عشر الفا وكانت نشرت النازلة مرارا ولم تقبل
حتى عند الكومسيون المالي لخلط وجه بدلك لتاريخ صدوره لامير الامراء الياس المتقدم
ذكره فاعطى حينئذ ما طلب ولما كانت مالية الحكومة ضيقة والكومسيون غير
متعرف بالدعوى اعطى الطالب أرضا قيل ان قيمتها نحو ستين الفا ولما ورد الاذن من
الوزير على الكومسيون بان يأذن وكيل املاك الحكومة بتسليم الارض المذكورة
للطالب توقف المهندس العام الفرنساوي في وجه ذلك ولكن قد تمكن الطالب من
الارض ومنها ان في راس سنة ١٢٩٧ صنع بعض أتباع الوزير مصطفى بن على اخو
الذي تقدم في وزارة خير الدين وقدموه هدية للوالي والوزير بن اسمعيل في موكب باسم
الاهداء من الاهالي ونظيرها هي الخصلة التي كانت سبب الدلالة ثم في ربيع الاول من تلك
السنة قدموا للوزير أيضا مثل ما تقدم ذهبا وجوهرا ثم في شوال من تلك السنة قدموا له
أيضا دواة مجوهرة بقلمها باسم اليهود من الاهالي لكن الخصلة التي استحقت ذلك
لم تجب ولا في واحدة من تلك الاشياء ومنها ان احد المهندسين الفرنساويين كان ادعى
انه مطالب للحكومة بمال مدة وزارة مصطفى خزندار وتوالت مطالبه فلم تقبلها
الحكومة وكذلك عند انتصاب الكومسيون المالي عرضت عليه تلك المطالب واستقر
الامر على عدم قبولها وما ادعى به لم تقبل ولا وجدت فاصلة مستندا لتدعيم
دعواه ففي وزارة الوزير بن اسمعيل قبل ان يجعل فيها التحكيم وعقد لذلك مجلس مختلط
من التونسيين والفرنساويين ورئس عليه اولا احد رؤساء الاحكام فلون الذي تقدم
ذكره في نازلة دي صانسي ثم لما لم يقبل كلامه على غير ملائم لما هو عليه فقدم للرياسة
غيره وصدر الحكم على الحكومة باداء المذكور ثلاثمائة الف وخمسة وخمسين
الف فرنك ومنها ان التاجر الصباغ الذي تقدم ذكره أيضا كانت له دعوى من نوع
السابقة ولم تقبل لا من الحكومة ولا من الكومسيون المالي فكذلك الوزير بن
اسمعيل قبل فيها التحكيم وصدر الحكم باداء الحكومة نحو اربعمائة الف وخمسين ألف
فرنك والحال ان الحكم كان صدر من الكومسيون المالي الذي هو مختلط من تونسيين
وفرانساويين وطليانيين وانكليزيين وفيه احد كبراء الموظفين من دولة فرانسا
واتصاله باتفاق الدول المذكورة على التراضي به في جميع النوازل المالية فورده وكلا

من المطالب المارذكرها واستمر العمل بذلك أربعين عشرة سنين مع مافيه للحكومة من العسر المالي كما تقدم شرحه ويضيف اليه استيهاب ماهي على ملك الحكومة من مهم الاملاك للوزير ابن اسمعيل حتى تم ماهي عمارته بيرم باعشه ماتره بدله مولود بل حتى الاحباس التي أوقفتها الحكومة على المدرسة الصادقية اراد ان يأخذ منها أهمها هو وبعض من المقربين عنده بوجه الانزال أي الكراء المؤبد وعنده متاع القاضي من ذلك جمعيات الاوقاف المذكورة من أملاك الحكومة وخوطب بذلك رئيس الفتوى من المالكية فانزلوها على يده فالعمال يشترون الوظائف والاهالي تتحمل أعمالهم المالية والسياسية والشرعية على ما تقدم ذكره وأمر المخ التي بلغنا انها حصلت في هذا الميدان وقع لا تترام الى دولة مرابها ان لا يحدث شيء جديد في القطر من الاعمال العامة النافعة الابعد عرضه على الوزراء وبرهان لم يوجد منهم من يريد عمله فاذ لم يسوغ ان يباشره غيرهم حيث وقع التقيد في ذلك بارادتهم وهذه خلاصة التاريخ في القطر التونسي الى هذا العهد وهو مدة سنة ١٢٩٨

تنبيه قد حصل هذا الجزء ما طرأ الحادث العظيم على القطر وسنفرده بذيل خاص في الجزء الثالث ان شاء الله تعالى عند الكلام على سياسة فرانسا الخارجية

•(فصل في بعض عوائد أهل القطر وصفاتهم)•

(مطلب في الاوصاف العامة) قد تقدم ان السكان مسلمون الا ما قل من يهود ونصارى الدين مجموعهم نحو مائة ألف وأما التبصر في أحوال الديانة فانما هو في المدن وبعض القرى وأما القبائل الساكنين بالخيام فلهم معرفة اجمالية خصوصا ذوي الثروة والذين تنشأ في أوطانهم زوايا لبعض الصالحين فيرشدهم مشايخ الطرق وأما باقيهم فيعرفون من عقائد الاسلام الوحدانية لله ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم صادقة وربما كان بعضهم لا يعرف عدد أوقات الصلوات وغيرها من الفروض العينية وكان في باديتهم يتحمل به من يعلم جاهلهم ولا يرشدهم والكل على مذهب الامام مالك رضي الله عنه الا قليلا منهم على مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه والجميع أهل سنة الا بعض أهل جربة فهم على مذهب الاعتزال ولهم عدة مساجد خاصة والاهالي تعظم لشعائر الدين ومنها الحياء فان الابن مثلا من الاعيان لا يجلس أمام والده الا باذنه ولا يستنشق السعوط ولا يدخن به أمامه أبدا وكذلك أمام ولده هذا فضلا عن الكلام الفاحش أو خطاب زوجته بل حتى اذا كان له ابن صغير فانه لا يحمله ولا يلاطفه أمام

والديه ويقبلون أيدي والديهم في السلام عليهم وربما كان ذلك كل صباح وهي تحية
التلامذة لمشايخهم وتحية السادات الاشراف وجميع الاهالي تعظيم كامل لهم وأما سلام
الاكفاء فهو التقبيل في الكتف الا الاعراب فان بعضهم يقبل يد بعض أو رأسه ولا
تكاد تسمع أحدا من ذوي المروءة يغني فضلا عن النساء اللاتي صوتهن عورة بل المغنية
الصناعة أناس مخصوصون وفيهم من النسوة عاهرات ومن يسكن بديار في حارات مخصوصة
وما ذكر من الغناء ومثله الرقص خاص بالحاضرة وأكثر البلدان بخلاف الاعراب
فعندهم ذلك غير معيب كما ان الاكل في الطريق أو في الاماكن المكشوفة للمارة
معيب تسقط به العدالة وكذلك دخول القهاوي تجتنبه أصحاب المروءة حتى ان الاعيان
ليس لهم محل اجتماع عمومي وغاية تفسحهم بالمشي في الطرق النزهة وأماكنهم
الخاصة مع أحبابهم نعم يتساهلون في دخول القهاوي في أماكن النزهة خارج
الحاضرة ولكن أعيان الاعيان لا يفعلونها أيضا والتدخين بالتبغ لا زال معيبا
عند ذوي المروءة وليس ذلك الا لمجرد اتباع العادة والا فلا فرق بينه وبين النشوق مع
كثرة استعمالهم لهذا الاخير وحكم الجميع شرعا على مذهبنا الحنفي الجواز وكذلك
المعمول به من المذهب المالكي لانبنائه على مسئلة الاصل في الاشياء الاباحة
وهي مسئلة خلافية فقالت طائفة الاصل الاباحة حتى يرد المحرم وقالت طائفة
بالمنع حتى يأتي المبيح وقالت طائفة بالتوقف والاصح الاول لقوله تعالى هو الذي خلق
لكم ما في الارض جميعا فجميع ما في الارض خلق لمنفعتنا فنستعمل كل شيء في محله الا
ما ورد فيه المنع ويشهد له أيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم ان أعظم المسلمين جرما من
سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته وقوله عليه الصلاة والسلام دعوني
ما تركتكم فانما أهلك من قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم وكل من
الحديثين منقول في الصحيح وكان ورود الحديث عقب السؤال عن أشياء لم يرد فيها
حكم بالتحريم فدل على الاباحة وهذا التبغ لم يكن معروفا زمن الائمة وانما عرف بعد
الاكتشاف على أمريكا كما تقدم فيكون حكمه هو الاباحة الاصلية وكان الاستهجان من
استعمال التدخين مطلقا أو النشوق أمام ذوي الكبراء مبني على أصل آخر غير التحريم
وهو انه لما كان فيه خلاف فالورع تركه اذ الورع هو ترك ما لا بأس به حذرا مما
به البأس ولما كان الاصل في المؤمنين هو السلوك على أكمل الصفات وكان أهل
تونس يعظمون ترك الورع أمام ذوي المقام كما انه لا يوجد في الحاضرة أماكن

للاهي

للاهي أي الملاهي الا في رمضان فتكون فيها أماكن للصبيان ليلا يلعب فيها بتصاوير
من وراء الستار بالحبال من الصور في نور المصابيح ويسمى المكان خيال الظل وربما
أحضر فيها نوع من السماع وصورة الملاهي تشخيص حكاية بصور من الحادثة على
هيئة المحكى عنه والملاعبة تكلم على لسانها والجميع من وراء الستار بحيث يشخص
للناظرين من خارج الستار كأن الواقعة مشاهدة وان كانت الصور صغيرة طولها قدر
شبر والاغلب أن تكون الاماكن وسخة ولا يدخلها الا الصبيان وبعض من لا مروءة له
من الرعاع لتمضية الاوقات فيما لا فائدة فيه سوى السخرية والضحك واضاعة الزمان
والاغلب في الحكايات أن تكون مضحكة يدركها الصبيان وربما تضمنوا المستحيلات
العادية كالغول والشيطان اذ هذا الاخير لا تعرف صورته بحيث يصح أن يقال ان
تلك الملاهي لا غرض فيها الا مجرد لهو الصبيان وكان الاصل في اصطناعها ما نص عليه فقهاؤنا
في كتاب الحظر والاباحة من جواز شراء اللعبة للصبيان فقاسوا عليه اصطناع ملاهي لهم
ليلا في رمضان لكي يسهروا ولا يستيقظوا مبكرين فيوقظون والديهم اذ عادة الناس
في رمضان هي السهر أغلب الليل ومنهم من يستغرق جميع الليل بحيث لا يشتغلون
الا قرب نصف النهار وكان هذه عادة مبنية على العادة القديمة في ليالي رمضان والعادة
مندوب اليه بيد أن الكثير يشتغل بالملاهي كسماع آلات الطرب في القهاوي أو
لعب الورق المسمى بالكارطة وهو الكثير ولهم منه أنواع شتى أشهرها ما يسمى بالتريسيتي
أو لعب النرد أو الدامة أو الشطرنج وهي الالعاب الموجودة في القطر ويوجد أيضا لعب
البلياردو والكرة بقهاوي في الحاضرة وبكثرة في غيرها لكن الاهالي انما يسهرون في
رمضان أو غيره بديارهم أو ديار أصدقائهم وبعضهم بعد صلاة التراويح يسردون كتابا
في السير أو الحديث ثم يتسامرون بالكلام وبعضهم يتعاطى أحد الالعاب المذكورة وأما
في غير رمضان فعموم الناس يبكرون الى أشغالهم ولا يرجعون الى ديارهم الا عند الظهر
للفطور ثم يعودون الى اشغالهم الى قرب الغروب وبعضهم ممن تكون ديارهم بعيدة عن
محل اشغالهم يفطرون في حوانيتهم ويوجد في حارات الافرنج ملاهي على نحو ملاهي
أوربا كما يوجد فيها قهاوي كثيرة على نحو قهاوي أوربا ومنازل للمسافرين مثلها ولكن
أعيان الاهالي يتحاشون عن الدخول الى الجميع وان كانت مخالطتهم مع الاجانب
وغيرهم حسنة وقد كان لعموم الاهالي ولوع بالفروسية ولهم في مسابقة الخيل مواكب
تسمى ملاعب يعقدها كبراء الحكومة أو كبار العمال ومن له انتساب الى الاعراب

خارج الحاضرة في احدى الجهات المتسعة ويستدعون اليها الفرسان فيأتون باحسن الملابس والسروج المزركشة بالذهب والفضة والسلاح مثل ذلك وتارة يلبس الفارس على رأسه شيأ من ريش النعام يسمى عرروج والاصل فيه تعليم النبي صلى الله عليه وسلم لسيدنا حمزة في احدى الغزوات بريش كما في عيون التواريخ والحاصل ان لبس الفرسان جميل جدا ولهم براعة في الحركات الحربية فترى الفارس في حال السباق يطلق ويعمر مكحلته عدة مرار وتارة يطلق أربعة مكاحل كل بجنبين ثم يطلق قرابينه ثم اربعة طبنجات ثم يخترط سيفه وجميع ذلك السلاح محمول عليه ولا يعطل له شيأ من خفة حركاته وتراه اذا اخترط السيف يصير بين كر وفر وبعضهم في حالة السباق يدلي يده الى الارض ويحمل منها قبضة من تراب وبعضهم يفرش له بمحاذاة ميدان السباق رداء من حرير في نهاية المسافة ففي حالة الركض النهائي جديده ويرفع طرف الرداء ثم وسطه ثم آخره وبعضهم يركض فرسه وبينما هو في حالة السباق واذا بالفارس يقف على رجليه فوق السرج ويطلق البارود ثم يجلس ويلتصق بدبر الفرس ثم يلتصق بحزام الفرس ثم يقف على رأسه ويديه فوق السرج ورجلاه الى فوق وعليه مكحلة ثم يدع المكحلة ويلتقمها بيده ويجلس ويطلقها كل ذلك والحصان في نهاية ركضه وجميع اعماله في بعض دقائق وهذا العمل الاخير من النادر في الفرسان ومنهم من يلعب في دائرة لا يتجاوز قطرها عشرة اذرع والحصان في حالة ارباع بل رأيت من يركب على حصانه ويركز الحصان رجليه في الارض ويرفع يديه معا ويلتفت يمينا فيطلق فارسه القرابينة ثم يرفع يديه كذلك ويلتفت شمالا فيطلق فارسه القرابينة ايضا والحال انه عمرها في مدة رفع الحصان يديه ويستمر ذلك كذلك بالتتابع نحو نصف ساعة وليس بين الطلقة والطلقة الا بضع ثوان من الدقائق الزمانية على غاية من السرعة والتتابع وهذا ايضا نادر ومنهم من يخترط السيف ويصير مع راجل او فارس مثله في غاية الطعان والكر والفر والحاصل انهم يشخصون حالات الحرب بالخيل على انواع شتى وتكون اذ ذاك طبول الحرب تعرف ومعها مزامير العربان وذلك اعظم العاب الاهالي التي يفتخرون بها ولا يقدرون في اتقانها وذلك مبني على امر ديني وهو ما ورد من ان كل لهو حرام الا ثلاث منها ملاعبة الفارس لفرسه وورد ايضا الحث على الفروسية وعلى السباق وأبيح فيه الخطر اذا كانت مع ثالث فلذلك كانت هاته الخصلة مما يتنافس فيها من رجال الحكومة وغيرهم في جميع القطر لكن في هاته المدة الاخيرة تناقص الامر منذ كثرت الكراريس

وربما

وربما صار الكبراء يتنزهون عن اللعب بخيلهم جهرة نعم بقي ركوب الخيل مرغوب فيه كما ان الصفات الاولى لا زالت عامة في البلدان والاعراب وهو الحق لانهما من صفات الرجولية والدين وعما يشملها قوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وهاته الحالة تستلزم الرماية التي هي من مشمولات القوة المأمور بها في الآية الكريمة وقد تجرد منها اغلب اهل الحاضرة حتى ان بعضهم لا يكاد يستطيع ان يطلق طبانجة كما انه لا زال في الحاضرة وبعض البلدان تعليم الخيل والبغال من نوع المطلقة وهي ان يرفع الحيوان يدا ورجلا معا من احد شقيه على الاستقامة ثم الشق الآخر ليكون سيرها اينا لا يتعب الراكب بخلاف الخبب ثم يتغالون في ذلك التعليم الى ان يصير الحيوان به مجاريا للراكض ولهم في ذلك اعتناء بحيث تجد منهم جماعات يخرجون كل عشية صيفا ونزهة الى حد الاماكن القريبة من الحاضرة النزهة كبستان فتح الله قرب شوشة رادس او منوبة في قهوة سيدي ابن الابيض او سانية الاحواش وبعد الاستراحة هنالك يركبون ويتسابقون بالسير المذكور وربما اعتنى بعض غير الاعيان حتى بالمسابقة على الحمير بالسير وقد يوجد بعض منها يسابق الخيل والبغال مع ان هاته يمكن ان تجاري الحصان في ركضه اذا لم يكن شديد الجري والخيل على حسنها في القطر يعتنون بتربيتها وتهذيب اخلاقها كي تصير مساعدة للفارس في جميع اغراضه ثم ان الاهالي ينقسمون الى ثمانية اقسام الاول الاصليون من البربر والثاني العرب وهم الذين قدموا عند الفتح ثم بعده على اجيال عديدة والثالث الاندلسيون وهم الذين قدموا عند تغلب الاسبنيول على بلادهم والرابع الترك وهم الذين وردوا عند الاستيلاء على تونس ثم من ورد منهم بعد ذلك والخامس السودان وهم الذين جلبوا من دواخل افريقية ابيعوهم والسادس الجزائريون الذين رحلوا بعد استيلاء الفرانسيس على الجزائر والسابع اليهود وهم قدماء في السكنى والثامن الوافدون من اوروبا فالاقسام الستة الاول تخالطت نسلهم ولم يبق يميز بينهم الا قليلا من البربر في جهات الاعراض لا زالوا يستعملون لغتهم وكذلك قليل من السودان يتميزون بلونهم وقليل من اهل الجزائر يتميزون بمجرد علمهم وانتمائهم واللون الغالب على الجميع هو لون البياض المشوب بحمرة ومنظرهم جميل بل كثير منهم الحسن وهم اقوياء لطيفون اهل مروءة وتواضع وبشاشة وحسن معاشرة

(مطلب في التجارة) اعلم ان اغلب الاهالي تقاصروا في هذا الميدان وصاري

الا انهم يتجرون في البضائع التي تنفق في البلاد الاسلامية باخراجها اليها ويجلب
ما يروج من بضائعها في القطر مع ان أغلب الخارج منه والمجلوب اليه من بلاد اوربا
وكله منحصر في الاوروباويين الا نادرا من الاهالي ثم ان قيمة التجارة بين الداخل والخارج
لا يتجاوز معدلها الاربعين مليون فرنكا في السنة فاما البضائع الخارجة فهي
الحبوب من قمح وشعير وفول وغيرها وكذلك الزيت والصوف الساذج والمنسوجة
والقطن والاسفنج وبيض السمك ولحم نوع منه ومنسوجات الحرير والقطن
والشاشية وأشباه ذلك مما هو ... وأما البضائع الداخلة فهي كثيرة فمنها المنسوجات
القطنية والحريرية والصوفية وانواع الاخشاب والحديد والقزدير والسكر والقهوة
وأواني النحاس وغير ذلك مما هو محتاج اليه في الحضارة ولا وجود له من نتائج البلاد
وجل السلع الى خارج القطر في السفن البحرية وقد رسى باعظم مراسي القطر
وهو حلق الوادي في سنة ١٢٩٥ مائتان وسبعة وخمسون بابورة واربعمائة
وثمانون سفينة شراعية كلها للاجانب الا عددا يسيرا وأغلب الاجانب رواجا
في التجارة هي التجارة الفرانساوية والطليانية وأما حمل السلع في البر فهو على ظهور
الابل والبغال والحمير والعجلات المسماة بالكرطونات وواسطة المواصلة ثم فرق
من تجار القطر يسمون بالجلابة تكون لهم دواب وافية ويكونون ذوي عرض وامانة تسلم
اليهم التجار البضائع وهم يبلغونها الى حيث شاء بعدت أو قربت ولكل جهة جلابون
مخصوصون ولا يكون ذلك الا بين البلدان وأما القبائل الاعراب فلهم قوافل يجتمعون
عند قصد احدى البلدان أو الاسواق التي تقام في أيام من الاسبوع باحدى الجهات
كسوق الخميس قرب الركبة وامثاله ويحملون على دوابهم ما اشتروه ويرجعون الى
أماكنهم ولما كانت الطرق الصناعية قليلة تعطل أغلب التجارة زمن الشتاء في
دواخل القطر لكن الطريق الحديدية المارة الى الجزائر سهلت التجارة الى الجهات
الغربية كما انه رتبت بواخر للبريد ولنقل السلع بين مراسي القطر الشهيرة زيادة على البرد التي
هي عثمانية تأتي اسبوعيا من أوربا اثنان الى فرانسا والجزائر واثنان الى ايطاليا
وأربع الى مالطا وقد يأتي غيرها على غير انتظام وليس للاهالي من السفن شيء الا قليلا
من ذات الشراعي لاهل جربة وصفاقس والساحل

(مطلب في ترتيب الاحكام والادارة) الآن الوالي يجلس يوم السبت في كل اسبوع غالبا
بمحل من قصر الادارة الكائن في باردو يسمى هذا المحل بالمحكمة وهو بيت كبير
مستطيل

مستطيل وبصدره كرسي ذو درج مموه بالذهب وعليه تاج معلق والدرج مكسو بالحبر
نوع من منسوج الحرير الثخين العالي يجلس عليه الوالي ويوضع بجنبه زوج طبانجة
ويقف عن يمينه وشماله على الدرج من حضر من أهل بيته ويقف الوزير عن يمينه من
أسفل الدرج بحيث يكون مواجها الى الجهة اليسرى من الوالي ويليه بقية الوزراء على
حسب أسبقيتهم في الوظيفة ثم يليهم كبراء العساكر النظامية ثم رؤساء العساكر الخيالة
غير النظامية المسمون بالأغوات ثم العمال والأطاباشية والكواهي أي الصنف الثاني
والثالث من رؤساء العساكر الخيالة الغير النظامية وعند نهاية الصف عن اليمين يتممون
الصف من اليسار فإن زادوا جعلوا صفا ثانيا وراء الصف الأول ويجلس باشكاتب على
مصطبة على يسار الوالي مقابلا للأول الصف الأيمن ثم يليه مصطبة طويلة يجلس عليها
كتبة أقسام الوزارات على حسب رتبهم ثم يقف تجاه الوالي عن بعد في آخر الصفوف
مجموعة رجال يسمون شواش السلام والشطار بلباس أحمر مقصب بالقصب وعلى رؤسهم
شواشي مخروطة مرابطها قصب وعليها حلى الجسم تقطع من النحاس الأصفر ومغروز فيها
أنواع من ريش أجنحة الطير الطويل وبأيديهم معاول طوال من النحاس الأصفر
يركزونها ويتكئون عليها وعند جلوس الوالي في ذلك المجلس يرفع صوته كبير هؤلاء
الشواش بكلام باللغة التركية معناه دعاء بالنصر والتأييد للوالي ثم يرفع صوته بقوله
سلام ورحمة الله ثم يقف وراء هؤلاء رؤساء الدولة أي أصحاب الباب وتعزف الموسيقى
العسكرية عند دخول الوالي لذلك المحل ويأذن إذ ذاك الوالي بإدخال أصحاب الشكايات
فيرفع صوته رئيس الدولة بقوله باش جانبا أي يا رئيس الحواجب أدخل وهو الترجمان
بين الوالي والمشتكين لا لكون الوالي يحتاج الى فهم لغة المشتكين بل لكونهم بعيدين
في الوقوف عنه وربما يكون بعضهم لا يحسن الالقاء لدعوته رهبة أو انخفاض صوته
فيبلغ باش جانبه للوالي معنى كلام المشتكي وهاته الوظيفة لها كبيران أحدهما من
العرب والآخر من أبناء الترك وللأول تقدم على الثاني فالمشتكي إن كان من المالكية
يمسكه الأول وهو الذي يتولى الوساطة في أمره وإن كان من الحنفية فرجع الى الثاني
ولكن هؤلاء هيئة أخرى في القاء الشكاية فإن باش جانبه لا يمسكه ويقدمه الى قريب
من الوالي وبعد استقرار باش جانبة بموضعه أمام الوالي يرفع صوته بقوله باش بواب
شكاية أي يا كبير أصحاب الباب أدخل المشتكين فيرفع صوته هذا خارج باب المحل
بقوله باسمه ثم يدخل المشتكون فرادى فرادى على حسب الصدفة وتقدم المشتكي

بالارد حام وربما صار التقديم باعطاء شىء من المال لكنه لا يتجاوز عشر فرنكات بالآن فادونها
وكل مشتك فى حال شكايته فى ذلك الموكب الآن زيادة عن باش حانبة القرض به تكون
عدة ثمنه الجوانب والاوطاباشية واذا كانت له حجة مكتوبة قدمها واخذها من يده
باش حانبة ومكنها الباش كاتب ويوخر اذ ذاك المشتكى ويؤتى بغيره وبعد قراءة باش كاتب
للصحة يقول مضمونها للوالى مع الاشارة الى صحتها او فسادها فيأمر الوالى بما يراه وتحصل
بذلك الموعود خصومات فى نحو ساعة او ساعتين اذا طال المجلس وربما انتهت فى ساعة
واحدة دون نازلة بلا تعقيب للحكم وكثيرا ما يستشير الوالى وزيره سرا فى النوازل او يسأله
عما يعلم فيها كما ان الوزير كثيرا ما يشير عليه فى بعض النوازل ابتداء وكثيرا ما يأمر
الوالى بارجاع بعض النوازل الى الشرع او الوزارة واذا كان هناك بعض من يحكم عليه
بالقتل فانه يؤخر دخوله الى آخر المجلس والغالب ان يكون هذا النوع ما حكم عليه فى
مجلس الشريعة ورفع للوالى لينفذ الحكم المكتتب به بعد اجراء جميع اللوازم الشرعية
وحاول مدة المناصلة والمرافعة لدى المجلس الشرعى او يكون قد حررت نازلته فى
الوزارة وفى النادر ان يؤتى بالمشتكى به من ذلك النوع بديهة للمحكمة ويصدر الحكم
بقتله فى الحين ويخرج فى اثر المحكوم عليه بالقتل احد الشماراى الجلادين ويقطع راسه
قدام باب باردو او باب المدينة التى فيها الوالى او يشنق هنالك فى مشنقة من خشب وهو ان
يربط عنقه فى حبل ويكشف بداءة او يعلق من عنقه فيختنق وتارة يعلق كذلك فى سور
المدينة القديم قرب باب سويقة وعند تمام المشتكين او ما الوالى يقول يا باش حانبة
عاقبه فيرفع صوته بها باش حانبة فيرفع صوته بها باش بواب ويقوم الوالى ويصل
الوطن فيجرى اذ ذاك باش حانبة ما امره به الوالى من ارسال الاعوان لطلب المدعى
عليهم او خلاصهم وكذلك يكاتب بحضر الكاتب التى صدر بها الاذن ولا تحضر الا من
[illegible] يفتتحها الوالى على نحو ما يأتى وجميع من حضر فى ذلك الموكب من الموظفين
يكونون امامه لاعتيادى الامر لمرتبة عسكرية فانه يتقلدها فى منطقته وقبل دخول
الوالى للمحكمة يجلس فى بيت ابيق فى سراية الحكومة على كرسى اصغر مما سبق ويدخل
عليه الوزير وحده او انه يأتى معه من قصر سكناه ثم يجلس الوزير عن يمينه وامام بيت
الوالى من شماله وقوفا ثم يأذن الموظفين بالدخول فيدخل اولا الوزراء وبعض مشيخة
الموظفين الكبار المتقاعدين وكل من وصل منهم الى الوالى قبل يده واذنه بالجلوس
فيجلسون يمينا وشمالا واعلاهم شمالا الباش كاتب واصحاب الجيب يجلسون دون الوزير ثم
يدخل

يدخل كبار المتوظفين على صف واحد وكل من انتهى الى الوالى قبل يده ورجع خارجا
ثم الذين يلونهم ثم وثم الى ان يصل الوالى اصغر المتوظفين كالاعوان الذين يرسلون لجلب
المدعى عليهم والهيئة المتقدمة فى المحكمة هى الهيئة فى سائر المواكب الكبار كالاعياد غير
ان هاته تكون فيها الناس بالالباس الرسمى المزركش بالفضة والذهب وتكون ايضا
فى محل آخر كبير من المحكمة وهو بيت عظيم يصعد اليه بدرج كثيرة مكسوة بالملف نوع
من المنسوج الصوفى الاحمر والبيت مفروش بالزرابى والستائر الحريرية الرفيعة
وكرسى الوالى اكبر واحسن من السابق والكتاب لا يجلسون فى هذا الموكب والناس
كلهم وقوف ومتولى ادارته هو امير لواء العسكرية وعوضا عن دخول المشتكين يدخل
المهنئون أفواجا أفواجا على نحو ما تقدم فى تقبيل يد الوالى من المتوظفين ويجرى ذلك
على كل القادمين من جميع المتوظفين واصحاب الرتب العسكرية النظامية وغيرها
والاهالى وما عدا الا أهل المجلس الشرعى وخواص السادات الاشراف والمدرسين فان
الوالى يجلس لهم مجالسا خاصة بعد الموكب العام مخصصة بعضه فى بيت أدنى أهل الاول
ويدخل عليه كل فرقة من الفرق الثلاث وحدها واولها أهل المجلس الشرعى معا الاول
فالاول فيقف اليهم ويتقدم لهم خطوات ويعانقه ويقبل كل منهم كتف الآخر ثم يجلس
ويجلسون لخفية من الهيبة والمالكية من الشعال ويؤتى اليهم بأطباق من الفضة
فيها شئ من الحلو ويطعمه الوالى معهم ثم يرشون بالطيب ويقرؤن الفاتحة ويقوم الوالى
لوداعهم ويقبلونه أيضا مثل ما صار عند دخولهم وينصرفون وهكذا غيرهم غير انهم
لا يقوم لهم الوالى ويقبلون ذراعه الا بعضا من السادات الاشراف فانهم يقبلونه مثل اهل
المجلس الشرعى وبعض المدرسين من الطبقة الثانية يقبلون كمه كسائر الناس وكذلك
لا يجلسون ولا يتكلمون وعند فراغ آخرهم من التقبيل واولهم وقوف يمينا وشمالا
يقرؤن الفاتحة وينصرفون وهكذا كل مرة دخلت عليه فى الموكب لاول الا المتوظفين
فانهم يقفون ويزدحم بهم الموكب لانه يجتمع فيه أغلب المتوظفين ولو من جميع جهات
القطر والذين يقفون هم أصحاب الرتب من العسكرية او الكبار من غيرهم وموكب المعايدة
يدوم يومان واولهما اعظم من الثانى وكلاهما مما صار وفى اليوم الثانى يقدم عليه قناصل
الدول ويدخلون عليه على حسب اسبقيتهم فى الوظيفة وكل منهم معه متوظفو قنصلاته
فيهدونه ويفهمونه بصافح القنصل ويتخاطبون بالترجمان بكلمات فى التهنئة والموكب
مختلف كما سبق ذكره الى أن يتم واجلاس الوالى على كرسيه ويتم بقية الاهالى على نحو

ما سبق ولا يختص هذا الموكب بأعيان الأهالي بل حتى أصحاب الصناعات وفي بقية
أيام يكون الوالي في قصره ولا يجتمع به إلا الوزير الأكبر يوميا بل هو الآن ساكن معه
في قصر واحد وفي يوم الاثنين قرب الزوال يقدم عليه الوزير ومن كان في الوزارة
من المتوظفين وإذا كانت هناك نوازل تلزم فيها المذاكرة أمام الوالي تكون في أحد
ذينك اليومين أعني يوم السبت والاثنين أو يدعوهم الوزير بالخصوص ليوم معين
وجميع الولايات إنما تكون بإذن الوالي وكتبه لرقعة في ذلك تسمى أمرا وأما كيفية
إدارة الوزارة فقد سبق ذكرها في الكلام على وزارة خير الدين باشا والإدارات على تلك
الهيئة والمتوظفون يأتون في بكرة النهار إلا يومي الخميس والجمعة وينفصلون
منها عند الزوال وعندما يأتي الوزير ويجلس في البيت الخاص به يقدم إلى السلام عليه
جميع كبراء الأقسام ثم يتوجه كل إلى محل مأموريته وكل في بيت خاص يجمعها قصر
واحد في ناحية من قصر الوالي لإدارة الحكومة ولكل من أقسام الوزارة كاتب
وأعوان وتكتب في النوازل محصلات ويمضي الوزير على الرأي فيها ثم تعرض على الوالي
وهو يمضي على ما يراه الوزير وتسمى تلك المحصلات معاريض وتجري على مقتضاها
الأمور وكثيرا ما يجري أمر الوزير بمقتضاها وترسل تلك المعاريض مع بطاقات الأوامر في
ظرف مختوم ليمضيها الوالي بخطه في المعاريض وختمه في الأوامر ولكل عمل من الأعمال
التي مر ذكرها عامل خاص إلا الحاضرة فإن كبيرها يلقب رئيس الضابطة والغالب أن
يسكن العامل في محل عمله وله نائب يلقب بالخليفة وتحته مشايخ على عدد أفخاذ القبائل
ولكل عامل أعوان على حسب كبر عمله وصغره وترفع إليه الشكايات ويحكم فيها برأيه
وكذلك خليفته والشيخ عند مغيب العامل ولا يختص حكمهم بنوع من أنواع الخصومات
وإنما الغالب أن نوازل صنف الجنايات في غير المنقول والزواج والأوقاف والمواريث
يرجعون إلى الحكام الشرعيين وهؤلاء لهم مجلس في الحاضرة فيه قاض حنفي ومثله مالكي
ومفتيان حنفيان وخمسة مالكية ورئيس الحنفية يلقب شيخ الإسلام ومثله المالكية
يلقب أحيانا أيضا بذلك وقد يزاد أو ينقص من عدد المفتين ولهم محل خاص يسمى دار
الشريعة يجلس به يوميا صباحا القاضيان ومفتيان من المذهبين على التناوب وفي يوم
الخميس يجتمع جميع المجلس ببيت كبير ويحضر اليوم رئيس الضابطة للمشورة في النوازل التي
يريد الخصم فيها العرض على المجلس ولا يرضى بحكم القاضي أو المفتي وحده ورئيس
الضابطة ينفذ ما يلزم فيه قوة العصب إلا القتل فإنه يرفع إلى الوالي وفي كل من بلدان

القيروان

القيروان وسوسة والمنستير وصفاقس والاعراض وتوزر ونفطة والكاف وباجة مجلس
شرعي أقل ائتلافه من قاض ومفتي ورئيس فتوى يجري به العمل مثل ما هو في الحاضرة
لاجراء التحقيق فيها من مجلس الشريعة والمعتمد هو العامل كما أن في نابل والمهدية وجربة
وقفصة مفتي مع القاضي وبقية الاعمال ان كانت كبيرة ففيها قاض فقط وللوالي
التصرف في جميع النوازل نقضا أو ابراما وكذلك الوزير وأما القابض لاموال الحكومة
أو العمال فهو من اليهود الا قليلا من العمال بمجرد عادة في ذلك ويتوظف منهم مترجمون
ونظار على الصناعة ودار السكة كما يتوظف من النصارى في الترجمة وغيرها الا العمال
والوظائف الدينية ثم ان جميع العقود التي تحتاج الى الشهادة وكذلك كتب الحجج
وصكوك الاملاك خاصة انما تتعاطاها العلماء والمنتسبون الى العلم يوليهم الوالي ويسمون
الشهود أو العدول وهم بالخصوص الذين يباشرون ما ذكر ولا عليهم حوانيت ممنوحة لهاته
الصناعة في سائر البلدان وكذلك قبائل الاعراب ويوجد في خصوص الحاضرة مجلس
بلدي لمصالح الطرقات والبنا آت ومجلس مختلط للاحكام بين أغلب الاجانب والاهالي
فيما دون الالف ريال وجمعية للاوقاف ولها نواب في سائر القطر ومجلس تجارة ومجلس
لحفظ الصحة أعضاؤه القناصل ومستشار الخارجية ورئيس المجلس البلدي وشيخ المدينة
ولكل من المدينة والربضين شيخ لبعض النوازل العرفية وحفظ الامن الا ان الضابطة
فهي موجودة غير منتظمة وأمور المعاش يقومها القاضي المالكي ولها أمناء
يطوفون عليها لحراستها من الغش وأما بقية المملكة فليس فيها الا الحكام المار ذكرهم
أو بعض امنائه على الصنائع أو المعاش

(مطلب في المعارف) الموجودة الآن ومناحها جامع الزيتونة من الحاضرة هي العلوم
الدينية ووسائلها وهي القرآن والتفسير والمصطلح والحديث رواية ودراية والعقائد
وأصول الفقه حنفية ومالكية وشافعية والفقه الحنفي والمالكي والمنطق والمعاني
والبيان والنحو والصرف والاشتقاق والعروض والادب والتاريخ والحساب والهيئة
والمثلث واللغة ولكل كتب معينة للاقراء بالجامع الاعظم كما هو معين في قانونها الذي
أحدث في وزارة خير الدين باشا ومنها معهود وكتب لابد من وجود اقرائها كما أن مواد
المطالعة والتحصيل سهلة بخزائن الكتب الموقوفة في الاسلام الا ما ندر مما هو في اللسان
العربي وقليل جدا بالتركي والفارسي والفرانساوي ومشايخ جامع الزيتونة الموظفون
ولهم مرتب مائة وخمسون ريالا بالاشهر وعددهم ثلاثون مدرسا وللطبقة الثانية مرتبها

تسعون ريالا شهريا وعددها اثنا عشر مدرسا والذين لا مرتب لهم وانما لهم
اعانات سنوية مما يحصل من مخلف المدرسين والخصم عليهم من مرتباتهم عددهم نحو
ستين وهم يزيدون وينقصون وعدد التلامذة بالجامع المذكور نحو الثمانمائة
ويزيدون وينقصون أيضا وكيفية الدرس حسنة لالقاء والسؤال والجواب ولا يطول
الدرس أكثر من ساعة كما توجد مدارس نحو الخمسة عشر مدرسة يقرأ بكل منها
درس أو درسان من الفنون المذكورة وكذلك بعض جوامعها قليل من الدروس وتوجد
المدرسة الصادقية تقرى مبادي فنون الديانة واللغة مما مر ذكره وتقرى الفنون
الرياضية واللغات التركية والفرانساوية والطليانية ومن الرياضيات الحساب والجبر
والهندسة والهيئة والطبيعيات والجغرافية ومبادي الطبيعيات وهي تعلم مجانا المائة
وخمسين تلميذا وتقوم بأكلهم نهارا ومنهم خمسون تقوم بهم حتى في السكنى واللباس
وكذلك يوجد مكتب انشأه قسيس الفرنسيس في قصر لويس يعلم العلوم الرياضية
واللسان العربي والفرانساوي والطلياني وتلامذته لا يبلغون الخمسين الآن ويوجد
مكتبان للفرانساويين ايضا بالحاضرة يسميان مكتبا الفرير تلامذتهما نحو اربعمائة
وكذلك مكتب للطليانية نحو مائتي تلميذ وكذلك مكتب لجمعية اليهودية نحو ستمائة
تلميذ كلها تعلم مبادي الرياضيات واللغة الفرانساوية والطليانية والعربية ويعلم لبعضها
من الصنائع كشيء من الفلاحة والموسيقى ويعلم اللغة العبرانية وكلها تعلم لاغنيائهم بالمال
وبعضها يعلم الفقراء مجانا كما يوجد فيها مكتب للبروتستنت من الانكليز نحو مائتي تلميذ
كما يوجد بالحاضرة نحو مائة واحدى عشر مكتبا للقرآن العظيم والكتابة العربية نحو
ثلاثة آلاف وخمسمائة تلميذ وأما جهات القطر فلا يوجد الا في قليل من البلدان شيء
من العلوم الدينية كالفقه والعقائد على قلة والنحو وأشهر البلدان بذلك القيروان
وصفاقس والمنستير وسوسة وجربة والاعراض والكاف وباجة وابن زرت وبعضها
يزيد شيء من الادب والحديث كما يوجد في بعض زوايا الصالحين بالقبلة شيء من
القراءة والكتابة والفقه وجميع الجهات انما يقرأ فيها الفقه المالكي الا المهدية
والمستير فيوجد أحيانا الفقه الحنفي أما غير ذلك فلا نعم توجد مكاتب للقرآن ومبادي
الكتابة العربية في جميع البلدان والقرى بحيث لا تخلو قرية عن ذلك فضلا عن بلد
ويقرب جميع تلامذتها نحو اثني عشر ألف تلميذ لكن هيئة التعليم قاصرة للغاية في
هاته المكاتب الابتدائية ولو في الحاضرة بحيث يمكن أن يبقى التلميذ فيها عشر سنين

ولا

ولا يحصل على حسن القراءة والكتابة وإعمال الحسب منهم يخرج حافظا للقرآن المجيد
فقط وأما بقية التعاليم المار ذكرها فهي جيدة سيما العلوم الدينية بجامع الزيتونة
تخرج منه فحول تزين المسلمين ولهم براعة في كل الفنون سيما الانشاء بالعربية الذي كاد
أن يشبه أسلوب الأعجم في عدة جهات فان علماء تونس لهم براعة في ذلك وهم
محافظون على الأسلوب العربي ومحترزون عن اللحن وان وجد في الكتبة او الشهود
من يلحن فذلك من تقليد الوظيف لغير المستحق كما أن أصحاب الاقلام أو الشهود مطلقا
محافظون على الشعائر الدينية في كتبهم حيث يفتتحون كتبهم بالحمد لله والصلاة
والسلام على رسول الله محمد وآله ومن والاه.

(مطلب في الصنائع) أهم صنائع الأهالي هي الفلاحة وما زالت الأهالي على الطرز القديم
ويأخذونها عن بعضهم بالمشاهدة مع ان فيها كتبا عديدة بخزائن الكتب لا يلتفت اليها
احد ولذلك انحطت رتبة هذه الصناعة عما كانت وقل العمران مع انضمام أسباب
سياسية كما تقدم شرحه وصناعة التلقيح في الأشجار لا يعلمها الا القليل ولذلك حصل
الاوروباويون على تقدم عظيم في القطر في هاته الصناعة ولو في زرع الحبوب وكانوا فيها
أكثر ربحا من الأهالي وكذلك من أعظم مكاسب أهل القطر زيت الزيتون فاما جمعه
واستخراج زيته فهو بيد الأهالي ثم يبيعونه اما للأهالي أو لتجار الأجانب وأما التجارة
فيه بخارج القطر فهي بيد الأجانب الا قليلا من الأهالي كما انه دخل في جمعه واستخراج
زيته قليل من الأجانب عندما تقدمت المعامل بالبخار لاخراج الزيت وهي قليلة بل
ليس منها الا واحدة في الحاضرة وهنالك قليل من المعاصر على الطرز المخترع في أوربا
والأكثر على الطرز القديم لدى صنعه اما بداس أو نوع آخر أقدم منه وكلاهما لا يتقن
اخراج الزيت من زيتونه وأما صناعة الشاشية فانها كانت هي عيال أكثر أهل
الحاضرة ومنذ صنعت الشاشية بالمعامل في أوربا رخصت ولا زال صناعها بتونس
متمسكين بالآلات القديمة وهي تكلفها غالية فلا زالت في تناقص الى أن كادت أن
تكون مقصورة على أهالي القطر وقليل من غيرهم وبقي من حوانيتها نحو ثلاثين أعني
الذين يخدمون حقيقة بعد أن كانت حوانيت هاته الصناعة تبلغ نحو الالف وبسبب ذلك
بقي أكثر الناس في الحاضرة بلا صناعة ويوجد من الصنائع في الحاضرة صنعة البلغة
وهي نوع من الأحذية وهي رخيصة وصناعة الكندرة نوع مما ذكر وهي رائجة وهي
بيد اليهود والافرنج وأصحاب صناعة الصبابط التي هي نوع مما ذكر أفلسوا الا من لا زالوا

متمسكين بخياطتها على الهيئة القديمة والناس تركوها وأبدوا من حملها على أسلوب الكثيرة لمجرد الاعتياد لهن أن أفادوا ولم يعدوا هاد بأعمالهم على مصلحتهم وكذلك توجد صناعة العطارين أى الطيب والحرارية أى نساجي الحرير وصناعتهم متقنة وفيها بعض رواج ويصنعون أشياء مخلوطة من الحرير وخيوط الفضة ونوعا من الحرير الصرف المسمى بالختم وفى بعض أنواعها رغبة فى حواضر أوروبا ويوجد لها مروج سيما الطيلسانات ويوجد أيضا صناعة الزوارزية أى الخياطين ولهم براعة فى خياطة الابريسم على أشكال من الزوارديه فى سراويل النساء وغيرها وكذلك صناعة الحياكة للمنسوجات الصوفية وفيها رواج كالبرانس وغيرها ولو تجدد المروج لكانت من أعظم أسباب الرفاهية للقطر وتوجد صناعة الصاغة وصناعة السروج ولأصحابها براعة فى الطرز فى الحرير والفضة والمدس أى قطع من الفضة مموهة بالذهب مثقوبة لوسط يمسكها خيط الطرز وكذلك صناعة الحدادة وهى قاصرة وإن وفد من الأوروباويين التقدم التام على الأهالى وكذلك صناعة النجارة أى نحت الأخشاب ولأهلها براعة فيها وكذلك البناية وكذلك النقاشة أى نحت الأحجار وكذلك صناعة طرز الحرير والصوف والخيط والقطن والفضة والمدس على المنسوجات وهى خاصة فى النساء وزدن فى هاته المدة تقدما فيها بما تعلمن من الأوروباويين حتى صارت تقوم به ثلاث وتوجد صنائع السلاح بأنواعه لكنها متأخرة ويوجد معمل للمدافع وآخر للسفن وكلاهما معطل وتوجد معامل كثيرة للكراريس وكذلك توجد صناعة الشمع للقطن وهى ضعيفة رديئة وكذلك صناعة تجليد الكتب وهى حسناء وصناعة الشمع وهى قليلة وكذلك صناعة نقش حديدة أى النقش فى الجص التى هى من أبدع الصناعات التحسينية على الجدران وكذلك صناعة الدهن أى التلوين وصناعة الفخارين أى صنع الأوانى من الطين وكذلك نوع يسمى بالجليز يلصق على الجدران وعلى أراضى البيوت ولكن نوعه ردىء ولأهله اقتدار على إيصاله للحسن المعهود فى أوروبا إذ كان عندهم قديما أحسن منه وإنما يحتاجون إلى الإعانة وأما الموسيقى فلهم مهارة فى معرفة الألحان يأخذونها على قواعد وإنما هى بالسماع من بعضهم ويعتنون لأخذها فى بعض الزوايا التى تعقد فيها اجتماعات لأجل الذكر كسرد البردة ومدائح قادرية وهذا العمل اختلف فى جوازه لكن الراجح جوازه شرعا إن لم يكن فيه تشويق لمحرم فالتحريم على كل حال ليس لذاته وإنما هو لما يتوصل به إليه ثم إن هذا الجواز ليس هو إباحة كما

يظن

بطن العوام وسيأتى للمسئلة بسط فى خاتمة ان شاء الله تعالى كما ان لهم معرفة فى فن
الموسيقى أى دق آلاتها ويأخذونها عن بعضهم والآلات هى الرباب والعود والجرانة
وكلها من ذات الاوتار والطار والدف والدربوكة وهى أكبر منه والطبل والجميع من
نوعه والنكرزيطة والناى والغيطة والشبابة والصفارة والمحل وكلها من آلات النفخ
ويضربونها بدون أوراق امامهم بل من حفظهم وفيهم المهرة وهاته الصناعة فى الموسيقى
قد ذكر فى الاغانى انها كانت مضبوطة على نمط واحد بحيث لا يخرجون عما كان مسموعا
من الطرق يأخذها الخلف عن السلف الى أن دخل فيهم ابراهيم ابن المهدى عندما أراد
الامن على نفسه بتنصله من سمات الخلافة فزاد فيها ونقص على حسب ما يستلذه هو
ثم حمل من تبعه بذلك ما يستلذه السامع ولو خالف الطرق الاصلية وتمادى الامر على
ذلك الى أن فقد الآن ما يعرف به الالحان التى كانت تستعمل فى تلك الاعصار ولهذا
لا يمكن فهم ما يشير اليه فى كتابه الاغانى من الطرق والالحان ثم ان حكم سماع الآلات
الملهية هو عندنا الحرام الا الدف وما كان على شاكلته مما لا اوتار فيه اذا ضرب فى الافراح
الجائزة لكن رأيت رسالة لسيدى عبد الغنى النابلسى مال فيها الى الجواز ان لم تؤد الى محرم
مقطوع به كما رأيت سؤالا للنووى فى اجتماع الشد وحرمة الغيبة او السماع لآلات اللهو
أجاب عنه بان لا مقايسة بين الامرين فان الغيبة محرمة اجماعا بخلاف سماع آلات
الطرب فانه مختلف فيه والائمة المسلمون يتمسكون بقول أحد المجتهدين ثم توجد بقية الصنائع
الضرورية كالبنايين والجزارين والقصارين والفحامين والحلاقين وغيرها بحيث يقال
ان أصحاب الصنائع الحاجية معروفة والكماليات مرغوبة بالاستغناء عن جلب المصنوعات
من خارج القطر بحيث من اطرى للباس أهل المدن ومساكنهم وفرشهم يعد أعلاها من
مصنوعات الاجانب وذلك حسب افتقار المملكة وأما خارج الحاضرة فالمدن يوجد فيها
ما يقرب مما تقدم بأقل درجات لانحطاطهم عما هو التقدم على الحاضرة ومن ذلك
منسوجات العرش فى الجريد فان ما يصنع منه فى توزر وهو من أرفع ما يوجد فى العالم
وكذلك يصنع فى جربة ولها نوع يسمى بالمسوقى من الصوف والحرير صفيق من أرفع
المنسوجات وكذلك يصنع فى القيروان الا وفى النحاس وفى نابل أنواع من الطين الرفيع
المرغوب فى كثير من الجهات وكذلك يصنع فى الكاف نوع من البرنس رفيع وأما أهل
البوادى فلا يعرفون الا صناعة الفلاحة المتداولة والرعى للحيوان والفروسية والصيد
ولاهل جبل باجة ومطاطر معرفة بصناعة البارود وسائر القبائل تعرف نساؤهم صناعة

نسج الصوف لفرشهم ولباسهم ونسج بيوت الخيام من شعر المعز والابل والمدل كان لبعضهم اتقان في صناعة البسط من الصوف كقبائل دريد وجلاص ومثلهم القيروان وبخصوص أهل الجريد اتقان كلى في الاردية التي تتردى بها الرجال من الحرير والصوف

﴿مطلب في المساكن والطرقات﴾ الحاضرة ذات بطحاوات وطرق صناعية مخصصة أو محجرة بحجارة منحوتة لاتتعب فيها على الماشي ولا الراكب حسنة المنظر والقليل من طرقها المتسعة أنهارية وشمالا وجميع البناآت من حجر مع بطين الرمل والجير وتارة يبنى بالآجر والقرميد وهو أقل من الاول وتارة يعوض الطين بالجص وهو أيضا أقل ثم ان دورها اما ذات طبقة واحدة أو طبقتين وقليل ما يزيد على ذلك وصورة الدار ان تدخل من الباب الذي على الطريق فتجد محلا مسقفا ان كان كبيرا سمي دريبة أي دهليزا والا سمي سقيفة ثم آخر اصغر منه ثم وسط الدار والاغلب أن تكون الابواب المدخول منها اليه غير متقابلة لكي لا يكون مكشوفا من بالسقيفة وهو محل مربع الشكل مكشوف الى السماء وبه أبواب وشبابيك الى البيوت وهو مفروش الارض اما بالرخام أي المرمر الابيض أو الكذال والجميع على شكل مربع متقن الاثبات في الارض حتى يصير كأنه قطعة واحدة مخطط في المنظر بخطوط الحدود وحيوطه مكسوة بالزليج الى نهايتها واما الى النصف والنصف الاعلى مطلي بالجص الابيض وبه نقش حديدة ونهاية الحيطان عليها افريز أخضر والابواب التي به من الاربعة الى الاثنى عشر يدخل منها الى بيوت ومرافق والبيوت غالبا بعضها احسن من بعض فأكبرها على شكلين فالشكل الاول أن يكون اذا دخلت من الباب تجد البيت طولا يمينا وشمالا وقبالة الباب بهو ذو قوس مرتفع وفي نهاية أرجل القوس تجد مرفعا اى شيئا من الخشب المتقن النقش المزوق بالالوان دائر مع حيطان البهو توضع عليه أواني رفيعة من الخزف الصيني والبلور وفي نهاية البيت يمينا وشمالا دكة دائمة عليها فرش النوم مسواة باتقان وأمامها مصاطب ومتكآت وجميع الحيطان هي نحو ما مر في وسط الدار مع زيادة اتقان للنقش والابواب كلها ذات زواية كاملة اى ليست معقوصة الا باب الدريبة ثم لكل باب أو شباك عواضد من الاربع جهات من الرخام أو الكذال أو الخشب كل جهة في قطعة واحدة وغالبا عرض العاضدة من شبر ونصف الا العواضد السفلى في الابواب فانها تكون منخفضة لا ترتفع على الارض أكثر من اصبعين وأغلب ارتفاع السقف

من

من الستة الى اثنى عشر ذراعا وهى أى السقوف اما من بناء بالآجر او الحجر المعقود او أعمدة
من حديد وآجر او قرميد او انها خشب مما يجلب من السويد المسمى بالواح الطرطوشى
والمندقى من النمسا وعلى اى نوع كانت فانها ان كانت من الخشب نقشت و زوقت
والا طليت بالجص ونقشت وزوقت وتارة يطلى الدهان بالفضة المموهة بالذهب على
اشكال بديعة مع التزويق بالالوان والاغلب فى سقوف الخشب ان تكون على هيئة
خشبات ممدودة على عرض البيت وعمقها نحو شبرين او شبر ونصف وعرضها نحو ثمانية
أصابع وكل الابواب ذو دفتين وتارة يكون ذا اربع دفف وهذا فى خصوص أبواب
البيوت وأما غيرها فلا أكثر من دفتين ثم عن يمين البهو وشماله مقاصير اثنان فاكثر
اما للنوم او الجلوس او المرافق وعلى الابواب جميعا ستارات متعددة على حسب الرفاهية
ويوضع فى البيت ايضا مرايات كبيرة على المرفع ورفوف لقطع البلور والخزف وكذلك حول
اسطوانتى البهو وهذان يوضع امامهما مائدتان من خشب الجوز المتقنة الصنعة وعليها
ساعتان وفوانيس باوانى من الزهور المصنوعة وغير ذلك من التحف وفى الشتاء تفرش
أرض البيت بحصير وعليها بسط صوفية وأما الشكل الثانى فى البيوت فانه يكون
براحا واحدا اما مربع او به استطالة والحيطان والسقف والفرش كلها على نوع واحد
غير انه يطلب فى هذا الشكل ان يكون السقف من خشب وعيدانه مغطاة من اسفل مما
يلى البيت بالواح من خشب مزوقة ايضا حتى ترى كانها قطعة واحدة والاغلب لحسن
المنظر وعدم ظهور القطع بين الالواح ان تغطى الالواح من اسفل بنوع من الكتان
او القطن على عكس امتداد الالواح وتدق بمسامير ثم تلون وتزوق كما مر وفى وسط هذه
السقوف على اى نوع كانت توضع قطع من خشب مرتفعة منقوشة باشكال بديعة
مذهبة وتمسك فى السقف بقضيب حديد مناسب ويعلق فيها ثريات من البلور وما
دون ذلك من البيوت يكون اقل اتقانا فى طلى الحيطان ومفروش الارض والستائر فقط
اما اصل الطلى وتبليط الارض بنوع صلب فلا بد منه وفى قليل من الديار الكبرى
للاغنياء يوجد بيت واحد ذو ثلاث جهات او اربع ووسطه مربع او مجمع فى اعلى نوع
من اتقان المواد والصناعة وكذلك يوجد بقلة جنائن فى الديار واما كثرت بعد وجود
ماء وعوان فى الحاضرة وكل دار لابد فيها من بئر وماجل ومطبخ وبيوت لخزن القوت
وادواته ولا بد ان يكون خارجها محل للدواب او بعض الضروريات ولا اقل ان يكون
اسفل وسط الدار او لقيمة دهليز لذلك ان لم يكن لها صحن وعليه ان يكون لها علو

بابه فى السقيفة الخارجية أو الدهليز مختص بالرجال والواردين على أصحاب الدار والأغلب
أن يكون ذلك للأعيان ويكون السلاملك تام المرافق والفرش والأكثر دون ذلك أن يكون
فى عرضه بيت واحد يجلس به صاحب المنزل ومن يفد عليه من الرجال وإذا كانت الدار
ذات طبقتين فإن الهيئة السابق ذكرها هى هى ولا يزاد فيها سوى رواقين أو أربعة أمام
البيوت فى صحن الدار تكون مرفوعة السقوف على حيطان وجوه البيوت من جهة ومن
الجهة الثانية على أقواس مستندة على أسطوانات من الرخام الأبيض المتقن أو من
حجارة الكدان والأقواس مطلية بالجص المنقوش بالنقش جديدة وفوق هاته الرواقات
رواشن للطبقة العليا ولها درابزين من الجهة المطلة على صحن الدار ومن تلك الرواشن
يدخل للبيوت التى فى الطبقة العليا وهى مبنية على البيوت السفلى وهيئة البناء والفرش
على النحو الأسفل سواء ويصعد إلى هاتيك الطبقة بدرج فى أحد الأبواب التى بوسط الدار
والأغلب فى الدرج القديمة أن تكون على هيئة غير مناسبة لهيئة بناء الدار لأنهم
لا يعتنون بها سوى كونها موصلة للأعلى فتارة تكون ضيقة وتارة تكون مرتفعة تتعب
الصاعد لكن فى الأبنية الجديدة صارت الدرج متقنة الهيئة من الاتساع والارتفاع
المناسب بحيث لا يكون ارتفاع الدرجة أزيد من شبر وعرضها قدم ونصف وطولها
ستة أقدام فما فوق وعلى أى هيئة كانت فلا بد لها من التبليط بالأزلير أو الرخام وكثيرا
ما تكون كل درجة من قطعة واحدة من الرخام الأبيض أو الأسود أو الكدان أو
الصوان وجميع الحيطان ما بين مكسوة بالجير أو مطلية بالجص ولا يكون فى السفلى ولا شباك
واحد على الطريق وإن احتيج إلى الضوء فلا بد أن يجعل له منافذ قرب السقف لكى
لا يسمع صوت النساء وفى الطبقات العليا توجد شبابيك على الطريق ولها أبواب غير
منفكة من القصب الخشب وجميع الشبابيك سواء كانت لوسط الدار أو للطريق لا بد لها
من قطع من الحديد على أشكال مزوقة وفى القديم كانت جميع الأشكال مربعة هذا
فى أماكن النساء وأما أماكن جلوس الرجال فليس فى شبابيكها قصب الخشب نعم
للشبابيك مطلقا أبواب من الخشب وأبواب بساطر من خشب وطبقاتها من البلور أو
الزجاج والحاصل أن الديار من داخلها فى غاية الإتقان والنظافة على حسب الرفاهية
لكن خارجها لا يعتنى بإتقانه فوجوه الحيطان التى إلى الطريق كثيرا ما يكون غير مجصص
وإنما يبيضونها بالجير والسطوح كلها مستوية وتبيض مدهونا بالجير ولذلك لم يكن منظر
البلاد فى الطرق جميلا مثل ما هو فى الدار هذا كله فى غير حارات الإفرنج أما هى فإنها

على النحو الاروباوى الذى سيأتى شرحه ولذلك كانت أنظر ونظافة الطرقات متوسطة
بحيث انها ليست بعفنة ولا هى تامة النظافة وفى الشتاء يحصل فى بعض الطرق التى لم
تبلط كثير من الوحل والطين وهذه تبقى الآن نادرا فى المدينة واما فى اربضيها فهى لا زالت
كثيرة وبواسطة المجلس البلدى لا زال يتدارك فى تبليطها وتحسينها وقد تمت الطرق
الأكثر مرورا سيما للعجلات والطرق خارج الحاضرة ليس منها طرق صناعية سوى طريق
بين تونس وحمام الانف وأخرى الى باردو ومنوبة وأخرى الى جهة العوينة وطريق
حديدية الى حلق الوادى وأخرى الى الجزائر ومدة أخرى الى الساحل وأخرى الى ابن
زرت وأما فى الحاضرة فالطرق منقسمة الى مناهج وهى متسعة أقلها تمر فيه عجلتان
متحاذيتان وهى قليلة والى طرق وهى لا تمر فيها الا عجلة واحدة وهى أكثر من الاولى
وكثيرا ما تتعارض فيها العجلات ويوجد بها بعض جهات متسعة لرفع ذلك التعارض
والى زقاق وهى التى لا تمر فيها العجلة بل بعضها لا يمر فيها الا انسان واحد وأغلب هاته فى
وسط الحارات ولا زال المجلس البلدى يوسع فى الكل مهما خرب حانوت على الطريق أخذ
من محله توسعة للطريق وأغلب أنواع الطرق غير مستقيم بل فيها تعاريج وانعطافات
وتحت الطرق خنادق تجرى فيها القذورات والمياه الحارة من الديار تحت الارض
وأكثرها غير متقن البناء وتنسقف ولذلك يكثر فى الشتاء خرابها فتتعطل الطرق عن
مرور الحيوانات والعجلات وتلك الخنادق تصب فى البحيرة التى هى فى الجهة الشرقية
من الحاضرة هذا وأما قصور الوالى وعائلته والوزراء والاعيان فانها وان كانت بعضها
على نحو ما تقدم وبعضها على النحو الاروباوى لكنها تفوق غيرها فى اتقان البناء والكبر
وحسن الفرش والتزويق والترتيب وكذلك جوامعهم وأما الحوانيت والاسواق
فليست بجميلة المنظر لان أغلب الاسواق ضيق الطريق ومسقف بالخشب الغير المنتظم
وبعضها مسقف بالآجر وهو أحسن منظرا لكن الجميع لا يتناسقون فى نظافة الحوانيت
وحسن هيئتها وأغلبها صغير وأربعة أذرع فى ثمنها وأرضها مرتفعة على أرض
الطريق فى البناء نحو ذراع وبعضها أبوابه من خشب غير منحوت وهى قطع مفرقة يضع
صاحبها لوحة فوق أخرى الى ان يملأ عرض الباب فيجعل قفلا على الوسطى من تلك
الالواح يمسكها بالعارضة فى العرض التى تدخل منها الالواح ويكون القفل بواسطة
حلق صغيرة بعضها فى الالواح وبعضها فى العتبة بالتخالف فى الوضع ويدخل القفل فى تلك
الحلق ثم يقفل بالمفتاح وصورة القفل فى الاغلب على الشكل العتيق وهو قضيب من

حديد فارغ الوسط له لولب يحفظه ويندفع بواسطة ادارة المفتاح الذى يدخل
فى فراغ ذلك القضيب وهناك فى خارج القضيب قوس يدخل فى ذلك الحلق و يدخل
طرفه فى ثقب فى طرف ذلك القضيب ثم يدار المفتاح الى ان يجذب اللولب ويدخل
فى ثقب فى طرف القوس الذى أدخل فى القضيب ثم ينزع المفتاح ولكن لا زال هذا
الشكل ناقص ويجعل على الصور المتعارف فى أغلب المدن فى الابواب و بسبب ذلك مع
وجود الخراب فى عدة جهات وعدم تبييض جميع الحيطان كل عام لم يكن منظر البلاد
ابهى الا جيلان رأى المدن الجميلة و لاقواس أعلاها نصف دائرة والسقوف البنائية
لابد فيها من شئ من الاحديداب ثم فى المدة الاخيرة حدثت الاقواس والسقوف المبنية
المبسوطة هذا وأما منازل المسافرين ففى حارة الافرنج منازل مثل ما هو فى أوربا
وقل ان يسكنها احد المسلمين وانما يسكنون فى خانات وفنادق وحقيقتها بيوت لا فرش
لها ولا مطابخ فباقى المسافرين العامة من ذلك الآن تعود على المرء لبلاد المسلمين
فان الجميع فيها متماثل ولكن السبب فى هذا مع كثرة أسفار المسلمين هو خصلة دينية
وهى ان الكرم والضيافة مندوب اليها فمهما دخل المسافر بلد المسلمين الا كان
حقا على اخوانه ان يستضيفوه فلم يكن من داع لاتخاذ محلات المسافرين ادعايتها
هو وضع الدواب ولسلع التجارية (وكان ذلك هو سبب) عدم وجود لفظ مفرد عربى
دال على نزل المسافر لما جبلت عليه العرب من الكرم والضيافة ولكن حيث تغيرت
الطباع اليوم فينبغى الاعتناء بمثل تلك المنازل وما ذكر جار فى سائر انحاء القطر وعلى
عموم ما تقدم فى هيئة الحاضرة بقية المدن والقرى لكنها على حسبها فى الصغير الا فى
غير ان الطرق الصناعية لا توجد فى غير الحاضرة ثم ان البلاد التى احدثها
الاندلسيون هى انظم طرقات من غيرها اذ طرقاتها مستقيمة متسعة متقابلة بل
بعضها راعى فيها حتى تقابل أبواب الديار وفى غير المدن لا تجد البناء الا من طبقة واحدة
بل وهو الاغلب حتى فى المدن وكثرة الخرابات فى بعض البلدان سيما القرى وعدم
تبييض وتجصيص الحيطان من خارج تجعل الرائى يحسب الجميع خرابا وكثيرا ما تكون
ديار القرى غير مبلطة واعانتها بالطين والحجر المسوى (وأما البطروى) فمساكنهم
خيام من شعر المعز والابل تنسجها الاهالى وتارة تجلب من طرابلس وللاغنياء
خيام من ذلك النوع فى غاية الاتساع والارتفاع بحيث يمكن ان يدخلها الراكب
على فرسه ويقسم البيت لاقسام بأردية وستارات قسم للنوم وآخر للمؤنة وآخر لاولادهم

وآخر

ولآخر لاولاد بعض حيواناتهم وأهل الغنى يجعل لكل نوع من ذلك بيوتا خاصة كما ان للضيوف وجلوس صاحب المكان بيتا خاصا ويفرشون بيوتهم عموما بفرش أهالي الحاضرة الاعيان من المرايات والساعات والتحف الجرونة والمفروشات الحريرية والاسرة المذهبة والفوانيس والشموع الى غير ذلك من أنواع الحضارات لكن العموم يفرشون في أرض البيت حصيرا وفراشهم أردية من الصوف مثل ما يلبسونها ووسادات وغطاء ويبات الرجل وزوجته واولاده كلهم في فراش واحد ويطبخون في فم البيت أو أمامه وكثير منهم من لا يوقد الا بالبعر أو قليل من الحطب وبعض القبائل يسكن في خصوص أو بناء شبهها

(مطلب في اللبس) لباس الحكومة والعساكر النظامية هو اللباس الافرنجي غير ان للعساكر علامات على الرتب وهي صورة نجم من فضة خالصة لرتبة الفريق ويجعل ستة نجوم في رقبة سترته ثلاثة من كل جهة وهو نهاية رتبة بعد الوالي ثم أمير اللواء له أربعة ولأمير الالاي اثنان وللقائم مقام والامين آلاي ستة من طرز خيط الفضة المذهبة وللبنباشي أربعة وللقولاغاسي اثنان ثم للرتب التي تليه ثلاثة من الفضة الغير المذهبة وهكذا من يليه على العدد السابق وهاته الرتب تعطى أيضا بعينها لغير العسكر من ذوي الوظائف المناسبة اذ ليس هنالك رتب ملكية وفي المواكب يلبسون اللباس الرسمي المطرز بقصب الفضة المذهبة الا الضابطية فطرزهم من غير المذهبة وتعلق في صدورهم النياشين التي هي من الفضة المزوقة بالمينا والصنف الاكبر منها شريط أخضر ولنيشان العهد شريط أبيض على ضرو ما سبق ذكره في الكلام على أحمد باشا والصادق باشا والوالي يلبس بشاشيته ثلاثة نياشين كبار أحدها كانت الدولة العلية أعطته لاحمد باشا عندما كان ذلك من رسوم المشير ثم زاده ثانيا مثله ثم زاد الصادق باشا ثالثا له وهي نياشين من ذهب على صورة أوراق من النبات وبوسطها ترصيع بالياقوت الابيض كما يلبس نيشان الافتخار المرصع الذي كان أيضا من رسوم الدولة العلية ويلبس نيشان آل بيته المرصع والعهد المرصع والصنف الاكبر المرصع والغير المرصع وجميع نياشين الدول التي اهدتها له مع شريطاتها وكذلك جميع المتوظفين كل منهم يلبس ما عنده من النياشين ثم كل من له رتبة أمير آلاي فما دون له علامة تلصق بشاشيته من نحاس على صورة شارة الحكومة مكتوب بها اسم الوالي الصادق

باشا اذ هو مخترعها وأما أهل المجلس الشرعي بالحاضرة فملبوسهم الاكسية بيضا مكورة غير أن المالكية قلانسهم مقطعة والحنفية مرتفعة ويلبسون عليها جبابا من الكشمير ويلبسون جبابا أكمامها واسعة وهي طويلة الى الكعب أو قربه وهناك فرق بين جباب الحنفية والمالكية فالاول جبابهم مشقوقة الجيوب الى أسفل والاخر مشقوقة الى السرة فقط ويزيد المالكية برنسا واسعا من الجوخ الصوفي له حواشي وشرابات من الحرير وفي أرجل الجميع حذاء من النوع المسمى بشمق ورجيحة لونه أصفر وهو لباس لا يقصر المشي به في الصيف ولو قليلا لانه أشبه شيء بالنعل لكن له وجه على اصابع القدم ويلزم الذي به نعل وتعود لكي تمسكه اصابع الرجل اذا ارتفعت الرجل سيما اذا كان مع الرجيحة فيقع لا رداف بين ملوية جلد الشمق وجلدها فانه منظره جميل وأما أهالي الحاضرة فيلبس الرجال قميصا وصدرية وأخرى تسمى فرملة غير أنها بلا صدر ومنتان أي صدرية بلا صدر ولها ايدي ضيقة الى الرسغ وتارة يكون في هاته الايدي فتح من أسفل قرب الرسغ وتارة لا وتارة تكون قصيرة الى أسفل المرفق فقط وتسمى كنبوة وسراويل رجلاها أسفل الركبة بيسير ووسطها يعتدل كثيرا ولا يرتفع كثيرا وهي عريضة بحيث اذا لبست كان فيها انكماشات بين الرجلين ولا يبلغ تدلمها الى الركبتين واحذيتهم من أنواع فمنها الكنترة وهو من لباس الاوربا على أنواع شتى ومنها البلغة ولونها أصفر ومنها الصباط الاحمر أو الاسود لبعضها شرابات من الجلد وبعض الاعيان يلبسون الشمق والرجيحة وعلى رؤسهم شواشي حمر لها شرابات من الحرير الاسود وعليها عمائم ملوية اما بيض أو مطرزة بطرز الهند أو بطرز البلاد وعلى الجميع برنس شتاء وصيفا غير أن كيفية استعماله كانه جعل لالبس اذ يلقونه على اكتافهم بل لاحد الشقين فقط وهيئة البرنس هو رداء متسع طويل الى القدمين وله رأس يسمى بالطربوش وكله في قطعة واحدة وأسفله مقصوص مدرج على هيئة نصف الدائرة ثم ان الاعيان والاواسط يزيدون تحت البرنس جبة مشقوقة الى السرة فقط وليس لها أكمام بل انها مشقوقة من أعلى الجنبين لاخراج اليدين منها وهي جبة غير مشقوقة الاسفل ويلبسون أيضا الجورب من القطن فقط أو مع الصوف من تحته وبعض قليل يلبس الجوخة والقفطان وهما جبتان ضيقتان مشقوقتان الى أسفل ولا فرق بينهما غير ان ما يلبس من أعلى أكمامه مدورة قصيرة الى قرب المرفقين وأسفلها مما يحزم عليها بالحزام الذي لا بد منه لكل

احد

أحد كما أن البرنس لا يمكن خروج الانسان في الطريق بدونه وغاية الفرق بين لباس
الاغنياء وغيرهم هو رفعة المنسوجات وحسنها وكلاهما صنعة روشات الديار من الصنائع
الحضرية الا البرانس والشاشية وبعض أنواع حريرية كما يعمل الاعيان والاواسط
ساعات بسلاسلها من الذهب أو الفضة أو النحاس وأما الخواتم فقليل جدا وكثيرا ما يعد انه
من سمات ذوى الديانة الا لبعض اعيان الاعيان ومع ذلك كثير منهم يتحاشى عنه ومثل
هذا اللباس لباس أهل المدن والقرى أو قريب منهم وبعضهم يلبس جبة من
الصوف وسراويل منها كلها من صناعة الاهالى وعوضا عن البرنس يلبسون
كبوطا وهو شبيه البرنس غير انه ضيق وله ايدى وقصير الى الحزام فقط وهو أيضا
لا يلبسه الا في الحفلات للاعيان في الحاضرة فغير أنه من نوع الجوخ المطرز
بخيوط الفضة وله منظر بهيج وأما البوادى فلباسهم قميص ورداء من الصوف
يسمى بالحرام وبرنس من الصوف غير أنه يلبس ليما بان بدنه او على راسه في
الطربوشة وتارة يرميها على رأسه وتارة يلقيها الى ورائه على كتفيه وهما من صوف ثم
وعلى رؤوسهم شواشى وعمائم من خيوط من وبر الابل أو صوف المعز الاسود أو الاحمر
وفي أرجلهم عم العامة والاعيان منهم يلبسون فوق القميص مثل لباس أهل الحواضر
وحرامهم يكون من الصوف الجيد الرفيع أو الحرير وكذلك عمائمهم مثل الحواضر
ومثلهم أهالى بعض البلدان كبلدان الجريد والكاف وباجه وتبرسق وأما لباس النساء
ففي الحاضرة يلبسون القميص لكنه قصير الى أعلى الفخذ وفوقه مثل الصدرية بلا
صدر ويتأنقن في تقانتها وتحليتها بالفضة أو الحرير أو العدس وتسمى فرملة وفوقها
جبة ضيقة بعض الضيق بلا أكمام وقصيرة مثل القميص المذكور وسراويل ضيقة جدا
مثل سراويل رجال الافرنج لكنها مخروطة الجانبين مع اتقان تحليتها والتغالى فيها
وعلى رؤسهن على الشعر منديل حرير أسود يسمى تقريطة وفوقه قوفية أى نوع من
المراقبة محلاة وطاجين مرتفع من أصبعين الى الثمانية أصابع صلب بالطرز بالحرير
الاسود على خيطان من الكتان الصلب وفي مؤخره هاذيب من الحرير مدلى الى قرب ذيل
الجبة ويطرز بانواع حبيبة من الفضة والحرير ثم تلف رأسها ورقبتها بالتمام من أنواع
الحرير والقطن ويصير أيضا كالمرغى على هيئة مقنعة وتعصب على الجميع بتقريطة ملونة
أو مزوقة بالفضة بعد طيها على عرض أربعة أصابع بحيث يكون ما فوق القحف من
غطاء الرأس مكشوفا من تلك التقريطة وتربط أطرافها من جهة الجبهة على هيئة

تكون بصورة التاج محبوكة عمامة من الفضة دقيقة صغيرة ويكن أدرعهن
مكشوفات ويلبسن في أرجلهن أنواع الاحذية الافرنجية والاعيان يلبسن الجوارب
والخادمات يلبسن على بعضهن الاسفل فوق جميع الثياب ازارا من القطن أو مخلوطا
بالحرير أو الحرير الصرف ملون أغلب ألوانه مائلة الى السواد لتحمل الوسخ ولما تقدم
لم يكن شكل النسوة جميلا من ابدانهن واذا خرجن للطريق فالاعيان يلتحفن برداء أو
طيلسان واسع ثم يدخلن في الكروسة وتدخل أي الكروسة الى داخل الدار ابتداء لتركب
المرأة فيها ثم تسدل ستارات الكروسة بحيث لا يراها من ركب فيها ونسوة الاواسط
يلبسن عند الخروج رداء عريضا الى ما قرب القدم ومغطيا للرأس على هيئة ساترة لجميع
أجزائها وعلى وجهها خمار من الحرير الاسود وأطرافه مزوقة مسرورة في غطاء رأسها
عمامة وتمسك طرفيه بيدها مع لمها في ردائها أو على رجليها فان عرضنا من
منسوج شفيف مطرز ونعالها خاص بالخروج وأما الاسافل فهن مثل ذلك أيضا سوى
الخمار فعوض منه لثام أسود ملفوف على الوجه بحيث لا تظهر منه البشرة ولا تبان الا
عيناها ونسوة اليهود مثل ذلك الا ستر الوجه فهن مكشوفات وأما لباس نسوة البلدان
فهو على ذلك النحو غير انه ساترا أكثر لانه ممتد الى قرب الكعب والجبة أوسع وبعضهن
يتمنطقن بحزام وأما نسوة الاعراب فهن مثل ذلك أيضا سوى الجبة فعوضها رداء واسع
تمسكه المرأة على عاتقها كلاب من فضة أو ذهب أو نحاس محدودبة مبهمها الى الصدر
وتتمنطق عليه بحزام ويكون ساترا حتى الى القدمين مع الاتساع غير انهن لا يلبسن
السراويل ولا يتقنعن على رقابهن فقصار وهن أجمل من نسوة الحواضر ويكثر من
نسوة القرى مثلهن والجميع يلبسن من الحلي أنواعا شتى من القرطق لاذنيهن بعد ثقبهما
منضدة مع الياقوت والاساور والخواتم والتيجان وغير ذلك من الجواهر الثمينة والمكللة
بالياقوت والزمرد واللؤلؤ وبعض الحواضر والقرى ونساء الاعراب يتحلين في أرجلهن أيضا
كل على حسب الثروة واليسار

(مطلب في الاكل) أما أهل الحاضرة فأكلهم جامع بين أنواع أكل أهل المشرق
والمغرب والاوربا بين بحيث لهم من كل أحسنه سيما الاعيان والغالب في البلد
وأعرابها وسائر بلدانها هو طعام الكسكوس أو العصيدة وتزيد البلدان بالشكشوكة
طعام من زيت وقديد وبصل وطماطم وفلفل وأغلب السكان يأكلون الطعام الحريف
المسمى عندهم بالحار من الفلفل ويكثرون من الابزار الا البوادي فأغلب طعامهم بسيط

من

من دقيق القمح أو الشعير أو الذرة والارز واللحم المشوى وفى ولائم الاعراس بالحواضر
يكثرون أنواع الحلويات وهيئة الاكل عموما هى الجلوس على الارض اما على متكآت
أو بسط أو حصر ووضع الطعام جملة ويأكلون من اناء واحد ثم غيره وهكذا والغالب
طعام واحد واهل البلدان يصنعون مائدة يوضع الطعام عليها وهى من خشب مدورة
ارتفاعها عن الارض نحو شبر وبعضهم يجعل عليها أو على كرسى مثلها طبق من النحاس
وفى بعض الاعيان ومتوظفى الحكومة صارت هيئة الاكل كما هى عند الافرنج وبعضهم
صيرها بين بين بحيث يؤكل من اناء واحد لكن بالشوكات والسكاكين والخبز له أنواع
فى العربان اما أن يكون منضجا فى فرن يسمى الطابونة وهو حسن جدا سيما السميذ
منه واما أن يكون العجين غير مخمر يشوى فى اناء من الطين وهو ردىء لقلة نضجه وعدم
تخميره وكلا النوعين موجود فى البلدان الا الحواضر فيوجد الاول بقلة عند الاعيان
على وجه التبرك والخبز الغالب فى المدن هو خبز مربع صغير لين القمح مخمر جيد ينضج فى
الفرن المعتاد ونوع آخر كبير وهو الذى يصنع فى الديار أحسن من الاول والاول لا يأكله
الا من لا عائلة له أو له قرابة ذوو العيال وأما خصوص الحاضرة ففيها اثنا عشر نوعا من
الخبز كلها جيدة ما بين ناضجة على النحو الذى يعرف فى المشرق بالافرنجى وعادة الجميع
فى الطبخ ان النسوة هن المتكفلات به ويطبخن فى اليوم مرتين فطورا وهو عند الزوال
وعشاء وهو بعد الغروب كما توجد مطاعم فى الاسواق يطبخ بها الرجال لمن لا عائلة له
أو له بعد عن محل صناعته وأغلب طباخيها ردىء الا قليلا ومن طعام السوق الجيد
القلى النظير بزيت البيض فيشتريه حتى الاعيان فى ديارهم للذة أكله والغالب ان
الاهالى زمن الصيف يدخرون مؤنة السنة من الكسكسو ونوع مثله يسمى الحمص
والقديد والابزار واما الحطب فانما يخزن فى أواخر الشتاء عند تقبئة تجرار يقون لانه
هو أغلب الحطب ونحوهم لا تطبخ به الا قليلا ونفقة المأكولات تشترى يوميا كاللحم
والخضراوات ونحوها شهريا أو اسبوعيا كالزيت والسكر والقهوة
*(مطلب فى الاعراس والمواكب) * أول المواكب فى عيد الاضحى والفطر وقد مر كيفية
التعييد على الوالى وأما الاهالى فيتزاورون بعضهم أربعة أيام ويحصل من ذلك تعب
كثير سيما اذا المعتدل زائر وربما يعود اليه ولو مرارا ويعطى للزائرين ونحو الاقارب
يعطى لهم أنواع من الحلويات وفى جميع المواكب التحية بالتقبيل فالاعضاء يقبل
أكبرهم ثم من دونهم بتقبيل المرافق ثم المتساويان فى الاكتاف وقليلا فى الافواه

وبعض الاعراب يقبل كل يد صاحبه وتارة رأسه وكذلك يحصل موكب فى المولد
النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام على نحو ما مر تفصيله فى الكلام على السياحة
وأما بقية المواسم فلا موكب فيها وانما فيها الصدقات والقراآت والتوسع على العيال وفى
عاشوراء تعلق القدران والدارود اعتقادا انهما من تفريح الصبيان وكأنها عزة باقية من
آثار الخوارج الذين كانوا بالقطر وفى رمضان تتأنق أهل الحواضر سيما القاعدة فى
الاكل وكل يدعو أحبابه للعشاء عنده ولا أقل أن يتعشى ولو انسان واحد مع صاحب
الدار ويصرفون فى ذلك زيادة على العادة وأما الختان فانهم يعملون له وليمة مثل
العرس وسيأتى بيانه وفى هذا زيادة وهى ان الطفل المختون يؤتى به قبل الختن من
مكتبه وهو لابس لاجل لباسه الذى كثيرا ما يكون مقصبا بالفضة أو مطرزا بطراز
المراحين ومعه تلامذة المكتب بملابس جميلة أو نظيفة ويرفع رجل على رأس المختون
لوحا مزوقا ويطوفون فى حوالى حارتهم وأمامهم أو خلفهم فرقة من الرجال يذكرون
قصائد فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم وتجيبهم التلامذة ببيت القصيد على الحان
جيدة ترفع أصواتهم الى أن يصلوا الى دار المختون فيقدم لهم موائد من الحلويات ثم
يعتنى لولد أحد الحلاقين المشهورين فى ذلك بمقص من حديد ثم يوضع فى فراشه المزوق
ثم يهدى اليه من أقاربه وأوداء أبيه اما مال أو مصوغ ويراعى فى الهدية قدر ما يعده بمقابل
يهادون وقد قلت هذه العادة وصار الختان أكثره يختنون بدون هدية ولا غيرها
ويتناقلون فى احداثه روايات منها قولهم أعلنوا النكاح واخفوا الختان ولم توجد فى
كتب الصحيح ولا نص لاصحابنا فى المسئلة سوى انى رأيت فى الاحياء للغزالى الذى
هو شافعى انه عد فى أنواع السماع الجائز السماع عند الختان وعند حفظ القرآن
الخ فهو دال على ان اشهار الختان غير منهى عنه كما انه غير مندوب لقوله وهو أى السماع
مباح ان كان ذلك السرور مباحا كالغناء فى العيد وفى العرس وفى وقت قدوم الغائب وفى
وقت الوليمة والعقيقة وعند ولادة المولود وعند ختانه الخ فهو دال على عدم النهى عن
الاشهار فقط وأما الاعراس فان الزوج بعد الخطبة يرسل المهر وأعلاه الف ريال الا
الامراء والوزراء فيزيدون على ذلك الى العشرين ألفا ثم يرسل مع المهر هدية تسمى
الملاك وهو صندوق صغير مجلد بصفائح الفضة أو خشب مرصع بالصدف وفيه المهر
مصرورا فى منديل من حرير مخاط بالفضة ثم صندوق آخر أصغر من الاول من فضة أو
ذهب أحيانا مقسم الوسط به قنينات مملوءة عطرا وأسفلها أنواع من طيب البخور العنبر
والقمارى

والقماري ثم حقة من ذهب أو فضة فيها قصعة كبيرة من سكة الذهب إما دبلون من
سكة الاسلامبول أو قطعة مائة ريال ذهب التوضع في كف العروس عند وضع الحناء ثم حصير
أو اربعة ملونة بالحناء الورق مخضبة على شكل مدور لكي تحفظ وتلف الحصير في ملاحف
من قطن أو حرير ثم صحن من الزجاج أو الفضة به شكل كالعصيدة من الحناء موضوع في
طبق من الصفيح مكسو بمنسوج من الحرير أو الفضة مغطى بمنديل مثل ذلك ثم قطعة من
مصوغ مكلل بالاحجار ثم حزم من الشمع الابيض كل منها مقصبة بالقارطة الحريرية أو الفضة
من ثلاثة حزم إلى العشرين ثم شمعتان أو أكثر كبيرتان نحو الاسطوانة مقصبة أيضا
مثل ما ذكر ثم شمعة أي شمعة صورة كف آدمي كبيرة طولها نحو ذراعين فما فوق وتارة
تكون أربعين وحدة كلها من الشمع مقصبة كما ذكر بأشكال حسنة ثم أطباق
كبار من الصفيح بها قنطار فما فوق من السكر الابيض ويرسل ذلك إلى دار العروس
مع أقارب الزوج من النساء عشية وفي الليل تخرج دار العروس التي قد زينت ويدعى
إليها النسوة من الاقارب والاحبة وتزين العروس بأحسن لباس ويوضع على رأسها رداء
من منسوج الفضة الثمينة وعلى وجهها برقع من الحرير الصفيق وتوقد تلك الشموع
المهداة لها وتجلس في بيت أبيها على مصطبة ومتكئات من الحرير أو الفضة ثم يهدى
إليها ممن حضر مال لا ينقص عن مائة ريال ثم تخضب يداها بالحناء المهداة بعد وضع قطعة
الذهب في كفيها ثم ينفض الموكب بعد أن تمشي النسوة الضيوف ويعطرن صاحبها
ويتهيأ أبو العروس إلى إنفاق الاموال فيعمل لابنته ملبوسات لا تلبس إلا يوما كالقميصة
الكبرى وما والاها وهي جبة كبرى من نوع من الفضة المنسوجة ثخينة ثقيلة تتكلف
بنحو ألف ريال ويشترى أيضا سراويل مثلها وهكذا مما لا يلبس إلا يوما أو يومين مع البسة
أخرى معتادة للتجمل والعادة مما يكفيها سنة أو أزيد مع كسوة لبيت زوجها من فرش
الصوف والاردية والستائر للابواب والاسرة والمتكئات كلها من نوع القصب من
الفضة والمدس الذي لا تكتسي به البيت إلا أسبوعا واحدا فيصرف أبوها أضعاف
أضعاف من المهر وبعد أسبوع من عرسها تباع تلك الاشياء بما لا يبلغ الربع من ثمنها
الاصلي وعند العرس يحضر الزوج داره ويبقى بيته فارغا إلا أحد مقاصيره فلا يجعل
فيه مالا تأتي به المرأة كما يجعل الاسرة في البيت والساعات والمرايات والبساط وقبل
ليلة العرس بيومين تستدعي الاحباب من كل على أن تكون الملاقاة في أحد
المساجد عند صلاة العصر ابن دعاه الزوج وأما المدعوون من أب الزوجة فيقدمون إلى

داره ونحوه يقدم أب الزوج أو وكيله مع من دعاه لدار الزوجة وبعد الجلوس والدار
مزينة وبوسطها جميع الجهاز الذى أحضر للعروس ارفع لداره على هيئة منتظمة
يخطب الخطيب وهو أحد الشهود المتخذين الشهادة صناعة وتارة لبعض الاعيان
يخطب أحد أهل المجلس الشرعى أو غيرهم من العلماء ويقع الايجاب والقبول ولا يكون
من الزوج والزوجة بأنفسهما بل إن كان لهما أب فهو أو ولى أو وكيل وبعد
ذلك تقرأ الفاتحة من الحاضرين الذين يبلغون أحيانا الى ألف فما دونها وتضيق بهم
دار الزوجة وربما لا تحملهم الدار لانه كثيرا ما لا يقتصر الاصهار على عدد المدعوين
وان وقع التفاهم وكانت الدار لا تحملهم حصل العقد فى أحد المساجد ليسع الجميع ثم
يسقى الحاضرون ماء محلى بالسكر فيه أنواع الطيب ثم يرشون بماء الطيب وينصرفون
الا الخواص من الاحباب ويرفعون الجهاز على حيوانات ويطاف به فى البلاد ليرى ببصر
ويسمع براع ويوضع به بيت الزوج وقبل ليلة العرس بيوم تصنع وليمة بالحلويات
الخفيفة على مائدة مستطيلة كبيرة فى احدى البيوت حولها كراسى ويدعى اليها مئات
من الناس من أول النهار الى ما بعد نصفه كلما جاء فوج أدخل أعيانه الى بيت الزوج
ثم أدخلوا جميعا الى المائدة فأكل كل شيئا يسيرا من الحلوى ويشرب قليلا من المشروبات
الملونة الحلوة ويقرؤن الفاتحة وينصرفون ثم ترفع المأكولات والمشروبات فتعود
كما كانت ويدخل الفوج آخر وهكذا الى الختام وقد يعوض عنها بعشاء فى النصف
الثانى من النهار وهو يحتوى على مطبوخ من اللحم والطير والسمك والحلويات على
مائدة واحدة ويدخل عليه الناس أيضا كما مر غير أن الاكل منها أكثر من السابق وان لم
يكن حقيقيا لا شبع وقد يعوض عن الجميع بوليمة ليلة العرس لمجرد أحباب الزوج
وأقربائه ثم يؤتى بالعروس بعد الغروب هى وقرابتها فى كراريس يرسلها الزوج أو وليه
ويذهب للاتيان بها أحد قرابات الزوج ويهدى الى العروس فى ليلة العرس ما يسمى
قمصان الدلال والهدية على أقرباء الزوج وكذلك فى ليلة الوطئة الكبرى وهى قبل
العرس بثلاثة أيام للحنة للعروس وهو المهدى قرابة العروس كما تهدى العروس للزوج
وبعض الرجال من قرابته كأبيه وأخيه شيئا من الملبوس وبعد خروج العروس من دار
أبيها تجتمع حثالة النسوة اللاتى يردن الذهاب لدار الزوج ويوقدن تلك الشموع
ويذهب معهن أقرباء العروس من الرجال ومن أتى لمصاحبتهم من أقارب الزوج لكن
هؤلاء يمشون فى مقدم الموكب والآخرون فى آخره والنسوة فى الوسط ويمرون بالوان
فى

في الطريق ويدقون الابواب ويصرخون بأعلى صوتهم ثم يدخل الزوج على عروسه
ويعمل الجلوة الصبحية ويصرح ولايات ولا يعرسون الا ليلة الجمعة والاثنين والخميس
ولا يعرسون في المحرم تشاؤما بسبب ما تقدم من كثرة المصائب في عرصات بنات من
يمشي على عرضه وتقررت أقوام ولا حول ولا قوة الا بالله وقريب من ذلك ما يقع في البلدان
والقرى يخرج فيه ذلك بعض عادات العرب بان وهي ان بعد الخطبة والعقد يرسل المهر ومعه
شيء من الملبوس أو المصوغ والطيب ثم أبو الزوجة يكسو ابنته وعليه شيء من لباس
الزوج ثم يأتي بالعروس لبيت زوجها في محمل على جمل مزين بالثياب الرفيعة
والحلي وحوله أفراح من قرابة الزوجين بأحسن لباسهم والطبل يعزف والبارود
يصرخ وتارة الخيل والعرسان تلعب الى ان تصل لبيت زوجها ويعمل لهم أبو الزوج
وليمة قسم للرجال وقسم للنساء فيعطى لكل شخص لحمة في يده من رجل أو امرأة
واللحم موضوع في قصعة ثم تقدم قصع الكسكسو وان أخذ لحمة فوجدها عظما أن
يردها ويأخذ غيرها ثم يدخل الزوج على عروسه ويتزوجها واذ ذاك يطلق البارود
وتقول النسوة بالزولة ثم يبقون بين غناء وسرور والغناء من الغنائين ورجال خدمهم
بالمال شيئا فشيئا بالمكر يعطون قطعا من النحاس فلا يصرفون كثيرا ليلا والنسوة
ضاربات خدورهن على حبوبهن وهن منصتات وتارة يغنين والرجال يسمعون كما ان
اهل الحاضرة يحضرون اهل الموسيقى في ليلة العرس وعند الولادة يحضر معهم عاهرات
مغنيات اذ تطلق النسوة لا تغني أبدا ولو بين ايدي أزواجهن والغالب على اصحاب
الموسيقى ان يكونوا من اليهود لان أكثر المسلمين يتحاشون منها لما تقدم في مطلب
الصنائع وذلك كله في غير الموسيقى العسكرية فانها على الطراز الاوروباوي ومثلها
موسيقى الاوروباويين في تونس ويصنع مثل ما تقدم ايضا ليلة السابع من العرس وهي
ختامه وتارة تعمل ولائم للولادة وقد حضر احد كبار العائلة أسكت الموسيقى
لكن وقع التساهل في ذلك الآن واما المأتم فاذا مات انسان يبكي عليه النسوة برفع
صوت وتارة ينحن عليه وقد قل ذلك ولله الحمد والمنة وعند خروج الجنازة يفعلن مثل
ذلك ثم عند الاتيان بما يغطى به النعش بعد الدفن يفعلن ذلك وعند الموت يفرغ بيت
الرجل مما فيه من الاثاث واما المرأة فلا ثم يحضر قراء يقرؤن القرآن حوله وهو مكروه
شرعا للاجتماع على صوت واحد ولانه قبل غسل الميت ثم عند الغسل يؤتى بخواجات
يكبرون ويهللون بصوت عال وهو من البدع ثم يؤتى بالقراء والمنتسبين الى زوايا

الصالحين بعد التكفين وكل يقرأ اما القرآن أو أورادا للشيخ المنتسبين اليه وهو من
البدع ثم يحمل على نعش وتارة يوضع في تابوت من خشب و يحمل على النعش ويصحبه
كل من أولئك الفرق يصحبون القراءة والتكبير وغير ذلك وهو محرم أو مكروه
اذ قراءة القرآن في الطريق لاتخلو ربما به من الاهانة المحققة سيما ببعض الطرق
في الحاضرة ثم يصلى عليه في صحن المسجد أو عند القبر وهو الافضل ثم يدفن
وتقف أقرباؤه للعزاء فيقفون و يتعبون من تقبيل كل من قدم للزيارة وتم الجملة بصيغ
بقوله أثابكم الله كل خطوة بحسنة الخ من البدع ثم في يوم الثالث والسادس والخامس
عشر والاربعين والعام يعمل في دار الميت موكب يجمع فيه النسوة للبكاء سرا وتارة جهرا
وتجتمع الرجال بالاستدعاء الا في اليومين الاولين لمشاهدة قراءة القرآن والبردة وتارة
تكون بثمن والحاصل أن جميع ما يعمل في ذلك هو من البدع المحرمة لابتداعها فضلا
عما تشتمل عليه من الاعمال المحرمة لذاتها الا ما كان منها مشروعا كالغسل والكفن
والصلاة والدفن واهداء الاكل لاهل الميت أيام موته لا في المآتم وما يسمونه أحق
ذلك الوطن باتباع الشرع اذ هو واجب في كل حال فضلا عن حال هو أول درجة من
درجات الآخرة ومن حسنات ذلك البلد اتخاذ القبور بشاهد من الحجارة والرخام ولا مزخرفات
في المقابر وهي أغلبها خارج البلدان لاداخلا في الحاضرة وهاتيك البدع قليلة في قبائل
العربان لكن فيهم المنكرات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

﴿مطلب في اللغة﴾ لغة جميع أهل القطر هي العربية وهم أفصح من رأيت على العموم
بالنطق بجميع الاحرف العربية لا القاف فيبدلها غير الحضر بكاف أعجمية وقد
ورد أنها لغة و يستند بعضهم حتى الى حديث لكنه مروي مناما ومن المعلوم أن مثل ذلك
لا يبنى عليه حكم ثم اللسان وان كان عربيا فقد أدخلت فيه كلمات كثيرة بربرية أو
أعجمية فمنها ما كان من أصل لغة السكان البربر كالفاظ كشطة أي عمامة وقواى لاتن
ولالا أي سيدة ولالات لغتهم في جهات جبال ورغمة من الاعراض وعربية مستعملة
فيما بينهم ومنها ما كان من لغة الطليان كالفاظ فيشو أي جد ومركانتي أي تاجر كبير
وكارته أي ورق اللعب ومنها ما كان من لغة الترك كقولهم هم كذ وهم كذا وقولهم في النسبة
قهواجي وبلغاجي وصباجي الى غير ذلك ومنها تحريف للاختصار كقولهم ما نحبش
أصلها ما نحب شيأ ولهذا كثر استعمال الشين في لسانهم حتى كاد أن تكون عندهم
كشكلة مع أنهم يبتدؤن بالساكن والحاصل أن لسانهم عربي محرف وفي الحواضر
لا

لا يذكر الانسان غيره الا بزيادة لفظ سي فيقول سي فلان وكأنها مختصرة من سيدي ثم في المكاتبات للناس على ثلاث درجات فيكتب الاكابر لبعضهم سيدي فلان ومن كان دونه بيسير يكتب له السيد فلان ثم الاسفل يكتب له سي فلان واما اذا كان خادمه او تابعه فيكتب ابننا او ولدنا فلان وهي اصطلاح خطاب الولي في جميع مكاتباته الا للعلماء فيكتب الشيخ سي فلان ثم ان اللقب لابد منه في الكتابة بحيث لا تجد انسانا بدون لقب والمشهورين يدعون في كتابتهم الكنية لكن بالكنية العامة مثلا كل من اسمه على يكنى ابا الحسن وهكذا (واما) البوادي وعالب القرى فمخاطباتهم وكتابتهم من دون تسييد ولا لقب وانما ينسبون الى الاباء فيقال فلان بن فلان وأغلب البلدان لهم ضلة في لغتهم يكاد الماهر ان يعلم المتكلم من أي بلدة والغريب ان ذلك كائن ولو مع تقارب البلدان فان اريانة التي لا تبعد عن الحاضرة اربعة اميال لغة اهاليها ضلة بعيدة عن لغة اهل الحاضرة بل الاغرب ان اليهود الساكنين في الحاضرة مع أهاليها الحسارة جنب الحارة ترى لغتهم فيها تغيير كبير عن لغة المسلمين في كلمات كثيرة كقولهم الحي بفتح النون أي الآن وبلغة أهل تونس تو وكقلبهم الذي سينا وغير ذلك واظن ان العلة في ذلك هي التربية من الصغر في الدار فيجري على السنتهم ولو بعد الكبر والمخالطة وهذا واقع في لغات الاخرى ايضا فاصل اللغة وان كان واحدا لكن النغمة مختلفة كما في أهل مرسيليا وباريس في الفرنساوية وكما في لغة أهل الاستانة وبقية الاناطولي في اللغة التركية بل هذا موجود حتى في أصل اللغة العربية فان قبائلها كل منهم له نغمة ولغة لا تفهم عند غيرهم وقد عد من معجزات نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم معرفته بالجميع بل وقيل حتى في غير اللغات العربية وليس ذلك بغريب ومما ثبت في الصحيح في اللغات العربية ما رواه القاضي عياض في الشفا حيث قال فصل واما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع وفصاحة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف أوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني

وطهفة النهدى وقطن بن حارثة العليمى والاشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندى
وغيرهم من قبائل حضرموت وملوك اليمن • وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها
ووهاطها وعزازها تأكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا
بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش
الحورى وعليهم فيها الصالغ والقارح • وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لهم فى
محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها فى الدثر وافجر له الثمد وبارك له فى المال
والولد من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا اله
الا الله كان مخلصا لكم يا بنى نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط فى الزكاة
ولا تلحد فى الحياة ولا تتثاقل عن الصلوات وكتب لهم فى الوظيفة الفريضة ولكم
الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد
طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الاماق وتأكلوا الرباق من أقر فله الوفاء بالعهد
والذمة ومن أبى فعليه الربوة وفى كتابه لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع
المشابيب وفيه فى التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفى السيوب
الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم
ولا توصيم فى الدين ولا غمة فى فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال
أين هذا من كتابه صلى الله عليه وسلم لانس فى الصدقة المشهور ولما كان كلام هؤلاء على
هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط وأكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين
للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث
عطية السعدى فان اليد العليا هى المنطية واليد السفلى هى المنطاة فكلمنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله عليه السلام فى حديث العامرى حين سأله فقال له النبى
صلى الله عليه وسلم سل عنك أى سل عما شئت وهى لغة بنى عامر وأما كلامه المعتاد صلى الله
عليه وسلم وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها
الدواوين وجمعت فى ألفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى
بلاغة كقوله عليه الصلاة والسلام المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم
يد على من سواهم وقوله صلى الله عليه وسلم الناس كأسنان المشط والمرء مع من أحب ولا
خير فى صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار
مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم وقوله

عليه

عليه الصلاة والسلام أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان أحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا الموطؤن أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم عما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله صلى الله عليه وسلم ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن الى ان قال وقد جمعت من كلماته التى لم يسبق اليها ولا قدر أحد أن يفرغ فى قالبه عليها كقوله عليه الصلاة والسلام حمى الوطيس ومات حتف أنفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين الخ كيف لا وقد أوتى صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم ومنابع الحكم عليه أفضل الصلوات وأزكى التحيات

(فصل فى قوة الحكومة الحربية والمالية)

عسكرا

٠٢٠٠٠ العساكر النظامية العاملة

٠٠٥٠٠ الخيالة غير النظامية العاملة

٠٠٣٠٠ العساكر المعروفين بزواوة العاملين

٠٠٢٠٠ العساكر المعروفين بالحنفية العاملين وكل هذين غير نظامى

١٤٠٠٠ الرديف النظامى

٠٢٠٠٠ الرديف من الخيالة

٠٧٠٠٠ الرديف من زواوة

٠٤٠٠٠ الرديف من الحنفية وكل الاعداد على التقريب لان الضبط غير متيسر

٠١٥٠٠ العساكر البحرية

٣١٥٠٠

٠٠٠٠٢ السفن الحربية بابورتان من نوع الكرويت

فرنك

١٤٠٠٠٠٠٠ دخل الحكومة مع اسهام القسم المعطى لاصحاب الديون ودخل الاوقاف

١٤٠٠٠٠٠٠ نحوها الا قليلا من فواضل الاوقاف

٤٠٠٠٠٠٠ قيمة عشر القطر الداخل والخارج

قد انتهى طبع هذا الجزء من صفوة الاعتبار وهو الثاني
بتاريخ أوائل المحرم الحرام سنة ثلاث وثلاثمائة وألف
في المطبعة الاعلامية لصاحب التأليف الشيخ
محمد بيرم افندي الخامس وتحرر تصحيحه
على يد الفقير اليه تعالى
مصطفى محمد
قشيشه
ويليه الجزء الثالث وافتتاحه الباب الثالث في ايطاليا

(الطبعة الاولى)

(بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٣)

(تنبيه)

يوجد في جدول الاحصاآت بالجزء الاول حرف م مفردة وهي علامة على مجهول و (لا) وهي علامة على معدوم أي لا وجود له وقد غفلنا عن اثبات ذلك في محله فأثبتناه هنا التنبيه القارئ

(فهرست الجزء الثاني من صفوة الاعتبار)

صحيفة

صحيفة

صحيفه

الجزء الثالث من كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الامصار
والاقطار تأليف الفاضل المحقق والاستاذ

المدقق قدوة العلماء وصفوة الاذكياء
وحيد عصره وفريد دهره
الشيخ محمد بيرم الخامس
التونسي نفعنا الله
به وبعلومه
آمين

﴿طبعة أولى﴾

﴿بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٢ هجرية﴾

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثالث في ايطاليا

فصل في سفري اليها وما رأيته بها لما تكاثر بي المرض العصبي في صائفة سنة ١٢٩٢ ودامت معالجته على نحو ما مر ذكره في الباب الاول من المقصد وأشارت علي الاطباء بالسفر الى أوربا عزمت على ذلك في شوال سنة ١٢٩٢ الموافق الى أواخر نوفمبر الافرنجي واستأذنت الحكومة وكتبت لي على عادة المسافرين بطاقة الجواز بالاذن في السفر من مرسى حلق الوادي وهي بطاقة عليها اشارة الحكومة وتكتب تارة بالفرانساوي وتارة بالعربي وذلك على حسب المكان المسافر اليه فان كان البلدة أجنبية كتبت بالفرانساوي وان كانت اسلامية كتبت بالعربي وهذه العادة أي تذكرة الجواز معمول بها في أكثر الممالك وبعض الممالك لا يتركونها فلا احتياج لها لا للداخل ولا الخارج لاذن وركبت من المرسى المذكورة في التاسع عشر من شوال سنة ١٢٩٢ وكان معي خادمان أحدهما يتكلم باللسان الطلياني والفرانساوي والالماني والعربي وصاحبني في هاته الجهة العالم النحرير المتبحر في علمي المعقول والمنقول الشيخ سالم أبو حاجب أحد أفاضل مدرسي

جامع

جامع الزيتونة حيث كان له مأمورية في ايطاليا مع وزير الاستشارة أمير الامراء حسين في
خصومة تتعلق بأحد أتباع الحكومة التونسية المسمى بنسيم شمامة الذي كان مكلفا
بقبض أموال الحكومة وشراء المهمات اللازمة لها وخرج من القطر بدون تحرير الحساب معه
كما مر في ترجمة الوزير مصطفى خزندار وذلك في حدود سنة ١٢٨٩ وبقي يتردد بين
فرانسا وايطاليا الى ان مات في بلدة ليفورنو من ايطاليا وطلبت الحكومة من ورثته تحرير
الحساب وكاد أن يقع صلح بينهما ثم خرج الورثة كما مر ذكره أيضا في ترجمة الوزير
المذكور ولذلك لزم الحكومة أن تبعث أحد رجالها وهو أمير الامراء حسين ومعه
العالم الشيخ سالم لطلب الحساب وتوقيف التركة وذهبا الى هنالك وباشرا النازلة وطالت
المدة ورجع الشيخ المشار اليه الى تونس لأمر مصلحي ثم عاد الى مأموريته وكان من
المنة الالهية اتصالي معه فركبنا باخرة البريد الطليانية المسماة بوريا ونزلنا في
الطبقة الاولى وكان كراء الواحد فيها من تونس الى نابلي مائة وعشرين فرنكا وأما في
الطبقة الثانية فثمانون فرنكا وأما في الثالثة فعشرون فرنكا لان الاولى والثانية
كلاهما يعطي الاكل والفرش بخلاف الثالثة فانها للحمل فقط مع الاختلاف في المكان
والفرش والاكل فكل بحسبه فأقلعنا من المرسى يوم الاربعاء بعد الزوال بخمس
ساعات وكان في البحر شيء من الاضطراب فحصل لي شيء من الدوار واشتد لما حاذينا
رأس غار الملح فاضطجعت في فراشي وأوفق الحالات للانسان هي الاضطجاع وهذا
الدوار البحري من أشد الامراض لمن يصاب به وبعض من الناس لا يعتريه شيء منه
وان لم يكن متعودا وقد كنت قبل الركوب استعملت باشارة الطبيب ثلاثة حقنات في
الخاصرتين لعلاج المسكن لكي لا يزيد على ألم البحر الالم العصبي ومن فضل الله لم يعترني
ذلك الالم مدة الطريق وبقيت الحال كذلك الى ان وصلنا الى جزيرة سردانيا قرب
مرسى كالاري فدخلت الباخرة في جون محاط بالجبال عن بعد فسكن البحر ونشطت وهو
من غرائب مرض البحر اذ شدته تقتضي ان الانسان يبقى معه التعب وهو بخلاف ذلك
لانه اذا انقطع الاضطراب يحصل النشاط الاول فلاول ما نشطت صعدت الى سطح الباخرة
فرأيت الجبال محيطة بنا وهي جبال أكثرها صلد لا غابات بها ومنظرها ليس بحسن
وأغلبها خال عن العمران لان التمدن لم ينبسط في تلك الجزيرة ولم نزل سائرين في ذلك
الجون نحو ثلاث ساعات وكانت الباخرة تسير عشرة أميال في الساعة الى ان أرسينا
مرسى كالاري التي هي تابعة لايطاليا وكان دخولنا يوم الخميس قبل الزوال فاذا

بالمرسى مبنية بالرصيف لأمن السفن بحيث تستطيع أعظم سفينة أن تلتصق بالرصيف
الآمن من اضطرابات البحر والأرصفة بالبر ينزل ركابها إلى ذات البر وفي المرسى كثير من
السفن والبواخر لأن موقعها متوسط فيأتيها البريد من جهات ويفرق على بواخر كل
تذهب إلى جهة من الممالك الشرقية والغربية ثم يحمل من الجزيرة في السفن الملح
والغلال والأثمار إلى كثير من الجهات ثم تنزل السفن الأمتعة في زوارق كراؤه فرنك واحد
والزوارق كثيرة تحيط بالبواخر وأصحابها سيئو الأخلاق مع المسافرين يغرونهم بالركوب
قبل المساومة في الأجرة فإذا نزلوا طلبوا منه أضعاف القيمة وربما سرقوا ما وجدوه إن
أمكنهم وذلك ديدنهم في كل المراسي لكنها ومتى قبل الركوب ودخلنا البلدة فإذا هي
بلدة غير متمصرة وأغلب طرقها ضيق وأبنيتها على النحو الأوروباوي الآن في بنيانه ولا
تزيد طبقات دورها على أربعة وهي بلدة متصاعدة في الجبل وطرقها جميعا مبلطة
فالذي تعرفه العجلات يكون مرصوفا وغيره محجر بحجارة غير مستوية ولذلك كان منظرها
والمشي بها متعبا وترى الحبال ممتدة بين شبابيك الديار من إحدى الجهات إلى ما
يقابلها فتنشر الثياب المغسولة عليها وفرش الديار مثل الفرش الأوروباوية وبهاته
البلدة بستان عمومي متنزه للعامة وتأتيه الموسيقى العسكرية في أوقات العامة عشية
الأحد والأعياد وفيه ماء نابع حلو وبه أشجار صغيرة وبه آلات للبيع في أوقاتها وفي البلد
منازل المسافرين منها الحسن ومنها ما هو دونه وبها حوانيت وحمامات غير متسعة جدا
وبها قهاوي ويباع بحوانيتها جميع ما يوجد بالبلدان من الضروريات والحاجيات
والتحسينيات وفيها مستشفى ومدارس للتعليم في مبادي الفنون وبها مطابع أيضا وفيها
صحف يومية نحو الأربعة وهواء البلد ردي وتكثر فيها الحميات في الصيف ويجاورها
السبخة وهاته السبخة يتقدم فيها أصحاب الجرائم لتقبله الحكومة عليهم من عمالة
إيطاليا وفيها معمل كبير من النشا لذلك مجلوب له الماء في قناة من الماء مجتازة
قرب شاطئ البحر ظاهرة للناظر وبسبب تلك السبخة فسد هواؤه كالأرض حتى يقال إن
عدد أهلها كل عام في نقصان وقد شرع في مد طريق حديدية من هاته البلدة التي
موقعها في الجنوب الغربي من الجزيرة التي هي مستطيلة من الجنوب إلى الشمال
وينتهي الطريق في أعلى الشمالي الشرقي من الجزيرة غير أنه لم يتم إلى الآن ولا زال العمل
فيه ثم أهل البلد على قسمين (الأول) الأعيان والوافدون وكلاهم لباسهم مثل لباس
الأوروباويين (والثاني) بقية الأهالي ومنهم بقية سكان البوادي والقرى في الجزيرة

يلبسون

يلبسون جلود الغنم بصوفها فالصوف مما يلي البدن والجلد من أعلى وهيئة اللبس هي
صدرية وصنتان وسروال بل نحو السراويل بنطلونية لكن يجعلون على الساق ألبسة
مربوطة والنعال خشنة ذات مسامير كبيرة وعلى رؤسهم عرارق من الصوف أو قلانس من
الصوف المنسوج طوال مدلاة على أكتافهم والنسوة يلبسن قريبا مما لبسوه وربما
لكن على شكل غير ظريف وفي أرجل أغلبهن قباقب من خشب وأغلبهم طليانية والغالب
هو عدم التمدن والأكل رخيص هناك فالقهوة لثلاثة منا طلب صاحبها ثمانية صولدي
والبرتقالة عشرون صولدي كل صولدي خمسة سانتيم ثم ركبنا باخرة أخرى وهي
التي توصلنا إلى نابلي بعد أن أحسنا إلى خدمة الطبقة التي كنا فيها وذلك من اللوازم
في البواخر وكذلك الاحسان لخادمي المطاعم والقهاوي ومقدار الاحسان نحو خمسة
في المائة مما يدفعه الدافع فإن كان أقل تورع في ذلك وإن زاد شكر ونقلنا رحالنا إلى
الثانية فأقلعت قرب الغروب وتوجهنا إلى نابلي فلم تزل الباخرة سائرة والبحر ساكن
إلى أن خيم جناح الدجون وابتدأت الباخرة متوجهة إلى الشرق وأرخى الظلام سدوله
فهنا في مضاجعنا إلى الصباح فاستيقظنا بكرة وحيث كان البحر في سكون كان يستطيع
الانسان أداء جميع ضرورياته والوضوء والصلاة على أكمل حال وبعد شروق الشمس
أول ما كشفناه قرب نابلي جزيرة اسكا وبها جبل مرتسم وهي تحتوي على قرى كثيرة
ولها منظر جميل من بعد لارتفاع مبانيها وتزويقها من خارج ثم ظهر بركان نابلي
وهو جبل مرتفع متصاعد منه دخان ثم وصلنا إلى مرسى نابلي والبلد في سفح الجبل
وهي أكبر مدن ايطاليا وكانت تخت الملك النابليتان وسكانها نحو أربعمائة ألف نسمة
وهي محيطة بجون في البحر على شكل هلال والمرسى في الوسط وهي مرسى صناعية
أكبر من مرسى كالاري غير أن السفن في وقت وصولنا إليها أقل من الأولى فتعرض لنا
عند ارساء الباخرة أحد المعارف في زورق لأنه بلغه خبر قدومنا بسلك الاشارة من كالاري
فاصطحبنا جميعا ونزلنا بوسط الكمرك ونظر المكلفون به رحالنا فلم يجدوا بها شيئا يؤدي
الكمرك سوى شيء من الدخان وماء الزهر فأخذوا ما عليهما من الضريبة ثم ركبنا
بكروسة من الكراريس الموجودة في فضاء الكمرك معدة لمن يريد الركوب
وهي كراريس صغيرة أغلبها يركب راكبين فقط من النوع الذي يرفع سقفه إلى خلف
ومثلها موجود في أغلب الجهات الكثيرة العمران من البلاد وتجرها الخيل وأما عجلات
حمل الأثقال فتجرها الخيل والبغال والبقر وهكذا في غيرها من البلدان غير أن البقر

لا تستعمل فى الحرف أعالى ابطال البلاد فرانسا ثم نزلنا باحد منازل المسافرين بعد أن زدنا فيه
يومين على نحو ما يليق بنا وهو منزل كبير ذو خمس طبقات له شبابيك تفتح على نهر واسع
يسمى طريق الموسه وله شبابيك على بحر واسعة بها فوارات الماء العذب المجلوب
من الجبل المورح على البلد وعلى ديارها وسائر مساكنها وكان الكراء لاربعتنا فى اليوم
للسكنى والاكل خمسة وعشرين فرنكا سواء أكلنا أم لا ومازاد على ذلك مما يطلبه
الانسان يؤتى به اليه لكنه يحسب عليه ثمنه كالورق للكتابة والشمع وغيره بحيث
انه كلما يطلبه يجده وانما ينبغى للانسان أن يساوم مدير المنزل قبل الاتيان بالشئ
المطلوب والا فانه يحمل عليه ما يحتاج باغلاء وأما الاشياء الضروريه فهى داخلة فى
اجرة السكن والاكل وهى ان يجد الانسان بيتا وفراشا للنوم بغطائه ولوازمه وكراسى
مكسوة بالحرير مزركشة وعليها مرآة ووسادة وسائر الضروريات ومصباح وشمعة
ومائدة لوضع الكتب وآلات الكتابة ومناديل للتنشيف من الماء عند الغسل وهكذا
سائر الضروريات الا الابريق للمراحيض ينبغى حمله الى جميع جهات أوربا فلا يوجد
عندهم ولا سواء تعودت عليه وهو من العادات اللازمة للسيرة الاسلامية وللنظافة كما
انهم فى أوربا لا يغسلون أيديهم بعد الاكل أما قبله فمن آدابهم أن يغسل الانسان يديه
ووجهه فى بيته ويأتى بيت الطعام بثياب نظيفة غير أن من أراد غسل فمه وأصابعه بعد
الاكل فله أن يطلب من الخادم فى بيت الطعام أن يأتيه بما يغسل به فيأتيه بصحن فيه
قدح من الزجاج أو الخزف وفيه كاس به ماء حار قليلا لا يخلو من شئ من روائح الطيب
فيتمضمض به ويمج الماء فى القدح ويدخل أصابعه فى الكاس ويمسح بها شفتيه ثم يتمسح
فى منديل ثم ان بيت السكنى مفروش بالزرابى وعلى أبوابه أردية مزركشة وهو فى غاية
النظافة وله خادم لتنظيف البيت وتهيئة الفرش وعند الاستيقاظ يدعو الساكن الخادم
فيأتيه بالقهوة وما يتفق عليه من الاكل صباحا ثم ينظف الخادم البيت ويغير المناديل
والاردية للفراش ان كان بها أدنى وسخ وعند الظهر أو قبله بساعة يضرب جرس للتهيئ
للاكل ثم بعد خمسة عشرة دقيقة يضرب الجرس مرة اخرى لحضور السكان من
بيوتهم الى بيت الطعام وهو بيت متسع فيه مائدة كبيرة أو أربع يجلس عليها
الحاضرون فوق كراسى ويفرق عليهم الاكل مع والاغلب أن يكون أربعة أنواع أو
خمسة من اللحوم والطيور والسمك ثم نوع من الخضر ثم فاكهة ثم ينصرفون ومن أراد
الاكل فى بيته فله ذلك غير أنه يحسب عليه زيادة فى الثمن أو يعطى أقل من الوزن

المائدة

المائدة العامة وكذلك وقت العشاء وهو في الأغلب بعد الفطور بسبع ساعات ولما كان
المسافر يريد التفرج فالأولى أن لا يكتري المنزل إلا للسكنى وأما الأكل فيحصل له بموضع
خاص للأكل أكله ان حضر أكل والا فلا يحسب عليه شيء لكي لا يلزمه الحضور والأكل
في محل واحد او به يحصر فيعين الأكل باعتباره عن الأكل في منزل السكنى ثم في المكان
الذي يأكل به واذا خرج المسافر يقفل بيته و يعطي مفتاحه لصاحب البيت لكي
يكون رحله في أمن اذ تعتري السرقة في البيوت أحيانا سيما في نابلي ولا يطالب صاحب
المنزل بما يسرق الا اذا كانت الأشياء المسروقة تضمن وربما وضعها في البيت كالصندوق
وأما المال والمصوغ وشبهه فالأولى لذلك ينبغي ان له شيء من ذلك ان يحمله معه أو يضعه
في أحد البنوك لان وضعه عند صاحب المنزل خطر وان أخذ منه حجة في ذلك اذ يحتمل
افلاسه فتذهب الأمانة سدى ولذلك يكون الأوفق للمسافر أن يحمل معه من المال
العين شيئا قليلا و بقية ماله يصرفه بتذاكر البنكات معتبرة كبنك فرانسا أو انكلترة
و يحملها معه أينما ذهب فيصرفها او بعضها متى أراده بالمال بصرف تذكرة من
تلك التذاكر عند أي صراف أراد بل ربما ربح فيها لخصوص تذاكر البنك
الفرانساوي والانكليزي يرغب فيها أكثر من المال العين ولذلك يؤخذ منها بانصف
في المائة زيادة عن قيمتها بخلاف تذاكر بنوك ايطاليا أو غيرها فانها لا تصرف في غيرها
لكنها وفي ذاتها لكنها تعطي الصرف أقل من قيمتها فمثلا التذكرة المسماة بمائة فرنك
من بنك ايطاليا اذا أردت أن تدفع المال وتأخذها فانك تعطي مائة فرنك عينا وتأخذ
مائة وثلاثة عشر ورقا وهاته الأوراق هي التي بها الرواج في ايطاليا بحيث انها هي المعتبرة
عند الاطلاق وفي ايطاليا ستة بنوك لها تذاكر من ذلك النوع فاما تذاكر بنك الدولة
فانها تروج في جميع ايطاليا وأما تذاكر بنوك صادرة أخرى فلا تروج الا في خصوص
البلدان التي فيها البنك فمثلا تذاكر بنك نابلي لا تصرف في رومة أو غيرها من مدن
ايطاليا فضلا عن غيرها فينبغي للمسافر أن يتنبه لهذا وقد أقمنا بنابلي ثمانية أيام
وتفرجنا على أغلب محالها وغرائبها وأشهر طرقها الحسنة البهيجة هو طريق توليدو وهو
متسع عامر جميلا وتسما لان قصور الشاهقة وبأسفلها الحوانيت للبضائع والتحف الأنيقة
ويقرب منه في المنظر طريق البوسطه وطريق المدو وثم طريق جديد يسمى فوريدو
وهو أوسع من غيره وأنزه وعلى حافتيه الأشجار لكن القصور التي حوله لم يكمل انتظامها
اذ ذاك وهو في الجهة العليا من البلاد وبها عدة بطحاآت أشهرها وأكبرها التي أمام قصر

الملك ويحيط بها قهاوى ومحلات للاكل ومن المبانى الشهيرة التى رأيتها فيها قصر الملك
الذى فى البلاد وهو قرب شاطئ البحر وأمامه من جهة البحر حصون وأسفله من تلك
الجهة مسكن للعسكر وعلى سطحه بستان متسع ذو أشجار ونوافير مياه تطل عليه شبابيك
القصر والقصر ذو أربع طبقات والمعد منها لسكن الملك هى الطبقة الثانية وهو قصر
فخم متقن البناء وانفس والتزويق يشتمل على كنيسة وعلى ما هو خصوصى
للعائلة الملكية ويشتمل أيضا على جميع الاثاث والادوات المحتاج اليها فى السكنى من
فرش وأوانى طعام على أنواع حتى من الفضة بحيث انه منتظم كأن الملك ساكن فيه
والحال انه لا يأتيه الا أحيانا فى بعض أوقات التنزه أو نحو ذلك لان مقر الحكومة
مدينة رومة لكن لما كانت نابلى سابقا قاعدة مملكة النابوليتان وكانت ملوكها
مستعدين أشد استعداد وأوفى قصورهم بقى الحفظ عليها على ما كانت عليه ولها
خدمة ومكلفون حتى ان الملك اذا قدم الى هناك لا يحتاج لجلب شئ معه سوى ما يوجد
ويكون له عقد الولائم الحافلة هناك كأحسن ما تصنعه الملوك وهكذا فى كل بلد كانت
قاعدة الملك فى ايطاليا وبالقرب من هذا القصر الملهى الكبير المسمى سان كارلو وله مزية
من القصر الملوكى وهو من أكبر الملاهى أوروبا وأفخمها ضخامة وتزويقا ويحمل من
المتفرجين ثلاثة آلاف وخمسمائة متفرج وهو ذو ست طبقات فيه أربع طبقات كل
واحدة تشتمل على احدى وثلاثين بيتا ومنها طبقتان كل واحدة تشتمل على ثمانية
وعشرين بيتا وكل بيت يجلس به أربعة أنفس عدا بيت الملك التى فى صدر
الطبقة الثانية مواجهة للعب هذا عدا المحل العمومى فى الوسط الذى به مقاعد
عددها ستمائة وثلاثون مقعدا وهذا الملهى لم يفتح اذ ذاك منذ سنتين اقتصادا من
الحكومة لانه يلزمها فى كل ليلة تقضيها ان تعين على مصاريفه بألف وخمسمائة فرنك
لان دخل الليلة بتمامه لا يكفى مصاريفه ومن مشاهدتنا أيضا قصر الملك الذى خارج
البلد فى رأس الجبل ويسمى كابودى مونتى وهو قصر أصغر من السابق يحيط به بستان
أنيق ولم يكن بالقصر فرش سوى بعض بيوته بها فرش عتيق فيها الملوك الاقدمين
موضوعة هناك للتفرج عليها وبقية البيوت بها آثار قديمة من السلاح وأدواته
حتى كان منها بيت مملوء بصور أجساد آدميين متدرعين بأنواع شتى من الدروع على حسب
اختلاف الزمان ومنها صور فرسان بخيولهم متدرعين ومنها صور بعض ملوكهم
والدروع كانت حقيقية مستعملة حقيقة فى الحروب وبعضها به آثار الضرب والطعن

حتى

حتى بالرصاص من المكاحل وبقية بيوت القصر خاوية والجميع بناؤه أنيق ثمين
وشاهدت أيضا أكبر كنائسها وهي كنيسة صان جبارو وهي ضخمة ذات أعمدة من
المرمر ومن غريب ما فيها صورة صنم من رخام أبيض عليه ثوب كأنه صفيق بحيث
يبدو ما تحته ويخال أنه نحت من ذلك الرخام وشاهدت أيضا أكبر مارستان لهم وهو
ذو بيوت كبيرة كل واحدة بها نحو المائة فراش كل منها بعيد عن الآخر بقدر فراشين
وكل فراش لمريض واحد عرضه نحو المتر وطوله نحو المترين وربع وهو على سرير من
خشب يحتوي على فراش وعليه إزار ووسادة وغطاء من القطن والمريض لابس القميص
وعلى رأسه قلنسوة من نوع القميص والكل من منسوج الكتان الأبيض وكل بيت
يحتوي على نوع واحد من نوع المرض أو متقارب النوع ولكل بيت خدمة بالأجرة
يوفون للمرضى بجميع لوازمهم وإعطاء الدواء في أوقاته حسب إشارة الطبيب وزيادة على
ذلك كثيرا ما تأتي نسوة من الأعيان وغيرهم لخدمة المرضى والرأفة بهم حنانا منهم ورغبة
في عمل الخير وللمارستان عدة أطباء منهم من هو ذو وظيفة وله أجر معلوم ومنهم من
يداوي مجانا لممارسة في الخبرة ولإعلام تعلمه من الطب حتى يأخذ الشهادة ممن له الإجازة
على قوانين لهم في ذلك وللمارستان أيضا بيت أدوية ومواعين جراحة والدواء وفيه
قسم للرجال وآخر للنساء المرضى وهكذا كل مارستان غير أن بعضها يداوي مجانا
وبعضها بأثمان لمن يريد التطبب من ذوي اليسار وبعضها على مقدار معين يوميا
والمستشفى يقوم بجميع ما يلزمه ويختارون التداوي في المستشفيات لأنها أتقن من
مساكنهم سيما في الخدمة على ما يتعلق بالدواء وأداء الخدمة حقها مع مباشرة مشاهير
الأطباء الذين يلزم لإتيانهم لمساكن المرضى مصاريف وافرة ومحلات هؤلاء المتأخرين
في المستشفيات أنقى وألطف وأبرى من المحلات العامة ويمكن لكل مريض أن يستقل في
بيت خاص به صغير موافق في الهواء بحيث إن جميع حركات المستشفيات وأوضاعها على
مقتضى الحكمة الطبية ثم إن مصاريف المستشفيات على أنواع فمنها ما تقوم به الدولة ومنها
ما يقوم به المجلس البلدي ومنها ما يقوم به جماعات من الأهالي وهذا في كل جهات أوروبا
سواء ويقبلون الصدقة ممن يريدها ولو من السواح وشاهدت فيها أيضا الدار التي بها
الآثار العتيقة ومنها الأشياء التي استخرجت من بلدة بومباي التي يأتي ذكرها وهذه
الآثار لو أراد الكاتب استيفاء ما يلزم لها لعده الضخم إذ هي مشتملة على أنواع وأشكال
شتى من أقطار مختلفة فمنها ما جلب من مصر المومي وهي ذات إنسان ميت مصبرة على

ما كانت عليه منذ عدة آلاف من السنين لم يتغير منها شيء سوى ان اللون اسود وحرفه
منقوبة لاخراج جميع احشائه وبقية حاله على ما كان عليه وفي هاته الدار نحو اربعة
أجسام من ذلك النوع منها النساء ومنها الرجال وذواتهم لا تختلف عن ذوات البشر
الموجود الآن لكن ليس فيهم ذو حياة واصل ذلك بسبب ان الميت المصري غالبا يكون
من يرقونه ومثل هؤلاء لا يموتون عادة الا بالامراض والامراض تضعف الاجسام فلذلك
كانت أجسام المومياءات ضعافا والاطباء لتصبير يحفظ الجسم على ما هو عليه ثم ان ذلك
النوع من التصبير قد جهل ومع كثرة ما بحث عنه من حكماء الاعصار المتأخرة لم يطلع عليه
فهو من العلوم التي فازم المتقدمون ودثرت ومن غرائب ما في هاته الدار ايضا قطع من
ثياب منسوج من مادة حجرية وهذا المعدن يسمى اميانت وهو الآن معروف وموجود
لكن كيفية تقديده حتى يصير مغزولا او ينسج منه مجهولة الآن وقد كان في الاعصر
السالفة معلوما ومن فوائد تلك الثياب انها لا تحرق اذا وضعت فيها بالنار وهي
ثياب لينة تطوى عيبها انها خشنة ومن غرائب ايضا ما وجد من آثار بومباي وهي اشياء
كثيرة من المأكولات وغيرها ورأيت منها اعروا القمح والزيتون وغيرها لكن ما مضى عليه
الف وثمانمائة سنة او اربعمائة لم يتغير منه شيء سوى اسوداد في اللون وقالوا ان طعمه ايضا لم يتغير
وسمعت انهم زرعوا حبوبا باقية وجدوه كالقمح ونبت واثمر مثل الجديد مما يدل على ان
النوع واحد لم يتغير حاله مع طول الزمن وكل هاته الحبوب موضوعة على ترتيب حسن
الى غير ذلك من الآثار القديمة الموضوعة المنتصبة في اماكن مصنوعة لها وعلماء
فيون يوميا لمن يريد التفرج ابو زهيد وتسمى هاته الدار مورازي باسيو بال ومما
شاهدته في نابلي دار الفنون المسماة أنيفرسيتادي نابلي وهي يتعلم بها فنون الطب
والاحكام والسياسة والتجارة والكيمياء والصيدلة والبناء والفلك والجبر والمقابلة
والهندسة والابعاد وجر الاثقال ولكل فن قسم ومدرسون ومما يحصل لاجسام
الحيوانات فيه أغلب ما يعرف منها من الانسان الى الدواب من الحشرات حتى الحيوانات
البحرية لكنها كلها ميتة محمولة تواى مفروغة فهم يعبرون مع الحفظ على هيئة الجلد
وحشا اجلادها بما يدل ثباته ويرسم على هيئة أصل الحيوان حيا وتجعل عيناه من زجاج
فيراه الناظر كانه حي وفيها من تلك الانواع ما لا يكاد يحصى ويوجد كتاب مطبوع
في البلد مشتمل على تلك الحيوانات مع تراجمها واغرب ما رأيته من حيواناتها ولم اره
في غيرها صغير في حجم النحلة لونه ازرش وذنبه ذو ريشتين فقط طويلتين كل منهما
في

في طول ما يقرب من الشبر لها الوان جميلة وكذلك رأيت فيها سمك البحر أعظم حجما من
الفيل لكنه أقصر منه لان جثته هيئته تقرب من هيئة السلحفاة ورأسه أضخم من
رأس الفيل وعيناه واسعتان جدا وفمه مفتوح وجلده منكمش ويجعل له منظر بشع
منفر ويوجد في هذا المحل جسم الانسان على جميع أطواره منذ يتكون مضغة الى ان
يصير شيخا فانيا ثم يوجد تشريح اعضائه منفردة سواء كانت ظاهرية أو باطنية كورية
أو أذنية وجملة جسمه من الجماجم الاصابع كل منها منفرد عن الآخر فتجد جسما ليس
فيه الا العظم فقط على قدر خلقته ثم آخر به العظم والعروق فقط وهكذا غير ان بعض
هاته الاجسام هو حقيقي وبعضها صوري من الشمع لكنه متقن التصوير واللون حتى
كأنه هو الاصل لان اللحم بدون جلد لم يمكن لهم تصبيره في الهواء وكذلك توجد أجسام
المولودين على خلاف المعتاد ككون وجهه في بطنه أو جزؤه ثلاثة رؤس الى غير ذلك
وكلها مصبرة في زجاجات كبيرة مملوءة بماء روحية لكي تبقى الجسم على النص وفي هذا
المحل يتعلم فن التشريح الذي هو من فروع الطب وفي هذا المحل ايضا خزانة كتب عظيمة
بها مائة وثلاثون ألف مجلد كلها مطبوع الا النادر بخط اليد وبها كتب عربية
كثيرة ومما رأيته فيها مصحف كريم مطبوع بالطبع الحجري ثم كتاب يسمى الكمال
المسمى للراهب القوس رودر بكوس موضوعه متعالم ديانتهم وهو في مجلدين
ضخمين ثم مجلد آخر يشتمل على توراتهم وانجيلهم مكتوب بلغات ستة
ومخطوطها واللغات هي العربية والعبرانية واليونانية واللاتينية وجاربانو والسريانية
بنوعيها ويوجد بهاته الحجرة المكتبية كورتان محيط دائرة كل منهما نحو ثلاثة امتار
احديهما صورة الفلك والاخرى صورة الارض مرسوم بها سائر البلدان متقنة مكتوب
عليها بالخط العربي المتقن الجميل قيل انهما من صنائع علماء الاندلس وبقرب نابلي
على مسيرة نحو عشرين دقيقة في الرتل المدينة بمباي هاته البلدة كانت منذ الفي سنة مصرا
متمصرة وكان أهلها مولعون بالانكباب على الشهوات وقساوة القلب حتى ان من
ألعابهم في الملاهي والمراسح أن يسرحوا الحيوانات المفترسة ويلقون لها بالناس الذين
يريدون عقابهم فتقتلهم الحيوانات وتمزق أجسامهم شر تمزيق والمتفرجون محدقون
في البيوت المرتفعة المحصنة من وصول تلك الحيوانات اليهم وهم يضحكون فرحين ولم
يكن ذلك مقصورا على رجالهم بل حتى النساء اللاتي هن أرق طباعا كن يتهورن
وينبسطن من مثل تلك المناظر وتمادى تمرد أهل تلك البلاد على جورهم وقهرهم فارسل

الله عليهم هيجان جبل النار وفيزوف الذى هو بركان وهو بقربهم على نحو ثلاثة أميال
فزلزلت بهم الارض وهم على حين غفلة زلزالا شديدا وهربوا للفرار الى الفضاء خارج
البلدة فأدركهم سيل العرم من النار التى قذفها الجبل فاحمر الافق بدخان مظلم واحلولك
وعاق عليهم طائف من بحر النار فاهلكها وكل من فيها فى بضع دقائق وتراكمت عليها
المادة السيالة النارية حتى صار مكان البلد وما حولها تلالا وامتد الى البحر سبحان
الملك القهار وتمادى عليها ذلك الحال ونسى امرها لان الواقعة وقعت عليها قبل
التاريخ المسيحى بقليل وصار سطح أرضها بطول الزمان صالحا للزرع والنبات ففى عشرة
الثمانين والمائتين والف هجرية كان أحد زراعين هنالك يحرث فنشب محراثه فى
عروة احدى الاوانى التى كانت فى البلاد فبحث عليها فتراءى له ماطنه كنز وتبين به كنز
رفيع وهو البلاد الغابرة فعينت دولة ايطاليا مقدارا من المال سنويا وكلفت مهندسين
بالكشف عن تلك البلاد مع التحفظ على هيئة بنائها وجميع ما يوجد بها ولا زال العمل
مستمرا الى الآن وانما كان السير بطيئا فى العمل لان المادة النارية تحجرت وصارت
صلبة مع الاحتراس من افساد الموجود وتعسر الفرق اولا بين ما كان من البناء وبين
ما التصق به من تلك المادة فأخرجوا من البلاد كما وجد واذا ما كشف عليه وجد
كأنه على حالة أصله فى أبواب الصناعات والمحلات على الهيئة التى ادركهم عليها الحرق
والحرق والردم معا وكل الاجسام التى وجدت بقيت على حالها عند مس الهواء لها سوى
الاجسام الحيوانية فانها عند مس الهواء لها تضمحل بجملتها الا من حيلة لابقاء صور
الاجسام بان جعلوا كلما عثروا على آلة الحجر لجسم حيوانى اتوا بالجص وحلوه فى الماء
ورفعوا ذلك آلة الحجر عن اعلى الذى لمسه وافرغوا الهواء مما الجرم محوى فيه من ثقب
آلة الحجر فينفش الجسم فى الهواء ويبقى محله فى المادة النارية خاويا فيصب فيه الجص
وعند جفافه وانعقاده تكسر المادة النارية عنه وتخرج صورة الجسم على ما كان عليه
ورأيت فى بعضها بقية من فقرات الظهر وعظام الاصابع لم تبل ومما يدل على جراءة اولئك
الاقوام فى ذلك العصر وغيرهم ان وجدت بعض جثثهم على حالة الوقاع حتى كان منها
جنازة رجل وامرأة متداخلى الارجل لكن الرجل لما ادركه الموت انزعج على قفاه وهو
ناعظ وبقيت المرأة على حالتها منكبة على وجهها ومفضية على ركبتيها فانظر الى ذلك
التجبر مع بقية الزلزال ولم يؤثر فى شهوتهم حتى ادركهم الهلاك على شهوتهم واما ابنية
تلك البلدة فالظاهر ان اغلبها انهدم بالزلزال وما بقى منها قائما فمنه المتصدع والمنشق

ومنها

ومنها القائم على أصله وهيئة بنائهم يعلون الحائط ضيقا نحو ذراع فما دون والسقوف
من بناء على هيئة قباب نحو نصف كورة أو أقل تكون زوايا يضعون تقابل الأبواب فإذا
دخلت بابا الى دار من الطريق تجد سقيفة مربعة ثم بابا الى وسط الدار وفيه أربعة أبواب
الى كل بيت واحد من البيوت وراءها جنينة وبركة ماء وأسرة النوم من بناء كالدكاكين
وحوها الوسادة بناء مرتفع يعبر على سطح السرير ولا تختلف دور الأغنياء عن غيرهم الا
بالكبر والصغر ولكل بيت طاق الى وسط الدار وكل الطواق والأبواب متقابلة
والحمام الذي رأيته في البلاد هو على نحو الحمامات المعروفة الآن في البلاد الإسلامية
وفيه تصاوير على الجدران بالألوان مثل الحمامات بتونس والمغرب ورأيت محل الحكومة
وقضاة السجن وعند مجلس الحاكم عند باب طاقة ينظر منها على المحبوسين أسفله
والسجن مظلم لا يدخله هواء ولا ضوء الا من تلك الطاقة ورأيت الملهى فاذا هو على نحو
الملاهي الأوروباوية غير أن مرسح اللعب هو وسط الدائرة وهو أسفل مكان المتفرجين
والطرق كلها مبلطة بالحجارة الصلبة المصورة ومستديرة على ثلاثة أنحاء فوسط الطريق
منحط عن جانبيه لمرور العجلات ومعروض فيها على جانبيه سكة لمرور ذات العجلة لقدميها
وعن اليمين والشمال محل مرور الماشي وجميع عرض الطريق نحو ثلاثة أمتار وفي محل
مرور العجلات قسم وسط الطريق بحجارة نحو قدم مربعة على سطح الطريق بحيث تراها
ناتئة على طول الطريق وجميع الطرق مستقيمة لا اعوجاج بها ولا تلاقي على زوايا حادة
غير أن كل طريق لما كانت لا تمر بها العجلة الا في جهة واحدة حسبما هو معروض للعجلات ويلزم
بالضرورة أن تكون كل طريق لا تمر بها العجلة الا في جهة واحدة كي لا تتلاقى
وفي محل الإدارة لكشف تلك البلاد محل لوضع الأشياء المستخرجة ثم تنقل من هناك الى
نابلي وتوضع في محل الآثار القديمة كالمرمر والمادة النارية المتصلبة يصنع منها تحف كثيرة
في نابلي وفي سائر سوق تلك الجهة وجميع الأماكن المعدة للتفرج إما أن يدخلها الإنسان
بأجرة يبذل أو تكون له تذكرة الدخول من الدولة والحصول عليها يكون بواسطة أحد
الأعيان أو نواب الدول وقد أعطانا تذاكر الدخول قنصل الترك وقد اجتمعت في نابلي
بأكبر حكمائها وهما توماسي وكنتاني وكان الثاني يعظم الأول جدا لكبر سنه حيث
أنه بلغ نحو الثمانين ولمشيخته عليه وكانت أجرة كل منهما في كل زيارة عشرين فرنكا
وبقيت في نابلي ثمانية أيام وكان المسافر بها يقدر أن يقيم كل يوم متوسط المعيشة
بأربعة فرنك يوميا للأكل ويقدر أن يأكل في محلات السافلة بنصف فرنك ما يأكله

في الحفلات العالية بعشرة فرنكات في الاكلة الواحدة وقد دعاني هناك أحد أعيان البلدة
للسامرة في داره حيث كان صحبنا الى مصاحبتنا من أهل البلد فرأيت كيفية سمرهم
ورقصهم وفي آخر يوم من اقامتي بها أعلمت بان الابرة المسماة بالبوصلة اضطربت
علامة على الزلزال ثم ركبنا الرتل بقصد بلد رومة وكان ذلك صباحا ولما وصلنا الى قرية
كزرتا التي هي قريبة من نابلي مسير نحو ساعة في الرتل نزلنا هناك وتغدينا في احدى منازل
المسافرين وأمامه نادي حوانيت ما ... ثم ذهبت مع ذلك الرتل الى رومة وننتظر في
الكمرك في محطة الرتل الى ان نقدم اليه. ثم ذهبنا الى قصر الملك في ابتدائه المسمى
بقصر كازرتا وهو أعظم وأتقن قصر رأيته من جهة التأنق في مواد بنائه المتخذة
من الاشياء الغالية كالمرمر والرخام والحجارة الضخمة المصرية ومن كان غيره اشد تأنقا
من جهة صناعات النقش والذهب والتزويق وهو مربع الشكل كل جهة منه في
طول مائتين مترو وأمام الباب جملة عظيمة على حدتها اكثر العساكر واذا دخلت
من الباب تجد القصر منقسما الى اربعة أقسام وكل قسم في زاوية يشتمل على طباق
وله مطالع الى اعلى من المرمر للكبير لعهد الوقت الرسمي يشتمل على مائة واحدى عشرة
درجة من المرمر المورد اللون كل واحدة في قطعة واحدة لا قبلا منها في قطعتين طول
كل درجة ثلاثون قدما وعرضها قدمان وارتفاعها ستة أصابع ومن ... لدرج منفرد
فاذا انتهت الى نصفه ارجعت الى ... لا ... بان الى ايوان عظيم مرفوع
سقفه على ستة عشرة اسطوانة من المرمر المزرزر كل في قطعة واحدة ارتفاع الواحدة نحو
عشرة أذرع ومحيطها لا يستطيع الانسان الكامل الاحاطة به بذراعيه ومنه يدخل الى
البيوت الضخام المتخذة أنواع السقوف وكسوة الحيطان والارض بانواع من المرمر او
الطلي او المرز ... او القطع الصغيرة من المرمر كل قطعة نحو الانملة من لون مرصفة على
أشكال بديعة او من المنسوجات الصوفية او الحريرية من المصانع الشهيرة في العالم
ويحتوي القصر على كنيسة وهو دون ثلاث ... وقد تم منه بالبناء والادوات داخلا
وخارجا الثلث والثلثان لم يتم منهما الا بناء الحيطان والسقوف وبقيا فهي الادوات
وليس في القصر شيء من الفرش ويحيط به بستان طوله ثلاثة أميال وعرضه قريب منها وفي
منتهاه جبل تنحدر منه عين ماء عظيمة محمولة على نحو شلالة لا قصد رمائها دوي واذا
قابله الداخل من باب البستان جهة القصر يظهر له من بعد كأنه منارة متصاعدة في الجو من
الزجاج الابيض ثم ينشأ من ذلك الماء نهر وبحيرات بها كثير من الطيور المائية وأنواع
السمك

السمك ويحتوى البستان على مماشى وغياض متفننة ذات أنوار وأزهار كما يحتوى على
آجام وغابات وحيوانات للصيد ثم ركبنا قرب الغروب من هناك الرتل ومررنا نحو احدى
عشرة ساعة وليس هناك من العمران مثل ما بأرض فرنسا بل أكثر الاراضى معطلة والجبال
لا منظر جميل بها ولا عمارة انما توجد القرى وما حولها معمورا نسبيا وكانت القرى تبعد عن
بعضها فى أكثر الاحوال سير نصف ساعة فى الرتل فوصلنا بلد رومة التى هى تخت
المملكة بعد نصف الليل وفتشوا فى الكمرك رحلنا أيضا مع انا قادمون من احدى بلادهم
وذلك لان لكل بلد ادارة على ما يدخل اليها من الحاجات الخاصة زيادة على ما تأخذه الدولة
من الكمرك العمومى ونزلنا فى احدى منازل المسافرين وأخذنا اليه صناديقنا التى
وجدناها فى الكمرك غير انا وجدنا احدها سرق منه برنس ووقع الخلاف بين متعهدى
المحطات بين سرقه فجماعة رومة يتهمون جماعة نابلى وهم يتهمون الآخرين والحاصل
ان البرنس ضاع وسببه هو خروج طرف منه عن غطاء الصندوق فأمكن للسارق جذبه
ثم أقمنا برومة ستة أيام واستشرت أشهر أطبائها وهو الحكيم باتلى الذى هو احد
اعضاء مجلس النواب واعتدال صحة هاته البلدة تامة وعدة سكانها نحو ثلاثمائة
ألف نسمة ولهم حضارة على أهالى نابلى وطرقها كلها مبلطة نظيفة أما الطرق
الخارجة عن البلد فهى وان كانت صناعية غير انها بها الطين بكثرة وان لم يعطل
العجلات وأحسن ما يقصد بالتفرج عليه فى رومة هو كنيسة الكبرى المسماة بصان باولو
التى هى أشهر ما فى العالم فى ارتفاع بنيانها وضخامة بنائها وهى مستطيلة الشكل
ذات قباب كثيرة وسطحها هى أعلاها وحيطانها مكسوة بقطع من المرمر منه الخلقى
ومنه الصناعى كل قطعة فى طول نحو عشرة أذرع وعرض نحو خمسة أذرع وبعض الحيطان
مكسو بقطع من الموزايكو منقشة بالصور والقباب كلها مكسوة كذلك أيضا والقباب
مرفوعة على اسطوانات من المرمر الخلقى وبعضها صناعى وليست مستوية الشكل
وبعضها فى قطعتين أو ثلاثة ومحيط كل واحدة من الخلقية أربعة عشر شبرا وقواعد
القباب مبنية بناء ضخما جدا بحيث ان هاته الكنيسة قد أفردت بتأليف خاص من
احد حذاقهم لما اشتملت عليه من اتقان البناء وضخامته وبلصقها قصر البابا
ويسمى الفاتيكان وهو أكبر القصور الملكية يحتوى على اثنى عشر الف بيت وبه
خزانة كتب رفيعة هى احسن خزائن ايطاليا وبها كتب كثيرة بالخط منها العتيق ومنها
نسخة من الانجيل باللغة العبرية مكتوبة قبل البعثة بنحو مائتين سنة وفيها

نص الآية القرآنية حكاية لقول عيسى عليه السلام وهي قوله تعالى ومبشرا برسول
يأتي من بعدي اسمه أحمد وقد اطلع على تلك النسخة أحد الأكابر ممن شهد القصر
وروى ذلك عن ثقة رواه عنه وذلك القصر فيه من غرائب المصنوعات والذخائر الثمينة
شيء كثير حيث كانت تجبى إلى الباباوات جميع النصارى الكاثوليك وملوكهم من سائر الأقاليم
تقربا إليهم لما كان لهم من زيادة عن الملك الجسماني الذي كان له في مملكة رومة وقد
زال ذلك باتحاد إيطاليا وآخر بابا كان جامعا بين الملكين هو بيو التاسع وهو لم يوجد
حين مرورنا على رومة لكنه منذ أخذت منه الملك أخيرا بقي متمكنا في قصره وله التصرف
في الديانة فقط على سائر الكاثوليك في جميع الممالك وأبقت له دولة إيطاليا جميع
ما في قصره وما في الكنيسة من الذخائر واستولت على كل ما عدا ذلك وبعد أن تفرجنا في
الكنيسة الكبرى سألناه هل يمكن التفرج في قصر البابا فأجابنا بأن ذلك اليوم لا يتيسر
بل نعود بعد أيام وكان ذلك هذا يعتقد أن البابا ومن غد اجتمعنا بالمطران دره وهو الذي
هو من نصارى الشام وله دير في أعالي رومة ومعه كثير من نصارى الشام المقيمين
وهو ذو أخلاق لطيفة فصيح بالعربية وكذلك من حوله وسبب الاجتماع به أنه ساكن
حد كنيسة منتظمة الشكل وأثناء ما قصدنا التفرج عليه حصلت المعرفة معه من
هنالك وكان معاد كرنا له البابا يريد الاجتماع بنا عند الدخول إلى قصره وأنه كلفه
بالحضور ليكون ترجمانا عنه فاعتذرنا إليه بأننا على سفر ولا يتيسر التأخير لذلك فلم
ندخل القصر ولا اجتمعنا بصاحبه إذ لا داعي إلى تعظيمه مع أن الداخل عليه يلزمه
تعظيمه كتعظيم الملوك بل ملوكهم يؤدون إليه مزيد التعظيم كأنه هو مليكهم ولا
داعي لذلك لأمر ديني ودنيوي لا سيما ونحن لا نقيم التعظيم لمن يكون مستبدا عن ذلك
واعلم أنه منذ سنوات دولة لما استولوا على جميع ممالك إيطاليا وأعطت الحرية في
الديانات فالداخل للكنائس لا يلزمه تعظيم شعائرهم كما كان من قبل بل لا يفعل
شيئا يخالف ديانته فكأنه يتفرج في قصر من القصور كما أنه ليس له أن يفعل شيئا من
الإهانات وحيث إن المسلم يدخل اليوم بأمان فليس له التعرض لديانتهم كما أنه ليس له
خيانتهم ثم إن أمام كل من قصر البابا والكنيسة الكبرى بطحاء عظيمة واسعة جدا وبها
عدة فوارات وأشجار وفوانيس وهكذا كل بلاد تحتفل بالفوانيس ليلا ويشق مدينة رومة
نهر يحمل الفوارات وإذا طمى ربما أضر بالمارين وهو آت من جهة الشمال
ذاهب جهة الجنوب وتفرج المدينة الآن الكنيسة القديمة وهي الآن خراب وإنما

يوجد

وجدنا أساسها والاطلال من جدرانها وقد علت الارض عليها كثيرا وكشف عنها
وبقيت عبرة للناظرين وهي أوسع من الكنيسة الموجودة الآن الكبرى كما وجد
بقربها ملهى قديم مثلها في الخراب على نحو ما سبق في صفة ملهى بومباي وقيل انه دار
الندوة اذ ذاك وهو كبير جدا وفي رومة أيضا منتزه عمومي في الجبل ذو مماشي وحدائق
وفورات في أعلى الجبل وهو نزه أما غير ما ذكر فليس في رومة معامل أو أماكن تقصد
للتفرج سوى ما هو خارج عنها من آثار بناآت الرومان في القديم وفيها ملاهي كثيرة متقنة
اللعب لشهرة الطليان بينه على غيرهم ودور الاهالي [illegible] بقلة النظافة
وأسعارها في السكنى وبقية الاكل وغيرها عالية بالنسبة لبقية ايطاليا وهواء رومة وخيم
بسبب أن المروج التي قربها يركد فيها الماء لانخفاضها عما يحول بينها وبين البحر وكانت
الكنائس بها كثيرة ولكل جرس فاذا دق جرس الكنيسة الكبرى دقت الاجراس
من جميع الجهات وصار لها دوي يقلق الساكن ويقرب من ذلك ما في أيضا ثم انا
قدمنا الى مجلس النواب الذي كان اذ ذاك منعقدا وهو يشتمل على خمسمائة عضو
فاذا هم أناس يتدبرون في أمرهم ويتشاورون فيه بغاية الاطلاق وصادف اتفاق حضورنا
البحث في نازلة مالية وهي أن وزير المال عرض على المجلس أن دخل الدولة غير واف
بمصاريفها والتعديل لذلك تلزم الزيادة في الدخل وقدرت الدولة ان الانسب في الزيادة
هو زيادة الضريبة على الملح فوقع نزاع في أصل الزيادة وكان أشد المضادين نواب
جزيرة سيسيليا الى أن قال أحدهم انك أيها الوزير لا تفكر الا في الزيادة في الدخل
بوضع الضرائب على السكان الذين أفقرتهم لكي تأخذ أنت المرتبات الوافرة من دمائنا
وكذا نادى المهل بصرف الاموال في شهواتك ونحو ذلك فرد رئيس المجلس وألزمه
الادب في الكلام فعاد الى كلامه وقال انتم تأخذون حصة وتحملوننا ما لا نطيق في
اقراضكم وشهواتكم فاسكته الرئيس وأطال عليه اللوم والتنكير بعبارات شديدة حتى
وصمه بالوحشية وانه يضطر الى اسكاته أو اخراجه من المجلس ان لم يلتزم آداب البحث فصاح
حزب المعارض وقالوا أليس لكم منع نواب الدفاع عن حقوقنا وما انتم الى هنا الا لحفظ
حقوق الامة من التلاعب بها فاجابهم الرئيس بان الحقوق يتوصل اليها مع سلوك الادب
فانقادوا اليه وطال النزاع في النازلة وأبقيت للمعارضة يوما آخر وكان مكاتبو الصحف
جالسين يكتبون جميع ما قالوه وما يقع حتى كتبوا اسم حضورنا الا أنا كنا بلباسنا
التونسي وذلك أوجب التفات الانظار الينا في أي مكان قصدناه حتى ان بعض البلدان

التي ليس لاهاليها مذهب تام كان يزدحم علينا في الطريق العوام الى أن يوقفونا
بازدحامهم واكثر ذلك في اهالي نابلي الى ان التزمت فيها بان لا اخرج في الطريق
الا راكبا في عجلة وذلك لعدم تعودهم على رؤية مثل لباسنا ووصف هيئة مجلس النواب
هو بيت كبير جدا يميل الى الطول اكثر من التربيع وسقفه قبة مرتفعة شفافة مزوق في
جدرانه وسقفه وأرضه وفي وسط صدره عرضا منصة ارتفاعها نحو متر على الارض
وفوقها كرسي وامامه مائدة ويصعد الى ذلك الكرسي بدرج يمينا وشمالا وهذا محل جلوس
الرئيس وحوله كتبة وكراسيهم وموائدهم على الارض بقربهم في وسط البيت كراسي
الوزراء وفي وسط البيت كراسي أربعة كتاب مخصوصين بمعرفة كتابة سريعة يتناوبون
اثنين بعد اثنين في كتابة كل ما يتكلم به متكلم في المجلس وبقرب الرئيس منبر مرتفع قليلا
يصعده خطباؤهم على التناوب بعد الاذن لهم من الرئيس يتكلمون في مصالحهم ثم
كراسي منصوبة صفوفا صفا وراء صف على نحو دائرة مستطيلة ينتهي طرفاها حول
الرئيس فالصف الاول كراسيه على الارض والصف الذي وراءه كراسيه على دكة من
خشب أعلى من الذي امامه مدرجة من خشب ثم الذي وراءه أعلى منه وهكذا الى نهاية
الصفوف والدرج التي يصعد منها الى الكراسي مقسمة تلك الدائرة وكل قسم من
الكراسي امامه مائدة مستطيلة وفيها لكل كرسي محبرة وأقلام لما يحتاجه صاحب
الكرسي وكل كرسي عليه عدد مخصوص مرسوم عليه بلون مخالف للون الكرسي وفي
أعلى البيت محيطا به من جهاته الاخيرة التي امام الرئيس رواقات يجلس بها المتفرجون
واصحاب الملك بيت [illegible] المعروف بانه اذا زاد كماله كرسي في المجلس وامام [illegible]
المجلس فسيأتي الكلام عليه ثم رحلنا من رومة وقصدنا ليفورنو ركبنا الرتل فاذا
بقرب رومة آجاما كثيرة بين الجبال وفيها من المراعي كثير يسرح هناك للاهالي
بدون حراس مخصوصين لكل احد بل على الكل فيجيئون بوفي ايامها بقرو يستودع
هناك الى وقت احتياج اصحابه ومنه ما لا مالك له ويتناسل هناك وتبيع منه الدولة
لمن اراد الشراء ومررنا في سيرنا على مرسى يسمى تابيكيا التي هي اقرب مرسى طليانية الى
رومة قاعدة المملكة وفي آمال مهندسيهم ان يحفروا خليجا من تلك الجهات من البحر
ليصل الى حدود بلد رومة لان الارض هناك منخفضة وبه يصلح الهواء من تعفن
المروج التي يركد فيها الماء واستمر الرتل سائرا بقرب الشاطئ الى ان وصلنا الى ليفورنو
في الساعة الثالثة قبل نصف الليل بعد سير احدى عشرة ساعة وقد توقف الرتل في
المسير

المسير عندما وصلنا الى جسر على أحد الانهر حيث ان فيضان النهر هدم الجسر فنزلنا من المركبة وعبرنا النهر مشاة على أخشاب ضعيفة والحال أن النهر عريض والوقت ليل والمطر نازل ثم ركبنا مركبة أخرى من الناحية الاخرى من النهر الى أن وصلنا الى [illegible] فاذا هي بلدة واسعة الطرق نظيفة الأمكنة الخصب [illegible] جدارها محصنة [illegible] قليل من القطع آثار قديمة أشهرها ما تسمى بياص دى كافور وكافور هذا وزير [illegible] الذي [illegible] في وقت [illegible] الاخيرة فرسم عنانه بتلك القطعة [illegible] وكذلك القلعة الكبيرة ويحيط بها خندق به ماء البحر وعليه جسور وهذا الخندق كان يكون محيطا لجميع جهات البلد وذلك لفائدتين الاولى هي ان البلد أرضها سبخة ندية فذلك الخندق تنجذب اليه المياه مما حوله ويحصل جفاف الارض وما أخرج من ترابه الكثير علت به أرض البلاد والثاني أن البلد كانت من أهم مرامي التجارة لاعدائها من الاهالي [illegible] فكان يوجد بها السلاح وتحمل في القوارب وتسير في تلك الخنادق من السفن الى المخازن داخل البحر بالخندق عميق [illegible] على الشاطئ منتزه [illegible] نحو ميلين به حدائق الاشجار والازهار وما [illegible] من البناء أو الخشب على [illegible] وملاهي تقصدها الناس زمن الصيف من أهالي البلاد وغيرهم والطريق المارة وسيع جدا وعلى حده قصور شاهقة ذات منظر جميل امامها الطريق ودونها الحدائق ومن ورائها المقاهي والملاعب والمنازل ومن ورائها البحر وهي في الصيف [illegible] منتزه بهيج ويسمى ذلك المكان [illegible] وفي البلد [illegible] المياه موقوفة [illegible] شديدة الطهارة حتى يرى الرائي في قعر الماء مع عمقه كتابة على الحجر [illegible] والماء في غاية الصفاء مع اتساع الخزنة وعدم استقرار الماء فيه [illegible] على عدة أقسام فيدخل الماء مجلوبا من عين غزيرة الى أحد الاقسام الى أن يعلو ثم يخرج منه من أسفل الى قسم آخر ثم منه من أعلى الى قسم آخر وهكذا بحيث ان كل قسم يكون مملوءا ولا يخرج منه الا بقدر ما دخل فيه [illegible] حتى لا يخرج الى عموم البلد الا بعد انتهاء ترويقه وهاته البلدة موقعها على البحر وهو غربيها وهي من المرامي الشهيرة للتجارة والحرب وقد بني بها [illegible] ذات حوض قيل انفق عليها مائة وعشرون مليونا [illegible] ولما وصلنا الى البلد وجدنا الوزير حسين الذي قصدنا البلد لاجله غائبا في [illegible] فتبعناه [illegible] حيث كان مقيما هناك ثم ودعت صديقي الشيخ [illegible] حيث كانت مأموريته هناك وركبت [illegible] ليلة وصلنا

قاصدا الوزير المذكور في بلد فيرينسا وابقيت غالب رحلي وواحد تابعي هنالك لاحتمال
العود ومررنا في الرتل ثلاث ساعات وكان حول ليورنو بعض غياض ليست حسنة جدا
ومررنا على بلد بيزة مناخ علم الطب سابقا وهي من مدن بطاليا الشهيرة ويخترقها
نهر وحوله منارة وقد انفردت هاته البلدة بشيئين اولهما غريب من مباني العالم
وهو الصومعة الوحيدة المائلة فان هاته الصومعة يراها الناظر مائلة ميلا كثيرا الى جهة
الجنوب حتى يخال انها ساقطة لا محالة وهي ليست بمرتفعة جدا وبناؤها من حجارة
منقوشة ومرمر ودرجها كل في قطعة واحدة من المرمر وهي في وسط بطحاء قرب كنيسة
واسفل قاعدتها ماثل ايضا غائر في الارض من جهة الميلان ومرتفع من مقابله وقد
اختلف النقل في سبب ميلانها فقيل انها بنيت كذلك وهو من مهارة صناعها
ومعرفتهم بمركز الاثقال وقيل انها لما بنيت انخفضت بها الارض من احدى جهاتها
فمالت وعلى كل فسبب عدم سقوطها هو عدم خروج قطر محيطها بالميلان عن مركز
ثقلها والحاصل انها من عجائب المناظر وقيل ان ميلان اعلاها عن مساواة اسفلها
اربع ميترات ومثلها في الميلان صومعة اخرى خارج البلد جهة الشرق لكنها
ليست في اتقان الاولى ولا في ارتفاعها وقد بني حولها بناء ملاصق لها لتوقع سقوطها
وبقي اثر الميلان ظاهرا وثاني الشيئين المرسي الكنيسة وهي ليست بكبيرة ولكنها
كثيرة الزين والرونق مما هو ظاهرها وزيادة غرابتها في الصدى الذي يحصل فيها من
الاصوات اذ يدوم فيها الصدى ويعلو على وجه خارق للعادة والسبب فيه مشكل الا انها
وعلى الحيطان وبعد ان جاوزنا بيزة تبدلت الارض غير الارض التي عهدناها نظرها في
بلادنا وما مررنا عليه من كيفية العمران واتصاله واتقانه ولا يوفي بوصف والقلم
بتصويره وتقريبه وبالجملة فليس ان كل قطعة من العمران لم نعهدها بل عهدنا مثلها
ولنا قطع تضاهي ومراد تلك القطع سواء كانت في البساتين او في القصور التي بها او
في اثارة الارض وتعميرها لكن الذي لم يعهد لنا هو اتصال ذلك العمران وامتداده
وتماثله الى ما لا يحيط به الحصر مع تحسين جهات الاتصال لعامة فما بينها يحدث من
ذلك هيئة اجتماعية لها اعتبار زائد فوق اعتبار قطيعات منفردة وان بلغت من
الاتقان ما بلغت ثم وصلنا الى فيرينسا فاذا موقف الرتل بها جميل انيق واذا بالبلد
وسيعة لكن طرقها القديمة ضيقة واما الجديدة فواسعة شديدة النظافة وتهذيب
اخلاق السكان والحضارة ويخترقها نهر على جانبيه رصيف منحوت وفي مجرى الماء
عرضا

مرصعة وأرض مبنية بحجر الملك يكون عمقه حداً محدوداً ونشأ من ذلك غدير
عظيم له دوي وعلى جانب النهر منتزه يحوي ما تريد من ميل وبه فوارات وحدائق
وأنوار وفي نهاية المنتزه عند ملتقى نهر الدكور بجدول صغير حمام قبة من رخام صغيرة
بلا حيطان مرفوعة على اسطوانات جيدة رخامية عالية على الأرض وفي وسطها صورة
مجسمة من الرخام لأحد أمراء الهند الشبان وملونة بلونه ولون ثيابه الرسمي وكان ذلك
الأمير سافر إلى أوروبا بعد زيارته لملكة انكلترا فمات بالساحل بعيداً بسلامات وكان
مجوسياً فأرسلت عائلته مكاتبة كبيرة بالرسم صورته في ذلك المحل الذي أحرقت جثته
فيه على عادة المجوس ودفن رماد جثتها وكان من عادتهم أن مكان الاحراق يكون
في ملتقى نهرين فلذلك فعل به ذلك هنالك وجعل على ذلك المحل قبة ووضع وكان ذلك في
عشرة التسعين والمائتين وألف وفي حدود البلدة من الجنوب منتزه آخر في جبل مرتفع
نزه جداً ذو بساتين وقصور وطرق وطريقة مؤدية للصعود بالكراريس وفي منتهى
ارتفاعه بطحاء وسيعة ذات مصاطب ومنارة وبقربها كنيسة قديمة مرصعة الحيطان
من خارج بالرخام الأبيض والأسود قصد بالتفرج بجملة ذلك الجبل منتزه ولما صعدت
الى هنالك أحسست ببرد شديد لارتفاعه وابرداد الهواء ومن أحسن ما بالبلد قصر القارية
الذي به بيت أغلب حيطانه من البلور وهو قصر مقدم به من التحف والمرسومة
في الخرق المنسوجة مع الدبج وفي الورق شيء كثير وكذلك عدد من الحجر والنحاس
وقال بعضهم أن مجموع ما به من التصاوير كله في غاية الاتقان تعتني بها المصورون
من الآفاق لنقلها وتعجب من التصاوير صور الملوك من جميع الآفاق في أعصار
مختلفة ومنها صورة محمد باشا الأول والي تونس ويتصل هذا القصر بقصر سكنى
الملك عند استقرار الحكومة هنالك وهو قصر كبير ليس بغريب أصله لأحد السكان
فاشترى منه لاستقرار الملك وهو لا يزال مشتملاً على جميع المرافق مثل ما تقدم في قصر
نابلي ومن غرائب البلد ارتفاع قبة كنيسة بها مبنية من ظاهرها بالرخام الأبيض
والأسود على أتقن صناعة وبها من الاسطوانات الجيدة الأصفة بذلك الرخام ومن
النقش الغريب فيه ما يجعلها من أتقن البناآت وارتفاع القبة مائة وسبعة عشر
متر وبإزائها صومعة جيدة ارتفاعها سبعة وسبعون متراً وهي في البناء على نحو
الكنيسة وبالجهة الغربية منها صومعة أخرى أعلى منها ومن القبة أيضاً وبالبلدة عدة
ملاهي حسنة وقد اشتد البرد في هاته البلدة بالنسبة لما عهدناه وقد أقمت بها ضيفا

عند صديق الوزير حسين التونسي وترجمة هذا الوزير باختصار هو رجل من
الجراكسة أتى الى تونس وهو دون العشرة فربي في سراية الوالي حسين باشا وادخل
الى مكتب المهندسين العسكرية فحصل مشاركة جيدة في النحو والادب والفقه
ومهارة في الفنون العسكرية وإجادة للغة الفرانساوية ثم وظف في عساكر الخيالة
بمعية أميرلوائها اذذاك خير الدين باشا وافرعه الى فرانسا في خصام محمود بن عياد في
ولاية أحمد باشا ثم ولي رياسة المجلس البلدي بحاضرة تونس وأحدث في الحاضرة
اصلاحات عديدة في ولاية محمد باشا ثم عند ولاية الصادق باشا ولي رياسة مجلس
الجنايات ومستشارية الوزارة الكبرى وعضوية المجلس الخاص والمجلس الاكبر ثم
استعفى من الجميع عند ابطال القوانين ورحل الى أوروبا وساح بها ثم وبه اذ كان
فلا يعرف أكثر ممالك أوروبا كايطاليا والمانيا وبلجيكا وهولاندا والانكلتيرا
وفرانسا والنمسا والجزائر والاستانة في سفارة منفردا أو مع خير الدين باشا سفيرا عن
الوالي المذكور وعند استعفائه المذكور رحل الى المغرب واسبانيا وانكلترا والروسيا
وأمريكا ومصر والحجاز ثم استدعته الحكومة عند ولاية خير الدين وزارة مباشرا
هو وغيره من ابنائه دواخلها وولي مستشارا في القسم الثاني من الوزارة ثم سافر الى ايطاليا
لخصام ورثة نسيم في حسب أمور تم مع الحكومة التونسية كما تقدم وأقام بليورنو
حيث مات الوريث ولا زال في الخصام الى الآن ثم لقب بوزير لاستشارة ومستشار
المعارف وهو ذو أخلاق كريمة وصفات عظيمة ومعارف وسيعة وفصاحة عربية له عدة
رسائل في كثير من المسائل وكانت اقامتي عنده في فيربيد في احدى منازل المسافرين
الضخمة قريبا من النهر وجمعنا ثم رحلنا الى البلد المسمى شيف وبعد ان استقرأ
تقرير المرض واختبر الجسم أشار الى في مضمون كلامه ان المرض ليس بمخوف كما انه
من الامراض المزمنة وانه يدافع بترتيب المعيشة في الاكل والمسكن وارتياح الفكر
والبدن والابتعاد من هواء البحر وحسن سكنى الجبال وان كثرة الادوية مضر قليل
الجدوى ولقد صدق ثم طلبت تلغرافيا بقية رحلي وتابعي وسافرت قاصدا باريس مارا
على تورين للاستراحة بها فركبنا الرتل صباحا ومررنا في الوهاد نحو الساعة على
ذلك المصر البديع ثم تصاعدنا في الجبال وكان للرتل حينئذ مزجينان ومهما زدنا
تقدما في الارتفاع الا وازداد المنظر بهجة ورونقا الى أن انتهينا في الصعود فكان
منظرا ترتاح له النفوس ويجلي عن القلوب كل بوس بما فيه من جبال وبانه من
بدائع

بدائع صنع مكونه وبخالقه باعمال الرحال فالقرى البهيجة منتشرة على مد الابصار
والاشجار قد أغصانها تطاول الدرارى من الافلاك تحت الطباق وقد انتثرت
منها من الثمار اذ هي مستعوضة عن خضرتها الزبرجدية بالثلوج الياقوتية
والارض والجبال قد بسط عليها بساط العشب الزلال مع الاتقان في تنضيد الاشجار
واثارة الارض بالحرث وتدفق المياه من ينابيع العيون وسيول امياه الثلوج المذابة
المنحدرة في جداول ثم نهيرات ثم انهر متفجرة ولا يسير الرتل نصف ساعة لا ويقف على قرية
نضرة وتارة يمر بجسور واشباه القصور وربما أخرى حول سطوح الديار وطورا ترى البلدان
تحدث في أسفل الوادي وهكذا الامر بدعة مختلفة تتوالى كل لحظة ثلاث ساعات في
الجبال وعلى الاجمال أن الشرف بجبال أوروبا لمن هذه ذات العمران ليس له من لذة
صعدى تواريه سيما مع الركوب في الرتل في الصفة الاولى في محل منفرد للتفرج
وأصحابه وعلى الخصوص اذا كان معه صديق يساجله في سائر المقاصد فان ذلك من نعم
الدنيا الكبرى ومن هنالك تحققنا شمس كثرة الابخرة المتصاعدة من الجبال
والثلوج ثم نزلنا الى الوهاد بعد ان جرينا في الصعود اربع ولاجتة واربعين دقيقة منها
ما يسير فيه الرتل عشرة دقائق وما يسير فيه دقيقتين وكل نفق مظلم وبشدة ظلامه يختلف
حسب طوله وبعد ان سرنا في الوهاد وساعة وكان نزولنا خط وصلنا الى بلد بولونيا
وهي البلدة الضخمة المكبرة ابنيتها وطرقها اليست بحجمها في القديم منها واعليها على ذلك
الصور مهم ترتبات نزهة وأعلى الطرق بعدها جميلا وشمالا اروقة لشدة حرها صيفا
وشدة بردها وكثرة ثلجها شتاء فتقي المارة بتلك الاروقات وفيها موقف للرتل عظيم
جدا لاجتماع خطوط عديدة تتوجه الى نقطة جهات ايطاليا ومنها مدينة وفرانسا والنمسا
والمانيا ويتردد المسافرون الارتال من الجميع وتزاحم في الوقوف وتمد الى محل الاكل هنالك
وكان وقوف الرتل نصف ساعة ثم سرنا الى تورين في ذلك المنظر البهيج المنبسط على الوهاد
المكثرة اتقان الزراعة واثارة الارض وتعميرها وكثرة الابنية في الاراضي الزراعية كل
ذي أرض له فيها بناء مع تحسين شكله وتزيين ظاهره ومع ذلك منظر الجمال في الجبال
ابهج وعندما اراد الليل ان يسدل حجابه تبدى وجه الغزالة محمرا من بروج السحاب على وجه
الافق فبالله من منظر بديع يشهد للبارى تعالى بحسن الصنيع وما ودعنا نور الشمس
الا بعد ما استخلف ضياء البدر المنير اذ كان ذلك اواسط شهر ذي القعدة فتفضض الافق
والنواحي ببريق البدر وكان جمال الليل مزهرا في تلك المناظر الجميلة مقمرا الى أن

وصلنا الى موقف الرتل بشوربين بعد نصف الليل فاذا بذلك الموقف أبهى وأبدع وأضخم من جميع ما رأيناه سابقا واستمر الرتل من مبادى متعلقات الموقف الى ان استغرق فيه أزيد من عشرة دقائق فكنت ترى فيها المرحيات والمركبات مبثثة فى جميع الجهات ماشية لاركبانها والرتل وارد وصادر من كل أوب ومحل نزول الركاب هو ساحة عظيمة مرفوع سقفها على أعمدة من الحديد المستطيلة من قضبان من الحديد مرصف فيها الزجاج والفوانيس موقودة بالغاز تضيء كانها نهار مترجحا فى بيت الجلوس الى ان نزل رحلنا فى الكرك وفعلوا فى تفتيشه ما وقع فى البلدان السابقة ثم ركبنا احد الكراريس الكبيرة المعدة لنقل الركاب الى منازل المسافرين لان كل منزل كبير له كراريس كبيرة تسع الواحدة ثمانية من الركاب فما فوق تحملهم من المواقف الى المنزل والعكس وذهبنا الى المنزل فلم نجده لائقا فانتقلنا الى منزل آخر حسن وأقمت بهاته البلدة يومين وهى مصر عظيمة ذات اتقان فى الابنية والمساكن والطرق ومن خصائصها أن طرقها تكاد ذات تكون كلها متقابلة تتقاطع على التربيع بزوايا مستوية كما أن من مهماتها ان طرقها تكاد أن تكون كلها معمورة برواقات يمينا وشمالا قائمة سقوفها على أعمدة من الرخام او الحجارة المنحوتة ولا يمشى الراجل الا تحتها وفوقها الابنية القصور والمساكن واليها تفتح أبواب الحوانيت والديار وغيرها وأوساط الطرق للركاب او العابر من جهة الى أخرى وأعظم بطاحها البطحاء التى امام قصر الملك وهى متسعة جدا فى صدرها القصر الملكى وعلى جانبيها مساكن للعسكر والجهة الرابعة قبالة القصر فى وسطها طريق كبير ومن يمينه وشماله ديار ومنزل المسافرين الذى نزلنا فيه وفى وسط البطحاء وارابة وأول ما رأيت لترويى فى هاته البلدة وهو مركبة ذات عجلات صغيرة من حديد تجرى فى صفيحات من الحديد أثرة فى الارض ممتدة مع الطريق الى نهايته بما يدون ايصال السير اليه ويجرها اثنان من الخيل ولهم فى كيفية ادارتها عند الوصول الى نهاية الطريق كى ترجع الى المكان الذى ابتدأت منه كيفيات فاحدها ان فى محل الادارة يكون وقوفها على دائرة من الحديد ذات قطب تدور عليه بسهولة فبادارة الدائرة تدور المركبة وثانيتها أن المركبة يكون مقدمها ومؤخرها سواء فعند بلوغ النهاية من الطريق تحل الخيل احد رءوس تلك الجهة ثم تربط من الجهة التى كانت مؤخرا وتسير المركبة راجعة الى المكان الذى ابتدأت منه وثالثها أن تكون الصفيحات التى تجرى فيها العجلات فى نهاية الطريق مرسومة على نحو

دائرة

دائرة متسعة فتدور بها الخيل الى أن تعود الى الطريق الذي جاءت منه وكل كرفية من
هاته في طريق خاصة وبالخاص وبسبب سهولة هذا الطرق وتسهيل جر المركبة على
كبرها اذ يركب بها نحو العشرين نسمة في داخلها وعلى سطحها نحو نصفهم ولا يجرها
سوى فرسين وهي وسيلة كبرى لترخيص أجرة الركوب وسهولة الانتقال فيقف في
مراكز معلومة كما تقف لكل من يطلب الوقوف للركوب أو النزول ويؤدي الاجرة
زهيدة نحو ثلاثين صانتيم أي ثلاثين من تجزئة الفرنك الى مائة هذا اذا كان المكان
بعيدا وأما اذا كان قريبا فنصف ذلك المقدار والقرب والبعد على حسب اتساع البلد
وامتداد ذلك الطريق لكن القريب على كل حال لا يقصر عن الميل وهاته البلدة بها نهر
عظيم ومنظره خارج البلد بهيج وبقربه في احدى تلك الجهات منزه عمومي كبير منزه ومحل
به أماكن للاكل والقهاوي وقصر الملك حسن جدا وكبير متسع مزوق في تزويقه
بالذهب والالوان وبه جميع فرشه وحوائجه وقد كانت هاته البلدة هي قاعدة مملكة
الساردو الذي استولى على جميع ايطاليا واتخذت أخيرا تخت مملكتها وبها خزانة للكتب
عظيمة جدا وعند ما دخلتها علمت كبير الفرق بين أهالي هاته البلاد وأهالي نابلي فان
الثانية لما دخلت خزانة كتبها لم أجد الا أفرادا لا يتجاوزون جمع القلة وهاته لما دخلت
الى خزانة كتبها وجدتها مفعمة بمئات من الرجال وقليل من النساء كل منهم منكب على
المطالعة في كتاب ولا تجد حس الواحد الا همسا لكي لا يشوشوا على بعضهم فمن مطالع
ومن مقابل ومن ناسخ ومن مفكر والكتاب بين يديه فعلمت أن أهالي هاته البلدة
معارفهم أوسع وسوقها لديهم أروج وبذات الخزانة كتب أكثر مما رأيته سابقا وبها
مصاحف كريمة ذات خطوط أعجمية أنيقة مذهبة ومرقشة للغاية القصوى ولها
صناديق وجوهها وسقفها من الزجاج مقفولة لحفظها ولا يعلوها الا القيم عند أنا كد
دققها لي وتشرفت بها ثم رحلنا من هاته البلدة قاصدين باريس في مرحلة واحدة ولما
كانت المرحلة بعيدة اكتريت كراء مخدع في الرتل ذي فرش ومستراح ولزم لذلك اعلام
مدير الرتل من قبل وقت الركوب لكي يحضره على الصفة التي تريدها ولكي يعلم موقف
الرتل في حدود فرانسا باحضار مثله في رتلهم حيث أن الراكب ينتقلون هناك من الرتل
الطلياني الى الرتل الفرانساوي وركبنا في الساعة الثامنة بعد الظهر ليلا في مركبة ذات
مخدع له ثلاث مصاطب فرشها حرير وكل مصطبة تنفتح وتنبسط الى أن تصير فراشا له
وسادة وقد اخترتها بحيث يكون الراكب فيها مواجها الى جهة السير لان عكسه يورث لي

دوارا وفى وسط المخدع باب يدخل منه الى محل ذى مستراح فى أحد جهتيه ومقابله محل
ذو انبوب للماء بحنفية وبزماق يجرى منه الماء وذو اناء يبرز منه الماء المسبول معه وبه
مرآة بحيث يستطيع الانسان التوضى هنالك واصلاح لبس ثيابه وفى المخدع أيضا مرآة
ومائدة تنفتح من جهة الحائط الموالى لمحل المرافق حتى ان الانسان يقضى هنالك جميع
حاجاته بغاية الراحة واغلب فرشه امتعة مناديل الوضوء ويبيت ابريقه لمعرفة فصلية فى
صندوق صغير من الخادم فيه بعض الثياب ومناديل الانف واذا حان وقت الصلاة نصلى
بلا أمر سوى ان الاتباع يتزوون الى جهة غير القبلة ومثل هذا الاطلاق يجرى الانسان
فى الركوب مع الرفقاء لكى لا يكون عليه حرج فيما يريد كما انه اذا حان وقت الاكل
ووقف الرتل فى احدى المواقف على البلدان تنزل الى محل الاكل فتعد فيه الوان الطعام
والفواكه فنشترى ما نريد ونحمله الى مخدعنا لكى نأكل بالاستراحة اذ الاكل فى المواقف
يلزم أن يكون عاجلا خوف سفر الرتل والرتل ولو كان يقف بعد كل نحو نصف ساعة
أو ساعة على البلدان غير أن وقوفه لا يطول الا بقدر ما ينزل الركاب القاصدون تلك
البلدة ويركب منها غيرهم أو اخذ المزجية الماء أو فحم أو بدلها بغيرها الا فى ساعات
نوبتها بحيث ان الحصة اما وطها عشر دقائق (اما) فى وقتى العشاء والفطور فيقف الرتل
نصف ساعة أو ازيد بقليل ويعلم الركاب جميع ذلك من المنادى الذى ينادى عند
وقوف الرتل رافعا صوته بقوله بلد كذا ويسمى البلد الذى وقف عليه وكذا دقائق أى
يقف كذا دقائق ويفتح الابواب للركاب فينزل من يريد النزول ولو لقضاء ضرورة
ويرجعون على عجل واستمر بنا السير الى أن وصلنا لجبال المنسنى الشاهقة وطفق
الرتل يجرى بين صعود وهبوط فى انفاق واحدا بعد آخر الى أن جاز فى نفق استقر فى الجرى
فيه خمسة وعشرين دقيقة غير أنه دون السير المعتاد وهو أطول نفق فى أوروبا وصناعته من
عجائب صناعة الهندسة اذ هذا الجبل واقع فى الحد بين فرانسا وايطاليا فناحيته الشرقية
الجنوبية الى ايطاليا والشمالية الغربية الى فرانسا ولما أرادوا وصل الطرق الحديدية
اتفقوا على خرق الجبل فجعلت عملة كل من الجنسين تشتغل من جهتهم وبعد الاشتغال
بضع سنين اتصل العاملون بعضهم ببعض على خط مستقيم والحال ان طوله تسعة أميال
تقريبا وهو منور فيه بفوانيس ليلا ونهارا ويقيم به حراس لتفقد الطريق ولهم مساكن
مغلوقة وأماكن وسيعة لوضع الضروريات التى يحتاج اليها لاصلاح الطريق وبرأس كل
ـلك المكور باب والرتل لا يدخل الا اذا رأى علامة الحارس بالاذن بالدخول وبينما

كنا

كنا افريقيه واذا برتل آخر مقبلا من فرنسا ذاهبا الى ايطاليا فرأيناهم متكئين
متضايقين مع اشتداد دوى العجلات والصدى والظلمة وسرعة السير فكان منظرا هائلا
واشتد البرد هنالك اشتدادا خارقا للعادة حتى أن بخار النفس كان يجمد على شارف
وزجاج طواقي المخدع كان يجمد عليه بخارنا الى أن يمنع الضوء وينكسر بالتكسير
قطعا كالجليد وأيقظتني شدة البرد من النوم مع التردي بالثياب الثخينة الصوفية وأحدها
مستبطن بجلد الفراء الغالي وفي المخدع قنوات من النحاس ملآنة بالماء الحار جدا
ملفوفة في خرق من الصوف وبعد ما وصلنا الى بلد مودان أول موقف الرتل من جهة
فرانسا نزلنا للانتقال للرتل الفرنساوي واشتد الامر فيما شاهدته بفرنسا فلنعد
الآن لبقية الكلام على ايطاليا فاني عدت اليها ١٢٩٨ ه سنة ١٨٨١ م
وزدت معرفة بالبلدان التي سنذكر وهي ابرندزي التي هي أكبر المراسي بجهة
شرقي ايطاليا ولها مرسى حسن وحصون وبقية البلد ليست الا قرية محتوية على
لوازم أهلها وأقمت بها ليلة ثم توجهت الى باري وهي مرسى أيضا دون الاولى
ولكنها أكبر منها بلادا وأحسن عمارة مع الابنية الجديدة التي لها اتقان في
انتظام الطرق وسعتها وأقمت بها ليلة ثم توجهت الى بولونيا وقد مر ذكرها وجميع
ما مررنا عليه كان في غاية العمران والانتظام في الزراعة وكثرة الشجر من الزيتون المعمر
بجميع ثلاث الارض مع بعض غلال أخرى شتى وجميعها يسقى بالنواعير من الآبار بادارة
الدواب حميرا وخيلا وبغالا وكذلك القرى كانت كثيرة منتشرة وحيث كان مرورنا وقت
الحصاد صيفا كنا نرى جميع الجهات مشتغلا أهلها فبعضهم يحصد الزرع حتى الذي
تحت أشجار الزيتون وآخرون يتبعونهم بسقي الارض وفي أثرهم آخرون يثيرون
بالحرث ما جف من الارض وهكذا بحيث لا تبقى الارض مدة بورا ويزرعون في بعض
الجهات أنذاك فولا بحيث يصح أن يقال ان الجهة الشرقية من ايطاليا أعمر من
الغربية وبعد ما أمضي ليلة في بولونيا توجهت الى قرية منتكاتيني التي بها مياه
معدنية عليها حمامات تهرع اليها الاهالي صيفا لنفع المياه وفيها شيء من التحصين
غير أنها شديدة الحر لاكتنافها بالجبال المعمورة بالقرى والاشجار ذات الغلال الصيفية
والحاصل ان الجهات البعيدة عن البحر صيفا في أوربا هي مساوية أو أشد حرا من
شمال أفريقية ويشتد تعب الراكب في الرتل من الحر لانه ان فتح الطواقي اسود لونه
وربما أوذيت عيناه من الدخان والغبار بسرعة الرتل وان أغلقها حميت عليه نارا لظى

وحالة البلدان فى الحركة كما مر ولذلك لم تطل الاقامة هناك وتوجهت الى ليفورنو التى هى
على البحر كما سبق وبقيت بها حتى توجهت منها الى جنيرة ثم عدت الى ايطاليا الى مدينة
ميلانو التى اعد فيها اذ ذاك معرض عام لمصنوعات ايطاليا ومحصولاتها فاذا هى
اى ميلانو اجمل بلاد ايطاليا واكثر حضرية وانفردت بالسوق المسمى القلارية الذى
هو فى غاية الجمال والبهجة ومن غرائبه انه يوقد قبته الوسطى بزجاجة تمر على طريق
حديدية بسرعة الابتداء بالبخار الفارى وهى زجاجة صغيرة نحو ذراع طولا واما المعرض
فهو انموذج من معرض باريس الآتى ذكره واغلبه اصغر بكثير وخاص
بمتعلقات ايطاليا وشاهدت فيه تجربة جرارة بالقوة الكهربائية السارية فى قضبان
طريق الحديد لكن التجربة افادت انهم لم يبلغوا المراد لحصول الوقوف احيانا من غير
اختيار لكن بلغنى فيما بعد انه تم امره فى المانيا وصار مستعملا به

فصل

(فى تعريف ايطاليا)

(اعلم) ان ايطاليا قسم من اوربا الجنوبية وهى شبه جزيرة فى البحر الابيض تتصل
من جهتها الشمالية بالقارة فيحدها شمالا اسويسره وفى الشمال الشرقى النمسا وفى
الشمال الغربى فرانسا وفى الغرب والجنوب البحر الابيض وفى الشرق بحر البنادقة
وهى على شكل مستطيل من الشمال الى الجنوب يميل الى الشرق على هيئة تشبه
جزمة ذات عقب ومهماز وقبالة مقدم اصابع القدم جزيرة صقلية المسماة الآن
سيسيليا يفصل بينهما خليج ضيق يعرف بخليج مسينا وتبتدئ من الشمال من عرض
ستة واربعين درجة واربعين دقيقة وتمتد الى الجنوب الى عرض سبعة وثلاثين درجة
وخمسين دقيقة من العرض الشمالى وتبتدئ جهة الطول من باريس من الدرجة الثالثة
وخمس واربعين دقيقة الى ستة عشرة درجة وخمس دقائق فنهاية طولها نحو الف ميل
وذلك من جبل مون بلانه الى رأس سبارتيفنتو واما عرضها فمختلف جدا ففى جهة
الشمال نحو ثلاثمائة وستين ميلا ومن جهة الجنوب نحو مائة وخمسين ميلا وفى
بعض الجهات الوسطى نحو اربعين ميلا فقط ولها عدة جزائر اشهرها واكبرها جزيرة
صقلية وجزيرة سردانيا ولها قرب تونس جزيرة بنتلاريا وهى ذات شطوط واسعة جدا
وبها كانت دولتها دولة بحرية واما جبالها ففيها عدة سلاسل فمنها جبال الالب وجبال الابنين

وجبل

وجبل كورنو وهو أعلاها وارتفاعه على سطح البحر ٩٠٠٠ قدما وجبل فيلتيو وفيها
عدة جبال بالكانية متراما انعدم وصار عوضا عن فوهة النار بحيرات مثل بحيرة رسيجين
وبرسيانو وبلسنا كلها في الجبال وأما الباقي منها بالكانا فهو جبل الموزوفيو وقرب نابلي
الذي ارتفاعه ١٢٠٠ مترو وجبل اتنا في سيسيليا وارتفاعه ٣٣١٣ مترو
والثلج دائم عليه وجبل الترنبل في جزائر ليبري ويظن ان بين هاته الثلاثة منافذ تحت
الارض وبقرب نابلي عدة جبال تقذف بخارا كبريتيا وتسمى سلفتارو وبقرب ليفورنو
جبل يقذف بخارا مائيا ويسمى سوفيوني وأما انهرها فهي كثيرة لكنها لاتعظم جدا
لقرب منابعها من البحر واعظمها نهر بو الفاصل بينها وبين النمسا ونهر تيبر الذي يجري الى رومة
ونهر ارنو المار على فيرنسا وبيزة واديج جهة ولاية الترول والنازلة الى النمسا وغيرها
وكلها لاتحمل السفن الا القوارب الصغيرة سوى الاول فانه يحمل القوارب الكبيرة وان
كان السير فيه صعبا لوجود جزائر رملية به ثم ان نهر اديج يحمل السفن من بلاد ترنتو
الى البحر وبها أيضا ترع صغيرة اشهرها الترعة التي بين بيزة وليفورنو تحمل القوارب
الصغار وكذلك الترعة الموصلة بين نهري التيبر وارنو وبها اي ايطاليا عدة بحيرات
منها المسماة لاغوماجوري اي الكبرى وكومو وغاردا وليكو ولوغانو وايزيو وأما
هواؤها فجيد في كل الجهات الا في الجهات الوسطى حيث توجد مستنقعات الماء
المسماة بونتين فانها يحدث منها امراض عامة في الصيف لاهالي البلاد منها رومية
كما تقدم وتوجد تلك المستنقعات أيضا قرب فنيسيا وقرب نهر بوو في ولاية كالابريا الجنوبية
ولازالوا مجتهدين في ازالة تلك العوارض فان بلاد ماريمو كانت من أشد الاماكن
وخامة لذلك السبب وكان أهلها قليلين جدا فاجتهدوا في تنشيف الماء ورغبوا في
عمرانها حتى أعفوا الساكنين بها من كثير من الضرائب وصارت الآن لا بأس بهوائها
كثيرة العمران بتقدم الناس فيها من كثير الجهات لطلبها من شمال ايطاليا فانها معتدلة
جيدو وكذلك جهات نابلي وجزيرة صقلية والهواء فيها على الاجمال مائل الى الحر المعتدل
والصيف في جنوبها طويل واذا هبت ريح السموم فعلت بها من الضرر بالجهات ما تفعله
بتونس وأما متحصلاتها فهو الى العدد الجزيل وأما نباتها فمنها الحبوب من القمح والشعير
والذرة في جهاتها كلها والبطاطس ونبات السكر وري الذي يصنع منه الحبال
والكتان والقطن والقوة والعنب وتنفرد الجهة الجنوبية بالبرتقان والموز والنخيل
الهندي اي التين الشوكي والتبغ وقصب السكر وان كان النخل لا يثمر التمر وتنفرد

الجهة الشمالية بالارز والزعفران والقطن والحنطة والحلواء والجوز كما يعم بها الزيتون
والتفاح والكمثرى والاجاص والتوت والتين واللوز والفزدق وعروق رب السوس وبها
عدة آجام وغابات غير انها في الجهة الجنوبية متسعة وغير متقطعة واشجارها متفرقة
وانواع هاته الاشجار هي الصفصاف والدردار وغيرهما مما تقدم ذكره في غابات تونس
(واما حيواناتها) ففيها الجمل لكنها قليلة واحسنها في فنيسيا وما حولها ومنها نوع قصير
جدا وحشي يوجد في جزائر سردانيا ومنها البغال واكثرها في الجهات الجنوبية وكذلك
الحمير ومنها البقر والمعز والضان بقلة والجاموس والخنزير ودود الحرير والنحل
والسمك بانواع شتى في الانهر والابحر ومن الحيوانات الوحشية الضبع والذئاب
والذئب والخنزير البري وبقر الوحش والدب (واما الطيور) ففيها اغلب ما في القطر
التونسي وتزيد بالغربان بانواعه واكثرها في الارض بين السود والبياض وهو اكثر
ما رأيناه في البراري وهو ثقيل الطيران وجسمه اكبر من الحجل واصغر من الدجاج وفيه
انواع حضرية كبيرة ولها الوان جميلة مفضضة ومذهبة كما توجد به الحشرات التي توجد
في الاقاليم الحارة سيما في الجهة الجنوبية غير انها ليست شديدة الخبث بالنسبة لحشرات
افريقيا ومن غريب حيواناتهم نوع من الكلاب يربى عند قسيسين في جبل صان
برنارد في الجهة الشمالية الدائم فيه الثلج ومن خصائص هاته الكلاب انه اذا اشتد
البرد وحدث زوابع فالقسيسون يسرحون كلابهم وفي عنق كل واحد اناء صغير معلق
مملوء بشئ من الارواح المسكرة الحادة وله انبوب ينفتح فتذهب تلك الكلاب وتردد
الجهات لعلها تجد انسانا على شفا الهلاك من البرد فتقرب منه وتمكنه مما برقبتها لكي
ينتعش به فان استطاع بعد ذلك الذهاب ذهب وادلته على محل اصحابها وان رأته لم يتبعها
ذهبت لاصحابها واعلمتهم بهيئة خاصة حتى يتبعونها ويحملون الانسان من شدة
البرد فتعرف الكلاب على ذلك العضو وتكون سببا لنجاة من تظفر به وهؤلاء
القسيسون لا يبيعون من اناث هذا النوع ليكون خاصا بهم (واما معادنها) ففيها
فيها معادن كثيرة ولا غنية قوية شئ من الفحم الحجري في الطوسكانه وقرب مسينة من
سيسليا ونوع من الطين يشتعل بعد التجفيف مثل الفحم الحجري وفيها زيت البترول
اي النفط ومنها الحديد بكثرة في عدة جهات منها لمبارديه وسردانيا وسيسيليا وكلابريا
وجزيرة البا وفيها النحاس في جبل لمبارديه وفي فنيسيا والبا وتوسكانا وفيها الرصاص
ايضا في عدة جهات والزارق والزنيكو ومعدن انتمونيو ومعدن منغنيز والكبريت
واعظمه

وأعظمه في سيسيليا بالقرب ببلدة قلتانيسيتا وهو الذي تشتغل منه جميع أوربا وفيها من
معادن الحجارة كثير وعلى الخصوص الرخام لا سيما الشفاف الذي تصنع منه التحف والمرمر
الأحمر والرخام الأسود والبرسلانة والطين الملون والمرمر الرفيع والرخام الأبيض المعتاد
وفيها سباخ عديدة للملح ومعادن مختلفة ومعدن التنكار الذي يشغله الصاغة وفيها
مياه معدنية كثيرة أهمها في ولاية البيمونت وولاية فنيسيا وولاية التوسكانا وفي نابلي
وأشهر الجميع مونتيكاتيني في التوسكانة (وأما مدن) هاته المملكة فقاعدتها رومة التي
أنشئت سنة ٧٥٣ قبل التاريخ المسيحي وموقعها كأنها متوسطة بين الجنوب
والشمال في المملكة وتقرب إلى الشاطئ الغربي وقد تقدمت صفتها وقد انقسمت
هاته المملكة الآن باعتبار الإدارة إلى اثنتي عشرة ولاية كبرى لكل منها عدة
أوطان فينقسم جميعها إلى تسعة وستين وطنا لكل وطن له مركز من المدن ويعرف باسمه
فأما الولايات الكبرى فنذكرها بأسمائها ونذكر عدد أقسامها فقط بدون ذكر
لأسماء المدن لأن التأليف يطول بالكلام قليل الجدوى فالأولى من الولايات
البيمونت وقاعدتها تورينو وسكانها ٢١٥٠٠٠ وبها أربعة أوطان وثانيها
لمبارديه وقاعدتها ميلانو وسكانها ٢٦٣٠٠٠ ولها ستة أوطان وثالثها
فينيسيا وقاعدتها مدينة فينيسيا التي أغلب طرقها خلجان بحرية يمرون فيها بالقوارب
وسكانها ١٣٠٠٠٠ ولها تسعة أوطان ورابعها ليغوريا وقاعدتها جنوة وسكانها
١٣٠٠٠٠ ولها وطنان وخامسها أميليا وقاعدتها بولونيا وسكانها ١١٦٠٠٠
ولها تسعة أوطان وسادسها توسكانا وقاعدتها فرينسا وسكانها ١٧٦٠٠٠ ولها
سبعة أوطان وما تقدم كله جهة الشمال ثم في الوسط وسابعها ماركي قاعدتها أنكونة
وسكانها ٤٦٠٠٠ ولها أربعة أوطان وثامنها الومبريا وقاعدتها بروزة وسكانها ٥٠٠٠٠
ولها وطن واحد وتاسعها لاتسيو وقاعدتها رومة قاعدة الجميع وسكانها ٢٤٥٠٠٠
ولها وطن واحد ثم في الجنوب عاشرها نابلي وقاعدتها نابلي وسكانها ٤٠٠٠٠٠
ولها خمسة عشر وطنا وحادي عشرها سيسيليا وقاعدتها بالرمو وسكانها ٢٢٠٠٠٠
ولها سبعة أوطان وثاني عشرها سردانيا وقاعدتها كالاري وسكانها ٢٣٠٠٠
ولها وطنان (وأما مراسي) هاته المملكة فهي كثيرة فمنها جنوة في الشاطئ الغربي
الشمالي ثم ما يأتي يليها جنوبا على الترتيب الآتي وهي اسبيسيا ثم ليفورنو ثم شيفي
تافيكيا ثم نابلي ثم كستلاماري التي هي أعظم الشكل لاشتمالها على معمل كبير لصنع ولو

المدرعة ثم مسينا وهى فى الجنوب وهى حربية تجارية ثم تارنتو فى شاطئها الشرقى على
بحر اليونان ثم مرسى ابرنديزى ثم انكونة ثم فينيسيا وهما على بحر البنادقة فهاته هى
المراسى الكبيرة وهناك غيرها كثير (واما الاهالى) فعددهم على ما تحرر ١٢٩٨ هـ
سنة ١٨٨١ م تسعة وعشرون مليونا وهم فى الاصل من ابناء الاصليين وهم من
الامم الذين ارتحلوا الى هذه من الشرق والشمال فى أوقات مختلفة ولكن صاروا
بالاكثرة جنسا واحدا يصاحبهم ميزة قليلة حتى ان اهالى الجهة أهل جد فى الشغل
وأهل الشمال منهم تقدمت فيهم الحضارة أكثر من أهل الجنوب اذ أهل الجنوب
والوسط لا زال فيهم أناس على درجة تقرب من التوحش وكلهم على الديانة النصرانية
على المذهب الكاثوليكى الا خمسة وثلاثين ألفا فهم على مذهب البروتستانت وثلاثة
وعشرون ألفا من اليهود ومن الاهالى صنوف اخر من جنس الارناؤوط

فصل

(فى اجمال تاريخ ايطاليا)

مطلب

(فى تاريخها القديم)

(اعلم) ان أول ما نسبت ايطاليا بهذا الاسم حسبما وجد بتواريخ الرومان الاقدمين فى
أواسط الالف الثانية قبل التاريخ المسيحى نسبة الى ملكها احد العائلة التى أتت من
المورة واسمه ايطاليوس وقد كانت من قبل ذلك تسمى سانوريا وكانت مسكونة بأمم
أصليين اسمهم أبوريجان ثم وردت عليهم أمم فى ازمان مختلفة من اليونان واهل الشمال
وغيرهم وابتدأ فيهم ملك الرومان لنظيم من المائة الثامنة قبل الميلاد وكان منشؤه فى
مملكة رومية التى هى قطعة من ايطاليا وامتدت شيئا فشيئا وتكاملت اوصاف الفخر
فى الرومان تدريجا فى المائة الثانية والثالثة قبل الميلاد ثم اتحد تاريخ ايطاليا بتاريخ
الرومان الى أن تسلط الرومان على غالب المعمور المعروف اذ ذاك تحت اسم الدولة
الجمهورية الرومانية ثم أبطلت الجمهورية وأحدثت الامبراطورية التى يلقب صاحبها
بالقيصر قبل الميلاد بثلاثين سنة ودامت سلطنة عظيمة مع انقلابات وحروب الى أن
انقسمت فى سنة ٣٩٥ مسيحية الى سلطنة غربية وهى الاصلية وسلطنة شرقية مقرها
فى

في سوريه وآسيا الصغرى وما والاها وأصحابه انهم المذكورون في سورة الروم وهم
المغلوبون بذلك اللقب أي الروم والسلطنة الغربية التي مقرها ايطاليا تخربت وتسلط
عليها أمم متعاقبون ثم دخلت تحت سلطنة المشرق ثم افتكها منهم أمة لومبارد لكن
بقي للمشرق بين الجهات الجنوبية وكانت تسمى السلطنة اليونانية أو الاغريقية أو
الرومانية ثم تخربت أيضا وتأسس تسلط البابا في رومية من ١٠٤ هـ سنة ٧٢٢ م
لكنها ما سلمت حتى وقعت فاستولى الفرانسيس على قسم من ايطاليا وقوم النارمندي
استولوا على قسم والسلطنة اليونانية على قسم وبقي البابا تحت ولاية الامبراطور
شارلمان ملك فرانسا وغيرها ثم استقلت ايطاليا وكان لها تاج خاص ووقعت انقلابات
وانقسامات الى أن جدد ملك البابا ٤٦٦ هـ سنة ١٠٧٣ م وتم ذلك في ٥٢٦ هـ
سنة ١١٣١ م حيث تأسست مملكة الصقليتين واضمحلت بقية السلطنة اليونانية
وغيرها وصار ملكها جيرو الاول تابعا للبابا ثم ثارت الثورات في عدة جهات وانقسمت
ايطاليا الى أقسام بعضها جمهوري وبعضها ملكي وتوافقوا على رومية مقر سلطنة البابا
ونحوها منها وحدث في الجنوب مملكة صقلية التي كان المسلمون استولوا على جانب كبير
منها ابان عبورهم البحر من تونس واستولى على قسم منها القاضي الامام أسد بن الفرات فقد
كان جامعا بين علوم السياسة والحرب والشرع وتوفي هناك رحمه الله ثم بعد مدة تغلب
النصارى عليها كما أن الجهة الجنوبية أيضا انفصلت أي مملكة نابلي ثم رجع البابوات الى
ايطاليا من نفيهم الى فرانسا سبعين سنة ولم ينجح الاهالي في ابعاد الاجانب من الاستيلاء
عليهم مع الجهد فيه وتعاظمت حروب فرانسا واسبانيا على الاستيلاء على ايطاليا الى ان تم
الامر الى اسبانيا ٩١١ هـ سنة ١٥٠٥ م ولم يخرج عنها الا البندقية ثم تقهقرت
اسبانيا هناك تدريجا ثم تغير الحال في حروب نابليون الاول امبراطور الفرانسيس أوائل
القرن الحالي هجري وأولى لامبراطور على ايطاليا أخاه ثم صهره ولم يبق خارجا عنها
الا صقلية تحت حكم أحد عائلة البربون وكذلك سردانيا تحت حكم أحد عائلة ساقوريا
ثم عند سقوط الامبراطور المذكور ١٢٣٠ هـ سنة ١٨١٤ م انقسمت
ايطاليا الى سبع ممالك كل منها مستقل وهي مملكة رومية تحت حكم البابا الروحي
والملكي ومملكة سردانيا تحت حكم عائلة ساقوريا ويتبع الجزيرة قسم من القارة
الشمالية الغربية ومملكة لمباردية تحت ولاية امبراطور النمسا ومملكة بارمة تحت
ولاية امرأة نابليون الاول ومملكة مودينا تحت ولاية دوك من عائلة امبراطور

النمسا ومملكة توسكانا تحت ولاية دوك من تلك العائلة أيضا ومملكة نابلى وبقيتها صقلية تحت ولاية أحد عائلة البربون

مطلب

﴿في تاريخها الجديد﴾

اعلم ان دولة الساردو احدى الممالك المذكورة قد اسست القوانين والحرية الشخصية ومشاركة الامة في السياسة الملكية من عهد شارل البرت المتولى ١٢٤٧ هـ سنة ١٨٣١ م وكان من همه استقلال ايطاليا واتحادها تحت علم الحرية لكنه لم يصادف رجالا ذوى همم تعينه على المقصود الى أن تنازل عن الملك لولده فكتور امانويل ١٢٦٦ هـ سنة ١٨٤٩ م وكانت دولته طالبة التقدم من جهة القوة المعنوية لانها ذات قوانين وحرية عادلة وان كانت مملكة نابلى أعظم قوة صورية وأما بقية الاقسام فما كان منها تحت النمسا وهي فالاهالى نافرون منه وان كان بعضهم له الحرية والقوانين كما أن ما كان تحت البابا كان يجرى فيه الظلم حسب الشهوات فدام الحال على ذلك الى ١٢٦٩ هـ سنة ١٨٥٣ م حيث وقعت الحرب بين الدولة العثمانية والروسيا وتعاضدت فرانسا وانكلترة على اعانة الدولة العثمانية وكان ملك دولة الساردو المذكور له كمال عقل واستوزر وزيرا ذا دهاء وفطنة وهو كافور وكان بأعينه ورأيه ادالى نصائحه كما ان الاهالى لهم اعتماد على صدقه ووفائه بحقوق الوطن وكان فيهم من الاهالى من اعانه على اتحاد ايطاليا بمروسيه كما سيتلى عليك فقد عمل الجهد واتفق مع فرانسا على اعانة الدولة العثمانية في الحرب المذكورة وارسل عساكره البالغة ثنى عشر ألف وستة مع قوات الدولة الكبيرة وكان ذلك أول خطوة لايطاليا في الدخول في زمرة الدول العظام في الاعصر الاخيرة ثم بعد وقوع الصلح وقع الاتفاق بين دولة الساردو ودولة فرانسا على اخراج ما بيد النمسا من ايطاليا وضمه الى دولة الساردو وعلى أن تعطى هاته الى فرانسا وطنى صاقوى ونيس اللذان هما في حدود فرانسا جهة ايطاليا حول الشامانى بدعوى أن أصلهما من جنس الفرانسيس وأسس نابليون الثالث ملك فرانسا من ذلك الوقت قاعدة اتحاد الجنسية أى ان كل جنس من البشر له حق الوحدة في انتشائه دولة مستقلة اذا كانت فيه أهلية لذلك وساعده على هذا المقصد كون مملكة فرانسا كلها جنسها متحد فرانساوى فلا يخشى على

مملكته

مملكته من تلك القاعدة كان مستعمراتها بدعوى ان ليس لاهلها اهلية لدعوى
الوحدة وعند حصولها لهم لا يمنعهم من ذلك وعند اشتهاره بانه القاعدة وارادته
الاعانة على انفاذها في العالم كان عقلاء الفرانسيس معارضين له فيها ومن أشهر المضادين
له تيرس ذو الشهرة بالتدبير والسياسة وكان يصرخ في مجلس الندوة ان هاتيك القاعدة
تؤول بالوبال على فرانسا لا من حيث الخوف من تمزق أهلها لانهم من جنس واحد ولكن
من جهة تقوى جيرانها كايطاليا والمانيا فان الجار اذا كان ضعيفا جاره القوى يكون
آمنا منه بل يكون له النفوذ فيه بخلاف الجار القوى فانه يأبى الضيم ويقع معه
التشاحن المؤدى الى الحرب التى تجهل عاقبتها فضلا عما تستلزمه من الخسائر المحققة في
الدماء والاموال غير أن صراخه لم يثمر شيأ لان دولة فرانسا في مدة امبراطورية نابليون
الثالث ولان كانت قانونية شورية ظاهرا الا انها في الباطن استبدادية في السياسة
العامة وكل ما يريده الامبراطور يتم غرضه فيه ولذلك أعانت دولة فرانسا بطلب العدا
أن تسلم في الولايات الطليانية لدولة سردينيا وأعلنت الحرب لذلك وتعاضدت فرانسا
والساردو على حرب النمسا وحدها وقد كانت أنشئت جمعية أهلية طليانية تسمى جمعية
وحدة ايطاليا تحت رياسة رجل منهم شهير بالشجاعة وحب الوطن وهو كاريبالدى
وتعسكر تحته كثير من المتطوعين الطليانيين من جميع جهات ايطاليا وأعانوا الساردو
والفرانسيس واستمرت الحرب وكان ملوك الدول الثلاث في معسكراتهم وان كان قسم
وحدة ايطاليا كان تحت رياسة امبراطور الفرانسيس وانخذلت النمسا ووقع الصلح
المسمى بصلح زوريخ نسبة للمدينة التي امضيت فيها الشروط وبمقتضاها سلم امبراطور
النمسا في مملكة لمباردية الى امبراطور الفرانسيس وهو اعطاها الى ملك سردانيا كما سلم له هذا
في ولايتي نيس وسافوى بأوراق ١٢٧٦ ه سنة ١٨٥٩ م وبينما كانت الحرب مستمرة
في ميادين لمباردية واذا ببقية ايطاليا ثارت من جميع الجهات منادية بالوحدة تحت راية
كاريبالدى الى ملك الساردو فاما الممالك الشمالية فعقدوا مجامع في عدة مدن للتدبير
في أمرهم واستقر أمرهم على الاتحاد ورضيت به الامة فانخلع ملوكهم طوعا وضمت
ممالكهم الى ملك الساردو (وأما) الجهة الوسطى وهى مملكة رومية فخرج منها ولايتان
اتحدتا مع بقية ايطاليا وبقيت مدينة رومة وما يتبعها للبابا لان الفرانسيس أبوا على الساردو
اذاية البابا حيث ان الرهبان لهم نفوذ على العائلات العالية في فرانسا والامبراطور يتقى
جانبهم فالزم الساردو والمحايدة عن البابا وأرسل الفرانسيس الى رومة حماية البابا من

ثورة رعاياه فساعدها العساكر الفرانساوية وتواصلوا على مرمى شبق تامبكيا (وأما الجهة)
الجنوبية فثار أهلها أيضا ونادوا بالوحدة تحت راية كاريبالدى ثم وردت لهم عساكر
السارد و واشتدت الحرب مع مالك نابلى الى أن قهر وفر هاربا وتمت وحدة ايطاليا بذلك
١٢٧٧ هـ سنة ١٨٦٠ م وتسمى فيكتور امانويل الثانى الملقب بملك ايطاليا غير أنه بقى
خارجا عنها بقية مملكة رومة وولاية فينيسيا التى تحت النمسا الآن امبراطور الفرانسيس
فى الحرب السارد كره استشعر بان الروسيا تريد الاعلان بالحرب ضده اذا طالت المدة فعجل
بايقاع شروط الصلح مقتنعا بثمرة النصر عما أمكن وبذلك وحدة ايطاليا لم تتم بهمة
الفرانسيس على ايطاليا ثم انبنت على قاعدة الوحدة الجنسية السارد كره دعوى المانيا
التى كانت اذ ذاك تحت رياسة النمسا الحق فى الاستيلاء على ولايتى الهولشتين
والشلسويج اللتين هما من جنس الالمان وولايتهما كانت بالوراثة راجعة الى
ملك الدانيمرك وأجرى فيهما قوانين مملكة الدانيمرك فادعت المانيا بلزوم اخراجهما
ولحوقهما بالمانيا وأعلنت بسبب ذلك الحرب بين دولة النمسا صاحبة الرياسة ومعها دولة
البروسيا التى هى أكبر دول المانيا وبين دولة الدانيمرك الصغيرة واستغاثت هاته بكبار
دول أوروبا وكانت دولة انكلترة مع مصاهرة عائلتى الملك بها وبين الدنيمرك مصرحة
بالحق للدنيمرك ومتيقنة بان حرب المانيا معها مضر بالاخوة بالموازنة الاوروبية
حتى قال اللورد بالمستون ركن من وزراء انكلترة اذ ذاك ان هاته شرارة الشيت فى أوروبا
لا تلبث أن تشتعل منها نارا غير أنه أحجم عن العمل لان فرانسا كانت مخالفة له وعصبة
لقاعدة الوحدة فاشتبكت الحرب بين المانيا والدنيمرك وغلبت هاته فى أقرب وقت
وأخذت الولايتين منها غير أنه اشتد النزع فيما بعد بين النمسا وبروسيا وذلك أن المانيا
كما تقدم فى المقدمة منقسمة الى عدة ممالك وقد كانت الرياسة عليها متداولة بين دولتى
النمسا والبروسيا حسب السطوة والاقتدار واستقرت مدة الرياسة بيد النمسا غير أن
الدولة البروسيانية حانقة من ذلك ولم تساعفها الاحوال للغرض وقد كان ولى عليها
ملك عاقل ذو خبرة وتبصر بالعواقب وهو فريدريك الكبير فاعطى الحرية للاهالى
من نفسه ومن ذلك الوقت أخذت بروسيا فى التقدم واتساع المعارف وكان من قوانينها
ان الاهالى كلهم تجب عليهم الخدمة العسكرية حتى انهم فى وقت الحرب يكونون كلهم
عساكر وبذلك صارت دولة حربية قوية أيضا غير انها مع ذلك لم تساعدها الظروف الحالية
لانفاذ مقصدها فى الاستيلاء على رياسة الالمانية الى أن تولى الملك غليوم الملك الحالى

واستوزر

فاستوزر وزيرا جلادا ماهرا في السياسة وجد في العمل وهو الامير بيزمرك وكان الملك [illegible] لا
بافكاره حتى حصلت له ضدية من بطانة الملك واهل بيته بل ومن مجلس نواب الامة
أيضا [illegible] بوجوب الزيادة في القوة العسكرية دعما انها لوسيلة لاتمام الامل
مع حسن اجراء السياسة في الداخل والخارج لكن الملك لم يقبل فيه قول قائل لميله
لافكاره ومقاصده حتى انه لما خالفه مجلس النواب امر بحله وانتداب الامة الى
انتخاب غيره محافظا على سياسة بيزمرك الوزير في خطته وعمل بآرائه ثم وقعت
الواقعة المشار اليها مع الدانيمرك وكانت دولة البروسيا اوعزت الى فرانسا استحسان
قاعدة الامبراطور نابليون الثالث في وحدة الجنسية واطمعتها بفوائد لو ساعدها
ولو معنى فقط على ابعاد النمسا من بقية المانيا كما ان بيزمرك اوعز الى بقية ممالك
المانيا بالتنفير من رياسة النمسا عليهم لانها ليست من جنسهم خاصة بل هي
مركبة من اعضاء متعددة وليس الالمان فيها الا جزء من الاجزاء ودام اغراء
صدورهم الى ان اثر فيهم اشد التأثير ثم حصلت المنازعة بين النمسا والبروسيا على
الاستيلاء على الولايتين المأخوذتين من الدانيمرك وفي اثناء النزاع اغرت البروسيا دولة
ايطاليا بالمعاضدة معها لاخراج بقية ايطاليا من تحت النمسا فانتشبت الحرب بين البروسيا
ومعها ايطاليا وبين النمسا وكانت النمسا غالبة لايطاليا لكنها مغلوبة غلبا فظيعا
لبروسيا وذلك لان البروسيا كانت اخترعت نوعا من المكاحل [illegible] عن
وبتور بارودة باندفاع ابرة من اسفل المكحلة ويسمى هذا النوع المكاحل ذات الابرة
وكان ابعد مرمى واسرع انطلاقا من النوع القديم بكثير فكانت عساكر النمسا يصيبهم
رمي عدوهم المتوالي كالمطر الدافق من غير ان يصيب رميهم عدوهم ولو بواحدة وكان
صف العساكر يصير متساقطا من قبل ان يتمكن من رمي عدوه الى ان ضجت عساكر النمسا
ولم يكن لهم من وجه للتخليص الا عقد الصلح على طلبته البروسيا ومن العجب ان ذلك
السلاح كانت عساكر البروسيا متقلدة ومحاربة به للدانيمرك عند معاضدتهم مع النمسا
ولم يلتفت اليه احد من الدول ولا تهيأت النمسا لمقابلته فوقع الصلح ١٢٨٣ هـ سنة
١٨٦٦ م على ان البروسيا تتولى تلك الولايتين وتدخل فيها ايضا مملكة الهانوفر
والهاس ودوكاتو ناسو وبلد فرنكفورت الحرة وان تخرج النمسا عن رياسة العصبة
الجرمانية بالمرة وتبقى ممالك جرمانيا الشمالي منها داخلا تحت رياسة البروسيا مستقل
باداريته والجنوبي منها له المعاضدة مع البروسيا لكن [illegible] باستقلالها الى

أن وقعت الحرب بينهم فرانسا كما سبق فى محله كانت تضمنت شروط الصلح أيضا نزول
النمسا عن ولاية فينيسيا الى امبراطور الفرانسيس وهو سلمها للطليان وذلك لانه هو الذى
تداخل بالصلح عندما رأى قطاعة تقهقر النمسا ثم لما انهزمت فرانسا فى حربها مع المانيا
١٢٨٧ هـ سنة ١٨٧٠ م واضطرت الى اخراج جيشها من رومة تم اتحاد ايطاليا وجعل
مدينة رومة تخت المملكة فدخلتها جيوش الملك فيكتور امانويل والثائرون بعد محاربة
ضعيفة من عساكر البابا وبقى البابا حاكما روحيا على الكاثوليك واتحد الحكم السياسى
لمملكة ايطاليا ولم يبق خارجا عنها سوى سان مرينو التى أهلها نحو سبعة آلاف نسمة
فانها مستقلة بنفسها وكذلك سان بيترو وهى كنيسة رومية الكبرى والفاتيكان وهو
محل استقرار البابا وبقيت قطعة أخرى على شاطئ البنادقة العليا المحاوية لمرسى تريست
تحت يد النمسا وفى نفوس الطليانيين الدعوى باستحقاقهم اياها ثم ان المزية فى ذلك الاتحاد
والتى كانت الى الملك فيكتور امانويل لاجرائه القوانين فى ممالكه حتى أحبه سائر ايطاليا
وفاز بالشهرة بذلك وزيره كافور لمهارته وحزمه فى ادارة السياسة العامة وجلب المساعدة
من الخارج وتقديم الاهم فالاهم لكن للامة الطليانية أيضا الحظ الاوفر من ذلك الفخر
حيث هيأت نفسها واستعدت لانه ذلك المراد لحب سائرها وتمييزها السقيم من المستقيم
ومعرفتها بما يؤول لخيرها حتى كانت تنعقد تلك الجمعيات السرية فى أقطار المملكة
وتتواصل المخابرات بينهم فى الاستبداد دون غرض حب الوطن والنفرة من الضيم ومن تلك
الجمعيات الجمعية المسماة بالفرمسيون التى تم بسعيهم ثمر الحرية من غير اذية لاحد على
شروط عندهم وتحملت تلك الجمعيات مصاعب كبيرة فى عدة جهات ومع ذلك لم يفتر
عزمهم وآثروا النفع العام على حظوظهم الشخصية الى أن وجدوا يد المساعدة من دولة
الساردو المستعدة لمساعدتهم ومؤنة فنادوا بها من جميع أطراف المملكة وكان كارى بالدى
مظهر وجود تلك الجمعيات التى كانت تنفق على مطلوبه كانفاق دولة على عساكرها وذلك
الزعيم لما تم مقصد ايطاليا رامت الدولة مكافأته بترقيته فى الرتب العالية فاكتسب بعمله
الفخر لبلاده وأبى قبول شىء مما يحتاجه ومن أهم مساعدات انجحت وجود قاعدة
نابليون الثالث السابق ذكرها ويقال انها مؤسسة منه قصدا لانه يدعى بانه كان من أعضاء
الفرمسيون وانه لما كان منفيا بايطاليا وعد جماعته بالمساعدة اذا تولى ملك فرانسا
واعانتها اعتبار عظيم لانها كسرت سورة امتدادات النمسا فلولا تقع مساعدة فرانسا
لكانت النمسا أول متصد لشوكة الاتحاد ولو أنها ترى الحرب لاجل ذلك مع غيرها

(كتابلى

(كنابلى مثلا) لانها تعلم ان الباكر بالحضرة لصاحبها قبل أن يسم نحكم فنة فرانسا الآن تتكر فى
ذلك لان احياء الامة بعد الاندثار وتغلب الدول العظيمة عليها لا يمكن بدون مساعدة
دولة ذات شأن واقتدار كما يفيده الاستقراء ومن غرائب ما يحكى من جهة علوم الحدثان
هو أن نابليون الثالث رأى ايطاليا اذ تمام اعانته لها وفى مسامرة الوليمة التى أعدت
له من ملك ايطاليا كانت امرأة عجوز من الاعيان حاضرة فاختلت بالامبراطور مع بعض
الاعيان المقربين اليه وقالت له هل وجدت ما قلته لك صدقا فقال نعم فقالت لكن
ما أدرى كيف الحال فى الباقى ثم قطعتها ونقض المجلس فسألها أحد الحاضرين عن معنى
كلامها فقالت انها تعلم نوعا من الحدثان وانها كانت أخبرت نابليون مدة هروبه بايطاليا
قبل ولايته على فرانسا بجميع ما يقع له ومنه أنه يخلع بعد حرب وقد جاء وقتها ولذا قطع
الكلام وقد رويت هاته الحكاية عن ثقة قبل حرب فرانسا وبروسيا ١٢٨٧ هـ سنة
١٨٧٠ م فلم يطل الزمن حتى كان الامر كما ذكرت والله أعلم بكيفية علمها اذ كان
بعض أنواع ذلك العلم لا يتوقف على صلاح ولا على دين بل كاشاهر وصناعة وفى مقدمة
ابن خلدون كفاية لبيان ذلك (واما اسماء ملوك ايطاليا) فان لها الآن ملكان فقط
(الاول) فيكتور امانويل الثانى ابنه امبيرتو (وذلك) لقرب العهد بالاتحاد ثم ان الملك
الاول كان ملكا على الساردو وهو من عائلة صافويا التى لها رسوخ فى الملك والامارة
من قديم

مطلب

﴿فى الادارة الداخلية﴾

(اعلم) ان الادارة عندهم منقسمة الى كلتين (الاولى) هى ما يتعلق بالادارة العامة
(والثانية) ما يتعلق باجراء الاحكام الشخصية (فكل) منهما ادارة مستقلة عن الاخرى
ولا دخل لها فيها وكل من الادارتين راجعة الى رئيس الدولة وهو الملك فدولة ايطاليا
دولة ملكية والملك بها ادارة السياسة العامة داخلية وخارجية ورياسة القوات الحربية
برية كانت او بحرية وعقد المعاهدات والحرب والصلح ورياسة الاحكام الشخصية
وتنفيذها لكنه لا يتصرف فى كل ذلك الا على مقتضى قانون مرتب معلوم وملخص
كيفيته ان الملك يتصرف فى جميع ما تقدم بواسطة الوزراء وهو ينتخب الوزير الاول
اى صاحب رياسة الوزراء ويكلفه بأن ينتخب هو بقية الوزراء ممن توفرت فيهم شروط

الأهلية وبعد اختيارهم يعرضهم على الملك ويوظفهم في وزاراتهم وهي وزارة
الداخلية والخارجية والمالية والأحكام والتجارة والمعارف والنافعة والديانة والحرب
والبحر وقد يتقلد رئيس الوزراء إحدى هذه الوزارات مع الرياسة وقد يجمع بين
صغارها كالتجارة والنافعة والمعارف وكل وزير له حدود في إدارته يكون هو المسؤول عنها
(وهناك) مسائل تجتمع فيها المسؤولية على الجميع وما يستقر عليه رأي الوزراء منفردين
أو مجتمعين يمضيه الملك وإن لم يرد عرضه على المجالس الآتي بيانها فإن وافقوا الوزراء
أمضى الملك وإن خالفوهم وأصر الوزراء على رأيهم لزمهم الاستعفاء وينتخب الملك غيرهم
كما أنه إذا وافق الملك الوزراء وخالفهم المجلس فللملك الخيار إن شاء انتخب وزراء آخرين
وإن شاء حل المجلس وأذن العامة بانتخاب غيره (ومن حقوق الوزراء الحضور في مجلس
النواب والأعيان للمناضلة عن أعمالهم) ثم وراء أعمال الوزراء مجلسان (أحدهما) يسمى
مجلس الأعيان ووظيفة أعضائه عمرية ويتعين من الملك من عموم أهل المملكة لا الأعيان
وأعيان الموظفين وجميع أعضاء العائلة الملكية إذا بلغ الرجل منهم إحدى وعشرين
سنة ولكن ليس له رأي وصوت قبل الأداء إذا بلغ خمسا وعشرين سنة ولذلك لم يكن
عدد أعضائه إلا غير محصور وكان مقتضى قواعدهم أن يكون من أعضائه كبراء
الديانة الكنسية لكنه لما كان الباب صاحب الملك الطالياني حيث نزع منه السلطة الملكية
كان جميع رؤساء الديانة معارضين لحكومة الطاليانية ويرونها غاصبة فلا يتداخلون
في أمرها بل همهم في إبطالها وإعادة سلطة الباب لكن العقلاء منهم الذين يؤثرون
نفع الأمة عموما على حظوظ نفوسهم يعملون ما ذكر ظاهرا وفقا لقواعد الباب وأنهم الدينية
وأما باطنهم فهو مع الدولة (ووظيفة) هذا المجلس هو الرأي في الاحتساب على أعمال
سائر الموظفين وفصل النوازل التي يقع فيها الخصام بين الموظفين مما يرجع إلى الوظيف
واستحسان أو استقباح ما يرد من مجلس النواب بحيث لا يمضي شيء من تراتيبه إلا بعد
مصادقة مجلس الأعيان عليه وهو المحاكم في الجنايات السياسية (والمجلس الثاني)
هو مجلس النواب وأعضاؤه ينتخبهم الأهالي من عموم المملكة وكل قسم من المملكة
ينتخب عددا على قدر عدد سكانه بأن يكون على كل خمسة وثلاثين ألف نسمة عضو واحد
بشروط في الذين ينتخبون بأن يكون كل منهم ذكرا طاليانيا بلغ من العمر خمسا وعشرين
سنة وأن يكون غير محجور عليه وأن يعرف القراءة والكتابة وأن يكون مؤديا للدولة
أربعين فرنكا في السنة من أي طريق كان من أنواع الأداء ويستثنى من هذا أقسام لهم

امتياز

اعتبار بالعلم والتجارة فلهم الانتخاب مطلقا كما يشترط فيمن ينتخب لأن يكون عضوا أن
يكون عالما بليغا وأن يعرف بالرشد وأن يبلغ ثلاثين سنة وأن لا يكون متوظفا له مرتب من
الدولة ثم يتغير في الشرط الأخير إذا لم يبلغ عدد أهله في المجلس قدر الخمس ووظيفة هذا
المجلس هي المحافظة على القوانين الموجودة وتغيير ما يرى تغييره وتحرير ميزان الدخل
والخرج وترتيب كيفية توزيع دخل الدولة على الأهالي والاحتساب على جميع أعمال
الدولة ويوجد مجلس آخر يسمى مجلس الشورى ينتخب أعضاءه الملك من أعيان
المتوطنين ووظيفة هذا المجلس هي إعطاء الرأي فيما يعرضه عليه الوزراء من المسائل
ثم تهذيب القوانين لتعرض على من له قبولها من المجالس ثم إن تنفيذ جميع الأعمال
بالوزراء وهم المسؤولون عما يقع من الخلل على أيديهم أو بواسطة من يعينونه
في الوظائف ومسؤوليتهم لمجلس النواب ومجلس الأعيان وهذا هو ترتيب تصرفات
الدولة (وأما) الإدارة في الولايات فقد تقدم أن المملكة منقسمة إلى اثنتي عشرة ولاية
كبرى ومنها ما له أقسام حتى صار مجموع ذلك تسعة وستين ولاية ثم الولايات في ذاتها لها
(أقسام) صغرى وهاته تحتها أقسام أصغر منها ولكل ولاية وال معين من الدولة وله
مجلس يسمى بالثلاثة ومدة وظيفتهم ثلاث سنين وأمور مهمتهم هي تنفيذ أوامر الدولة
وتنفيذ ما يستقر عليه رأي مجلس الولاية الآتي ذكره وطلب التدبير فيما يصلح بولايتهم
وإمضائه بعد موافقة المجلس المذكور عليه وفي كل ولاية أيضا مجلس أعضاؤه ينتخبهم
الأهالي لمدة خمس سنين ويبدل خمسهم كل عام وعددهم على حسب عدد سكان الولاية
لكنهم لا يتجاوزون الستين فيما إذا كان عدد السكان أزيد من ستمائة ألف
وينقصون إن كان عدد السكان أقل ومدة اجتماعهم مرة في السنة تدوم على قدر الحاجة
وأمور مهمتهم هي تعيين المقادير اللازمة لصرفها في مصالح الإيالة كتمهيد الطرقات وبناء
الجسور والمكاتب والمستشفيات وتحسين البلدان وغير ذلك وأول ما ينظر فيه مقدار الدخل
المقدار الذي يحصل من الأوقاف المعينة لمصالح الولاية ثم ما يزيد عليه من المصاريف
يوزع على الأهالي على نسبة ما بيدهم ونسبة أداء جبل الدولة ومن وظائفهم أيضا تعيين حدود
الولايات وتغييرها فيما بينها على حسب ما تقتضيه المصلحة (ويوجد) في كل ولاية
(أيضا) مجلس مركب من الأعضاء المنتخبين من تلك الولاية لمجلس النواب العام
وأمور مهمتهم مستمرة ما داموا أعضاء لمجلس النواب ومهمتهم هي قبض وصرف المبالغ
المعينة من المجلس السابق بواسطة الوالي ومجلسه وطلب الاطلاع على سائر أعمال المجالس

والمصالح المدارة في ولايتهم ثم ان كل وطن تحت الولاية فيه نائب عن الوالي مأمور بتنفيذ
الاحتساب على أعمال المجالس البلدية الآتي ذكرها وايقاف ما يراه من أعمالهم
مخالفا للقوانين وانهاؤه الى الوالي ثم في كل جهة وبلدة مأمور من الدولة وله أعوان مكلف
بحفظ راحة السكان وحراستهم من الجنايات والمشاجرات وهم المعروفون بالضابطية كما
(يوجد) في الاوطان أقسام من العساكر ومكلف بكيفية أخذ العساكر من الاهالي على
مقتضى القانون (وكذلك) يوجد في كل بلد قرية أو مدينة مجلس بلدي لا تتجاوز أعضاؤه
الستين في سائر البلدان الكبيرة وينقصون في غيرها على حسب كبرها تنتخبهم أهالي
البلد لمدة خمس سنين كما تقدم في غيرهم وشروط انتخابهم كشروط مجالس النواب بنقص
في شرط مقدار الأداء للحكومة ومأمورية نظرهم فيما يتعلق بمصالح بلادهم والاحتساب على
الضابطية ومدة اجتماعهم مرتان في السنة أو عند الاقتضاء ثم ينتخبون منهم لجنة
أعضاؤها على ستة ولا ينقصون عن أربعة بحسب عدد سكان البلد تحت رئاسة
البلد لاجراء المصالح المتفق عليها في بقية السنة ومن حقوق صاحب ال[illegible]ان ايقاف
جميع المجالس المتقدم ذكرها اذا رأى ما يوجب ذلك بشرط أن ينتخب غيرهم وفيما
يرجع الى انتخابه ويدعو الامة الى انتخاب من يرجع الى انتخابها في مدة لا تتجاوز
الثلاثة أشهر وفي مدة التعطيل يتكفل المأمور بجري المصالح التي ترجع الى المجلس
المعطل ويكون عليه مسؤولية ما يجري به ولا يعزل صاحب وظيفة الا بذنب أو نقل لغيرها
فهذا كله في القسم الاول من الادارة وهو الادارة السياسية (وأما) القسم الثاني
وهو الادارة الحكمية فان في كل بلد مجلسا يحكم في الحقوق الشخصية ثم في كل قاعدة
من قواعد الاوطان مجلس لتحقيق الاحكام الصادرة من مجالس أحكام البلدان الراجعة
لتلك القاعدة عندما يطلب الخصم تحقيق الحكم (ويستثنى) من ذلك النوازل الصغيرة
ثم وراء ذلك مجلس أعلى ينظر في أحكام مجالس التحقيق اذا طلب الخصم ذلك أيضا في
نوازل معينة ثم في كل بلد مجلس للجنايات الخفيفة ومجالس للصلح بين الخصوم البتة
وأحكام هاته المجالس يستندون فيها الى قوانين مرتبة عندهم عقلية مستخرجة من
عدة قوانين قديمة للرومان واليونان وغيرهم موصلة للحقوق الى مستحقيها على ما يرونه
وزاجرة عن الجنايات ومراعى فيها حالة البلاد وأخلاق الاهالي وعوائدهم واصطلاحهم
ومجالس النواب تغير من قوانين الحكم ما تدعو المصلحة لتغييره بحسب تغير الزمان
والعرف وقوانين الحكم مطبوعة يتوصل اليها كل أحد ليعرف ماله وما عليه واذا تغير

عندهم

عندهم حكم مسئلة لا يجرى العمل به الا بعد مدة لكى يكون الناس عالمين به وأحكام
مجالس الحكم وسماعهم للدعوى والجواب يكون علنيا ولكل من أراد الحضور فى
تلك المجالس أن يدخل اليها ويجلس فى مكان معد لذلك ليسمع ويرى لكنه ليس له
التداخل فى شئ من أمور المجلس نعم اذا رأى شيأ مخالفا للقوانين فانه يرفعه لمن له النظر
فى حفظ القوانين أو يكتبه فى الصحف الخبرية ويعلن به وليس فى قوانينهم العقاب بالجلد
وانما يعاقبون بالقصاص فى النفس وفى غيره بالغرم المالى والسجن على حسب الجناية
فى درجة عذاب السجن ومدته وأحكام المجالس تنشر فى الصحيفة الخبرية المعدة لذلك
لكى يعلم الحكم من اراده من العموم ووظيفة أعضاء مجالس الاحكام عمرية لا يعزل صاحبها
عزل عقاب ولا تأخير ليكون فى اجراء الاحكام آمنا الا اذا ثبت عليه ذنب بمقتضى القانون
فانه يعزل ويوقف ثم يترقى العضو من مجلس الى غيره ومن بلد الى غيرها وذلك يدور بين
الاحكام على قانون لهم فى ذلك ولعموم الاهالى والواردين أيضا الحضور فى مجالس النواب
ومجالس الاعيان لاستماع معارضاتهم ولاصحاب الصحف الخبرية مكان يحضرون فى تلك
المجالس لينشروا جميع المعارضات وكذلك فيها بيت معد لذلك اذا اراد الحضور الغير
الرسمى وفيها بيت معد لمن اراد الحضور من أعيان الاهالى والسفراء والوافدين تعطى
لهم أوراق الاذن بالدخول الى المجلس من الوزارة كما أن العامة انما يدخلون بورقة الاذن
من الرئيس والحصول عليها سهل وانما يلزم الاذن لكى لا يزدحم الحاضرون فى مكان
الاجتماع بان يكون عددهم أكثر مما يسعه المحل ولان فى المجالس جلسات سرية
يضر افشاء خبرها فلا يسمع عندها بحضور غير الاعضاء بل ربما اعترى ذلك فى وسط
الجلسة الجهرية فيؤذن للحاضرين بالانصراف

مطلب

قد تلخص مما تقدم ان دولة ايطاليا هى دولة ملكية قانونية شوروية وللاهالى الحرية
الشخصية والسياسية فاما كونها ملكية فلان الرياسة والتصرف العام هو بيد ملك
وراثى أعنى أن الملك ينتقل من الاب الى ابنه الاكبر فى عائلة مخصوصة ومن هذا الى
ابنه الاكبر وهكذا وبقية العائلة الملكية تستخدم فى الوظائف كسائر أعيان الاهالى على
حسب التأهل (وأما) كونها قانونية فلان التصرفات العامة والاحكام الخاصة كلها
منضبطة بقواعد قطعية مدونة معروفة (وأما) كونها شوروية فلان تطبيق تلك

القوانين على الحوادث منوطا بآراء متعددة ووراءها أنظار أخر متعددة بحيث لا يخفى شئ الا ما يستقر عليه غالب آراء أهل الحل والعقد (وأما) كون الحرية الشخصية للاهالى فلان كلا منهم له الاطلاق فى التصرف فى نفسه وكسبه داخلا فى دائرة حدود القوانين لا يخشى من مجاورتها عليه وهى كافلة له بالامن فى دينه ونفسه وماله وعرضه (وأما) كون الاهالى لهم الحرية السياسية فلان كلا منهم اذا توفرت فيه الشروط المؤهلة من صفته الذاتية فله أن يتداخل فى تدابير المصالح الكلية لعائدة لوطنه ولكل منهم نشر أفكاره على العموم بواسطة المجامع أو الكتب والصحف الخبرية على شرط عدم الخروج من حدود القوانين المراقب لها فى جمهور بنى جنسه

مطلب

﴿فى السياسة الخارجية لايطاليا﴾

(اعلم) أن دولة ايطاليا الآن هى سادسة الدول الاوروباوية الكبار وهى المانيا وفرانسا وانكلترة والنمسا والروسيا وايطاليا فاوتها لدول بسالهم من القوة واتساع نطاق القدرة صار لهم المداخلات فى كل ما يمس حقوقهم من سياسات العالم وشدة مراقبة بعضهم لبعض لا تترك احدهم يتداخل فى شئ يمكن منه لمس حقوق الآخرين ولو فى الوجاهة والمودة ولكنهم عموما يتجنبون المداخلات فى أحوال الدول ذات الانتظام لا لمجرد مراعاة الانتظام بل لان الانتظام يشيد صونا لها عن أبواب المداخلات باستناد أصحابها الى أصولهم وآراء العموم مع برهان حسن تبدئهم على استقامة من القيام بواجباتهم فى أنفسهم والوفاء بحقوق المعاهدات الاجنبية ومع ذلك فالقوة فى الدول الكبيرة تغرى بالتداخل فى أحوال الضعيف كيفما كان الحال لكن الغيرة والتحاسد بين الكبار يوجب ردع بعضهم بعضا فاذا كان المصوب اليه سهام التداخل مستقيما فى نفسه وجد رقبة الدول الكبار مستندا لردع الجانى منهم على الضعيف اذ اختلاف منافعهم ومباينة مقاصدهم موجبة للاختلاف وعدم الاتحاد على الاضرار بالضعيف حيث ان الاضرار به لا يمكن ان يوفى بأغراض جميعهم ولا يسمح أحدهم برجحان كفة غيره على كفته ولذلك يعد الضعيف راحة من اختلافهم الذى كانت أعماله باستقامته سببا فيه (أما) اذا كان فى نفسه غير مستقيم تورث سيرته الكوارث التى تقلق جميع الدول الكبيرة فيقتحمون تحمل ضياع بعض أغراضهم ليسدوا باب التشاحن من قبل ارتكاب أخف الضررين

الضررين وذلك لا ينشأ الا فى الجهات التى تشترك فيها منافع الجميع (أما الجهات) التى
تختص ببعضهم فان المشاحنة انما تقع بين من له تشارك فيها فقط ولذلك كان لدولة
ايطاليا مراقبة لاحوال شطوط البحر الابيض وكل الدول المجاورة لها ولم يكن يعنيها
ما يقع فى غربي أوربا ولا ما يحصل فى الصين والهند وأمثال ذلك ثم ليست درجة دولتى
أوربا بعدها كدرجة الصغير والحاصل ان تداخلها هى أو غيرها على حسب منافعها
السياسية والتجارية ولذلك كانت لها معاهدات مع الدول التى لها معها علقة فى السياسة
أو التجارة وهاته الدول هى جميع دول أوربا والدول التى على شطوط البحور من آسيا
وغالب جهات أفريقيا ولها سفراء ونواب عنها فى تخوت تلك الممالك وهم على طبقات
فى المقام فلها سفراء من الدرجة العليا فى الدول العظيمة التى لها معها خلطة سياسية
معتبرة ولها سفراء من الدرجة الثانية فى غيرها من الدول المستقلة التى لها معها
معاهدات ولها قناصل وهى رتبة أقل من السفير فى الحكومات الغير المستقلة أو التى
هى صغيرة وتارة تكلف بمصالحها نواب لمجرد الشرف بالرتبة من غير مرتب أو تكلف
نواب بعض الدول الاخرى كل ذلك فى الجهات التى تقل مصالحها بها ولكل سفير أو مكلف
نواب وأعوان ومحل ادارة يسمى بالسفارة كما ينفق عليها الاموال فى المرتبات
وغيرها وكل دولة فيها سفير من ايطاليا يلزم أن يكون لها هى أيضا سفير فيها على قدر
مصالح تلك الدولة وهى قاعدة مطردة فى سائر الدول بالنسبة لسيرتهم فى الخارجية
ومنذ سنة ١٢٧١ هـ ١٨٥٤ م دخلت ايطاليا فى عقد المعاهدات العامة بين
الدول الكبيرة وان كانت اذ ذاك دخلت بصفة دولة سردانيا حيث انه لما عقد الصلح بين
الدولة العلية والروسيا وعقدت له شروط معاهدة باريس التى اجتمع لها نواب الدول
الكبار الست الاوربية ونواب الدولة العلية ووقع الجميع على المعاهدة وكان منهم نواب
سردانيا بالدخول دولتهم فى الحرب كما سبقت الاشارة اليه

فصل

(فى بعض عوائد أهالى ايطاليا وبعض صفاتهم)

اعلم ان سكان ايطاليا من أبناء أجناس من الامم الذين وفدوا عليها قديما واتحد الجميع
بصفة الطليانيين منذ قديم وديانتهم عموما مسيحية على المذهب الكاتوليكى وهو مذهب
الدولة وكثير ممن تغذوا فى العلوم الرياضية فادتهم الطبيعيات وصاروا لا يعتقدون شيأ من

الديانات عندهم انها جميعا مردودة بالعقل مثل ما يرون من عقائد ديانة النصارى واليهود لكن عقلاؤهم يقرون بان الحق حق وعلا ولو اطلعوا حقيقة على حقائق الديانة الاسلامية لما وسعهم من الانصاف الا اتباعها لما ابتغوا الاقل وسطوع برهانها او المسؤل من عدم ابلاغ الشريعة اليهم على حقيقتها هم من اناط الله بهم ذلك على ما سياتي ايضاحه في الخاتمة ان شاء الله تعالى وكان ابطالها هم بعض اقوياء مذهبهم أكثر اهاليها مذبذبون

(واما القرى) والبوادي فهم على الشريعة ولاعتقاد التقليدي الاحب للقسوس وهم اصحاب جد في العمل والاشغال واصحاب الاعمال البدنية يبكرون الى اشغالهم (واما) ذوو الترف والاحكام فانهم يصلون السهر ويقفون من نومهم متأخرا ولا يبتدئون الاشغال الا قبل الزوال بساعة او ساعتين او عند الزوال وكبراءهم ليدعو الاحباب بعضهم بعضا للسهر والرقص في منازلهم وتارة يستدعونهم للعشاء مع ذلك وتارة يقتصرون على تقديم فواكه وحلويات وسكر وليس من عاداتهم تحية ماء مثل ما هو عندنا فترى المرأة تخاطب زوجها وتغازله امام والديها بل وتفعل مثل ذلك مع خطيبها او ترقص مع الرجال امامهم هذا في البنات وكذلك بالبنين وعندهم ان الغناء ليس عيبا من النساء فترى اكبر الاعيان يحضر في داره بدعوة عامة وتحضر بنته او زوجته او احدى النسوة الاعيان المدعوات تمشي في ذلك الملأ وترقص مع الرجال على اشكال شتى من معانقة ومخاصرة وغيرها ولا تنهى من ذلك بل يرونه اكراما حيث ان المسلم الغيور يكاد يتفطر مما يرى

(واما الرجال) الاعيان فالرقص عندهم مع النساء ولو في الملوك غير معيب لكن الغناء منهم معيب والنسوة يخرجن مكشوفات الوجوه ويمنعهن من اشغال مثل الرجال الا لا اشغال الشاقة والتعاليم للعلوم العالية ويساعدن الاجانب عن فراشهن مثل الرجال ويقول رجالهم ان الذي حمل المسلمين على حجب النساء ما في طباعهم من الخيانة وشدة الحجب توجب شدة الشوق وحيث انا على خلاف ذلك فالامر على نسقه محقق والتي لا يصحبها عرضها الا تصحبها حافظ زوجها هذا مدار كلامهم وهو نص فاحش اذ وجوب الحجب امر طبيعي في سائر البشر بل في سائر الحيوانات ومن المعلوم ان لكل شئ سببا فرؤية لذت والوجه مكشوفا ثم المكالمة ثم المداومة ثم الرقص في حالة شرب الخمر والطرب ثم المخاصرة كلها اسباب تدعو الى الاتفاق طبعا الى ماوراءها بلا شك واثبات ذلك بالوجود اقوى دليل حتى صار من عوائدهم ان البكارة هي التي لم تتزوج صاحبها من غير نظر الى حقيقتها الاصلية والزيادة على هذا في الاستدلال خارج عن موضوعنا

ومنصفهم

ومقصودهم يقر بذلك لا محالة وقد غلط من ادعى ان ديانتهم تبيح النظر لوجه المرأة وهو
جهل به لعدم التفرقة بين كون وجه المرأة ليس بعورة وكذا كفاها وقدماها حتى يجوز
لغير محرمها النظر الى تلك الاعضاء وكذلك النسوة أمثالها وبين كون الوجه يجب ستره
عن الرجال الاجانب مخافة الخوف الفتنة بنص الكتاب في قوله تعالى وليضربن بخمرهن
على جيوبهن الآية وذلك هو الحق المستقيم والمشاهدة أقوى دليل فكل بلاد حافظت
على ذلك قلت فيها الفاحشة حتى كادت أن لا تقع وكل بلاد تساهلت في خروج النساء
كاشفات الوجوه ارتفع الصفيقة وغض النظر عن مكالمة النسوة للرجال والمزاحمة
في الاسواق والجامع فشت فيها الفاحشة واتخذ رجالها صبرا وصار لهم السكات بوقائعهم
مع النساء سواء كانت بلاد اسلامية او افرنجية وقلب الحقائق واتخاذ الجهر وعكس
الطبائع ليس في الوسع ولا يحاوله ذو انسانية واهالي ايطاليا يستعملون الموسيقى ذات
آلات النفخ وذات الاوتار وهم برعاء فيها والحانهم هي الحان الاوروباويين وهي ألحان
مخالفة للالحان المعروفة عند المشرقيين والعرب واهالي افريقية الشمالية حتى ان
هاته الالحان لا يحصل منها ما يحصل من السماع لهؤلاء وبالتعود تصير مؤثرة في النفس
ولها انغام مخصوصة معتنى بها ولا يدقونها الا على تطبيق ما هو مرسوم في أوراق خاصة
على اشكال يفهم او صوت النغمات بحيث ان كل صاحب آلة تكون امامه تلك الاوراق
ينظر فيها ويدق على نحوها ولا يدقون من محفوظاتهم الا قليلا واهل البادية وبعض
القرى لهم آلات من مزامير بالجلود ينفخونها لا اوراق وفي كل بلدة مراسح للعب
وانشاء على حسب كبر البلدة تفتح ليلا للجمهور وتشكل فيها العاب على صور تاريخية
مرئية او للغناء والسماع ولهم تقدم وشهرة في ذلك على سائر اهالي اوروبا والاهالي عموما
ذوو رجولية في التعسف بالآلات الحربية حتى لا تكاد تجد من لا يحمل السلاح الصغير
الجيبي عمليا ويركبون الخيل رجالا ونساء غير ان المرأة تركب السرج بلا فتح رجليها
بل انها تثني رجلها اليمنى على مقدمة السرج ورجلها اليسرى تضعها في الركاب وعادة
الاهالي في السلام عند الملاقاة هي المصافحة مع هز اليد ويقول احدهما للآخر يوم
حسن او ليل حسن واذا قدم مسافر على حبيبه او قريبه قبله في فمه ولو لولد مع والده او
امرأة مع قريبها الذكر والنسوة يزدن ان الحبيبات منهن اجنبيات يقبلن بعضهن في الافواه
والرجال لا بد في سلامهم من كشف رؤوس بعضهم لبعض ورفع بالنسبة للوضيع
يصحبه رفع قلنسوته كأنه يريد رفعها فقط واذا دخل وارد على آخر في بيته لا يجلس

الا وهما مكشوفا الرأس وهي عادة جارية في حلولهم في بيوتهم مكشوفي الرؤس الا من
كان به أذى من رأسه ومن عاداتهم أن لا يمدوا المشي لتلقي القادم لكنهم يمدون
التشييع ومن الآداب أن يحدث أحدهم كلاما لصاحبه عند الفراق ويتبعه في حالة
الوداع ويتصافحون أيضا عند ذلك

مطلب

(في التجارة)

الطليانيون لهم مهارة في التجارة كغيرهم من أهالي أوروبا وبنادقي وجنوي والذي وسع
تجارتهم هو عقدهم لشركات في أموال الواحد فلا شك في تزيد الاتساع في التجارة ولذلك
يعقدون شركات ذات أسهم عديدة ويقبضون للشركة بعضا منهم عن يأتمنونه وتكون
لشركاتهم فروع في الأقطار التي يواصلونها بالتجارة ويعلمون كيفية التجارة
والبضاعة وأسعارها وكيفية اتصالها بواسطة الصحف الخبرية وأوراق وكتب يودعونها
مجانا ويرسلون الرسل لاكتشاف تجارات البلدان والأقطار وإن تعددت ويشهرون بها
تجارتهم ودولتهم تحميهم في أنفسهم وأموالهم أينما حلوا ولا تقتصر تجارتهم على نتائج
بلادهم ثم إذا لم توف أموال الأفراد والشركات بالمقصود من التجارة تراهم يقترضون من
ديار الصيارفة وهؤلاء الصيارفة هم ذوو الأموال إما أن تكون لواحد أو لجملة أو لعموم
بأن يكون كل من له شيء من المال ولا يريد التعب في ترويجه وأن يجعله متجرا أو غيره فإنه
يدفع ماله لإحدى ديار الصيرفة المسماة عندهم بالبنوك ويأخذ منها حجة في مقدار ما دفع
وتاريخه ويأخذ على ذلك ربا في كل سنة وهو لا يجاوز ستة على المائة في السنة ومهما أراد
رأس ماله فإنه يحاسب على مقدار ما بقي عند الصراف ويأخذ ربحه ورأس ماله حالا
وكذلك إذا أراد أخذ البعض من رأس المال فله ذلك وكذلك إذا أراد ارجاع ما أخذ أو
أكثر أو أقل فله أن يدفع متى أراد ويأخذ متى أراد ويحاسب متى أراد فيسهل بذلك إدارة
أموال العاجزين مع أرباحهم ثم إن البنك الذي يأخذ الأرباح على نحو المذكور يدفعه لمن
يريد الاستقراض بزيادة في مقدار الربا على ما يعطي هو وهاته الزيادة محدودة لا تتجاوز
العشرة على المائة في السنة وكل من مقدار المدفوع والمأخوذ يختلف بحسب البنوك
والبلدان لكنه على كل حال لا يتجاوز الحدود المذكورة لتقيده بالقوانين حتى إن من
تجاوزها يعد مرابيا ثم إعطاء البنوك المال للمقترضين إنما يكون برهن أو لمن له اعتبار

أتقنه به صاحب البنك ثم ان بعض أصحاب البنوك تجيزهم الدولة على قانون معلوم بأن
يخرجوا أوراقا تتداولها الناس عوضا عن النقدين بشرط أن لا تتجاوز النصف مثلا من
مقدار رأس المال وبعض تلك البنوك مخصوص بالملاحة وبعضها بالطاق ومما تقدم تجد
التجارة رخوة بين أيدي السكان بأكثر من أضعاف كسبهم وأهم الوسائط التي يزيدها
الحوالات المالية وهي ان التاجر يشتري شيأ أو يأخذ مالا من أحد ويعطيه حوالة بقبض
ما يطلبه منه على أحد التجار أو البنوك على أن يقبضه في تسعين يوما وهو الأكثر دورانا
وتارة يكون أقل أجلا وتارة يكون أكثر وعند بلوغ تلك الحوالة للمحال عليه يوقع
عليها بالقبول ليدفع في الأجل وقبل حلول الأجل يرسل المحيل المال إما باعه أو عما
قبضه من حوالة أخرى بحيث ان المحال عليه يدفع المال في أجله من غير ان يخرج من
ماله شيأ مع ربحه جزءا من المال لأنه يلزم الاتفاق قبل بين المحيل والمحال عليه في
قبول الاحالة وفي مقدار ما يربحه ولا يتجاوز النصف في المائة وتارة يكون بلا ربح بالمرة
لصداقة أو معاوضة عملها بينهما كأن المحال عليه يربح بقبضه ماله نسيئة أيضا أو يسيرا
وهل يربح لأنه يتجر بمال ليس له فيه رأس مال ولكن مع ذلك كثيرا ما يعتري
الافلاس تجارهم وبنوكهم لأن من أحكامهم انه اذا حان الأجل ولم يدفع أو حل ما عليه
في الحال يفلس ولذلك كانت أكثر البنوك بالطالبات التي لها أوراق مالية لا تصرف
الا ببخس بالصرف بالعين لاحتمال الافلاس ولا تتداول خارج المملكة بل ولا خارج
المدينة الا بنك الدولة فإنه رائج في جميع مملكته فقط وفي كل مدينة محل مخصوص للمناداة
على المتاجر المالية يسمى بورصة يجتمع بضع ساعات عند الزوال اذا دخله الانسان يجده
مشتبكا بالخلق وأصواتهم وأصوات السماسرة ينادون على أوراق ديون الدول وأوراق
الشركات التجارية الكبيرة ذات الحصص كطرق الحديد وخليج السويس وأشباهها
وكثير من التجار يعاملون في تلك المتاجرة لان بعضهم لا يشتري ولا يبيع الا يدا بيد
وهؤلاء لا يعتريهم الافلاس الا نادرا لانه اذا انحطت أسعار ما اشتري لا يطالبه أحد
بشيء وانما يصبر على خسران نفسه الى ان ترتفع الأسعار وبعضهم يكون ليس له رأس
مال لما يشتريه وما يشتريه إما ليس بحاضر بل يؤجل لرأس الشهر ويعتمد على أن
ما يشتريه اليوم يرتفع سعره غدا أو بعد أسبوع فيبيعه ويأخذ الربح ويحيل المشتري على
البائع له المشتري ويخرج من البين بالربح وكثيرا ما يربحون بذلك أموالا جمة وكثيرا
ما يعاملون في أول سنة بأن ينحط السعر فيما اشترى به ويحل الأجل فيلزمه دفع ثمن

واحذ الجميع أو دفع مقدار الخسران فقط فيستغرق كسبه فى كرة واحدة أو عن كرات
وهذا النوع لا يحكم به الحاكم عندهم لانه يراه من المقامرة لكنه لا يمنع منه فالمفلس
يقاس نفسه بغير حكم لكى لا يسقط اعتباره رجاء ان يربح مرة أخرى بمعاملة التجار له هذا ما
تقدم كله من أسباب الثروة واتساعها وسيأتى فى مجامعه ان شاء الله تعالى ما يجوز لنا
شرعا عمله وما هو ممنوع ومن أعظم أسباب الثروة واتساع التجارة تسهيل الطرق لنقل
البضائع بأجرة يسيرة وزمن قليل وكانت الطرق الحديدية أسرع وسيلة لذلك حسبما تقدم
فى الكلام على تونس ولكن الطرق الحديدية وحدها غير كافية لانها انما تمر على
الاماكن لا كثيرا فلزم لها طرق فرعية صناعية بطلب الصناعة بسهولة لمراكز
الطرق الحديدية ولذا كانت سائر الجهات فى ايطاليا لها طرق صناعية ومن أسرع
وسائل التجارة والعمران انتظام البريد وان الدولة تجعل أماكن فى سائر البلدان
لوضع المكاتيب فى محل منها ويؤدى صاحب المكتوب أجرة على حمله أجرة زهيدة بالمرة بان
يشترى بطاقة من الورق عليها علامة مخصوصة فيلصقها عليه ثم قبيل الصبح يلصق
البطاقة على المكتوب بحسب ثقل المكتوب فى زيادة الاجرة ويكتب عنوان المكتوب
باسم المرسل اليه وبلده وحارته وعدد منزله فتحمل المكاتيب من كل بلد فى الرتل لها
مركبة خاصة بها مرقمة ذات أقسام ومستخدمون مخصوصون فعندما تأتى المكاتيب الى المركبة فى وسط
سير الرتل يشتغل المستخدمون فى توزيع المكاتيب على أسماء البلدان ويميزون كلا
من حدة وعندما وصل الرتل الى بلد أقبلت أتباع البريد عن محل الى تلك المركبة ودفعوا
لها ما عندهم وأخذوا منها ما يخص تلك البلدة ثم يسير الرتل وهكذا وكل بلدة أخذت
المكاتيب من الرتل يؤتى بها محل البريد وتعطى لموزعين يوزعونها على أصحابها حسبما هو
مكتوب عليها واذا وجدوا مكتوبا غير خالص الاجرة يوصلونه للمرسل اليه فان دفع أجرة حمله
وهى أداء مضاعفة سلم اليه المكتوب والا أرجع الى محل البريد وحفظ فيه مدة ثلاثة
أشهر فان جاء صاحبه باحثا عنه ادى أجرته وأخذه والا فتح بابه ووجد به اسم مرسله ومحله
أرجع اليه وأخذ منه الاجرة مضاعفة والا أحرق وهكذا دائما اذا لم يوجد المرسل اليه بالمرة
وكان خالص الاجرة فانه يرجع من غير أجرة واذا كان المكتوب ذا أهمية فلصاحبه تضمينه
أى يجعل صاحب البريد ضامنا لايصاله بان يجعل عليه ختم بالشمع خمسة أو ثلاثة أخرى
ويأخذ من صاحب البريد حجة فى ايصاله الى صاحبه ويؤدى عليها أجرة مضاعفة على
المعتاد واذ ذاك لا سبيل للبريد الى صاحبه الا بأخذ حجة منه فى الوصول اليه فاذا فرض

ضياعه

ضياعه من صاحب البريد فانه يؤدى للمرسل ستين أو خمسين فرنكا وهكذا ما نزل الاوراق المكتوبة على الضوالة فقد تقدم غير ان الصحف الخبرية أجرتها بحسب المسافة وبمقدارها وكذلك الكتب وقد تقدم بوابه مع ما رخصوا في الاجرة الا ازدياد لدخل البريد وما تقدم في كيفية الحمل للبريد في الاماكن المتصلة في البر أما اذا كانت الاماكن يتوصل لها بحرا فان الدولة تتفق مع احدى الشركات التي لها بوابير سيارة للتجارة على ان تحمل البريد بأجرة سنوية على مقدار ما يتفقون عليه من السنين على ان تقلع البوابير في أوقات معينة وتصل الى اماكنها في اوقات معينة من غير تقديم ولا تأخير واذا تأخرت الباخرة عن ميعادها فلا بد ان تبين بمحسة اسباب الاضطرار الذي جاءها على التأخير والا دفعت شركتها أموالا بليغة ضمانا عن التأخير وكذلك الرتل اذا كان لغير الدولة اتفق في الاتفاق معه على حمل البريد أما في تعيين الاوقات وانضباطها فالكل سواء برا أو بحرا ولذلك تجد السير مع البريد في غاية الانضباط لانه لا يتخلف عن مواعيده فالمسافر معه يكون مرتاح البال عالما بيوم سفره وساعته وكذلك بساعة وصوله الا ان يعرض عارض سماوي ثم ان السفر في بوابير البريد هو احسن من غيره من البوابير التجارية لان تلك أتقن نظافة وأقل ازدحاما وأرفق خدمة بالركاب حتى اذا كان البحر رائقا كان السفر نزهة ولكن قلما يصفو الحال بسبب اضطراب البحر أما السفر في الرتل فهو على نحو ما تقدم من الانضباط سواء كان حاملا للبريد أم لا ولكل رتل رقاع مكتوب بها الاعلام بوقت سيره من كل بلد ووقت وصوله وكم يقف بها من الدقائق ويحافظون على تلك الاوقات للغاية وعندما يصل بلدة ترى خدمته يصيحون باسمها وعدد الدقائق التي يقف بها اعلاما للمسافرين ووقوفه لا يتجاوز نصف ساعة في وقتي الاكل وأما غيرهما فاكثر وقوفه عشر دقائق الى الدقيقتين وبالبلدان الوقوف للاكل يوجد بها في المواقف بيوتات مختصة بها وتنذ الاكل والمأكولات المطبوخة والفواكه كلها مهيئة فمنهم من يأكل هنالك ومنهم من يشتري ويحمل أكله معه والاثمان في تلك الاماكن أغلى من غيرها كان البلدان الاخرى يوجد في محطاتها الاكل لكنه دون ذلك وفي كل محطة بعد المستراحات فالركوب في الرتل مترف على كل حال مع ما احدث فيه من المخادع المنفردة حتى يستطيع الانسان أن ينام ويقضي جميع ضروراته بغاية الراحة وفي أيام البرد تسخن المخادع بأواني نحاسية مملوءة ماء حارا ويزيد اجرة المخادع على الاعتيادية نحو خمسة في المائة وقد احدث نوع من المركبات ذو مقاصير للانفراد وبيت للاجتماع

فيكون الانسان كأنه في داره مع جيرانه وهو مسافر ولا يزيد الاجر في هاته المركبات على
المركبات من الطبقة العليا الا نحو الثلث ومن وسائط رواج التجارة وزيادة الاخبار
بالاسلاك الكهربائية فأصحاب الشركات يخبرون أصحابهم كل حين بما يروج عندهم
في الاقطار المختلفة وما يكسد من البضائع ويكونون على بصيرة منه وأعظم ما يكون ذلك في
مثل محلات البورصة فترى الاخبار تتساقط عليها كالمطر وبذلك ترتفع أسعار أوراق
الديون وغيرها أو تنحط وأعظم ما يؤثر في ذلك الاخبار السياسية سيما الواردة من
قواعد الممالك السبع الكبرى وهي الاستانة وباريس ولوندرة وبرلين وفيينا
ورومة وسان بطرس بورغ اذ هاته الدول هي التي عليها مدار السياسة العامة وقد
اتخذ التجار الاخبار السياسية ملعبة للارباح حتى صاروا يختلقون أحيانا أراجيف
سياسية تارة بالتصريح وتارة بالتلويح وتتلقاها عنهم صحف الاخبار فينشأ عنها
ارباح أو خسائر مبنية على أوهام ولذلك يرى بعضهم ان سهولة قرب الاخبار ونقل
البضائع مضر بأرباح التجارة وان الارباح اضمحلت عما كانت عليه في القديم
وهو صواب بالنظر لهيئة التجارة القديمة لكن في نفس الامر قد ازدادت كمية التجارة
وذلك ان التاجر ذا البضاعة من الصوف مثلا كانت لا تأتيه سفينة شراعية بها الف
قنطار من الصوف والمكاتيب المعلمة بالاسعار الا بعد عدة أشهر فيبقى عليها عمل تجارته
ويشتهر خبرها ولا يبيع تلك الالف قنطار الا بعد عدة أشهر فيربح فيها في السنة عشرين
في المائة ان ساعده البخت والآن صار يأتيه في كل اسبوع نحو ذلك القدر مثلا وتأتيه
الاخبار كما تأتي غيره فيبيع صوفه بربح عشرة في المائة فقط في نحو نصف الشهر الذي
يليه كذلك وهكذا فيضاعف كونه كان يدير رأس ماله مرة في السنة ويربح فيه
عشرين في المائة صار يديره اثنتي عشرة مرة يربح فيها أزيد من النصف فالنظر الى كمية
الربح كل مرة تجد الارباح القديمة أوفر لكن في الحقيقة الناتج في السنة من الارباح
الحالية أكثر ولا يظن ان ما قلناه مبالغة بدعوى ان كمية المحتاج اليه من الصوف مثلا
في القطر المجلوب اليه لا تزداد فما يأتي زائدا لا يباع وبيان فساد ذلك ان الادارات
والحركات كلها مرتبط بعضها ببعض فكما حدثت المواصلة حدثت آلات النسج بالمعامل
البخارية والبلاد التي كانت تنسج ألف قنطار صوفا في الشهر بالآلات اليدوية صارت تنسج
أضعاف أضعافها بالآلات البخارية وتلك المنسوجات تنفق مهما ازدادت بانحطاط
أسعارها ويكثر راغبها فمن لم يكن قديما قادرا على لبس الملف وهو الجوخ لغلوه صار
الآن

الآن يتوصل اليه رخصه برخص ثمن الصوف بما نقص من أجرة عمالها وقلة ربح
تجارها ورخصها لان النسج وبقناعة البائع بالربح اليسير وهكذا وكذلك كثرت
سكان الممالك المتمدنة وكثر المتمدنون وكثر اتساع التجارة واتصال البضائع الى الاقطار
الشاسعة التي لم تكن تصل اليها من قبل فاتسعت الاشياء بعضها ببعض واتسعت
التجارة وازدادت الارباح على نحو ما ذكرناه واضف الى ذلك ان المنسوجات بالمعامل
ليست متينة مثل عمل الايدي فصار اغلبها يبلى ويتمزق بسرعة بالنسبة للمنسوجات
المصنوعة باليد ثم ان تجارة ايطاليا اعظمها بيد اهاليها وفيهم كثير من الاجانب وقد كانت
سابقا تجارتها اغنى تجارة سبقت اليه ثم انحطت بتقدم الممالك الاوربية وتأخرها بعد
انقسامها وظلم ولاتها لكنها الآن تزاحمت للغنى واغلب ما يخرج منها الحرير الغير
المصنوع والدقيق وانواع الجبن المصنوع والحبوب والحيوانات المأكولة والجلود
وزيت الزيتون والكبريت وهي كما سبق لها المراد به وقد خرج منه في عام واحد
مائتان ثمانون الفا وخمسون الفا وثلاثة اي قنطار ٥ر٠٠٠ر٠٠٠ وكذا يخرج
منها المرمر والرخام الابيض والكبريت والحشيشة المعروفة بالككرورى والمنسوجات
الحريرية والاعطار والتبن المصنوع منه كراسي وغيرها والحجر مثل الحجر المعروف بحجر
سيسيليا الذي هو ليس بذهب وبعض المعادن المشار اليها في التعريف بايطاليا وقيمة
تجارتها في سنة واحدة وهي سنة ١٨٧٦ مليار دان وستمائة الف فرنك والوارد
الف مليون وهاته القدر مع جميع الممالك المعروفة لكن اكثرها مع انكلترا وفرانسا ثم
بقية الممالك ويخص من ذلك الزيت وحده ثلاثمائة وخمسون مليونا

مطلب

﴿في الصنائع الفلاحية في ايطاليا﴾

(اعلم) ان هاته الصناعة لها ترق كبير لحسن الموقع واعتدال الهواء ومع ذلك لم تبلغ الى درجة
النهاية نعم هي في الجهة الشمالية متقدمة كما جاورها من فرانسا وغيرها ولاهلها اعتناء
واتقان للزراعة وتربية الاشجار وتنميتها حتى ترى الارض كانها حديقة منتقنة ولا تجد
ارضا خالية من الاشجار ولو الاراضي المزروعة بحيث تجدها محفوفة بصفوف من
الاشجار وبينها براحات للزروعات فصاحب الارض ينتفع بغلال الاشجار والحطب
والزرع معا وترى الارض مقسمة بتقاسيم لها منظر بهيج ونفع عظيم هذا زيادة على ما

يحصل من الاشجار من السبب في المطر وذلك لان الله بحكمته البالغة جعل عروق الاشجار تمتص الماء من عوامق الارض ثم تنفثه بخارا من أغصانها وأوراقها او ينشأ من البخار السحاب واذا كانت الاشجار مرتفعة جذبت ذلك السحاب لبطئ السير حتى يمطر عليها ويحصل بسبب ذلك كثرة المياه في الارض فيكثر خصبها وقد بانت سببية ذلك بالتجربة والله الخالق الحكيم ثم ان صناعة الفلاحة لا يأخذونها بمجرد التقليد في العمليات بل انها علم مخصوص يدرس ويصور بالمشاهدة وله مدارس مخصوصة وبها مدرسة كبيرة من الكيمياويات وحول المدارس اراضي للبيان بالعيان والتجربة والاعتبار وأراضي الرعي مخصوصة ومن حسن التربية وحراسة الحكم لا يتجاسر أحد بالرعي ولا غيره في أرض ليست له اما بالملك أو بالكراء حتى انه ليس لمواشيهم طواف تقطع المحل ولا تقع عندهم سرقة الغلال الا نادرا واما بقية الصنائع فلهم كفاية في كل الصنائع الضرورية والتحسينية لكنهم ليس لهم معامل كثيرة التي هي من أعظم أسباب الثروة والترقي وان كانوا لا زالوا مجتهدين في ترقيتها الى بلوغها المنتهى درجة الامم البالغة للنهاية في المعارف والتمدن والحاصلون عليه الآن هو ان لهم معامل للسلاح بأنواعه ومعامل لانشاء السفن والبوابير المدرعة ومعامل للقاطرات الكيماوية وللاعطار والشمع المتقن انتهى ثم المدابغ للجلود ولصناعة الورق وغزل القطن ونسج الجوخ والشاشية وأنواع المنسوجات الحريرية ومنه النوع المسمى بالامبرا والقطيفة ومعامل للطرز كأنه يصنع بالايدي أيضا ولهم معامل للزجاج والفخار والعقيق والزهور الصناعية وآلات المرايا الكبيرة وآلات الموسيقى وخصوص أوتار بنابلي لها صيت كبير في جميع الجهات وفي نابلي وميلانو معامل متقنة للكروسات أي عجلات الركوب كما ان في ايطاليا اتقان لصناعة الاحذية وسائر الانعلة وخياطة الملبوسات وهم فائقون في صناعة نحت المرمر ونقشه وكذلك صناعة المرجان والصيغة والكهربان والمادة المجمدة السارية المتقذفة من أفواه البراكين والموزايكو اى القطع لمرائي الواحدة منها قدر الظفر ترصف على أشكال بديعة ويلصق بعضها ببعض بنوع من الطين والجير وقد شاهدت في معرض ميلانو ١٢٩٨ هـ سنة ١٨٨١ م من تقدم ايطاليا في سائر الصنائع ما صيرها قادرة على الاستغناء بنفسها في سائر الحاجات والتحسينات فضلا عن الضروريات حتى ان ملكها لما دخل المعرض مع رجال الامة تعجب مما احتوت عليه المملكة مما لم يكن يخطر بباله ومن جملة ما احتوى عليه هذا المعرض

المعرض تخصيص سائر أصناف الطلبة بصور على ألوانهم وهيئة لبوسهم فرأيت أكثر من ثلاثين صنفا كل منهم له سحنة وشارة خاصة وأعظم ترقيهم في مصنوعات الجلد والطين والعجلات ولهم مشاركة في سائر المصنوعات

مطلب

(في المعارف)

المعارف الدينية المسيحية لها سوق رائجة من القسوس ولهم صوامع ومدارس لكنهم قد منعوا نوع القسوس الحروبيين من التعلم في المدارس لانهم يخلطون التعاليم الدينية بالتعاليم السياسية ويتخذون المدارس كالمعاقل للتعسكر فمنعوا من ذلك لخوف الدولة من تشويش سياستها لمخالفة مشرب الحزبيين لمشرب الدولة في أصول السياسة (وأما العلوم) الرياضية فقد أخذوا في التقدم فيها وعلى الاجمال فاهالي ايطاليا متقدمون على غيرهم في سائر الفنون والتجارة والفلاحة وعلوم الاصول ثلاثة (أحدها) علم جر الاثقال (وثانيها) علم الكيمياء أي تحليل الاجزاء وتركيبها (وثالثها) علم الطبيعيات ولكل منها فروع كثيرة ومن فروع الثاني والثالث علم الطب الذي كانت اشتهرت به ايطاليا قديما والآن لم يبق لها ذلك الاعتبار وعلى العموم ففي ايطاليا الآن مدارس ومكاتب على ثلاث طبقات والمكاتب العامة بها الى الآن اتباعا لترتيب مكاتب فرانسا والمانيا وفي ايطاليا من أسباب تيسير المعارف كل اللوازم سيما المطابع والصحف الخبرية وخزائن الكتب ففيها ٤٩٣ خزانة كتب تحتوي على ٤ر٣٤٩ر٢٨١ مجلدا من الكتب المطبوعة و ٣٣٠ر٥٧٠ من كتب الخط وفي خصوص مكتبة قصر الفاتيكان ٣٠ر٠٠٠ كتاب وهي أحسن المكاتب من جهة حسن كتب الخط

مطلب

(في هيئة المساكن والطرقات)

(اعلم) ان ايطاليا كادت لا تجد بين المدن فيها اراضي بقاعا غير صناعية بل كلها متصلة ببعضها بالطرق الحصينة المتينة الصناعية غير ان الطرق في البرية لا تنقطع وانما اهلها قيمون لاصلاح ما يفسد منها لكن يكون على كل ثلاثة أميال قيم له مركز يأوي اليه وفيه من آلات الاصلاح الحديث ما فيه كفاية ويكون هو طول يومه متفقدا لما في

عهدته وهو واحد فمتى كان متغيرا بادر لإصلاحه وهكذا فإذا طال الأمر على الطريق
واحتاج للتجديد باشره ذلك المكلف من المجالس البلدية وعلى أولئك الذين يتعهدون
في كل الأوقات كما أن سائر أطراف المملكة متصل بعضها ببعض بالطرق الحديدية
وكذلك تتصل بسائر الممالك المجاورة لها بالطرق الحديدية وتلك الممالك متصلة بغيرها
بذلك أيضا فكانت أوروبا كلها كأنها بلد واحد في سهولة الانتقال والسرعة من مملكة
إلى أخرى ومن بلد إلى آخر ومع ذلك فلم تزل أبدا مجتهدة في زيادة الفروع للطرق
الحديدية (أما الطرق) في دواخل البلدان فزيادة على كونها ناعمة لها خدمة
ينظفونها مرات في اليوم ولا توجد في البلد مزبلة لأن خدمة التنظيف يرفعون الأزبال
الملقاة من الدور في آخر الليل ومن طرح الأوساخ من داره في غير الأوقات المعينة
عوقب على ذلك بالعقوبة المالية بحيث تجد سائر الطرق نظيفة وفي الليل منورة بالفنار
الغازي والفوانيس نظيفة وغاية ما هنالك هو الفرق بين البلدان في شدة النظافة
والتنوير واتساع الطرقات فقط (أما الأصل) فهو موجود في الكل ولو في القرى
والطرقات أقسام يعبر فيها بالعجلات ومنها ما هو أوسع وفي المدن القديمة لم تزل طرق ضيقة
لا يعبر فيها إلا الماشي وأما هيئة المساكن فأما المدن لا تكاد تجد فيها الديار ذات طبقتين
فقط بل تزيد إلى السبعة والثمانية ويكون ظاهرها على الطرقات ملتصقا بعضه ببعض
قريب التماثل كأنه في الصورة مع تحسين الظاهر والتنظيف وطول الطرق واتساعها
وجعل الطاقات فيها والأحجار على أوسعها فكانت مدنهم بذلك ذات منظر بهيج حتى
أن الحكومة توجب على المالك أن يحسن ظاهر بيته على حسب ما يأمر به المهندسون من
المجلس البلدي وأما داخل الديار على الإجمال فإذا دخل الإنسان من الباب يجد سقيفة
ثم درجاته ملاصقا بعضها ببعض متصاعدة إما على شكل دائرة أو مربعة إلى أن تنتهي إلى أعلى
طبقة وبمحاذاة الدرج إلى طبقة تجد فيها قطعة ذات أبواب بقدر ما في الطبقة من
المساكن فإذا دخلت مسكنا تجد أبوابا متقابلة أبواب للبيوت وباب إلى ممر به
بيوت ومطبخ ومستراح وتارة يكون في إحدى البيوت الأخرى مستراح آخر وجميع
الحيطان مطلية والسقوف إما خشب أو بياض مطلية مذهبة وكل البيوت لها أواق
كبار وتتلون قبالة الأبواب والطرق والأبواب وعوارضها من خشب متقن الصنعة
وسائر الأماكن مبلطة إما بالحجر أي نوع من الأحجار المطلي المتقن أو المرمر وكذلك الدرج
ومن اقتصادهم أن كل بلد تقتصر على ما عندها من مواد البنيان ولا تأخذ من بلاد
أخرى

أخرى شيء الا ما لا يمكن الاستغناء عنه عادة فيها ولو كان الشيء من بلد في نفس المملكة ثم البيوت التي بكل دار أكثرها مائل الى شكل التربيع وأحدها بيت الجلوس وآخر للأكل وهما أكبر البيوت ثم آخر للنوم وكل منها به من الفرش ما يناسب موضوعه وفرشها مختصرة متقنة مزوقة فمن كراسي كبار وصغار وساعات ومرايا وزرابي وأسرة يعتنون بنظافتها ويعتنون باتساع الدرج وراحتها وكل مسكن لعائلة فتجد الدار الواحدة مسكنها عدة عائلات كل عائلة منفردة في احدى المساكن على قدر كبرها وطبقاتها وأما دور الأعيان والأغنياء المنفردين بدارهم فهي على ذلك نحو ايصال لكنها كلها تكون ذات مسكن واحد وطبقاتها لا تزيد على الثلاث أو الأربع وكثير من أغنيائهم يسكنون في الديار المشتركة من النوع الأول لكنهم يختارون أوسعها وكل مسكن يكون بابه مغلقا وعند الباب الخارجي للدار بيت يسكنه بواب بالأجرة من جميع أصحاب المساكن بحراسته وكل البلدان لها صنادق تحت الطرق لجريان القذورات فيها أولها دهاليز والجميع مغطى ولا يفتح الا لاصلاح أو تنظيف الا قليلا وسطوح الديار في جميع الجهات الشمالية مسنمة لئلا يتراكم عليها الثلج وأما الجهات الجنوبية ففيها بعض من السطوح مبسوطة

مطلب

«في الملبس»

الرجال يلبسون قمصانا وسراويل وصدرية تسمى جيلي وسترة أي جبة مفتوحة الطوق الى أسفل قصيرة الى نحو نصف الفخذ ذات يدين ضيقتين وسراويل أطوال الى أسفل القدم ضيقة الرجلين والصدر جدا كأنها لاصقة بالعضو وفي بعض المواكب يلبسون سترة مقطوعة الذيل من امام وفي الشتاء يلبسون على جميع ذلك جبة أوسع من الاولى وأطول وتارة تكون مبطنة بأنواع من الفراو ومعظمهم يلبس قمصانا ضيقة من الصوف وفي أرجلهم الجوارب من قطن أو صوف وأحذية كالخف الضيق ولهم فيها أنواع كلها ذات أقدام مرتفعة وعلى رؤسهم قلانس من قطعة واحدة على أشكال منها ما هو من الجوخ ومنها ما هو سعف أو تبن ولما كانت أبدانهم ضيقة فلا يجلسون الا على الكراسي وماشا كلها ولذلك كانت فرش بيوتهم كلها لائقة لذلك نعم لهم جلابيب واسعة ذات ألوان يلبسونها في الاوقات التي لا يخرجون فيها ولا يأتيهم فيها أحد وكل

الخدم غير القمصان والجوارب لونها أسود أو ما قاربه وأغلبها من الصوف ولا يلبسون
الحرير إلا نادرا في بعض الثياب ويلبسون في كفوفهم قفازا إما أسود أو ما قاربه وكذلك
في رقابهم يلبسون روابط ولقمصانهم رقبات بيض يطلونها بالنشا وكذلك أطراف
أكمامها الضيقة وصدورها ويتحفظون على نظافتها ويرسلون شعر رؤسهم لكنه
لا يتجاوز شحمة الأذنين ويفرقونه وأما لحاهم وشواربهم فهي لعبة بأيديهم تارة
يحلقون الكل وتارة البعض دون البعض وتارة يبقون الكل فتجد الوجوه على أشكال
شتى ولكن من يحلق تراه يحلق يوميا إلا أن إبقاء أثر الشعر عندهم من الوسخ وأما لبس
النسوة فقميص وسراويل وسيعة من كتان وصدرية مضبوطة على الصدر لها عيدان
من شعر سمك البلين لتصغير البطن والخصر وترفع النهود وتعلى الردف وفوقها جبة طويلة
إلى الأرض ضيقة النصف الأعلى ولها أكمام ضيقة إلى الرسغ ووسيعة الأسفل من الخصر
إلى الأرض ذات تكاميش ويتنوعن في هيئتها وقد يطال ذيلها من ورائها حتى يصير يجر
على الأرض نحو ذراعين أو أربعة من ورائها ويلبسن جوارب في أرجلهن وأحذية ذات
أعقاب عالية وصرن يجعلن العقب قرب نصف القدم ليتراءى للناظر أن قدمها صغير مع
أنه لا يرى لطول ذيولهن واضرار هذا كما ذكره الأطباء أنه يؤذي الرحم لنزول ثقل
البدن على وسط القدم أي الأخمص وتارة يرتدين فوق اللباس أردية أو معاطف عند الخروج
في الطريق ويسدلن على وجوههن خمارا شفافا مصبوغا لمجرد التزين ويطوين
شعورهن الحقيقية أو التقليدية بهيئات حسنة على أفوخهن ويلبسن قلانس طرازا
ذات أزهار صناعية وغيرها ويلبسن القفازين أيضا ويلبسن من الحلي أقراطا وأسوارا
وخواتيم وقلائد وما أشبه ذلك من أنواع الجوهرات على حسب الرفاهية وأكثر ألوان
لباسهن مائل إلى السواد ثم الأبيض ثم غيره (وأما) اللباس الرسمي لأصحاب الوظائف من
الرجال فهو على الشكل الذي تقدم غير أن السترة تكون مطرزة بقصب الذهب أو
الفضة على صدرها وعنقها وأيديها وأطرافها على حسب الرتب وكذلك يكون للسراويل
شريطان من القصب وعلى القلانس علامات أيضا من القصب ويلبسون مع ذلك
النياشين أي علامات الفخر ولبس العساكر نظيف جدا متقن من ذلك الشكل غير أن
سترتهم مقفولة الصدر ونازلة إلى الخصر فقط إلا ضباطهم فهي طويلة كغيرهم
مقفولة الصدر

مطلب

﴿في الأكل﴾

هيئة الأكل عندهم هي موائد مرتفعة يجلس حولها على كراسي وتغطى برداء أبيض
وكل آكل يجعل أمامه صحن فارغ ويأتي الخادم بأنواع الطعام فيأخذ منه الآكل في صحنه
مقدار ما يريد بدون اصطلاحات ثم ان تجد حذاء الصحن بطاقة بشكل لطيف مكتوب بها
ألوان الطعام الحاضر لتلك الأكلة حتى تأخذ ما تشتهيه وهاته العادة هي من
المستحبات عندنا كما نص عليها في آداب الضيافة وقررها الغزالي في الإحياء لكن
لا بخصوص الكتابة وإنما هي بإعلام الضيف بأنواع الطعام ثم كل صحن حوله ملعقة
وشوكة وسكين وبعد الفراغ من كل لون يبدل الصحن والسكين والملعقة بغيرها
نظيفة وكذلك يوجد حذو الصحن كبابات على قدر أنواع المشروبات التي تكون لتلك
المائدة من أنواع خمور وفي وسط المائدة أواني بأزهور بحيث تكون في غاية المنظر الحسن
واللطافة ويحفظ الآكلون على النظافة والعادة أن لا يزيدون غالبا على خمسة ألوان
إلا في الضيافات والمواكب ثم بعدها يؤتى بنوع من الحلويات ثم بعد ذلك بفاكهة من
إحدى غلال الوقت وطعامهم له أنواع شتى أحسنها أنواع المشوي وأغلب أنواع الطعام
مائل إلى القصر بدون كثرة الأخلاط والأبزار حتى يضعون على الموائد أواني لطيفة بالملح
والفلفل الأسود والخل ونحو ذلك ليأخذ منه الآكل إذا وجد الطعام غير لائق به
في الملح كما أنه يجعل على المائدة أواني لطيفة بالخردل المسحوق المخلوط بالخل وقنينات
بالماء وآخر بالخمر المعتاد عندهم للأكل ثم في أثناء الطعام يؤتى بأنواع أخر من الخمر
أرفع من المعتاد وفي آخر الطعام يؤتى بنوع منه يسمى شنبانيا إذا صب في الكاس غلى
وارتفع وإذ ذاك يخطب خطباؤهم في مقاصد تلائم حالة الاجتماع إما قائما أو جالسا ثم
في آخر كلامه يقف ويشير بعضهم إلى بعض بالكؤوس كناية عن التوادد ويشربونها
ولكن هذا لا يقع في منازل المسافرين في الموائد العامة الاجتماع عن غير قصد وإنما
يقع في الضيافات والمحافل وتارة يصرخ الحاضرون يعيش كذا أو فلان أو مقصد
سياسي ومن لا يريد الشرب من الخمر لا يعيبون عليه ذلك بل يعرض له صاحب المحل
ثم يصاحبها بمدح نوع خمر فإن امتنع فلا تثريب عليه ويوجد فيهم أفراد لا يشربون
كما أن غالب متبصريهم يعلم أن الخمر حرام عند المسلمين والقهوة في الديار المتكلفات

بأحوال الاكل والطباخون يكونون من الرجال ومن النساء ولهم كتب مؤلفة في تركيب
الاكل والطبخ

مطلب

﴿في المواكب﴾

أما المواكب الرسمية فان الملك له بيت كبير في القصر الرسمي وبصدره عرش على نحو
ما تقدم في عرش والي تونس ومن بديان يكون على يسار محل جلوس الملك كرسي لزوجته
وقبل حضور الملك يحضر المأذونون بالحضور بملابسهم الرسمية ويقفون يمينه وشماله على
حسب رتبهم وابتداء عمل الموكب يخرج عليهم الملك لابسا اللباس الرسمي الذي هو على نحو
ما تقدمت صفته غير ان بعض الملوك يزيد على ذلك بلبس رداء طويل الاذيال واسع جدا
ليس له اكمام وانما يوضع على ظهره وكتفيه ويعلق حول العنق بأزرار ذهبية ويرفع
أطراف ذيوله من ورائه بعض ابناء الكبراء من العائلة الملكية أو من اقاربهم الى أن
يجلس الملك على عرشه وكذلك يكون له تاج مجوهر يضعه على رأسه مع اللباس الرسمي
المقصب ويخرج في المواكب من حجرته ومعه زوجته واهل بيته ويصعد على كرسيه
ويكشف رأسه معلنا بالايماء الى تحيتهم ثم الى مسيرتهم ثم يخاطبهم بخطبة مناسبة
لمقتضى الحال موضحا للاحوال السياسية الراهنة وتلك الخطبة تكون قد هيئت من قبل
بتدبير الوزراء وتارة يلقيها الملك بنفسه وتارة يلقيها رئيس كتبته ويكون الحاضرون
كلهم مكشوفي الرؤس فيحيونه بالدعاء له بطول العمر وينفض الموكب وهاته المواكب
هي في رأس السنة وهو شهر ينار الاعجمي وفي عيد ولادة الملك وكذلك يوم فتح مجالس
النواب والاعيان من كل سنة ويكون ذلك في محل المجالس وكذلك تعقد مواكب أخرى
على حسب الحوادث (وأما) المواكب الاهلية فهي رأس العام ولا يعتنون بغيره من
الاعياد وانما يكثرون استدعاء بعضهم الى بعض للمسامرة ليلا فيما بين المعارف زيادة
على الاجتماعات في أماكن العموم كالملاهي والمتنزهات وبسبب ذلك يقع التعارف
بين الرجال والنساء المريدين التزوج فتكثر المخالطة بينهم في حالات مختلفة فاذا حسن
عند كل طبع الآخر وسيرته خطب أب الزوج أبا الزوجة في بنته لابنه فاذا حسن
لديه أيضا أجابه واذ ذاك في الغالب يجمعون خواص أحباب كل من الزوجين في بيت
الزوجة لوليمة من طعام من الحلويات والمشروبات ان لم تكن الدار لائقة للاجتماع بمحل
الوليمة

الوليمة في إحدى منازل المسافرين فيوصي صاحب الوليمة صاحب المنزل على ما يريد
ويعين له الوقت وعدد الأشخاص ويتوافقون على الثمن وعند قدوم المدعوين
يجدون الحال على أحسن انتظام وكذلك يصنعون في الولائم في الديارات، كأن صاحب
الدار ليس له عدة الضيافة مع أن داره قابلة فإن صاحب منزل المسافرين يأتيه بكل
ما يكفي من أوان وأطعمة وخدمة وغيرها وليس على صاحب الدار إلا دفع الثمن مع
الراحة وحسن الانتظام في سائر أنواع الولائم ثم إذا كان زمن العرس يحضر أبوا الزوجة
ويدفع للزوج مهرا نفسه من مال عين أو أملاك ويكتب ذلك على الزوج ويكون أمانة
في يده ثم بعد ذلك يتوجهون إلى الكنيسة ويحضر المدعوون هناك ويحضر القسيس
ويبارك على كل من الزوجين ويأخذ خاتما من ذهب من أصبع الزوج ويدخله في
أصبع الزوجة ويرش عليهما ماء وتكون العروس إذ ذاك لابسة لأحسن لباسها في
ثوب البياض مخلية بما عندها من الحلي ثم يحلق الزوج يده اليمنى على صدره وتدخل
الزوجة يدها اليسرى في ذراعه ويتصدرون ويقف بقيتهم معهم في محل عند باب
الكنيسة لقبول التهاني من المدعوين ثم يسافر العروسان حالا إلى أي بلاد أرادوا مدة ما
على حسب الرفاهية والحظوة لهذين الأمرين أولهما عدم الخلاص من معارفهم بالاستراحة
من الاشتغال بحركاتهم وسكناتهم وثانيهما انقضاء مدة في الانكباب على لذاتهما من غير
تعب أدبي كليه مع الاقتصاد في المصاريف لتوجههم لأجل المعارف وينفقون ما ينفقون
في لذاتهما هذا في الأغنياء (أما الفقراء) فيستعيضون عن السفر بالخروج لإحدى
المتنزهات ثم إن الزوجة لا تكون في العرس إلا عند ما أراد الزوج هو لكي يكسو بيته
وبعد ذلك يكون مصروف الزوجة في أكلها ولباسها وسكناها على زوجها وذلك المال
الذي أعطته مهرا للزوج باق على ذمتها وغالبا يصرفون دخله على كل منهما ومن
ولادتهم أبناء وعند بلوغ البنت يلبسونها لباسا كله أبيض وبرقعا أبيض صفيقا وتذهب
إلى الكنيسة ثم تعود لدار أبيها ويصنع لذلك وليمة (واعلم) أن ما ذكرناه من الذهاب إلى
الكنائس ليس أمرا حتميا بل هو عادي لمجرد التعود عليه عندما كانوا يجرون الأحكام
الديانية في الأحوال المدنية ومركب المأتم عندهم لا يجهرون فيه بالبكاء وبعد قدوم
القسيس لحضور موت الميت يبقى مدة من الأيام لتحقق الموت حيث إنهم وجدوا بعض
الموتى يظهر عليهم الموت وهي في الحقيقة لم تمت مع تعمير الاطلاع ولو من حذاق الحكماء
ويكون هذا بالخصوص في موت المختنقين لما يكثر هذا الأمر في ديارهم إذا

التعجيل بالدفن انما هو عند تحقق الموت بيقين (اما قبله) فمحرم لانه يصير قتلا وقد شوهد
ذلك في كثير ممن نبشت قبورهم بعد زمان فيجدونهم في حالة غير التي يوضع عليها الميت
ويجدون الاكفان ممزقة وجبوط القبر بها آثار الخدش فيجب التنبه لمثل ذلك وقد قالوا
ان ذلك النوع يحصل بكثرة في الامراض المستوبية وقد سمعت بذلك في بلادي مرات
متعددة منها في سنة ١٢٨٤ حيث استولى مرض الحمى الخبيثة فكانت عدة جنائز
ذاهبين بها فاطلع المارة على حركات في الميت واوقفوا الجنازة ووجدوه حيا وتارة ينادى
هو من نعشه متضجرا من الحالة التي هو فيها ثم ان أهل ايطاليا بعد تحقق الموت يكفنون
الميت في لباسه النظيف ويجعلونه في صندوق من خشب ملفوف في رداء اسود عليه
شريطان من قصب الفضة ويحمل الجنازة في كروسة معدة لذلك ويركب مشيعوا الجنازة
في كراريس معدة للحزن كلها سود واغنياؤهم يربطون في كروستهم خيلا سودا ايضا
وعدتها سود او يذهبون بالميت الى المقبرة فيدفن في قبر عميق ويحكم سد التراب والبناء
عليه ويجعلون على القبور هياكل من الرخام ويتأنقون فيها (واما) الفقراء فيجعل
جنائزهم في سراديب مع بعضها وقد اتخذ بعضهم ما تنودى في هاته الجهات ولم يبق
الا عند بعض الهنود وهو احراق الميت فانهم يجعلونه في فرن من حديد محكم السد لكيلا
تخرج رائحته ويصب عليه زيت النفط ويحرق ثم يأخذ رماده ويخزن في اناء في مكان
مزخرف في دار اهله وبعض الاغنياء العزيز على أهله تصبر جثته بعد اخراج امعائه ويلبس
ثيابه الفاخرة ويجعل واقفا في جهة من البيت في خزنة وجهها زجاج

مطلب

(في اللغة)

لغة عموم الاهالي تسمى طليانية وهي فرع من اللاتينية وما يكتب فيها ينطق به على
حسب الحركات المرسومة وهي لغة واسعة مساعدة في النثر والنظم على بحور عديدة
معلومة ولذلك تجد اشعارهم جامعة المعاني على حسب اصطلاحاتهم فمنها ما يستحسن
عند أهل العربية ومنها ما يخالف الاسلوب البلاغي وتلك اللغة وان كانت هي اللغة
العامة والرسمية في الكتابة والعلوم وغيرها لكن توجد في أطراف ايطاليا لغات شتى
حتى لا يكاد يفهم بعضهم بعضا بالتخاطب اما اذا رجعوا للكتابة فيرجع الكل الى لغة
واصطلاح واحد

مطلب

(في القوة المالية والحربية)

فرنك

٣٫٥٨٣٫٩٦٥٫٠٥٤٢٫١٠	دخل الدولة سنة ١٨٨١
٣٫٥٨٣٫٩٦٥٫٠٥٤٢٫١٠	خرجها
١٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠	دينها
٣٫٦٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠	قوة التجارة في المملكة بين الداخل والخارج من السلع

عساكر

٣٩٥٫٩٥١	تحت السلاح
٤٣٣٫٨٧٦	رديف
٨٢٩٫٨٢٧	
٠١٠٫٥٠٠	بحرية
٨٠	سفن حربية مدرعة وخشب منها مدرعة تسمى الدويلو هي أكبر مدرعة في البحر
٩٥٥	مدافع
٥٫٠٩٨	امتداد سكك الحديد لغاية سنة ١٨٨١

الباب الرابع

(في مملكة فرانسا وما رأيته فيها)

الفصل الاول

(في سفري اليها)

فلما تقدم أننا وصلنا الى بلد مودان التي ينتقل فيها المسافر الى ترين الفرانساوي وكان وصولنا اليها الساعة واحدة ونصف بعد نصف الليل فوجدنا المحطة منورة والخدمة متدرعين بالملابس الصوف للتحفظ من الثلج والبرد وبأرجلهم أحذية من الخشب فلما أردنا

الركوب في الرتل العرابلوي وجدنا المخدع الذي أوصينا به بسلك الاشارة حاضرا
في الرتل وسألنا المكاسون عن ورقة الجواز فأخبرناهم أننا من تونس وأردنا احضار
الورقة ورأوا لباسنا تاركوه وقالوا لا يلزم اخراج الورقة ولا فتح الصناديق لنظرهم لها
وركبنا حالا في غاية الراحة وفصل الرتل ساعتئذ على الارض بسرعة أزيد من الرتل
الطلياني غير أن المخدع كان أقل انتظاما من المخدع السابق فأردنا النوم فيه لكن
شدة البرد منعت من استراحة النوم ولم يزل الرتل سائرا وابتدأ العصر ظهور ظاهر
الارض والحاصل أنه على نوع متشابه مع أعالي ايطاليا غير أن الفرق الذي يرى هو
كثرة المدان والقرى بأرض فرانسا على ايطاليا وكثرة الديار المنفردة في الحقول
والاراضي بايطاليا على فرانسا ثم وصلنا الى باريس في الساعة السادسة قبل نصف الليل
وكانت مدة السير من تورين الى باريس احدى وعشرين ساعة وكانت باريس تظهر من
بعد في الليل كأنها سماء زينت بالكواكب واستمر الرتل سائرا من مبدأ اعلاق الجهة
الى أن وقف نحو خمس عشرة دقيقة فاذا هي محطة أضخم وأوسع من جميع ما رأيناه
فنزلنا ودخلنا الى الكمرك ولما نظرنا المكاسون قالوا الآن وما فتش رحالكم وأنتم
مصدقون هل عندكم من سلعة تؤدى الكمرك فقلنا ليس الا ثوب وما هو ورد فقالوا
هو بمقدار حاجتكم أم للتجارة قلنا بقدر حاجتنا فأذنوا بسراح الرحل بدون تفتيش ولا
أداء فركبنا كروسة كبيرة للمنزل المسمى أوتيل دي كبوسين الذي هو
من المنازل الحسنة الواقعة بأعظم طرق باريس وأكثر التونسيين نزولا به فاستمر السير خببا
من الخيل نحو ثمن ساعة من المحطة الى المنزل وكانت الطرق كلها منيرة بالفوانيس
نورا زائدا على غيرها وهي طويلة وسيعة أزيد من غيرها بحيث ينتهي النظر في طول
الطريق فأقمنا بذلك المنزل تلك الليلة وتعشينا وفي الصباح أفطرنا بالطور امعيا وطلبت
الحساب حيث لم أداوم قبل النزول فاذا أجرة البيوت ليلة وثمن العشاء والفطور الصباحي
لثلاثة أنفس نيف وسبعون فرنكا فخرجنا من هنالك ولاقينا بعض المعارف واكتروا لي
منزلا خاصا ذا أربع بيوت بجميع لوازم فرشها وخدامها بثلاثمائة فرنك في الشهر غير
أن الأكل خارج عن ذلك بل يؤتى به من احدى أماكن الأكل القريبة هنالك وهي
كثيرة اذ كان المنزل على النهج العظيم في باريس المسمى بالماردي كابوسين وهو من
الأماكن الشهيرة بالعمران في باريس ثم ان كثرة فرقعة العجلات التي تفوق من الرعد
في ذلك الطريق ليلا ونهارا كدرت لي الاستقرار هنالك حيث انه لا يخف دويها لا بعد

نصف

نصف الاول بساعة وما بقى من النهار لا رتعود لما كانت عليه فانتقلت الى منزل آخر اوسع
من الاول ويحتوى على مطبخ وبيت جلوس وبيت أكل وثلاثة بيوت للنوم بجميع لوازم
ذلك كله مع تغيير الفرش والمناديل بالنظيفة والكراء قدره ثلاثمائة فرنك فى الشهر
وأحضرت طباخا بأربعين فرنكا فى الشهر وخادما بعشرين فرنكا وكان المصروف
اليومى على لوازم الاكل نحو العشرين فرنكا فى اليوم مع الاقتدار على قبول بعض من
الضيوف والارتياح من الاحتراس فى الاكل وكان هذا على أصابع احدى الاماكن
الشهيرة النزهة المسمى بشنزيليزى لكنه لما كان طريقه شديد الاتساع وبمحل مرور
العجلات فيه بعيد عن حيطان الديار نحو العشرين مترا وكان تخصيب الطريق بالحصا
المسواة بالرمل بخلاف الاول لانه مبلط بالحجارة الصلبة التى فى قطع الشعر فكانت أذية
الدوى مفقودة فى الثانى مع حصول المنظر الجميل واجتمعت فى باريس باشهر اطبائها
فى المرض العصبى اذ لكل نوع من الامراض عندهم مشاهير مخصوصون به والحكيم
الشهير فى هذا المرض عندهم هو الحكيم شاركو واحضرته الى فى بعض الايام الذى
من مشاهير اطبائهم وكانت اجرة زيارة الواحد فى المرة الواحدة ستين فرنكا واذا زار
الحكيم فى داره يعطى اربعين فرنكا ومما يدل على شهرة هذا الحكيم وغنا بعلمه انه دعى
يوما لمريض فى بلد برلين فاعطته المانيا فذهب عشية جمعة ورجع عشية الاحد
فى القطار وأعطى خمسة عشر ألفا فرنكا لاجل تلك الزيارة وعلى ذلك فقس وهو انما
يقبل المرضى فى يومين فقط من الاسبوع وبقية الايام يفرق فيها درسا عاليا فى الطب
العصبى وله مستشفى خاص بالامراض العصبية تحت نظارته يحتوى على نحو خمسة
آلاف مريض ذكر لى يوما الطبيب فيمر والذى هو صحبة الحكيم المشار اليه ومباشر للعلاج
بالمذكور بان ذلك اليوم كان فى المستشفى مرضى أخذوا الاكل سبعة آلاف وثمانية
ونيف عدا من لم يستطع الاكل ومن كان ممنوعا منه وذكر ان المستشفى يحتوى على
الاطباق الزجاجية الموضوعة فى أبواب العراق ما داهى ثمانون ألف طبق وذلك الحكيم
مع سعة معارفه هو بشوش مؤانس حتى صار ودود الحوله وزوجه ولوع كبير بالثياب
والمفروشات والاوانى وغيرها الصينية والشرقية والعتيقة من صنائع اوربا حتى كانت
بيوت داره مكسوة بأشياء بديعة ذات قيمة عالية تعد بمئات ومئات آلاف فرنك ومن
مصائب الجهل بالالسن ما حصل لى يوما وهو أن الطبيب أخبرنى بان المسكن الذى تعودت
عليه بالاحتقان تحت الجلد ربما نأمن به البدن فلا يبقى مؤثرا ولذلك يريد أن يعمل

وجها في ذلك وان الاولى بي ان أنقص من مقدار الاستعمال منه بان أصنع ربع الحقنة فقط هكذا أفهمني الترجمان ثم أتى بالعلاج المسكن من الصيدلاني فقصر على الالم بين المشائين كما هو عادة طرزهم في الاعلى فحقنت المقدار مثل ما قال الطبيب فلم يسكن وظننت ان الدواء هو المعتاد فزدت نصف حقنة ثم لم ألبث قدر ثلاث دقائق الا وأيقنت بالموت ووجدت العالم أعمى ولا أقدر على الصبر فدعوا أقول اشهد الحق في نظري وأحسست بنفسي ساقطا في جب لا قعر له وغاية ما أدركت ان طلبت المصحف الكريم وضممته على صدري واستشعرت اني أتلو آية لقد جاءكم سبعا واني لا أكاد أصحح الحروف ولم أدر ما وراء ذلك فلم ينتبه شعوري بالوجود الا بعد نصف الليل بثلاث ساعات فرأيت أتباعي ومعارفي حولي يبكون وجميع ما أراه أحمر ثم رجع لا غماء ثم الاستيقاظ ولازال الامر يتدرج في الخفة الى الصباح وأنا في غاية الضعف وسألت الطبيب عن السبب فاخبرني أن العلاج قد غير بمسكن آخر يسمى الاتروبينا عوضا عن المسكن المرفينا وأقوى منه بأضعاف كثيرة وانه كان شدد الوصاية في التحذير منه للترجمان اذ ذاك المقدار الذي حقنته يكفي لقتل عدة أشخاص وان من لطف الله أن كان في مزاجي من المرفينا مقدار وافر من استعمله لما سبقا حتى كانت مصادمة لذلك السم القتال ولله الحمد على لطفه وعفوه وما ذاك الا من جهل اللسان واضطرار الترجمان وقد أقمت بباريس في هاته السفرة نحو شهر ثم عدت لبلادي سنة ١٢٩٥ وأقمت بها شهرين ثم عدت سنة ١٢٩٦ وأقمت بها شهرا وها أنا أورد لصفتها فصلا خاصا

الفصل الثاني

﴿في باريس وصفاتها﴾

باريس وما أدراك ما باريس هي نزهة الدنيا وبستان العالم الارضي وأعجوبة الزمان ولعمري انها أحق باسم مالكة من اسم مصر وهي انموذج لغرائب مصنوعات البشر وحق للمرء أن يبث التفاخر بها ومباهاة الامم بمحاسنها وجمالها وغناها ومعارفها ومصانعها فمهما فكرت في احدى هاته الاوقات ان القوم قد اقتدرت أعمالهم فيها ثم اذا التفت للاخرى تقول مثل ذلك وهكذا وكلما فاقت على غيرها باجتماع الكل فيها فصدق عليها المثل كل الصيد في جوف الفرا ولو أراد الكاتب لاستقصاء في كل طرف مما احتوت عليه لضاقت عنه المجلدات واضطر الى الاكتفاء بالاشارات وبالجملة

فالواقف

فالواقف عليها يزداد يقينا فى عظم قدرة الخالق وان أحوال الآخرة فوق عقولنا كما أخبر
به الصادق الامين عليه الصلاة والسلام من وصف الجنان وان فيها ما لا خطر على قلب بشر
فاذا كانت هاته مصر لم يكن يخطر بالفكر تشخيص صورتها الا بعد رؤيتها مع انها من
مواد معهودة لنا فكيف بعالم معدوم مادته ولا نتصور طبيعته وربك يخلق ما يشاء ويختار
وهو على كل شئ قدير واجمال وصف هاته المصر المتمصرة انها فى سهل بها ربى قليلة
الارتفاع يخترقها نهر السين الذى يحمل القوارب والبواخر الصغيرة وعليه فى البلد
عشرون جسرا مختلفة الاشكال منها ما هو من قوس واحد من حديد ومنها ما هو من بناء
وتمر تحته البواخر ومنها واحد فى طرف البلد جهة قرية تبنى عليه جسر آخر مرتفع
جدا على سوار يمر عليها الرتل فى طريق الحديد فترى البواخر جارية فى النهر وعلى الجسر
المشاة والفرسان والعجلات ومن فوقهم الرتل كأنه سابح فى الهواء وكل جسر مقسوم على
ثلاثة طرق فاليمينى والشمالى للمشاة والوسط للركاب والعجلات وفى وسط النهر جزيرة كثيرة
المبانى وديار ويخرج من هذا النهر ترعة تذهب جهة الشمال الغربى من المملكة
الى أن تتصل بنهر المارن وهى فى أغلب البلد مغطاة بالبناء المنعقد وعليها الابنية
ويحيط بالبلد سور محصن شديد العرض عليه حصون فى جميع اضلاعه وخارجه
خندق عريض جدا عميق يملأ بالماء من النهر عند الحاجة وللسور أبواب أبيقة من
الحديد ويحيط دائرة السور أربعة وثلاثون الف متر ثم تقسم المصر الى عشرين قسما
كل قسم منفرد بادارته كأنه بلد مستقل ثم يتحد الجميع فى الادارة العامة فى المجلس البلدى
الذى هو أحق باسم دولة اذ دخله مليون ٢٦١ منها من ايراد العادة ١٨٠ مليون
ومصاريفه نحو ذلك منها ٩٩ مليون لفائدة الدين و ٢٢ مليون الى المكاتب والمدارس
و ١٦ للمحتاجين وما بقى لاصلاح المدينة كله يصرف فى مصالح البلد وتحسينها وعلى
المجلس من الديون أربعة الف مليون صرفت فى التحسين اذ انه لم يزل يشترى حارات
ويهدمها ويفتح فيها طرقا ويجعلها آنق وما فضل يبيعه أو يبنى فيه مساكن وحوانيت على
حسب ما يقتضيه المكان وقد شاهدت فى سفرتى الثانية لهاته المصر أن المجلس البلدى
فتح طريقا مستقيما متسعا من مطبعة الاوبرة الكبيرة الى طياترو بالى اروايال وباع
ما فضل من الارض فبلغ ثمن المتر الواحد من الارض على الربيع أربعة آلاف
وخمسمائة فرنك وبلغ سعر المتر وحول النهج الموصل الى الوادى بولونيا الى ثلاثة
آلاف فرنك وهكذا ثم ان طرق البلاد عددها أزيد من ثلاثة آلاف طريق وهى

تنقسم الى ثلاثة أقسام (الاول) يسمى آفنو وهو ما كان وسيعا جدا وحوله أشجار بينها
وتمشي لا وورائها قصور (والثاني) يسمى بلوار وهو ما كان أضيق من الاول ويزيد عليه
بان يكون تحت القصور حوانيت بهيجة (والثالث) يسمى رو وهو بقية الطرقات ومن
محاسن طرقهم انه يوجد فيها غالبا بجانب الطرق لعامة محلات للبول مستورة بشكل
ظريف على هيئة قباب في وسط الطريق والماء بها جار كما توجد محلات الخلاء في غاية
النظافة وهي أيضا كثيرة وذلك من واجبات المدن الكبيرة لبعد الماشي عن محله
وذلك أمر ضروري وأجمل الطرق منظرا هو البلوار الذي يشق البلاد تقريبا من الجنوب
الى الشمال وينتهي في جهة الشمال الى الطمباء المسماة بلاس لاكنكورد
فتتصل بها حديقة الشانزيليزي وتنتهي الى الطمباء التي بوسطها قوس النصر المسمى
ارك دي ترينونف ويتفرع منها اثنا عشر نهجا وقد كنت في سفري الثاني سنة ١٢٩٥
نزلت بأحد هاته النهوج المسمى قديما افنو الامبراطريس والآن فنو اوادي بولونيا
وكان الوقت صيفا فركبت احدى الليالي مع احد أصدقائي من منزلي في كروسة بجرها
فرسان وتوجهنا الى جهة البلوار وكان ركوبنا في الساعة الثامنة بعد الزوال فسرنا نحو
ساعة ونصف ولم نصل لانتهاء البلوار من جهة الجنوب ثم رجعنا وقد قضينا السير في
الطريق ذهابا وايابا مع المنظر الجميل وابهة نور المصابيح وكثرة ازدحام الماشين
والعواجل وبالجملة فهذا البلوار ومحاسنه قد زادت به باريس على غيرها من المدن الشهيرة
وهو في الليل أبهى منه في النهار لكثرة ما ينوره الطريق والحوانيت مع حسن وضعها
وتزويق ظاهرها وتحقيق ما يوضع بها من البضائع وجمال دائما وتنضيد ترصيعها وهذا
البلوار قطعة أسماء باعتبار جهات منه وقد كان انشاء أصل هذا البلوار سنة ١٥٣٦
وكلما قرب الى المنتهى جهة الجنوب قلت نضارته بالنسبة لما هو في الجهات الاخرى والبلاد
وان كانت تشتمل على عمارات أخر كالبلوار سبستبول وغيره لكن ولا كالبلوار السابق والذي
زاد باريس بهجة ضخامة أبنيتها وارتفاعها وتناسقها وتناسبها في المظاهر ثم في باريس
أماكن أخر أنيقة فمنها باليه رويال جوار قصر اللوفر يسمى به وهو عبارة عن مربعين
يتصل أحدهما بالآخر محيط بهما حوانيت تحت سرادقات وفوقها قصور ومطاعم
وحمامات ومنازل وفي وسط أحد المربعين حديقة نضرة بوسطها حوض وفوارات
وحولها قهاوي ومقاعد والحوانيت تشتمل جميع ما يحتاج اليه فترى حوانيت منضدة
بترصيف اليواقيت والجواهر وبازائها حانوت اخرى منضدة بالعموم والخضراوات
وتلاصقها

وتلاصقوا فهو ذات متسكعات وهكذا ولا يعز نظرك من تلك المناظر البهيجة ومع تباين
أنواع المبيعات تجدها في غاية المناسب لما لها من الرونق والنظافة وتجد المبيعات هنا في
غاية الغلاء ومع ذلك فلا تبور سلعهم لان مترفي الاهالي يشترون الشيء لغلائه ويحمل بعضه
فباقة الزهر مثلا تشترى من هنا ومن البائعين بخمسة فرنكات بحسب الظرف لغرابته باسم
صاحب ربطها مع انه شمل زهرا من امريكا واخرى من اجابو ووردة من اواسط افريقيا
وهلم جرا وقد رأيت حانوتا لبيع الزهور في البلفار كز ذهاب خمسة عشر الف فرنك في السنة
وباع صاحبه اياه في رأس السنة بخمسمائة فرنك هكذا دراندن بالي ارواءال وكان
أكثر بياعي اليواقيت مركزهم هو هذا المحل فلذلك كان له زيادة في حسن المنظر اذ كل
اللآلئ واليواقيت ترى مرصعة وراء الواح الزجاج مكشوفة لكل طارق وقد كان انشاء
هذا المحل سنة ١٦٢٩ ومنها حديقة شانزلزي وهي فسحة في طول ميل تقريبا وفي
منتهاها قرب البطحة تصير كأنها بستان انيق ذو مماشي وقهاوي ومقاعد وملاهي منها
ما يسمى ذي شانتان فان الانسان يقدر أن يتعشى فيها منفردا بأطيب ما يشتهي والموسيقى
تعزف واللاعبون في الملهى يشخصون ويأتون بالمضحكات وكذلك هم كفي الانشاد
على نحو ذلك وفي أعلى الشانزلزي ترى بطحاء وسيعة يتصل بها اثنا عشر طريقا وبوسطها
قوس النصر المسمى ارك دي تريومف لذي بناه نابليون الاول ورسم على جنباته صورة
جميع حروبه التي انتصر فيها وهو بناء ضخم جدا شاهق للغاية دوائره أقواس متقابلة
متصلة ببعضها يصعد الى أعلاه بدرج داخل احدى زواياه وعدد درجه مائتان واحدى
وسبعون درجة ومنها جردان مابيل الذي يجمع ليلا الى أوراق أشجاره وزهوره بما
يبدعون من الانوار حتى يكون في أرضه وحيطانه ما ينوف عن آلاف من المصابيح الملونة
الزيت كألوان الزهور غير أن من له غرض يتحاشى الدخول اليه لكثرة من يدخله من
المومسات ومن يرقص هناك ويعبث مع الرجال وقد سمعت من أخبار هذه الحديقة بما
لا ينكره على الحكم في اطلاق تلك العبارات حتى عنونوا بالصينيين الذين قدموا المعرض
باريس سنة ١٢٩٥ عندما دخلوا اليه لاجل الاستان لا مرح وبسبب كثرتهن هناك
اعفوهن من الاداء على الدخول بخلاف الرجال فكل من دخل دفع خمس فرنكات مع
حضور آلات الطرب وكثرة المشروبات والحلويات في مقاعد تلك البستان المنشأة ١٦٧٠
ومنها البلاس لا كنكورد المتصلة بفسحة شانزلزي السابقة الذكر وبوسطها
حوضان كبيران بفوارات يحيط بها فوانيس وبين الحوضين عمود المسمى بالمسلة

الذى جلب من مصر وعليه كتابة بلسان المصريين القديم وحروفهم التى هى أشكال
حيوانات ونصب هنالك سنة ١٨٣٠ وطوله اثنان وسبعون قدما فى قطعة واحدة من
حجر دون القاعدة المنفصلة التى ركز عليها وعرضه من أسفل سبعة أقدام وكانت جلبته
مصاريف عدة ملايين حتى أنشأت له سفينة خاصة وقد نورت هذه البطحاء بالنور
الكهربائى الذى هو كنور القمر لونا وطول هاته البطحاء ميترو ٢٤٨ وعرضها ميترو
١٦٩ وتتصل بالجسر وبالبلفار ومنها حديقة التويلرى المتصلة بالبطحاء المذكورة
أيضا ذات المقاعد والمصاطب وهى امام قصر اللوفر ومنها بلاس فاندوم التى بها عمود
نابليون الاول صنع هذا العمود من ألف ومائتى مدفع من النحاس غنمها الامبراطور
المذكور فى حروبه ورسم عليه صور المعامع التى انتصر فيها المذكور ووسط العمود به
مائة وستة وسبعون درجة يصعد بها الى أعلاه وفى قمته تمثال نابليون وقد أسقطه
الكمون أى جماعة الاشتراكيين الذين يريدون أن تكون الناس كلهم شركاء فى
جميع الموجودات وذلك فى ثورة سنة ١٨٧٠ فأعادته الجمهورية الى مكانه فى يوم
مشهود وكنت حاضرا سنة ١٢٩٢ ومنها الفندوى لوبرة الواصل بين بطحاء الملهى
العجيب المسمى بلوبرة وبين بالى روايال وقد نورت بطحاءاته وحافاته بالكهربا ومنها
الباساج أى الاسواق المسقفة بالزجاج التى لا يمر فيها الا الماشى وهى ذات حوانيت
يمينا وشمالا من أبدع الاشكال والتنميق ومنها غيضة أبو دى بولونيا أى غابة بولونيا
من أبدع الآجام والغابات المشتبكة بالتصنع وفيها بحيرة صناعية وجبال وأنهار وجسور
كلها صناعية وبها ممشى للمراجل وأخرى للفرسان وأخرى للماشاة ومقاعد وشلالات
تنحدر منها المياه وآجام ورياض وقهاوى ومطاعم بأحسن تنظيم وفى البحيرة طيور مائية
وجزر وزوارق يركبها الناس الى الجزر والناس ينتابون هاته الغيضة التى هى خارج
باريس فى الجهة الغربية الشمالية ليلا ونهارا وهى ممشى أهل الترف سيما أيام الآحاد
والاعياد وقد شهدت يوم عرض الجيش ويوم السباق الاكبر سنة ١٢٩٥ ان طرق
المصر الموصلة لهاته الغيضة قد غصت بأهلها على كثرتها وسعتها فان طريق الشانزى لزى
عرضه أزيد من عشر كراريس متحاذيات ومع ذلك لم تستطع العواجل ان تتحرك فيه
وكذلك طرق هاته الغيضة حيث ان الميدان وراءها وهو محل رحيب نحو ميلين فى
مثلهما وفى جهته الغربية ثلاثة أواوين منفصلة عن بعضها ومتلاصقة مستقلة برواشنها
ومقاعدها جهة الميدان وأوسطها به بيت لصاحب الامر وجميعها مبنية جهة استقباله

هى

هي ان ارضه أعلى من ارض مقدار ذراع ويدخل اليه من طرفه وامام كل منها فسحة بها
كراسي ويفصل بينها وبين الميدان درابزين ولا يدخل الى تلك الاواوين الا من كان
بيده تذكرة الاستدعاء من الدولة وقد حضرت موكب السباق سنة ١٢٩٥ من
خصوص المدعوين ما يزيد عن الخمسة والثلاثين ألفا (أما) مجموع الحاضرين بالميدان
بين راكب وراجل فهو يزيد عن نصف مليون من الخلائق وحول الغيضة أيضا
ميادين أخر لغير السباق الكبير وبها محل للرماية وهاته الغيضة دمرتها عساكر المانيا
وعساكر فرانسا سنة ١٢٨٣ حيث كانت مرتعا للحرب ولكني لما رأيتها سنة
١٢٩٣ كانت كأن لم يكن بها شيء وكانت أشجارها نابتة فيها منذ قرن حيث انهم
لما أصلحوها نقلوا اليها الاشجار العظيمة من الغابات ولهم في كيفية نقلها براعة أعان
عليها علم جر الاثقال وآلات البخار حتى انهم يحملون الشجرة بأرضها النابتة بها من
غير ان تمس عروقها ويبقى عليها كأنه بزرعه ومنها غيضة بوادي فنسن وهي خارج البلد
من الجهة المقابلة للغيضة السابقة وهي على نحوها وأشجارها أكبر غير انها لا رونق
عليها وكان ذلك لعدم انتداب الاغنياء اليها لانها تجتمع فيها الاواسط والفقراء
لبعدها عن حارات الاغنياء ولكن فيها ساحات لالعاب رياضية بدنية وآلات
كثيرة تستعملها الاهالي وهذه الغيضة يوصل اليها بالعجلات والحوافل المسماة
بالامنيبوس وبالترامواي الذي تجره مرجلة بخار وكلا هذين النوعين لا يستعمل
في الغيضة السابقة لكثرة واردها من الغني والترف ومنها غيضة بارك مونسو قريب
الشانزي ليزي لها أبواب من حديد مذهب أبدع من أبواب سرايات الملوك المسرفين
وهي ليست بكبيرة جدا وفي باريس عدة غيضات على نحوها في كل قسم منها غير انها
ادون منها تأنقا ومنها جردان دي كليماتسيون الذي أنشأته جمعية أهلية للنباتات
والحيوانات وقد جمع فيه من كلا الامرين كلما يقدر عليه البشر من جميع أقطار العالم
ولكل نوع من الحيوانات أو النباتات هيئة وهواء صناعي على نحو ما هو معتاد به في قطره
وقد تيسر بذلك التحفظ على حياة جميعها غير ان الاشجار العاجة هواؤها اذا أثمرت لم
تكن ثمرتها كأصلها ومن ذلك النخل فان ثمره لم يكن تاما والحيوانات التي يصعب جلبها
اذا مات منها شيء فانه يصبر جسمه ليبقى على نحو ما كان عليه مدة حياته أمام رائيه فيها
من الحيوانات البرية والبحرية ويلزمه كتاب حياة الحيوان ليستوفي الكلام عليها وأقول
باختصار ان أنواع الكلاب وحدها تزيد على المئات فضلا عن غيرها وكذلك أنواع

النعام الطيور ألوانها وتذهيبها البديع ومن الحيوانات الغريبة نوع من
الضأن الكبش منه كالحيوان السبع غير انه لا يأكل اللحم وانما هو حيوان وحشي
قوي جدا ومن حيوانات الحديقة الأسد الهصور وله صوت عال ويخرج الى البراح ليأكل كل
ما يلقى اليه وهو سريع الحركة قوي جدا ومن حسن تربية الأشجار شجرة ترى
قاعدتها على أصل واحد ثم تتفرع وتصير كالكورة ثم تجتمع وتصير أصلا واحدا ثم
تختلف على أشكال عديدة وفي هذا البستان محلات تجرها خيل صغار جدا لمن يريد
الجولان ركبا وفيه محلة تجرها أربعة من المعز يركبها الصبيان وأخرى تجرها نعامة
يركبها الصبيان أيضا وهناك أفيال يركبونها كما كل من يريد ذلك وفيه أيضا
محلات للقهوة وأخرى للجلوس يتناوبه المترددون في أيام من الأسبوع وعلى كل داخل
للبستان أن يؤدي فرنكا واحدا أما اذا أراد شيئا آخر غير التفرج والجلوس فيؤدي أجره
وله أن يشتري من كل ما في البستان من الحيوان والنبات غير انهم اذا كان لهم من النوع
فرد واحد فلا يبيعونه وقد وجدت به سنة ١٢٩٦ مأوى مركبا من سودان أفريقية
يدعونهم بالزولوس لوقوع الحرب بينهم وبين الانكليز في ذلك التاريخ لكنهم في الواقع
من سودان مصر كما صرح الي أحدهم بذلك ويتكلمون بالعربية ويصورون حروبا
وغيرها ومنها جاردان دي بلانت وهو مثل السابق في غرابة ما يجمعه وما يحويه الا أن الاول
أبهى منظرا وأكثر حيوانات والثاني يشتمل على الحيوانات المعلمة التي يتم
وجوده في الاول لان الثاني للدولة وبه كل الانواع الا النادر كذا ن فقد كان لهم منه
واحد لكنهم أكلوه عند محاصرة باريس سنة ١٢٨٧ هـ سنة ١٨٧٠ م ومن أعجب
ما رأيته من الغرائب ثعبان أسود في غاية العظم وعينان حمراوان جدا ويظهر عليه
خبث شديد وان الزجاج المحيط به مزدوج والاسلاك الغليظة من الحديد مشبكة تشبيكا
صفيقا ويقال ان سبب تزويد الزجاج كون شاهد صر الثعبان يوما ورأيت فيه
الحيات على أنواع ويأتون اليها بأولاد الفار الصغار وقيل بأنها تشعر عادة فتنهشه الحية
وتعرض عنه فيبقى ماشيا عليه يضطرب ثم تعود اليه الى أن يموت وتأكل منه وأول ذلك
لانها معقودة على أكل مثل ذلك وانظر من هذا المقدار عناية الافرنسيس بتربية كل حيوان
على طبيعته ويوجد بهذا البستان بكونه فيه دار للتشريح والتاريخ الطبيعي
بجسمها فترى جميع الاجسام من أنواع الحيوان فيه مصبرة ومشرحة والانسان
على جميع أطواره من النطفة الى الشيخوخة كما يوجد فيه خزانة للكتب في الفن
المذكور

المذكور ومنها قصر معرض سنة ١٨٥٧ م الذي جعل فيه الآن أنواع الصور والاصنام
ومنها قصر اللوفر الضخم المتقن البناء والتنسيق الملوكي وكان مسكنا للملوك والآن معرضا
للطرف ولآثار الدهرية وفيه بيت يشتمل على بعض بدائع ملوكهم ومجوهراتهم
وعصا وفيه مائدة من المرمر الابيض مرسوم على سطحها خريطة أرضية بألوان المرمر الاخضر
والاحمر وغيرهما بحيث أن كل جهة من الارض بلون خاص وفيه بيت لآثار المصريين
وآخر لدواخل أفريقية وآخر لاعمال فردينان ذى لسبس وسعيه وفيه صورة
خليج السويس مجسمة مع جميع آلات الحفر والاشغال وعدة بيوت لصور تشتمل على
عشرات الآلاف من الصور وأخرى لبلدان مجسمة وبحار وسفن ومراعي وجميع
غرائب الاقطار يقضي فيه الانسان عدة أيام ولا يستوفي جميع مرافقه وقد أخذ من هذا
القصر قسم لادارة قسم من مالية الدولة ومنها قصر التولري الذي وصله نابليون الثالث
بالقصر السابق وحرقه الاشتراكيون بالحرق في ثورة ١٢٨٧ هـ سنة ١٨٧٠ م
وبنت الدولة قطعة منه بالرمم على أصوله والعمل جار فيه مع ان ما كان داخله
من الفرش والطرف لا يمكن استعواضها حيث كان مقر الامبراطور ويحتوي على
أنفس بدائع الملوك وامام هذا القصر حديقة بديعة نضرة بها ملاهي يلتقي بها الناس نهارا
وليلا ورأيتهم ليلة يتعجبون من أحد الماهرين بآلة كالباب كبيرة جدا في طول الانسان
حيث أنه أتقن دقها بدون أن تكون امامه ورقة التعليمات ومنها الاوبرا
الذي هو ملهى وأنظر من سائر القصور والملاهي واحتوى على الضخامة والتزويق
والتأنيق والاسراف فدرجه المرمرية وشكل درابزينها توقف الابصار وهو ذو تسع
طبقات للتفرج بين دواوين لا حصر بحيث يسع نحو خمسة آلاف من النفوس وينور
بالكهربا وأخبرت أنه صرف على انشائه نحو مائة مليون وأربعة عشر مليونا فرنك ومنها
قصر لكسمبورغ وهو وان لم يلحق نفاسة ما سبق ذكره من القصور لكنه عجيب
وبجانبه دار الرصد العجيبة التي هي في أرفع بقعة بباريس وفيها من المرايا المكبرة أنواع
شتى منها ما هو في حجم مدفع كبير وفيه بيت سقفه يدور على عجلات لكي تدور المرآة الى
أي جهة من السماء من غير مانع وترى منه الكواكب ليلا ونهارا فقد شاهدت نهارا
بالمرآة نجم البولوس الذي لا يرى ليلا الا بالمرآة وقال المدير ان بعده عن الارض
أربعة وعشرون مليونا ميلا والحاصل ان في هذا المرصد جميع آلات علم الفلك وبه علماء
مثابرون على الرصد والتفتيش على ما يمكن لهم الوصول اليه ومنها قصر معرض سنة

١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م وهذا المعرض البديع الذي جعلت به باريس دار مأدبة لسكان
الارض واحتفلت بهم احتفال الكرام هو ابدع من جميع المعارض التي سبقته في جميع
البلاد ولا يفهم من قولي احتفال الكرام ان الذين تقوم بشؤونهم فرانسا بل كل منهم
يصرف على نفسه وانما المراد هو التهيئ لاحضار ما تشتهيه انفسهم وتلذ به اعينهم من
كل ما يدخل تحت قدرة البشر ثم انفاق النفقات الباهظة للمحافل العامة والمآدب
التي يصنعها كبراء الدولة احيانا ويدعون اليها اعيان المسافرين والاهالي فان دولة
فرانسا قد دعت ملوك اوروبا وغيرهم من الامراء والوزراء وكل من له اقتدار من غيرهم
فانه يأتي لتلك المدة بما يمكن الوصول اليه بسهولة حيث انه يرى انموذج جميع ما في
الارض كله مجتمعا في محل واحد وقد كان ممن اجاب الدعوة من الملوك شاه ايران ومن غريب
التواريخ ما اتفق في رحلته تلك وهو قولي مؤرخا (قد زار اوروبا الشاه ناصر الدين) ١٢٩٠
لكنه قدم على غير الصورة الرسمية ولذلك سكن باحد محال المسافرين وذكرت الصحف
انه افطر يوما ببلد فونتبلو التي حولها غابة ومنتزهات فكانت نفقته في ذلك
الفطور واحد وعشرين الف فرنك ولا يخفى ان سائر الاشياء كانت في تلك السنة في نهاية
الغلاء بباريس لا سيما المأكولات والمشروبات بداخل المعرض لكثرة الواردين من
الاقطار حتى قيل ان معدل القادمين من الانكليز كل يوم اربعمائة الف ومثلهم
الرقعون فضلا عن غيرهم من سائر الاقطار وقد اجتمعت مدة هذا المعرض باعيان من
العرب وغيرهم فمن اعزة ابناء وطني الحاج السيد محمد الطاهر الزاوش الذي هو من
خيار الاهالي وترقى منصبه لدى الامير ولي العهد بتونس الى ان ولي مستشاره وابدى من
النصح والنجابة في اسفاره مع مخدومه لسياسة القبائل والعربان ما اقر له به المنصفون
وله دراية جيدة باخلاق الاهالي وله نصح وود عظيم مع الامير وسائر الصدور وكذلك
قدم من ابناء الوطن الوزير خير الدين والعلامة سالم ابو حاجب وقد تقدمت ترجمتهما
واجتمعت بوحيد دهره الناصح للامة الباذل في الاخلاص اليها نفسه حتى مات شهيدا
الا وهو مدحت باشا الذي ولي صدارة الدولة العثمانية وتفرد بوضعه القانون الاساسي
الذي لو جرى به العمل حقيقة لنجت الدولة مما الم بها لكن لما كان الحق صعب الاجراء
الا على من وفقه الله فقد عزل ذلك الوزير الوحيد من الصدارة قبل استقرار العمل بالقانون
ثم نفي الى خارج الممالك العثمانية ثم اذن له بالاقامة في جزيرة كريد ثم ولي واليا على
الشام ثم نقل واليا على ازمير ثم قبض عليه وحكم عليه بالقتل بدعوى اشتراكه في خلع
السلطان

السلطان عبد العزيز بزوقه لكن أكثر دول أوروبا أنكرت الحكم من عدم جريانه بالحق
الصراح فعوض عن القتل بالسجن المؤبد في الطائف من الحجاز ثم شيعت وفاته شهيدا
للحق رحمه الله ونعمه وكذلك اجتمعت بذي الاصالة داود باشا المصري جد محمد علي
باشا الأفخم وصهر الخديوي الحالي وكذلك بسفير الفرس بباريس نازار آغا وغيرهم من
أعيان الأقطار في الاجتماعات الخصوصية زيادة على الاجتماعات العامة في المآدب التي
أشرنا إليها من دولة فرانسا فقد دعيت مدة إقامتي هنالك تلك السنة لمأدبة في وزارة
البحر وأخرى في وزارة الخارجية وأخرى في وزارة المال وكل منها كان خارج المحل
وداخله على غاية من التنوير والتزيين وجنائنه ملونة الأنوار الارضية والموقية كألوان
أزهاره وموائد المأكل والمشروبات والحلويات مصفوفة والموسيقات عازفة والأعيان من
النساء والرجال يرقصون أو يتفرجون في المحل المخصص للطربات وصاحب الوزارة
المدعو إليها الضيوف يقف في البيت الثاني من المدخل هو وامرأته ويسلمون على
الداخل ويتلقونه ثم يكون الداخل على حسب إرادته ولا يلزمه الوداع عند الرواح
ويرى الإنسان آلافا من المدعوين بأفراد أسمائهم وذوي النياشين متقلدين بها ورئيس
الجمهورية يؤانس البعض ونساؤهم يتبرجن بدلالهن ولباسهن وحليهن فإن منهن من تلبس
الشفوف المطرز باللؤلؤ النفيس من صدرها إلى ذيلها مع الحلي المكللة بالياقوت الملون
ولا يكلم بعضهم بعضا في هاته المواكب إلا من كان له معرفة بالآخر أو عرفه معرف
ثم إنهم يتهيئون إلى أدنى مناسبة للتعرف بالغريب ويؤانسونه وربما اضطرت المرأة
زوجها أو قريبها إلى عمل مناسبة للتعرف بالغريب سيما إذا كان لباسه على خلاف
معتادهم وقد عينت الدولة لمصاريف تلك المواكب عدة ملايين فضلا عن مصاريف
الليلة الحافلة التي أعدوها تذكار الجمهورية فقد روي أن مصروف الأهالي والمجالس
البلدي في التنوير والتحسين والألعاب النارية تجاوز ستة عشر مليونا فرنكا وان ثمن
الرايات التي نشرت على حيطان الديار والطرقات تجاوز الأربعة ملايين وكان مركز
ألعاب تلك الليلة هو بركة أبوادي بولونيا وقد اكترى بعضهم طاقة في الطبقة التي فوق
من الدار التي تسكنها الفرحة تلك الليلة بسبعمائة فرنك حيث كانت على النهج الكبير
الموصل إلى محل الألعاب وكان المهندسون والعملة متهيئين لها منذ نصف شهر وعلقت
الثريات والفوانيس على الطرقات قائمة على عيدان ومشكلة بالأشجار وما قرب غروب
تلك الليلة إلا وانتشرت العساكر والخيالة في جميع المراكز لحفظ الراحة وخشية من

الاحزاب المصادين للجمهورية وما غربت الشمس الاو بان عم انوار المصابيح ومنعت الهلات من السير في الطرق مطاقا وما بدت النجوم الا وتصاعدت لهاشم ماريح البارود ترمي لها بافات ازهار الوانها المختلفة الاشكال وترا كم ازدحام خلق الله بما يد كر يوم الحشر لا كبر ودام الحال على ذلك واصوات الموسيقى والبارود تتهادى من كل طرف الى نحو الساعة الثالثة من بعد نصف الليل ورجعت العساكر لواقعون على البركة بخيامهم ورحاهم وبايديهم فوانيس على عدد الالوف والموسيقات تصدح بلحن المرسيليار وهي قصيدة في اثارة الحمية لاهل الوطن كانوا اعلنوا بها في الثورة الكبرى سنة ١٨٣٠ لطلب الحرية وقد كان ترجمها به العصيدة العلامة رفاعة باشا رحمه الله ونظمها ودونكها بنصها

فهيا يا بني الاوطان هيا ● فوقت فخاركم لكم تهيا
انيروا الراية العظمى سويا ● وشنوا غارة الحرب ابيا

عليكم بالسلاح ايا اهالي ● ونظم صفوفكم مثل اللآلي
وخوضوا في دماء اولي الوبال ● فهم اعداؤكم في كل حال
وجودهم غدا فيكم بليا ● بنا خوضوا دماء اولي الوبال

اما تصغون اصوات العساكر ● كوحش قاطع البيداء كاسر
وجبت طوية السرق لعواجر ● ذبيح بنيكم بظبي البواتر
ولا يبقون فيكم قد حيا

﴿عليكم الى آخر الابيات الثلاث﴾

فماذا تبتغي منا الجنود ● وهم همج واخلاط عبيد
كذا اهل الخيانة والوعود ● كذاك ملوك بغي ان يسودوا
تصبهم لنا لم يغتشيا

﴿عليكم الى آخره﴾

لمن جعلوا السلاسل والقيودا ● واغلالا واطواقا حديدا
لاهل فرانسا اليروا عبيدا ● وليس مرامهم هذا جديدا
اما هذا عجيب يا اخيا

﴿عليكم الى آخره﴾

وكيف

وكيف يسوغ ان نرضى رعاعا * من الاعراب يعدون ارتفاعا
ويجرى شرعهم فينا شراعا * وانذالا لديهم لا تراعى
رعايا بل تكب على الحيا

﴿عليكم الى آخره﴾

فيا للإسلام من المذلة * فما نرضى ان نبقى أذلة
ويأسرنا ويقتلنا أجله * فريق بالدراهم دولة
وكيف وقدرنا أضحى عليا

﴿عليكم الى آخره﴾

الى كيف يقهرنا ملوك * بجهل العهد ليس لهم سلوك
وأنذال للاستعباد حيكوا * ومالى الفخر شركا شريك
ولا أحد به أبدا حريا

﴿عليكم الى آخره﴾

فقل لهم أيا أهل المظالم * وأرباب الجرائم والمآثم
اما تخشون من ملك حازم * كذا أهل الحية الكرام
وطاهم لقد بلغ الثريا

﴿عليكم الى آخره﴾

أحلوا الخوف نحوكم أماما * وخلوا العدل عندكم ماما
ونقصكم اوطنكم ذماما * به تجرون ذلا وانتقاما
وتمسون عند القوم حربيا

﴿عليكم الى آخره﴾

فها كم قد تعسكرت الاهالى * وصارت كلها نحو القتال
لتقصم الممالك لا تبالى * اذا ما مات ليث فى النزال
تولد أرضه شبلا صبيا

﴿عليكم الى آخره﴾

صغير القوم منا والكبير * يحب قتالكم فرحا بطير
فحاربكم ولا من لكم نصير * وليس لحربنا أصلا نظير
وحات نحوالا بلقون عيا

﴿عليكم الى آخره﴾

لنا وطن به همنا غراما * به تقوى عزائمنا دواما
غنائمه ونخشى ان يساما * ونأخذ ثاره ممن تعامى
وجار وان يكن ملكا عتيا

﴿عليكم الى آخره﴾

لنا حرية في الكون تسمو * تزيد اذا الحروب يبدت وتنمو
تمانع من يغير نظامهم * بها ثمرات نصرتهم نتم
على نفر التفانى والحيا

﴿عليكم الى آخره﴾

تموت عداتنا امونا شنيعا * اذا ما ابصروا صرا منيعا
بحوزتنا اعدا رفيعا * فويل للذى يبقى الرجوعا
رقى يكن ذى خطأ وغيا

﴿عليكم الى آخره﴾

لنا جند خريطات ارباب الجهاد * كاسلاف لهم اول لابادى
ونصر خوفهم في كل ناد * وننعو فعلهم في كل واد
ونبلغ في العلى شأوا قصيا

﴿عليكم الى آخره﴾

نؤمل ان نكون لهم فداء * وكل فتى بغير النصر باه
وان لا بعدهم نبقى مساء * اذا انتقم لهم العداء
ويأخذ ثارهم من كل حيا

﴿عليكم الى آخره﴾

وهذه القصيدة جعلوا لها لحنا خاصا وكانوا يترنمون بها في ليلة تذكار الجمهورية ولم ينتظم في تلك الليلة عيد تذكار مع أن بعض اضداد الجمهورية لم يفتح طاقة تلك الليلة ولم ينور فانوسا وبعضهم رحل عن البلاد بالمرة تلك الليلة ومن الاحتفالات الواقعة لصنوف المعرض الاحتفال الذى صنع بمرض الجيش حول اوادى بولونيا كما ذكر وعمله فيه احتفال الموكب بالمتفرجين الذين يجاوزون الخمسمائة مليون ومنهم شاه ايران والعاكرترى من بعد حول تلك التلال والهضاب واداباما رشال مكماهون رئيس الجمهورية

الجمهورية اذ ذاك قادما راكبا على حصان أشهب عربي يقدمه ثمانية فرسان من
العرب بكان الجزائر بلباس العرب وبرانيسهم حمر وسمر وخيلهم عربية ووراءه وزير
الحرب ثم نحو عشرين فارسا من ضباط العساكر والمهندسين وكلهم بالملابس الرسمية فلما
دخل الميدان وسامت وسط الموكب أومأ بالسلام لجهة المتفرجين بالجلوس في الايوان
الوسط ثم ركض حصانه وصار يطوف على كراديس العساكر ومهما وصل الى راية
الاو كشف رأسه مومئا بالسلام الى ان طاف على الجميع ثم رجع الى أمام الايوان الوسط
واستقبله ووقف وكان أمير الجيش كله المكلف بذلك الموكب هو أمير جيش باريس
جاء راكبا وسلم على رئيس الجمهورية ثم انحاز الى جهة الاواوين وأصدر أوامر
الحركات العسكرية فاذا بالجيوش من كل حدب ينسلون وجاء الالاي الاول
وموسيقته تعزف أمامه فلما حاذت رئيس الجيش وقفت ومر الالاي ماشيا من الجنوب
الى الشمال بجميع لوازمه وسلاحه الى أن انقضى جاء غيره ووقفت موسيقته وهكذا الى
ان مرت خمسة وأربعون الفا من العساكر المشاة ثم أقبلت الخيالة المدرعون سربا سربا
عشرون خمسا وكل سرب متقارب لون الخيل الى أن مرت خمسة آلاف خيالة ثم أقبلت
الطبجية أي عساكر المدافع عدافعهم تجرها الخيول ذاهبين خببا الى ان مرت مائة
مدفع ونيف بمدافع وكل فرقة من الجيش يقدمها رئيسها راكبا ويقف بين
يدي الرئيس الى أن تمر فرقته فيتبعها ومهما مرت راية كبيرة أومأ بالسلام الرئيس
وكشف هو لها رأسه ومنذ سلم هو عند دخوله الموكب الى ان انفض الموكب كانت
المدافع تطلق من الحصون وعندما مرت العساكر الاهلية أبناء باريس ضج
الموكب بالتصفيق وانصبت استحسانا أصواتهم ونشاطهم حتى صارت كأصوات الرعد
ووقع لغيرهم قليل من ذلك النوع وكان اليوم حارا والرئيس مستقبل الشمس بلا مظلة
وقد سقط عسكري من حر الشمس ففي الحال حمل في نعش صاحبي العساكر وعالجه
الطبيب وأرسل اليه الرئيس مرارا يتفقد وعند خروج الناس للرجوع احتكت
العروق واشتدت الكراريس على أصحابها وكان يوما مشهودا واشتباه الكراريس
انما كان مشعرا بالانه من عاداتهم في هاته المواكب اذا حضرت كروسة يتلقاها أحد
خدام المكلفين وانما ينزل الراكب بعضه بطاقة بها عدد خاص ومثلها للسائق
الكروسة ويوقف كروسته في مكان رحيب على ترتيب الاسبق فالاسبق فاذا خرج
الراكب أعلم أحد أولئك المكلفين بنمرته فيرفع صوته بها مناديا في الصف بمجرد سماع

سائقوا عدد عربة من غير أدنى اختلاط ولا تعب لكن في ذلك اليوم حيث خرجت الناس
دفعة مع كثرتهم ومع ازدحام الناس خارجا وقع الاختلاط وعدم تيسير الكر للموكب
ومثل ذلك احتفال يوم السباق فانه لما انتظم الموكب على نحو السابق ثم بانت خيل
السباق وكان الجعل من الدولة للمجلي مائة ألف فرنك وللمصلي عشرة آلاف ثم أعلن ثم
علق في عمود أسماء الخيول المدفعة أولا وكانت ستة عشر فرسا من عتاق الخيل الجياد
العربية وكل منها مسرج بسرج صغير جدا وركابها متساوون في الوزن حتى اذا كان
أحدهم أخف حمل شيئا يستوي به مع أصحابه وكل منهم لابس لباسا لاصقا بالبدن وعليه
نحو جبة قصيرة صبغة من الحرير بأحد الالوان لكل لون خاص وكل منهم يمسكه رجل ثم
يتسابقون سواء من مبدأ الميدان فضرب جرس اذانا بالركض فاندفعوا راكضين وكان
الميدان على هيئة دائرة واسعة تتصل بأخرى أوسع منها ثم أخرى أوسع ولكل فرقة من
الخيل حد فاعلاها ما يقطع الدوائر الثلاث ومجموع طولها نحو ثمانية أميال وأدناها
ما يقطع الاولى فقط فالضرب الاول كان من المتوسط وحاز قصبة السبق حصان أحمر وعلق
اسمه واسم صاحبه ثم ورقة أخرى وهكذا ولما نزعت الفرقة العليا تهيأت الناس
وكثر اللغط في الاشارة كل يدعي ان الفرس الفلاني يغلب وكثيرا ما تراهن عشرات
اللاعبين في مثل ذلك السباق بالمخاطرة بين المتراهنين ثم انصبت الخيل راكضة وكانت
ستة فقط وكانوا أولا يتعالون على أيهم يحوز لحظة الداخل من الدائرة ولا يطلعون عنان
الخيل وعندما توسطوا الدائرة الثانية أرسلوا الخيل على غايتها فتخلف من تخلف ولم
يسبق الا ثلاث وعندما بقي الربع من الدائرة تخلف الثالث وتجارى اثنان فكان كل
منهما تارة يكون سابقا وتارة مسبوقا لكن لما قربت قصبة السبق فاز الاحمر الكميت
وصار ينظرها المتراهنون شغف الراكب وكانت مسافة سبقه من أول الامر الى ما
تفرست فيه من خفة نفسه وتقارب وسرعة حركاته مع ان الكل مستوون في صفات
الجودة غير ان هذا أجود وأخف وقد أعطى صاحبه للراكب عشرة آلاف فرنك من
الجائزة لان عادتهم ان يكون لمضمار السباق فرسان مأجورون أو ساسة الفرس أما
صاحبها فلا يسابق بنفسه الا نادرا مع أمثاله وليس ذلك زهدهم في الفروسية بل أنفة
لانهم كثيرو الركوب للخيل ويعود حالا يصرفون على تربيتها وتوليدها أموالا
جسيمة حتى يباع الفرس الواحد بأربعين ألفا وأزيد ويكتبون أنساب أصولها
وأصولها من العراب وذكر في ان أحد أقدم أصل من خيل انكلترا هو حصان تونسي
اشتري

اشترى من جمال ثم اعلم ان المعرض الذى نحن بصدد ذكره موقعه فى الجهة الغربية الشمالية من باريس يقسمه نهر السين الى شطرين فما كان عن يمين انحدار النهر يسمى التروكادرو وبنى به قصر على شكل بديع وبناء متين ليبقى هناك مستمرا وهو المشار اليه أولا وأمامه رواق وقدامه بركة ماء واسعة جدا على حافتها صورة أسد وثور وفرس ونمر بشكل صورة ضخمة جدا كأنها مذهبة والماء متدفق بهيئة عجيبة ويحيط بالجميع حديقة أنيقة وحول هذا المكان بناآت على صورة بناآت الممالك التى أجابت الدعوة فمنها دار أرسلها سلطان المغرب كلها من خشب على هيئة دار بفاس وبها النقش بديعة وغيرها ... وكذلك فرشها ومنها قصر ... شاه ايران على نحو قصره ببلاده ومن عجب ما به سقف بيت كله من البلور المصنوع على هيئة عنقود وهكذا كل مملكة أجابت الدعوى تبنى مكانا على هيئة أبنيتها فى بلادها وحول تلك الابنية مخادع ومقاعد وحوانيت وقهوة فى تلك الحدائق والشطر الثانى من المعرض يسمى شان دى مارس وفيه حدائق أيضا وقهاوى ومطاعم وبه المحل المهم المقصود من المعرض وهو بناء عظيم واسع طوله نحو ميل فى ثلث ميل عرض كله بناء من حديد ومقسم على أقسام على حسب الممالك كل مملكة أتى بأنموذج ما عندها من الجمادات والنباتات والحيوانات والمصنوعات قل أو جل حقر أو عظم فكان ذلك احاطة بجميع أنواع ما يوجد فى الدنيا لانه أجابت دعوة فرانسا الى ذلك جميع الممالك ذات الشأن الا الدولة العلية لاشتغالها بحرب الروسيا وذلك والمعرض حينئذ لما به مما يعجز عنه الواصف وانما نذكر أفرادا من المستغربات التى لم تزل عالقة بذهنى فمنها ساعة ذات أربعة أوجه مرفوعة على نحو أسطوانة ارتفاعها أزيد من ستة أذرع وفى أعلاها صورة كرة أرضية معلقة فى القبة التى فوق الساعة ويحيط بالكرة صورة الشمس والقمر وبقية الكواكب السيارة والمراد من جملة كون الساعة ليس لها آلة تديرها سوى تلك الكورة وذلك باعتبار ثقلها ببعدها عن مركز ثقلها ومنعت من الاستقرار بكرة بأسلاك قائم فى رأس الساعة متصل بالآلة ... الدوار فكانت الكورة تطلب المركز وتدفع العارض ... وهى تدور معه وهكذا وهى من مصنوعات الفرانسيس وقيل ان ثمنها ستون ألف فرنك ومنها مقعد من البلور الرفيع وثلاث درج واثنى عشر ضلعا مرفوعة تحته على أسطوانات من البلور يجلس به اثنا عشر انسانا كله قطعة واحدة من البلور المصنع وهو من صناعة ... ومنها مطبعة تطبع بلون فى آلة

واحدة وتخرج عددا وافرا في كل دقيقة ومنها ارسال الرسائل المكتوبة في قنوات من
حديد مفرغة من الهواء تتصل بسرعة كالسلك الكهربائي وقد صار الآن في عدة جهات
من باريس ارسال الرسائل بتلك الصورة ومنها الجوهرات والتحف الغريبة التي اهداها
ملوك الهند الى ولي عهد انكلاتيرة وهي كثيرة عجيبة جدا ومن أغربها عمودان من العاج
في طول الذراع ورأساهما على صورة رأس اسد وعيناه ياقوتتان حمراوان لم ار اجمل
ولا أخلص منهما الى غير ذلك مما يقصر عنه وصف الواصف من بدائع الصنائع
والمخلوقات وأما بقية اماكن وبنايات باريس الشهيرة فهي كثيرة جدا ومن أهمها
ايوان فاندوم ومحل العاجزين من العساكر وبه آثار الاسلحة القديمة منذ عرف السلاح
في الدنيا الى الآن وبه قبر نابليون الاول والرايات التي غنمها وعلى قبره هيكل وتابوت
فوقه نقش به وبه مداحلون ليه ورؤى جميع حروبات غزواته تذكرة لهم وحوله
قشلة كبيرة للعاجزين من العساكر بالسن أو الحروب الذين بدون الاقامة هنالك
زيادة على القيام بجميع ضرورياتهم لهم خدمة وكل من لا يقدر على المشي تعمل له
عجلة صغيرة يحركها بنفسه وان قدر على اجرها خادم للتروح في المنتزه الذي حول ذلك
المكان والمدير لهذا المحل رجل من رتبة أمير الاي ذو اخلاق حسنة ومعارف جيدة أما
ملاهي باريس فهي كثيرة وعظيمة المقاصد ولا يقصدون بالملاهي مجرد التلاهي بل
ظاهرها التلاهي وباطنها فائدة من الفوائد كالتكلم بتاريخ غريب أخذ محاسنه
وعدل قبائحه لان الرائي يشاهده متجسما فتكون اوقع في النفس وكالافادة مأخوذه
عليه مما يحصل في احد الملاهي من ذكر كروية الارض وان من قطعها ذاهبا الى جهة
الغرب في ثمانين يوما فاذا وصل الى المكان الذي خرج منه يجد انه نقص يوم
من ايام الاسبوع مثلا يرى انه وصل في يوم الاحد والحال ان اليوم عند اهالي ذلك
المكان هو يوم الاثنين وبعكس ذلك من يقطعها ذاهبا الى الشرق فانه يزيد عنده يوم
فيرى انه وصل يوم الثلاثاء والحال ان اليوم عند الاهالي هو يوم الاثنين وذلك لان السائر
الى جهة الغرب يكون ذاهبا مع الشمس فاليوم دائما عنده أزيد من اربع وعشرين
ساعة فيجتمع في تلك الايام يوم كامل يضيع على المسافر ويزيد عند مقابله مثله لان
اليوم بليلته عنده اقل من اربع وعشرين ساعة لذهابه ضد سير الشمس وقد نص القرافي
على هاته المسئلة وما هو الحكم الشرعي فيما اذا صادف اليوم المختلف فيه يوم الجمعة
فان المقيم عنده يوم الجمعة والسائر الى الغرب عنده الخميس والمسافر الى الشرق عنده
السبت

السبت وغير ذلك من احكام العبادات والمعاملات الموقتة وان الحكم هو الاعتبار بما عند أهل المكان فى وقت الاعمون يصورون هاته الامثلة العلمية بتشخيصها وصورة السفر برا وبحرا ومايعرض من العوائق وغيرة الحال للتوصل به الى الاغراض الى غير ذلك وهناك ملاهى لاعادة البراعة والبلاغة فى الكلام وأخر لاعادة علم الموسيقى الى غير ذلك من الفوائد ولو السياسية فقد كانوا مدة رياسة المارشال مكماهون على الجمهورية طلب مجلس الاعيان تبديل ولاة البلدان ورؤساء العساكر الذين هم من حزب الملكية فامتنعت الوزراء من قبول ذلك وحل الرئيس المجلس واذن بانتخاب اعضاء آخرين ولما انتظم المجلس الجديد أصر على مطالبه الاولى فاراد رئيس حله ايضا فامتنعوا من ذلك اذ لا حق له الا فى حله مرة واحدة فى نازلة متحدة وحصل نزاع كاد يفضى الى شغب فكان أحد الملاهى لاعبا وابتدأ للاعبين بقول ما ترجمته نظما

المارشال مكماهون يخضع * وان أبى من الحضور يخلع
كذا الولاة من يأبى يدفع * لان ذلك للبلاد أنفع

فدخل الحرس وقبضوا على القائل فلم يفرق لهم أحد ولا وجدوا الكلام فى كتاب الحكاية وآل امر النزاع الى استعفاء المارشال واعلم ان تلك الملاهى يوجد منها ماهو مضرة ومشغلة لكنه قليل والحاصل ان الملاهى لا تخلو عن فائدة معتبرة ومع ذلك فهم غالون جدا فيما من مفسدة مهمة وهى تعليم الشبان والشابات أوجه العشق ومبانيه ووسائله اذ قل ان يخلو تشخيص عن مثله ويعتذرون عن ذلك بانه يعلم أيضا شناعة ثمرات العشق وشناعة الفضيحة وايثار الموت على حفظ العرض مما يكون خاتمة تلك التشخيصات وكان ذلك لا يفيد اذ الشهوات النفسانية غالبة على عقول الكثير من الناس فتأخذ ما يلائمها وتهمل ما سواه ويؤيد هذا ان الكثير من حضر تلك الملاهى اتخذ باعمالها وسيلة تمكن من امثال تصرف فى اللاعبات والمتفرجات الاتى يتدللن ويجالسن واللابسين وترى كلا من الحاضرين يمد مرآة مقربة وهو لا شغل له الا الانتقال من واحدة الى أخرى ثم يبلغون الرسائل الى المختلفة عن يعلقون بهن وكذلك تميل الابكار والشابات مع الرجال الا المحبين وأعظم دار للملاهى هو كران أوبرة الذى تقدم ذكره وكان دخله من اكتوبر سنة ١٨٧٩ الى نهاية ينايرسنة ١٨٨١ الذى هو عام واربعة أشهر ٤ر٧١٥ر٠٠٠ فرنك ومصروفه فى تلك المدة ٤ر٧٤٩ر٥٠٠ فكانت الخسارة أربعة وثلاثين ألفا وخمسمائة فرنك زيادة على ما تعطيه الدولة

اعانة لانها تعين من دخلها في كل سنة اعانة للملاهي مثالم وفرة فكان معين للملاهي
الذكورة وملهى أوبيرة كوميك وملهى تياترو فرانسه وملهى لودون في سنة ١٨٨١
١٫٣٢٤٫٠٠٠ فرنك عدا بقية الملاهي [illegible] ذكرها وكر البيت الوحيد
في هذا الملهى سنة ١٢٩٥ مائة وعشرون [illegible] في الليلة الواحدة وبه بيت رئيس
الدولة يحتوي على مرافق وقد أذن لي بالدخول اليه تكرمة من رئيس الجمهورية
اذ ذاك المارشال مكماهون ومن أهم الملاهي الهبودروم الذي يلعب فيه بالخيول العابا
عجيبة وكذلك ملهى السرك فترى الخيل تدرك مثل الانسان الحاذق وكذلك غيرها
من الحيوانات ولولا حديقة الاسود والفيلة وغيرها فالملاهي خاصة وتطيع مرها
كالآدمي حتى رأيت الشخص يقعد على الاسد ويركب على ظهره ويدخل راسه في
فمه وهو منقاد خاضع وحوله في حجرة التي هو بها اربعة اسود اخر [illegible] وبنها
ضباع ثم ذئاب ثم اربعة نمور [illegible] كلها وقوف حوله [illegible] حجرة كاملة [illegible]
عجيب وذات الاسد الكبير في وسط حجرة واحدة ملاعبة وتركب عليه وصاحبها [illegible]
معها الكي لا يسطو واحد على آخر وتلك الحيوانات تخضع لامر جميع تلك السباع كانهم
هم الخائفون منه افراد شاهدت هاته السباع في تلك الحالة والضبع واقف بين يديه
الاسود وبوله جار على رجليه ومع ذلك لا يجرؤ [illegible] احد [illegible]
بالقرب من الاسد الكبير [illegible]
[illegible] ويكره قرب الدب منه [illegible] شديدة [illegible]
الاسد مع الخروف [illegible] في [illegible]
[illegible] كل احد ولا يضر شيئا وهو [illegible]
الذي ذكرناه [illegible] بمصر وتونس [illegible] الاهلي كالمم ملاهي
[illegible] يعملون بها الالعاب [illegible] كثيرة جدا [illegible]
به عن غيرها [illegible] التي يضرب بها المثل
وكذلك [illegible] الذي صنع به الاواني الحرف التي يعملونها على الخزف الصيني
وقد رأيت به مائدة على ساق واحدة [illegible] ما رأيته من ذلك [illegible] الالوان وصفة [illegible]
ذكروا ان قيمتها [illegible] الف فرنك وكذلك معمل [illegible] ولذهب [illegible]
الكهربائي وترى القناطير [illegible] من [illegible] وشوكات وملاعق
وغيرها يدخلونها في برك من مياه الفضة والذهب فتخرج كانها [illegible] وأما
منازل المسافرين فتكاد لا تحصى وأهمها المنزل الاكبر في [illegible] فانه من
عجائب المباني والتنظيم وترى فيه ايوان الاكل العام [illegible] واحدة يحيط بها

روشن ويوقد به نحو سبعمائة مصباح وقنديل وحيطانه كلها مرصعة بالذهب على أشكال
جميلة وبه سبع موائد كل مائدة يجلس عليها خمسون نفسا فتسع ثلاثمائة وخمسين نفسا
في وقت واحد يأكلون جميعا على غاية الراحة والنزهة والأبهة ولا تسمع فيه الأغبة والأكل
يأكلون سواء والفطور خمسة ألوان والعشاء سبعة ألوان عدا الحلويات والفواكه
وزينة المائدة المرصعة وثمن الأكل فيه للواحد ستة فرنك عشاء وربعة فطورا ويحتوي
المنزل على عمارة مجهزة لا كل وستين بيتا مهيئة للجلوس ويصعد إلى طبقاته العليا بالجلوس
على كرسي تصعده آلة بخارية وأما حماماته فهي على عمومها أي في الحمامات العامة
غير أنها اختصت بحمام عربي قرب البحار وهو في نهاية التأنق والتزويق وأرجوفة
شبيه بالحمامات العربية في كونه ذات كبير للاغتسال والعرق وبيت كبير لنزع
الثياب والراحة فيه منزل مشتاق بعد الاغتسال وبين البيتين حوض كبير مملوء بالماء البارد
ينزل إليه كثير من المغتسلين بعد الغسل ليخرج منه إلى بيت الارتياح وعند وصوله إلى
الحائط الفاصل بين البيتين يصير في دخال رأسه إيصاله في الماء لأن الماء واصل إلى
أسفل الحائط وفي الحمام خدمة يكبسون المغتسل ويطقطقونه على العوائد في البلاد
العربية وخدمه من الجزائر وبعضهم من السودان ثم حول المعارف وترقي العلوم
فالمدارس فيها واسعة جدا وتحول أحد عشر في باريس مكاتب للعلوم العالية وأولها جامع
كبار المعلمين ومكتب فرانساوي ... المعلمين ومكتب أركان الحرب ومكتب المعلمين
ومكتب الصنائع والبحريات ومكتب الفنون علوم الطرق والجسور ومكتب علوم المعادن
ومكتب تعلم التجارة ومكتب الصنائع الطرية ومكتب علم الموسيقى وعلوم تشغيل
الملاهي والتشخيصات ومكتب للغات الشرقية وللآثار القديمة ومكتب الصنائع وجملة
مكاتب ابتدائية للدولة وأما الابتدائية للأهالي فغير محصورة وهي كثيرة جدا ومكتب
للقسيسين ومكتب لهم دونه ومكتب للعمي وآخر للصم البكم يعلمونهم بالإشارة والأحرف
المجسمة والخط ... يعلمون في سائر المدارس كما كان في باريس ثمان ... خزائن
كتب عظيمة للعامة تحوي من المجلدات نحو ثلاثة ملايين مجلدا وأكبرها خزانة الكتب
العمومية التي فيها أول ما عرف من الطبع المكتب وفيها بعض تحف عتيقة مثل قطع
من الشطرنج الذي كان أهداه هارون الرشيد إلى شارلمان ووجد فيها من
الكتب أزيد من مليون مجلد منها أزيد من ... ألف مجلد بخط اليد ومن ذلك
الكتب الكتب التي أخذها نابليون الأول من مصر ثم الكتب المأخوذة من الجزائر

وقد رأيت فيها كتبا عديدة عربية ومصاحف كريمة أنيقة ذات أسعار بقطع من
الذهب وخطوط جليلة وكان فيها من المطالعين والناسخين نحو خمسمائة نفس نساء
ورجالا لكن الرجال أكثر على غاية من الادب والصمت وهذه الخزانة مثل قصر عظيم
ذي طبقات ومحل المطالعة واحد ديوان واسع ثم وراءه تلك المكاتب والكتب واعتناء
الدولة ببواعث أهل الاجتهاد والتقدم في العلوم وكذلك انعقاد جمعيات للتحريض والاعانة
بالمال وسائر الوسائل للوصول الى المقصود في خصوص باريس فمنها جمعية اللغة
الفرنساوية وجمعية سائر العلوم وجمعية علوم الادب وجمعية المعارف الظريفة وجمعية
العلوم العقلية وجمعية علوم الطب وجمعية للتحريض على الاختراعات وجمعية علم النباتات
وجمعية علم طبقات الارض وجمعية معارف آسيا وجمعية الاحصاءات الدنيوية وجمعية الجغرافيا
وجمعية علم التاريخ وجمعية الرحمة الانسانية وجمعية الصيدلة وجمعية الفلاحة وجمعية
مقدمات الفلاحة وجمعية تربية النبات والحيوان وجمعية الصنائع الفرنساوية وجمعية
لتعليم سائر العلوم ومما يلحق بهذا الباب كثرة المطابع في أعظمها مطبعة الدولة ورأيت
فيها من أنواع أحرف اللغات التي يطبع بها جملة أنواع منها الاحرف العربية وعدد
المستخدمين بها يقرب من الف نفس وفيها كتب مطبوعة وحدها في كثير من اللغات ومنها
كتب غريبة مطبوعة بالخط الكوفي وغيره ومن المطابع المهمة المطبعة المخصوصة بطرق
الحديد يطبع اعلاناتها ودفاترها وجميع ما تحتاج اليه فيها من المستخدمين أزيد من
مائة نفس وتطبع بالحروف وعلى الحجر بخط اليد وهناك مطابع أخر كثيرة
للصحف وغيرها فان الصحف لها تأثير كبير في المعارف حتى انه يوجد ثلاثمائة صحيفة بين
يومية وشهرية وأسبوعية في السياسة أو التجارة أو العلوم ومنها ما يطبع منه يوميا أزيد
من خمسمائة ألف نسخة وفي بعض الاحيان لا تجد منه نسخة للبيع ادل ان تجد سائق
الكروسة ليس له صحيفة يطالعها فضلا عن غيره وأما أماكن الرحمة كالمستشفيات وديار
اللقطاء فهي كثيرة ويكفي اعظمها ما ذكرناه في المستشفى الذي نظارته الى الحكيم
شاركو واللقيط ينفق على تربيته وتعليمه مجانا الى ان يبلغ أشده وهم كثيرون بسبب كثرة
الرق والزانيات المتجاوز عددهم عشرات الآلاف منهن من هي في ديار مخصوصة لذلك
مجهورة ولهن أطباء من قبل الحكومة لكي يمنعون المريضة بالامراض المعدية
ويدخلونها المستشفى ومنهن من هن في ديارهن أو في الملاهي أو خادمات الى غير ذلك
ومن أماكن الرحمة الدار الرحيبة المعدة للفقراء الذين لا يجدون مأوى وهم قادرون على

التكسب

التكسب فإن هاته الدار تأويهم ليلا وتطعمهم ما يسد الرمق وتعطيهم فراشا بشرط أن
يغسلوا أرجلهم قبل دخوله ولا تقبلهم إلا في الساعة الثانية بعد الظهر وفي السهر يسرد
عليهم قارئ كتابا في تهذيب الأخلاق والحث على العمل ولا يقبل الواحد أزيد من ثلاثة
أيام ومع كثرة المراحم فكثيرا ما يموت الناس في الطرق جوعا أو بردا سيما في سوق الخضر
لأن من لا يجد مأوى يتقي به من الزمهرير يموت بردا (وأما طرق المواصلة) والانتقال
من محل إلى آخر في وسط البلد فلهم وسائل كثيرة كالبواخر في نهر السين تقف على الشطوط
يمينا وشمالا من طرف البلد إلى طرفها الآخر والركوب في هاته البواخر إذا لم تكن
مزدحمة بالخلائق فيه نزهة جميلة سيما خارج البلد أيام الربيع والصيف ومنها ما يمر على
القرى المجاورة للبلد ومن وسائل النقل الترامواي وتجره الخيل في أغلب الأماكن وفي الطرق
القابلة لمروره تجره مرجلة بالبخار ومنها الأمنيبوس وهو مثل سابقه غير أن طريقه
ليس حديدا ومنها أرتال يجرها البخار دائرة حذو السور وتارة تجري في نفق تحت
البلد ومنها الكرارس ولها ترتيب منضبط في باريس أزيد من غيرها لأن التسعير
المرسوم لا يزاد عليه ولا ينقص بخلاف غيرها من البلدان ومع ذلك فإن سائقي
العجلات أظن أنهم في كل بلدهم أسوأ أهلها أخلاقا إلا ما ندر وفي عام المعرض أكدت
عليهم الحكومة التأكيد الزائد وشددت في الحكم على من يتعدى منهم الحدود ومع
ذلك كانوا كثيرا ما يسيئون العشرة ومن الوسائل أيضا الركوب على الخيل لكنه خاص
بأصحابها وأما المكترون فهم أقل استعمالا لها من الكرارس وسائر العجلات
وبالجملة فإن في باريس مائة ألف عجلة ومائة وثمانين ألفا من الخيل وهذا كاف في
بيان مقدار الحركة وأما رواج التجارة والسلع فلنكتف بذكر شيء منها وهو قصر البورس
الذي تروج فيه كل يوم تجارة تجاوز آلاف ملايين وفي أحوال السلع نقتصر على ذكر
مخزن اللوفر الذي هو قصر قدره كبيرة ذو أربع طبقات فيه ستمائة مستخدم وفيه
من السلع كل ما يحتاجه الإنسان من الملبوس وأثاث المنزل والفرش بل وحتى الكرارس
والخيل التي تجرها وإذا دخل إليه المشتري تتلقفه الخدمة بالبشاشة واللين ويطلعونه على
كل ما يريد ويختار ما شاء ويذكر لهم اسم محله ويذهب وهم يأتونه بما اختاره مع صحيفة
مبين بها الأثمان فيما إذا وقع الخلاص فإذا وجد شيئا غير الذي اختاره أو سعرا غير الذي سمع به
رده لا يعجبه وأخذ الباقي وأحضر صك الخلاص بعد دفع الثمن من غير مماكسة في السعر
ولا يخشى المشتري من الغرر لأن السلع هناك أرخص ما يمكن أن توجد لأن صاحب

المخزن بأخذها من العمل ويزيد ثمنها في الغير فيجاوز كل من دخل المخزن الذى
هو حقيق باسم قصر دائه أن يدخل في أنوار الجلوس ويقرأ ما شاء من الصحف ويكتب
ما يريد ويشرب شيأ من المشروب [illegible] وأصحاب المخزن [illegible] مقيد
بها أسماء السلع بأعدادها مع أسعارها [illegible] الكل من أراد ومن يريد [illegible] شيأ من
السلع ولو من الأقطار البعيدة فليس عليه الآن إلا أن يكتب للإدارة [illegible] أسماء ما يريد
بعداده فيأتيه مطلوبه [illegible] ويدفع [illegible] الثمن ويأخذ المطلوب أما إذا تعرف
بتجار وجعل معهم حسابا [illegible] يكون حسب الاتفاق ومثل هذا المخزن
مخزن بومرشي [illegible] ومن غرائب ما رأيته
بباريس القبة الهوائية الكبرى التي تسمى بالبالون وقد [illegible] فارس
[illegible] وقد صنعوا [illegible] كبيرة [illegible] ليحمل من
[illegible] آلة بخارية [illegible] وكل من ركب يدفع
أجرة ركوب عشرين فرنكا [illegible] الاختراع [illegible]
[illegible] جميع باريس وما حولها [illegible] أول [illegible] سنة ١٧٨٣
في فرانسا وهي [illegible] من منسوج الحرير [illegible]
[illegible] الذي هو أخف من الهواء العادي بأربعة عشر ضعفا [illegible]
ضرورة فرق [illegible]
[illegible] باريس [illegible]
عليها زيادة على الماء الذي يرفع من النهر بالآلات البخارية للأول للشرب والثاني
للاستعمال ومن أماكن [illegible] تحت الأرض ويقال إنها
كانت لقطع الحجر ثم صارت مقبرة [illegible] وكذلك [illegible] الوسيعة
التي تجرى [illegible] الآلات البخارية [illegible]
بالتفرج ومن صفات باريس أن أغلب دورها [illegible] على
قدر [illegible] وكذلك [illegible] الديار
ساعات [illegible] كهربائي في مكان [illegible] بحيث تكون جميع الساعات
متساوية الوقت على التحرير الصحيح في [illegible] من غير [illegible] لأصحاب الديار ولبعض
الديار أيضا قنوات لإتيان الحرارة [illegible] الديار حسب إرادة صاحبها [illegible]
على بيوتها من غير [illegible] ولا خوف من احتراقها [illegible] الحرارة [illegible] حرارة
هوائية

هو أيضاً وليس لصاحب الدار الا دفع ثمن هاتيك المرافق شهرياً أو سنوياً بغير أن يحمل المهندسين والساعات لم يتكلف كثيراً ولا يلبث أن يعم وتحاد ساعات البلاد امر مهم جداً في كثير من الامور ولهذا كانت أوقات طرق الحديد في كل مملكة معتبرة على قاعدة تلك المملكة فتجد جميع ساعات المحطات متحدة على وقت واحد

الفصل الثالث

﴿في بقية البلدان التي شاهدتها بفرانسا﴾

فاولها بلد فرسايل هي غربي باريس تبعد عنها مسيرة نصف ساعة في الترن وهي منتزه الملوك وبها قصور أنيقة وبدائع من تحف الملوك وما أزهى منها الكراريس الرسمية التي تباع قيمتها بالملايين لما فيها من الذهب والفضة واتقان الصنعة وحول تلك القصور البساتين والحدائق الجميلة ذات المياه المتدفقة والبرك الواسعة فقد جئتها سنة ١٢٩٥ وهي سنة المعرض عند قيامها للزينة واندفاع المياه فرأيت هاتيك الحدائق مملوءة بقناديل الانوار الملونة كهيئة كثرة النجوم وشماريخ البارود بالوان واشكال صاعدة ونازلة ودائرة ومنابع المياه طائرة في الهواء كل عمود منها في غلظ نحو نصف ذراع مرتفع عن منبعه نحو اربعين ميترو فكأنها منائر من الزجاج تبرق بسطوع الانوار عليها وكذلك انواع اخر من المنابع ترمي الى امامها على استقامة الى امد بعيد وكل تلك المياه منبعثة من نهر السين بآلات قوية بخارية والمتفرجون عدة مئات الالوف وحول البلاد غابات وممشى جميلة والبلاد واسعة الطرق نظيفة طريفة والقصور الملوكية ليس بها من المفروشات الا قليلا من آثار الملوك محفوظ عليها على ما كانت عليه وقد رأيت بها كلا من مجلس الاعيان والنواب كانا نقلا الى هناك بعد حرب المانيا سنة ١٢٨٧ ه ١٨٧٠ م وكان جلوسي في بيت رئيس الجمهورية اكراماً منه لي على عادتهم في الاكرام عند ذلك فاما مجلس الاعيان فلم يكن به شيء من المسائل المهمة ذلك اليوم اذ هو يوم تصحيح قانون استقر عليه رأيهم في اقتراضات واصلاحات للولايات حتى رأيت الاعضاء كل مشتغل بالحديث مع صاحبه والكاتب يقرأ في القانون ولما كثر لغطهم نبههم الرئيس مراراً للاستماع فكأنه لم يخاطب أحداً واضطر للسكوت وذلك لان ذلك القانون قد تباحثوا فيه مراراً واستقر الرأي فيه وطبع ووزع على الاعضاء وعرفوه تفصيلاً فكانت قراءة الكاتب اليه قراءة رسمية ابتغ الاسماع عليه فقط واما مجلس

النواب فتذاكروا فيه على مقتضى أولاهما طلب وزير المالية الرخصة في صرف خمسة
آلاف فرنك على جنازة أمير آلاي يدعى السيد بيسمنه من العرومات تحت السلاح وفقيرا بعد
أن ذكر تاريخ حياته وما أثره وطلب إجراء خمسة آلاف فرنك سنويا لعائلته وأن ذلك
المطلب استقر عليه رأي الوزراء فما ختم كلامه إلا وارتفعت الأصوات من جهات اليمين
منكرين لذلك ووردت عليهم أصوات أصحاب الشمال واشتد الوطيس بين الفريقين إلى أن
التزم الرئيس بإسكاتهم وعدم اتباع تفرقة فرحت الأكثرية بموافقة الوزراء فقالت
لرفقتي هل رأيتم ما وقع قالوا نعم لكن ما قصدك فقلت إن دخل دولة فرانسا نحو ثلاثة
آلاف مليون وقد اتفق وزراؤها ورئيس الدولة على صرف خمسة آلاف فرنك على رجل
بذل في خدمة دولته والدفاع عن استقلالها عمره ومع ذلك لم تستطع الدولة أن تنفذ
أمرها في مال الأمة إلا بعد مشورة أهل الحل والعقد وموافقتهم وعند ذلك لا تصرف المال
إلا في وجوهه لا على اختيار فرد ولا على مداراته ثم قام وزير الخارجية وذكر ملخصا في تجديد
معاهدة تجارية مع إيطاليا وأن شرح الرسالة توفي به أخوه الذي هو أيضا عضو في
المجلس فقام هذا العضو خطيبا فصيحا وعند ذكر ملخص تاريخ التجارة بين المملكتين وأن
إيطاليا أربح تجارة من فرانسا وطلب تعديل فصول في المعاهدة السابقة فوافقوه على
ذلك (وثانيها) بلد السيفر وهي قرية على نهر السين قرب من باريس نحو نصف ساعة في
العجلة وبها معمل السيفر للخزف وبستان أنيق وقصر ملوكي (وثالثها) بلد صان كلو
بقرب السابقة وفي بعض مبانيها والحاصل أنك إذا خرجت من باريس راكبا كروسة
إلى فرسال فإنك ترى كأن البلاد الثلاثة المتقدمة متصل بعضها ببعض ولا ينتقل من
واحدة إلى أخرى بالرتل وبالكروسة وبالترامواي وبالأمنيبوس وبالبواخر النهرية
سوى فرسال فإن النهر لا يوصل السفن إلى فرسال (ورابعها) بلد فونتين بلو التي
هي أصغر من فرسال وعلى نحوها لكن ليس بها إلا قصر واحد ملكي وبه أثاث
لنابليون الأول ومنها مائدة كانت أمامه وقت إعلامه بانكسار جيوشه فعندما تعصب
أوروبا عليه وكان بيده موسى فضرب به المائدة غيظا ولا زال أثره فيها لكن هاته
البلد منفصل عن غيرها بما حولها من الغابة ذات الأشجار الفائقة ومحيط الغابة نحو
أربعين ميلا وفيها من الطرق والمقاعد ما يفرح النفوس وفي وسط الغابة قهاوي
ومعامل لخرط تحف من أخشاب الغابة وفيها كثير من الصيد كالبقر الوحشي وغيره والغابة
متصاعدة في جبال جعلها كما شاء الله من النبات وفيها صخرة يعتني بالتفرج عليها

سقطت

سقطت على حجارة صغيرة كانت في الوسط فصارت الصخرة تتحرك كلما حركها أحد
مع عظم جرمها وفي الجبال عيون كثيرة وبحيرة حول البلد مشهورة هي من منتزهاته فرأينا
المقصودة (وخامسها) بلدة ليون وهي بلدة كبيرة ذات جمال آنق وبناآت أنيقة
ويخترقها نهران أحدهما يسمى هارون منحدر بسرعة وتسافر فيه البواخر بقلة
وثانيهما نهر السون ثم يجتمع النهران خارجها ويذهبان الى البحر وهي متوسطة بين
مارسيليا وباريس ومنظر الجبل الذي حولها عجيب صباحه فمنتزهها المطل على النهر
الاول ويصنع في مطاعم ذلك المنتزه طعام من سمك النهر الاحمر يتغالون في ثمنه وعلى النهر
عدة جسور في البلد أحسنها الجسر الحديد ذو القوس الواحد المعلق وسطه في اطرافه
بسلاسل وأحسن أماكن هاته البلدة هو بطحاؤها الكبرى التي بها قصر البورص وقصر
الحاكم وبها البراطور عليهم الحذق في الصناعة لان هاته البلدة هي أشهر البلاد في التجارة
بمنسوجات الحرير فكانت السكان قليلو الجولان في الطرقات اذ اغلبهم منكب في المعامل
وتجارة أهلها شهيرة في المعمور ورأيت بها الطريق في الجبل الذي يصعد فيه الترن صعودا
بينا حيث كان قسم من البلد في أعلى الجبل وقسم في أسفله فجعلوا طريقة حديدا
لتقريب الطريق واستعملته تسهيله للراكب حتى يصعد مستقيما ووضعت فيه حاولة
وسيعة تحمل نحو خمسين نفسا ويجذبها للصعود حبل من سلوك من الحديد بآلة
بخارية الى ان تصل الى أعلى الطريق وينزل الراكب منها ويمشي ذات الشمال وقد وافقت
بهاته البلد ومناولته وهي ليست الا محلا للتجارة (وسادسها) المدينة مارسيليا التي هي أعظم
مرسى تجاري لفرانسا بر وفي البحر الابيض وهي بلدة كبيرة ذات جمال ونزهة وفيها حركة
عظيمة للتجارة الى سائر الاقطار وفيها اخلاط من السكان من سائر الاقطار وأحسن
طرقها طريق كانوبيار فيه قهاوي ومقاعد ربما فاقت بجمالها على قهاوي باريس وفيها
منتزه يسمى لونشان في أعلى مكان بها ومنه يصدر الماء المجلوب اليها على حنايا ذات بناء
متين وبمحل اقسام الماء له منظر بديع من حسن البناء وتأنقه وحوله حديقة نزهة وبها
حيوانات عديدة من أنواع شتى ومن محلات نزهتها دار الآثار القديمة قرب شاطئ
البحر وقرب محل السباق وأنزه قصر بها هو القصر المسمى اوتيل دو ديزيرق المتحد
معهما على ربوة من الجبل المحدق بالبلد محيط بالقصر من جميع جهاته رواقات على
اسطوانات بشكل جميل مع تنميق البناء وحسن الفرش واما كل محيط به حديقة ظريفة
فهو نزهة الخواطر ولولا ان منظر البحر عشية تكدره الشمس لانه غربي المكان اجل

ما رأيته من نوعه أما قوة حركة التجارة بهاته البلدة فهي عبرة للمتبصرين وذلك انك
تشاهد من حركة العجلات والسفن والقوارب والاثقال وكثرة البضائع من أنواع شتى
داخلة وخارجة الى الصين وأمريكا وسائر الاقاليم وترى من المخازن التي هي حقيقة
باسم قرى لكبرها وكثرة ما فيها من السلع ما يحير الفكر كما ان قصر البورص بها يكاد
يحاكي بورص باريس والحاصل انها هي ثاني بلاد باريس فيما رأيته بفرانسا وأما
مرساها فهي ذات حوضين عظيمين لأمن السفن وترى فيها من البواخر وغيرها ما يشبه
الغابات المشتبكة وقد وردت على هاته البلدة ثلاث مرات في سفراتي وأقمت بها عدة أيام
ذهابا وإيابا (وسابعها) البلدة طولون التي هي أول مرسى حربي على البحر الابيض وهي بلدة
حربية اذ لا تجارة لها ولا انشراح بالنفس فلعمري ما أكثر فيها من الحصون والاحواض
لانشاء السفن والمدرجات والمعامل لانشاء المدافع والمكاين والالغام البحرية وغير ذلك
من قوات الحربية شيء كثير ورأيت فيها احدى عشر حوضا بكل واحد سفينة مشتغل
بانشائها منها ما هو على تمام ومنها ما هو في البداءة والخلائق منهمكون على الاجتهاد
كالنمل في الصيف وقد كان سفري اليها سنة ١٢٩٠ وكان مصاحبا لي في الرتل صهر
الصين القادم بالاستدعاء للمعرض وهو وزير البحر عندهم وهو رجل مسن شعره خفيف
على عادة أهل الصين وكل لحيته وشواربه بيض نحيف الجسم ومعه غلمان لا ادري أهم
ابناؤه أم اتباعه ومعهم غيرهم من الاتباع مجموعهم نحو ثلاثة عشر رجلا وكان راكبا في
حافلة منفردة هو وأتباعه والحافلة ذات مخادع ومقاصير ومراحيض بحيث لم ينزل منها
مدة السير الى ان وصلنا الى طولون فنزل هناك حيث أعدت له دولة فرانسا باخرة حربية
ذات طبقتين من المدافع لتوصله الى مرسى بلده في الصين وكانت الباخرة متأهبة ذلك
اليوم للمرحبين والحاصل ان هاته البلدة بلدة حربية تظهر عليها علامات القوة والشارات
العسكرية وأقمت بها نحو ستة ساعات (وثامنها) بلدة نيس التي هي على شاطئ البحر وهي
مأوى الاغنياء وذوي الترف من الفرانسيس وغيرهم من أهالي الاقطار الباردة في الشتاء
وذلك لان موقعها على جون مستقبل الجنوب ويحيط بها من بقية الجهات سلاسل جبال
شاهقة تمنع عنها مرور الرياح الباردة فكانت مأوى في الشتاء حسنا وكثرت بها القصور
والمباني الجميلة ومنازل المسافرين الرحيبة وجميع ديارها صغيرة لا تزيد على أربع
طبقات سوى منازل المسافرين وذلك لان عادة الانكليز في بنائهم على ذلك النحو
وهم أكثر القادمين الى هاته البلدة ولان غيرهم أيضا انما يقدم منهم ذوو الترف المتعودين

على

على سكنى الانفراد فلذلك كانت مبانيها جميلة ذات بهجة وسياج حدائقها من الآجر
أو الحجر مرصوف على أشكال حسنة والبلدة يشقها نهر تجرى فيه المياه عند نزول الامطار
فقط وعليه عدة قناطر وليس بها ملاهى لكن لما قدمت لها صباحا وجدت البلد كأنه
خال من السكان لقلة من به بالنسبة لكثرة البساتين والديار المنفردة وليس بها ملاهى
مشتغلا سوى الملاهى الصيفى على شاطئ البحر ويقرب من هذه البلدة عدة بلدان هكذا
على نحوها ظرافة ونزاهة وأقمت بها ليلة ويوما (وناسعه) بلدة أياتشو وهى قاعدة جزيرة
قرسكا وهى مرسى امينة صناعية ومن عاداتهم فى المراسى ان البواخر مهما وصلت اليهم
اشعلوا لها القناديل وانهم يسارعون فيحصون اهلها وتنزل غيرهم وكذلك الركاب بحيث ان ساعاتها
المعينة لا تتأخر بها او عند المسافر فى المرسى وصولها لضروريات ما يحتاج اليه وهى
منورة وهاته البلدة ظريفة جميلة ذات اشجار كثيرة من النارنج والليمون فكانت
رائحة الزهر عند حلولى اليها فى الربيع عابقة وفيها ساحة وسيعة بوسطها صورة نابليون
الاول والدار التى ولد بها لا زالت على هيئتها وورثته المحافظ عليها كالمصالح العامة
لانه من رجال السياسة المعدودين فى الدنيا ورقى اسم فرانسا الى درجة عظيمة وهو فى
الاصل من عموم أهالى هاته البلدة وأقمت فيها بضع ساعات ولما أوقدت المصابيح ليلا
عند الغروب ثم طلع البدر قصدوا لبعض منها اقتصادا وهاته هى المدن التى دخلتها
وأقمت فيها بفرانسا فى المرات الثلاث وعند رجوعى الى الوطن فى المرة الاولى
راكبا من مرسيليا وكان ذلك فى يناير الموافق لمحرم سنة ١٢٩٣ ليلا صادفت هيجانا
عظيما فى البحر حتى كادت ان تهلك الباخرة من فيها وانكسر بها عمودان من حديد
معلق فيهما قاربا ومات ثلاثة من الخيل وانكسرت رجل أحد الركاب ولم يستطع أحد ولو
من النوتية ان يتحرك من محله رجاء فى السفر صباحا بعد هدو البحر مهنيا بالسلامة
وأخبرنى انه لم ير مثل تلك الليلة وانه ربط نفسه بحبل مع عمود الباخرة ليستطيع الثبات
فى مكانه وما وصلت الباخرة الى جزيرة كرسكا الا بعد ميعادها باثنى عشر ساعة ومن غرائب
المرائى انى رأيت فى الليلة الثانية فى الهيجان سنة من اسنانى سقطت وكأن احداى
ما لوى عنها وكنت أسلى نفسى بانها كانت غير ثابتة بل مضطربة ولذلك لم أجد ألما فى
نزعها فلما أفقت انقضت من تلك الرؤيا ولم أعلم ما تفسيرها فلما وصلت الى الوطن ظهر
لى فى أوجه الاحباب الملاقين عذرا وفى اثناء الطريق مررت على الفاضل محمد السنوسى
هاته الابيات قال

فاشكر الملك واذكر النعم التي * ردتك بعد تلاحم الاهوال

فأتيت أرضك سالما وأعزما * تلقاه فيها فوزكم بالآل

فترى بنيك من السلامة في حلى * موصوفة منكم بكل كمال

وجميع أهلك والاحبة كلهم * يلقونكم بتساحب الاذيال

هذى هي النعم التي لم توفها * حق الثناء على الولي المفضال

وهو الذي أبقى اليك الاخ كي * تسمو برتبك في حلى الاجلال

أولم تصب في غمر ليلة أمسنا * والآن ترقب منك خير هلال

فاشكر الملك صابرا متيقنا * بجزيل فضل الواحد المتعالي

فاعلمني بوفاة أختي الوحيدة رحمها الله ونعمها وكنت تركتها مريضة بالسل فتوفيت قبلة قدومي بعد تلك الرؤيا بايام وحضرت جنازتها واعلم بان رؤيا مثل ذلك تدل على موت الاقارب لا بعد ان حللت في الاستانة سنة ١٢٩٧ فذكرت في الوصول الى المقصود بالاقامة وهو ان أحد الملوك كان رأى ان جميع اسنانه سقطت فأتى بمعبر فقال له يموت جميع أهلك فبطش به ثم أتى بمعبر آخر فقال له ان الملك أطول عمرا من جميع عائلته وأقاربه فتعجبت بتذكر ذلك الرؤيا الى ان قال لي المحدث ان أمر هذا مشهور في علم الرؤيا فقلت نعم انا قد شاهدته في نفسي لكني لا اريد معرفة هذا العلم لانه يشوش الفكر ولا يكاد يتوصل فيه الا القليل لان له شروطا في الاحاطة باحوال الرائي ووقت الرؤيا والاحاطة بالمرئي الى غير ذلك وربما غفل عن شيء منها فيتغير المعنى وأما أصل العلم فلا شك في ثبوته وما أوتيتم من العلم الا قليلا ويكفي في ثبوت هذا العلم الاحاديث المروية في صحيح البخاري ومنها ان الرؤيا الصالحة جزء من ثلاثة وستين جزأ من النبوة وأما سفري الثانية الى فرانسا سنة ١٢٩٥ فكانت من تونس الى مرسيليا بوابور الساعية البريدية على بلد بونة من اعمال الجزائر وكان البحر في غاية الهدو حتى رأيت على سطح الماء قطعة من نبات بحري مثل قطع القطن المنفوش متكاثرة وهي قليلة الظهور وانما ترى عندما يكون الماء في غاية السكون كما رأيت أعمدة من البحر منبعثة بقوة مثل أعظم المواسق فاخبرني انها من نوع سمك يفعل ذلك وان منها العظيم الذي اذا صادف عليه ذلك احدى السفن الصغيرة ربما اغرقها وهو من عجائب المرئيات وكذلك عند رجوعي من هاته السفرة كان البحر مثل ذلك الى ان وصلنا الى بلد الجزائر وكان الوصول اليها صباحا بعيد الشروق لكننا لم ننزل البر وكان البعض أخبرنا بالوصول لكنه لم يذكر البرمع تيقنه بالحساب للوصول

التزم الوقوف وذلك لكثرة السحاب المتكاثف ذلك الصباح فلما انقشع السحاب بظهور
الشمس الا ووجدنا البركانة في مقدم الباخرة والمرمى عن يمينها فكان من لطف الله
الدارك بالوقوف والتزمت الباخرة ان ترجع القهقرى الى ان تيسر لها الدوران وتحاشت
المرمى وسيأتي الكلام على مملكة الجزائر في باب مخصوص (واما) السفرة الثالثة
فكانت على طريق ايطاليا ومنها الى مرسيليا ومنها الى انكلتيرة وهكذا الرجوع ولم
يكن البحر اذ ذاك الا على ما هو معتاد ومما حدث في الوطن في سفرتي الاولى وبلغني خبره
وانا في باريس ظهور دعوى وقعت بساطة من الشيخ المسن التقي احمد بن المهدي
في العمل بالسنة حسب ادراك كل من فهمها وترك الاخذ باقوال الائمة المجتهدين
واختلفت الروايات في واقعة ومدارها تصميمه على رأيه وتعصب العلماء عليه الى ان
حكموا بنفيه فارتحل الى مكة المكرمة ومات بها رحمه الله وتحرير الكلام على المسئلة
باختصار حسبما وعدنا به في الكلام على جزيرة العرب هو ان يقال ان الشيخ
المذكور هو من تلامذة الشيخ السنوسي ذي البسط الشهير علما وعلى غرار هذا التلميذ
هو دون شيخه عن مراحل في العلم والف رسالة اراد ان يذكر فيها ما طرق بفكرة شيخه فلم يوف بها
وتحرير المعنى المقصود لضعفها ومدار هاته الرسالة ان لا يقلد احدا الا المعصوم ولذلك يجب
على الامة ان لا يعملوا الا بالكتاب والسنة ويتركوا ما وراءهما ولا يخفى ان ظاهر ذلك يوقع
في افساد الشرع حيث انه لا خلاف في ان لا اتباع الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بما في الكتاب والسنة لكن اين اهل العلم منهما واين ادوات ذلك التي كانت في صدر
الاسلام سابقة وصارت على التدريج صناعة وعلوما تتعلم وتدلى الامر حتى لم يبق من
يوفيها حقها واذا اسوغنا لكل احد ان يعمل بما يراه مع ما هو عليه من الجهل كان ذلك
هو عين الفساد ولذلك لزم اتباع الاجماع والاجتهاد من اهله المسلم اليه وقد كانت
المجتهدون كثيرين في الصدر الاول فمنهم من كثرت اتباعه وتسلسل النقل لاقواله الى الآن
وهم الائمة الاربعة ابو حنيفة ومالك والشافعي واحمد بن حنبل رضوان الله عليهم ومنهم
من انقطع النقل عنه فلا يجوز الآن تقليده لعدم صحة السند في مذهبه بالنسبة لاهل
العصر والاحكام سواء بالنسبة للمقلد وكل من ليس له ملكة الاطلاع على الادلة
ومناطاتها وترجيحها فهو عامي وله ان يقلد من شاء من الائمة المجتهدين لقوله تعالى
فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وبذلك تحفظ الشريعة لان سند الاجماع هو
نص من الشارع وسند القياس والاستنباط من نص الشارع ايضا فرجع الامر الى

ان لا عمل الا بالكتاب والسنة والشيخ السنوسي رحمه الله مقرر لذلك في رسالة له الفها في
المعنى المتقدم واختصرها تلميذه اختصارا مخلا وذلك ان الشيخ السنوسي قرر في رسالته
وجوب الاتباع للشارع والتباعد من العمل بالرأي والبدع وحث على وجوب خروج
المكلف نفسه من حضيض التقليد الى درجة الاجتهاد والكمال حتى يقدر ان يفهم
كلام الشارع ثم ذكر شروط ذلك وانه اذا ابتلى الانسان بالقصر فحينئذ يلتجئ الى تقليد
ائمة الهدى وعلى الناقل منهم ان يتثبت في النقل كي لا ينسب لاحد ما لم يقل به كما
يقع كثيرا في تفريعات بعض المتأخرين فيخطئون في التخريج ومع ذلك ينسبون القول
لاحد الائمة فيما لم يقل به بل نقل عنه انه قال على ما هو عليه من العلم واتساع الباع انى
اذا استفتيت في مسئلة من مذهب مالك فانى لا افتيه الا بما نقل عن ذلك الامام ولو
كنت مرجحا لغير قوله حسبما اطلعت عليه من الادلة وذلك لان المستفتي انما سألني
عن قول مالك لا عن قولي والحاصل انه في نفسه يرى صحة الاجتهاد له ويرى على كل
مكلف ان لا يغش نفسه الى تلك الدرجة فان لم تحصل فليقلد المجتهد ورأيت في تاليف كثير
من اهل العصر في الصدد النحو الى هذا المعنى وان من له اطلاع على الادلة ومداركها يجب
عليه اتباع الدليل وكان هؤلاء العلماء يعدون من هو من طبقة اهل الترجيح
المنصوص عليها في كتب الفقه

الفصل الرابع

﴿في التعريف بفرانسا﴾

(اعلم) ان فرانسا من ممالك اروبا الغربية وتبتدئ من عرض درجة ٤٢ ودقيقة ٢٠
ثم الى الى درجة ٥١ ودقيقة ٥ من العرض المذكور ومن طول درجة ٦ ودقيقة
٥٠ شرقي الى درجة ٧ ودقيقة ٩ من الطول الغربي لان مبدأ الطول عند كثير من
المتأخرين هو باريس التي هي قاعدة هذه المملكة وحدها جنوبا البحر الابيض واسبانيا
وشرقا ايطاليا وسويسره والمانيا والبلجيك وشمالا بحر المانش وخليج كالي الفاصل بينها
وبين انكلاتيره وغربا البحر المحيط الغربي فلذلك كانت ذات موقع جسيم ونفوذ برا
وبحرا في ثلاثة ابحر محيطة بها وبها مواعد جزر منها كرسيكا وجزر يارس في البحر الابيض
وجرزي واوليرون وريسان في المحيط وفيها جبال كثيرة واعظمها جهة الشرق
كالطورا والالب وتتصل بها سلسلة مارة جهة الشمال الى جهة الجنوب الغربي فتتصل

بجبال

وجبال بيرنى الفاصلة بين فرانسا واسبانيا واعلى جميع جبال فرانسا هو جبل اوروفان ارتفاعه على سطح البحر قدما ٩٢٣٠ وليس بها جبال بركانية واما انهارها فهى كثيرة وليس بها ما يحمل السفن الكبيرة وانما البعض منها يحمل الصغيرة واشهر انهرها نهر السين الذى يخترق باريس وطوله ميلا ٤٥٠ ويصب فى المانش ثم نهر اللوار وطوله ميلا ٦٠٠ ويصب فى المحيط الغربى ونهر رون وطوله ميلا ٥٤٠ وهو عميق سريع السير ويصب فى البحر المتوسط ونهر جيرون ويصب فى البحر الغربى الى غير ذلك من الانهر وبها من الترع نحو من تسعين ترعة ولا زالوا مجتهدين فى تكثيرها ووصلة الانهر والبلدان بعضها ببعض لنقل المراكب والبضائع زيادة على سقى الاراضى ويبلغ طول هذه الترع جميعا نحو خمسة آلاف ميل واما بحيراتها فاهمها فيها الثلاثة (اولاها) بحيرة ديورجى حذو جبل الموسنى طولها تحدق بها مناظر جميلة ويرعى فى شاطئها طريق الحديد (وثانيتها) بحيرة دنسى قرب جبل الالب وكلاهما جار يصب فى نهر الرون (وثالثتها) بحيرة آنفان قرب باريس واما هواؤها فالجهة الشمالية منها باردة والجهة الجنوبية معتدلة وينزل الثلج فيها جهة شتاء ومع ذلك فهواؤها سليم لائق بالصحة ولا يقع فيها الضباب الا قليلا وهو مستمر مدة ما صادفته فى سنة ١٢٩٢ وذلك انى قصدت زيارة أحد معارفى قرب الغروب نحو الساعة الرابعة بعد الزوال فخرجت فى الساعة السادسة بعد مضى الغروب بنحو الساعتين فوجدت الطرقات فى غاية الظلمة ولم ادر الى أى جهة الطريق فتعجبت من ذلك وسألت صاحب البيت ما بالهم لم ينوروا الطرقات تلك الليلة فقال كلا ولكن الضباب منع نور الفوانيس من الظهور ومع ما عليه باريس من كثرة التنوير فارسلت ليؤتى لى بكروسة فلم يدر المرسل الطريق واضطررت الى تتبع الناس لعلمهم التحذر من المصادمة وكنا على قرب موضع الكراريس فذهبنا الى جهتها ولم نر نورها ونبهتنا الاصوات للوصول اليها فلما أردنا ركوب احديها امتنع صاحبها وكثر اللغط بينه وبين التابع فجاء أحد الضابطية والزمه بان يركبنا ويوصلنا الى منزلنا فاجابه بانه غير ممتنع لكن الخيل لا تمشى لانها لا ترى فقال اركبوا الى ان نصل وسعا فلم يكن غير يسير حتى ظهرت المشاعل على وجه الارض بيد الضابطية وغيرهم مشاعل من حبال غليظة تحرق وتقاد باليد فى الهواء على وجه الارض على نحو ما يفعله البوادى فاخذ سائق الكروسة رحلانهم ومكنه من أحد تلك المشاعل وحمل هو يسوق الخيل وراءه الى ان أوصلنا واعطينا المرسل احسانه وكنا نسمع صهيل الخيل بكثرة فى تلك الليلة مع قلة سيرها ...

على كثرتها وكذلك كثر نباح الكلاب وزاد حسها وضوضاؤها وحس العجلات ولما وصلنا
الى البلد ارعى كثرة تنوير حوانيته وقهاويه لم يظهر منها شئ الا اذا لصق الانسان بابه انوس
فانه يرى نوره مقصورا عليه وقد كثرت تلك الآلة بمصر الاحمر وشيدت بشأنها وان مثلها
كثير بانكلترا البلاد وبهارا أما البرد فهم مستعدون له لباسا وسكنا ولهم عملة لازالة الثلج من
الطرقات وشدة ذلك البرد مع طول مدته أهون من شدة الحر في الصيف الذي لا تطول
مدته لانه يكاد أن يكون الهواء منقطعا من شدة سكونه وحره وأما نباتات فرانسا فينبت
بها جميع نباتات أراضي الاعتدال والاراضي الباردة بالنظر لجنوبها وشمالها وعلى
الاجمال فالجهة الشمالية منها أجمل منظرا لان في الجنوب جبالا صخرية وأراضي غير
صالحة للزراعة وأهم نباتاتها العنب خصوصا جهة بوردو وشمانية لكن في هاته السنين
الاخيرة أصيب بمرض أوجب خسائر بليغة وفيها من الكمثرى أنواع فاخرة لذيذة سيما
في الشتاء وطبخه وطبخها ساحسن لكنهم لا يأكلون البطيخ الاخضر المعروف بالدلاع
أو الحب وعندهم أكله معروفة وجميع فواكهها وأشجارها حسنة وفيها آجام وغابات
لاخشاب السمر وغيرها كثيرة جدا وأما حيواناتها ففيها جميع الحيوانات الانسية والنعم
وخيلها على ثلاثة أنواع (فأولها) العراب المنتخبة وهي مخصوصة للركوب (وثانيها)
البراذين وهي لجر الاثقال والحوافل الكبيرة للركاب (وثالثها) المختلطة من نسل الذكورات
ويستعمل لكلا القسمين لكن أكثره بجر الكراريس ومنه يجعل للغاية القصوى
والبغال بالنسبة الى الخيل قليلة الاستعمال وأقل منها الحمير ورأيت في باريس ان الحمير
الاناث الوالدات يطاف بها بكرة الصباح على الازقة تحلب لمن يشتري لبنها وهي نظيفة
حسنة والبقر ضخم جدا يعتنى بتسمينه للاكل ولهم على من يبرز بأكثرية التسمين
جوائز حتى بلغ مرة وزن ثور منها بضعا وأربعين قنطارا وتستعمل للحرث أيضا ولجر الاثقال
بقلة والغنم من النوع الذي له ذيل وذوات الالية قليلة وأما أنواع الحيوانات المتوحشة
فالظن انه لا يوجد منها الا الدب والذئب والثعلب والخنزير وأما غيرها فقد انقطع من
هناك للاعتناء بقطعه مع كثرة العمران ثم يوجد منها غريب في الامصار كالاسود والنمر
ويتولد الاسد ويرضع بنيه كلاب كبار لتقليل جرأته ولعدم ضعف والدته وأما الثعابين
والحيات فهي قليلة ولا يزالون مجتهدين في قطعها من غابات فتنتهي بالوجود ولكل من
أتى بحية منها مقدار من المال أما في باريس فلم أسمع بوجود عقرب ولا غيرها من الحشرات
ولا خنفسة وكان ذلك لشدة الاعتناء بنظافة الديار والطرقات حتى لا تكاد تجد في حائط ما

مغرز

مغروزة صغار وكلها متقنة الى ظاهرا وباطنا بالجص أو الرمل والجير سواء الظاهر والباطن
مع عدم وجود الخراب في أي جهة ثم في الجنوبي من المملكة يوجد البق والذباب وغيرهما
من الحشرات وهي أيضا قليلة في المدن بالنسبة لما نعرفه في البلاد التي تشبه تلك البلاد في
الحر وطيورها كثيرة رحالة ومقيمة ولا يصطاد منها الا في أوقات معلومة كما أنه ليس لاحد
أن يصطاد الا برخصة من الحكومة يؤدي عليها معلوما وليس له أن يصطاد في أرضه
المعدة لذلك أو أراضي العامة المعدة لذلك برخصة فيها من الحكومة أو يدخله غيره أرضه
برضاه ومن خالف ذلك عوقب وأنواع الصيد كثيرة ومنها من نوع الغزلان كثير (وأما مدن)
فرنسا فقاعدتها باريس وقد تقدم ذكرها وهي مائلة الى الشمال من المملكة و[illegible]
المملكة تنقسم الى ستة وثمانين ولاية كل ولاية لها مدينة هي مركزها ويتبعها عدة أوطان
لكل وطن مركز ويتبعه عدة أوطان صغار وهذه أيضا الى أصغر منها فمجموع النوع
الاول من الاوطان عدده ٣٧٠ والثاني عدده ٢٩٣٨ والثالث عدده ٣٧٥١٠
ولكل منها مدينة أو قرية هي مركزه وهي حينئذ كثيرة جدا ومن أشهرها ما تقدم
ذكره هنا (وأما معادنها) فليست بكثيرة لكن منها لغني للغاية فالذهب لا يكاد يستخرج
من محله وان وجد لانه لا يوفي بمصاريفه والفضة موجودة بقلة ومثلها النحاس والفحم
الحجري كثير جدا وكذلك قطران الارض وأنواع من الحجر والرخام الابيض ومنه الشفاف
وأنواع عديدة من الحجارة كحجر الشمع وأنواع الجص والكبريت ومقاطع الحديد
والرصاص كثيرة وبها حجر الزجاج والمياه المعدنية نافعة شهيرة كحمام فيشي وحمام
برني (وأما مراسيها) فكثيرة حربية وتجارية وقد تقدم ذكر بعضها ويقاس عليه ضخامة
وجهة باقيها (وأما سكانها) فأصلهم القديم من قبائل عظيمة وردت الى هناك من المشرق
في أوقات مختلفة وأشهر القبائل قوم من الكلتيين وقسم منهم عبر البحر الى انكلتيرة
واتصل معهم في فرانسا قبائل أتت من جنوب افريقيا يسمون الباسك ولا يزال الى
الآن سكان جبال برني يتكلمون بلغتهم ثم وفد عليهم الرومانيون ثم هجمت عليهم قبيلة
الافرنج الآتية من الشرق واستوطنت قبل ذلك في البلجيك ثم تغلبت على قبائل
فرانسا واختلط نسل الجميع واتحد باسم الافرنج ثم حول الى الفرانسيس وصاروا الآن
جنسا واحدا وهو الفرنساوي الا أهل نيس وصافوا وجزيرة قرسكا فهم طليانيون وعدد
الجميع ستة وثلاثون مليونا ونصف عدا ما في مستعمراتها والديانة الغالبة هي النصرانية
على المذهب الكاثوليكي وقد كان هو مذهب الدولة الرسمي لكن الآن لم يبق من الدولة

اعتبار له بانه او مذهب خاص حتى انها ازالت سنة ١٨٨٠ علامات التمذهب
الديانية عن الاماكن العمومية والمكاتب كما يوجد فيهم المذهب البروتستانتي وديانة
اليهود وتوحيد الدهرية بكثرة وقليل موحدون بالعقل او باتباع لعيسى عليه السلام
ويتبع فرانسا مستعمرات في افريقية فهي الجزائر وادعت بالحماية على تونس
واستولت على سانيغال و جزائر غوري وسانت ماري و بوربون وعدد سكان هاته
المستعمرات نحو الخمسة ملايين منهم مسلمون نحو اربعة ملايين والباقي على مذاهب
وديانات شتى ويتبعها في قسم آسيا ارض بونديشيري وكاريكال وماهي ويناون
وشاندرنغور كلها في شطوط الهند كما لها سايغون في كوشنشين الصين وعدد سكان الجميع
نحو الثلاثمائة الف ولها في امريكا جزائر سان بيير وميكلون ومارتينيك وغوادلوب
والغيان الفرنساوية وسكان جميعها نحو الثلاثمائة الف ايضا ولها في الاقيانوس جزر
مركيز وتاييتي وسكانها نحو الستين والخمسة وسبعين الفا فجميع السكان والملحقات نحو
اثنين واربعين مليونا

الفصل الخامس

(في اجمال تاريخ فرانسا)

مطلب

في تاريخها القديم

كانت هاته المملكة تسمى قديما غاليا او غاليه ويجهل الحال في تاريخها القديم اعني
ما قبل تاريخ الميلاد بالف وستمائة سنة ومن هذا الوقت عرفت احوالها فكان اهلها
شجعانا حاربوا من جاورهم ولم يخضعوا لدولة الرومان الا بعد مشقة ثم انتقلت فرانسا
عنهم باستيلاء امة الافرنك في القرن الخامس وذلك انها خضعت لعدة رؤساء متعددين ثم
خضع الجميع لملك سنة ٤٢٠ مسيحية واول عائلة معروفة من ملوكها تسمى الميروفنجيين
وفي مبادي القرن السادس تغلب اسم قبيلة الافرنك على جميع الاهالي لانتصارها على
جميعهم ثم قلبت الصاد في سيناوه صارت فرانسا وذلك لقب الحاق عليهم ماخوذ من
فرانكس اي شجعان ثم انقسمت الى عدة ممالك واتحدت عدة مرار وكانت شوكة
الملوك ضعيفة فيهم والنفوذ الى جمعيات الاعيان التي تجتمع كل سنة وتختار الملك وتعين
السيرة

السير في الادارة حتى كان للاهالي حرية تامة بل قد تخرج عن الاعتدال الى التهور وقد ذكروا انهم كانوا يقتسمون الغنائم ويعطون الملك حصة كآحاد الجيش فلما انتصروا في احدى الوقائع وقد انتهبوا فيها كنيسة كان من جملة ما فيها اناء من ذهب طلبه الملك من الجيش برضاهم فسمحوا له بقصد اجابته واذا باحدهم تقدم وضرب الاناء بيطاته وقال له أعلى صورته ليس لك أدنى شئ سوى ما يخصك بالقرعة ولا نقر لك بامتياز وأول تدين ملوكهم بالديانة النصرانية كان في أواخر المائة الخامسة مسيحية وفي أواخر هاته الدولة أعني سنة ٧٣٢ وقعت الحرب مع العرب الاندلسيين الذين تغلبوا على قسم كبير من جنوب فرانسا حتى وصلوا الى ليون وخرجت تلك المستملكات وتحددت مع فرانسا وبقيت فرانسا على خمولها كذا الى ان استولى عليها كارلوس الكبير ويعرف أيضا بشارلمان المعاصر للرشيد العباسي وقد ضم الى مساعدته ممالك من اروبا حتى تسمى بامبراطور الغرب وانتقل تاجه لفروع من العائلة الى ان بقي الآن في المانيا التي كانت احدى ممالكه واستقل بها أحد احفاده عندما قسم ابنه ممالكه على أولاده فملك بكره على جرمانيا والثاني على فرانسا والثالث على ايطاليا وضعف احكامهم باسنادهم الامور الى غير أهلها وكانوا يقدمون خدمتهم الى أعلى المناصب والالقاب بدون جدارة فاستقلوا على ساداتهم ونافرتهم الامم وتناصروا الى ان خرجت العائلة واستولت على فرانسا العائلة الكابيتيانية ومن مشاهير ملوكها فليب الثاني الملقب أوغسطوس الذي اتحد مع ملك الانكليز الملقب بقلب الاسد على حرب المسلمين المعروفة بحرب الصليب الثالثة لكنهما لما وصلا الى صقلية تنافرا وافترقا ثم بعد رجوعه من الشام بوقائع صلاح الدين أثار الحرب على الانكليز واقتص منهم بعض ما كانوا ملكوه من فرانسا ومن مشاهير العائلة صان لويز الذي أسر بمصر ومات بتونس وله تذكار معروف قرب قرطاجنة وذلك في حدود سنة ١٢٧٠ ومنهم فليب الثالث الذي حدد للاعيان سلطتهم على العامة بمجلس الشورى لكن اضمحل ذلك بعد فليب الخامس الى الاعيان وأشرفت فرانسا على السقوط وتداخلت فيها الدول المجاورة ونشأت مع الانكليز الحرب المعروفة بحرب المائة سنة وكان مبدؤها سنة ١٣٣٧ وانتصر الانكليز في كثير من الوقائع وملكوا كثيرا من الجهات حتى دخلوا باريس مع التناصر الداخلي في فرانسا ثم ظهرت بنت لاحد الفلاحين تسمى جاندارك فادعت علم الغيب والتأييد الالهي لانقاذ فرانسا وساعدها الملك بتأميرها على الجيش وأظهرت شجاعة غريبة

واقتكت من الانكليز عدة جهات وفي محاصرة المدينة كيان اخذت اسيرة وحكم
عليها بالحرق لانها ساحرة ثم عقد الصلح مع الانكليز سنة ١٤٤٤ ولم يبق بايديهم الا
الجهات البحرية ثم اعيدت الحرب ولم تخلص فرانسا الا سنة ١٤٥٣ فرتب الملك ذلك
كارلوس السابع الجيش المستمر تحت السلاح وقد كانت العادة من قبل ان الاعيان
المالكين للمملكة باهاليهم الذين يقدمون امدادا للملك فكسر كارلوس شوكتهم
واعتنى بترقية المملكة في المعارف حيث كان مطالعا عالما وقد نقلت صناعة الطبع
الى باريس في ايامه وانشأ مدرسة خاصة للاطباء وباستقامة سيرته نال من الفتوحات
والترقي ما لم ينله غيره من ملوكهم بالحروب ثم في ايام هنري الثاني سنة ١٥١٠ تعصب
به الكاثوليك واغروا امه به وقتلوا كل من ظهر روايته في فرانسا من اهل مذهب
البروتستنت في يوم واحد ويقال ان عددهم اذ ذاك نحو سبعين الفا وقتل الذي بعده
عددا كثيرا وهو واضع منها لا في احد روشن قصر اللوفر ثم تعاقب على فرانسا الصعود
والهبوط على حسب سطوة الملك واقتداره الى ان عظمت جدا في ايام لويس الرابع عشر
الملقب بالكبير المتولي سنة ١٦٤٣ وفي ايامه وايام والده حدثت الحروب المعروفة
بحروب الثلاثين سنة وانتقل امر فرانسا المعروف الذي كان للنمسا في اوروبا وهو مرفه بمساعدة
مشاهير بالمعارف وهو الذي انشأ قصر فرساي وبساتينه وقصر ايران فالبدلكة في
آخر امره فقدت فرانسا ما نالته في الداخل والخارج باسباب التعدي على الرعايا وضعفهم
وبعده فقدت فرانسا المستعمرات الهندية وغيرها وان حازت كرسكا واللورين وكان
ذلك باتباع لويس الخامس عشر لذاته وتحكم النساء فيه والعائلة لا تشاور مع
مجلس نواب الامة وآخر الملوك من تلك العائلة هو لويس السادس عشر الذي انتقم
من انكلترة باعانة امريكا على استقلالها وحدثت في ايامه الثورة العامة التي
قلبت حال التاريخ حيث كان يرجى منه اصلاح ما افسده ابوه وجده لكنه كان
ضعيفا عن الوفاء بذلك فهو خاتمة التاريخ القديم

مطلب

(في تاريخ فرانسا الحديث)

اعلم ان الفرنسا وبينما انتشرت فيهم المعارف وعلموا ما لهم وما عليهم والزم بعض
ملوكهم احيانا انصافهم واشتهرت بينهم الصحف الخبرية المعلنة بالمحامد والمذام وحدثت
فيهم

فيهم أخيرا ما أشير اليه من الظلم انعقدت فيهم جمعيات سرية للتدبير والعمل فيما يمكن لهم
به حفظ حقوقهم ومملكتهم وتفطن لذلك لويس السادس عشر فكان مرة يميل الى
معاضدة الامة فيما تريده ومرة يجنح الى عادات الاعيان والسيرة القديمة حتى خشى
على نفسه وفر مع عائلته لكن الاهالى ارجعوه غصبا وخضدت شوكته فخاف بعض
ملوك أوروبا من أن يلحقهم ما لحقه بسبب فتح ابصار رعاياهم وقد كانوا اذ ذاك مستبدين
فتعاضدوا على ارتكاس الفرنساويين لا سيما امبراطور النمسا صهر لويس المذكور
فانه تولى كبر تلك الحرب غير ان الفرنساويين دافعوا عن حقوقهم بجد وانظم اليهم ملكهم
المذكور وأجرى الجمعية الاهلية المسماة بالجمعية الوطنية وذلك سنة ١٢٠٧ هـ
١٧٩٢ م ثم بدا لهم منه الخيانة فقتلوه مع زوجته وطاردوا ابنه الى حده امبراطورا عما
وذلك بحكم الحكومة الابتدائية التى حكمت بالغاء الملكية واثبات الجمهورية وأعلنت
لسائر الامم انها تساعدهم على خلعها لها وسميت الحكومة جمعية اتفاق الامة وكان
من أكبر رؤسائها ولتير الذى لا دين له وهو أحد الذين ثاروا غيظ الامة بما نشره
من الاقاويل والكتابات ولما استقر أمر الجمعية تجاوزت حدود الاعتدال بمضادة الاديان
وقتل رؤساء الكنائس وابدال أعياد العادات حتى الايام والشهور فجعلوا الاسبوع
عشرة أيام ومبدأ التاريخ هو عام انتصاب الجمهورية وكذلك شهروا الحرب على جميع
الدول وانتصر الفرنساويون سيما تحت راية نابليون الاول بونابارت الذى كان أحد
أبناء العامة فتعلم الفنون العسكرية وساعده القدر بالانتصار الذى نال به أعظم
الشهرة فكان من أعظم رؤساء العساكر ثم عوضوا تلك الحكومة بحكومة الدركتوار
أى الحكومات المديرية مؤلفة من خمسة أشخاص وحدثت فى أيامها الحروب العظيمة
مع سائر الدول ووافق نابليون البخت فانتصر على الجميع وملك ايطاليا ورتب فيها
حكومات عديدة جمهورية ثم استولى على مصر وأراد الشام بقصد التوصل الى الاستيلاء
على الهند انتقاما من الانكليز ثم عضدت انكلتيرة الدولة العثمانية واسترجعوا مصر
وما أخذه من الشام وهيجت انكلتيرة دول أوروبا على الاتحاد على فرانسا فاستعدوا لحربها
وحاربوها وكانت الحرب سجالا لكن نابليون الاول لما وصل الى باريس بعد ان كاد
أن يكون أسيرا فى رجوعه من مصر وجد حكومة الدركتوار على شفا وأوروبا منتصرة فى
أغلب الجهات فاستعان بحزبه ورتب حكومة جديدة تسمى بحكومة القنصلات مؤلفة
من ثلاثة أشخاص يسمون قناصل وتسمى هو رئيسها وذلك سنة ١٢١٤ هـ ١٧٩٩ م

ثم تسمى قنصلا مدى حياته ونشر رياسة الجيش ورجع الانتظام المفقود والتفت بعد
ذلك الى الشؤون الداخلية واصلاح الامور فسماه مجلس الاعيان امبراطورا سنة
١٢١٩ هـ ١٨٠٤ م وملأ صيته وطنطنته الدنيا بانتصاراته على أغلب أوروبا
فدخل فيينا وبرلين وعقد الصلح مع دولتيهما كيف شاء وأمست ايطاليا وكثير من
جرمانيا تابعة لفرانسا وانتصر على الروسيا أيضا وعقد معها صلحا ومعاهدة سرية من
شروطها اقتسام جميع أوروبا بين فرانسا والروسيا عدا الممالك العثمانية وان لم يتما
انهيا أيضا في القسمة حتى اغتاظ السلطان لذلك كما سيأتي في محله ومن المستثنى من
القسمة أيضا الممالك الانكليزية وكان ذلك سنة ١٢٢١ هـ ١٨٠٦ م وأتم
تأليف قانون الاحكام الشهير المعروف بكود نابليون سنة ١٢٢٣ هـ ١٨٠٨ م
وهو عمدة أحكامهم ونسجت أوروبا بأجمعها على منواله وهو كتاب مقسم على أبواب
المعاملات والجنايات وكل مسئلة من الباب معقود لها فصل يبين حكمها بعبارات وجيزة
من غير بيان لدليل الحكم ولا للعلل اختصارا وسهولة التناول وكان المتولي لتأليفه جمعية
علمية عولت في تنظيمه على ما يليق بالعادات من أحكام الشرع الاسلامي وأحكام
الرومان وسنة ١٢٢٨ هـ ١٨١٢ م عاد لحرب الروسيا لنكثها شروط الصلح
السابق ذكرها وانتصر عليها الى أن وصل قاعدة تختها مدينة موسكو وقد أعد والله كيدا
باحراق المدينة فلما وصلها وجدها قاعا صفصفا وكان الوقت شديد البرد فهلك عسكره
بردا وجوعا وعاد هو منكسرا الى فرانسا وجهز نفسه لحرب الروسيا والمانيا وبروسيا
والنمسا الذين اتحدوا عليه بسبب انكساره فغلب أخيرا ودخلت العساكر المتحدة
الى باريس وملكوا على فرانسا لويس الثامن عشر وأسكنوا نابليون جزيرة الالب
على انه ملك عليها وذلك سنة ١٢٣٠ هـ ١٨١٤ م وبعد عشرة أشهر عاد الى
فرانسا وتلقته الاهالي بالرحب لما نالوه من العظمة في أيامه فهرب لويس الثامن
عشر الى مقره أولا بانكلترة ثم اتحدت الدول ثانيا ومعهم انكلترة وقهروا نابليون
فتنازل عن الملك لابنه ملقبا بنابليون الثاني سنة ١٢٣١ هـ ١٨١٥ م فلم تعترفه
الدول وأعادت لويس الثامن عشر وأما نابليون فطلب الاقامة بانكلترة مسلما نفسه تحت
أحكامها فقبلته وضد ارادة نزوله من السفينة الحربية الانكليزية الى البر اعتبرته
بانه أسير للدول فعجل على ذلك ولم ينفعه ونفي الى جزيرة هيلانة في الاقيانوس الاتلانتيكي
الى أن مات ونقلت جثته فيما بعد الى اراضي فالبلد باريس واضطربت اذ ذاك فرانسا

في

في حدودها القديمة ثم تولى ملكها كارلوس العاشر أخو ملكها الذي أخلفته الدول
وفي مدته استولى على الجزائر وأراد أن يحجر من حرية المطابع والقوانين فثاروا
عليه وولى لويس فليب سنة ١٢٤٦ هـ ١٨٣٠ م فأطلق الحرية وأحسن ولكنهم
أسقطوه أخيرا لامتناعه من اصلاح قوانين الانتخاب وكانوا يميلون الى الجمهورية
والى عائلة بونابارت فأعادوا الجمهورية ثانية سنة ١٢٦٥ هـ ١٨٤٨ م وراسوا عليها
لويس نابليون ابن أخي نابليون الاول ووريث ملكه حيث مات ابنه عن غير عقب وكان ابن
أخيه مرسوما في ولاية العهد وذلك بعد أن نفي مرة الى أمريكا وأخرى الى انكلترة وايطاليا
وسجن مرة في حصن وفر منه بتزييه بزي أحد عملة البناء بعد ما ثار به وأشهر مدة
تآليف تنوه بالحرية والفخر فخولوه زمام الادارة وأبدى من المصالح الداخلية واستمالة
رؤساء الجيش اليه ما اقتدر به على الاعلان بامبراطوريته سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م
وتلقب بنابليون الثالث وعاضد الدولة العلية وانكلترة على حرب الروسيا سنة ١٢٧١
١٨٥٤ م لتأييد نياته باعترافه امبراطورا في مبدأ أمره ولداعي السياسة من الخوف من
استيلاء الروسيا على ممالك العثمانية ووقع الصلح على معاهدة باريس سنة ١٢٧٣ هـ
١٨٥٦ م وانتصر الى ايطاليا على النمسا بدعوى القاعدة التي أسسها وهي اتحاد الجنسية
كما تقدم في تاريخ ايطاليا الجديد حتى توحدت ايطاليا سنة ١٢٧٦ هـ ١٨٥٩ م وحارب
الصين مع انكلترة سنة ١٢٧٧ هـ ١٨٦٠ م وانتصر عليه وافتتح المكسيك من أمريكا
سنة ١٢٧٩ هـ ١٨٦٢ م وولى عليها مكسيمليان أخا امبراطور النمسا وكانت اذ
ذاك دول أمريكا المتحدة في حرب شديدة داخلية ولما فصلت حربهم حنقوا على فرانسا
من تداخلها في قارتهم فنقل نابليون عساكره وترك المكسيك حتى قتلوا من ملكه
عليهم وذهب سعي نابليون سدى ومن ذلك الوقت ابتدأ ميل القلوب عنه لاستبداده
باطنا وتصرفه طبق شهواته في السياسة بعد أن كان أوصل فرانسا الى ذرى المجد حتى
لحظتها سائر الدول بعين الوقار وهرعت ملوك الدنيا الى باريس في دعوته للمعرض وكانوا
يفتخرون باستمالته نحوهم حتى فضله كثير من عقلائهم على عمه لكنه لما غره زيادة
المجد استبد برأيه باطنا وأسرع الى التداخل في أمر غيره فقلقت الاهالي من عمله ولما
أحس بذلك أعلن بعمل الانتخاب العام له من سائر السكان بحيث لا يختص باصوات
الاعالي بل حتى العامة لانهم لهم الحق في ذلك من حيث ان التملك اغلبه على
الفرانساويين مطلقا ولما كانت العامة محبين له لعدم اطلاعهم على عيوبه أو عدم

تبصرهم مع أنه يحصل اليهم بحيث يؤثر نفعهم ويوجد لهم أسباب الانتفاع عند الحرب ثم
ان حزبه يغريهم بالمال عند الانتخاب اذ كان يعطى في مقابلة ذلك من أموال الدولة
مقادير ذريعة فيجاوزونهم في ميزانية الدولة بأسماء أنواع من المصاريف اللازمة ومن ذلك
الوجه حصل اعلان عجزه في ارتضاء الفرنساويس بمملكته ثم نشئ اذ ذاك قانون
الامبراطورية المؤرخ في سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م ونص تعريبه (الحكم الاول)
مجلس الاعيان مزيته وضع الاحكام والقوانين بالاشتراك مع الامبراطور ومجلس النواب
وله أيضا السيادة في وضع المعروضات والتوابع الآن الامور المتعلقة بالمالية ينبغي أن
تقرر أولا في مجلس النواب (الحكم الثاني) عدد أعضاء مجلس الاعيان يمكن زيادته
حتى يبلغ ثلثي عدد مجلس النواب ما عدا الذين يحضرون فيه بالاستحقاق وليس
للامبراطور أن يعين فيه في كل سنة أكثر من عشرين (الحكم الثالث) قد نفي
القبائل المرتبة التي حصل بها الاس من جهة التشريع المذكور في الحكم الحادي
والثلاثين من القانون الذي تقرر في ١٤ كانون الثاني أي يناير سنة ١٢٦٩
هـ ١٨٥٢ م (الحكم الرابع) التراتيب التي الحقت بهذا القانون وهي المشمولة
في الاصول العمومية التي استقرت في ١٤ وفي ٢١ من كانون الاول سنة ١٢٦٩
هـ ١٨٥٢ م وفي ٢١ وفي ٢٢ من الشهر المذكور في السنة التي بعدها هي
أصول المملكة وقوانينها الاساسية (الحكم الخامس) وهذه الاصول والقوانين انما
يغيرها مجلس المملكة بطلب الامبراطور (الحكم السادس) تنسخ الفقرة الثانية من
حكم ١٧ و٢٥ و٢٦ و٢٧ و٢٨ و٢٩ و٣٠ و٣١ و٣٢ و٣٣ و٣٥ و٤٠ و٥٢ و٥٧ من تلك
القوانين وكذا الاحكام المتعلقة بهذا القانون (الحكم السابع) يبقى ما تقرر في قوانين
١٤ من كانون الثاني ديسمبر سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م وما بعده ذلك معمولا به
اهـ ثم ألحق بهذا القانون علاوة أخرى هذا نص تعريبها

الفصل الاول

الاول قوانين المملكة تعترف وتثبت وتكفل بالاصول العظيمة التي شهرت في سنة
١٢٠٤ هـ ١٧٨٩ م وهي أساس شرع الفرنساويس العمومي

الفصل الثاني

﴿في مزايا الامبراطور وملكه الثاني﴾

المرتبة

المرتبة الامبراطورية التي خصت بلويس نابليون بونابارت وهو نابليون الثالث فوضت اليه بحسب قرار رأي جمهور المملكة وفي ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م وهي مزية متوارثة في سلالة ذريته الذكور الاول فالاول ويلغى منها الاناث وذريتهن الغاء دائما (الثالث) اذا لم يكن للامبراطور المشار اليه وارث ولد أن يتخذ وارثا من سلالة اخوة نابليون الاول الذكور وهذا الاتخاذ لا يباح لخلفائه ولا لورثتهم (الرابع) اذا لم يوجد له وارث حقيقي أو متخذ يخلفه في الملك البرنس نابليون وورثته الحقيقيون من سلالة الذكور الاول فالاول ويستثنى من ذلك الاناث وذريتهن استثناء دائما (الخامس) اذا لم يوجد وارث شرعي أو متخذ لنابليون الثالث ولخلفائه فعلى مجلس المملكة أن ينتخبوا امبراطورا ويعينوه من أهل الوراثة من الذكور دون الاناث وفي مدة انتخاب الامبراطور تدار الامور بواسطة الوزراء القائمين بالوظائف بحسب اكثرية الآراء (السادس) افراد عائلة نابليون الثالث الذين تثبت لهم الوراثة وكذلك سلالتهم ذكورا واناثا هم من العائلة الامبراطورية ولا يمكن لهم أن يتزوجوا الا باذنه واذا تزوجوا من دون اذنه كان ذلك سببا في حرمانهم من حقوقهم في الخلافة وفي حرمان ذريتهم أيضا ولكن اذا كان زواجهم عقيما فالبرنس الذي تزوج حق في الخلافة وللامبراطور أن يعين القاب الباقي من العائلة ويعين حقوقهم وما يجب عليهم وله عليهم السلطة التامة (السابع) النيابة في الملك مقررة في القوانين التي نظمت في ١٧ تموز (يوليه) من سنة ١٢٧٢ هـ ١٨٥٦ م وفي الاحوال المذكورة وحسب الفقرة الثالثة من الحكم الخامس ينعقد كل من مجلس الاعيان ومجلس النواب ويقرر رأيهم على اقامة من ينوب في الملك (الثامن) كل من افراد العائلة الامبراطورية الذين يحق لهم الخلافة يسمى برنسا واكبر ابناء الامبراطورية يلقب برنس امبريال (التاسع) كل من يطلق عليه برنس يؤهل لان يكون من أعضاء مجلس الاعيان ومجلس الدولة بحيث يبلغ ثماني عشرة سنة تامة ولكن جلوسه في المجلسين متوقف على رضى الامبراطور

الفصل الثالث

﴿في نوع حكومة الامبراطور﴾

(العاشر) الحكومة للامبراطور بمساعدة الوزراء ومجلس الاعيان ومجلس النواب ومجلس شورى الدولة (الحادي عشر) وضع الاحكام والقوانين يجري بالاتفاق مع

الامبراطور ومجلس الاعيان ومجلس النواب (الثاني عشر) الدعاة في القوانين منسوبة للامبراطور وللمجلسين المذكورين ولكن كل تقريب يرسم فيه بوضع الضرائب ينبغي الاقتراع عليه في مجلس النواب

الفصل الرابع

﴿في أحوال الامبراطور﴾

(الثالث عشر) الامبراطور مسؤل لامة الفرانسيس وله الحق في كل وقت لان يطلعها استدعاءه (الرابع عشر) الامبراطور هو رئيس الدولة وهو يحكم على العساكر البرية والبحرية وله أن يأذن بالحرب و يجري معاهدات الصلح والتجارة والاتفاق والمحالفة و ينصب جميع الوظائف ويثبت الترتيب والاحكام اللازمة لتنفيذ الشرع (الخامس عشر) اجراء الاحكام القضائية يكون باسمه (السادس عشر) له الحق في منح العفو للاعداء (السابع عشر) وفي ان يقر الاحكام ويشهرها (الثامن عشر) ماكان بعد الآن من تعديل الاحكام وتعريفات الكمرك و جعل الموسطة من حيث المواضعة مع امم أخرى لا يكون العمل به واجبا الا بعد أن يقرر أي المجالس عليه (التاسع عشر) الوزراء مرتبطون بالامبراطور وحده وهم يتذاكرون في مجلس يكون الامبراطور رئيسه وهم مسؤلون (العشرون) يصح للوزراء ان يكونوا من اعضاء مجلس الاعيان أو مجلس النواب ولهم أن يحضروا في أحدهما ان شاؤا وان ينصت اليهم حين يتكلمون (الحادي والعشرون) يجب على الوزراء وأهل مجلس الاعيان ومجلس النواب وضباط العساكر البرية والبحرية والقضاة وذي المراتب ان يحلفوا هذه اليمين وهي اني أحلف بان أكون خاضعا لقوانين المملكة وامينا للامبراطور (الثاني والعشرون) الحكم الذي صدر في ١٢ كانون الاول (دجنبر) سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م وفي ٢٣ من نيسان (ابريل) سنة ١٢٧٣ هـ ١٨٥٦ م مما يتعلق بالمرتب لمصروف الامبراطور يبقى معمولا به أماني المستقبل فيكون مرتب صاحب التاج مدة ملكه مقررا برسم من حزبة وضع الاحكام عند اختتامهم وذلك بعد نصبه

الفصل الخامس

﴿في مجلس الاعيان﴾

(الثالث

(الثالث والعشرون) مجلس الاعيان يؤلف ممن هم فى مرتبة الكردينال والمارشال والاميرال ومن الاهالى الذين يرقيهم الامبراطور الى رتبة سيناتور (الرابع والعشرون) لا يتغيرون ووظيفتهم باقية مادموا احياء (الخامس والعشرون) يصح ان يبلغ عددهم مقدار ثلثى أهل مجلس النواب ولا يصح للامبراطوران يعين فيه أكثر من عشرين فى العام (السادس والعشرون) رئيسه ونائب رئيسه يكون تعيينهما من قبل الامبراطور وهو الذى يعقد المجلس ويطيل مدة انعقاده ويكون الجلوس فيه علانية ولكن عند طلب خمسة اعضاء منه يصح ان تجعل الجلسة خفية (السابع والعشرون) مجلس الاعيان يحافظ على الشرط الاصلى الجوهرى وعلى حرية العامة وله ان يتذاكر على التقارير المعروضة ويقترع على الضرائب

الفصل السادس

﴿فى مجلس النواب﴾

(الثامن والعشرون) اساس الانتخاب بسكان المملكة (التاسع والعشرون) اعضاء المجلس يكون انتخابهم عاما (الثلاثون) مدة انتخابهم لا تنقص على ثلاث سنين (الحادى والثلاثون) ولهم ان يتذاكروا على القوانين ويقترعوا على الضرائب (الثانى والثلاثون) وان ينتخبوا رئيسهم ونواب رئيسهم وكتاب اسرارهم (الثالث والثلاثون) للامبراطور ان يعقد المجلس ويؤخره أو يطيل مدة انعقاده وان يحله لكنه عند حله يتعين عليه بان يعقد آخر فى مدة ستة أشهر (الرابع والثلاثون) الاجتماع يكون ظاهرا ولكن عند طلب خمسة أعضاء يصح ان يكون خفيا

الفصل السابع

﴿فى مجلس الدولة﴾

(الخامس والثلاثون) مجلس الدولة مكلف على حسب ارشاد الامبراطور بان يرسم التقارير واللوائح والتنظيمات المتعلقة بالادارة الدولية وبان يحل المشاكل الناشئة من تعاطى الامور (السادس والثلاثون) وان يرسم باسم الدولة المذاكرة فى المعروضات واللوائح فى كلا المجلسين (السابع والثلاثون) للوزراء حق فى حضور المجلس والاقتراع فيه اه‍ فكان الامبراطور يرى ان هاته القوانين ترضى عنه جميع الاهالى سيما بعد

رجحان انتخابه من الجمهور وقد كانت اذ ذاك المشاحنة بين فرانسا وبروسية في ازدياد كما
تقدمت الاشارة اليه في اخبار بطاليا فغيرة من فرانسا على ما نالته بروسية من الشهرة
والانتصار على النمسا مع وعد بروسية لفرانسا بانها اذا تم قصدها فانها تساعدها
على تعديل حدودها جهة نهر الرين وتعديها عن حقوقها من وضع العساكر في
لكسمبورغ وادخالها عضوا في العصبة الجرمانية مع انها ضمنت قبل ذلك لهولاندة ولما
حصلت بروسية على مقصدها ماطلت بذلك وعودها السرية باللوكسمبورغ فهاجت لذلك فرانسا
وكان من ضمنها انها اذا اثارت الحرب على بروسية تعاضدها النمسا عليها انتقاما لما
حصل لها في سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م وبينما الامر على ذلك وثار اهالي اسبانيا
خلعوا ملكتهم وطلبوا ان يولى عليهم الامير ليوبولد وهو من ذوي قرابة ملك بروسيا
فارعدت فرانسا لذلك وابرقت وتداخلت انكلاترة في طلب ابقاء السلم لكن الامبراطور
نابليون ابى الا الحرب ولا فان الامير المطلوب الى الولاية على اسبانيا رفض طلبهم ولم
يقنع بذلك الامبراطور بل ذهب معتمده في برلين الى ملك بروسيا في غير وقت وغير محل
من اداب وغلظ عليه الكلام بان يتعهد هو بان لا يقبل الامير المذكور في المستقبل
الولاية فلان له الملك الكلام لكنه امتنع من ذلك التعهد فهاجت المانيا جميعا على
ما لحق الملك من الاهانة كما ان فرانسا هاجت تطلب اعلان الحرب ولم يصغ الى اقاويل من
عقلائهم مثل تيرس فانتهز نابليون فرصة لاشتغال فرانسا بالحرب عن الهيجان عليه
اذ انه وان حصل على اكثرية الانتخاب لكنه كان على يقين من ان حزب المعارضة كاره له
ومنتقد عليه وكان وزير الحربية قد اعلن للمجلس بان العساكر مستعدة كلها وانها
تتجاوز الحدود وان الحرب ولو دامت سنتين لا يحتاجون الى زر لباس وابتدأت فرانسا
باعلان الحرب وتقلد نابليون رياسة العساكر بنفسه واما بروسية فالملك فاتحدت المانيا
على الدفاع وبقيت الروسيا معاضدة لالمانيا بمعنى انها فهمت مرادها وكانت بالمرصاد
من النمسا لكي لا تتعدى على بروسيا مع ما في نفسها اي النمسا على فرانسا من اجل الايطاليا
ومساعدتها من قبل لجرمانيا فلم تتداخل بشيء وما مضت تسعة عشر يوما من ساعة
الاعلان بالحرب حتى وقع نابليون اسيرا بيد عدوه اذ في نفس الامر لم تكن فرانسا مستعدة
وكانت الاموال المعدة لمصاريف الحرب تصرف فيما يراه الامبراطور حيث كانت
الوزراء مسؤولون له لا لمجلس الامة فيتصرف بهم كيفما اراد وكان يظن انه بسرعة
الهجوم يحصل على سرعة الانتصار ويصل الى عقد الصلح لكن لمانيا كانت لها

جواسيس

جواسيس من اعيانها فى جميع دواوين فرانسا وفى قصور رجالها على صورة خدمة
وغيرهم مع كمال استعداده وتمرن اهاليها على الحرب اذ هى دولة عسكرية من قديم
واما فى فرانسا فغاب عليهم الامر الى ان تم فالتقى مركز الجيشين فى ميدان من عمل فرانسا
وهى الوطنيس الى ان تيقن نابليون بالغلب وقوة قرنه عددا وعدة فكتب الى ملك بروسيا
ما تعريبه بانى حيث انى لم يتيسر لى ان اموت فى مقدمة جيشى فها انا اضع سيفى لدى
قدميك اه ورفع من هناك اسيرا وصار الدائم عزه وملكه وهو بتزويج نابليون
واستقرت مع زوجها بانجلتره الى ان مات بها واما العسكر التى معه فطلبت الاستسلام
على وجه لا يحط بشرفها وحيث كانت المخاطبات الواقعة فى هذا الشأن واقعة بين
الرؤساء بالسلك البرقى ولها اهمية رايت اثباتها هنا نقلا عن كتاب الف وطبع فى
باريس وهى (من الجنرال) دوويمبن الفرنساوى الى الجنرال ملتك رئيس عساكر
جرمانيا اريد ان اعرف (ماهى) شروط التسليم التى يريد ملك بروسيا ان يوجهها الينا
(جواب) الجنرال ملتك شروط التسليم هى ان جميع جيشكم اسرى مع كل ما عندهم من
الاسلحة والذخائر ولكن نترك للضباط سيوفهم علامة على اعتبارهم وعلى بسالتهم
ولكن يكونون اسرى ايضا كبقية الجيش (الجنرال) دوويمبن هذه الشروط شديدة
يا جنرال اذا ظهرت بسالة عساكرنا التى تستوجب مراعاة اكثر من هذه اليس من
الممكن لجيشى ان يتحصل على شروط على هذه الصورة الآتية وهى ان اسلم لكم
سيدان بما فيها من المدافع (واما) العسكر فتتركوه يخرج بما عنده من الاسلحة والاثقال
والرايات بشرط ان لا يعود لمحاربة بروسيا فى هذه الحرب والامبراطور يتعهد بنفسه
بهذه الشروط بالكتابة وكذا اعيان ضباط العسكرية ثم ينقل هذا الجيش الى
احدى جهات فرانسا التى تعينها بروسيا او ان شئت ينقل الى الجزائر الى ان يبرم بيننا
الصلح (جواب) الجنرال دوملتك لا يمكنكم هذا الا بقانون القبول (الجنرال) دوويمبن انى
وصلت الى هنا من صحراء افريقية منذ يومين فقط وكان لى الى الآن شهرة عسكرية مرضية
والآن فوض الى رئاسة جيش فى ميدان القتال فاصبحت مضطرا الى ان اقيد اسمى فى
الاذعان لامضية مثل هذه حتى اضطررت ايضا الى تحمل جميع المسؤلية بدون ان اكون
قد احدثت هذه الوقائع الحربية التى هى سبب فى هذا التسليم وحيث انك جنرال مثلى
يلزمك ان تشعر بما لى ا[ح]زنه ولكن يمكنك تخفيفها باشتراطك على شروطا اهون
وايسر والا فلا يمكننى قبول شروطكم وحينئذ اعود بجيشى الى شرفهم واخترق بهم

صفوفكم والالحاق في ميدان متوقفا (جواب) الجنرال المشار اليه بماركم عظيم وشرح
حالكم في محله ولكن أتأسف على انه لا يمكنني قبول شيء مما طلبتموه واما خرق الصفوف
وخروجكم من ميدان فن القتال وكذا تخطئكم فيما زعمتم ان عند عساكركم عظمة
ولا سيما المشاة منهم على غاية من المهارة والاقدام وكذا فرسانكم وطوبجيتكم وقد
أوقعوا بنا ضررا كبيرا غير ان جل عساكركم قد فسدت اطوارهم وعدد اليوم من
اسراهم ازيد من ٢٠٫٠٠٠ نفر غير الجرحى فلم يبق عندكم الآن أزيد من
٨٠٫٠٠٠ نفر ولا يمكنكم اختراق صفوف جيشي فيلزم ان تعلم ان من جيشي حولكم
٢٤٠٫٠٠٠ نفر و ٥٠٠ مدفع منها ٣٠٠ على هيئة الاستعداد لاطلاق النار
على ميدان والباقي اعني ٢٠٠ تكون على هيئة الاستعداد في فجر الغد فان شئتم
تحقيق ذلك فارسل احدا من ضباطكم الي وانا ارسله الى المواقع المذكورة حتى يشاهد
بنفسه ما قلته لكم اما خروجكم داخل ميدان فمن المستحيل لان المؤنة التي عندكم
لا تكفيكم الا ٤٨ ساعة ولم يبق عندكم شيء من الذخائر (جواب) الجنرال المرقوم ساوى
الظاهر ان من مصلحتكم حتى من المصلحة السياسية ايضا ان شروط التسليم لا تكون
مخلة بشرفنا لان جيشي يستوجب ذلك ومرادكم عقد الصلح وما اظن الا انكم تريدون
عقده بسرعة وامة فرانسا اكرم عنصرا واكثر من غيرها ومستعدة للمداومة على هذا فهي تقدر
مكارمكم التي تمنحونها لها وترعى الجميل فان امكنكم ان تشرطوا علينا شروطا من شأنها
مدارة خاطر الجيش فان الامة تحسبه ايضا منة لها فتخفف عنها مرارة الانهزام وبث
شروط الصلح على هذه الصورة يكون على الدوام (اما) اذا عاملتمونا بالقساوة فلا شك انكم
تثيرون الكراهة لكم والبغض في قلب كل عسكري وعزة نفس جميع الامة تعود وقد
استيقظت بذلك توقظون الاحساس الذميم الذي اقامه التمدن وتخاطرون بايقاد حرب
لا نهاية لها بين فرانسا وبروسيا فاجابه البرنس بسمارك قائلا برهانك يظهر بادي بدء
انه على الجد وهو في الحقيقة كلام ظاهر ولكن كما انه لا ينبغي ان يعتقد اعتقادا راسخا
بممنونية الافراد فكذلك لا ينبغي ان تتوقع ممنونية امة كاملة او تركن الى ممنونيتها
ومراعاة الجميل معه وان شئت فقل مع اهله ايضا نعم انه في بعض الاحيان يمكن الركون
الى عواطف ولكن اكرر لكم انه لا يمكن انتظار مراعاة الجميل من امة ولو كانت امة
فرانسا مثل بقية الامم ولو كان عندها تنظيمات ومبادي راسخة ولو كانت مثل امة
تحترم احكامها او تطيعها ولو كان عندها املاك جالس على سرير الملك على اصول راسخة

ثابتة لكن نعتقد بمنوة الامبراطور وبنه أما فرانسا فقد مضى ثلثون سنة وحكومتها
قد تغيرت نوعا وخمسة عشر صورة غير ثابتة فما عاد من الممكن ان نعتمد على اتفاقية ما الا على
مودة الملك ورأى اوزرائه [illegible] يكون من قبيل الهواء فاذا صدقنا ان فرانسا تساعدنا من
طرفنا بنسابح كونكم تصرون على الحيادة وبحولة على الحدود الكرانى لمحاماية وذلك
حين قام سلطان بحرب روسية منضما في سنة ثلاثين مرة وهذه المرة اعلنتم الحرب معنا
حيدا كما ذكر لم يمكنكم ان تساعدونا على طرابلس والاسكندرية فهل يمكنكم ان
تساعدونا اليوم في طرفنا في سدان كلامكم كلام عقدنا معكم الصلح الان وبعد سبع سنين
تعودون الى حربنا حين يتيسر لكم ذلك وهي المكافات على الجميل التي تربيناها (أما
نحن فاحلافنا مع امة لاحد وكم في امة صادقة ما كنا لا نغرض على الموحات وبما
نحرص على ان نعيش بالسلم وقد كفى اليوم ويلزم ان نتأدب فرانسا على شعرها ويلزمنا
ان نطمئن على سلامة اولادنا ولذا يلزم ان يكون بيننا وبين فرانسا حدود مبينة ولابد
لنا من ارض وحصون وحدود لكون ذلك آمنين من هجومها (جواب الجنرال
الصرساوي) قد غلطت يا بسمارك لان الموقف في حكمك على امة فرانسا لانك تتصور
فرانسا في سنة ١٨١٠ وتتصورها الان ايضا بعض الشعراء ومن كان بعض
تخيلات وهي اليوم على غير حال فان سعة الامبراطور صارت افكار اهلها مشغولة
بالتجارة والصنائع والعلوم وكل واحد منهم يسعى في تكثير مكاسبه وينظر الى [illegible]
وكلهم يحبون الاخاء والنظر الى المكافأة مثلا فاين اليوم تلك الافكار التي طالما ابعدتها
منها اليس ان الانكسار اليوم على احبابنا وكذلك يكون من [illegible] اذا اظهرتم
المكارم معنا (الرئيس) بسمارك قد هدانا يا جنرال ان فرانسا لا تتغير فانها هي التي
اكرهتنا على الحرب ولا حسب خداع لامة حرصا على جمع آل الامبراطور نابليون
الثالث اعلان حربنا فانها ندري ان كثيرا من اهل فرانسا وهم العقلاء لم
يريدوا الحرب ولكن تلقوا فكر الامبراطور بالقبول والباقي هم الذين تحمسوا للحرب
حتى اصحاب الجنرلات اصابهم ولا اقوم يلزم ذلك بينهم ولذلك يلزمنا ان نسير الى
باريس ومن ذا الذي يدري ماذا يقع بعده ومن احتمل انه يثبت عندكم ولهم الذين
لا يدعون عن شئ بل يحدثون احكاما على حسب هواهم ولا يعرفون شروط تعليم
حينئذ كم مر بحال الدول والصالح نقض عهودهم فلم يلزم الصلح ولكن الصلح الذي
يكون على اساس الثبات والدوام وشروط صارت معلومة لكم ويلزمنا ان نجعل فرانسا

بصورة بحيث لا يمكنكم مطلقاً ان تقاوموا بالنجاح وقد قدرت مقدار ما يكون زهرة
عساكركم امرتم عنه مقاتلين لا يمكن ان تقدموا الآن الى الحد الذي وشأن ذلك
دوام القتال ومصلحتنا لا تأذن بأن يجيب الجنرال ما يمكن من اصلاح الحصة تلك
ومهما يكن من افتكارك عن جيشكم فلا يمكنني الاجابة الى مطلوبك او تغيير شيء من
الشروط التي أبلغتك اياها (الجنرال) امرتساوي ولا يمكنني اذاً ان أوقع شروط التسليم
على هذا المنوال بل يلزمنا ادامة القتال (جواب) الجنرال كستلان من اصحاب الامراء
المرتساوية الى الامر المشار اليه عندي ان الوقت قد حان لابلاغ ارادتكم الى
الامبراطور (جواب) البرنس بسمارك نعم سامعون لكم (الجنرال) كستلان قد كان في جناب
الامبراطور ان أمر بمعاملة جنابكم بالمروءة لانه بعث اليه بسيفه بدون شرط وسلم
نفسه له بلا شرط وانه يعول هكذا أملاً في ان الملك غليوم يعامله بهذا التسليم ويقع
لديه موقع الاعتبار ويقابله مع جيش فرانسا تمام الشرف لهم كما تستحقه بسالتهم
(البرنس) بسمارك أهذا كلامكم كله (الجنرال) كستلان نعم (البرنس) بسمارك ما هو
السيف الذي سلمه الامبراطور هل هو سيف فرانسا او سيفه الخاص به فاذا كان سيف
فرانسا امكن تعديل الشروط ولكن يكون جوابكم الاخير بالدر (الجنرال) كستلان
السيف الذي سلمه لكم الامبراطور هو سيفه فقط (الجنرال) مولتكه فعلى هذا لا يمكن تعديل
شيء من الشروط وانما يكون للامبراطور ما يطلبه (الجنرال) دوويمبين تستأنف
الحرب (الجنرال) مولتكه الهدنة تمضي في الغد وفي الساعة الرابعة نشرع في اطلاق
النار عليكم (البرنس) بسمارك نعم أيها الجنرال ان عندكم عساكر شجعاناً ولا أشك انهم
يظهرون غداً بسالة عجيبة ويبرزون منها ما يحمدون به ويفتخرون ولكن ما الفائدة من
ذلك لانك في مساء الغد تكون قد تقدمت اليوم ويبقى في أعناقكم
دم عساكركم بل عساكرنا ايضاً الذين سيكون دماؤهم لغير فائدة فقد أخبركم الجنرال
مولتكه ان مقاومتكم ليست الا هوس (الجنرال) مولتكه في أؤكد لكم مرة أخرى ان حرق صفوف
عساكرنا لا يمكن ولو كان عسكركم على احسن ادبه لانه فضلاً عن كون عسكرنا اكثر
عدداً من عسكركم فاني مستول على مواقع يمكنني من احراق سيدان في بعض ساعات
وهذه المواقع متسلطة على جميع الجهات التي يمكنكم المرور منها وهي منيعة ولا يمكنكم
حوزها (الجنرال) امرتساوي ليست مواقعكم قوية كما تذكرون (الجنرال) مولتكه انت
لا تدري المواقع حول سيدان وفي أثنائك فانك تطلع من أمسكم المعسكرة وهي امامكم عند
افتتاح

افتتاح الحرب بيننا وزعمتم على ضباطكم خرائط كان رسمها وطبعها في المانيا فلم يكن
لكم جنود تطلعون على مواقع بلادكم ولم يكن عندكم خرائط لها فأقول لكم الآن ان
هذه المواقع مصلحة كونها صحيحة لازمة لاعمال ضرب من الجدال (الجنرال)
الفرنساوي ان اعتنم له صحة لارسال احد من ضباطه كما عرضتم على في مبادي الامر
حتى يرى مواقعكم الثابتة وعند رجوعه اجاوبكم (الجنرال) ولماذا لا ترسل احدا لذلك
حيث ليس لكم وقت طويل حتى تتداركوا ما يلزم فعله فالوقت الآن نصف الليل
وبعد اربع ساعات تنقضي المهلة ولا يمكنني ان امهلكم بعدها ولو دقيقة واحدة
(الجنرال) الفرنساوي لكن يلزم ان تعلموا انه لا يمكنني بت الرأي على شيء وحدي
فيلزم ان اشاور بعض ضباطي ولست ادري اين احدهم في ميدان في هذه
الساعة ولا يمكنني ان اعطيكم جوابا في الساعة الرابعة فمن الضرورة والحالة هذه اطالة
المهلة فعند ذلك امر البرنس بسمارك الى الجنرال مولتكه في اذنه واشار اليه بتطويل
المهلة الى الساعة التاسعة اي فضل المهلة ثلاث ساعات ثم سلمت الجنرال
الفرنساوي جميع عساكره الذين في سيدان على موجب شروط الجنرال مولتكه
وبذلك بقي بحالة [illegible] واستعداده للفتك [illegible] رأى الامة الفرنساوية
وجمهور المذنبين [illegible] بونابرت [illegible] واعادوا الدولة الجمهورية ثانيا [illegible] الالمانية الى
ان حاصرت باريس وحدث [illegible] الاف من [illegible] زورا ساامرى [illegible] مائة وخمسون
الفا [illegible] سلاحا من عهد [illegible] في قلعة متس تحت رياسة المارشال بازين ثم عقدوا
الصلح على شروط [illegible] ولاية الالزاس وقسم من ولاية اللورين وغرامة
خمسة آلاف مليون فرنك تدفع على خمس سنين وتتوج [illegible] امبراطورا على
المانيا في قصر فرساي وحضر له ملوك المانيا وعادت عساكرهم الى بلادهم على وجه
الانتصار بالحرب ومن ذلك الوقت تغيرت السياسة الاوروبية وصارت المانيا هي
معدلة الميزان لكن فرانسا تولى رياسة جمهوريتها الرجل الشهير تيرس ولم يمض بعد
حصول الحرب اهبتها الى من جهة تعرف بالكومون اي الاشتراكيين الذين يريدون
ان تكون الناس كلهم شركة في جميع ما يمكن ان ينسب الى الانسان واضروا بباريس
اكثر من اضرار الالمانيين وقد اظهرت فرانسا معنى ما يمكن في الحسبان [illegible] وقت
الغرامة [illegible] انها اربعة [illegible] سنتين [illegible] ذلك في ما [illegible] في حال [illegible] قدر من
خسائرها وغراماتها في ذلك الحرب نحو عشرة آلاف مليون ومع ذلك فانها [illegible] ارادتها

استقراض ثلاثة آلاف مليون لدفع بقية الغرامة فهرعت لها أرباب المال من كل
فج حتى من الحبشا واحد مروا لها ما ينيف عن الخمسين ألف مليون وأقبلت على اصلاح
داخليتها واعمار ما تكسر منها من ترميم الاعتبار وحسن نظامها مثل غيره وقد احدث
الفرنساويون في حديقة انشرى لي محلا حصينه مرتفعا بحيث يمنعه الداخل
بلا ضيطان ويرى منه صورة حالة باريس من الحرق والهدم وقت الحرب لتذكارهم
لاحياء أخذ الثار وقد رأيت ذلك المكان وله منظر هائل واستقرت الحكومة الى الآن
جمهورية

مطلب

(في السياسة الداخلية في فرانسا)

قد تقررت الحكومة الجمهورية على القانون الآتي ترجمته (البند الاول) ان
مجلس الاعيان ومجلس النواب يجتمعان كل عام يوم الاربعاء (الثاني) من كانون
الاول بغير ان تكون جمعها قبل ذلك لرئيس الجمهورية فاجتماعهما ينبغي أن ينعقد
جلساتهما اقله في مدة خمسة شهور كل سنة كاملة ويجتمعان ويفترقان معا وتقام
الادعية الجمهورية يوم الاحد فيه في الكنائس والمعابد لالتماس المعونة منه تعالى في
اعمال المجالس (البند الثاني) ان رئيس الجمهورية يختتم المجالسة وله حق أن
يدعو المجالس للاجتماع فوق العادة وينبغي ان يدعوهما اذا ما صار الطلب في
اثنائها الخاصة من أكثرية الاعضاء الذين لكل مجلس على ان رئيس الجمهورية له ان
يؤجل اجتماع المجالس على انه لا يمكن ان يؤجلهما اجلا اكثر من شهر ولا يحدث
اكثر من دفعتين في سنة واحدة (البند الثالث) وقبل ما ينتهي الاجل
القانوني لسلطة رئيس الجمهورية اقله بشهر واحد يجب ان تجتمع الاعضاء في مجلس
الامة ليتمموا انتخاب رئيس جديد واذا لم يصير استدعاء المجلس للاجتماع فعلى
المجالس ان تجتمع من تلقاء نفسها قبل نهاية مدة الرئيس بخمسة عشر يوما واذا توفي
رئيس الجمهورية او عزل عن وظيفته تجتمع المجالس حالا بتمامها الخاص واذا
ما وقع مجلس النواب حين ما فرغ منصب رئاسة الجمهورية يدعى الجمعية من
قانون ٢٥ شباط فبراير سنة ١٢٩٣ هـ ١٨٧٥ م تستدعى للجمع الانتخابية
حالا ويجتمع مجلس الاعيان الخاص بطلق سلطتها (البند الرابع) ان كل من
مجلس

مجلس النواب والاعيان اذا اجتمع في غير وقت له . للاعادة هيئة يكون باطلا
ولغوا عملا بالقاعدة الحادث المنصوص عليها في البند السابق وما عدا ما اذا اجتمعت بعد ان
تقضي في الدعاوي والعدل [illegible] هذه الحادثة لاحق لها لا مباشرة او بصفة القضائية
(البند الخامس) ان جلسات الاعيان ومجلس النواب تكون علنية على ان لكل مجلس
ان يعقد جلسة سرية في حالة طلب عدد معلوم من اعضائه ثم بعد ذلك يقضي عن حسب
رأى لا اكثرية مطلقة اذا ما اقتضي عقد الجلسة علانية على نفس المشروع (البند
السادس) ان رئيس الجمهورية يخابر مع المجلس بواسطة رسائل يقرؤها احد الوزراء
ويحق للوزراء الدخول في المجلس والتكلم فيها اذا طلبوا [illegible] اقوالهم ولهم ان
يستعينوا بمعتمدين معلومين للبحث في شأن قانون معين بأمر رئيس الجمهورية (البند
السابع) ان رئيس الجمهورية يبث مدة في الشهر الذي يلي تسلم الحكومة القرارة ثم [illegible]
للحكومة [illegible] ان يبث في ثلاثة ايام السنين التي حكم كلا المجلسين بوجوب السرعة في بثها
على ان رئيس الجمهورية في اثناء المدة المعينة للاذاعة [illegible] بواسطة رسالة مشتملة
ولا يرفض طلبه اعادة المذاكرة في ذلك القانون والمدة (البند الثامن) لرئيس الجمهورية
ان يخابر في المعاهدات ويقررها ويلزمه اعلام المجلسين بها [illegible] صالح الدولة وامنها
اما المعاهدات المتعلقة [illegible] والتجارة [illegible] الدولة والمتعلقة بحالة
الاشخاص وبحق الملكية تبعة الدولة [illegible] في الخارج [illegible]
الا بتقرير المجلسين ولا يجوز ولا يبدل شيء من اراضي [illegible] ولا يجوز [illegible]
الا بمقتضى قانون من المجلسين (البند التاسع) ولا يحق لرئيس الجمهورية ان يشهر الحرب
بدون رضى المجلسين (البند العاشر) [illegible] كلا من المجلسين [illegible] في انتخاب اعضائه وفق
احكام قانونية [illegible] (البند الحادي
عشر) [illegible] من المجلسين [illegible] كل جلسة وفق
العادة [illegible] الجلسة [illegible] في [illegible] حتى يجتمع كلا المجلسين تحت اسم مجلس
الامة [illegible] الرئيس ونائب الرئيس [illegible] (البند الثاني
عشر) لا تقبل شكوى على رئيس الجمهورية الا من مجلس النواب ويحكم عليه الا
الاعيان [illegible] الشكوى على الوزراء من مجلس النواب [illegible]
[illegible] رئيس الجمهورية [illegible] على الاعيان
مجلس [illegible] يحكم بصدره في مجلس الوزراء [illegible] كل من تقدم [illegible] شكوى بذنب

محتجا بأمنية الدولة وإذا ما شرع بالاستعلام في محكمة البداية أو وقفه يمكن أن يصدر
الحكم بإعادته لاعتبار الاجتماع لدى حين استئناف الدعوى إليه وبتمام قانونها يبين
كيفية سماع الدعوى والاستنطاق والحكم (البند الثالث عشر) وبتمام دعوى
على أحد الأعضاء من كلا المجلسين ولا يطالب بشكوى في شأن رأيه وقوله محل
كونه في مباشرة وظيفته (البند الرابع عشر) ولا تتم دعوى على عضو من كلا
المجلسين بإهانة جنائية أو تأديبية ولا يلقى القبض عليه في مدة الجلسة إلا بإذن المجلس
الذي هو من أعضائه ما لم يوجد في حال فعله ويتوقف حبس أحد الأعضاء من كلا المجلسين
ومحاكمته في الجلسة وفي كامل مدتها على إذن المجلس اهـ فهذا القانون يبين لك أصول
الإدارة ورئيس الجمهورية الآن قد عينت لمدة الرياسة خمس سنين وهو الآن [illegible]
الفريق وأما قاعدة تقسيم الإدارة فهي على نحو ما تقدم في الكلام على سياسة أوروبا
من انفراد الإدارة العامة عن الأحكام الشخصية وتصرف رئيس الدولة بواسطة الوزراء
وكون الوزراء مسؤولين لمجلس النواب ومجلس الأعيان بحيث أن الحكومة مشورية
حقيقة لا يصدر عنها الأمر إلا باتفاق عامة أهل الأمة بواسطة وكلائهم ويجري ذلك في تقسيم
الأشغال ووظائفها وأن الوزراء يتغيرون بحسب تغير ميل الأغلبية في المجالس لكي يأمن المجالس
بتصرفاتهم لأن لها ثمرة في الأمر وهذا عظيم في صلاح الملك ولأن يوم من الأمور [illegible]
[illegible] وقد يحصل أن الوزير يرفض ويجري عليه العقاب بخلاف الملك فإنه [illegible] الأمة
عموما ويثبت فوت الفرصة وبذلك [illegible] انتخاب الوزراء من أعضاء المجالس عادة
زيادة على شروط الأهلية المدنية وهكذا قاعدة الإدارات على نحو ما فرق في البلاد من
فرانسا لما كانت لها مستعمرات كثيرة فهي تعدهم مثل ولايات فرانسا ووطنها في
كيفية الإدارة وكون مصدرها هم الوزراء المعهودون من غير تخصيص بوزير للمستعمرات
كما تفعل الدول التي لها مثل ذلك فهي من هاته الجهة تعد مستعمراتها من المملكة
غير أنهم ما أعطوا أهل مستعمراتها من الحقوق والمنح كالحرية وحق إدخال أعضاء في مجلس
النواب وأعضاء في مجلس الأعيان إلى غير ذلك من الامتيازات الحاصل عليها أهل
فرانسا ولذلك كانت مستعمراتها أسوأ حالا من غيرها لعدم [illegible] بأصالة
وعوائدهم واستمالتهم مع حرمانهم من التسلط عليهم باختصاص (وأما) إدارة
الأحكام فهي أيضا على نوع ما تقدم في إيطاليا ومن أهم ما يذكر وجود حكام
الجوري وهم أعداد من عامة الناس تختصهم الحكومة مدة من الزمان لأجل مشاركة

مجالس

مجلس الجنايات المخصوصة بالنظر فيها يعني أنهم يحضرون المجلس المركب من رئيس
وعضوين ويعمل المجلس جميع المقدمات بحضرتهم ثم يسألهم رئيس الجماعة عما يرون
في التهمة هل صاحبها مجرم أم لا ومن أي نوع جرمه فيتشاورون ويتفقون على
رأيهم ويعلمون به المجلس ثم المجلس يطلق المدعى عليه حالا ان رأى الجوري براءته
أو يعين العقوبة من القانون ان رأى ذنبه والسبب في ايجاد الجوري هو زيادة
الاحتراس في الحكم خشية من ميلهم الى محاباة الامراء والوزراء لان وظيفة الحكام وان كانت
عمومية وهم متقيدون بشروط المعتمد لاهلية الوظيفة وهم انتخاب مجلس الاعيان
ومجلس الامة فمتى ثبت ارتشاؤهم عوقبوا أشد العقاب ولانهم محل العقوبة بعدم
أو شفاعة لكن ربما اعترتهم شبهة لدواعي تابعة لى [illegible] التي هي بيد
الامراء والوزراء [illegible] الانتخاب عبارة عن [illegible] ركة الجوري
الذين هم ليسوا موظفين ولا خوف ولا طمع لهم لكن [illegible] هؤلاء
الجوري كثيرا ما يكونون غير فقهاء ولا دراية لهم بالاحكام ولا بمتونها ولا بما تجري فيها
فيقضون بحسب عقولهم ويضيع الحق بعدم ادراكهم [illegible] وبه يعلم ادراك الشرع
الاسلامي في اناطة الحكم بالعلماء أهل العدالة [illegible] دلالة [illegible] كم
العلماء وكون حكمهم [illegible] الحل والعقد الداخل في الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر [illegible] بصلاحيتهم في انتخاب أعضاء مجلس
النواب أو غيرهم [illegible] الاهالي بافرادهم يعدون أنفسهم للانتخاب ويقصدون
مراكز ويدعون اليها الاهالي في اماكن [illegible] ويبينون فيها
أفكارهم ومقاصدهم في سياسة المملكة [illegible] بالمصلحة العمومية [illegible]
[illegible] حتى يقع انتخابهم على الخطيب ومع ذلك يعطون ارشا
لمن له صوت في الانتخاب لكي [illegible] كثيرا ما يخرج سعيهم
ويحصلون على الوظيفة بذلك الطريق بعد ان [illegible] بين النواب
المنتخبين فيدخل بسبب ذلك في الوظيفة من لا ترتضيه الاهالي حقيقة أو من ليس
جديرا بها لكثرة أغراضه وغير ذلك وهذه المفسدة ولان كانوا [illegible] الاحاطة به
بعد المنتخبين [illegible] بطرق المنتخب هل هو متكمل الشروط أم لا ومن كان غير
متكمل يفصل عن المجلس ويعاد انتخاب غيره لكن ذلك لا يفيد في أغلب الاحوال
لان الذي انتخب بحيلته ورشاوته يكون متكمل الشروط الرسمية فلا يعد [illegible]

سبيلا لا قدح فيه لكنه غير مستكمل الشرط الاسلامي وهو رضاء الامة حقيقة بسلطته
الاسلامية والذات لكن ننفي ان يعتبر ان غاصب الولاية والامة يحرم منها فشرعنا
الشريف ولله الحمد مزيج [illegible] المقصود [illegible] لطلب الولاية وان كان عدلا متوفرة
فيه شروط وجيهة فانه يحرم منها بحرصه عليها هذا وقد صنف كتاب اقوم المسالك في
معرفة احوال الممالك [illegible] الوزير [illegible] وجوه في عصره ويغني عن
[illegible] صاحب التأليف وهو [illegible] في السياسة فمن اراد تحقيق الامور وتفصيلها فليرجع اليه

مطلب

﴿ في السياسة الخارجية في فرانسا ﴾

(اعلم) ان فرانسا لما كانت من اعاظم الدول الاوروباوية وفي طبيعة اهلها حب الفخر
ولو [illegible] كثيرة [illegible] حيث انه داخل في غريزتهم اشد من سواهم من
[illegible] في [illegible] في احوال [illegible] الاول والثالث [illegible] حرب سنة
١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م [illegible] كانت فرنسا [illegible]
ذكره في سياستها الخارجية [illegible] في جميع الجهات [illegible]
[illegible] كثيرة [illegible] ولو [illegible] المسود [illegible]
ولو بلا [illegible] دون [illegible] (اما) [illegible] كان ضعيفا في القوة والادارة
[illegible] الدول [illegible] ما وقع في
تونس [illegible] وهي سنة ١٢٩٠ هـ مما يوضح هذا القصد وهو دليل لدى
[illegible] في [illegible] الكلام على سياسة تونس الداخلية والخارجية

ذيل

﴿ في تعدي فرانسا على تونس ﴾

قد مر في المطلب الثامن من ابواب الادارة الداخلية في تونس حالة الوزير [illegible] مصطفى
ابن اسماعيل وتصرفاته وما وقع في [illegible] الفرانساوي التي كانت سببا في
[illegible] وتقدم [illegible] ما هي مقاصد دولتها
في تونس [illegible]
وقوع [illegible] كان معروفا [illegible] الفرصة من
سهولة

سهولة الوصول على يد ذلك الوزير الى ما لم يمكن التوصل به على يد غيره من دون العرض
والعقد وامثال ذلك سيما وقد كانت مساعي الوزير جارية في ابتداء الاتصال واذ بالسعاية لديه
فقد غيرت مشربه حتى طمع في ولاية له بعد ان يتولى هو الامارة من بعد الوالي
الحالي الصادق باشا اذا تم ادخال تونس طوعا تحت فرانسا فركن حينئذ لفتنتها
واحكم معه الموقوف رتب صافة الوزير الى له معرفة بجميع اسرار الحكومة وسر
تصرفاتها واضمر ان اسماعيل اشران كان اوعز اليه بان يشتكي من القنصل لدى دولته
ثم تعهد بذلك الوالي واسر في نفسه بانه لا يستهدف شيئا او على غرض لوفائه بالوعد فانه
لا يلبث ان يناله مثل الوزير العاصي في انقراض دولة بني العباس من بعد دون ثقى
ذلك لو لم يرفع الامل على شروط ادخال تونس تحت فرانسا لان الوالي لم يساعد على
الاتفاقية تلك الشروط التي قدمت الى الامير بواسطة الوزير خشية من الدول ومن الاهالي
في البقاء معه على الدولة العثمانية وفي تغيير حالة السياسة وجعل الوالي يسوف العقد
من وقت الى آخر وجعل الوزير يسعى في احداث وجه لتداخل فرانسا وامرها كثر
من الرسل الواردة الى الاستانة متطلبا بسعي هو والمساعدة او بسط بعض الاصول
العثمانية الى مرسى تونس مع اظهار زيادة التشيع الى الدولة العثمانية حتى لا ينفصل على
مساعيه الباطنية فلم يساعف من السلطان الى مرامه لم يكن له من داع كما انه لم تصدق
الدولة العثمانية الاقطاعات الى دسائسه وعزمه حتى سعى في صحة لدى العوائل
المتوقعة اذ من المعلوم ان الدخل السياسي هو كالمرض المزمن الذي لا يمكن فيه العلاج
الا تدريجا عند اول حدوثه سيما اذا كانت الدولة المحكوم عليها محتاجة الى استمالة غيرها
من الدول القوية الى معاضدتها على قرنها الاقوى ومع وجود ابعاد عسكر الوزير ابن
السعيد ل حالة الخلافة مع ايطاليا واتصال على تونس الحرب ووقع للفرانساويين منها
لم يطلبوها معارض بذلك نعودهم والتصاعد مهم كانه يحمد كرة في المطالب لتحسين من
احوال تونس ولما لم تنجح جميع تلك المساعي التي كان يمكن لفرانسا الاستناد عليها في
وضع حمايتها على تونس احدثوا فاول في اهمال حقوق الفرانساويين بتونس واظهر
الوزير المذكور الاستعفاء بقبول فرانسا ومال عنه كل الميل ظاهرا ورام ان يظهر
التعصيل في اجراء الامر التي اناطت الى الفرانساويين باوجه من الاعتذارات حتى اغريت
رعايا فرانسا بتونس على ان تكتب تقريرا بالشكوى من ضياع حقوقهم وطلب دولتهم
للانتصاف لهم ولم يرع الامر الا ان فرانسا احالت بخيلها ورجالها على حدود تونس معلنة

بأن قصدها الامن وحفظ حقوقها من جهة الحدود وغيرها وتقدمت في عداد المنشورات المتضمنة
لافكار وزير خارجيتها الى سفرائه وهذا نص تحريره باريس ٩ مايس سنة ١٨٨١ ايها
السيد الشريف انى ارسلت اليكم جملة رسائل في شأن تونس ونريد ان نحقق لكم المقصود
الآن ونخبركم عن سبب ارسال العساكر لا لتكون النتيجة التي نرجو اتساعها وكم
من مرة قد عرفت الدولة الجمهورية قصدها ومقاصدها وانتم تذكرون ذلك خصوصا
ما صرح به السيد رئيس الوزراء في المجلس العام وهو لا يمكن ان يكون فيه ادنى شك من
جده وصدقه ومع هذا في رغبتنا ان نصرح لكم لتعلموا لدى الدولة التي انتم عندها
ونقول ان سياسة فرانسا في تونس ليس لها الا مقصد واحد وهذا المقصد لدى يكفي
لوضوح موضوعه مرتبط بمقتضيات سنة خمسين كما هو الواجب علينا المحافظة
مستعمراتنا العظمى الجزائرية ففي سنة ١٨٣٠ لم تكن دولة من الدول المتتابعة
وتركت هذه الجهة العظيمة وانما نعمل لو يجب علينا الحفظ لمستعمرات الافريقية
التي لا يوجد احد من اوربا ينكر علينا ذلك فهم بالجهة من جانب وكثير الاراجيف
وقد كانت القبائل التونسية تغزون وتغار بين حتى فيما بينهم وقد تفاق على الجميع
قبائل وشتة واولاد شيش وخمير ولا تعرف كم تحاربوا ولا كم غزوتهم فلذلك
التزمنا الآن ان نرسل من العساكر عشرين الفا وهذا مما يدل على قوتهم اى الاعداء
المتوطنين في بلادهم بصفة تتربص وكان لدى الاول لارسال العساكر هو قهر قبائل
حدودنا الشرقية ولكن لا نقدر في تقرير الامن والراحة واعدنا الارتواء لحدودنا
ونحن لا نخاف من هجوم لكبير القبائل الى تونس اذ كان منه وحده ملك
النظر القابل في الوقت لانه تجرى من خارج التى مع غيرها هذه التشويشات
يمكن ان يأتى لها وقت وتنفذ كثيرا في الجزائر وتصل حتى الى فرانسا فيلزمنا بناء على
ما ذكر ان يكون لنا عند الباى ثقة كبيرة وانه قوى ويلزمنا ان يعوضنا المحبة
التى لنا عليه ولا يجمع التشويشات الخارجية لضررنا واستعمارنا وتنا الراحة وقد
وضعنا ان نخون بعض سنة بانه يلزمنا ان تقع دولة الجزائرية ان نحصل في المملكة
على قاعدة راسخة ونحن نحترم بالتدقيق منافع الاجانب وهم قادرون ان يتوسعوا بثمرات
مع فوائدنا والدول يتحققون ان مقاصدنا من جهتهم لا تتغير ولى هاته المدة الاخيرة
اتحادنا مع دولة الباى المعظم مستمر الا ما يحدث احيانا من الاختلاف في دفع تعويضات
لقبائلنا المضرورين ثم في الجبر يجمع الاتحاد ويزداد ثبوتا بعد هذه الاختلافات
الصغيرة

الصغيرة لاهانة الدولة الاحمرية فانه لما بات يصعب الاطلاع عليها قد تغير بل الدولة
التونسية لبنادفعة واحدة وكثرت ادلة الحروب ما كنه ثم لازالت تردد لى ب
وصحت وتقوت رمتها اصدكل الامتيازات التى حصلت للفرانساو يرى فى تونس مع
شدة لا زدة لديها الى ان وصلت لهذا الحال وهذا هو السبب الثانى لارسال العساكر
الذى كانوا العسكر منه ولكن بسبب السرة ارديتها الى طلبات مراعاة الترضية
عن هو واقع ولو اثنا مرسمنا الباى فى المطالب الحمقية فلانه تشرف بتونس كمملكة
مستقلة واما الحالة فى الحافظة الآن مع الباب العالى فهى مخالفة محبة وبل ضبى
وبودنا لو كما رأينا الدولة تونس فى منصر آخر غير الى هى عليه الآن ولكن قد بان
مانعن عليه الآن كرابة وثناقدر مستفهم من الباب اذا كان باى تونس هو وال
من قبلهم فلماذا لم يعوا سرية الى وما نحو وا انتا ستدعاهم ولماذا لم يفتشوا يمنع
التعبير الموجود الآن الذى نحن معذورين طويل كم نسعى فى عدم ابقاعه ويلزم لهذا
ان بالدى نحن محتمون فى حصر ان يتم فى شروط تونس حدودنا من الهرج
المستمر والتشويش المرى لبلاد دوامها غيره اوربن سعد فهذان هما القصدان
لارسال العساكر ولانحن نعدما وان الشق او وبالرضا اهام فى جميع نحوها بعدنا
الجهات التى بها النظر اما ع اضمن للمقول وهذه هى ابو ابدالتى خيمت حول
الباب وحول تونس ومن كلا الطرفين نحن مشغولون بالعمة وجميع ما نرجوه الذى
هو ان لا يكون عدو الله ولو ان المملكة تتضرر ولئن فادية من ان تحصل من اتحادها هما
فوائد لا تحصى اكثر مما تحصله نحن منها ونقدر ان تأتى بكل خير من العمران
الحاصل عندنا فى سنة ١٨٤٧ فعلنا فى البريد وفى ١٨٥٩ وسنة ١٨٦١
فعلنا التلغراف وفى سنة ١٨٧٧ وسنة ١٨٧٨ فعلنا السكة الحديد الذى طوله ٥٠
فرسخا من حدود الجزائر الى تونس وفى هذا الزمان نفعل لها شغل فرعين جديدين
احدهما يصل تونس بابى زرت من جهة الشمال طوله ٢٠ فرسخا والآخر يربط
تونس بسوسة من جهة الجنوب ويبتدئ عن قريب فى ابتداء عمل مرسى فى تونس
نفسها تدخل المراكب من البحر ومن حلق الوادى حتى الى ذات القاعدة من تونس
وان كان رأس ماله مشتركا بين فرنسويين وانكليز وطليان لكنه اذا اعتبرت المسمة
فيوجد لانه اتجاه لفرانسا وان الحذر بالجهة الادرياتيكية التى تأتى بالمياه العذبة
لتونس قد اصلحها احد المهندسين الفرانساويين ولما ترجع الخاصة لغيبة ما لا نزل

تقعر اشياء حسنة ومنارات على الشطوط ومراسي حلية توصل بين البلدان العامرة
الناجحة وسقي الارض بالترع الكثيرة في البلاد التي بها انهر كثيرة ولكن هاته
البلاد اهلها لم يعتنوا بتلك الانهر وكذلك الغابات وكذلك عمل استخراج المقاطع
الموجود بها كل نوع من المعادن وكذلك ترتيب الفلاحة في الاراضي الجيدة التي
للاجانب في المملكة والتي للاهالي أيضا وكذلك استعمال المياه المعدنية التي كشفها
الروماويون واستعملوها وبالجملة فمملكة تونس خصبة وغناء وآثارها القديمة تدل
على ذلك وتحت حماية فرانسا ينبغي ان تزال جميع الحجب عن المنافع الطبيعية
في هاته البلاد وتنتشر ثروتها وبمدة الترتيب الجديد تقدر ان تزيد اشياء اخر وهي انه
اذا كان الباي يعتمد على ذلك الترتيب السياسي في المملكة فانه يعمل تعديلا لازما قارا
وهذا مجبر الذي يسهل عليه اعماله ترتيب كيفية قبض المدخول وترتيب الخروج
وترتيب دفاتر الحساب على مقتضى ما نستعمله نحن في ماليتنا ومنه أيضا امر عظيم وهو
ترتيب العدلية على الاصول التي قبلتها الدول في ترتيب العدلية في مصر وفائدة هاته
الترتيب لا تختص بفرانسا وحدها بل ان المملكة ترجع بها النفع وكذلك لجميع الدول
المتمدنة التي نحن معها في [illegible] ولا حرب ولا شيء مانعا من الحاق تونس بمثل لدى
فعلناه في جزائرنا والذي فعلناه بها لا نتركه في العدد اذ نحن جعلنا ايالة تونس متمكنة لا
يعطلها حقوقه فهو دليل على ماضيه دائما من ان تونس مملكة مستقلة من غير ان
ترعى بعض آثار التبعية لهم فقد ابعض اسيادها تركوها مدة قرون وقد تصور
تلك التبعية نادرا ولو تحسب المدة التي هي فيها مستقلة لكانت اكثر من مدة التبعية
ففي سنة ١٥٣٤ أخذها المشهور بباربروس خير الدين اربع او خمس مرات
بانتصاره على الاسبانيول وفي العام الذي بعده أخذها شارل كين وكذلك في سنة ١٥٥٣
ثم اخذها داي الجزائر سنة ١٥٧٠ ثم اخذها دون جوان اسبانيا سنة ١٥٧٣ ثم
في طول القرن السابع عشر كانت تحت ضم الانكشارية [illegible] حكم وامراؤهم
الموسومون بالدايات كانوا اذذاك رعية فيها تقريبا كما كانت المماليك الذين قسموا
مصر ثم في سنة ١٧٠٥ كان احدهم المسمى حسين بن علي الذي اصله كريكي او كرسكي
صار رئيسا وكان هو احذقهم يعرف كيف يشدهم وقمع جميع [illegible] تسمى بالباي
وبمقتضيات الباب العالي قام بالدولة الحسينية ومن ذلك الوقت لم تزل الامارة فيهم على هذه
الصفة لا سيما وان من ٢٠٠ سنة تقريبا وهم مستقلون والرابطة الحقيقية بينهم

وبين

وبين الباب العالي هي رابطة دينية وهم معترفون بالخليفة لانهم ابدوا تحت السلطان
ومع ان وضع هذا انهم لا يدفعون له ادنى الاتاوة عند ولاية كل باي يرسل هدية عينية
تعظيما لرئيس الديانة القاطن بالقسطنطينية فتوفى باقي مدة الولاية ولا مسألة سياسية
يمكن ان تذكر غير هذه انه تفيد الودادية فليس لامير المؤمنين حق آخر على باي تونس
والمملكة تعقد شروطا كدولة مستقلة مع الدول الاجانب وتعقد معهم اتفاقات ويكون
لها قوة وذلك برضا الباي فقط وعلى هذا النمط وقعت معاهدة مع فرانسا في سنة ١٧٤٢
وكذلك في العام الثالث والعام العاشر وفي سنة ١٨٢٤ وهكذا صارت المعاهدة
المهمة في ٨ اغسطوس سنة ١٨٣٠ التي تمنع ملك العبيد والتلصص في البحر ولا يلزم
التكلم على المعاهدات الباقية كالتي في حق صيد المرجان وان الباب لا يحكم على الولاية
الا حكما وقتيا وهو رمز سنة للعثمانيين وعلى هذا انه في القرن الثامن عشر بقيت
تشكو دول اوروبا من التلصص البحري والسبي البربري وليس له حكم عام م وهو ليس
مولاهم وهو لم يضمن السرقات التي صنعوها بحارة البحر المتوسط وان دول اوروبا عقدوا
الحرب عشرين مرة مع المملكة من غير عقد الحرب مع تركيا وفي سنة ١٨١٩ كانت
معاهدة اكس لاشابل قد حكمت على تونس بمنع التلصص البحري من غير ان تطلب
من الباب التداخل في ذلك فهو مستبد على تونس وفي سنة ١٨٣٣ المملكة سردينيا
وما بعد عقد الحرب مع تونس من غير علم الباب لانهم يرون مثل ما يرى ان تونس
مستقلة ثم ان علاقة تونس مع فرانسا من وقت احتلالها للجزائر على الحد الفاصل من غير
واسطة تركيا والعدم التام احمد باي في سنة ١٨٤٢ استقل بكل ما يلزم من التعظيم للدولة
والباب العالي لم يزل يقع احداثا من غاية التعظيم للحق المذكور وكذلك جميع اوروبا
لتم على ذلك لان رأيها موافق لرأي اللورد آبردين الذي يقول في تسجيله ضد اخذها
الجزائر المكتب بتاريخ ٢٣ مارث سنة ١٨٣١ ان الدول الاوروباوية من مدة
طويلة يعقدون المعاهدات مع الدول البربرية مثل الدول المستقلين وخصوصا تونس
فانه لا يخطر ببالها الاجرة والدليل الواضح الحق لدى لا ينكره احد هو ان القوانين
في تونس المسماة بويورلدي وحلف عليها الباي الموجود بتونس محمد الصادق لما
جلس على الكرسي في ٢٣ ايلول سنة ١٨٥٩ من جملة الاقوال قانونا واحدا
منها وهو المسمى بالقانون النظامي لمملكة تونس وهو يحتوي على مائة واربعة عشر مادة
وانتشر بالعربي والفرانساوي في تونس وفي بونة ولم يصرح فيه ولا بكلمة واحدة

تقول السلطان وعمال لا يقدران يشك أحد منهم في استقلال الباي ما ذكر في الصحيفة
الرابعة من المقدمة في ذكر القانون ونصه ان المتوظفين الكبار التونسيين اختاروه
بكلمة واحدة ليكون رئيس الدولة على مقتضى قانون الوراثة المعروف في المملكة وفي
ذلك القانون فصول تامة شرحت الحقوق والواجبات للملك وعائلة الامراء من العائلة
الحسينية وحقوق وواجبات الرعايا وكيفية خدمة الوزراء وترتيب خدمتهم
والمجلس الكبير بالمملكة والمداخيل والحساب ولاشك ان من يطلع عليها
يقدر ان يعد ذلك البيان غريبا اذا اراد ان يقيس على راية الاروباوي ومع هذا
فهو دليل واضح على استقلال مملكة تونس وانها ليست تحت دولة اجنبية وجميع
المعاهدات التي بين الدول الاروباوية ومملكة تونس منذ مدة الثلاثة قرون الاخيرة
لم تعقد الا لمملكة تونس وملك تونس ومنها خمسة عشر او عشرون معاهدة امضيت
بفرانسا فهي سادات القول وفي سنة ١٨٦٨ المعاهدة التي وقعت مع ايطاليا مذكور
فيها مملكة تونس وتونس أيضا اتسم نصها في قانونها الاساسي الاممي الذي
اطلعته عليها جميع الدول وهي زادت ان ترسخ المرتبة التي لها بالاستقلال والقدرة
الموافقة له فبناء على ما سبق من الادلة القوية والمتعددة وبسبب ان العالي لا يقدر ان
ينقص من الانكار في نسبة سيادته على تونس مهما طلب هو ذلك حتى الى الآن ونحن
نقربان الباب شدد في طلبه منذ خمسين سنة وفي سنة ١٨٣٥ ادخل تحت سيادته
طرابلس بعد ما ضبط القبيل الحائز له ثم اراد ان يعمم سيادته على تونس الا ان قوة
فرانسا المصادمة له منعته من مقصده وبعد عشر سنين اى في سنة ١٨٤٥ تاما يمضي
السلطان الى تونس ومعه فرمان ليقلد الباي منصب الولاية الا انه لم يقبل منه ثم مضت
عشرون سنة من غير تجربة جديدة لكن في أواخر سنة ١٨٦٤ رجعت التجربات
القديمة وانما هاته المرة كانت المملكة بتمامها في حالات التقلب دوالكن هذا
كان من الغريب اذ وقع من الامير الذي هو حتى لذلك الوقت بعينه وهو يظهر المدافعة
عن استقلاله وهذا انما كان من الاشارات القوية التي نحوت لدى من حاشيته امام
الباب فارسل لذلك امير الامراء خير الدين الى القسطنطينية ليعرض ويأتي بالفرمان
وهاته المرة أيضا فرانسا عارضت في ذلك وعوضا عن الفرمان السلطاني فالباي
ومستشاريه التزموا بالرضاء بمكتوب وزيري متضمن لمعاني الفرمان ثم اغتنموا الفرصة
وقت مصيبتنا في سنة ١٨٧١ وتمموا ما كانوا ممنوعين منه سواء كان في مدة الولي قايب

الذى

الذى كان غالبا اسطوله يمنع الاسطول التركى من القدوم الى تونس أوفى مدة
الامبراطور الذى لم يقلد من العزم المشار اليه وفرمان ١٥ تشرين أول سنة
١٨٧١ الذى اتخذ نفوذه تحت ظل مصيبتنا اشتهر فى ١٧ تشرين ثانى فى باردو
واعلن به حينئذ بحضر الدين باسم السلطان وقبله الباى الذى كان طالبه له مع شئ من الغضب
ومرأينا على كل حال ضعيفات قوة وحيث الفرمان باطلا أو كانه لم يقع ومن مدة عشر
سنين لم نبطل شيأ من عملها عند ما تقتضى الحال ومع نجاح الباب هو بنفسه له شك فى
امر وحق فرمانه بتاريخ سنة ١٨٧١ الذى ضرب استقلال مملكة تونس المتقادم
وهذا الفرمان انتشر قليلا الا انه عند الغالب لا يعرف ما عدا بعض الدول الذين لهم فوائد
تو اوفى ترتيب الفرمان المذكور ان تونس تكون تحت الباب مع ان حكم باى تونس
باق كما كان يعرف من منذ مائتى سنة فمن بنى تونس صار والباى والباقا على ايالة
تونس وعلى موجب ذلك فالوراثة فى الحقيقة لم تكن مستقرة فى العائلة الحسينية خلافا
لما ذكره الفرمان بل الوالى يعزل بارادة السلطان ومن الممكن ان يعرف الباى ضرره
وضرر مملكته وعريته وحياته التى هى غلطة كبيرة جعلها آثارا واعلنها وهو محمد الصادق
ليس له خوف من جهة فرانسا ولو مع ما عمل من الشر معها ومع هذا فهو لم يلتفت بعده
لا لدربته ولا لدولته وامام جهة الباب فهو بالعكس وله الخوف الكبير منه
لانه يمكن ان يبعده بحسب الحال ثم لا تخفى برهاننا واذا تأملنا التمرد وتدبر
معانيها بعدها مخالفة للوقع فى كثير من الامور سيما بعض الاحوال التاريخية كما
يتبين من مقالة كلاهمتا كرناه فى تاريخ تونس وسياستها وصلتها مع الدولة مع
المكاتيب الرسمية التى تعطاها حرفيا حتى من تونس فى فرنسا وتؤكد ذلك ما تراه فى لوائح
الباب العالى لاسيما انها كانت لحالة لما بلغت الى درجة هجوم العساكر على الحدود
تظاهر والى تونس بان أرسل الى الباب العالى مكاتيب فى التشكى من فرانسا
وأرسل الى نواب الدول تفصيلا على ذلك أيضا ولما تحقق الباب العالى الاحوال الرسمية
أرسل عدة لوائح الى سفرائه مستنجدا بالدول محافظتهم على معاهدة باريس التى أشرنا
اليها سابقا وعلى معاهدة برلين وعبارة عن مقصد الباب بحقوق الاضافة التى
أرسلها وزير الخارجية للدولة العثمانية الى سفراء الدولة ونص تعريبها القسطنطينية
١٠ مايس سنة ١٨٨١ ان الاعلانات المختلفة عرفت فخامتكم الوقائع التى صارت فى
المسئلة التونسية وقد سبقت بهجوم بعض القبائل البدوية بجهة تجرز ولهذا الهجوم

قال كان التونسيون أعلنوا بأنهم حاضرون لبذل طوقهم بغير ترخيص فالدولة العثمانية
حكمت بأنه يلزمها الإرسال عدد وافر من العساكر للدفاع ولو على جزء كبير من الولاية
ولم يبعدوا عن المركز الأعصر فرنسا من غير التفات لما كما أكدنا به على حضرة
الباشا الأخذ في التدابير اللازمة لتقوية الحال جهة في الواضع ابتداء دولة جمهورية
لا تريد أن تنظر للمحافظة الفرانساوية تونس مع السلطنة العثمانية التي هي منسوبة
بوضعها للسلطنة المذكورة وأظهرت بأنها لا تقبل قوله بالاتفاق الودادي مهما انقطع
الاختلاف لدى وقوع وترتيب حقوق الباب العالي مع منافع مرافقي ذلك المحل وترتيب
الأشياء الموجودة من زمن قديم ولا نقدر أن نزيد في إيضاحها كما يلزم وهي سيادة
السلطان التي ليس فيها اختلاف على هاته الولاية وهي سيادة متأكدة للدولة عموما
وهذا الحق بقي إلى الآن صحيحا ولم يقع فيه من زمن تغيير وهو من سنة ١٥٣٤ بخير
الدين باشا وفي سنة ١٥٧٤ فتح على يد سنان باشا وقد تبعت الدولة العلية بإرسالات
إلى ذلك الواضع دوقة عظيمة برا وبحرا ومن زمن ذلك الفتح فالسبب التي فيها الباب
العالي هي أن جميع ولاة تونس يتوارثون الولاية من ذرية الوالي ذول الحمى من
السلطان ويتقلدون إلى الآن المنصب منه وفرمانات الولاية في خزينة الديوان
وكذلك جميع المكاتيب التي في حيز الباب العالي فإنها تارة تكون في شأن مخابرتهم
مع الدول الأوروباوية وتارة تكون في شأن أحوالهم الداخلية والتي في هاته المدة
الأخيرة فإن الباب العالي من استحقاقه على حقوقه زيادة على كونه سمى الوالي العام
فإنه يرسل من القسطنطينية إلى تونس قاضيا وباش كاتب الولاية ولم يكن لأمن ترجم
الدولة العلية فإن سمت الوالي لا سمي هو بنفسه هذين المتوظفين وأيضا فاتباعا للأدب
وخصوصية سيادة السلطان فإن الخطبة تذكر فيها اسم جلالته وتضرب على السكة أيضا
وفي وقت الحرب ترسل تونس الإعانة إلى حضرته وعلى حسب العادة القديمة يأتي إلى
القسطنطينية دائما أناس رسميون ليقدموا تعظيمات الوالي وخصوصا لأعتاب
السلطنة وليقبلوا أيضا الإذن اللازم من الباب العالي لأمور عينية في الولاية ثم إن الباشا
الموجود الآن والأهالي التونسيون مادام بيده في اتصال وأمضى ذلك حضرته
السامية بالفرمان المؤرخ في سنة ١٨٧١ وتعرف به جميع الدول والآن قد استعانت
الوالي بعهده سيادة لحق الحقيقة على الحالة الردية التي وقعت فيها تونس الآن وهاته
الأشياء التحقيقية لا ينكرها أحد فهل تريدون أن تعرفوا الآن تقريرها بالتاريخ
وبالمكاتبات

و بالمكاتبات الرسمية وهو طول لكن نقتصر على المهم منها لئلا يطول الكلام في هذا الطراف ففي المعاهدات القديمة التي بين تركيا وفرانسا تعدد ألقاب الحضرة السلطانية ويكون منها لقب سلطان تونس (انظر مثلا) معاهدة ١٠ صفر سنة ١٠٨٤ هـ ١٦٦٨ م وفي هاته المعاهدات أيضا وجد بأن كل المعاهدات التي بين الدولتين تجرى أيضا في تونس وفي نصف القرن الرابع عشر أي في ١٥ صفر سنة ١١٦٦ أرسل السلطان فرمانا للباي واحدا كم الكبير بالولاية في رضاء الباب العالي بأن قناصل فرانسا بجميع خدمات قناصل الدول الذين لم يكن لهم اذ ذاك نوب بالقسطنطينية كالبرتقال وكتالونيا واسبانيا وفنيسيا وفرنسا وغيرهم والقنسل وكالته هي حماية السفن تحت الراية الفرنساوية في المراسي المشهورة بالولاية والفرمان يمنع تداخل قناصل الانكليز والهولنديز وغيرهم من التداخل في خدمة نائب فرنسا وذلك سند مع التعدى بين الباب العالي وانما المؤرخ في ٩ رمضان سنة ١١٩٧ هـ المتقرر بمعاهدة سنوها في ١٢ ربيع الآخر سنة ١٢٠٠ فانه باذن حكام الجزائر وتونس وطرابلس الغرب بان يحموا في اسم السلطان المعتبر بسلطنة الرومان العظيمة وأيضا ان الاتفاق الذي قدم هذا لسندوغم في ٥ شوال سنة ١١٦١ هـ بالاذن من السلطان وكان هذا الاتفاق وقع بين الحكام المذكورين والسلطنة المذكورة فان الوالي العام بتونس وهو اذذاك في رتبة بكلر بيك وبالاسم علي باشا بذكر في مقدمة كل مكتوب يمضي عليه منه هذه الكلمات بعينها وهي (مولانا السلطان العثماني محمود) ومن ذكر واقعات ذلك الزمان سنذكر الاذن الصادر من الباب العالي في ١٥ ربيع الاول سنة ٢٤٥ هـ ١٨٢٧ م لحكام الجزائر وتونس وطرابلس الغرب فانه يأمرهم ان لا يتداخلوا في الخلاف الواقع بين سلطنة النمسا ومملكة المغرب وكذلك الاذن الصادر من القسطنطينية لوالي تونس في ١٤ صفر سنة ١٢٤٧ هـ ١٨٣٠ م فانه أمر بترتيب العسكر النظامي بالولاية على نمط الترتيب العسكري النظامي العثماني وأيضا في مكتوب مبني بالطاعة من الباشا التونسي لجلالة السلطان في سنة ١٨٦٠ وذلك الباشا هو الذي سماه السلطان واليا عاما وقد انتشر هذا المكتوب في جميع صحف اوروبا من غير ان يعارض ولا من دولة واحدة ونزيدكم شيئا آخر وهو انه في سنة ١٨٦٣ في واقعة القرض التونسي الذي وقع في باريس من غير رضاء الباب العالي كان رسيو دواروان دولوبس وزير خارجية

الامبراطور نابليون الثالث فاعلن رأيه بناء على شكايات الدولة العثمانية وقال
انه يلزم اما استشارة تونس او الصراف الذي يريد عقد القرض معه ان يطلب رضاء الباب
العالي ليصح هذا القرض ولا مدافعة عن حقوق الباب العالي فاجاب الوزير الفرنساوي
ارسل بقوله هذا الكلام يصرف المشار اليه ونحن نصح بثبوت الكلام السابق
لدى ميزان العدل والحق لدى الدول المصادقين على معاهدة باريس وانا متحققون بان فكر
الدول محيط بالامور الكثيرة في الواجبات العمومية التي قصدها المؤتمر باجتماعهم
بدون ان يعملوا بالعدل قولنا الذي قدمناه وانهم يحفظون على حقوق الباب
العالي الاخرى المشروطة بالمعاهدة المذكورة ويلحظون الحال بين الدولتين فرانسا
وتركيا في علاقتهما التي هما فيها بالولاية المعروفة باسم تونس بقية الجمعية للسلطنة
العثمانية والمرغوب من حضرتكم ان تتكلموا مع وزير الخارجية في مضمون هذا
التلغراف وتشرحوا له ما تراه نافعا ولكم الاذن بان تعطوا نسخة من هذا الخطاب للوزير
اذا طلبها اهـ (ملخصا مصطفى عاصم) ومن تأمل هذه اللائحة مع ما قررناه
في سياسة تونس الخارجية وما صدر من فرانسا في الاشتراك في افريقيا لم تكن
تنازع قط في ان تونس من ممالك الدولة العثمانية وانما تدعو بعدم ضياع ان تلك
الايالة لها امتيازات حافظة بها على اجراء الاحكام وعوائدها ويصدق ذلك تصريح
وزير فرانسا دروان دولويس في مجمع فيينا اثر حرب القرم مع الماسال وزير الروسيا
من تعيين الممالك العثمانية للحدود بحيث ومثل بتونس وانه يتراءى فيه نزاع في حاله
الوزير الفرنساوي من ذلك ولا نزاع في كون تونس من الممالك العثمانية وان
كانت لها امتيازات تخصها وكذلك المعاهدات المعقودة بين فرانسا وتونس حتى
التي وقعت بعد الاستيلاء على الجزائر عقدت لم يصرح فيها بان سائر المعاهدات
المعقودة مع الدولة العثمانية تكون مرعية الاجراء في تونس ولا يعزب عن عاقل ان ذلك
التصريح لاتحاد تونس بالممالك العثمانية ومع هذا كله لم يجد استصراخ الدول لان
فرانسا لم تبال بهم الا بعد ان امنت افكار اغلب الدول الكبيرة فوجدتهم غير
معارضين لها الا دولة انكلترة فتحولت رماحها الى الاصلاق الذي لا يرى معه دولة في
المحافظة على الدولة العثمانية بعد ان طلب تحريرهم لها في الحث على الجري بان على
مقتضى نصائحهم ولكنهم لم يروا العمل ودونك ما نشر في الكتاب الازرق من الخطابات
التي وقعت من الحضرة السلطانية ورئيس وزرائها ومع سفير انكلترة بالاستانة حسبما

انجبر

أخبرهما وزيره بعدة تلغرافات التي ما تقدم فيها التلغراف من موسيو غوشن (سفير
انكلترة لدى وزير خارجيتها) بتاريخ ١٩ نيسان سنة ٨٨١ م بترجمته الى وصلت
جلالته (أي السلطان) مشهود الفكر مرة لادعاء وسادة على ما عندي من الاذن أعلنت
له بأن الدولة الانكليزية تريد بقاء الحالة الموجودة في تونس واستلفت الانكليزي بتونس
له الاذن ليرشد الباي اذا استشاره بان يعتمد على ما في تقرير راحة الحدود وانى أرجو
ان جلالته يشير على الباي أيضا بذلك فالسلطان سكت بعض دقائق ثم ظهر على وجهه
الغضب وقال انه فهم من كلامي ان الدولة البريطانية تريد بقاء الحالة على ما هي عليه
في تونس ولها نفع في ذلك وفهم أيضا تأثيرنا على محمد الصادق باي بعين العساكر
الفرنساوية فهمت عصمته باني ما قلت ان الدولة الانكليزية تنتفع ببقاء الحالة
الموجودة ولكنها ناظرة في ذلك فقط على هذه الكيفية ونحن نتأسف كثيرا من وقع
مسئلة جديدة في الشرق واننا الان نتشكر انه وجد فيه مخصوصية للانكليز بوطنه
باي كيفية كانت في حوادث تونس فعند هذا أجاب السلطان بانه لم يكن يجمع بين
رجالنا في ابقاء حالة تونس على ما هي عليه ووجدت شرعي الباي من بعض العساكر
الفرنساويه فهذان الشيئان لا يتوافقان لانه على رأيه يكون دخول العساكر الفرنساويه
الى تونس ناقضا للحالة الموجودة وفي اثناء تقرير موسيو غوشن أيضا يقول فيه ان
الجلسة لدى وقعت بيني وبين باشا [illegible] فهم عصمته انكلترة وقال ان الدولة
الانكليزيه تقدر أن تعمل مع الدولة العثمانية المعروف من الباب العثماني يكون
ممنونا اذا كانت انكلترة تريد أن تعمل [illegible] فقلت له ان ما كنت قد قلته لكم قد وقع
والذي كنت تقوله دائما هو انه أي زمن تكون فيه تركيا متعذرة بان تعين انكلترة
المساعدة وقد تكلم على الحادثة الى كيفية الان وتكلم أيضا على ردود انكلترة
فسألته وقلت ما هو دليل المودة الذي أظهرته تركيا لانكلترة منذ بعض سنين وفي أي
وقت تبعتم اشاراتنا وفي أي وقت قبلت استشارتنا ان الدولة للسلطنة التركيه لم ان الترك
قد عملوا غاية جهدهم ليتركوا المودة التي في رأي العموم في انكلترة ورجوعها الان
ليس بسهل مخصوصة العابدة فأجابت الباب جميع الشبه الان تعرض عن [illegible] بصورة على
وجوه الغضب من الكلام الذي قلته قصدا [illegible] في طلب الاعانة فشرحت له بان
نازلة تونس مثل النوازل الاخر الشرقيه ولا تقدر انكلترة على اتمامها وحدها ومع هذا
فليس لنا فائدة خصوصية وما استقامة تمسكنا بالمواقعة الاوربيه ولا دولة تريد قيام

عصر جديد يقبل ان تتم الاعمال القديمة وكل دولة تكون حازمة اذا كانت تعتني كل
واسطة حصر النازلة التونسية في حدود ضيقة أقول ما يمكن لئلا تقدم دولة تدخل فيها
الدول برأي مختلف في بابه العالي يقدر به من جملة كلامي بان ليس لي الآن ان اقرر
الرجاء بان تكون الدول العظام الاوروباوية يظهرون انهم محتاجين على نازلة مختلفة
بين الباب العثماني وتونس والطلب الخصوصي من انكلترة ليس بموافق لحالة الباب
العثماني منذ بعض سنين مع الدولة المشار اليها وهذا الخطاب كاف في بيان الحال مع
انكلترة وهي وان أظهر بعض أهل شورها التنديد على سياستها وطلب المحافظة على
تونس وانها للدولة العثمانية بين ما أنشأ انكلترة من النصرة عند استيلاء
فرانسا على مرسى ابن زرت وعلى غيرها من خليج الروم ورجحان كونها في البحر
الابيض لكنه لم يعد كلامه حيث كان من حزب المحافظين الذي هو مغلوب حينئذ
واستغنت عنه الوزارة بان حزبه هو الذي فتح الباب لفرانسا ان اول رد صادر لدى
كان وزير الخارجية عند عقد مؤتمر برلين المشار اليه ورد برهان على استيلاء انكلترة
على قبرص أجابه بانه لا يعارض فرانسا اذا ارادت الاستيلاء على تونس فاذا يكون
استيلاء فرانسا بوعد انكلترة وقد ضعف المستند لذلك عن كون لو عدم صاحب رأي
كان في سباق ان ترضى تلك الدولة العثمانية صاحبة الملك مع الرضى العام لا اعتبار الا
ومع ذلك فالانكلترة مقاصد على تونس مخفية في مصر فرأت ان مساعدة فرانسا على
تونس تلائمها في مقاصدها في مصر عند الحاجة ذات اعانتها فرانسا ولهذا
لم تعترف بالمعاهدة الجديدة مع تونس رسميا حتى ان وزير فرانسا لاول اعلان في
مجلس النواب بان انكلترة وافقت على معاهدتها استنادا لما دار بينهم
من الكلام فيها فاعلن وزير خارجية انكلترة حالا بتكذيب ذلك الادعاء وما ذلك
الا لمقاصد مأثرية لدولته حتى اذا لم تساعفه فرانسا في مصر وآل بينهم الامر
الى المشاحنة الحقيقية كان لانكلترة وجه في نقض ما حل بتونس واما دولة الروسيا
فلا شك انها يسرها كلما ضعفت الدولة العثمانية ولا فائدة لها في مشاحنة
فرانسا ولذلك كان جوابها عقب حصول جواب سابقتها وأما دولة المانيا فاجابت
خصوصيا بان الاولى للدولة العثمانية الاضراب عن هاته المسألة وانها هي لا تعترض
لفرانسا بشيء والباعث لها على ذلك وجوه (أولها) اظهار عدم التجافي عن فرانسا
التي لها عليها حقد اخذ الثار (وثانيها) جلب اعداء معادين الى فرانسا كالدولة
العثمانية

العثمانية وابطال الباحثين اذا أطالت الحرب يوما ما بين المانيا وفرانسا فتجد المانيا الظهير
على فرنسا عند ذلك الغرض من الباعث الداني (وثانيها) اشتغال فرانسا بفتوحات جديدة
في أراضي فسيحة وخلق كثير في اوربا يقبار عما طال اشتغالها بها حتى يبرد لهيب أخذ
الثار (ورابعها) اضعاف قوة فرانسا وقت الحرب اذ الامم الذين تريد التسلط عليهم
وان لم يكونوا كفؤ محاربة فرانسا لخلوهم من آلات الحرب والاستعداد لها لكنهم
لما كانوا اصحاب وأهل نجدة وشجاعة ومثاقفة للحرب لا ينثنون دائما أن يحدثوا عليها
ثورات سيما اذا علموا بوقوع حرب بينها وبين أجنبي فتضطر فرانسا في وقت الحرب
الى أن تبقي قسما عظيما من جيشها محافظا على ذلك المستعمر وذلك يفيد المانيا نقصان
قوة جيش خصمها في حربها (وخامسها) تمهيد السبيل الى اعمال تريد المعارض
فيه بينها وبين [illegible] المانيا ليس لها مرسى على البحر الابيض وقد دق من جنس
الالمان تحت المساعدة ملايين حول الجهات التي بقرب مرسى ترست فلو أخذت المانيا
ذلك الباقي من الالمان مع تلك المرسى يكون ذلك غاية أمانيها ولكن ذلك لا يحصل
الا بحرب مع النمسا وقهرها أو بمعاوضة ذلك بالذي يرضيها من ممالك الدولة العثمانية
مثل أحد ولايات مقدونية ومرسى سلانيك الواردة لك المانيا وخدمتها حسبما أشيع
ذلك مرارا ولذلك كانت المانيا أول من بادر للامر بتنها في تونس باتباع سياسة فرانسا
فيها وتبعتها على ذلك أيضا النمسا لانه ليس لها سياسة تخصها في تونس وهي طامع
المانيا عقدت معها اتحادا على المدى ولا يدوم ثم انها لها مطامع في جهة بحر الخزر
لتتمكن فيه بمواقع مهمة لكي تسلم في مرسى ترست الى المانيا عليها حيث لم يكن لها
مرسى في بحر الابيض كما تقدم ذكره فلا تعارضها فرانسا عند العمل وأما ايطاليا فانها
تعرف من ذلك [illegible] التي لا تزال [illegible] كانت غير كفؤ
بانفرادها لمعارضة فرانسا وانحصر دفاع الدولة العثمانية أيضا لا يعدي لاحتياج
كل الى المال مع ما في الدولة العثمانية من الحالة الداخلية والخارجية التي أعقبها
الحرب الاخيرة فلم يسعها الا السكوت وتحمل عرق التربة مع عظم المصيبة في عموم
الاهالي والدولة وهي حريصة على ابقائها كان على ما كان في تونس وكانت عند
ملاحظتها مبادي الشر رضيت بالمساعي مع الدولة العلية ولم يكن من لقدر
قبول الانقياد لما أرادت حتى أنكر الوزير العثماني على المأمورين العليا في التكلم معه

في تونس وقال لها انهم تابعة لنا ولا دخل لها في الامر وعند هجوم فرانسا صار يقلق الى
ذلك الامور ولكن تمادى طاليا بعد ان وقفت له مصر في المثل المصيف ضبطت الان رعايا
تعهد عبرت عساكر فرانسا حدود تونس مدافعة لمهاجمة قبيلة خمير من اعراب
الجبال لتتبعها عند حدود الجزائر ولم يتعرض لها احد بالمصادمة لان حكومة
تونس قد تقدمت حالتها الاعتيادية من التوفق مع فرانسا ومع ذلك فليس عندها تحت
السلاح العساكري ولا اقتدار لها على معارضة فرانسا بالقوة واستندت ظاهرا
الى امر الدولة العلية بارتكاب السبيل اللائقة واظهر الوزير التونسي اذ ذاك التزام العمل
برأي مجلس الشورى حيث فات الاوان مع ان جميع ما وقع فيه يقرره الى تابعه على ابن
الرئيس ايلاو وهو يقرره الى نائب فرنسا وكانه غرل مجلس شورى لا تقضه لهم من هو بالمرصاد
منهم حتى يحصلوا من اطلاعه على جميع احوالهم وتمكنت عساكر فرانسا من بلدة الكاف
وباجة وبنزرت وفي اثناء تلك المدة كانت الحكومة التونسية لا تزال تحول وتشتكي
وانها مستعدة لتربية قبائل الذين هم في نفس الامر انما تحدوا وسيلة فقط ومع ذلك
فقد اوعز الوزير بواسطة تابعه المشار اليه الى نائب فرانسا بان لا واسطة مفيدة في
الدخول تحت فرانسا الا قدوم شرذمة من العساكر الى قصر الوالي والاحاطة به ذا القوة
لما ترى ذلك تصعق بالخوف فيضطر الوالي الى الامضاء على الشروط وبعد العذر عند
الاهالي ومع ذلك ارسل خبرا بالسلك الكهربائي الى الباب العالي يقول فيه ان
فرانسا تطلب عقد شروط ولا يعلم ما هي فماذا يعمل فاجيب من الباب بان يعمل كما
يطلب منه على الباب العالي ولا يمضي شيأ وقبل ذلك اشاع اصحاب الاخبار ان في عزم
الدولة ارسال خير الدين باشا الى تونس معتمدا في حسم النازلة لمعرفته باحوالها وسياسة
الاهالي والاجانب ولكي يكون عونا على ابقاء حالة الامر وفقه ارسل الوالي تلغرافا الى
الباب يطلب ان يكون المرسل غير المشار اليه وتعجب كل غافل عن المقاصد الخفية من ذلك
الطلب اذ ذاك الحالة لا تدع مجالا للتعصبات سيما وقد سبقت من خير الدين الى الوالي
المشار اليه المجاملة وعدم الاكتراث بما عمل معه عند حلوله بالاستانة وترقيه فيها لكن
المطلع على الباطن رأى ذلك تابعا الى التواطئ على ذلك الاحتمال لان وجود مثل خير الدين
في تونس لا يروج عليه ما يروج على غيره لم يثاقف طبع الشعب ومع مجاراته للباب
العالي وتقبله للمواقع لنزاع قدر الامكان لتأمين الوالي حيث اظهر الميل الى الدولة

فانه

فانه أى الوالى أسرع الى امضاء الشروط مع فرانسا والحال انه سداداته . ومن الباب العالى بنهيه عن الامضاء لضعف وبعجز الباب بعد ذلك شئ حتى انه عما شاع من مصادقة الباى بانه مكره عليه وكلما ورد بعد ذلك من الباب سلطانه الى فرانسا مدعيا ان الشروط قاضية بذلك (وهذا نص تعريب المعاهدة) ان دولة جمهورية فرانسا ودولة باى تونس أرادوا أن يقطعوا بالمرة تجديد الخرب الذى وقع قريبا فى حدود الدولتين وفى شطوط تونس وأرادوا أن يربطوا علائقهم القديمة التى هى محافظة مودة وجوار حسن فاعتمدوا على ذلك وعقدوا معاهدة فى نفع الجهتين المهمتين وعلى موجب ذلك رئيس الجمهورية الفرانساوية سمى وكيله موسيو الجنرال بريار الذى يتفق مع حضرة الباى السامية على الشروط الآتية (أولا) المعاهدات الصلحية والودادية والتجارية وغيرها الموجودة الآن بين الجمهورية الفرانساوية وحضرة الباى يتحتم تقريرها واستمرارها (ثانيا) ليسهل لدولة الجمهورية اتمام الطرق للوصول الى المقصود الذى يعنى الجهتين العظيمتين فحضرة الباى ترضى بان الحكم العسكرى الفرانساوى يضع العساكر فى المواضع التى يراها لازمة لتقرر وترجيع الراحة والامان فى الحدود والشطوط وخروج العساكر يكون عندما يتوافق الحكم العسكرى الفرانساوى والتونسى على ان الدولة التونسية تقدر على تقرر الراحة (ثالثا) دولة الجمهورية تتعهد لحضرة الباى بان يستديم دائما وهى تدافع عن جميع ما يخوف منه الضرر مما فى ذاته أو فى عائلته أو فيما يضر دولته (رابعا) دولة الجمهورية الفرانساوية تضمن فى اجراء المعاهدات الموجودة الآن بين دولة تونس والدول المتعددة الاوروباوية (خامسا) دولة الجمهورية الفرانساوية تحضر نحو حضرة الباى وزيرا مقيما لينظر فى اجراء هاته المعاهدة وهو يكون واسطة فيما يتعلق بالدولة الفرانساوية وذوى الامر والنهى التونسيين وفى كل الامور المشتركة بين المملكتين (سادسا) ان النواب السياسيين والقناصل الفرانساويين فى الممالك الخارجية يتوكلون ليحموا أشغال تونس وأشغال رعيتها وفى مقابلة هذا فحضرة الباى تتعهد بان لا تعقد معاهدة عمومية من غير أن تعلم بها دولة الجمهورية ومن غير أن يحصل على موافقتها من قبل (سابعا) دولة الجمهورية الفرانساوية ودولة حضرة الباى أبقوا لأنفسهم الحق فى أن يؤسسوا ترتيبا فى المالية التونسية يمكن لهما دفع ما يلزم الدين التونسى العام وهذا الترتيب

يضر في حقوق أصحاب الدين التونسي (ثامنا) ان غرامة الحرب يفرض عليها
القبائل العصاة بالحدود والشطوط وتعمل دولة الجمهور مع حضرة الباي ويجب بعد
شروطا على كيفيتها وكيفية رفعها ودولة حضرة الباي تضمن في ذلك (تاسعا)
للمداومة على منع ادخال السلاح والآلات الحربية من المملكة الجزائرية الفرنساوية
فدولة باي تونس تتعهد بان تمنع دخول الاشياء المشار اليها من جزيرة جربة ومرسى
قابس وسائر المراسي الجنوبية في المملكة (عاشرا) ان هاته المعاهدة توضع لدى
رضاء دولة الجمهورية الفرانساوية وترجع في أقرب مدة ممكنة لحضرة الباي السامية
حرر في ١٢ مايس سنة ١٨٨١ بالقصر السعيد الامضاء محمد الصادق باي والجنرال
بريار والذي يؤكد صدق التواطئ من قبل ان الوالي طلب من امير بريار فرانساوي هما
أمير العساكر والقنصل أن يمهلاه مدة للتأمل من حالة الشروط فاجابه القنصل بانه لا داعي
الى ذلك حيث ان الشروط عند دو بريار منذ مدة وتأملتم أنت وهو ولم يبق الا الامضاء
ويؤيده أيضا ان رئيس المجلس البلدي السيد محمد العربي زروق أحد أعضاء مجلس
الشورى أصر على عدم الموافقة على امضاء الشروط وألح على الوالي بذلك عند جمعه للمجلس
وأمير عساكر فرانسا منتظر لابرامها وقعه بان ما يخشى منه بعد عدم الامضاء يقع لا محالة
بعد الامضاء فالتمسك بالمرة لاصابة أسلم وأشرف وعورض بانه قد علم ان الوالي
اذا لم يمض يولي العساكر عوضه أخاه الثالث (محمد الطيب باي) لانهم اكدوا ان له
اتفاقا مع الفرنسيس فاجاب بان جميع الاهالي لا تطيع الوجه المذكور وعلى فرض قهرهم
يكون الوالي على شرفه وربما اضطرت الدول الى ان تداخل بوجه يحسن الحال فلم يلتفت
لكلامه وعزل أثر ذلك من جميع وظائفه وجعلت عليه مراقبة في داره وتحجر عليه مخالطة
الناس وتحقق مزيد الاضرار به الى ان اختفى بقنصلاتو انكلتره وسافر من وطنه
وأقام بالاستانة ويشهد صراحة للتواطئ ما صرح به البارون ييلت لفرانساوي
في تشرين أول سنة ١٨٨١ عام في هاته المسألة وانه كانت أرسلته دولته حيث كان
أحد مأموري الوزارة الخارجية لاستقراء امر تونس وذلك في كانون ثاني سنة ١٨٨١
وان الوالي أجاب اذ ذاك فرانسا بانه يقبل الشروط اذا كان الواسطة فيها هو فرديناند لسبس
لانه كان يؤمل بواسطة المذكور الحصول على شروط أوفق له وان الشروط اذ ذاك
كانت غير التي قررت الآن ومع ذلك كله لم تعلم الدولة العلية بشيء ونعلم
صدق

صدق الكلام في اضمار الوزير تونس السوء للدولي بالخصوص حيث ازاغه عن
الحق ونصحه بما يقتضيه الدين والامانة ثم كانت خاتمة أعمال نائب فرانسا عند امضاء
المعاهدة أن طلب من الوالي نفي علي ابن الزين الكاتب لكي لا يخبر بما وقع من الاسرار التي
اطلع عليها فنفي الى حصن قابس ثم توجه الوزير ابن اسماعيل الى باريس في سفينة
فرانساوية صحبة شاكر الامام فرانسا لاثبات المعاهدة ومقابلة لصاحبه بصدق في خدمتها
اريد مما كان بذله سابقا كذا في عبارته الرسمية عند ملاقاته رئيس الجمهورية
المنشورة في الصحيفة الرسمية وقلدته فرانسا بأكبر نيشان لها مع الشريط الكبير
ورجع الى تونس ولم يلبث بضع اشهر حتى ورد الامر على الوالي من وزير فرانسا بعزل
وزيره ابن اسماعيل لان نائب فرانسا نقم من توجهه الى باريس وتفاوض مع دولته
فيما يسلكونه في تونس حيث ان الاعراب والجهات المغربية أعلنوا بان الوالي انما
بقي على الدولة اعتمادا بدخوله تحت حماية فرانسا فهم لا يعنونه لانهم بايعوا أمير
المؤمنين سلطان الدولة العثمانية فقط وحده ولا يحل لهم الخروج عليه وهرب
الى الوالي جميع عساكره فاضطرت فرانسا التمشية الجيوش لتطويع الاعراب وكان
من جملة التدبير عزل ذلك الوزير الذي توهموا منه أن يعمل معهم مثل ما عمل مع الدولة التي
وصل فيها الى تلك الدرجة وتحقق الوزير بما ضرب من التلا بوزارة الملغمي وان
كان هذا أي ابن اسماعيل قد احتاز جميع ثروات أمراء تونس حتى كان آخر ما بقي
للوالي من صناديق الجواهر عقد لؤلؤ منظم تحجم بما فيه حبة مع حلية زمرد منع انها
الساعوت الايسر فاعطاه هدية الى زوجته بباريس بعد العزل المذكور ورام بها
ارضاء فرانسا عليه وارجاعه الى الوزارة وبقيت البلاد الى الآن في حيرة واضطراب
ودخلت العساكر الفرانساوية الى القصبة العامرة والى منازل العساكر في المدينة وامام
قنصلاتو فرانسا وسكن رئيس العساكر الفرانساوية بدار المملكة في وسط القصبة
وصارت الحكومة لا تتصرف في شيء الا بامر الوزير الفرانساوي سواء كان في الداخلية
أو في الخارجية وتم الضرر بولاية تغير الاهالي في الوظائف بوسائل غير مرضية وعظم
الكرب على القبائل والبلدان بما حصل بهم من العساكر الذين قاموا بالقيروان
وسوسة وهدموا صفاقس وجربة من قابس بعد دخوله وعادوا الى الأهالي أن اسعان
يتداركنا بالطافه ويحسن العاقبة ومما ينبغي التنبيه عليه هنا ان الاحوال السياسية التي
أشرنا اليها مع الدول جميعا مقاصد الملك لا يمكن ان تخفى على احد ولقد نقل

الفرانساويين فكيف مع ذلك قدموا على تونس مع كون الفائدة التي تحصل لهم منها
لا توازي ما ذكرناه سيما اذا كانت المعاهدة مع تونس التي ذكرناها تجرى حقيقة على
ظاهرها فالجواب ان كثيرا من عقلاء الفرانسيس قد نددوا على دولتهم ولا زالوا في
الاعتراض عليها لكنها ابت الوقوع في الامر المتسبب عن تهور من بيدهم مقاليد
السياسة حتى توهموا وصادفوهم من بعض الفرانسيس بان لهم في ذلك ارباحا ذاتية من
التجارة في الرقاع الدولية وموهوا على العامة بالانتصار لحفظ ناموس فرانسا فبعد ذلك
صعب على الدولة اهمالهم فيها مع ما حصل من خسارة الاموال التي تقدر بمائة مليون ومن
الرجال الذين ماتوا بالحرب مع الاعراب وبالامراض المتحورين جهة والاثنين اما فرانسا
فرانسا التحفظ على ما وقع من السعي في حسن السلوك الذي يحصل او يدفع عنها الغوائل
المنتظرة ثم وراء ذلك ... هذا الفرانساوي هو طمعها في احداث مملكة عظيمة في
افريقية ... بان تمتد من الجزائر الى ما جاورها شرقا وغربا الى ان
تصل الى دواخل افريقية والسودان وتصل بين شطي افريقية الغربي في سانيقال
والشرقي في الجزائر وتونس حتى رجعت جميع فرانسا بغرض انتعاش الحديد في ذلك
ولو يتم هذا يكون لفرانسا الشأن العظيم غير ان القياس على الهند الانكليزي هو قياس مع
الفارق لان حكومة سياسة الفرانساويين في مستعمراتهم من حيث ذاتها الى عوائد
الفرانسيس وانظمة الادارة في الكتابات ومحررات باريس ولا من حيث اخلاق
الامم المستوطنين افريقية والمستوطنين بالهند وان شئت الوقوف على برهان ذلك فانظر
ما حررناه في احوال الجزائر وفي احوال الهند من ادارة كل من الدولتين يتبين لك حقيقة
الحال وعلى ما ذكرناه تندفع الاعتراض عن ما ذكرناه في سياسة تونس المشار حينئذ من
كون فرانسا لا تزيد الا تنفيذ لاعمالها مع كون عمالها ناقضة ذلك وشرح الدفع
يؤول الى ان المعامل لدولة فرانسا على عمالها ما سبق من مقاصدها في تونس شيئان
احدهما اسباب ظاهرية والآخر خصوصية باطنية فالباطني هو ما اشار اليه ... وقع من
التوسعة في جمع الافراد الذي يأتي له مزيد شرح في بحث الاحكام والظاهري هو ان
الدول قد تغيرت افكارهم بالنسبة لمحافظة الدولة العثمانية منذ عقد معاهدة برلين
فدلت اعمالهم على ان من نال منهم شيئا وكانت له قدرة على حوزه بادر اليه وبعض هذه
النظرية تتم اذا كان المحوز اكثر مناسبة بالحائز وقد علمت مقاصد فرانسا في تونس ورأت
ان ابطال الحماية من المقاصد والمعاهدات ما يزاحمها فرأت صيرورة ابتداء عمالها بدل ولايته مع
امين

أمين فلا يمكن ان يعين مع ايطاليا او غيرها من الدول ما فيه خلل مع الخوف وطمعهم مع
تيسر امورها الامور بواسطته فانتهزت الفرصة خوفا على درجة نفوذها فبادرت قبل
ان تبادر ومن المعلوم ان السياسة تدور مع الاحوال الحاضرة ولله عاقبة الامور

الفصل الخامس

﴿في عوائد أهالي فرانسا وصفاتهم﴾

(اعلم) ان الاهالي أصلهم القديم مجهول غير انهم لما هجمت قبائل الشمالية
الشرقية على اوروبا بانحطاط دولة الرومانية هجمت قبيلة الافرنج على فرانسا بعد ان انحدرت في
الجيش ولا زالت تتقوى الى أن ملكت جميع فرانسا واتحدت القبائل الاخرى معها
بالفتوح والاعمال كما تقدمت الاشارة اليه في مبحث التاريخ وكان لهم اذ ذاك شهرة
بالشجاعة والتقدم بالحرب حتى كانوا اول من كثرت مخالطتهم من الاوروباويين بالعرب
وأهل المشرق ولذا نرى ان اسم الافرنج اطلق على جميع أهل اوروبا عند جميع
المشرقيين من العرب وغيرهم وذلك لما [illegible] للعرب حينئذ من أصل الاسم افرنك فقلبت الكاف
جيما عند نقل الاسم ثم حرف في الترجمة في لسان المشرق وصار افرنج وذلك الاشتهار
كاف فيما كان لتلك الامة من التقدم في حب الاسفار والتجارة ولا زالوا على ذلك الى الآن
لكنهم يؤثرون الاقامة في وطنهم عن الاقامة الدائمة في غيره ولهذا نراهم أقل أهالي اوروبا
استيطانا في سائر الممالك فان امريكا التي هي ذات ثروة واسعة وقابلية للسكان بالغة
لاتساع الارض بها هاجر اليها من الانكليز والالمان والطليان وغيرهم خلق كثير
يتجاوز عشرات الالوف واقل القليل من المهاجرين هم الفرنساويون ولو ان لهم ممالك خاصة ولو
في مستعمراتهم في الاقاليم الحارة الى الآن تحت سلطتهم منذ نحو خمسين سنة ومع ذلك
لا يوجد منهم فيها الا نحو مئتي ألف او ينقصون وعلى العموم فذلك العدد بعد مستقبلا
[illegible] على الاحسن ولذا فرغبت دولة فرانسا أهالي بذلك الاقليم للاغتباط بها
بان تعطيهم جميع حاجاتهم مع الارض الخصبة الموجودة في الجزائر وحيث كان في ذلك
الاقليم كثير من الاوربية الانفصال عن فرانسا الى اسبانيا او الى الجزائر وكثيرهم
الدولة بارزاق العرب الذين استأصلت اموالهم بدعوى الخروج عنها والعصيان عليها
ومع هذا الترغيب فغاية ما كان عددهم ما أشير اليه لولوع القوم بوطنهم في السكنى وان
كانوا منتشرين في سائر الاقطار المتحضرة والسياحة كما انهم لهم ولوع زائد بالتفاخر بعديمة

باريس التي يحق لها الفخر بين كل فرنسا وفي مدتها وأربعة بكر من أهلها وهذا
اصبع وهو حب التشاجر وان كان طبعا فافي البشر لكن بعض الامم فيه أزيد من بعض كما
هو في الافرنسيين فالفرنساويون ذوو شرر ونشاط في الاعمال وسرعة في تبديل الآراء
والأعمال حتى أورث ذلك فيهم كثرة الانقسامات في الاحزاب السياسية وقد ذكرت صحيفة
الديبا مرة عدد أحزابهم في السياسة فاذا هي أربعة عشر حزبا أحدها وأطرفها حزب
الاشتراكيين أي الذين يريدون ان يكون الناس كسائر الحيوانات اي مشتركين في
جميع ما بايديهم ولو نساءهم ولا يستأثر أحد عن أحد بشيء وأطرف منه في الاستبداد التام
لشخص ملك يتصرف فيهم تصرفه في الاثاث والمتاع وما بين ذلك درجات أقواها الآن
حزب الجمهورية المصوغة على نحو ما تقدم في السياسة المعتدلة ويليه حزب الملكية
القانونية وان كان في ذاته منقسما الى اتباع عائلة بونابارت واتباع عائلة أورليان
أو البربون الى غير ذلك ولا شك ان أعظم المضار بالأمة أولئك الاحزاب في ضمنهم مع من والاهم
من الخارج فانهم اداروا آراءهم حتى يكونوا عصبة واحدة فاذا انفصلوا منه عادوا الى
الشقاق بينهم ولولا هذا الشقاق لزادوا قوة ووجودا لذلك ... مدنية وعمارة ... مترابطة
وتجارتهم وفلاحتهم متقدمة بداية حتى أورثهم ذلك اصدادهم وهم أيضا والحاصل
يشوشون في الآفاق برأيهم ثم نحيرهم ... على من تمله الفرنساويون عليه
ومنهم مشهورون الذين الناصحين لمقدار عدل من رأيناهم ... والى بلاد متوطنين
واحسنوا السيرة والانصاف والنصح لي وما رأوا من الانصاف لوطنهم بالذكر الجميل
فمن هؤلاء صاحب رتبة الوزارة وليث الذي قدم الى تونس بصفة مفتش عام مالي
عندما انشئ الكومسيون المالي فابدى من نصح الوطن والوقوف على حقوقه
ودفع الغوائل عنه ما لم يصله كثيرون من ابناء الوطن مع العفة والصدق وسعة
المعرفة وعلى قدمه من أتى بعده بنصح لوطنه وهو الآن ومثله كانت لدين شهد لهم
كل ابناء الوطن بالاستقامة والانصاف بحيث نصح من بان دولة فرنسا ما لا تحذر
لوطنه فالاحتساب المالي من هو مدير بها ولا مغمز فيها اذ كل من اتفق أنه هو من
متوطني دولة فرانسا في الاحتساب العام المالي وعلى نحو هؤلاء صاحب رتبة
الوزارة فلانت الذي قدم الى تونس بوظيفة نائب سياسي سنة ١٢٩٠ فابدى من
أوجه الانصاف ومساعدة الحكومة والاهالي على حقوقهم ما لهجت به ألسن الثناء عليه
من جميع أبناء الوطن وثمار دمثل هؤلاء الآن وهذا لتعاميهم عن المقاصد السيئة

واتباعهم

وتداعوهم للانصاف فيدوانهم تنتصر بهم على ما أصابها لهم ومن مشاهير رجال
سياستهم في عصرنا ممن اجتمعت به وله صيت بين الامة الفرانساوية كتير رئيس
مجلس النواب وممن أدركناه أيضا زيادة على نابليون الثالث الرجل الشهير بالسياسة
والمعارف تيرس وقلما تعدت أفراد منهم وان كانت المعارف والتقدم حاصلة الى العموم
ومع ذلك فلا بد لفي وراء اخلاق كثير من السذاجة والجهل ودونك حكاية طريفة
تقيس عليها ما يقرب منها في سنة ١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م ان أحد أصحاب المعامل
بالمدينة الملاصقة باريس وكان له ابن مشهور جهة بروفانس فأراد الابن من كثرة ما يشترى
به حذاء او ارسل الى أبيه يشتكي له ذلك وطلب منه شراء حذاء له وشرطه له وحمله في
الطريق وهو متفكر في كيفية ايصاله اليه فرأى عمودا من عواميد السلك الكهربائي
فقال هذا أسرع طريق الى ايصال الحذاء وهو يوصله لابني ثم صعد الى عود السلك وعلق
فيه الحذاء وأسر الى العود بقوله أوصل هذا لابني فلان في المكان الفلاني وذهب
مسرورا بما صنع على ملاحظة بلاده صديق ثم مر عليه بعد أيام فوجد الحذاء باقيا بحاله
فوجد في ذلك ... كان هذا ... لابنه ... وقال ان ابني لما وصل حذاءه أرسل
لي الحذاء القديم لاستعين به على ثمن الجديد فانظر كيف انه لا يعد الى لو صدرت من أحد
المشرقيين لشنعوا عليه جميع الجنس به ... به في عدم المعارف وتهذيب الاخلاق وعلم
ان مثل ذلك الرجل كثيرون في القرى الصغيرة والجبال وفي أهل المدن كثيرون
يعتقدون بالخرافات الباطلة ومعتقدات لا تضر ولا تنفع وجمادات وتشاءم بالاوقات فقد رأيت
في كثير من بلدانهم وبلدان الطليان وكذلك لامكان طاقات في حيطان فيها منارات
توقد بالليل رأيت أربابها يقع العسل تقربا الى بعض أوليائهم أو الجن معتقدين حلول
المتقرب اليه تلك الطاقة ولا ينورونها بالمرة خوفا من الارواح لان القسوس يقولون لهم
ان تقع الشمع أو العسل من البدع التي لا تقرب بها وكذلك يعلقون خيوطا وقصاصات
الخامات من جمادات وأماكن اعتقد حلول أرواح فيها ويوجد كثير من هذا النوع في
كشف الغطاء عن فنون أوروبا ما تعجب منه السامع ما ترى لاوروباويين من تشكل
بشكلهم وتشبه في تقليدهم يعملون عليه في البلاد الاسلامية وحدها ويجعلونها
مضرة وينزهون أوروبا من عادات لا تشد منها ربما استند ذلك
لجهل أو التجاهل في ديانتهم الشريفة وحاشا ان تؤدي أو ترشد لمثل ذلك بل انها
هي المهذبة والمنقذة من غيهب الجهل الى نور المعارف الدالة على العلم وفتح البصائر وقد

أفردناه هنا إيضاحا وإعلاما لا القصد من ذكر ما هو سمة الجهول بالمعارف الدنياوية
إلى عموم المراد [illegible] أو ترجيح [illegible] كمثلهم كالإبل [illegible] الناس على ثلاثة
طبقات فأهل الرفعة وأمراء القوم من ذوي البيوت [illegible] بالتوارث في الوظائف
أو كثرة المال والترف تجد أغلبهم مقتصرين على معرفة مبادي العلوم ومحبين لإنفاذ
الأغراض و[illegible] الصيت [illegible] أغلبهم أيضا
هؤلاء ولا [illegible] كل فرد في [illegible] الطبقة الوسطى هي محل
التمدن والمعارف والصنائع [illegible] أصحاب [illegible] في [illegible]
[illegible] في القديم [illegible] كثيرون
[illegible] أهل المعارف [illegible]
[illegible] كون في [illegible] الطبقتين الأخريين
كان أهل [illegible] (وأما [illegible]) [illegible]
الأهالي [illegible] في السلام [illegible]
والمروءة [illegible] قد كانت [illegible] يتواضع [illegible]
[illegible] لحكومة الجمهورية [illegible] فاتفق أني أدركت ذلك مابين
سنة ١٢٩١ وسنة ١٢٩٥ فقد رأيت من خرق [illegible] من الناس
كالكرارسية والحمالين [illegible] في [illegible]
[illegible] من [illegible] أماكن [illegible] للمارين [illegible] فيه [illegible]
له علامة تؤذن [illegible] ولا يكون [illegible] عن [illegible] على [illegible]
[illegible] حتى إذا رأت
[illegible] وفي السنة الثانية رأيت [illegible] الضابطية عن
ذلك وعن سوء معاملة الكرارسية للركاب حتى يكون بعضهم [illegible] الكلام
[illegible] ولا يتعرض له أحد كما رأيت في [illegible]
[illegible] وفي بعض الأوقات [illegible]
الكرارسي [illegible] يمكن [illegible] بالمرة [illegible]
[illegible] في أمره لأولى [illegible] الدعوى [illegible] التي تتبع الجمهورية أورثت ذلك
الإهمال المفضي إلى [illegible] والخروج عن الاعتدال كيف لا وأحد حزب الجمهورية
[illegible] لحيوانات [illegible] عن [illegible] وقد [illegible] كان [illegible] ذلك
الحزب

الحزب في احدى مدن اوروبا العظيمة وثار على الحكومة واقتحم منازل الناس وكان
في تلك البلاد احد الاغنياء المشهور بالثروة فاذعنوا واخذ عدة اكياس بالسكة
الفضة وجلس عند باب داره وكلما مر عليه نفر من اعضاء الثورة كان يخرج من جمهور الثائرين
فقال لهم اني منكم وقد حسبت مالي فاذا هو كذا كذا دينارا واهل المملكة كذا نفسا وقسمت مالي
هذا العدد فيصح لكل واحد فرنك فكل من اتى اعطيته حصته ولا يسوغ ان اعطي
لاحد منكم غيره فلم يسعهم الا الرضا وتخلص من نهب امواله وتشتيتها ومن ذلك يعرف
آلاف فرنك دفعها لا والثانية تؤدي الى ان تهدم الحكومة وتضعف امرها ومن
تنزه الاهالي اتقان الاغنياء للكراريس واعظمهم بحر كروسته اربعة او ستة فمن
الخيل بسائق واحد وبعضهم يكون هو السائق بنفسه وتحتوي هذه الكراريس
تركب اثني عشر راكبا يقعد اثنان منهم بجانب السائق وثمانية على سطحها على كراسي
اربعة كل اثنين على كرسي مقابل الاخر عيرا ظهورهم لبعضهم واثنان على كرسي
السائق وثلاثة على كرسي الخدمة من وراه وفي قعر الكروسة محل لوضع ما يلزم من
المأكول واللوازم ويركب صاحب الكروسة مع خواص عائلته واحبابه وما يلزمهم من الخدمة
يوم يذهبون لاحد المنتزهات خارج البلاد ومن عادتهم ايضا انهم ينفقون في طراوة
الناس والاثاث والمياه وتنظيم مسوقهم وتشذيب المنتزهات واماكن الارتياح المشترك
في فائدتها الحقير والعظيم وان كان لكل جهة كلها اماكن من الاعتناء ازدى
سيرها مخصوص واتقن الانة حتى لا يرى احد الفقراء الاكثر للصرف من غير قصد يحكي
حتى صح ان يقال ان البلاد الافرنجية عند الامر سائر بال منها الحقير والعظيم وهي
مشهورة بعزة لوادها في مملكة وكثرتها وتوسعها الى القبول من احد

مطلب

﴿في التجارة﴾

(اعلم) ان تجارة فرانسا المرتبة الاولى في سائر اقسام اوروبا وهم براعة تامة في ادارة
الاشغال ولكن لا وصول في ذلك الى ما هو في انكلتيرة فهي في فرانسا ادنى
وأروح ونسب عنها كثرة الثروة والغنى المفرط حتى صارت شركات تجارتهم لا يخلو منها
اقليم من العالم وبواخر بريدهم تخترق سائر البحور ودونك انموذجا على ما مر السامي
الذي فاق دولتها عدات المحركات الاجنبية في سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م

فكانت كما ترى

فرنكات	
٤١٠ر٩٤٧ر١٩٠	صرف قطع فضة بخمسة فرنكات
٩٦٥ر٠٠٠ر٢٩٠	صرف قطع ذهب الواحدة بعشرة فرنكات
٦ر٩٦٤ر٠٨٠ر٣٦٠	صرف قطع ذهب الواحدة بعشرين فرنكا
٠ر٢٠٤ر٤٢٢ر٣٦٠	صرف قطع ذهب الواحدة باربعين فرنكا
٠ر٠٤٦ر٥٦٨ر٧٠٠	صرف قطع ذهب بخمسين فرنكا
٠ر٠٤٤ر٣٤٦ر٤٠٠	صرف قطع ذهب بمائة فرنك
٥ر٢٦٧ر٤٧٧ر١٩٠	صرف قطع فضة من نصف فرنك وفرنك الى لاربعة فرنكات وقطع نحاس لاتمام الكسور
١٢ر٨٠٣ر٨٩٢ر٤٩٠	

فذلك مجموع السكة خاصة عدا ٣٢ في المائة من قطع الاوراق المعدودة عوضا عن السكة من بنك الدولة وهذه الاوراق لها اعتبار احسن من السكة لخفة نقلها فتزاد في الصرف نصفا في المائة وتروج في سائر الاقطار عوضا عن الذهب لدى الصرافين وفي خصوص فرنسا وبلاد البلجيك وسويسرا وايطاليا يرغب فيها حتى غير الصرافين اما غيرها من الممالك فانها تعتبر عند الصرافين فقط وبدون اعتبار عندهم اذكرناه في قيمة جواهر المعادن وكذلك سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م طلبت دولة فرنسا استقراض الف مليون فرنك فاحضر لها الصرافون وارباب الاموال ما كفت به على ما تطلبه باحدى وعشرين مرة فقط من كل مائة احضرت لها واساس ذلك الذي هو الامن الذي سوغ للاهالي عقد الشركات باسهامهم وترويجها والشركات هي الاساس الثاني مع حسن الادارة فاورث ذلك ما اشرنا اليه من عروج الغنى وتنمية ثروة الدولة التي هي بيت مال الاهالي بحيث انها كانت متقدمة قليست تضر بها في غاية العسر والفقر من سوء ادارة حكومتها والحروب الاهلية والخارجية وذكر لي ان متقدم عشرين سنة كان لكل منهم من اوراق دين دولتهم ما قدره عشرون مليونا فرنكا ويحتاج ان يعطي ولو يسيرا وشبرا فلم يجد من يعامله ولو بالعشرين يوما التي معه مع ان دين الدولة الان الذي يدفع فائدة خمسة في المائة تساوي المائة منه مائة وعشرين نقدا فانظر عجيب الفرق بين الحالتين في المدة القريبة واحوال ما يزيدها في اول درجة من الانتظام في هاته المملكة

ر

براً وبحراً ومواصلة الطرق الحديدية والصناعية مع تسهيلات حمل الاثقال الفخامة الآن كال
مع لطافة المحمول زادت التجارة رواجاً بحيث ان السلع وغيرها لا تحمل الا على العجلات
وفي المدن لعظيمة لا تجرها الا الخيل المطهمة او البغال المقلة ودون البريد تصل الى أقصى
ممالك المشرق والمغرب ومما يخص ايراده عنوان ما عندهم من الغنى ان الحكومة
المصرية لمدة ولاية خديو مصر اسماعيل باشا باعت سهامها من خليج السويس لدولة انكلاترة
بمائة مليون فرنكا فكثر في ذلك القيل والقال من جهة السياسة خوفاً من استيلاء
انكلاترة على الخليج المذكور واهتزت لذلك فرانسا اربعة ما سواها وقد ذكرت احدى
صحفهم يوماً ان روتشيلد احد الصرافين الكبار المشهور بالغنى قد أعطى لمصر ما ادت
مائة مليون فرنكا وحده وعشرين مليوناً مرابحة ثم ذكرت على وجه التحمس
والدعابة بان البيت لو خطب هاته البنت لولده وزوجها له لاعطى ثمانمائة مليون لحاجته
ورد بجعه خمسة وعشرين مليوناً مع بقاء السهام على مالكه واراحة العالم من التشويش
والاضطراب

مطلب

(في الاحكام)

(الاحكام) في فرانسا أصولها هي المذكورة في ايطاليا لان القانون الاصلي في ذلك هو
قانون نابليون الاول امبراطور الفرانسيس وعليهم بعض خلافات مبنية على اختلاف
العوائد وادارة الاحكام منفردة عن الادارة السياسية وللاضافة لها نتعلم بالمارة ودونك
مثالاً لذلك وهو ان رستان لدى كان قنصلاً للفرانسيس وسعى في الانقلابات التي حدثت في
تونس قد تكلم ضده وضد تصرف دولة فرانسا كثير من رجالهم في الجوامع العامة وكذلك
تكلمت ضدهم جملة صحف حرية فرانساوية وغيرها وأشد الصحف مصادمة الى رستان
وأعماله صحيفة لانترانسيجان التي يطبع منها يومياً ١٥٠٫٥٣١ نسخة وصاحبها هو
ارخل اشهر رشفور المشهور تساوي وقد قدح في عرض رستان في المال والسياسة وصار
لكلامه رنة عظيمة حيث حمل استيلاء فرانسا على تونس كان لفوائد خصوصية مالية له
سعى في ذلك والي أثين وكان رستان أشد تهمة فاراد رستان تبرئة نفسه باقامة الدعوى
على صاحب الصحيفة لدى مجالس الحكم وترافعوا وأدلى كل منهما بما توصل اليه من الحجج
وكانت عدة رجال من الدولة الفرانساوية في الانتصار الى رستان حتى الوزراء السابقون

في الخارجية شهدوا له بانه منفذ لاوامرهم ولم تحقق عندهم ما ادعى به عليه ومثلهم
المنتصبون في الوزارة وحاولوا استخدامهم في نصرته لكن الحق ما دار على وعلى مجلس
الحكم لاهواء احد وحكم على رستن وازيد باداء مصاريف الحكم وبذلك صحت
مقالات الجريدة المشار اليها وخرج صاحبها اسعد فائزا وقد ترجمت جميع جلسات
مجلس الحكم المشار اليه واوردت بالطبع حتى باللسان العربي وبالاطلاع على ذلك
الكتاب يتأيد جميع ما ذكرناه في الاحوال التونسية واسباب انقلابها ويتأيد ما ذكرناه
في السياسة الخارجية لفرانسا وفي السياسة الخارجية لتونس وما ذكرناه هنا من انفراد
ادارة الاحكام عن ادارة السياسة يتبين بعد ارجاع رستان المذكور ولوطه منه في تونس
بعد ثلاثة اعوام كبت ما يشهد لما قلناه في مباحث السياسة من ان سياستهم الخارجية ليست
هي كانصافهم فيما بينهم في داخليتهم وهو مما يحقق ان الرجال المنتصبين للاحكام انما
يكونون من اعف الموجودين وانصفهم لا يميل بهم الاهوا عن الاستقامة غير ان هذا هو
الاغلب لا سيما في المدن العظيمة وفي المجالس الابتدائية (واما) غيرهم فالارتشاء بينهم
فاحش يكاد ان يكون مثل ما يصفون هم به حكام المشرق وطريقة الوصول اليه عندهم
أيسر مما لهم من اباحة خلطة النساء فالمعطي للرشا يجعل الوسائل للتوصل الى احدى
النسوة ذات النفوذ لدى الحاكم ويرشيها لا على قصد بنفوذها بسبب قرابة او وداد
او غير ذلك لدى الحاكم وربما أوصلت اليه حصة من الرشا وعلى تقدير الا تعطيها
اخذته هي فهو ايضا ارتشاء الحاكم حيث مال بالحكم للجهة التي انتفعت منها من يريد نفعها
وبهاته الوسيلة تكون خصلة الارتشاء عندهم مستورة نوعا ما لان ظهورها يوجب العقاب
الشديد بالقوانين مع عدم وجود الشهادة عندهم ومع ذلك يوجد في هؤلاء ايضا كثير
منصفون وقد حضرت يوما في مجلس الحكم الابتدائية لاحكام والحكام في باريس فاذا
هو بيت كبير متصل له باب يدخل منه المتفرجون وباب للموظفين وباب للخصوم وفي
صدره مصطبة عالية عليها ثلاث كراسي وامامها مائدة مستطيلة عليها لكل كرسي دواة
واقلام وورق وعن يمين تلك الكراسي كرسي طويل يجلس عليه ازيد من عشرين شخصا
وعن شمالها باب وامامها في نحو وسط البيت درابزين حائل بين المتفرجين والخصوم
وللمتفرجين كراسي يجلسون عليها وبقرب الكراسي التي في الصدر كرسيان متعاليان
احدهما لرئيس الكتاب والثاني لوكيل الحق العمومي الذي رتبته رتبة محتسب عام
على الحقوق وله اعتبار كاعتبار رئيس المجلس وبعد هنيهة من دخول المتفرجين خرج من

الباب الذي على الشمال رئيس المجلس ومعه عضوان كل منهم لابس جبة طويلة
بأكمام واسعة حمراء وعلى أكتافه منديل مقصب بالذهب وعلى رأسه شعر أبيض عارية
له ذنب معقود على ذهبه فوقف لهم الحاضرون وأومأ الرئيس بالسلام لهم ثم جلس
الرئيس على الكرسي الوسط والعضوان عن يمينه وشماله وجلس كل من وكيل
الحقوق والكاتب على مرتبته ولكل منهم أيضا زي مخصوص يشبه زي الرئيس والأعضاء
ثم دخل وكلاء الخصام الذين لهم ذلك الوقت دعوى ولكل منهم مثل ذلك الزي ثم دخل
من باب خاص جمع من الناس بالزي المعتاد وجلسوا على ذلك الكرسي الطويل وهم
الجوري فتكلم الرئيس بالسؤال عن حضور شاهد حضر ووقف خلف أمامهم ثم أدى
شهادته وبعد سكوته نادى الرئيس والأعضاء ثم خاطب الرئيس لأغا عن عدم حضوره
في اليوم المعين له وعما له مما يجب عليه من العقاب عن ذلك فاعتذر بوجه يدفع عنه
لزوم الحكم فيه فوقف وكيله وقال إن الشاهد مسكنه في أهل البلاد وهو غريب وفقير
عاجز عن الكراء من يسفر به فوجه الرئيس القول للشاهد مشددا بلزوم الحكم عن
مخالفة القانون ثم سار العضو الذي عن يمينه ثم الذي عن شماله ثم أمر الشاهد بالانصراف
وأنه إن عاد لمثلها أجري عليه الحكم وانصرف ثم قام الرئيس والأعضاء ودخلوا من ذلك
الباب الخاص ولحق بهم وكيل الحق العام وبعد مضي ربع ساعة خرجوا وأحضروا
المحكوم عليه مع أحد أعوان الحاكم وقرأ الرئيس ورقة صغيرة بالحكم على الجاني ثم
التفت إلى الجماعة الجالسين عن يمينه وهم الجوري وقال لهم شكرا لكم فوقفوا وانصرفوا
جميعا وخرج الحاضرون إذ لم يكن ذلك اليوم إلا تلك النازلة وقد أفهمني وكيل الحق
العام أن الحكم كان مهيأ من قبل إتمام النصاب بدون ذلك الشاهد غير أنه لما حضر
تمم شهادته والمحكوم عليه جان بتزوير السكة وكان جميع من حضر ساكتا بغاية التوقير
للمجلس وذلك الشعر الذي يصنعونه عارية على رؤوسهم الأصل فيه أن الملك لويس الرابع
عشر كان رديء الشعر فاتخذ له عارية وكان ذلك شيئا فاقتدت به أماثل البلاد وسرت
منهم إلى غيرهم من الأمم وإن قل استعمالها الآن إلا في المواكب الحافلة والقضاة ومن
أهم ما يذكر في أحوال الإدارة الحكمية تعيين الضابطية وهم الحارسون للبلدان وشدة
تدبيرهم وبحثهم ومراقبتهم حتى تمكنوا بسهولة على الجناة ومع هاتيك المراقبة
والاحتراس الشديد يقع الاحتيال الفظيع من الجناة لكي يتوصلوا إلى غاياتهم وكثيرا
ما يبلغون المرام لكنهم أيضا كثيرا ما تكشف أمرهم الضابطية وتتمكن منهم فقد كان

أحد الصيارفة الكبار في باريس كان جالسا يوما في محله وإذا برئيس ضابطية باريس قد
جاء فأكرم مقدمه ورحب به فأخبره الرئيس أنه محتاج لمبلغ وافر من المال لبعض
المصالح غير أنه لا يريد إفشاء ذلك ولهذا أتاه بنفسه ليقرضه لمدة قصيرة لأن الضرورة
المصلحة عاجلة لا مع رجوعه وأنه فأخذ وضمنه فأقرضه ذلك المبلغ على نحو القواعد الجارية
عندهم وكتب له خط يده فيه وانصرف فمضى الأجل ولم يأت الرئيس لصاحبه فبعد
ثالث يوم ذهب الصيرفي بنفسه إلى رئيس الضابطية ودخل عليه وبعد السلام انتظره
الرئيس فيما يقوله فإنه من العادات المتأكدة عندهم أن الزائر يبتدئ الكلام في مقصد
زيارته ولا يخوض في الفضول سيما الأغراب لو طال لأن الزمان مقسم كما أنه لا يشغل
فإيهم اثنان من الناس بينهما علاقة في نازلة واحدة لكن الصيرفي اعتمد على علم الرئيس
فيما هو مطلوب منه وليس كذلك فتباطأ ساعة بعض دقائق فسأله الرئيس ما الذي جاء بك
فذهب الصيرفي وقال إنها ذلك المال الذي أخذته مني بنفسك ولم أرسل لك غيري
فاستغرب الرئيس في أمره وتلطف في السؤال بقوله ذكرني النازلة لأنه علم أن الصيرفي
من كبار الأغنياء المعتمدين ولا يقول كلاما مثل ذلك افتراء ويعلم من نفسه أنه لم يذهب
إليه فعلم أنه لابد للأمر من واقعة فبين له الصيرفي ما وقع منه إلى أن ذكر له وكتبت خط يدك
فتذكر ما به وطلب منه إمهاله بعض أيام أخر من غير كشف للأمر إلى أن يقع الخلاص
فخرج الصيرفي أيضا فتذكر فيما رأى من الرئيس وفي نص الجواب لأن ذلك خلاف
العادة لا فراضات ثم إن الرئيس أمعن فكره بين نازلة لا بيانها أو وقع فيها الاحتيال على
الرجل من إنسان مشابه للرئيس ثم دعا أصحاب مراكز الضابطية لدى بقرب دار الصيرفي
وسأله هل رأيتني منذ كذا يوما قدمت إلى ناحيتكم فقال نعم فقال في أي وقت فبين له
الوقت وهيئة الركوب بأنها على نوع الزي من الأجرة والملابس والعجلة فازداد تحققا
لارتكاب الحيلة ثم سأله وإلى أين ذهبت فأجابه بأنه ذهب لدار الصيرفي الفلاني وبقي
عنده حصة كذا ثم خرج من عنده متوجها إلى الخطة الفلانية فدعا رئيس ضابط
الجهة التي فيها الخطة الأولى وأخبره بذلك وأنه ذهب إلى جهة كذا فدعا ضابطها
أيضا وهكذا تتبع الحال إلى أن أخبره الأخير بأنك دخلت الدار الفلانية ثم رجعت العجلة
خاوية وبقيت أنت هناك ولم تخرج بلباس الرسمي فدعا بدفتر من سكن تلك الدار لأن
كل محل سكن فيه إنسان لابد أن يقيد اسمه عند صاحب الباب أو عند صاحب منزل
المسافرين وأحضر الناس الذي سكنوا في الوقت المعين في تلك الدار فوجد بينهم رجلا

يشبه

يشبه الرئيس فى الذات والوجه فدعا متعرد وقال له أين المال الذى أخذته بالحيل
وان ثبتت ظهوره بطلبه نفس أظهر نفسه من غير ذلك كما ظهر ذلك أنت فلم يسعه الا
الاقرار به ورجع الرئيس بالمال الى صاحبه معلناله بانه لم يستعرض منه وبه احتيل
عليه فى ذلك ولهم من امثال هذه الاحتيالات فى السرقات امور كثيرة وسابقتهم على ذلك
تيسر احصار لو سار بمشر ما ر فى كون السارق تيسر له لبس مثل لبس رئيس ...
ووجدا ... ذات أم وحده متعجله رئيس الى غير ذلك من تلك الامور موجودة
بسهولة كرها وشرا ولا منع من استعمالها لاما كان منها من مشروبات الحكومة
المحلية أو غيرها فانه اذا كشف على المرور ... ومع شدة الاحتراس والضبط على نحو
ما ذكرناه فانك لا تكاد تجد رجلا ولو كثيرون لانه يخرج ... سلاح صغير حق
كالحديد فى وسط ... الاشكال وكان ... ذات السرقات ... وموضوعة فى الجيب
لى غير ذلك وهذا ... فى ... باريس وقد كنت مارا به فى عجلة مع احد الوجوه
ومع زوجته ذاهبين لدعوة عند فرد ... فانقلبت العجلة ... فى ... المرأة عن
نوع السلاح الذى هى صاحبته ... ليس هى سلاح وما الحاجة اليه واما فى وسط
باريس فقالت هى وزوجها لابد من حمله فى فان ... فى باريس كثير الاوكار
ولذلك لا يخلو اسبوع بل ولا يوم منه من وجود مقتولين ... فى نهر سين فانهم يعدون
فى الشيء الموضوع فى أسفل لم يرجح باريس كثيرا من جثث المقتولين اما بقتل
غيرهم أو بقتل أنفسهم وذلك لان كثيرا من الاهالى من يفقر بسبب ... من أمر
دنيوى غيران هذا ... فى باريس لا يمنع فى السرقات ... ذلك نرى ... والمار
لكثرة المارة بها ومن عون الحكومة ... بحيث ان المومسات ...
مهرة بلا مهر ... وهى ... عددا ... الذين تقدم انهم
وا كثر تظاهر به فى باريس وذلك ظاهر اعنى ... وقد حرر عدد المومسات سنة
١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م فكان ... فى سائر فرانسا ١١٧ ٩٢ مولودا ثم
ابناء زنا ٩٨٢٢٠ مولودا

مطلب

(فى المعارف)

(اعلم) أن المعارف الدنيوية فى فرانسا قد تناهت لاعلى درجة من الاتقان والاجتهاد

وما تقدم فى أحوال باريس وما فيها من المكاتب والكتب وجمعيات الفنون والبحث علما كاف فى بيان ارتقاء تلك الفنون فى فرانسا حتى أقر لها بذلك سائر الامم فى أوروبا وصار واعيا الاعلمية فى كثير من الفنون ومن ذلك فن الطب ومقدماته فان لها الحاذقة بالمعادن بعد الدروس التى ذكرناها فى الباب الاول عدد كمعالجة مرضى كان اطلع عليها أحد الاطباء الكيمياويين من النمسا ولكنه لم يتقن منه حتى قدم الى باريس واطلع عليها الحكيم شاركو وبعد تجربته لها واعطائه الشهادة والاجازة فيها اشتهر أمرها وتعاطتها الاطباء فى سائر الاقطار ومن أسباب الترقى فى المعارف عموما صناعة الطبع وقد تقدم فيها الفرنساويون الى الدرجة القصوى وعندهم من الصحف الجرنالية السياسية فقط مما يطبع فى مدينة باريس وحدها يوميا ستة وخمسون صحيفة يخرج من مجموعها يوميا ١٩٤٣٫١١٠ نسخة موزعة منقسمة الى الاحزاب السياسية فمن صحيفة وحده تسمى ابتى جرنال يطبع يوميا ٥٨٣٫٨٢٠ نسخة وما عداها اقل كل على قدر رواجه ولا تكاد تجد سائق كروسة أو عاملا حرا دون ان تكون عنده صحيفة يومية يقرأها وقد أطنب لاصحاب الحسن فى بيان تقسيم العلوم وترتيب دراستها وفادتها العلامة رفاعة بك رحمه الله ورحمه فمن أراد الوقوف على التفصيل فعليه بمراجعة رحلة المذكور الى أوروبا والحاصل ان الفرنساويين يحصلون على الدرجة العليا فى معارف الدنيا ويقوم اعتناء بسائر الفنون فيترجمون الى لغتهم كل كتاب فى غير معروف أو غريب ويدرسون اللغات الاجنبية واللغات القديمة التى لم يبق من يعرفها وتوصلوا الى معرفة خطوطها بوسائل جيدة لكن مما ينبغى علمه ان مدرسيهم فى الفنون التى يقصرون فيها يعوضون قصورهم عما لهم براعة فيه فترى مدرس العربية مثلا يخرج بادنى مناسبة لفظية الى علم الجغرافية ثم الى علم الاقتصاد السياسى ثم التاريخ ثم الهندسه ثم الكيميا ثم وثم الى أن يقضى زمانا من غير أن يفيد حقيقة المقصود من بلاغة بيت شعر أو مثل ما هو موضوع البحث وتخرج تلامذته معجبين من براعة شيخهم وانه علامة العربية مع انه لا يعرف مزية تقديم المسند أو المسند اليه بل مبادئ النحو لا يحسنها فضلا عن الاعراب وذلك يوجب الجهل باصل الفن والغلط من العموم بظن تحصيلهم حقيقة اللغة العربية وقل أحد منهم يحسنها مع أن فيهم المتفاخرين بعلم ترجمة بل والمدعين بالتأليف فيها ثم ان التعاليم لها مكاتب على طبقات ابتدائية ووسطى ونهائية وعلياها الطبقة (الاولى) لا تكاد تجد قرية خالية عنها والثانية والثالثة انما توجد فى المدن الكبيرة

الكبيرة كبرسيليا (وأما الرابعة) فلا توجد الا في باريس واليها تأوى التلامذة بعد انتهاء كمال معارفهم على ان اكثر من يؤثرون التعليم في المدارس في باريس بل ولا يختص هذا باهل فرانسا فان الكثير من اهالى الشرق وبعض غيرها يرسلون ابناءهم للتعلم بها وذلك لامن الفخر بالعلم يفتخر بالتعلم بها وهي جديرة بذلك لولا طيش في اخلاق غالب المتعلمين بها من الغرباء سيما المسلمين فانهم يحدث لهم فساد في اخلاقهم لخروجهم عن الطور والادب المداعي له العرض والدين وكان سبب ذلك رؤيتهم بها كثرة الخلاعة ولاطلاق النفوس ما لها الى شهواتها نسأل الله التوفيق ومن أسباب ترقى المعارف كثرة الكتب وسهولة الوصول اليها ففي فرانسا ٥٠٠ مكتبة تحتوى على ٤٫٥٩٨٫٠٠٠ كتابا من الكتب المطبوعة و ١٣٥٫٠٠٠ من كتب الخط ومكتبة الامة في باريس هي أكبر الجميع فيها ٢٫٠٧٨٫٠٠٠ مجلدا

مطلب

(في الصنائع)

(الصنائع) في فرانسا مصاحبة في ترقيها للمعارف والفلاحة فهي متقدمة للغاية علما وعملا بحيث ان لها مدارس عديدة تأوى اليها التلامذة من الآفاق لاخذ علومها بالتدريس والمشاهدة وكل مدرسة تحتوى من آلات العمل وآلات العلوم الآلية للفلاحة كالطبيعيات جميع ما يحتاج اليه وهكذا سائر الصنائع ثم يجب أن مصنوعاتها متقنة جيدة للغاية يرغب فيها في سائر الاقطار لظرفها وحسنها وثباتها وان كانت بعض الاقطار أمتن صنعة ففرانسا جامعة لكل الصنائع المعروفة فيها حتى الحرير الصيني والمنسوجات الكشميرية يقلد عملها في فرانسا ويؤتى بالمصنوع مشابها للاصل وقد برعوا في الآلات بانواعها سيما الكهربائية وقد صنعوا المعرض سنة ١٢٩٨ ﻫ ١٨٨١ م لامتحان ما أثمرت من الفوائد وقد رأيت سنة ١٢٩٥ ﻫ ١٨٧٨ م الآلات غريبة كهربائية منها آلة تعكس صور بعض ما في داخل المعدة بان تؤخذ قناة جيدة من الصفيح وطرفها زجاج وتدخل في الحلق الى ان تصل للمعدة ويجعل في أعلى الحلق مقابل المعدة مرآة صغيرة ومقابلها على اللسان مثلها ثم يدخل في القناة سلك معدني الى ان يصل الى الزجاج الذي في المعدة ثم يوصل بالسلك من خارج أسلاك الكهربائية الضعيفة فيضيء السلك في المعدة من غير احراق ويرتسم حال المعدة بما فيها في المرآة

العليل ويرتسم مثاله منها في المرآة التي على اللسان وينظر الطبيب بالمرآة المكبرة ما يريد
ونحو ذلك ينظر في الرحم وداخل الاذن والحلق ورأيتهم بصدد تجربة نحو الاثقال
بالكهربا وأروني آلة صغيرة تجلب قوة الانسان اذا كان قابضا بيديه تقبضهما
والعكس باسرع وقت فلا يستطيع ان تفك تلك الآلة على طريق مناسب وينقل بها
الاشياء من مكان الى آخر وان يدوم تدبيرها ضبط الجسم خرق الهواء في السرعة خارقة
وقد رأيت سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م سفرا من صغير للتجربة بالكهربا على وجه آخر كما
ذكرنا في أحوال ايطاليا ورأيت في باريس أيضا مصابيح صغيرة بأشكال حيوانات
تتحرك أعضاؤه وعيونه بالكهربا بالمصباح جوفها حتى يوضع المصباح في الذهب في
رأس المرأة والآلة الكهربائية تخفى في الشعر ويرى الحيوان متحركا ومنه صورة فراش
بالوانه البديعة من احجار الزمرد والياقوت الاحمر والابيض وغير ذلك من الاحجار الكريمة
البديعة لالوان أجنحة الفراش وهو يحرك باجنحته الاربع فوق الرأس بالكهربا وهو
غريب بديع جدا

مطلب

﴿في هيئة المساكن والطرقات﴾

قد تقدم في ابطال الهيئة العامة في المساكن ومن الهيئة بعينها هي التي عليها
العمل في غالب ان باريس وجددها الترتيب ووافقها الحدوث عليه من كثرة الطرقات
المتسعة جدا وبكثرة المخارف والتنوير في الليل كأنها تخص بعض طرقها
مستوص عن باقيها أو تختص بطريقة بنوع مخصوص تسمى اسفالت حيث يكون
بعد الجفاف رخوا واذا مرت عليه العجلات لا يسمع لها همسا ويعم قرع حوافر الخيل
على الارض كالتصفيق المعفوء مع مزيد الهدوء والركس حتى كأن العجلة لا تتحرك فتلك
الطرق مروجة جدا غير انها لا تنعم لانها في الصيف تتشوه بشمس الشمس كريه ولانها في
الطرق الكثيرة المرور تنضب فيها العجلات المرتبة بعدم صلابة حركتها وامكان
العملة من اجابته هذه (وأما) عموم البلاد والقرى فالكل منها حجر بالتعادن بادابه
التخصيص وتنوير في الليل بالبخار الغازي أو بزيت النفط وهو قليل لاستعمال أو
بالكهربا وهي أيضا لم يزل التنوير بها قليلا ولكنه لا تجد قرية غير منورة الطرق
أو غيرها وبهاء على حسب اقتدار الاهالي فضلا عن المدن والامصار وكل طريق يسمى
باسم

اسمه مكتوب على صفيحة وعلى كل باب عدد خاص ثم ان طرق الحديد يوجد منها كثير
حتى صارت فرانسا مرتبطة جميع الاطراف والاواسط ببعضها وعلى حافتي الطريق
اخشاب خشنة مربوط بها سلك حديدية علامة على حرم الطريق لكي لا يعثر
الناس ولا يمشوا فيها ولا يزالون مجتهدين في تكثير هذه الطرق الحديدية ثم ان مساكن
الجهات الشمالية احكم سدادا للبرد من الجهات الجنوبية وان كان لها ابواب ايضا تسد
واكثرها يصعب لا تصدير فيها في الجميع بدون موقد اما للحطب او الفحم المعدني او البخار
الهوائي وبعضهم يطبخون بهذا البخار وقد مر ان في باريس اخترعوا لتدفئة الديار من
مركز عام في الدكم يسري الى الديار لا حاجة معها لرخام او غيره من الاحجار الا الدرج
ودرجات الخارجة (واما) قيعة البيوت والقاصر فانها مبلطة بالخشب المتين ومدهونة
ومزوقة تسمح بسالة لمروك الطوابق التي هي مثل الابواب في الارتفاع والانتهاء
الى الارض لها باب من خشب منجور ولها ابواب فوقها الاسفل خشب وثانيها
الملوي بين ذوي اطباق من الزجاج وان كان الطوابق لها كذلك ايضا ابواب من اضلاع
الخشب المنجور مقصبة يحركها تقصيبا وكل تلك الابواب مزدوجة تفتحان بين قسمها الا
(واما الحمامات) فهي عبارة عن ديار ذات حجرات لطيفة بها عدة قاعات صغيرة
كل منها تحتوي على حوض من معدن او حجر له صنبوران احدهما يخرج منه الماء لوسخ
وله انبوبان للماء الحار والبارد وتحتوي على كرسي ومنشفة ومرآة ومشط وارضها
مفروشة بزرابي والاغتسال انما هو في الحوض وكل الاهالي يعتني بنظافة مفروشة بيته
على قدر سعته ولا عبرة لهم بترك رشاقة الاثاث والتحف وفي المدن الكبيرة يقيمون
اسواقا في يوم خاص من كل اسبوع في الحارات المعروفة وحوانيته من خشب او كتان
تنصب في الطرق الواسعة ترفع في يومها ويباع فيها انواع الاكل من لحم وبقول وفواكه
وبعض خضر وثياب يشتري منها اهل تلك الحارات كما يتم الاسبوع

مطلب

﴿في الملبس﴾

الملبس في فرانسا وفي ايطاليا متساوية عند الرجال والنساء وكذلك الملبس الرسمي والعسكري
الا بعض شارات والوان في الموصات تختلف بينهم (اما اصل) الهيئة فواحدة وحيث
كانت الرفاهية في الفرانساوية ابدا بعد تحدد نساءهم اكثر تبدلا في لون اللباس وشكله

ورؤسهن على الجملة كما انهن أزيد ايضا في وضع دقيق أبيض وأدهان أخر على وجوههن
قصد التزين وان كان ذلك يورث فسادا في البشرة وأكثر ذلك العمل في نساء باريس
وتراهن يتفاخرن بالنحول وصغر الزور لانه كثيرا ما يحدث من كثرة السهر او العشق
وكلاهما ممدوح عندهم لان السهر ينشأ من اجتماع الاحبة والاجتماع يستدعي
المصاريف وهو علامة على الغنى ثم اعلم انه كان من علامة الكبرياء ان تكون خدمة
البيوتات في المنازل يذرون على رؤسهم غبارا أبيض والاصل فيه ان بعض المغنيين كانوا
يغنون في موسم صاب حومان بخارج باريس وبهم قمح فبيضوا رؤسهم ليضحكوا الناس
فتدرجت العادة شيأ فشيأ الى ان فشت سنة ١٦١٤ ثم في سنة ١٧٩٠ جعلت عليه
ضريبة للدولة واستمرت الى الآن

مطلب

(في الاكل)

هيئة الاكل في فرانسا هي الموجودة في ابطاليا على السواء وكذلك المأكولات
سواء فيها طعام الفرانسيس أكثره بقول والطعم مالح لعدم الابزير في الطعم واحسن
من الطليان ولذلك نجد طعامهم رائحته لذيذة مثل رائحة طعام العرب (وفي المدن)
توجد انواع الخبز على مراتب شتى وكل نوع يؤكل صباحا مع اللبن والزبدة جيدة جدا صافية
وصفاء وخصوصا في خصوص باريس جميع انواع الاطعمة المتداولة بين الامم المشهورون
كانت بأثمان عالية وقد أخبرت فيها بوجود مطبخ خاص باطعمة الترك والعرب ويوجد
منه بعض كبب يعملوا كسكسوا بلحم الدجاج وبعض آخر بالسمينة المعروفة في تونس
بالقناوية وغيرهما مما أجرة الجز اثنان واربعون فرنكا وهما يكفيان لشبع ستة أنفس
طبخهما البديع على نحو الاصل كما انك تجد فيها جميع المأكل من جميع الاقطار لاي وقت
كان بل قد أتوا بحشيش نوع من الخطاف في الهند والصين يصنع عشه بنبات بحري
ويطبخونه ويأكلونه أعني ذات العش بما احتوى عليه من ورق أفراخ الخطاف
ويستلذونه ويمدحونه وأغرب من ذلك انهم يأكلون الضفادع ويستلذونها فصاحب
يصح ان يقال انهم يأكلون كلما يؤكل ولا يأكلون قط الا ما ضر عاجلا غير ان الاكل العام
هو الدقيق من القمح ولحم البقر ولحم الخيل أيضا والضأن أولا هذا الا من الفقر
وفي القرى وشبهها يأكلون الشعير والذرة والبطاطس والفقراء أكثر منها الا الخنزير

من

من الاعتناء والأكل فى القرى والبلاد الصغيرة أسلم من المدن والامصار من الغش بالمخالط
للأشياء المضرة كالقهوة مثلا لا تكاد تجد قهوة فى باريس مطحونة غير مخلوطة
بالسريس وهو نوع من البقول ثم ان أهل المدن لا يصنعون الخبز فى بيوتهم ولا يدخرون
الاقوات وكل شئ يشترى من السوق يوميا الا قليلا من السكر ونحوه ويشترى اسبوعيا
أو شهريا واللحوم المشوية أو المقلية يجعلون فى نوع منها قطعا صغيرة من شحم الخنزير
حيث يشاهد عيانا كالمسامير فى اللحم وبعض الطيور يشوونها ويجعلون عليها نحو ورقة من
الشحم المذكور كما يجعلونه أحيانا فى بعض أنواع المرق فى ألوان الطعام الذى يكون مع
اللحم شئ من المرق وكيفية الذكاة فى أوروبا عموما حسبما علمت ان البقر بعد ان يربط
من قرونه يمينا وشمالا ومن ارجله بصلابة حتى لا يستطيع الحراك وهو واقف يضرب على
جبهته بطارقة عظيمة من الحديد ضربة أو اثنتين حتى يغمى عليه فيذبح ويجمع دمه
ليصنعوا منه نوعا من الاكل فى المصارين وبعضهم يكتفى بالقتل بالضرب على الرأس
لكنه نادر وقد أبطل فى ايطاليا منذ سنة ١٢٩٨ والزم الحكم بالذبح بحيث لا يباع
غير المذبوح (واما الغنم) وشبهها فتذبح ابتداء (واما الطيور) فالاوز ودجاج
الهند وأشباهها تمسك وتلوى العنق وتذبح ذبحا (واما الدجاج) فيجذب عنقه
الى ان ينقطع النخاع فيموت ويعصر الدم ويخرج النخاع بعده وكل على حدة (واما
الحمام) فلا يذبح وتارة يخنق وتارة يكسر ظهره مع قطع النخاع فيموت واذا تقرر
هذا فلنذكر حكم طعامهم شرعا فطعامهم اما ان يكون من الخنزير ومثله الحيوانات
المحرمة عندنا كالسباع واما ان يكون من الحيوانات المذكاة أى التى هى حلال عندنا
وانما يتوقف أكلها على الذكاة واما ان يكون من غيرها للمسلم المأكولات كالنباتات
والمعادن والسمك وكل منها اما ان يتخذ لعادة كما تراه الآن كالمتعاد أو يتخذ لعبادة
كالمتخذ لخصوص أعياد أو يتخذ لخصوص هدية لمسلم فهذه تسع صور حاصلة من ضرب
ثلاث فى ثلاث وكل منها اما ان يكون متخذه الكتابيين أو مشركو كتابيه فتصير ثمانى عشرة
صورة وها انا أذكرها اجمالا مع أحكامها ثم نورد أدلة الحكم

١ الخنزير وشبهه محققة العادة حرام ١ هـ	٢ هو العادة محققا حرام ٢ هـ	٣ هو لهدية محققا حرام ٣ هـ	٤ مشكوك فيه للعادة مكروه ١ هـ
٥ مشكوك فيه لهدية مكروه ٢ هـ	٦ مشكوك فيه للعادة مباح ١ هـ	٧ الماكولات غير المذكاة محققة للعادة مباحة ٢ هـ	٨ هي محققة لهدية مباحة ٣ هـ
٩ هي محققة للعادة مكروهة ٣ هـ	١٠ هي مشكوك فيها العادة مباحة ٤ هـ	١١ هي مشكوك فيها الهدية مباحة ٥ هـ	١٢ هي مشكوك فيها العادة مكروهة ٤ هـ
١٣ اللحوم المذكاة محققة للعادة مباحة ٦ هـ	١٤ هي محققة للعادة مكروهة ٥ هـ	١٥ هي محققة لهدية مكروهة ٦ هـ	١٦ هي مشكوكة للعادة مباحة ٧ هـ
١ ― ٢	١٧ هي مشكوكة للعادة مكروهة ٧ هـ	١٨ هي مشكوكة لهدية مكروهة ٨ هـ	١ ― ٢

فأما الدليل على تحريم المسائل الثلاثة الأول فهو واضح لحرمة تلك الأعيان بالنص
ولا حاجة إلى بيان علة الحرمة للعموم ولأن في أحكام الشرع كلها أسرارا وحكمة
فما أدركناه قلنا به وما لا فإنا نفوض أمره إلى الله مع أنه لم يأمر به إلا لحكمة لأنه منزه
البارى تعالى عن الاحتياج والعبث وإنما أوجب عدم الإدراك وهمه حيثما
ودقة النظر والازدياد خبرة وبصارة بحكم الشرع في ذلك القبيل ما كشف
بالنظارات المكبرة وتحليلات الكيماويين من أن في لحم الخنزير حيوانات مضرة
تورث أمراضا مستعصية وتلك الجرثومات تترحل في لحمه لا تذوب بالطبخ ولا بغيره
فإذا أكل لحم الخنزير مرت تلك الحيوانات في دم آكله وأمرضته وأهالي أوروبا انتبهوا
ذلك واتقى كثير منهم عن أكله (فالحمد لله) على شرعنا القويم الأبدي من خالق
وهو اللطيف الخبير (وأما دليل) مسائل الكراهة التحريمية وهي ٤ و ٥ و ٩
و ١٢ و ١٤ و ١٥ و ١٧ و ١٨ فأصل الحلية ما أصل الإباحة في غير
المذكى أو إباحة طعامهم في المذكى عن ما بقي وعلة الكراهة من حيث الإشعار
بالتعظيم لغير الله في القصد للاستعباد وكل أثر لذلك مكروه (أما) إذا قصد التعظيم
فينتقل الحكم إلى الكفر والعياذ بالله وإن كنت داخلا في ذلك كله نوع من الكراهة
في المذكى المخدوش نوع تحريم لما جاء من الخلاف في حليتها حيث قال بعض العلماء إن النص
دل على حلية طعامهم وما ذكيناه فليس بطعام لأهل الكتاب فلا يشمله النص
وهذا القول وإن لم يكن هو المعتمد عند علمائنا لكن مراعاته توجب كراهة
التحريم على الأقل (ان يقول) إن أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشاة
المسمومة التي أهدتها اليهودية دليل على الإباحة وتقول النص لا يرد به فتبقى
الكراهة وهو مقتضى إطلاق النصوص الفقهية عندنا كما في (وأما دليل) الإباحة
للمسائل السبعة وهي ٦ و ٧ و ٨ و ١٠ و ١١ و ١٣ و ١٦ فما كان
منها من غير المذكى فهو مبني على أصل الإباحة العامة لأن كل ما لا تذكية له لا تتوقف
على شيء سواه عدم المضرة والطهارة وهو على السواء والأصل
الطهارة حتى تتحقق النجاسة والشك في كونهم لا يتحرزون من النجاسة غير مخل كما
كما صرح به شيخ الإسلام في جواب سؤال عن جواز التيمم في بلاد الحرب للشك
في مياههم وأوانيهم من حيث عدم اتقاء النجاسة فقال بعد ذكر حكم التيمم وهذا كله
مبني على نجاسة مياههم وأشباه القوم وأنى أنها بذلك ومجرد احتمال عدم التوقي غير مقتض

الى الحرم بالنجاسة بل لابد من تحققها أو غلبة الظن بها ومن ثم جوزنا تناول طعام أهل الكتاب
واستعمال أوانيهم ولبس الثياب المجلوبة من بلاد الكفر بل المتنجسة منهم بعد لبسهم
لها كل ذلك حملا على الأصل الذي هو الطهارة حتى يثبت ضدها اهـ وفي حواشي
الدر للسيد ابن عابدين (رضي الله عنه) من كتاب الذبائح ما نصه أقول وفي بلاد الدروز
كثير من النصارى فاذا جيء بالفريشة أو الجبن من بلادهم لا يحكم بعدم الحل ما لم يعلم أنها
معمولة بانفحة ذبيحة درزي ولا فقد تعمل بمرافقة وقد يتبع الذبيحة نصراني تأمل
اهـ والأصل في هذه ما صرح به في قواعد الأشباه من قاعدة اليقين لا يزول بالشك
وما تفرع في أصل الأشياء الطهارة ولا تزول بالشك في المطعومات التي ليست بحل للتذكية
ويوافقنا على ذلك مذهب مالك رضي الله عنه فقد نقل عنه أنه سئل عن الجبن الذي
يؤتى به من بلاد الروم وقد قيل انه يعمل بانفحة الخنزير فقال أما أنا فلا أحرم حلالا
(وأما) ان كرهه الانسان في نفسه فلا أرى بذلك بأسا ألا ترى تصريحه بالكراهة وتبريه من
التحريم واعتماده احتياطه من الورع وهذا في المذكى فما بالك بغيره ولا يرد على هذا
قاعدة اذا اجتمع الحرام والحلال غلب الحرام المذكورة في الاشباه لأن ذلك
فيما اذا تحقق وجود الحرام كاختلاط أشياء نجسة بأخرى طاهرة وكل منهما محقق الوجود
غير أنه ليس معلوما بعينه ولو كان النجس أكثر فانه تغلب الحرمة بجميع ما اذا
كان الطاهر أكثر فيتحرى ويستعمل ما غلب على الظن طهره (وأما) مسئلتنا فان موضوعها
كون الذات المعينة التي أصلها الطهارة وقع الشك في هل طرأت عليها النجاسة أم لا (وأما
ما كان) من مسائل الاباحة مما لا يحل أكله الا بالتذكية (فالدليل) على الحلية فيه
ما ذكر في الدر في كتاب الذبائح حيث قال وشرط كون الذابح مسلما حلالا خارج الحرم
ان كان صيدا أو كتابيا ذميا أو حربيا الا اذا سمع منه عند الذبح ذكر المسيح اهـ قال
محشيه السيد ابن عابدين قوله الا اذا سمع اهـ فلو سمع منه ذكر الله تعالى لكنه عنى به
المسيح قالوا يؤكل الا اذا نص فقال بسم الله الذي هو ثالث ثلاثة حاشا اهـ تتارخانية وأفاد
أنه يؤكل اذا جهل أنه مذبوح كما اذا ذبح بالحضور ذكر اسم الله وحده والذي
علمناه من حالهم الآن أنهم لا يعرفون شيئا والحكم يوجد في بلاد أغلب أهلها متدينون
بالنصرانية كالقصابين وفي مثل ذلك يحمل على حالة الجواز لما قال في الدر
في آخر الحظر والاباحة من قوله فعلم أن العلم بكون الذابح أهلا للذكاة ليس بشرط
اهـ ويؤيده تصريح محشيه بما نقلناه سابقا في مسئلة الفريشة والجبن بل وسيأتي

النقل بجواز ما لم يسم عليه أو سمى غير الله تعالى اذا كان الذابح كتابيا وفى تنقيح
الحامدية أول الذبائح ما نصه سئل فى ذبيحة الذمى الكتابى هل تحل مطلقا أولا (الجواب)
تحل ذبيحة الكتابى لان من شرطها كون الذابح صاحب ملة التوحيد حقيقة كالمسلم أو
دعوى كالكتابى ولانه مؤمن بكتاب من كتب الله تعالى وتحل مناكحته فصار كالمسلم فى
ذلك ولا فرق فى الكتابى بين أن يكون ذميا يهوديا أو نصرانيا أو حربيا أو تغلبيا
لاطلاق قوله تعالى وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والمراد بطعامهم مذكاهم (قال
البخارى رحمه الله) فى صحيحه (قال ابن عباس) رضى الله عنهما طعامهم ذبائحهم ولان
مطلق الطعام غير المذكى يحل من أى كافر كان بالاجماع فوجب تخصيصه بالمذكى وهذا
اذا لم يسمع من الكتابى أنه سمى غير الله تعالى كالمسيح والعزير وأما لو سمع فلا تحل ذبيحته
لقوله تعالى وما أهل به لغير الله وهو كالمسلم فى ذلك وهل يشترط فى اليهودى أن يكون
اسرائيليا وفى النصرانى أن لا يعتقد ان المسيح اله مقتضى اطلاق الهداية وغيرها عدم
الاشتراط وبه أفتى الجد فى الاسرائيلى وشرط فى المستصفى فى حل مناكحتهم عدم اعتقاد
النصرانى ذلك وكذا فى المبسوط فانه قال ويجب أن لا يأكلوا ذبائح أهل الكتاب ان
اعتقدوا أن المسيح اله وأن عزيرا اله ولا يتزوجوا نساءهم لكن فى مبسوط شمس الائمة
وتحل ذبيحة النصارى مطلقا سواء قال ثالث ثلاثة أولا ومقتضى الدلائل واطلاق الآية
الجواز كما ذكره التمرتاشى فى فتاواه والاولى أن لا يأكل ذبيحتهم ولا يتزوج منهم الا للضرورة
كما حققه الكمال قال العلامة قاسم فى رسالته قال الامام من دان بدين اليهود والنصارى
من الصابئة والسامرة أكل ذبيحته وحل نساؤه (وقد حكى) عن عمر رضى الله تعالى عنه
أنه كتب اليه فى قوم أو فى أحدهم فكتب مثل ما قلنا فاذا كانوا يتدينون باليهودية
والنصرانية فقد علم أن النصارى فرق ولا يجوز اذا جمعت النصرانية بينهم أن نزعم
أن بعضهم تحل ذبيحته ونساؤه وبعضهم يحرم الا بخبر يلزم ولا نعلم فى هذا خلافا فى جملته
اليهودية والنصرانية فحكمه حكم واحد اهـ وعلى هذا الفتوى وما ذكر فى الهندية
وغيرها والمستند للفقهاء فى هذا الحكم هو عموم قوله وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم
والذى رأيته فى الكشاف والبيضاوى وروح البيان وتفسير أبى السعود والرازى يفيد
ما ذكر فى تفسير فتح البيان لسلطان بهوبال مع زيادات مفيدة فى هذا ولنقتصر على ما ذكر
فيه قال والحاصل ان حل الذبيحة تابع لحل المناكحة والطعام اسم لما يؤكل ومنه الذبائح
وذهب أكثر أهل العلم الى تخصيصه هنا بالذبائح ورجحه الخازن وفى هذه الآية دليل

على ان جميع طعام أهل الكتاب من غير فرق بين اللحوم وغيرها حلال للمسلمين وان كانوا
لا يذكرون اسم الله على ذبائحهم ويكون هذه الآية مخصصة لعموم قوله تعالى ولا تأكلوا
مما لم يذكر اسم الله عليه وظاهر هذا ان ذبائح أهل الكتاب حلال وان ذكر اليهودي على
ذبيحته اسم العزير والنصراني اسم المسيح واليه ذهب أبو الدرداء وعبادة بن الصامت وابن عباس والزهري
وربيعة والشعبي ومكحول وقال علي وعائشة وابن عمر اذا سمعت الكتابي يسمي غير الله فلا
تأكل وهو قول طاوس والحسن وتمسكوا بقوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله
عليه ويدل عليه أيضا وما أهل به لغير الله وقال مالك انه يكره ولا يحرم ومثله الشعبي وعطاء
فقالا لا بأس فان الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون وهذا الخلاف اذا علمنا ان أهل
الكتاب ذكروا على ذبائحهم غير اسم الله وأما مع عدم العلم فقد حكى الطبري وابن كثير
الاجماع على حلها لهذه الآية ولما ورد في السنة من أكله صلى الله عليه وسلم من الشاة
المصلية التي أهدتها اليه اليهودية وهو في الصحيح وكذلك جراب الشحم الذي أخذه بعض
الصحابة من خيبر وعلم بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الصحيح أيضا وغير ذلك الى ان
قال وقال القرطبي جمهور الأئمة ان ذبيحة كل نصراني حلال سواء كان من بني تغلب أو
غيرهم وكذلك اليهود قال ولا خلاف بين العلماء ان ما لا يحتاج الى الذكاة كالطعام لم
يجوز أكله اهـ ونختصر مما يرد به المسائل المهمة المذكورة من الطعام وفي الشك غير
مؤثر فيها فان قلت قد ذكرت ان بعض الطيور يخنقونها او يأكلونها بلا ذبح وان بعض
الأطعمة يجعل فيها شحم الخنزير فكيف الحكم في ذلك (فالجواب) أما الطعام الذي
يتحقق فيه شحم الخنزير أو لحمه فهو محرم بالنص من نجاسة ذاته كما مر وطريق الوصول
الى التحقق اما برؤية بعض من لا يأكل ما يتيقن فيه أو بدلالة قطعية في الالوان التي جرت
العادة بوضعه فيها أو باخبار الطباخ أو المناول بمثله الآكل هل في هذا شيء من لحم
الخنزير وشحمه فان أخبره بوجوده امتنع ولا يحل لان خبره مقبول في المعاملات وان
كان كافرا كما نص على ذلك في كتب الحظر والاباحة من دواوين الفقه وصورتها بقول
الكافر اشتريت اللحم من كتابي فيحل أو من مجوسي فيحرم وصرحوا بانه وان آل خبره
الى ديانة يعمل به بخلاف ما اذا أخبر أولا عن حكم ديني كقوله هذا طاهر أو نجس أو حلال
أو حرام فلا يعمل به بخلاف المعاملات وهذا السؤال انما هو على وجه الورع والا
فالاصل فيما لم يتحقق فيه شيء من النجاسة الطهارة كما مر وينبغي ان يعلم انهم
لا يقصدون الآن غش المسلمين كما اعترض عليه كما يتوهم بعض العامة لاعتقادهم الاحبار
بذلك.

بذلك كله وطعامهم هو لحم دجاج أو لحم أوز ولا يعنيهم أمر الحرمة والحل عند المسلمين بل جمهورهم
لا يدريش أمر ذلك (وأما) مسألة تخنق فإن كان لمجرد شك فلا تبرأ به كما تقدم وإن كان
لتحقق فلم أر حكم المسألة مصرحا به عند دنا رقيد لها على تحقق تسمية غير الله أنها محرمة
عند الحنفية وأما عند من يرى الحل في مسألة التسمية كما هو مذهب جمع عظيم من
الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين فالقياس على ما يعتقد الحلية حيث خصصوا آية
وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم آية ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وآية وما
أهل به لغير الله وكذلك تكون مخصصة لآية المنخنقة ويكون حكم الآية خاصا
بفعل المسلمين والإباحة عامة في طعام أهل الكتاب إذ لا فرق بين ما أهل به لغير الله وما
خنق فإذا أبيح الأول مما يفعله أهل الكتاب كذلك الثاني وقد كنت رأيت رسالة
لأحد أفاضل المالكية نص فيها على الحل وجلب نصوصا من مذهبه بما يثلج به
الصدر سيما إذا كان عمل الخنق عندهم من قبيل الذكاة كما صرح به كثيرون علمائهم
وأن المقصود التوصل إلى قتل الحيوان بأسهل قتلة للتوصل إلى أكله بدون فرق بين طاهر
ونجس معتمدين في ذلك لقول الأصحاب على زعمهم فلا مرية في الحلية على هاته المذاهب
فإن قلت كيف يسوغ للمقلد الحنفي الجري على ذلك قلت أما إن كان المقلد من أهل النظر في
الأدلة وقلد الحنفي عن ترجيح برهان فهذا ربما يقال إنه لا يسوغ له ذلك وأما إذا كان
من أهل التقليد المحض كما هو في أهل زماننا وقد نصوا على جميع الأئمة بالنسبة إليه سواء
والعامي لا مذهب له وإنما مذهبه مذهب مفتيه وقوله أنا حنفي أو مالكي كقول الجاهل
أنا نحوي لا يحصل له منه سوى مجرد الاسم فمتى أفتاه مفت اقتدى فهو مبني على أن الكلام
وراء ذلك وقد نصوا على الجواز والوقوع بالعمل في تقليد المجتهدين والكلام مبسوط
في ذلك في كثير من كتب الفقه وقد حرر المبحث أبو السعود في شرح الأربعين حديثا النووية
وألف في ذلك رسالة عبد الرحيم المكي فلتراجع وهي لمن أراد الوقوف على التفصيل فإن
قيل قد ذكرت أن الخنزير محرم وإن كان من طعامهم فلماذا لا تجعل مخصصا لحلية إباحة
طعامهم لآية أي آية طعامهم وذلك لأن آية تحريمه محكمة غير منسوخة فكذلك تكون
المنخنقة ولماذا تقيسها على مسألة التسمية ولا تقيسها على مسألة الخنزير وأي مرجح
لذلك (فالجواب) أن لنا كلا منهما ما حرم لعينه ومنها ما حرم لغيره فالخنزير وما شاكله من
الحيوانات محرمة لعينها ولهذا اتفق على تحريمها في جميع أدوارها وحالاتها (وأما) متروك
التسمية أو ما أهل به لغير الله والمنخنقة فإن التحريم أتى فيه لعارض يزول ذلك العارض

ثم أتى نص آخر عام في كل طعام أهل الكتاب بأنه حلال فأخرج منه محرم العين ضرورة
وبالإجماع أيضا وبقي المحرم لغيره وهو مسئلتان إحداهما مسئلة التسمية والثانية
مسئلة المنخنقة وهي تنافي محل البحث لتجاذب كل من نصي التحريم والإباحة لهما فوجدنا
إحداهما وهي مسئلة التسمية وقع الخلاف فيها بين المجتهدين من الصحابة وغيرهم
وذهب جمع عظيم منهم إلى الإباحة وبقيت مسئلة المنخنقة التي يتخذها أهل الكتاب طعاما
لهم مسكوتا عنها فكان قياسها على مسئلة التسمية هو المتعين لاتحاد العلة (وأما قياسها)
على مسئلة الخنزير فهو قياس مع الفارق فلا يصح إذ شرط القياس المساواة وإنما أطلنا
الكلام في هذا المجال لأنه مهم في هذا الزمان وكلام الناس فيه كثير والله يؤيد الحق
وهو يهدي السبيل

مطلب

﴿في المراكب﴾

(اعلم) أن المراكب الرسمية في أوروبا متشابهة وقد تقدم ذكر حالتها في إيطاليا
فلا داعي لإعادتها هنا غير أنه ربما يشكل على القارئ شيء وهو أن فرانسا ليس لها
الآن ملك فمن هو مناط المراكب الرسمية فاعلم أن دعواهم في الجمهورية أنها خالية
عن الملك هو أمر وهمي لأن رابطة الملك كائنة بالأمر الضروري لا منفك عنه حتى وقع
الخلاف بين علماء الكلام هل أن الملك واجب بالعقل أو بالسمع فقط واحتج القائلون بأنه
واجب عقلا بأنا نجد أمما عائشين على وجه ما من الاستقامة دون ملك وكل ذلك أمر
وهمي ولا عبرة بالخلاف في المسئلة إذ إقامة الملك أمر طبيعي لا يمكن الاستقامة بدونه
وما ذكره المحتج من وجود أمم الخ هو كاف في الرد عليه لأنه معترف بأن تلك الأمم أو
القبائل تنقاد إلى رؤسائها فالخلاف حينئذ إنما هو في اللقب وفي تحديد السلطة أو
إطلاقها وكذلك حالة الجمهورية في بعض الممالك الآن لأن من يقيمونه رئيسا لها
ما هو في الحقيقة إلا ملك عليهم لمدة معينة وتصرفه مقيد بحدود معينة فلا منفك لهم
حينئذ عن الإقرار بوجوب الملك والانقياد إليه وغاية أمرهم هو اختلاف اللقب وزيادة
الأبهة والعظمة أما أصل التوقير والسمع والطاعة والانقياد له فكله موجود عندهم
فرئيس الجمهورية يفعل جميع ما يحتاج فيه إلى الملك من مراسم المواكب وغيرها غير أنه
أقل أبهة وضخامة من الملوك في اللبس والأعوان وأما بقية المراكب الاعتيادية فهي
كما

كما مر ذكره في ايطاليا وقد دعوني في سنة ١٢٩٢ للفرجة على موكب دفن اثنين من
الجنرالات ماتا سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٧٠ م في حرب الكومون أي الاشتراكيين في
باريس وكانت جثتهما مصبرة في صناديق بكنيسة انفاليد المدفون بها بونابارت
الاول واعدوا لهما موكبا حافلا لا انحصار لحجم عن العساكر المشاة والخيالة والطبجية
بمدافعهم وقدموا في الطريق الكبيرة أمام الكنيسة وغصت سائر الطرقات والميادين
بالخلائق المتفرجين وامتلأ داخل الكنيسة بالاعيان المدعوين وكانت فوقهما
موقودة والشموع الكثيرة مسرجة وكبار القسوس حول المذبح يرطنون بالحان
ونغمات غريبة تميل الى الحزن ويغنون واحدا فواحدا ولهم سكتات في الوسط يسمع
فيها قوم من صغار القسوس جالسين في دواليب عالية محيطة بداخل الكنيسة
ويلحنون ترطينهم بانغام أصوات تشبه المصاحبين وهكذا الى ختام ادعيتهم ثم حملوا
الجنازتين المكسوتين تابوتهما بلباس اصحابهما الرسمي ووضعتا في عجلات معدة لذلك
مزينة بالازهار وقضبان الذهب والفضة وسارت العساكر قدامهم في المقدمة ومن
ورائهم الجنازتان ومن ورائهم ما يشبه الشيء من ركوبات في كراريس سود ومسرج الخيول
أسود والخيل سود ولباس اركابها أسود ومذهب والى المقبرة وكانت المدافع تطلق بعد
كل خمس دقائق كل ذلك اظهار للعناية بمن نفع وطنه منهم ترغيبا لمن خلفه في مثل ذلك
وعلى نحو من ذلك رأيت سنة ١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م جنازة ملك الهانوفر الذي
أدخلت مملكته دولة البروسيا في مملكتها ونفوه وسكن في باريس وهو شيخ مسن
ولما مات حضرت جنازته امراء ووزراء المانيا ووجهت له دولة فرانسا أبهة على نحو
ما تقدم غير انه أخرج من داره لا من الكنيسة ولقد تذكرت في تلك الكنيسة عند
ما شاهدت حركاتهم وهيئتهم قول نبينا صلى الله عليه وسلم الصادق الامين لتتبعن سنن
من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قلنا اليهود والنصارى
يا رسول الله قال فمن اهـ كما ورد ذلك في الصحيح ادخلت من ذلك عندنا وجود الكلات في
الجوامع وتغني المؤذنين والمقيمين فيها واجابتهم للائمة بالحان متناسبة وتلعب الخطباء
والائمة في القراءة والدعوات الى غير ذلك من البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان وما هي
الا ضلالة وافساد وزيادة ونقصان في العبادة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وحيث كان أعظم المواكب الاعتيادية عندهم هو رأس السنة نذكر ما وقع في باريس
في رأس السنة الافرنجية الموافق لذي القعدة سنة ١٢٩٠ من حالة التزاور عندهم

فيها لانهم يكتفون عن اتعاب الزيارة بارسال أوراق الاسماء عوضا عن المعارف ويرسل بواسطة البريد أو بوسائط الباعة الذين لقضاء الحاجات يقفون في الطرق وعلى صدر كل واحد قطعة من نحاس عليها عدد رسمها من الحكومة بانه أمين مجاز له في تلك الصناعة فوزع بواسطة البريد فقط مليون وخمسمائة وستون ألف ورقة عدا ما وزع بواسطة الحمالين وارسلت الى أهالي باريس مكاتيب تم بقدر من الخارج مليون وخمسمائة ألف وكان المرسل منهم في يوم رأس العام من المكاتيب المعتمة في البريد تسعة آلاف مكتوب ونسبته الى البريد الغير معتمة واحد من مائة

مطلب

﴿في اللغة﴾

(اللغة) الفرنساوية فرع من اللغة اللاتينية وهذا لم يزالوا يراعون في الكتابة أصول تلك اللغة فهي يكتبون أحرفا لا ينطقون بها بل وبعضهم يخرج مراعاة الاصل بدون فائدة أخرى ولا زالت في التهذيب واذ عتادهم وهاجميات عليه تقسيمها وضبطها وقد اشتهرت اشتهارا كليا في العالم من وقت ارتقاء نابليون بونابرت الاول الى امبراطورية فرانسا حتى وقع الاتفاق بين الدول الاوروباوية على ان تكون هي اللغة المستعملة في المحاورات والمخاطبات بين الدول وصار من لوازم أهل السياسة معرفتها والتكلم بها ولذلك وقع الاصطلاح فيها على ألفاظ تؤدي معاني سياسية منضبطة محررة مختصرة تحتاج في غيرها الى تطويل وابهام وذلك لا اتفاق على ادراجها في المخابرات السياسية لم يزل جاريا الى الآن حتى ان المانيا لما غلبت فرانسا سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٧٠ م حاولت نقل هذه المزية الى لسانها فلم توفق لها لكثيرة وقالت (اما) ان نتفق على الاصطلاح المتعارف على اللغة الفرنساوية (واما) ان كل دولة تخاطب بلسانها فلم يرق لوجه الاول لان الثاني فيه من الصعوبة ما لا يخفى اذ يلزم رجال السياسة تعلم لسان جميع الدول ذات السياسة ووجود مترجمين في وزاراتهم لتلك اللغات بخلاف الاستقرار على اللغة الفرنساوية التي جرى ما وقع فيها من التحرير من انفسهم اهتمام اعتناؤهم بفصاحة فيها وارتجال الخطب المشتملة أعني الخطب على الفور العربي لا صلى بارتجال الكلام مع فصاحته وانسجامه لا كما يصنع الخطباء الآن من حفظ ما ينشئونه ان كانت لهم قدرة على الانشاء أو حفظ ما نشأت غيرهم او سرده من ورقة اذ هذا خلاف الاسلوب العربي

العربى الاصلى واعتباره اى الاصطلاحى استحضار معان مرتبة فى فكرة الخطيب والقاؤها
عند الحاجة بالفاظ فصيحة صحيحة بليغة الا انه شان كل امة ترقت فى معارج الفخار
فالفرنساويون توجهوا لهذا المقصد ايصالا لعواقبه على حسب اصطلاحاتهم الى
المبالغ الحسنة فترى خطباءهم يقف احدهم خطيبا نحو ساعتين وثلاثا بدون تلعثم
او مراجعة سوى الطرفة احيانا لتذكر رؤوس المواد التى يريد الخوض فيها او ينتقل
من واحدة الى اخرى بربط المناسبات الى ان يتم المقصود، وقد يعترض له بعض اضداده
افرادا او جملة بالاستهزاء منه والسخرية من كلامه والرد عليه ولو بالقدح وهو متثبت
فى مسلكه ويجيب الرد عليه بالمناسبة لان اغلب ما تكون خطبهم فى السياسة مع تنازع
الاحزاب فيها سيما فى مجالس النواب والاعيان وكثيرا ما يوضع للخطيب فوق المائدة امام
منبره كاس بالماء والسكر والزهر ليبل لسانه من كثرة الكلام او الوعظ هذا اصله
لكنى رايت من يقصد الشرب منها آلة للتفكر ومهلة للتدبير فيما يقول حتى اكثر من
ذلك وصار يشرب كل ثلاث دقائق او خمس وهو دليل عيه والحاصل ان خطبهم الآن
شبيهة بخطب اسلافنا العرب فى الصورة وتشبه الدروس المقررة فى اذهان علماء
الفحول الآن مثلما ادركت من دروس شيخنا العلامة محمد الامير الكبير قدس الله
روحه اذ يتتبع جميع الكتب فلها من تقرير المطالب وتصوير ... وخطباء القوم
الآن يحضرون مواطنهم كما يحضرون باصطلاح محصور فى الكتابة حتى يضبطوا جميع
ما يقوله الخطيب واكثر الاسباب فى قبول خطبهم هو ادماج مسائل من فنون شتى فيها
سيما علم التاريخ من ذى مناسبة كتاريخ ادنى شئ يتحدث عنه وما وقع فيه من قديم
الزمان وحديثه فلذلك كان من التاريخ ضرورى لاهل السياسة وهو المعول لان
الوقائع الدهرية متشابهة متقاربة فمن احاط علما بالتاريخ عرف الاسباب والدواعى
والنتائج والتقلبات والعادات فاوقع فى الحال الاحسن ويتجنب المضر ويحترس بالتشاور
واجتماع الآراء وذلك هو مقصود البشر واشده نيل ما يريده وانما جرى هذا به عادته
بالصلاح اذا اجرى العمل على حسب التدبير ولا مرد لما يقضيه الاسباب على مقتضى
حكمة بلا ريب سواه ومن قواعدهم فى معان محادثة والانسان بدون تقييد بالسيادة
الا روحه مع زوجه او العكس والمخدوم مع خادمه ومع ابنه الصغير واذا كان مخاطب
ذا وظيفة لوزارة يراد له لفظ يعنى المرفع او كان ذا حجة للامارة يراد له لفظ يعنى المعظم او
كان ملكا يراد له لفظ يعنى صاحب الجلالة يحتشمون فى ذلك غاية ويكثرون من

اعادته فى الخطاب مرارا وليس هناك استعمالات أخرى فى مزيد التملق والخضوع والمذلة فى الخطاب والفاظ المكاتبات والتخاطب سواء وغاية الفرق هو الفرق الحاصل بين افراد المتكلمين فى البلاغة كما أن من عادتهم تلقيب كل انسان بلقب عائلته ولا يذكر اسمه الا فى المكاتبات أو اذا كان أكبر العائلة موجودا فالصغار منها يذكر اسمهم للتمييز مع ذكر اللقب ولم تزل عندهم عناية بألقاب الشرف وهى (كونت) و(بارون) و (دوك) و(مركيز) و (برنس) وغيرها لكنهم قللوا استعمالها منذ استقرار الدولة الجمهورية وصاروا يكتفون بلفظ موسيو أى سيدى لعموم الناس فى نظر الجمهور

مطلب

فى القوة الحربية والمالية والتجارية فى فرنسا سنة ١٨٨٠

فرنك	
	بلغ طول سكك الحديد فيها ميلا ١٣٨٧١
٣٧ر٦٧٢ر٠٠٠	دخلها أى تلك السكك
٤ر٠٩٤ر٨٣٧ر٠٠٠	قيمة الداخل الى فرانسا من السلع سنة ١٨٧٩
٣ر١٦٣ر٠٩٠ر٠٠٠	قيمة الخارج منها فى تلك السنة
٢ر٧٥٢ر٧٩٤ر٨٣٠	دخل الدولة سنة ١٨٨١
٢ر٧٥٠ر٤٣٢ر٩٠٠	خرجها فيها
١٩ر٨٦٢ر٠٣٠ر٩٨٣	ما على الدولة من الدين
٥٠٤ر٠٠٠	عدد الجند فى الدرعة العاملة والاحتياطية
٢٢٥ر٠٠٠	جوانب طوبولاتو
١ر٥٠٠ر٠٠٠	عدد عساكرها وقت الحرب
١٨٠ر٠٠٠	عدد الفرسان

قد انتهى طبع هذا الجزء من صفوة الاعتبار وهو الثالث بتاريخ أوائل صفر الخير سنة ثلاث وثلثمائة وألف فى المطبعة الاعلامية لمؤلفه الامثل الاكرم الشيخ محمد أفندى بيرم وتحرر تصحيحه على يد الفقير الى الله تعالى مصطفى فتيتة الازهرى

ويليه الجزء الرابع أوله الباب الخامس فى قطر الجزائر

﴿طبع بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٣﴾

﴿فهرست الجزء الثالث من صفوة الاعتبار﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿تمت﴾

﴿طبع بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٣﴾

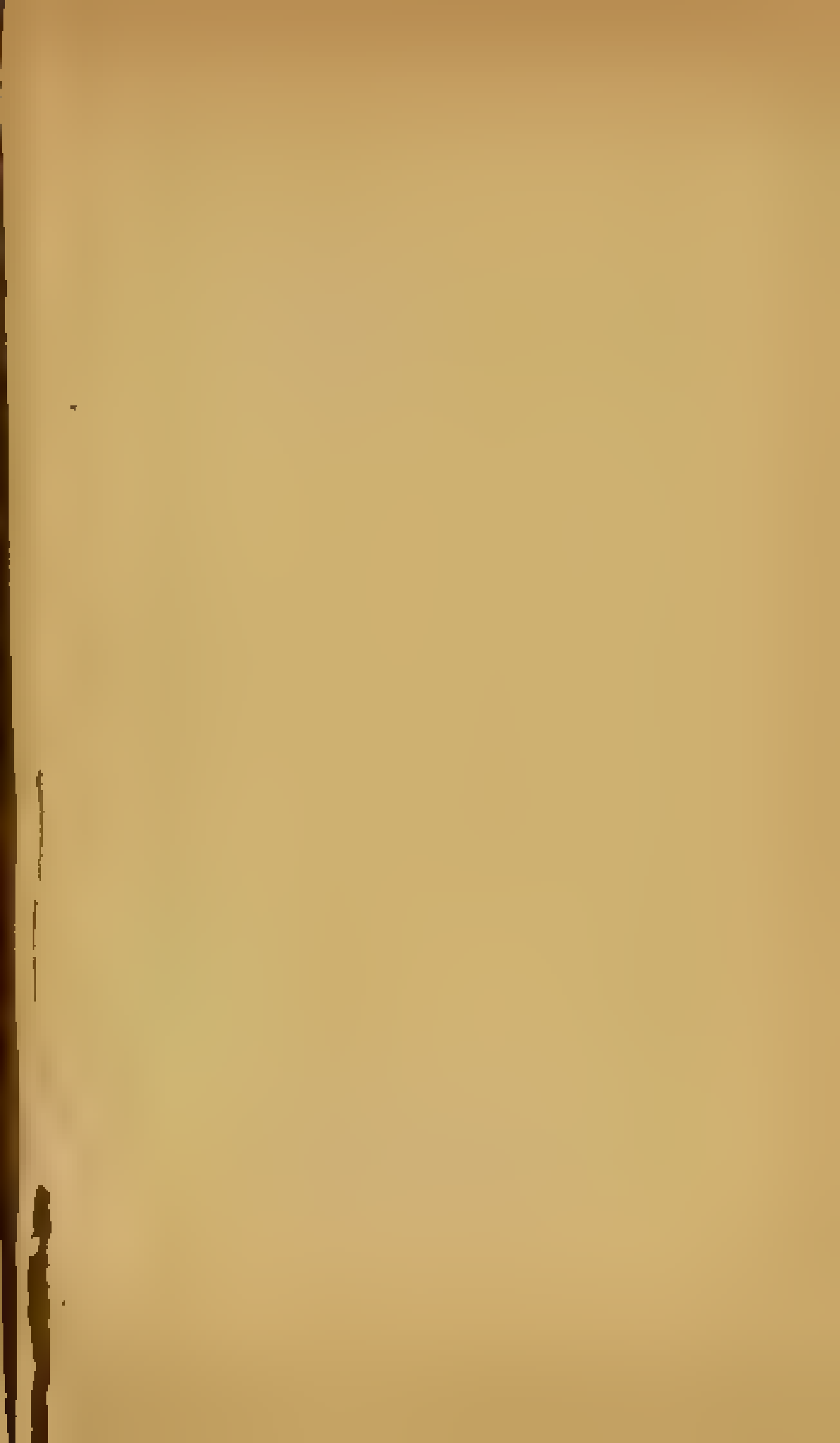

الجزء الرابع من كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الامصار
والاقطار تأليف الفاضل المحقق والاستاذ
المدقق قدوة العلماء وصفوة الازكياء
وحيد عصره وفريد دهره
الشيخ محمد بيرم الخامس
التونسي نفعنا الله
به وبعلومه
آمين

﴿ طبعة اولى ﴾

﴿ بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٢ هجرية ﴾

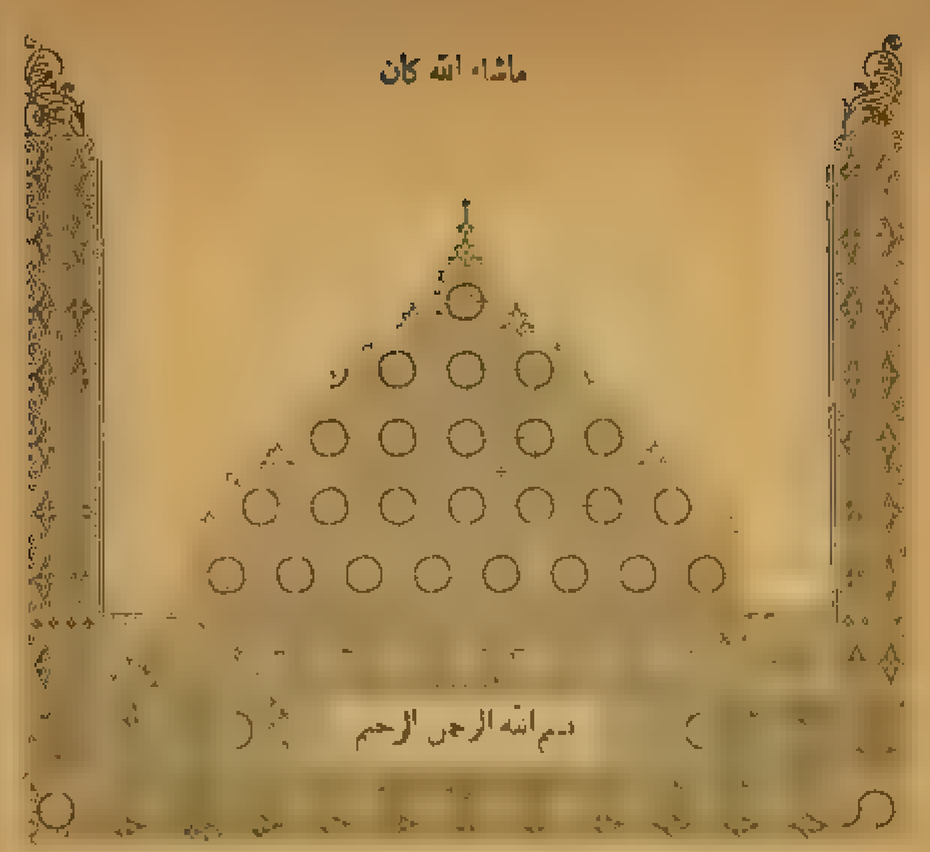

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الخامس في قطر الجزائر

الفصل الاول في سفرتي اليه

قد تقدم انى لما رجعت المرة الاولى من فرنسا كان رجوعى بحرا مارا على المدينة المعروفة بعنابه هى احد فرض الجزائر وارسينا بها لبث خمس ساعات مينا صناعية واسعة مديدة تتصل ابوابها الى رصيف فى اخره اول الطريق الحديد الى حدود [illegible] المرسى الصناعية [illegible] وبجانبه المرسى كثير من السفن والبواخر منها بواخر مركبة معدن الحديد الموجود بقرب عنابه فهذا المعدن هناك غنى ويستخرج بكثرة ويحمل فى عوافل طريق الحديد وهى توصله الى ذات البواخر التى تحمله الى مرسيليا وفى كل يوم يخرج من المرسى باخرة مشحونة به وتدخل اخرى

خاوية

فاو توفى مرسيليا بصقلى وبت على الأمر ووجدت ذلك أرخص مصروفاً من جانب معمل
لتصفيته فيه لهولاء زمننا رأينا البلاد من جهة العرب متصاعدة في جبل وحول
المرسى أبنيته من النوع الأوروباوى ثم نزلت إلى المرسى وجدنا عجلات الركوب
للكراء الكثير ازدحامه وسعة فذهبت لداخل البلد فاذا فيها قرب المرسى بطحاء وطريق
متسع وحواليه أبنية جميلة وقهوات ومنازل للمسافرين ودكاكين لبيع الحلويات
والتحف الظريفة وفي وسط البطحاء حديقة صغيرة مسترة للمارة وفي وسط البلد بطحاء
أخرى صغيرة محيط بها أسراد قات تحت حوانيت وفي هاته البطحاء الجامع الكبير فذهبت
الى الحمام لدى هو قرب الجامع حين كان غرضي الأهم في المدينة إذ لا حمام بها ولما
دخلت الى البلد وجدت الحمام فاذا هو على نحو حمامات تونس وسائر بلاد المشرق غير انه
غير متقن النظافة وليس فيه بيوت منفردة تستر الانسان وحده ولا يلتزم الانسان
به … التحفظ في محله بحيث يخرج من الضغط على كشف العورة أمام الناس ولذلك
كان أكثرهم مكشوف العوره وهي مصيبة عامة في أغلب البلاد الاسلامية التي رأيتها
على خلاف تونس فان حماماتها لها بيوت صغيرة ذات أحواض صغيرة لغرف الماء منها
ولها أنابيب للماء الحار والبارد وللبيت باب يغلق وينفرد الانسان فلا يطلع عليه أحد بلا
مشقة ولهذا كنت أختار الحمامات الأوروباوية في أكثر اسفاري ولو في البلاد الاسلامية
لأمن الانسان فيها من كشف العورة وان كانت دونها في جهة الاغتسال بالماء
وذلك انها بيوت صغيرة فيها حوض كبير يسع الانسان وله أنابيب للماء الحار
والبارد وفي البيت متكأ ومنشفة ومعلاق للثياب وأرض البيت مفروشة بزربية
ولا يمكن اخراج الماء من الحوض بل يغطس الانسان في الحوض ويغسل فيه
بالصابون اما بنفسه او بخادم من الحمام ثم يفتح مسلكه من قعر الحوض لجذب سدادة
يخرج ما فيه من الماء ثم يجدد له ماء ثانيا او يأتي بماء في الكاس … تصب عليه
… جسم الانسان وهو منفرد في بيته لا يدخل عليه أحد الا باذنه واذا أراد الانسان
التطهير بازالة ما على بدنه من النجاسة في بيت أو مكان والاعتياد اتيانه الى الحمام يأمر
الخادم بأن لا يملأ الحوض بالماء ولما يبرد يقعد في الحوض ويأخذ الكاس الموضوع
في البيت لاجل الشرب ويملأه بالماء الحار والبارد من الانابيب ويزيل ما عليه من
النجاسة ويغسل رجليه ويخرج من الحوض ثم يفتح له مسلك خروج الماء منه ويفتح
الانابيب لاندفاع الماء ويطهر أرض الحوض بالغسل ثم يسده بعد الخروج ويملأ الحوض

ماء على قدر ما يكفيه ويغتسل ويتطهر فيه وهو مانع على مذهبنا لان الماء لا يصير مستعملا الا بعد انفصاله عن جميع البدن والبدن كله في الاغتسال عضو واحد (وأما) على مذهب المالكية فهو ايسر وقد اضطررت في ذلك الحمام الى استئذان احد خدمته ليستر زاوية من الحمام بملك ازار في يديه حتى تيسر لي تطهير ما تحت ازاري وهنالك صعوبة أخرى وهي بعد الماء يجب ان كل مغتسل يأتي اليه بغيره ويعتني بما يسمى بريل علوه له ليتطهر بماء بعد التنظيف ثم خرجت من الحمام واتيت الجامع واذا هو نظيف محروس قائم لادوات مفروش بالحصر دون السجاد على نحو ما هو بتونس ولما كنت لابسا النعل كالخف يصح المسح عليه وهو نظيف دخلت به المسجد وصليت به وكان هنالك بعض الناس فرأيتهم ينظرون الى شزرا منكرين الدخول بالنعل الى المسجد لكن لم يقل لي احد منهم شيئا فلما فرغت من الصلاة جاءني من يعجبني وقال لي أنت مسلم ولم تدخل المسجد بنعلك فقلت له هل تعرف الفقه قال نعم قلت ما هو مذهبك قال مالكي فانظر في مختصر الشيخ خليل في كتاب الطهارة فانك تجد فيه مسئلة المسح على الخفين وان المسافر يمسح عليهما ولا ينزعهما ويصلي فيهما وانا مسافر وحتى المقيم ايضا له لبسهما والمسح عليهما والصلاة فيهما وقد فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وهو مذكور في كتب الحديث وكان اصحابه رضوان الله عليهم اجمعين يدخلون المسجد بنعالهم بعد تفقدها وتطهيرها ان كان بها نجاسة فهذا جائز شرعا وليس في نعلي نجاسة ولا وسخ فرضي بذلك واخبر الحاضرين بحضرة ان الرجل مسلم فقيه عارف بالحكم ثم خرجت من هنالك وتطوفت في البلد وقد فطرت في باقي حانوت الطباخ مسلم أكلا عربيا واستلذذته غاية كيفما كان لاشتياقي للمعتاد منها وقد كانت تلك السفرة هي أول سفراتي ولاشتباه الغير المعتاد تصعب على النفس أولا واحسن ما في البلد سوق الخضر قائم على ما هو المتقن في أوروبا من كونه واسعا ذا قبة من الزجاج محمولة على قطع حديد مرفوعة على أعمدة حديد والحيطان أيضا مثل ذلك مع البلاط وفي حسن التقسيم ولكن ليس فيه حوانيت وانما كل بائع جالس في جهة ويضع مبيعه امامه وبخارج البلد آثار قديمة للرومان من البناء والهدم التي تقصد للتفرج وبخارجها ايضا بستان عمومي ويباع منه الاشجار الصغيرة وليس هو متقن و الحارات القديمة في البلد وديارها على نحو ديار تونس وحاراتها الضيقة العرض غير ان أبواب دورها بدفة واحدة وبناء الباب مقوس قليل الارتفاع وبخارج البلد أيضا جهة شاطئ البحر بعض من البساتين وحمامات من الخشب

الخشب على ماء البحر ينتابها الناس في الصيف وحولها سانية او نحوها في الصيف العنب
والشعير وسافرنا من هاته البلدة بعد الغروب قاصدين تونس وعدت اليها في سنة ١٢٩٥
في سفرتي الى زيارة استاذها وبابا وقعدت بها في الاياب اسبوعا وكان الزمن صيفا وهي
لصغرها وعدم وجود الحركة الكبيرة بها لا ينشرح المسافر بها وفي هاته السنة ايضا
مررت في الاياب على مدينة الجزائر قاعدة القطر وهي قائمة على مرسى على عموماته عدم
في عماله والبلد الكبير السابقة ومنظرها من جهة المرسى أبهج وأصنع وقد انشئ بها
طريق للترمواي يخترق البلد من جهة المرسى ويذهب الى قرية تسمى مصطفى من جهة
الشرق من الجزائر وأبنيتها البلد على عموما كرفي عماله وهي أيضا متصاعدة في جبل
وليس بها عيون فجزيرة بل المياه جارية في الجبل تجتمع فيها مياه الامطار من جهات
الجبل ولذلك كانت الطرق الواسعة في الصيف مفتقرة الى رش الماء لما ترش به وبها
أربعة جوامع للخطب اثنان مالكيان واثنان حنفيان والجوامع نظيفة متقنة وبقية
ما كان بها من الجوامع هدمت وبدلت وبها حصون متينة وهاته البلدة هي مقر الحاكم
العام لقطر الجزائر ومنظر البلد من جهة ما هو جبل لكثرة الديار والبساتين في الجبل
محفوف به درج يصعد فيها من أسفل البلد الى أعلى الجبل كما به طرق متناسبة قليلة
الانحدار يصعد فيها في العربات الى قمته وأمام دار الحاكم جامع صغيرة منتظمة والدار
من نوع أبنية الأهالي بدعا وأمامه جامع الأمانة من الجهة وفي خارج البلد وداخلها
مقامات للأولياء والعلماء محترمة منها مقام سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنه
خارج البلد في الجبل في مكان منشرح نزه وأصبح انشاء مهابة ووقار ولي وحوانيت
البلاد على عموما كرنا في تونس وسائر أنسق بالتي [illegible] على صاحبها والبيت وأغلب
القصد منها الانتفاع بالقلال وأكثرهم لم يسكنون في بساتينهم في الصيف وتوجد
المدابلا بها سبيس العمار وضروحها [illegible] دليل الجدوى وبقربه سبيل
قديم قاعدة وخدمة قهوة على الطرز العربي لكنه مدرقة بها بعض الناس ومنازل
المسافرين بالبلد جيدة على نحو الأوروباوي وقد أقمت بهاته البلدة ليلتين ثم سافرت
بحرا قاصدا عنابة ومنها الى تونس فمررت ببجاية وهي قرية صغيرة على البحر لم استطع
الدخول اليها للمطر وعدم مرسى أمينة بها ثم مررنا على عنابة ثم حلق على
ثم اسكيكدة وكلها قرى صغيرة الجديد منها على البحر الأوروباوي والقديم على
عادة أهل القطر والأهالي أغلبهم غرباء اوروباويون ارتحلوا الى هناك وأما اسكيكدة فالبلاد

القديمة فقد خسف بعضها الارض والعياذ بالله ووقوفي على شاطئ البحر بقرية جديدة
منتظمة الطرق واسمها على نحو المور الاوروباوي وأشاهد تفاصيل هذه القرى لأن
الباخرة لا ترسي فيها وبلاد جبال خضر يندمج بعضها في بعض والله تعالى ومن
القرى التي رأيتها قرية قالمة البعيدة عن عنابه نحو اربع ساعات في طريق الحديد
في الجهة الجنوبية الشرقية منها وهي قرية مستجدة يغلب على طبع اهلها البداوة
وهي منتظمة البناء والطرق وقليلة السكان وبها جامع وقاض وحاكم فرانساوي وعساكر
وحصن وكنيسة وحديقة صغيرة للعامة

الفصل الثاني

﴿في التعريف بالجزائر﴾

هذا القطر واقع على شط أفريقية الشمالي ويحده جنوبا صحراء الكبيرة وشرقا تونس
وشمالا البحر الابيض وغربا مراكش وهو قطر متسع ذو جبال شاهقة وانهر عديدة وعيون
دافقة وبه معادن عديدة من الحديد والفضة والآن مشتغلون باستخراجها سيما المعدن الذي
أصله تابع الى تونس قرب حدودها في انفالة وبها معادن أخرى عديدة مثل [illegible]
كالمصدر ومنها الذي لم يزل في رواية الحول وأما هواؤه وحيواناته ونباتاته فهو مثل
تونس في عموم ما ذكرناه فيها والجهات الشمالية فهي ذات الخصب والأشجار العظيمة
والغابات ومدن هذا القطر وبلدانه أشهرها قاعدته الجزائر ثم وهران ثم تلمسان
ثم قسنطينة ثم بونه وغيرها كثيرا لا يسع ما ذكر ومن أهم الموجودة هي المدن
المذكورة غير قسنطينة لأن هاته متوغلة في البر على قمة جبل وينقسم القطر بالنظر الى
طبيعة الارض والسكان والادارة الى ثلاثة اوطان كبار (أولها) وطن الجزائر وهو في الوسط
ويمتد من الشط شمالا الى الصحراء جنوبا (وثانيها) وطن وهران غربي السابق ممتد معه
كذلك (وثالثها) وطن قسنطينة شرقي الاول ممتد معه كذلك ولكل وطن قاعدة هي
المدينة المنسوب اليها وله فروع على حسب الاحتياج وعدد سكانه نحو مليونين
وستمائة ألف وستون الفا والمسلمون منهم مليونان وخمسمائة ألف والنصارى مائتا
ألف ونيف واليهود نحو الاثني [illegible] وقاعدة الجميع هي الجزائر عدد سكانها نحو خمسة
وسبعين ألفا منهم ثمانية عشر ألفا مسلمون وستة آلاف يهود وثمانية واربعون من
النصارى من أجناس مختلفة واكثرهم الاسبنيول والكن اسلاون أصلهم من البربر

وهم

وهم أكثر سكان الجهات الجنوبية والجبال وبقية الجهات سكانها من نسل العرب واختلاط
منهم ومن البربر وبعض من نسل الترك الذين استوطنوا هنالك وكذلك الأندلسيون الذين
هاجروا بعد استيلاء الاسبانيول على بلادهم (وأما النصارى) على العموم فأكثرهم
فرانساويون انتقلوا الى هنالك بعد استيلاء الفرانسيس سيما بعد حرب لما بامهم سنة
١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م وأخذ الالمانيين الالجاس واللورين فارتحل من أهالى ذينك
الاقليمين نحو المائة ألف عين الماء سكنوا الجزائر ثم دولتهم باعطائهم الاراضي
الخصبة التى أخذتها من الاهالى الاصليين عقابا لهم على الثورات وغيرها وأغلب هؤلاء
الفرانسيس سكنوا جهات الشطوط ونشؤا فيها قرى (وأما المسلمون) فاعلم على مذهب
أهل السنة فى العقيدة وعلى مذهب الامام مالك فى الفروع ونسل الترك على مذهب الامام
أبى حنيفة وبعض السكان على مذهب الاعتزال كبني مزاب ثم ان أهل السنة فى المدن
والقرى يكثر فيهم معرفة أصول الديانة وان حصل الآن من كثير منهم تهاون كثير
بالشعائر (وأما البوادى) فيغلب عليهم الجهل لا حكم لكلهم لا زالوا صالبين فى العقيدة
الاسلامية سيما أهالى الجهات الجنوبية والوسطى

الفصل الثالث

(فى اجمال تاريخ الجزائر)

(مطلب فى التاريخ القديم) اعلم ان أحوال هذا القطر التاريخية فى القديم كانت
فى الاغلب متحدة مع تونس وطرابلس والمغرب فما بيناه فى أحوال تونس كان شاملا
لهذا القطر حتى فى زمن الفتح واستقرار الحكومات الاسلامية لانه فى أغلب الاعصار
تابع لتونس لما كانت هى مقر الحاكم العام الاسلامى لافريقية ثم لما انفرد
المغرب عن تونس كانت الجهة الغربية من الجزائر تابعة له ثم اتحد الجميع تحت دولة بنى
حفص وعند تفرقها وانفراد المغرب انتشأت بعض حكومات منفردة فى الجزائر كالمملكة
بنى زيان من زناتة التى مقرها فى تلمسان ثم لما انقرضت الدولة الحفصية على اضمحلال
واستولى الاسبانيول على عدة جهات من شطوط افريقية وكانت الفرق المقسمة اليها
الجزائر غير قادرة على مدافعة دولة كبيرة مثل الاسبانيول اذ ذاك وكانت الدولة
العثمانية رافعة علم الحماية لاهل الاسلام وأسطولها يجوب البحر تحت عدة امراء
وارتحت فرقة من هذا الاسطول تحت امرة خير الدين بربروس وأخيه عروج على

شطوط الجزائر للبحث عن حالة الاندلس مع الاسبنيول فجح الى هذا الاسطول اهالى
الجزائر وطلبوا من الامراحمايته بهذا القطر الاسلامى مادام فيه رمق قبل هجوم
الاسبنيول عليه وذلك أحق من تتبع الاسبنيول فى الاندلس اذ لم يبق فيها مسلم فاجابوا
طلبتهم بعد تحصينهم للاذن وبمن ذلك التاريخ استقرت الحكومة للدولة العثمانية
وذلك فى حدود سنة ٩٤٥ وجرت احوال الدولة فى الجزائر على نحو ما قررناه فى تونس
لان المراد هو حماية البلاد الاسلامية وانجادها وهو من الوجهة الاولى لا الاستقامة
والعدل ثم لما تهورت العساكر الينكشارية فى جميع الجهات حصل منهم ايضا فى
الجزائر ما صدرت منه الاهالى وظهر فى النصب والعزل للولاة من هؤلاء العساكر
حسب الشهوات وقوة العصبية ولم يحسن من هؤلاء الولاة الامتثال لاوامر الدولة
العثمانية الى ان ولى حسين باشا الذى كان سببا فى دخول الفرانساويين الى البلاد
والحكم لله رب العباد

* قال صاحب تاريخ الجزائر الجديد انه لما رأت الدولة الفرانساوية ما ترتب فى
البحر والعوائد سيما فى الاعصر الاخيرة لاربابه ظهور وعدم تحمل الهوان
وكانت الدولة العثمانية فى شدة اشتغال من عمل الينكشارية وحروب الروسية
* وثورة اليونان وضم الى ذلك طغيان ولاة الاقاليم وعدم امتثالهم للاوامر وكان حسين
باشا الى الجزائر مستبدا ظلوما مرتشيا قليل التدبير وحصل منه اهانة لقنصل فرانسا
وذلك على ما فى تاريخ ابن الصياد أحد تجار اليهود لاغنياء الجزائريين الملقب
ببكرى انه صح له حاطة ما بينهم تجارة مع الفرانسيس وتداعوا فى خسائر من الجهتين
واستمر حسين باشا رعيته بالالحاح فقبل فرانسا فى اداءه وآل الامر الى صلح
يدفع على مقتضاه لتجار الفرانساويين الى التاجر الجزيرى مالا وافرا واصر حسين باشا
أخذ المال لانه لما اعتبر هؤلاء رعيته وذلك عادة لهم ولما قرب دفع المال
واذا بتجار آخرين فرانساويين قاموا على بقرى المذكور بدين وقاموا عليه المال لدى
تريد قبضه فاستاء حسين باشا من ذلك وطلب من القنصل رفع الايقاف وقال ان ارباب
الدين الفرانسيس الطالبين رعيته يتبعون ذمة المدين بعد قبضه للمال بحيث لا يكون
للطالبين حق فى المال الذى يقبضه الفرانساويون فامتنع من ذلك القنصل مستندا
الى ان المال المرقوف مال المدين والغرماء لهم حق فيه لا داعى منه من يرضون بدفعه
وكان المدين نفسه مغريا بهذا التدبير حرصا على ماله من الضياع باستيلاء الباشا عليه

فاعرض

فاعرض الباشا عن القنصل وكاتب دولة فرانسا في غرضه وارسلت المكتوب الى القنصل وامرته بالجواب عنه ولما قدم القنصل الى الباشا لبعض مآرب خاطبه الباشا في استبطاء جواب مكتوبه المشار اليه الى دولة فرانسا فقال له القنصل ان المكتوب ارسلته الدولة الى وامرتني بالجواب عنه فسأله عن سبب عدم اجابة الدولة له فاجابه بما فهم منه احتقاره وكانت بيد الباشا منشة يطرد بها الذباب فضرب بها وجه القنصل واراده في اسفله على ما قاله من كان يدرى وتهددت فرانسا الوالي المذكور على اهانة نائبها والحت عليه بان يطلب منها الرضى ويعترف بالخطا بل صدر امر الدولة العثمانية له بذلك ومن النصائح التي ابديت له من الدول الاجنبية وخواص الاهالي وقد كانت فرانسا في شغل من داخلها في ذلك الوقت حسبما هو مثبت في تاريخها لان ذلك كان اثر حروب نابليون الاول وكانت ايضا متوقية المشاحنة مع العرب ومع الدولة العثمانية حتى رضيت فرانسا بان يكاتب الباشا اي انسان كان في باريس بطلب الترضية لكي تدفع عنها المعرة ولا تحقره ومثله بارسال احد من يوجهه الى القنصلاتو ولا الى باريس وكان قصدها بذلك كله اجتناب الحرب ما امكن لاشتغالها بامورها وخوارجها الداخلية فاصر الوالي على رأيه وارسلت فرانسا اسطولها وحاربت بلاد الجزائر واستولت عليها وحمل ذلك الوالي الى باريس ثم مات في اسكندرية وقد نسب المؤرخ المذكور هنا اعمال الباشا المشار اليه الى كونه لا غيرة له على الوطن من حيث كونه لم يكن من ابناء ترابه ولذلك خاطر به الى ذلك الحد مع علمه بالضعف وانحلال عرى عصبيته ونصرة الاهالي من جوره الخ والحق ان مثل ذلك التعليل قليل الثمر يقتضي ما سيأتي في ايضاحه في الخاتمة ان شاء الله تعالى فالجامعة الاسلامية واحدة ثم المشاهدة تناقض مقاله ايضا فكم شاهدنا وسمعنا من الملوك الذين ما ثبتت فيهم الوافد على الاوطان ووطنهم لها بشكر نعمائها واداء واجبات الدولة بانقيادهم من التعصب والتحصب وكم شاهدنا وسمعنا بضد ذلك من ابنائها الاداني ومن دعيت فيهم التحقيق السبب هو ان انه اذا تاذن في امة باضمحلالها فسدت اخلاق اكابرها فتفسد قواديها ومن فسوقهم اسناد الامر الى غير اهله فحق عليها القول ودمرت تدميرا اما يستحقها وذلك هو الدال عليه القرآن الكريم والحديث الشريف وهو المشاهد بالعيان والمعلوم من التواريخ في اضمحلال الدول وتقهقرها وحذاق الناظرين في احوال الدول يحسبون ذلك شيئا لا اصول منه اصلا دار الاطال الزمان ويكون لدى اهل بيده الامر مظهر الحكام الداء الزمن وهو مع ذلك مسؤول لله ولعباده

اذا كان يمكن له توقيف المرض فبعوض ذلك بزيادة هيجان هيجاناته فيكون أشد على
الامة من وقع الصواعق اذ الجسم العليل يتأثر عادة بأثر ما يتأثر منه السليم وكفاه خزيا في الدنيا
والآخرة ان كان مظهرا للشر ورفقاء الجزائر فقدانه منذ اعدم امراء الينكشارية
في القسطنطينية التي هي مقر الدولة العامة ونشأ عنه ما نشأ من فساد الادارة والولاة
الى ان اصبحت عدة جهات وباء حسين باشا في الجزائر باسم الظلم والخراب واشتهر الذي
كان أعظم النكبات وانقلبت حالة الجزائر وحالة السياسة في شطوط افريقية
الشمالية الى طور آخر وكان مبدأ استيلاء فرانسا على الجزائر سنة ١٢٤٦ في مدة
كارلوس العاشر ملك فرانسا وتمكن فرانسيس أولا من القاعدة وما حولها لكن
بقية الجهات اصروا على الامتناع من الطاعة لفرانسا لانها انما ارادت الانتقام من
الوالي حسين باشا وقد حصل فالجهات الشرقية من القطر انفرد بالحكم فيها الحاج احمد
باي قسنطينة والجهات الجنوبية والغربية تشتتت تحت رؤساء القبائل ورام
الفرانساويون محاولة تقويتهم بالرفق بان يتولى الامر في وهران والى تونس بارسال
أحد عائلته او احد متوطنيه فارسل والي تونس واحدا من جهته ومعه شرذمة من
الحرس فلم يستدم امره في مدينة وهران فضلا عن خارجها ورجع من حيث اتى ثم اجمعت
الجهات الغربية والجنوبية على مبايعة الرجل الوحيد سلالة الفضل المشهور الامير
سيدي عبد القادر بن محي الدين الحسني وقام به حق القيام وصحبته النصرة الالهية
في كثير من الوقائع الى ان كان في بعض ما هو خارق العادة من الكرامات كطفر فرسه
الازرق به ضمن مروحين احاطت به العساكر الفرانساوية كالحلقة وراموا مسكه
باليد فطفر به فرسه على رؤس العساكر وأطلقتم ذلك الذي ونجا راكضا الى منعته
ودام محاربا لهم نحو بضع عشرة سنة واستقامت له حكومة نظم فيها الملكية بادر
وانشأ المدافع والبنادق ونظم أمره وحشد فرانسا ودعا الحاج احمد باي ليتحدا ويكونا
يدا واحدة فامتنع تحزبا وطمعا فخذل الامة الى ان دهمه وأسر وتولى الفرانساويون
على ما كان تحته وبقي الامير سيدي عبد القادر مدافعا ومهاجما الى ان سولت العاملات
النفسانية الخارجة لاديانة الاسلامية لسلطان المغرب الاتحاد مع الفرانسيس على
محاربة الامير اثر التجائه اليه وقطع عنه سلطان المغرب خط التجائه جهات الصحراء فاضطر
الامير الى التسليم للفرانسيس فقابلوه بالترحيب والاكرام وحملوه الى باريس تحت المراقبة
فيها وكان اذ ذاك نابليون الثالث مقيما وصار عليه هناك خدمات مقصودة للامير وقال

له

انه وعده بالمساعدة لو يفضى ملك فرنسا اليه وعندما استقر نابليون الثالث فى منصب
الامبراطورية لم تساعده رجال دولته على انجاز قصده من تولية الامير المشار اليه على
الجزائر فاهدى اليه رسالة فى محاسن الشام وخيره فى انتخاب محل لاقامته فاختار الامير
سيدى عبد القادر ارض الشام وقدم من فرانسا اولا الى الاستانة واكرم مقدمه السلطان
عبد المجيد واقام مدة فى بلاد الترك ثم استقر فى دمشق الشام ادام الله بركته للانام وحاطه
بالامن والسلامة فى نفسه وفى آله الكرام وبعد خروج الامير المشار اليه من الجزائر
خف الخطب على فرانسا لكن بقى حول الزواوة ثائرا عليها حفظت امرة كبرائه فطوعته
اخيرا عمالها فى اغلب الجهات من انخداع الرؤساء بالمال او تسلط بعضهم على بعض
كما انها حاربت باقى الجزائر ايضا دولة العرب بجيوش كثيرة خالية عن التدبير والتدريب
الحربى فلم تعد شيأ سوى ضياع ما حملوه معهم وكان البوادى المصاحب الى الفرانسيس
اشد على العرب من نفس الفرانسيس وذلك سبب الخذلان ولا زالت تتوالى الثورات
فى الجزائر على الفرانسيس متعددة الى الآن تارة مشتدة وتارة خفيفة ولله عاقبة
الامور

﴿مطلب فى كيفية اجراء السياسة الداخلية فى الجزائر﴾ اعلم ان ادارة الجزائر فى
الحقيقة مناسبة لارباب الامر والنهى فى باريس على ما هى قاعدة الفرانسيس من ارجاع
كل الامور فى عمالتهم ومستعمراتهم الى باريس من غير التفات الى بعد المستعمرات او
قربها ولا الى الجهل باحوالها واخلاق اهلها وعوائدهم فيضطر اصحاب الحكومة الى
اعتماد اقوال المباشر فى المستعمر لجهلهم فيه فيؤول الامر الى ما تقتضيه حالة ذلك المباشر
من الانصاف او ضده مع انه فى نفس الامر غير مسؤول عما يقع الا فى الاحوال التى يلزمه
الاحتراس اللازم للدول ومع ذلك فالاحكام والادارة كلها فى الجزائر كانت استبدادية
بحتة تحت الحكم العسكرى فما هى الا اجتهادات من المباشرين بلا تعقب لحكمهم لان
الدولة منعت الاهالى من الحرية السياسية ومنحتهم بعض الحرية الشخصية من
التصرف فى دياناتهم واختصاصهم بامورهم كيفما رأوا فيما لا يضر بالدولة ولا باحد
فى نظر الحكام والدولة تنصب حاكما عاما من اهل المناصب العالية من الفرانسيس
ويدعى حاكما عاما على الجزائر جميعها ويستقر فى مدينة الجزائر وهى ايضا تنصب ثلاثة
حكام آخرين كبار الفرانسيس تناط باحدهم ولاية الجزائر وبالآخر ولاية وهران
وبالآخر ولاية قسنطينة ويرجعون فى النظر لحاكم الجزائر العام وعلى كل قبيلة قائد

والاغلب ان يكون من بنى القبائل ويلقب كبراء هؤلاء القياد بالاغه ويتصرفون حسب
اجتهادهم وحسب ما يلقنون به من الاوامر من الولاة وفى كل بلدة قسم من العساكر
والكبراء منهم نفوذ كبير فى الاهالى وفى كل بلدة او قرية حاكم فرنساوى والرسوم الظاهرية
فى الجباية وان كانت محدودة معروفة باخذ الاعشار من المزروعات والزكاة على الحيوانات
فكثيرا ما تمتد الايدى الى المكاسب من غير الواجبات من المتوظفين على اوجه شبيهة بالسرقة
حيث لا تطبيق عليها الحساب الحقيقى ثم المتوظف مخلص عندما تقع به الشكاية بان ينسب
المأخوذ منه الى الثورة والسعى فيها او بالقول فى ذلك فتثبت التهمة وتبقى شكايته موقوفة
على القرائن لدى الحاكم المستبد وكل من ثبت عليه شئ من ذلك يؤخذ جميع كسبه
للحكومة زيادة عن عقابه البدنى الشديد ولا معقب لتلك الاحكام وقد ابتدأ ذلك العمل
منذ خلو الجزائر فان حمدان بن عثمان خوجه الذى هو من الاعيان العلماء الاغنياء
العارف بالالسن الاجنبية اتهم بانه كاتب الحكومة السابقة فامتنعت عنده اموال واخذ ماله
وسافر هو شاكيا الى دولة فرانسا واقام لمحاكمته على مجلس شورى الدولة المسمى كونسيل دى تا
ووكل اشهر المعروفين بالمحاكمات وعكف منتظرا الحكم ثلاث سنين صارفا اوقاته
فى مطالعة الكتب وتأليف كتابه باللغة الفرانساوية المسمى مرآة الجزائر الذى اودعه
اخلاق القبائل وحالة سيرة حكام الترك وما آلت اليه من مظالم الفرانساويين مما لم يكن
يظن صدوره عن امة متمدنة وقد قبل هذا المؤلف فى فرانسا بالاعتبار لكن حكام
الجزائر استاؤوا منه وزادوا نكالا بكل من له علقة بالمؤلف المذكور وبعد مامر عليه مامر
صدر الحكم من المجلس المشار اليه ان حمدان المدعى محق فى دعواه لكنها المرفوعة الى
المجلس بعد صدور امر الدولة بان لا تقبل دعوى ثلاث السنة التى حصلت عليه فيها
المظالم فلا حق له حينئذ فاستوطن الدولة العثمانية واستقر بعدها فى الاستانة وعين ابنه
على باشا من اعيان رجال الدولة وعلى نحو ذلك العمل تجرى الادارة السياسية فى الجزائر
الى الآن فترى فى صحيفة الرسمية المسماه بالمبشر على الاستمرار صدر الامر بثقاف
املاك فلان وهى كذا وكذا واملاك فلان الخ لكن منذ سنة ١٢٩٥ ادخلت
المدن وبعض قرى تابعة تحت الحكم المدنى القانونى لكنه بعيد عن الحرية اللازمة
واقعاه واهون من الحكم العسكرى الاستبدادى لبعض اقسام القطر واما كثير من
البادية وجهال العامة فانهم يريدون الحكم السابق العسكرى ومنه خير لهم لما يأتى
بيانه ونوع ما تقدم ذكره مع الخلاف فى الديانات بين الاهالى والدولة المتسلطة

دامت

دامت الثورات وتعاقبت عند كل فرصة وعندهم على ذلك فنصبوا الفرنساويس حتى
ضجرت من كثيرتهم بسبب كون الجزائريين يشكون من الادارة ومأموريات محصولهم تطلب
انصافهم واستقامة ادارتهم واعطاءهم الحرية المناسبة لهم ويعاملون بالمساواة مع فرانسا
في جميع ما يتناولونه في هذا الرأي قسم وافر من أهالي فرانسا أيضا بل ان نابليون
الثالث بحث عن أسباب الثورات وذهب بنفسه الى الجزائر مرتين ثانيتهما اثر تسكين ثورة
وقعت هناك وعلم ان أعظم أسباب ذلك من سوء معاملة الاهالي من الحكام فصغى
الى شكاياتهم وأزال عنهم كثيرا من المظالم ورجع بهم الى مظالمهم فسكنت الثورة بدون
سفك للدماء ولا تشفي في الثائرين كما صرح بذلك الامبراطور نفسه في خطبته عند
رجوعه الى فرانسا وقد توغل في دواخل الجزائر وأواسط افريقيا بجميع ذوات الصعوبة
متفردا عن الحماية الفرنساوية معتمدا على وفاء العرب وصدقهم وقد تعهدوا له بذلك
ووفوا له حق القيام من عامتهم وخاصتهم وفرحوا بقدومه عليهم ومالوا اليه والى انصافه
واظهروا له من الطاعة والتعظيم ما عاد به مسرورا منهم موقنا بانصاف مطالبهم وصحب
خاصا وطائفة احتفوا اليهم واستحضر منهم في باريس فرسانا من العساكر بحرسة ذاته واكرم
مقدمهم ورفع من شأنهم واتخذ فرسانا من الفرسان في مصاحبته في ركوبه بلباسهم العربية
وكذلك العساكر المدعون العمامة ويدعون بالزواف وقد حاربوا في الدفاع عن
الفرانسيس في حرب سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧ م بجيش كثير من جهة الفرانسيس
انفسهم وشهد لهم بالشجاعة والصبر والمروءة والغيرة كل من الفرانسيس والالمان ولما
وقع اسر الفرانسيس في تلك الحرب حركت الدسائس اهالي الجزائر الى الثوران
فامتنعوا وفاء بعهدهم مع الامبراطور نابليون لدى احكامهم له الصلة ووعدهم بمزيد
المساعدة والصلح قبيل تلك الحرب الى ان خلع الفرانسيس له فثار بعضهم بعد ذلك
لكنه لم يعد عما شرع فيه الا من حرب خصوصا ولعدم اتفاق الكلمة بين الجزائريين
ولا زال أهل الجزائر يثنون على نابليون وعائلته بالثناء ويمدحون انصافه واعتبار
حريتهم حتى قال في خطابه الرسمي الى امبراطور الفرانسيس كما انى امبراطور العرب
وكان ذلك هو الذي اوجب للكثير ترجيح الحكومة العسكرية لطلبهم بها لانه يجبر
الاهالي خصوصا ذكرها به الامبراطور لان عهده من لا يرعى له ذمة حتى ان
العساكر مع ما مر ذكره لم يسمح لاحد من ضباطهم بنيل رتبة دونهم في العسكرية فذلك
هو سبب المال لدى لا يبرح من نفوس الاهالي وان جعل منهم بعض أعضاء في المجلس

الذى يدعونه الحاكم الثالث ورقى المصلح الكثير منهم صورية لان اغلب الاعضاء من
الفرانساويين مدافعون عن حقوق الفرانساويين المتوطنين هنالك وهؤلاء يرون
انفسهم مغلوبين بالقسمة لانه لهم فى مراتب ... عدم لدعى فى ذلك لانهم يعدون ال
الاهالى دائما انصارهم بتسويتهم فى الفرق يأوون اهلا بمسائر لم اء تزلها
الفرانساويون واهالى الجزائر الآن يعتبرون انهم فى حاجة للفرانساويين لان لهم الجنسية
الفرانساوية والفرق بين هذين هو من له الجنسية بسائر لم لفرانساوية وعليه
ما على افراد الفرانساويين من القوانين من الدخول فى العسكر واجراء احكام الزواج
المدنى والتوارث على مقتضى القانون الى غير ذلك واما صاحب الجنسية فيجرى احكام
ديانته ... ولا يدخل العسكر لا برضاه نعم ... نوع من العسكر الجبلية
يسمون بالسبايس دون رتبة العسكر ولا يراد ان يدخلوا فى الجنسية باختيارهم بحيث
لا ... فيها وقد دخل فيها كثير منهم للشهوات وبعضهم كالبعوث وبعضهم طمعا
فى الرتبة العالية العسكرية ... منها الكمهال فى اعتبار العموم لما
يوجب ذلك من انتهاك لديانته فى نظر العموم ولو من الفرانساويين ... لم يكن
للاهالى المساواة فى الاعتبار بينهم وبين الفرانساويين ويظهر ذلك حتى بنظر العين
فى المعاملات ... وترى ... فى معاملة الفرانساويين
وخطابهم من ...

(مطلب فى السياسة الخارجية للجزائر) ليس للجزائر سياسة خارجية اذ السياسة انما هى
لفرانسا ولا ترى فى قاعدة الجزائر ... غيرها من ... قناصل للدول الاجنبية
وماهم فيها لا ... لهم فى ... مدن فرانسا

الفصل * الرابع

{فى مختصات الاهالى وعوائدهم}

اعلم ان عوائد الاهالى وصفتهم فى الجزائر هى مثل ما فى اهالى تونس فى ... و ... غير
ان الجيل الجديد فى المدن ... فى قلبه اخلاق مختلطة بين العادات الاصلية وبين
عوائد الفرانساويين ومن المعلوم ان ... الى التشبه بالغالب غير ان اول
ما يسرى اليها الاخلاق الشريرة اما العادات ... عليها ... بالكلية ولهذا
فشت ذلك الجبلة فى كثير حتى سرى ... ابناء الفرانساويين الذين نشأوا هنالك وقد

صاحبني في الباپور من الجزائر الى عنابة امرأة كم لا دقائق صاحبة لابنائها الصغار
وهم ثلاثة ... ولم يبلغ اكبرهم ... في مكتب ... الجزائر ولما ارست الباخرة
على مرسى ... صعد اليها ابنها ... وكان حضر ذلك الوقت الفطور
فجلس مع الكل على المائدة ... الحاضرين الاربعة ... يأكلون وبعد الاكل
اتى بالقهوة ومن عادة ... نوع من المشروبات الروحية المسمى
بالكنياك ومعه كبار ... من ذلك مع القهوة واحد منهم اخذ
وامتنع من امتنع فعمد اولئك الصغار الى المشروب وأخذ كل منهم كأسا ووضعه امامه
فتبسم كبار الحاضرين متعجبين من ذلك وأمهم ... اعرق من الحياء ولم تكلمهم
بشيء وبعد ذلك أخذني ... الى ... وقال لي ارأيت ما وقع فقلت ما هو
... لو كان ... في ... وعندكم ليس
ممنوع قال كلا ... وان كان ... الا انه ... ولكن ... كل
ممنوع ... الا ... [illegible]
... الصغار ... من ذلك مقتضى التربية ... ولكن نحن قد ... عن
طورنا ... أحد حكام البلاد ... هذا
... بالك ... وكان ... وهو ان الحرية في ... قد ... طوروا
على ... الحرية الشخصية والحرية ... في بلادهم الحرية
السياسية على ... الاخلاق على قدر ... وادراكهم واما في الجزائر
فقد حرموا ... من الحرية ... وكذلك الاهالي ... الحرية
الشخصية ... من الاخرى ... الى الاولى مع ملاءمة الطبائع
... الى كل ما يمكنهم ... وفوق ... الكلام والتروح بين
كل ... ولا ... ممنوعة ... امرأة من
... الى رجال من الافرنج ... بدون زواج ... ولا مانع ... من
ذلك واضف الى ما تقدم من السبب ان الحكام ... ومن ... وراءهم
يشتغلون بالكلام ... وأول ما ... الاهالي ثم ان
السيرة العسكرية الاستبدادية معلومة في ... على ... في دونهم هو
الميل الى الشهوات الطبيعية والانهماك فيها ولا ... يكون ... لحكمي
أو ... في ... عادة ... في ...

اعتبار عادات الاهالي حتى لا اعتبار فتنشأ في ذلك القطر زيادة الاطلاق ولذلك تجد
صار الاهالي على قاعدة الناس على مذهب امرائهم ومع هذا فلا زال في ذوي
البيوتات واصحاب الاصول مكارم الاخلاق الاسلامية وفضائل الطباع العربية
وان كان ذلك لا اصالة له فيما يلي المدن وانما هي للقبائل من البادية والا وغالبهم في الجنوب
وذوي حال القطر فلا كثرة منهم على الطباع والعادات الاصلية والقبائل الذين لهم علاقة
بالحكام والتداخل معهم تغيرت عاداتهم الى نحو ما وقع في الكثير من اهل البلدان ومن
الاخيار الذين اجتمعت بهم وتحققت فضائل اخلاقهم الحبر العالم الشيخ علي بن
الحفاف المفتي المالكي بقاعدة الجزائر وهو من تلامذة علامة القطر الافريقي الشيخ
ابراهيم الرياحي كما اخبرني بذلك عن نفسه وله فضائل كاملة وتقوى وسكينة واطلاع
واسع في الفقه والحديث وذاكرني في الهجرة وذكر انه مثله قبيل الورود في ذلك
القطر وانه قائم فيه لتعليم الناس دينهم انفع للعامة وله عند الناس وجوه براسه وابقاه
تلك الامة المسلمة خالية ممن مثله بل ربما احتاج خروج غيره ممن هو على شاكلته على
الخروج فتبقى العامة بلا من يعلمهم ديانتهم وتضمحل منهم الديانة شيئا فشيئا والعياذ بالله
بخلاف ما اذا بقي هو وامثاله فانه تنتشر تعاليم المساجد والفقه وتبقى الديانة ان شاء الله
عمومية في الاهالي وذلك هو المنصوص عليه في كتب الفقه حتى ان المازري اذ لم
يمكن فداؤهم حاله ونحوه من العلماء ومن الاخيار ايضا الاصيل الهمام الشيخ احمد
ابو قندورة المفتي الحنفي بالقاعدة المشار اليها وهو ذو تصرف في معرفة السياسة وفن
المعاشرة وله حظوة في المدارس عند اهالي مدينته وهو [illegible] اصحابنا في مجلس
الولي له مشاركة في الفقه والحديث وكل من الشيخين المذكورين له الامامة وخطابة في
جامع بالقاعدة المشار اليها وقد زرت كليهما في مقصورة جامعه ودعا لنا بما هو الواجب
التعدد، كما اني جازاه الله احسن الجزاء وتوجهت معه الى بستانه في الجبل وهو بستان
ظريف جامع لاشكال البناء العربي والاوروباوي وبه اوطر لطيف على الطرز العربي
المتقن ومن اكارم من اجتمعت به صحبة الخبرة سيدي قدور الشريف نقيب السادة
الاشراف صاحب شمائل تليق بجلالة نسبه ومنهم العالم المدرس الشيخ علي بن موسى
نقيب زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنه وهو صاحب ورع وديانة كان
ولي في احدى المناصب الحكمية وانما تركه لامتناع تصاريفه واعتذر بما هو واقع في
وضع نقابة الزاوية المذكورة وفي ما كذلك هو الآن منكب على العبادة والمطالعة وله
اشعار

أشهار ومنهم الوجيه السيد الشريف المعصافي وغيرهم من الاعيان كما اجتمعت
وطني الفرانسيس كالخواجه مريزط حاكم وهران ونائب الحاكم العام
جرانره .... في وقت قدومي الى هناك وهو الذي نزل زيارة على معارفه
العسكرية التي توصل بها الى رتبة الفريق فانه متصف عاقل عارف بأحوال سياسة
الوطن والسياسة الخارجية صدوق في الكلام بدون محاباة ويا ليت سائر كبارهم وطنهم
هالة مثله والذي أعانه على معرفة مصالح الاهالي هو معرفته لغتهم ومنهم أميرال الأصر
الكماندان دي سان مدي وهو شيخ متصف في السياسة ومن لا ثقته في غير القاعدة
الفقيه النبيه الشيخ السيد بن شتاح قاضي بالدقالة وهو مشارك في الفنون الآلية وله
اطلاع حسن في الفقه مع عفة واستقامة ثم ان الاهالي على العموم فطرتهم من نوع من
الجد والنشاط وذرية البربر فيهم شقرة وصورة وظهر ولوع بالهوية والاهالي
في المدن على نحو ما في أوروبا وفي قبة القرى والبوادي على نحو ما ذكر في تونس

(مطلب في التجارة بالجزائر) التجارة مع خارج القطر أغلبها بيد الفرانسيس ثم
الاسبنيول والطليان ثم عدد يسير من الاهالي والانكليز ونادر من غيرهم وفي
دواخل القطر مقسمة بين الاهالي والمتوطنين وهي على نحو التجارة بتونس اذ لم
تحدث معامل ولا كثير حركة تجارية سوى بعض معادن كما تقدم في معدن الحديد
بعنابة ومعدن فضة في القالة على أن تصديرها وصناعتها تكون في فرانسا وأصول
التجارة الجارية على نحو الاصول الفرانساوية وعلى مقتضى المعاهدات مع الدول
وأما البريد براً وبحراً فبيد شركات فرانساوية وفي الجزائر دار صرف تسمى بانكة
الجزائر لها أوراق مالية مثل البنوك المعتبرة في أوروبا ولقد سهل طرق التجارة وان شئت
قلت التسهيل الحركة العسكرية فقد امتدت طريق الحديد بين الجزائر ووهران وتلمسان
ثم أخرى بين عنابة وقالمة وسوق هراس وقسنطينة والسكيكدة وهم بصدد ايصالها بطريق
تونس ووصل البقية ببعضها والمذاكرات جارية في مد طريق الحديد الى دواخل
افريقية والصحراء حتى تجمع بين شطوط افريقية الشمالية الشرقية من جهة الجزائر
وتونس وبين شطوطها الغربية من جهة سنيغال وغيرها على عمالات السودان ولا يخفى
ما في ذلك من الربح الباهظ

(مطلب في الاحكام بالجزائر) الاحكام الشخصية منقسمة الى قسمين فما يرجع الى
الوقف والنكاح والطلاق والارث عند المسلمين فقضاة مسلمون على مذهب مالك

وفي بعض المدن يفتون حنفية والقضاة فيه يحكمون بكتاب مختصر الشيخ خليل
ويجلس مع القاضي عدلان للشهادة في الخصوم ونحوها أكبرهما يدعى ... وأما في
في سائر المعاملات والجنايات فله مجلس مركب من ثلاثة أعضاء من الفرنساويين ويحضر
معهم عضو مسلم وهذا المجلس على نحو مجالس الأحكام في فرنسا وأما القانون الذي يحكم
به فممتزج بين ما ترجم من مختصر الشيخ خليل وبين القانون الفرنساوي فإذا كان الخصمان
من المسلمين والدعوى من أنواع المعاملات لا خيار لهما في الاختيار بين فصلها
في هذا المجلس أو لدى القاضي المشار إليه وأما إذا كانت الدعوى من قبيل الجنايات
أو بين مسلم وغيره فلا تفصل إلا بالمجلس كما أنه ليس من حق التحقيق على القاضي أن يحكم
به في نوازل المعاملات وذلك خارق للعادة (وما أبعد ...) ... الفؤاد والأفئدة
والقضاة ثم لما كان أعضاء المجلس لا يعرفون العربية لزم إحضار مترجم
مع معرفة العضو المسلم ومع هذا فلا يحصل الانتصاف المعهود في مجالس فرنسا لا من حيث
الأعضاء الفرنساويين ولا من حيث تحري في ... كمال ... ولا ... لكن
يحصل الملل من عدم إحسان الترجمة ... مع ... العضو المسلم فلا يحرى
الانتصاف وأغلب ما يكون ذلك في الحكم الذي ... إليه ... بالأمة
الفرنساوية ومنها أنه ... للأحكام وقد ... في مجلس الحكم بعنابة
الذي هو في ... على نحو ما ... في باريس فأتى برجل في دعوى جنائية ... هو
يتكلم في كلامه وإذا المترجم يتكلم ... ثم ... فصدر الحكم حالا
... وما ... من بيت الحكم ... من الأكمام ... أعوان المجلس
ما ... من ... من فروع ... أني كنت أشاهد في ... وأولئك
الأعوان هم من الأهالي ... أعوان ... ويقبضون على من
... من خارج ... الأعوان ... يسافرون ...
لا ... ولا ... الأهالي ... وعلى هذا ... عدم
... من ... الارتشاء ولا ... حفظ ناموس المنصب حتى
شاهدت ... في عنابة ... مع الخصوم ويجلس في ... لها
يتنزه عنه أعضاء مجالس الحكم وكل ذلك في أصل العصب من عدم التحري في الانتخاب
... الأهالي من أحكام القضاة ... أحكام المجالس بل وربما أدى ذلك مع

زيادة

بادية حول العامة الى اعتقادهم الاختلال فى اشغال الدينية لما يرون من سوء حالة
القضاة واحكامهم واعتدال المجالس وانماقهم

﴿مطلب فى المعارف بالجزائر﴾ المعارف فيها على قسمين الاول علوم الديانات والثانى
علوم الرياضيات فالاول قسمان ايضا الاول ماهو مختص بالديانة الاسلامية وله
مدرسون فى الجوامع يقرؤن النحو والفقه وفى خصوص الجزائر من هؤلاء عشر مدرسين
والفقه هو المالكى وقليل من الدروس فى الحديث او غيره واكثر الاجتهاد فى تلك
العلوم فى بلد قسنطينة ثم تلمسان وفى الجهات الخلوية يقرؤن العلوم فى زوايا الطرق
ولاهالى هذه الجهات اعتناء باخذ العلم فيرحلون اليه الى فاس وتونس وقليل منهم
يرحل الى مصر فلذلك لم ينقطع فى تلك الجهات من له اطلاع حسن ومشاركة جيدة وقليل
من يتضلع حقيقة التضلع لانه ليس فى اوطانهم فحول وانما يقرؤن صغار الكتب
واكثر الاعتناء فى الفقه المالكى على حفظ مختصر خليل وتفهمه ومن تمهر فى العلوم
فى احدى البلاد الخارجية فلما يرجع الى وطنه وفى كل تلك العلوم دروس فى
الجوامع لهم مرتبات من قبل الدولة الفرنساوية هى القائمة بمصاريف اقامة الجوامع
ومايلزم لها من قراءة الاحزاب اوكتب الحديث لانها استولت على جميع الاوقاف والمساجد
واقتصرت فى كل بلد على عدد مخصوص من المساجد تقوم به وغيره تصرفت فيه بما
تشاء او حرمت المستحقين من مالهم كاوقاف الحرمين والقسم الثانى ما يختص بالديانة
النصرانية ولا دخل للدولة فيه وانما القسيسون لهم مدارس لتعليم ديانتهم وهذا كل
نوع من القسوس يعرف بالجزويت انشأ مدارس للتعليم حتى تعلم العلوم الرياضية مع
الديانة ولهم اتقان فى كيفية التعليم والتربية وقد كانوا فى حدود نصف وستين ومائتين
والف اختاروا جملة من اولاد العرب وعلموهم المعلمين ما كانوا عليه لا وتنصروهم وقد بان
عند ما وقعت مجاعة شديدة بالقطر وبالغ مجلس النواب فى فرانسا ذلك العمل شدد
فيه منه التنكير على الدولة فى اطلاق القسوس على ذلك العمل المكنى عنهم بعد
ما كبر البعض من اولئك الاولاد وعلموا بان اهاليهم مسلمون فروا الى اهاليهم ثم لما منعت
الدولة الجزويت من التعليم فى فرانسا واستولت على مدارسهم ومكاتبهم فى سنة
١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م عممت ذلك فى الجزائر ايضا ومنعتهم من كل مما الكلية لكنها
اوصت بهم نوابها فى الممالك الاسلامية بعدم دفع ترتيبهم اى اذا ارادوا بها مدارس
والتعليم فيها فليس للدولة الاسلامية منعهم ولا منعهم تعرضهم نواب فرانسا مع ان

الدولة الفرانساوية الآن جمهورية وتطلق الحرية في كل شيء غير انها سامحت حرية الدين
الجزويت في عمالتها ولم يتيسر لهم نجاح يتم في ممالك اوربا الا في اكثرها فعل بهم
مثل ما فعلت هي فكيف يسوغ مضادة ذلك في الممالك الاسلامية مع اختلاف الديانة
فيها وأما في فرانسا فاتهموا بانهم مفسدة لان الجزويت نصارى من اتباع الكنيسة
الكاتوليكية الخاضعة للبابا غير انهم لهم مذهب في دقائق الديانة والتأويلات والفلسفة
فيما حصل لهم نوع معاداة بقية القسوس بيد ان الدولة الفرانساوية تستمد في منعهم
من التعليم بانهم يزرعون في تعليمهم الاحوال المباينة على الاصول الاستبدادية بما
لا يوافق سياستها ويخشى من فشو ذلك في الناس مع المكاتب التي يتخذونها تصير
كالمعسكرات تحدث منها الثورة ويأوي بها الثائرون (وأما القسم الثاني) من
أصل المعارف فهو سائر المعارف الرياضية وهاته لها مكاتب من الدولة في البلدان
المتمدنة وهي على نحو المكاتب الفرانساوية غير انها قاصرة عن العلوم العالية فقد
اقام التلميذ فيها مدة يرحل الى باريس التي هي مركز سائر العلوم العالية والمكاتب
بالجزائر فيها ما هو للولدان وفيها ما هو للبنات وقد حضرت بالاستدعاء في امتحان
البنات بعضه ووقع الامتحان في اللغة الفرانساوية وفي الكتابة وعزف البيانو وانشدت
المديرة خطبة في حسن التعليم واتعاب المعلمات فيه في هذا المكتب كما حضرت
امتحان مكتب الولدان من مسلمين وغيرهم وحضر كل من الامتحانين وجوه البلد
وحكامها

«مطلب في الصنائع وغيرها بالجزائر» الصنائع بها أحسنها الفلاحة وقد اتقنت في
الجهات الشمالية على نحو ما هي في فرانسا (وأما بقية الصنائع) فانها على نحو ما بتونس
مع الانحطاط في الدرجة لا في الكيفية ولا في الكمية عما في تونس الا نسج انواع من
البرانس فانهم فيه مزيد اتقان كالمسمى بالعباسي (وأما هيئة المساكن والطرقات) فان
الجديدة على نحو ما في فرانسا والقديمة على نحو ما في تونس لكن الطرقات معتنى بتنظيفها
وتنويرها على كل حال كما في فرانسا (وأما اللبس) فالرسمي فرانساوي وقواد الاعراب
الكبار يلبسون قفطانا طويلا مطرزا بسلوك الفضة المذهبة وبقية لبس الاهالي على
نحو لبس التونسيين سوى عموم لبس الرداء المسمى بالحرام حتى في المدن ويحملون
العمامة فوقه وكلهم يدخلون رؤوسهم في قبة البرنس ولباس النسوة أحسن سترة منهن
في تونس لانه متدلي وكذلك الاكل والمراكب على انواعها فانها نحو ما في تونس لا

الدين

ية ولهم مزيد اعتناء بتقاليد الاروباويين فعادوهم في أشياء كثيرة وقد رأيت من
عاداتهم تقديمة انهم لا يدخلون ديارهم بنعالهم بل كل من وصل الى العتبة نزع
نعاله ودخل بلا نعال خصوصا بالدار او دخل حاجب خصوصا على النظافة والطهارة ودوام أنواع
ية معتنية في الاكل سيما المتخذ من ورق أشجار الحلو وما اشبهها (واما اللغة) فهي
عربية محرفة على نحو ما في تونس غير انهم افرز فصاحة في النطق ببعض الاحرف
ووجود كلمات عربية وفقه في تونس كقولهم أدرولا عني اثار او ما قاربها وفي جهات
البربر لم تزل لغات اسلافهم مستعملة كما في دراوة وغيرها

الباب السادس في انكلتيره

﴿الفصل الاول في سفري اليها﴾

قد تقدم اني أقمت في باريس سنة ١٢٩٦ نحو شهر وحيث كنت علمت أغلب
باقيها ولم يبق سوى أشياء يتوقف عليها رجوعي الى تونس أحببت أن أقضي بعض
في رؤية انكلاتيره لشهرتها مع قربها من باريس فركبت الرتل السريع
وذلك في رمضان والوقت الموافق لسبع واستمر الرتل سائرا بسرعة يقطع بها
الخمسة والاربعين او الخمسين ميلا في الساعة فرأيت من مناظر شمال فرانسا
ما يربو عن الجهات الشرقية والجنوبية انتظاما وعمرانا الى أن وصلنا الى بلد كالي
التي هي مرسى على اضيق خليج بحر المانش بين فرانسا وانكلاتيره ولها عدة أسوار
وخنادق متينة حصينة للغاية ودخل الرتل بين سورين الى أن وصل الى محاذات
الباخرة الملاصقة للرصيف وكما أخذنا ورقة الكراء الى ذات المرسى فانتقلنا من الرتل
الى الباخرة وصادفنا باخرة عجيبة الشكل هي مؤلفة من باخرتين متلاصقتين عرضا
سطحهما متحد وبكل آلة عارية وبها بيت جلوس واسع ذو اتقان
ويوجد في الباخرة ... عشرة فرنك في الكراء عن الطبقة الاولى
وفي الباخرة جميع ما يحتاج اليه المسافر لكنه له ثمن زائد عن الكراء والداعي لجعل
الباخرة كذلك هو صعوبة ذلك الخليج وشدة اضطرابه لانه مضيق بين بحرين ويعرف فيه
تيار بسرعة فاذا هب ريح اشتد اضطرابه مع تعاقب ... فاخترعوا ذلك النوع
من البواخر لكي لا يحصل فيه الاضطراب بكثرة عرضه فلم يعد واخترعوا نوعا آخر فيه
مساواة وأن تكون بيت الجلوس منفصلة عن ... من جميع الجهات ومعلقة فيها

على نحو الفرانسيس بحيث اذا مالت البابورة لا يميل البيت حيث كان معلقا فيه ثم نقل
المركز فلم يعتد بصلاته اذا اشتد الميلان بالامام بعض أجزاء السفينة حافة البيت
ويتبعه في الميلان فحاولوا أن يخترقوا طريقا تحت قعر البحر ووضعوا له الاساس مال
قدره أربعة ملايين فرنك بين الانكليز والفرانسيس ولا يمكن التجربة الا في تجربة معرفة الطبقة
السفلى من أرض البحر هل هي صلبة قابلة للاحتمال أو رخوة [illegible] امكان
النفاذ فقد حفروا تحت رأس [illegible] كما سبق ذكره ولا زال العمل جاريا في هذه التجربة
وذكروا أنهم وجدوا الارض صلبة بالحفر وان في شطى البحرين أعمق من [illegible]
محل في ذات البحر فوجدوا طبقة الارض صلبة [illegible] الحوتيين [illegible] في احداث
هذا الطريق وهذا يفيد من عزائم الاتقان في العمل والمال ولا بد من حصول المقصد
في وقت قليل ثم أقلعت بنا البابورة وانتهى [illegible] الاركاب [illegible] من الصنائع
وحصل الركاب والحمد لله على أننا بان كان البحر في [illegible] السكون [illegible] في غاية
الراحة عن الانتظار لاما قرب من أجر البابورة لكثرة الهم في التعب وبعد [illegible] ساعة
وأربعين دقيقة وصلنا الى مرسى دوفر من انكلاتيره التي هي أقرب مرسى في مقابلة
مرسى كاليه ووصلت البابورة أرض الرصيف ونزلنا الى الترين الذي هو على أهبة السفر
بلصق البابورة فاني [illegible] الترين الى أن توجه بي فلمات الى لندره [illegible]
منهم انتهبت هل هؤلاء لهم عجلات ووصلوني الى محل نزلي ام [illegible]
ذلك كنت لاحدهم [illegible] في محطة [illegible] الى لندره الى
محطة سكة الحديد فقالوا أي محطة فذكرت ما كتب لي [illegible] التي في المحطة من انه
يتطرق في محطة [illegible] فذكرت لهم اسم المحطة وحينئذ
ذكرت لهم اسم المحطة [illegible] الى [illegible] وكان ذلك بعد تعب في التفاهم من
الجهل باللغات حتى كان لدى [illegible] الحال [illegible] ثم [illegible] الترين سرعان
[illegible] في [illegible] ولا يمكن [illegible] الاشياء
القريبة وكان الترين يظهر [illegible] من تقارب مقاطع قضبان الحديد الجاري عليها
من سرعة السير اذ هو يسير ستين ميلا واربما الى ثمانين في الساعة الواحدة وكنت
أرى على بساط الارض [illegible] من خضرة لديها التي بعضها ورقها الى [illegible]
[illegible] المعروفة بالبيرة ونرى أكواما كالقرى المشورة من الآجر المصنوع حتى
تعجبت من كثرته وكثرة معامله ولكنني عندما شاهدت بلادهم زال التعجب لان

آخر وحده وهو مادة البناء المسماة بيتون لمد رصيف على نحو ... البحر
ادهشة صيف ومصابيح غاز ... إلى جميع الجهات والنزل واردة وصادرة
لأهل الصاحب فوصلنا إلى المحطة ونقلنا القطار إلى ... بكلام ... العربي
وهو مستشرق ... من أحداث الشام انتقل إلى هذه ... ولكن ... محترما صناعة التعليم
اللسان العربي وكان دخله من التعليم ... وكانت مدة السير من
... إلى ... سبع ساعات ثلاث أرباع الساعة بين السير في البر والبحر وسكنت في
الحارة المعروفة بيت بادلث وأقمت ... ثلاث ليال ... ويوم الوسط
... بمدينة ... على شاطئ البحر ... قديما
أعيانهم ... وهي من أعظم منتزهاتهم ... في ... البلد
ثلاثة أماكن (أولها) قصر لاو ... البستان حيث ... (وأما) القصر فقد بناه
ملكهم وليم الثالث المتوفى سنة ١٦٨٩ الذي كان ... الصيد والخلاعة محبا
للانفراد ... كان ... بأحوال ... القصر بعده من
... ثم أنشأ القصر على نحو قصور ملوك ... لبعض
... سائر الأدوات والمفروشات ... الموجودة به
... بشكل ... والوسط والخيوط والأبواب كلها
... مزخرفة بالأشكال ... بشكل غريب
... وظاهر القصر مزخرف وعلى ... شرافات وصوامع ... وقد
... الأولى الآن هذا القصر ... مقتدى للعموم في
... واجتماعاتهم ... من سائر أقطار ...
هكذا ... وقد ... أخبارهم على ... الكثيم ... في المال
... تلك القصر للأهالي وكان ... والثمن ليبلغ
المليونين فرنكا (والمكان الثاني) ... فيه معرض أنواع السمك في أحواض
من الزجاج ... مركوزة في الحيوط ... الشفوف ... مطاعم
... وفوقها ... وفي ... هذا المعرض بيوت عديدة جميع حيطانها
حوض زجاج فيه أنواع الحيوانات البحرية ما الله به عليم ... دون من ذلك كيفية
حياة الحيوانات وتوالدها (والمكان الثالث هو دكة) على البحر طويلة ...
مصنوعة من خشب متين مرفوعة على أعمدة متينة من الحديد عالية عن سطح البحر

وصول الدكة وفوقها مقاعد ومنارة وقهاوي وذلك هو متنزه المتنزهين ـبين
والمتسابقين في البحر وبقية المدائن فيها ما يقرب وعاهي حسنة وفية
الطرق ولم تزل الاشغال جارية في احداث حارات جديدة فيها اتمام نما
ث ابله في مرسى دوور لان البخور تسافر بالبريد مبكرة كما كثرت الذهاب اليها عشية
الا لانتصاب ركوب في الليل الا لوصول اليها وقت وقوف فيها واما هي مرسى حربية
وحشية متينة الحصون كثيرتها وما فيها وارد يقوط قهاوي متخذة ومنزل المسافرين لدى ق.
فيه حسن متقن وطعامه ردى وليس في الالدما بسط العمل فركبنا منها بكرى
الصباح ورجعنا الى لندن في باخرة فرانساوية عادية وكان اهم ما كان مع الضباب
الكثيف وحول شاطئ فرنسا ثم اخرجها علامة حتى السفن من مصادمة الارض
وكان قمر العربي في بعض الجهات

الفصل الثاني

لما كانت هاته المصر المتصرة هي قاعدة انكلترة وبها اعود جسام المملكة يلزم ان
تفرد بالذكر غير انه لا يخفى ما للعادات من العادات وقد ذكرنا من اوصاف باريس
وتفاصيلها ما يغني كثيرا منه عن اعادة في صفة لندره فنقتصر على ما هو [illegible] هاته عن
تلك وهكذا [illegible] في سائر المباحث بحيث نقتصر على ما يزيد وما يختص به فيه الجميع يعلم
حاله مما سبق في الابواب السابقة فنقول ان لندرة اكبر مصر في اوروبا وسكانها على ما حرر
سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م ٣٤٨٩٠٠٠ نسمة منهم ٠٦٣٣٠٠٠ ذكور
و ١٨٥٦٠٠٠ اناثا ويخترقها نهر التيمس الذي يحمل السفن الكبيرة وعليه جسور
عديدة ضخمة جدا منها ما هو من الخشب ومنها الحديد الذي لا اعمدة له تقوم عليها في
النهر وانما طرفاه على العمودين ووسطه معلق بقضبان وسلاسل ممتدة الى طرفيه حيث
يوجد ابنية ضخمة مرتفعة تمر في اعلاها تلك السلاسل والقضبان ثم تنزل الى الارض
بحيث تكون على شكل مثلث زاويته الوسطى قائمة [illegible] وتلك السلاسل
اربع في كل جهة من طرفيه اثنان وبعض هاته الجسور يمر عليها طريق الحديد
وبعضها عليه جسر آخر يمر عليه طريق الحديد وقد تم وقد احدثت تحت النهر نفق يمر فيه
الراجل ايضا وطول النفق الف ومائة قدم وكان انشاؤه سنة ١٨٢٥ ثم طمى عليه الماء
ثم جدد سنة ١٨٤٣ وكانت مصاريفه ١٥٢٥٠٠٠ فرنك بحيث ترى الطرق

عند نهر التيمس في بعض جهاته على أربع طبقات فأرة تحت الماء والممر على
الماء والعجلات والدواب والناس على الجسر والرتل أيضاً على جسر فوقهم والطرق
أكثرها في عرض عشرين ذراعا أو اقل أو أزيد من ذلك أو أقل حتى ان منها الضيق الذى
لا تمر فيه عجلة والطرق فائقة النظافة حتى انه قلما يوجد الوحل من الطين بمقدار
لا تنطبع فيه العجلات على سير الجسر وبعض الطرق فرشها بقطع من الخشب
في شكل حجارة ذات الشبر التي يبلط بها بدلا عن البلاط لقلة الوسخ من الخشب مع قلة الدوى
وفقدان قرقعة العجلات وذلك غالبا في الطرق الكثيرة مرور العجلات (وما عمرها)
فعلى النحو المعتاد والبنايات غالبها من الآجر الا قليلا من أبنية خاصة ضخمة متخذة
من الحجارة وقليل أيضا من أساسات بعض الابنية وواجهاته تحت لها الحجارة على شكل
مستوى جميل المنظر وكثير من الدور عند أبوابها سلالم من المرمر ولها
رواشن أو سرادق وعامة البيوت ذات ثلاث طبقات وأربعة الطول وكل دار تسكن عائلة
فقط ولذلك كان منظر باريس أبهج للابصار حارات بنيت على نحو باريس فلم
يسكنها الاهالي وبقيت مهجورة [illegible] وكل دار تجد على بابها روشن خارج عن
حائط الدار وفي البلاد عدة حدائق رحبة تجد أعظم مما في باريس منها حديقة هيت
بارك وكل حارة فيها حديقة مسورة خاصة بأهلها وأعظم مكان في لندره هو الجهة
المعروفة بالسيتي وهو طريق عظيم مشتمل على دار صرف الدولة وعلى دار حاكم البلد
وهو مركز أشغال التجارة الكبرى ووسط دارات أعيان التجار فترى فيه من الازدحام
ودوى العجل والحوافل والمشاة [illegible] بحيث يتحير العقل والفكر واللب مع ان
أبنيته مرتفعة فانه ليست عادة كعادة أهالي لندرة ان حارات الاشغال والحوانيت
والمخازن لا يسكنها الا الصنف القليل من الناس وحارات السكنى يسكنونها بعيدا عن
جميع ذلك حتى يتعب الساكنون في جلب قدر [illegible] لولا التيسر الكثير في اسباب
الانتقال من مكان الى مكان على نحو ما في باريس وتزيد لندره بأن خطوط طريق الحديد
يطوفها بالترتيب احداهما أوسع من الاخرى وبالجملة فقد انفردت لندره بعمارات
مرتفعات من مدن العالم بكثرة الحركة وطول الجد في الشغل والاخذ والعطاء والسعي
والرجوع ويرى أثر ذلك في محطات طرق الحديد كما أشرنا الى ذلك سابقا من رؤية أبراج
شبكة القضبان مبسوطة عدة أميال وبحار العقل كيف لا يغلط مسيرا [illegible]
وحراس مفارق الطرق بذهاب الرتل الى غير قصده ففي لندره ثمان محطات على نحو

ما ذكرنا في محطة فكتوريا وقد احصى في حد ذاته عدد الداخل والخارج من الرتل
في مدة نصف ساعة فكان اثني عشر رتلا وليقس على ذلك وقد نظرت يوما من قصر
الزجاج دخان المركبات الصادرة والواردة جارة للرتل فاذا هي مثل الجراد المنتشر في كل
الجهات (واما بقية) الاحوال فهي دون باريس في نظارة الحوانيت وسعة ابنائها وعدم
وجود محل القهوة او كثرة في الطرقات وفي انتظام الشوارع والدور وانا اذكر بعض
محلات التفرج التي في باريس فمنها قصر الزجاج وهو قصر عظيم جدا مقدم من قضبان
حديد مرصف بالواح الزجاج وقد انشئ اولا لمركز المعرض العام في لندره وهو اول
معرض في اوروبا وبعد انقضاء المعرض نقلت القصر الى ربوة خارج لندره وجعلت
موقعا اليوم تحف وبدائع غريبة ولوضع عجيب ونادرة غريبة وصناعية للفرجة والنزهة
وحوله حديقة فيها عدة فوارات ومهاوي على كل واحد ... باب بيع شيء رخيص جدا من
المال لمجرد الدخول والفرجة وما يشتري من ... وطريق الحديد يصل الى هذا القصر
من جهتين وهو ذو ثلاث طبقات ومقسم على عدة اقسام (وفيه) ملاهي (وفيه) محل
للرماية (وفيه) حديقة (وفيه) عدة فوارات (وفيه) عدة مطاعم (وفيه) قسم لمثال حمراء
غرناطة بالاندلس اعني مثال قصر حمراء الشهيرة كقبة الحمراء وابوابها الكبيرة
منقولة بتمامها بحيث يدخل الانسان في قصرها ويرى شكل حمرائها
ثم ... وفي كيفية بنى البيوت وقوم بلادهم ومادام امن الكتاب لا ينقطع بالخط
الكوفي ... القصر وعلى نحو الابنية العربية كما في الاتقان والصنعة والدقائق
والتزويق وفي القصر الزجاجي (قسم) لاحوال الصينيين وصناعاتهم واشكالهم
مجسمة بتصاويرهم الشمع وهيئة المكثرين منهم لاستعمال الافيون وتأثيره فيهم في
عقولهم وذاتهم (وقسم) متضمن لاثار بلاد مصر من اعمال الاثار مع بالشاهد له صورة
اطوارها وقسم متضمن لحيوانات غريبة منها الحيوان المسمى بالكوريلا الذي هو نوع من القرد
الكبير وقد مر ذكره في باريس وانواع من القردة مشبهة بالانسان الوحشي وفي
القصر الزجاجي ايضا (قسم) لبيع التحف والصنائع الرقيقة وقد رأيت فيه نحو ستة
رجال من العرب من اهل الشام ومصر والمغرب متخذين محلات لبيع تحف بلادهم
والمطربات (والحاصل) ان هذا القصر الزجاجي جامع لاشتات الظرف والنزهة (ومن
الاماكن الشهيرة) في لندره ايضا التربيعة المعروفة ترافلكر وفيها عمود نلسون المبنى من
المرمر ارتفاعه ١٧٦ قدما تقريبا وعليه تمثال وحوله ... من النحاس اتخذت من

مدافع

• مدافع أخذت من الفرانسيس وحول العمود فواران بالماء أمامهما صورة الملك
شارلس الاول وكان نصب العمود (سنة ١٨٤٣ ، ومنها أعمدة) أخرى (ومنها) الملاهي
المتعددة وقد شرعوا في بناء أكبر ملهى في أوروبا أكثرها تأنقا يضاهيها ملهى قران لوبرة
في باريس لكنه لم يتم الى الآن واعجب ما رأيت في ملاهيها في محل ان شخصا من
اللعبان بقذائف ترتفع في الهواء الى السقف وتنصب فيه وتارة تترامى الى نحو نصف الفضاء
تنتصب في الهواء طائرة الى جهة اليمين من المتفرجين من غير أن يرى لها ماسك أو شئ
تعلق به وقد خاضت عقولهم في ذلك ولم يقفوا على قول حقيق في صورة ذلك غير اني
شعرت أنهم يقلبون الضوء بادارة تلك اللعبة (ومنها) دار الاغاني العلية (ومنها)
قصر المدور وهو أعظم بناء في هذه البلاد ويمكن ان يقال في أوروبا بأسرها هادهم
الماثل كان برومة وهذا القصر بالمدينة يشتمل على ٢٦٠٠٠ درجا وإذا أريد الصعود اليه وأكثر
من ١١٨٠ حجرة و ١٩ ابوابا (ومنها) ايوان الاجتماع (يسمى الرحب) ويشتمل على
أسرة ومقاعد ومطاعم وقهاوي بحيث ان أعضاء الندوة اذا يحوجهم الحال الى اقامة
أيام هناك ولا يحتاج أحدهم الى شئ سوى الدوس يأتي بعض عمله وما كان لباقهم
طويلا ويتصور أشغالهم فيه فكان في القصر من الصور ما تعجب منه الناظر وكذلك
أمر قد ... (ومنها) المتحف البريطاني الشامل للآثار العتيقة والذخائر الغريبة وعلى
نحوه ودونه عدة متاحف أخر (ومنها) دار الصرف اي البنك الدولي وهو أعجب بنوك
أوروبا كبرا وعملا اذ فيه من الذهب فقط عشرات آلاف الالوف مخزونة ضمانا كبيرة
وحصنة للدولة وان يؤمن ماله فضلا عن الصوغ والصنعة والخزنة على حصين حائط
بالبناء محشوة بالحديد (ومنها) الورس أي محل اجتماع التجار (ومنها) مجامع تجار
المدينة (ومنها) قصر الهند أي محل ادارة الهند الشرقية (ومنها) دار شيخ البلد (ومنها)
الحصن العظيم المسمى توراف لندره (ومنها) منزل الامراء المسمى رتيش مانت وهو
خارج البلاد على ربوة تطل على فياض ومروج ونهر وينتابه الناس للاكل كثيرا
والسكنى ... أكله أحسن من غيره (ومنها) بستان الملك وقصره خارج لندره
أيضا المسمى همبتون كورت وليس به من الغرائب الا شجرة عنب واحدة مغروسة
في بيت من الزجاج وقاية من البرد حيث ان شدة برد ذلك تمنعهم من نبات العنب بها
فكانت هذه الشجرة معتنى بها منذ مدة تزيد عن قرن وقد عظمت جدا حتى ملأت أغصانها
جميع البيت التي طولها نحو الاربعين ذراعا وصارت تثمر آلاف العناقيد ولا يخرج منها

عقود الابند كره من مقتنيات الملكة تهادى بها من تحفه من الاقارب والاعيان وعلى
ثلاث نشعرة فيه خاص وخدمة وتقصد للفرح. تم رادها (والحاصل) ان لندره لا توازى
الوردة نظرها لاجتماعى ومحاسنها الخفية يروق بها الاعالى من الناس ومن اكرومه...م
حتى انها ليست بها مهاوى كما فى سائر اوروبا وليس فيها الاحانات لا يدخلها الا السفهاء او
حوانيت تبيع الحلويات لم يدخلها او افقا ومنها عمود مصر المسمى بالمسلة موضوع
على عدوة نهر التيمس المار بقصور الملكة وما ارهم من لندره وقد صرف على
جلبه من اسكندرية اموال باهظة تجاوزت عدة ملايين من الفرنك وانشئ لها سفينة
خاصة بحارية وصاحبتها الى فسفينة اخرى وتلفت عند الوصول الى لندره باحتفال
وركزت فى موضعها غير ان هذا الموضع وما حوله ليس عالي كرونقه وبين مركز المسلة
بباريس بون بعيد وكان الاصلي ابقاء قصد والمرصوصة قاعدتهم لانهم ارادوا
جمالها وبهاءها (ومنها تمثال) زوج الملكة الحالة المتوفى سنة ١٨٦١ فاقيم له تمثال فى غيضة
هيت بارك من اعظم البنا كل بناء ورونقا واته با..ن انواع الرخام الملون المزخرف
بقناطير الذهب وصرف عليه عدة ملايين من الفرنك (ومنها) المكتبات العديدة
الحاوية لملايين الكتب واحد اهانة لة للكتب التي غنمت من عمالة الهند التي
استولى عليها الانكليز ... بلاد باتا وهذه المكتبة ليس بها قاعات واواوين كبيرة
كمثيرها وانما هي عبارة عن قصر صغير كقصور الكتب الكبيرة فى باريس وفيه
عدة طبقات وكل يشتمل على بيوت بها نوع من الكتب والفنون وعلى كل نوع مدير
تحته عدة قيمين والكتب الحاوية من الهند فى اعلى طبقات القصر فى عدة بيوت ضيقة
غير مرتبة ولا نظيفة والغبار على اكثرها ووضعها فى خزائن على ترتيب وضعها فى دفتر
قديم عملها وهذا الدفتر عارب منه عهد قريب لان الكتب اتى بها من
الهند فى اربعين صندوقا فاكثرها وبقيت متروكة على حالها زمانا طويلا لانها لما
فتحت الصناديق ووجدت ملآنة بالكتب وضعت هناك زمانا طويلا من غير ترتيب
ثم كلف بتنضيدها وكتب فهرس لها احد المستشرقين من جهات مورو بيه فرتبها على
حسب حروف المعجم فى اسمائها من غير نظر لموضوعاتها ومناسبتها فتجدها مجموعة
ولا جامع الا حروف اسمائها ولم يتقها كلها بل قيد منها اسماء وحسب عملها دارا فى
غيرها غير معروف ثم ان الكتب المزخرفة والاوراق المذهبة جمعت فى صناديق
من الزجاج للمارين فترى ورقة من مصحف كريم وبازائها ورقة من تصاوير الصينيين

الى

الى غير ذلك وتشتمل هذه المكتبة على كتب عربية قليلة الوجود او غير
معروفة وقد طبع منهم من قبل وأعجبت منه نسخة وليس هو بمجرد اسم الكتاب
بل بين كما هو وطباعته وحاشيته ومؤلفه وكاتبه ووقته بالعربي مع الترجمة بالانكليزى
ورأيت به نسخة من المطول بخط جميل صحيح أظنها بخط المؤلف حيث قال في آخرها
كتبت هذه النسخة لأشاب الهروي وأنا العبد المذنب الغريب الموسوم بسعد
التفتازاني غفر الله ذنوبه وستر عيوبه وهو لحضرة المكرم صاحب المروءة والكرم علاء
الملة والدين بلغه الله أقصى ما يتمناه اهـ وعلى ظاهر هذه النسخة خاتم مدغم كأنه
خاتم تيمورلنك والله أعلم

الفصل الثالث

(في وصف انكلاتيره)

سميت هاته المملكة جزيرتان كبيرتان احداهما أكبر من الاخرى واقعتان في البحر
الشمالي من أوروبا تبتدئ من دقيقة ٥٧ ودرجة ٤٩ شمالا الى دقيقة ٥٠
ودرجة ٦٠ وفي الطول الغربي معتبرا من باريس من دقيقة ٣٤ ودرجة ١
الى دقيقة ٠ ودرجة ١٢ ويحدهما من ثلاثة جهات المحيط الشمالي ومن الجهة
الرابعة خليج يسمى بالمانش الفاصل بينهما وبين فرانسا ثم يفصل بينهما في شمالها
خليج مارس وبحر ارلاندة وأكبرهما الجزيرة التي تسمى انكلاتيره وجهاتها الشمالية
تسمى اسكوتلاندا والجزيرة الصغيرة تسمى ارلاندة ولهذا كانت هذه المملكة معتبرة ثلاثة
أقسام نظرا للتاريخ القديم وتسمى مجموعها الآن بريطانيا العظمى وعلى الاجمال
فأرضها خصبة جدا ذات مزارع ومراعي واسعة الا الجهات الشمالية المسماة اسكوتلاندا
فانها لشدة بردها كانت غير صالحة للزراعة وهاته المملكة أراضيها منبسطة بها ربوات
قليلة الارتفاع وكلها معمورة حسنة المنظر متقنة الصناعة (وأما الجبال) فهي منخفضة
بها الا في اسكوتلاندا فانها مرتفعة شاهقة وليس بها جبل يذكر (وأشهر) مكان في الجبال
جهة الشمال على الطرف سكوتلاندا المكان المعروف بممشى الجبابرة وهو أعمدة صخرية
مركبة على بعضها في علو ٤٠٠ قدما بنيانه الاحكام غاية فكانت نزهة للناظرين
(وأما أنهرها) فكثيرة وأعظمها نهر سافرن الذي يصب في المحيط عند مدينة بريستل
ونهر مرسي الذي يصب في بحر ارلاندة عند مدينة ليفربول ونهر التيمس الذي يصل

السفن العظيمة الى مدينة لندره بين هذه الانهر وقع عظيم في المواصلات وكذلك
نهر شانون في ارلاندة والترعة المكية تم الموصلة بين البحرين (واما بحيراتها) فكثيرة
ايضا وهي في اسكوتلاندة اكثر ما يحيط بها من المروج والجبال ولذلك كانت منتدى
الاغنياء في الصيف واشهرها بحيرة لمن وبحيرة لومند طولها نحو ٣٠ ميلا وكذلك
بحيرة نياغ في شمال ارلاندة وبعض بحيرات في انكلترا (واما هواؤها) فهو على العموم بارد
وفي الشمال اشد وما هو موافق لصحة لكن يكثر فيه الضباب صيفا وشتاء وكذلك المطر
الذي يسقي مزروعاتهم صيفا وشتاء ويوم الصحو لديهم نادر [illegible]
حسنات الايام لان الضباب يتكاثف احيانا حتى يضطرون الى ايقاد النور نهارا وربما
كان فيبعد الانسان عن البيوت [illegible] في الطرق والنور ربما يقوم [illegible] ولا يخرق
اشعته [illegible] الضباب وكان [illegible] لا [illegible] ثلاثة ايام [illegible] وقد يشتد الحر
في الصيف الى اشد [illegible] حتى يموت المسافر في
الطرق وذلك لانعدام النسيم وسكون الهواء [illegible] الى درجة غالبة
للعادة لكنه لا يدوم فهو لا يوم او بعض يوم وتعقبه السحب والامطار والبرد (واما
نباتاتها) فهي نباتات الاراضي الباردة والجهات الوسطى [illegible]
[illegible] كانت لا تكفي السكان واما [illegible] نبات الاعتدال والحر
فلا يوجد [illegible] الا [illegible] بيوت خاصة [illegible] ومع ذلك فتجد الارض
[illegible] لكثرة العلاج و[illegible] الفلاحة [illegible] كثيرة
بها الاشجار الضخمة [illegible] الاشجار [illegible] ثمارها [illegible]
[illegible] ونباتات المرعى [illegible] (واما معادنها) فاغنى منها
الحديد والفحم [illegible] في اغلب الجهات [illegible] وغيره وهي اغنى [illegible]
او باقي المعادن (واما حيواناتها) ففيها كل انواع الحيوانات الموجودة في فرانسا
وايطاليا [illegible] ذكره [illegible] في اراضيها من قديم [illegible]
شيء من [illegible] الجبال [illegible] وذلك كالدب و[illegible] وما شاكلها
واول من [illegible] ملك [illegible] سنة ٩٥٩ فقد الزم
رعيته في كل سنة [illegible] ثلاثمائة ذئب واستمر ذلك الى ان [illegible] ذلك النوع وقد
كان [illegible] الشديد لان الذئاب [illegible] كالسباع الكبيرة في الجرأة
والاذية كالمشاهد الآن في روسية [illegible] وفيها من اجود الخيل العربية
الشديدة

اشتدت همة المملكة بصناعتها وتزايدها وترقيتها حتى فاقت سائر اوروبا في الحبال وكذلك نسجها
أحسن أنواع الاقمشة وصيرتها مرغوبة للأجانب المعامل لا سيما كادت أن تكون مثل
الحرير (وأما مدنها وقاعدتها المدن) وقد مر ذكرها وبها مدن كثيرة من أشهرها
ليفربول وهي ثانية قاعدة (في التجارة) وهي على مصب نهر مرسي في بحر ارلانده وفي
جهتها من المدن ما يشتهر من كثرته ثم (مدينة) مانشستر لها من الشهرة ما يناسب
السابقة وهي شرقيها على نحو (٣٢) ميلا ثم (مدينة) بيرمنغام ثم (مدينة) وشفيلد
(ومدينة) كدرمنستر وفي اسكوتسيا (مدينة) بيرث (ومدينة) ابردين (ومدينة)
دندي (ومدينة كلاسكو وهاته أعظم اخواتها تجارة ومركزا ومدارها وفي ارلانده أربع
عظيمة (احداها) جهة الشمال وهي بلفاست (الثانية) جهة الشرق وهي دوبلين
(الثالثة) جهة الجنوب وهي كورك (الرابعة) جهة الغرب وهي غلوي وكل من هاته
الاربع قاعدة للقسم الذي هي فيه وبها مدن أخرى عديدة عمرانها (وأما مراسي)
هاته المملكة حيث كانت هي جزائر بحرية فكادت مراسيها أن لا تعد وأكثرها حصين
تحصينا حسنا حتى أن كثيرا من الحصون في المراسي على جهة قصيرة الآن مدرعة
بصفائح الحديد الذي لا يعمل فيه الكور الدائم الحديد وفي بعضها معامل
للمدافع الدرعة والحشوة ومن جهة ما هو من أصل الحرفة كثير من
ارلانده لأن في شطوطها ريح كثيرة مصر ومنها ماء وما من صناعة وتجيء
الى هاته المراسي التجارة في الصين والهند وجزائر سائر الاقطار وأكثر من العالم غالبا
لأن كل مركز كما يأتي توضيحه إن شاء الله على شطوط الجزائر الدائرة من
لها ابتداء مائي منارة (وأما مجموع المملكة) بالنسبة للادارة فهي في انكلاتيره
لاصالة اثنان وخمسون مقاطعة وفي اسكوتسيا ثلاثة وثلاثون مقاطعة وفي ارلانده أربع
مقاطعات فالجميع تسعة وثمانون مقاطعة كل منها الادارة على نحو ما يأتي بيانه ان شاء
الله (واعلم) ان هاته المملكة تتبعها جزائر أخرى صغيرة حولها كثيرة شهيرة منها جزيرة مان
وجزائر نورمندية وذلك عدا المستعمرات الخارجية فلا نذكرها وهو قصده من ذات
المملكة (وأما أهل المملكة) فهم اثنان وثلاثون مليونا كلهم الا قليلا مسيحيون ودياناتهم
نصرانية على مذهب البروتستانت الا البعض وهم أكثر أهل ارلانده فهؤلاء على
مذهب الكاثوليك ويوجد فيهم قليل من اليهود والدهريين وأفراد من المسلمين ثم من
أهل المناصب العالية والبيوتات الكبيرة الملقبين باللورد كاللورد استانلي وهو من

الصادقين في الاعتقاد الاسلامي ولله الحمد دخل اليه عن رؤية وبرهان سأل الله له مزيد
التوفيق والهداية وعلو الكعب والحمد لله ثم ان هذه المملكة لها مستعمرات واسعة في
جميع اقطار الارض حتى كانت اول دولة في العالم في اتساع الممالك وثاني دولة في كثرة
الرعية اذ هي تالية لدولة الصين في كثرة الرعية لكنها الاولى في اتساع المملكة وعلو
الشأن في اقطار الارض جميعها واعظم مستعمراتها هو الهند وما معه وقد مر في المقدمة
تفصيل ما وصل الينا من احواله ولها في آسيا ايضا جزيرة هنكونج في الصين ومدينة
عدن وباب المندب وجزيرة بريم في جزيرة العرب وجزيرة قبرس في البحر الابيض ولها
معاهدة مع الدولة العثمانية سنة ١٢٩٥ وحماية على مسقط وبعض قبائل شطوط
جزيرة العرب الشرقية ولها في اوروبا جزيرة الباعولاند في بحر الشمال وجزر جرسى
وقرنسى في بحر المانش وجزائر صغيرة حول الجمد الشمالي وجبل طارق في الساحل
الاقصى في ارض اسبانيا على الخط الموصل بين المحيط والبحر الابيض المسمى بوغاز
طارق لان طارق هذا هو الذي عبر اثر من ورفقته واسطة البحر المذكور المسمى
ومنه تم افتتاح بقية الاندلس وكذلك لها في اوروبا جزيرة مالطة في البحر الابيض
وسيأتي تفصيل حالها ان شاء الله ولها في افريقية شطوط من سواحل [illegible]
في غينيا العليا وارض شط الذهب وفيها رأس الرجاء الصالح وجزيرة سنتايلن وموريس
ولاماتيول وشطوط في جزيرة مدغسكار ولها انواع حماية وسلطة على ممالك مستقلة
في افريقيا ايضا مثل الزولوس وغيرها في ارض الكفر ونحوها في الاصقاع ولها في
امريكا البريطانيا الجديدة في شمال امريكا وكندا وبرنزويك ونوسكوسيا ولابرادور
وكلها توصف بالجديدة وجزيرة الارض الجديدة واراضي اخرى عديدة في شمالي امريكا
وجزائر المحيط الشمالي وجزائر الانتيل اعني جزيرة جامايك وبعض الانتيل وبرا
جملان ولها في استراليا القطعة الشرقية ومعظمها من جهة الشطوط وجزيرة تزمانيا
وزيلاندة الجديدة ونورفولك فاذا نظر المتأمل لاتساع هذه المستعمرات وانتشارها على
جميع اقسام المعمورة علم مقدار عظمة هذه الدولة وسيأتي في فصل التاريخ بيان
حسن ادارتها كانت هي سبب الممالك ووفودها لاجابة مطامعها وهذا احد دول المدد
المحكمة

٠٢٣٧٠٤١٠٨	سكان انكلاتيره
٠٠٢٣٥٨٦١٣	سكان اسكوتسيا
٠٠٥٤٠٢٧٥٩	سكان ايرلاندة
٠٠٠١٤٤٤٣٠	سكان الجزر التابعة لها
٠٠٠٣٠٧١٩٨	عساكر و بحرية خارجها
١٦٣٠٧٢٧١٥	سكان ممالكها بالهند
٠٠ ١٦٠٣٦٩	سكان بقية اماكن باروبا
٠٠٥١٣٣٧٤٣	سكان ممالكها بامريكا
٠٠١٨٦٠٠٠	سكان مستعمرات افريقيا
٠٠١٩٥٨٦٥٠	في استراليا
٠٠٤٢٦٠٤٧	في بقية الجهات
٢٠٣٤٣ ٦١١	

الفصل الرابع

{في اجمال تاريخ انكلاتيره}

مما طالب في تاريخه القديم لا يخفى ان سائر اروبا كانت في الاعصر السالفة على جانب عظيم من التوحش فلذلك كانت تواريخها القديمة مجهولة ومن ذلك تاريخ انكلاتيره ايضا وغاية ما علم من احوالها ان قوما من السكيتين اي قدماء الفرنسيس الذين مقرهم في فرانسا بين نهر الرين ونهر غارون عبروا الى اراضي انكلاتيره بقصد توسيع التجارة فلم يجدوا لهم ممانعا فاستوطنوا هنا ثم لحق بهم فرقة من اهل البلجيك وتوالجوا على التوحش التام يحكمهم بايدي رؤساء القبائل بل الملوك حتى ان غير هؤلاء هم كالعبيد بايديهم وبينهم كهان لهم سلطة على الجميع بما يعلمونه خفية من علم السيمياء والطبيعيات فوهموا العامة بخوارق العادة لهم حتى اعتبروهم كالالهة وتوالجوا على عبادة الاصنام حتى انهم يقربون اليها دماء الانسان بالتضحية لها وفي سنة ٥٥ قبل التاريخ المسيحي عبر الى انكلاتيره يوليوس قيصر بجيوش الرومان فلم يتمكن منها لمعارضة الاهالي مع هيجان عظيم في البحر ثم عاد اليها ثانيا واخذ منها بعض الجهات لكن لم يستقر حكمه بها ايضا وفي سنة ٤٣ بعد التاريخ المسيحي اعاد

الرومان البلاد وافتتحوا الجزيرة وارسلوا رئيس عصابتها الى رومة أسيرا ثم زاد الرومان
تمكنا منها بما وقع من التخاذل بين أولئك السكان الى ان ابادوهم غير انه كانت احدى
القبائل متزعمة عليهم امرأة تسمى بوديكا فنهضت جميع الاهالي وقهروا
الرومان وقتلت منهم (سبعين) ألفا ثم عاد الرومان وانتقموا من الاهالي حتى قتلوا منهم
ثمانين ألفا وزادوا عليهم العذاب المعروف من الرومان ثم عدلوا عنهم ولكن اخضاعهم
بالعدل أحسن من السيف لكنهم شغلهم أهالي اسكوتلاندا الساكنون في الجبال فبدأ ردهم
الى الشمال وبنوا بينهم سورا ثم آخر أعظم منه طوله ثمانون ميلا الا في حدود سنة ١٢١
مسيحية وفي سنة ٢٨٧ استبد عن الرومان احد قوادهم فمال الاهالي اليه وصار ملكا على
انكلاتيرا ثم عادت الى الرومان بلا حرب لكن تراءت منقسمات للداخلية ودامت ولاية
رومانية الى القرن الخامس وفي مدة استيلاء الرومان التي هي أربعة قرون حصلت
الاهالي على معارف جمة حتى كان عند الرومان حتى صارت ذات مدن وحضارة
وصنائع وتجارة فاستدعى الاهالي من الشمال الى البلاد ثم في سنة ٤٢٠ اضطر رومانيون
الى ترك انكلاتيرا لاهلها ورفع جيوشهم منها للدفاع في ايطاليا من الحروب الاهلية
والخارجية وكان حفظ قاعدتهم أولى لهم من حفظ المستعمرين أهالي انكلاتيرا
وان حصلوا على قدر التمدن بسبب استيلائهم عليهم وقد فقدوا ما وراء ذلك من
الحرية والشجاعة للهوان الذي حل بهم ايام دولتهم فلم يستطيعوا الا قليلا بانفسهم لمواجهة أهل
الشمال من جبال اسكوتلاندا فاستنجدوا قبيلة من الالمان مقرها على مصب نهر
الالب من اوروبا الشمالية تسمى السكسونية كان بينهم من الجرد وكثرة العدد
ما ... للاعانة على دفاع الاعداء فانجدوهم لكنهم استأثروا عليهم بالبلاد ليصرفوا
الاهالي كالعبيد لهم وتملكوا عليهم وعندما أرادوا دفاعهم شتتوهم واستقلوا بالبلاد
ورحلت فرقة من أهالي انكلاتيرة ودفعتهم الى اراضي فرنسا وسمي المكان الذي
استقروا فيه باسم بريطانيا نسبة اليهم حيث كانوا من أهالي بريطانيا وكان مبدأ
استيلاء السكسونية من سنة ٤٤٢ ميلادية ثم قسموا انكلاتيرة الى سبع ولايات
تسمى باسماء أعيانهم وكل منها أميرها مع الجميع الى ملك وهو احدهم وشرع بعد ذلك
في زعامة هذه الممالك السبع وقد دامت بينهم الحروب الداخلية وعند ما فاز ملك ولاية
كانت احدى السبع المذكورة وحدث في الاهالي الديانة النصرانية وذلك سنة ٥٩٦
وامتدت الحروب بينهم الى ان تم في سنة ٨٢٧ زوال استقلال سائر الولايات وصارت

جميعا

جمعها تحت ملك واحد يكنى وهو اغبرت وهو أول مستقل حقيقة بالجميع وأول ملك
لانكلاتيره جميعا من العائلة السكسونية وتوارثت الولاية أولاده وفي مدتهم هجم عليهم
أهالي الدانيمرك وتملكوا أولا عدة جهات ثم عمت ولايتهم المملكة الى ان قام واسترجع
منهم الفريد الملك الاصلي من العائلة السكسونية بعض الجهات ثم عقد معهم صلحا ومعاهدة
على الدوام والاقدام واشترط عليهم الدخول في النصرانية ثم التفت الى اصلاح البلاد من
جهة التمدن ومن جهة القوات الحربية وأدخل جراحاتها ورقاها الى أوج حسن ومع ذلك
كان منكبا على التأليف والترجمة فأفاد امته فوائد جسيمة وفتح لهم باب الحرية حتى
كان من جملة حكمه التي جرت عندهم مثلا الى الآن قوله يجب ان يكون الانكليز احرارا
مثل أفكارهم ولاجل ذلك لقب هذا الملك بألفريد الكبير وكانت وفاته سنة ٩٠٠ ومن
مشاهير ملوك هذه العائلة حفيده المذكور أتلستان الذي أتم استخلاص المملكة من
يد الدنيمرك ورقى قواته الحربية الى أن رغب في موالاته غالب الملوك من أوروبا فقد
اصطلح مع فرنسا وصاهر بنت ملكها وبأخته الاخرى ملك الالمانيا ومن مشاهيرهم
ايضا ادغار المتولى سنة ٩٥٩ فانه أبلغ القوة البحرية الى درجة لم تعهد لهم في ذلك
التاريخ حتى صارت سفنه أربعمائة سفينة وكان يتفقد بنفسه المملكة مرة في السنة وهو
الذي قطع الذئاب منها كما رآه نافعا ثم أعقاب هذا الملك اتلرد الذي كان سبب استيلاء
الدنيمرك على المملكة بقتله جميع من كان فيها منهم فانتقموا وهاجموا وتربع ثلاثة منهم
على تخت انكلتره على التعاقب أشهرهم الملك كانوت الذي عمم العدل والراحة حتى استطاع
السفر لزيارة البابا في رومية وكتب الى عماله عند ذهابه اعلموا جميعا اني نذرت
حياتي لله وان لا أحكم في ممالكي الا بالعدل وان لا افرط في كل أمر المستقيم فان كان
صدر مني وانا في عنفوان شبيبتي وتقدم سني ما يناقض ذلك فها أنا ذا قد عزمت بحول
الله على تعويض ما فرط مني ولذلك أرجو وآمر كل من قلدته شيئا من الامور ويريد
خلاص نفسه ويحافظ على ان لا يظلم أحدا سواء كان فقيرا أو غنيا وان يسووا بين الاشراف
وغيرهم في اقامة حقوقهم على مقتضى الشرائع التي يجب حفظها ولا يعدلكم عن ذلك
الخوف مني ولا تطلبوا رضاء الاشراف ولا الميل لي من جهة خزانتي المالية فاني لا أحب مالا
جمع بظلم اه وبعد وفاة هذا الملك ثارت الفتن بين أعقابه وأعقاب العائلة السكسونية
الى ان استولى منها اثنان في اثنائها كانت متوالية حتى انقرض الجميع سنة ١٠٦٦ وبينما
كانت الاهالي في نزاع بين تملكوه عليهم واذا بأحد امراء ولاية نورمنديه التابعة

لفرانسا فدهمهم عليهم وقهرهم ثم جعلوا له فرمانا كاملا على انكلتيره وعلى نورمندية ثم حصلت له حروب في انكلتيره حملته على الانتقام بقتل الاهالي وافساد الزرع حتى نشأت عنه مجاعة فمات بها نحو مائة الف نفس ثم ثار عليه ابنه الذي جعله في نورمندية وحاربه وانتصر عليه وبعده ونه خلفه ذلك الابن في كل من المملكتين مع حروب دائمة فيه وفي خلفه حتى استولى هنري الاول من احفاده وحاربته فرانسا في مدة لويس السادس عشر لاستخلاص ولاية نورمندية وغلبها وتارخ الباب في حق اعانه وصدقت المدينة واستعمل هو وهم مثل ... الوطائف ثم تعاقبت الثورات والحروب تارة داخلية وتارة مع الولاية النورماندية في استخلاص نفسها ونزاع في التملك الى ان ولي هنري الثاني أول العائلة البلانتاجنية وهو اسم حشيشة كانوا يضعونها في قلانسهم فقويت العائلة المذكورة وذلك سنة ١١٥٤ فاجتهد هذا الملك جهده في ازالة تعصبات الجهات وأزال ما فيها من الحصون وخصد شأن شوكة الاعيان وأجرى نوعا من التسوية في الحقوق فهدأت الحروب في مدته ومن مشاهير فروعه في المآثر ريكاردوس الملقب بقلب الاسد المتولي سنة ١١٨٩ وهو الذي شارك في حرب الصليب ثم أسر عند النمسا وفداه أهله وقتل وهو محاصر لاحدى القلاع في فرانسا فولي أخوه يوحنا الموصوم باختلال العقل حتى خسر مستملكات الانكليز في فرانسا وقتل ابن أخيه فثارت عليه الاعيان وأرغموه بما في شيء وتبدلت حالة المملكة الى طور آخر

(مطلب في تاريخ انكلتيره الجديد) اعلم ان مبدأ ظهور الحرية في جميع اوروبا على الاصول المعروفة هي انكلتيره ولذلك كانت هي أسبق ممالك اوروبا الى ذلك وحصل فيها هذا الامر على نحو ما يأتي ولهذا اعتبرنا ان ههنا تاريخ جديد لانكلتيره لانها استمرت على أصوله وزادتها بما ارتقت اليه الآن وان اعترت في الاثناء توقفات ومعارضات تارة بقصد شوكة القانون وتارة بتزايد الكل على كل حال فقد ثبتت أصوله وادركتها العقلاء ومرت منها الى غيرهم لما تبينوا شأن الاصلاح في كل شيء (وحاصل هذا البناء) ان الملك يوحنا المذكور بأمه جان سانتيرا لما تصرف تصرفات أضرت بالمملكة والدولة تعصب اعيان المملكة وفرضوا قانونا سموه بالشرط الكبير والزموا الملك بقبوله وامضائه والعمل به وذلك في سنة ١٢١٥ ولم يسمه لا العمل به ومحصل هذا الشرط الكبير هو ان الملك التزم في حق نفسه وحق من يأتي بعده منح الحرية الى جميع الممالك وان فرض الضرائب على الامة لا يكون الا برضاء مجلس مركب من الاساقفة ورؤساء الرهبان

واهل

وأهل الخطط الدينية والاعيان من الامة أصحاب ألقاب البارون والكونت والمتوطنين
في الدولة وان ذلك يجري أيضا فيما اذا اقتضى الحال حمل اعانة مالية على مدينة لندره
مع بقاء حريتها القديمة وان مجلس الحكم العام لا يلزم انتقاله الى حيث ينتقل الملك وان
المكترين للاراضي لا يلزمهم العقاب المالي لاجل عدم وفائهم وانما يكون العقاب على
الجناية ولا يؤخذ لاجلها لا عقاب يزيد على القدر الضروري للعدل وهكذا الباعة والسوقة
لا تمس رؤوس أموالهم ولا تعطل حركاتهم التجارية ولو لجناية وكذلك الفلاحون الذين
تحت تسلط الملاك او أصحاب الاملاك لا توضع عليهم غرامات العقاب عند الذنب الا بقدر
الطاقة بحيث لا تتعطل أشغالهم وان جناياتهم الجزئية لذلك لا تثبت الا بشهادة اثني عشر
نفسا ممن يرضون لشهادتهم اليمين وان يبطل عمل التعذيب بتحديد ثروات الاهالي
وغلاتهم وان تحل اثقال الملاك وان يتحد عيار الكيل والوزن والمقاييس في سائر المملكة على
عيار لندره وان لا يمس حق لانسان مطلقا في كل ما يرجع لذاته وماله وعرضه ولو من الملك
الا بمقتضى القانون وحكم المجالس به وان لا يمنع أحد من السفر الى أي مكان اراده برا
وبحرا ولا يمنع من الرجوع متى اراد مع التزام الطاعة على مقتضى القانون (الخ) فمن
تأمل ما لخصناه من تلك الشروط يعلم ما كانت عليه الحالة سابقا مما يناقض الشروط المذكورة
اليوم ثم خلف ذلك الملك ابنه هنري الثالث ودام في الملك ستة وخمسين سنة مع كونه غير
مدبر بالتصرفات وغاية صداقته لاهل تلك الشروط وزادها تأكيدا بالقانون المسمى
بتقرير اكسفورد نسبة الى البلد المسمى بها وملخصه ان مجلس البارلمان أي مجتمع
البارونات هو لدى ببعض أعيان المتوطنين والحكام الذين يتبدلون في كل سنة ويحرس
قصور الملك ويجتمع ثلاث مرار في السنة ويبقى في بقية السنة لجنة مركبة من اثني
عشر عضوا ينتخبون دائما مع مجلس الملك ويكونون في كل مقابلة اربعة أعضاء لقبول
الشكاية من الاعيان والمتوطنين ويعرضونها على البارلمان عند أول اجتماع (الخ)
ثم ولي ادوارد الاول الملقب بذي الساقين سنة ١٢٧٢ ودخلت في مدته بلاد ولس تحت
انكلاتيره وولد ابنه بها فصار لقب ولي العهد برنس ولس وبرنس دي غال نسبة الى
الى المكان المولود به من الاعين الملك كورين ثم ولي ابنه ادوارد الثاني سنة ١٣٠٧ بعد
حروب طويلة في مدة الملك أفضت بالثاني الى الموت في السجن واستولى بعده ابنه
ادوارد الثالث سنة ١٣٢٧ وهو ابن اثني عشرة سنة وهو المبتدئ لحروب المائة سنة
مع فرانسا بدعوى استحقاقه تاجها لانه من ذرية البنات الاقرب من فليب غالوا ملكها

واستولى على كالى وبردو وبايون مع مستعمراتها من فرانسا بعد حروب هائلة وفى مدته
ظهر مذهب البروتستانت الذى انتشأ فى انكلاتيره من رجل حاذق متدين النصرانية
ولا زال يقوى من ذلك المذهب والحروب مستمرة تارة للديانة وتارة لجور الملوك الى
ان استولى الملك هنرى الرابع سنة ١٤٠٠ وهو اول العائلة المسماة لانكسترنسبة
الى دوك ولاية تسمى بذلك الاسم وامتدت الحرب فى ايامه الى ان خلفه ابنه هنرى الخامس
سنة ١٤١٣ الذى جمع تاج انكلاتيره وفرانسا فاتخذه لذاته وعند موته تتوج
ابنه وهو حدث رضيع [illegible] ابن تسعة اشهر ولقب بهنرى
السادس غير انه ضعف امره بانقياده لامر زوجته [illegible] فانقسمت انكلاتيره الى
قسمين احدهما تابع لهذا الملك والآخر تابع لعائلة [illegible] وتخذ الاهالى شعارا
دالا على التبعية فاتباع الاول شعارهم وردة حمراء والآخرون شعارهم وردة بيضاء ولهذا
تسمى حروبهم تلك التى دامت ثلاثين سنة بحروب الوردتين وحصل فى مدتها فظائع
واستيلاءات وكشفت الحرب عن رجوع الملك الى العائلة البيضاء [illegible] من الملوك
ادوارد الرابع الذى تقدم فى ذلك ولم يطل الملك فى مدته [illegible] سنة ١٤٨٣ وعين ابنه
انتزاعه من ابنه الصغير الذى تحت وصايته [illegible] الامر الى نفسه [illegible] الوصى
[illegible] واستبد [illegible] سنة ١٤٨٥ [illegible] هنرى السابع واشهر ما [illegible] تأسيس
[illegible] المملكة بان [illegible] الاهالى [illegible] نوابا فى مجلس للاوضة
فى مجلس العموم وان [illegible] حرب الا [illegible] وسع [illegible]
بقى لانكلاتيره [illegible] بعوض [illegible] الف ابره واغتنم من الاموال
خزائن عظيمة حتى قيل [illegible] فى خزائنه الخاصة عشرة ملايين ابره [illegible]
بعد وفاته هنرى الثامن سنة ١٥٠٩ وكان شديد البطش لكنه تمم المملكة
بالاصلاحات التى اجراها وهو اول من تمذهب بالمذهب البروتستانت وتعصب له حتى
احرق كل من لا يقبله وفى مدته دخلت ارلاندة تحت انكلاتيره وصارت مملكة واحدة
وعلى عكسه ابنته المتولية بعد اخيها وهى مريم حتى [illegible] لقتلها اهل ذلك
المذهب بل حرقتهم ايضا وخمدت شوكة النواب ومجالس البارلمان [illegible]
عارضها وتولية [illegible] وخسرت مدينة كالى من فرانسا [illegible] انتصارا
[illegible] اختها اليصابات سنة ١٥٥٨ ورفعت الاضطهاد [illegible] وزاد
مذهب البروتستانت انتشارا [illegible] الاهالى من الحرية فى [illegible] وحصلوا على

درجات

درجات من التقدم بالصنائع والمعارف من هاجر اليهم من الفلمنك وفرانسا وغيرهما من
أهالي المذهب البروتستانت لما وجدوا هناك حريتهم من القتل لهم في أوطانهم وفي
مدتها عرف الشاي عندهم وعرفت الساعات وفي سنة ١٦٠٠ تشكلت شركة الهند
التي تقدم بيان أعمالها في المقدمة وحيث لم يكن لها وارث عهدت الى أحد أقاربها وهو
ملك اسكوتلاندا الملقب جمس استوارد وبه اتحدت [illegible] كما وهو أول عائلة استوارد
استولى سنة ١٦٠٣ وكانت أيامه على نوع من التقدم ونفرته من الحروب وكان في
مدته أن يحرق مجلس البارلمان عن قصد اتباع البابا فوضع تحته البارود لكنهم تفطنوا
له وولي بعده سنة ١٦٢٥ ابنه كارلوس الاول وتفاقم الخلاف بينه وبين الامة في
مدة سلطنته اذ اراد ان يبقي مجلس المدة المسمى بالبارلمان صوريا وهو يتصرف
كيف يشاء ويجعل المسؤلية على مجلس الاجتماع للامة وترتيبه [illegible] فلما عارضه بعض الناس
عزل أعضاءه ونصب آخرين لكنهم كانوا نصب أعينه كانوا على نمط سلفهم في
معارضته حتى تعاظم الخلاف وشبت الحرب بين الامة والملك وكان من حزبه أغلب
الاعيان وكبراء البروتستانت لما لهم من حظ من اطلاق الملك لانه كلما أطلقت يده
انطلقت أيديهم أيضا للحظ يقتسمونه بل يكون لهم منه الحظ الاوفر حيث ان كلا
منهم يجتهد في خصوص مرضات الملك وحوزه بشيء من النفاق والتعظيم الباطل الذي
يحضره الملك الاول ويصيب الى ذلك جزء من الاموال التي يغنمها ارضاء لاولئك الافراد
ثم يطلق عنان شهواته في الطلب من الناس على حسب ارادته ويعوض منهم كلما
دفعه من المال والاعمال [illegible] في أمر ما وقع بينهم من المفاسد
والمشاحنة ولان يرضي تلك الشرذمة ويقتص ممن ضده بالقتل على أوجه لا تحصى
من الجمهور بدعوى من زور وحكم مجالس صورية من ما نقول من الاهل ومنهم الضرب
بالقضيب وغيره من أنواع الضرر وعمل التنكيل بدون القتل كالضرب والسجن
مع أنه [illegible] باختيار الامة صورية على ظاهر الاعتبار لم يقصدوا
القوانين حتى لا تتبين لعامة الامة والاعيان ولي كبير من الامة وهو لبعض من الاعيان والكبراء
وجمهور الوسائط والرعاع فاما اتباع هذا الجمهور [illegible] ووضع لانفسهم
موضوع الاعتبار [illegible] ما كانت عليه حالتهم
ثم ما آلت اليه بعد تأسيس القوانين ولا حاجة [illegible] وأما الباعث لبعض الاعيان
والاكابر [illegible] مع ما ذكرناه في حق [illegible] في انواع [illegible] هذا القسم

ماقل ينظر في العواقب ولا يعتني بالعاجل عن الآجل فعلم أن الزخرفات التي تحصل
بالتسلط لا تدوم لأنها مآلها إلى انقراض الأمة وضعفها وتقدم عليها أمة أخرى فوريه
وتصير أولئك الأعيان كالسوقة (كما قال تعالى) وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون
وربما عاضد السوقة وهم الجمهور ذلك الحاكم لاستراحتهم فيه ورأيه فإن تلك
الزخرفة التي يحصلونها أي الأعيان بتسلطهم مع قلتهم تتناهى في نفس الأمر غير هنية
لعدم الأمن منها وعدم الاطمئنان عليها لما أشرنا إليه من كونها أمورا موقوفة على رضاء
شخص تتلاعب به أهواء حاشيته والمقربين إليه لمجرد أغراض شهوانية وبعضها أغراض
مرضية للأغراض متى ما أراد الملك فلا يأمن المقرب من طبيعة الملك الميالة للإخلاق
فربما غضب على مقربه اليوم الذي كان يرضى به بالأمس وأيضا لا يأمن دبيب
سعايات أقرانه وحساده الفاذا عن كونهم تجري عليهم مثلما جرت على صاحبهم كما قيل
(من حلقت لحية جاره فليسكب الماء على لحيته) ولهذا انضم إليهم حتى عقلاء حاشية
الملك والبعض من رجال الدولة إذ تيقنوا أنه لا حصر لهم في نعيم لا أمن معه لا على الدم ولا
العرض ولا المال ولا الحريم ولا الذرية فأي نعيم يحصل لهم وهم على شفا جرف هار وكان
مقدام هذا الحزب رجلا من أعيان إنكلترة اسمه وليم كرومويل ذا بسطة في المال
والعقل والشجاعة فجرت حروب بينه كشفت عن خلع الملك وحبسه ثم قتله بحكم
مجلس على أنه خائن للأمة وتولى أول رياسة الدولة مدة ثم تغلب بحيث لكن يوم
دخوله بالعسكر منتصرا إلى لندرة تلقاه الجم الغفير بالهتاف والترحيب فقيل له ألم تر هذا
الاحتفال من العامة بلقائهم ما على من ذلك أثر وحمد ذلك اقتدره فقال إن هؤلاء
الرعاع إنما هتفت لا لي تعظيما ولا لي تعظيمهم ثم تبعا للمال إذ لو كان هذا اليوم
أخرجت به إلى القتل لكانوا جروا إلى المرح على مثلما جروا لي فأنى لا آبه به
يعلم أن تلك الحالة جارية في سائر ذمم على السواد الأعظم لأنه لا تفيد رأي قيل في المثل فيما
يجب أن تكون حرفة أو أفكاره إذ قال فيه رعاعها المذكور ما عمت وبقيت الدولة
الإنقليزية جمهورية بضع سنين إلى وفاة الجنرال المذكور واستبلاء ابنه من بعده
واستعفائه في مدة قليلة ثم رجعوا إلى الملك السابق سنة ١٦٦٠ وابنه بكارلوس الثاني
وسار على نحو ما كان يريد أبوه وخرق سياج القانون باستبداده على الأرباب منفردا
بإقامة جمعية من أكابر الأعيان لتدبير الأمور دونهم بدون مراجعة لندرة وحارب
هلانده وأخذ منهم مدينة نيويرك من أمريكا ثم عقد معهما ومع الويد معاهدة على
فرانسا

فرانسا ثم اتحد مع فرانسا على هلانده ثم حصل للندوة وبقي مضطربا الى ان مات وخلفه
اخوه جوس سنة ١٦٨٥ فزاد الاضرار لكونه اثار المذهب الكاثوليكي الى ان خلع
ونودي باسم أمير هولنده المتزوج بابنته غليوم ملك انكلاتيره الاسبق ولقب بغليوم الثالث سنة
١٦٨٩ فاحيا اجراء القوانين واتبع اشارة الندوة وارتاح في نفسه حتى لقب بالمعاد
لاشتغاله براحته وحب الانفراد بما هو انسب بالسياسة وذاته والمملكة وزادت الندوة
احكاما في شروط القوانين منها ان لا يتولى بيت الامن كان على مذهب البروتستانت
واحتاجت الدولة الى اموال لاصلاح داخليتها في ايامه فاستقرضت من الاهالي وهو اول
دين على الدولة وتشكل لاجله بنك انكلاتيره اي محل اجتماع الاموال من الناس كبيرين
لاجل الشركة في التجارة بذلك المال او لاجل ان يقرض المال على شروط وذلك البنك هو
المعروف الى الآن وذلك سنة ١٦٩٤ وهو اول على اجراء القوانين بعدم غصب الاموال
من الرعية وترقت المملكة في ايامه بالصنائع والمعارف بزيادة من هاجر اليها من فرانسا
لاجل ما وقع سابقا من الاضطهاد المذهبي ثم جاءت الملكة حنا سنة ١٧٠٢ وفي مدتها
استولت انكلاتيره على جبل طارق من اسبانيا واشتدت الحرب مع فرانسا ولكن ما اضطر
الفرانساوية بقوة انكلاتيره والنمساويه وهولانده ثم انقرضت العائلة لعدم وارث تلك
المملكة لم يكن فيهم من تتوفر فيه الشروط فنادى الاهالي باحد قرابة العائلة وهو امير من
الهانوفر من المانيا ولقب بجورج الاول سنة ١٧١٤ وهو اصل العائلة الموجودة الآن
واستقر امره بعد حروب مع فرانسا لارادتها تولية ابن من العائلة السابقة كاثوليكيا
وبعد استقرار جورج المذكور لم يسكن في انكلاتيره ودعا الى بلاده والتصرف
بيد الوزراء والندوة ثم خلفه ابنه جورج الثاني سنة ١٧٢٧ ونشأ في مدته عدة حروب
منها الداخلية لاجل الملك من بقايا العائلة السابقة ولم ينجحوا (ومنها) الخارجية واعظمها
مع فرانسا حيث كانت الحرب قائمة بين بروسيا والروسيا والنمسا لاجل الاستيلاء على
بولونيا وكانت فرانسا ضد بروسيا ومعاضدة للنمسا فعاضدت انكلاتيره بروسيا لاجل
زيادة اشتغال فرانسا فاحتاجت فرانسا الى جلب قوتها من مستعمراتها بامريكا لتقوية
نفسها في اوروبا وعند ذلك هجمت انكلاتيره على مال فرانسا من امريكا وضمته الى
تملكاتها حتى صار لها ذلك جميع مالها الآن في امريكا مع جميع الممالك المتحدة
الآن وذلك بعد حروب هائلة ثم خلفه ابنه جورج الثالث سنة ١٧٦٠ واستقلت في
مدته امريكا اعني الدول المتحدة وذلك لان دولة الانكليز لما اشتدت احكامهم هناك

وتكاثرت فيها الخلق المهاجرون اليها رغبة في الغنى لما فيها من الخصب واتساع الاراضي
الجديدة فجعلت الدولة ثلث المالكة في الولايات وحطت عليهم ولاة انكليزيين هم
احق بانهم مستبدين في التصرف فجعل ظلمهم للاهالي باشتكوا امرهم الى الدولة ويدعوا
لها عمالهم فورائهم واولت ولاتهم للاهالي باتخابهم عمال الانتخاب لم يكن حقا
بالرضى وبذلك تقوى هؤلاء الولاة [illegible] فتمكن الحقد على الدولة ثم ازدادت
عليهم الضرائب لما رأت من غناهم فنفروا منها حتى هموا بالخروج عنها ولاسيما ان
تجرى فيهم ضريبة الورق المختوم في صكوكهم فساعدتهم الدولة الفرانساوية واعانتهم غيرها
فعقد مؤتمر في اميركا واعلنوا الحرب للاستقلال تحت راية جمهورية سنة ١٧٧٦
واعانتهم فرانسا واسبانيا وهولاندا لما لهم على انكلترا من الضغائن الحربية
ودامت الحرب الى سنة ١٧٨٣ التي عقد فيها الصلح بباريس على ان ترجع انكلترا الى
فرانسا اراضي [illegible] بورنيكا وترجع الى اسبانيا فلوريدا واميركا على ان
تستقل الممالك المتحدة تماما بكل استقلالها ثم كانت الحروب في مدة جورج الثالث
المذكور مع فرانسا وعلى راسها نابوليون الاول واشتهرت فيها انكلترا بالقوة
البحرية والمهارة في حروبها البحرية لما ظهر الاميرال نلسون من البراعة والشجاعة
في مواقعه المتجاوزة على المائة ونيف واقعة واشهرها هجومه على حصون كوبنهاك
عاصمة الدانيمرك مع ان القسم الكبير من الاسطول لم يدخل معه في المضايق ونفذ
هو عن تحت امرته من الاسطول عندما امر الاميرال الكبير قومندانه الرجوع من سفنه اشار
اليه بالرجوع وكان هو اعورا فلما خبر بالاشارة وضع النظارة على عينه العوراء وقال
اني لم ار شيئا فتوقف وزاد في الهجوم الى ان غلب عدوه واجرى شروطا ثلثما اراد
ومع هذا الانتصار حكم عليه مجلس الحربي بالعقاب لمخالفته الامر وقد مات ذلك الاميرال
في حرب سنة ١٨٠٥ ضد دونانما فرانسا واسبانيا وكانت منها [illegible] وسبعة وعشرين
فاقترب من سفينة فرنساوية فاصابته رصاصة تمرمنها
للنزع وكان ينتظر البشارة بالانتصار ويدعو بانتصار قبل الموت فلما دخل عليه لابعد
قريب من ساعة وبشر بالنصر فقال كم غنمتم من السفن قال اظن اربع عشرة او خمس
عشرة لاني لم اتحقق الان عن القدوم لبث عنده بعوث الاصر قبل عدة وقال الا انكني كنت اشترط
على نفسي ان تكون عشرين ثم قضى نحبه ودام الملك جورج الثالث في الملك ستين
سنة لكن كان في اغلبها لا يتصرف في شيء بل لا يدرك شيئا من مصالح الملك لاختلال في

عقله

عقله ولذلك جعل له ابنه ولي عهده نائباً عنه في حدود سنة ١٨٠٤ ، ثم توفي ذلك الملك سنة
١٨٢٠ ومع ما حصل في مدته من خروج الممالك والحروب فان انكلاترة تقدمت
فيها الخطوة وسيعة في التمدن والاعتبار والقوة حتى وصلت الى الذروة القصوى فانها
احدثت في ظرف اربعين سنة مدنية وخطوات متسعة وتكاثرت فيها معامل القطن
والصوف الفائقة حتى راجت سلعها على سائر ما في غيرها لرخصها واتقانها وكشفت
واستملكت اوستراليا وغيرها وتقدمت فيها المعارف والاساليب الى نحو ما هي عليه
الآن واستفادت حكامها سياسة عالية كسب بتدبيرها مستعمراتها الواسعة في سائر
أقطار العالم وحصلت على فخر النصر على نابليون وغيره واستنبطت لادارة المالية
بدون تزعزع ولا دسائس ولذلك صار يضرب المثل عندهم بان خزينة الانكليز اعتنوا
بها في مدة ملكهم المجنون وبعد ابنه جورج الرابع وفي ايامه وقع الغدر في اسطول
الدولة العثمانية من اسطول انكلترة المرسل على اساطيل الدول في تظاهرهم على
طلب تسليم الدولة العثمانية بيونان باستقلال من غير اعلان بالحرب فعدلت
الاساطيل ما بين اسطوله المركب من سفنها وسفن مصر وطرابلس وتونس والجزائر
وهم على اطمئنان السلم والامن . اطلقت عليهم النيران دفعة واحدة بحيث لم يبق
منهم باقية عدا وشاعة لا تمحى وصيرورة تزول على خصوص الانكليز لانهم هم
الذين بيدهم أمره وجمع الاسطول للدولة وعندما سمعت الندوة الانكليزية بفظاعة
الواقعة هاجوا وماجوا لبراءتها كرئيس الاساطيل وحكم عليه مجلس حربي
بالقتل مع دفاع وزير البحرية بكل ما امكن من الاعتذار وتلفيق دعوى بان احدى
السفن العثمانية اطلقت النار عليهم ولم يجد كل ذلك شيئا وعندما تحقق الرئيس الحكم
عليه بالقتل ابرز الى وزير البحرية التذكرة التي بخطه في الامر باحراق الاسطول
العثماني قدسى ان يعرفها احد من امر (وحينئذ) تحول الباس الى حالة مريبة ثم
اطلق الرئيس وسيأتي في الكلام على الدولة العثمانية الباعث على ذلك التحامل على
المسلمين وما آله الدالة وان سياسة الدول الكبيرة في الخارج ليست كسياستهم في
الداخلية ثم ورث الملك وليم الرابع سنة ١٨٣٠ وزاد القانون في ايامه تحديداً
وعودا وأول سكة حديدية انشئت في اول مدة ولايته وقررت الدولة عتق العبيد
في الهند وعوضت أصحابهم أثمانهم وكانت نحو عشرين مليون ليرة واجتهدت انكلاترة
على عتق العبيد في سائر الاقطار ترغيبا وترهيبا لاهلها ولا زالت على ذلك الى الآن ثم

ورثته المملكة ويكتوريا سنة ١٨٣٧ وهي الملكة الحالية وأعانت الدولة العثمانية
على اخضاع مصر واسترجاع الشام منها وعلى حرب القريم فحاربت الروسيا وآلت
الحرب الى معاهدة باريس وحاربت الصين بالاتحاد مع فرانسا وأخمدت الهند من
الثورة الهائلة بمعاضدة أفغانستان وخرج الهند من وقتئذ من تحت الشركة التجارية
الى الحكومة السياسية كالجزء المقدمة وتلقبت بامبراطورة الهند ثم استولت على
الافغانستان ثم جعلتها مستقلة تحت نظارتها بعد أخذ أجزاء منها وحاربت الروس من
بلاد الكمر باقوري فيانم صارت تلك المملكة تحت نظارتها وتداخلت في حرب الروسيا مع
الدولة العثمانية عند عقد الصلح الى ان أفضى الى معاهدة برلين مع زيادة التقدم والغنى
في داخلية المملكة الانكليزية

(مطلب في السياسة الداخلية بانكلاتيرة) (اعلم) ان السياسة المستقرة الآن كان
استتبابها سنة ١٨٣٢ وأما أصولها فقديمة جدا أشرنا اليه في التاريخ وهاته
السياسة مبنية على اعتبار تساوي سلطات الملك ونفوذ الاعيان واحتساب الاواسط من الناس
فكل من السلطات الثلاث مرتبطة ببعضها ويتبع منها ادارة المملكة بما يرضي الجميع
ولا يتجاوز كل منهم حدوده مما يضر بغيره ولهذا كانت قوانين الانكليز على نوع مغاير
لبقية ادارات الاروباويين من حيث الاشتراك في السلطة وعدم التساوي بين طبقات
الرعية في الاعتبار ونيل الترتب مع نيالة الرعية غاية الحرية والامن وتفصيل هاته الادارة
وعلل ارتباطها وانفرادها قد تكفل به كتاب أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك لخير
الدين باشا التونسي بما به يكشف أطوارهم وأصلا منهم فليرجع اليه من أراد البيان
وانما نقتصر هنا على الالمام بكليات لابد منها (فنقول أما القسم الاول) من ذوي
السلطة فهو الملك وله حدود مضبوطة بقوانين من أهمها ان الملك وارثي في ذرية الملك
الذي هو من عائلة الهانوفر من الذكور لبكره والانثى تستحق ذلك على شرط ان
لا يوجد لها أخ ذكر والا فهو أحق بالتقديم وان كان أصغر منها (ومنها) التزام مذهب
البروتستانت (ومنها) ما اقتضى هذا الدوران ان صار التاج الانكليزي من له ملك
أو أرض بمملكة أخرى فان الامة لا يلزمها الدفاع عن تلك مثل ما يلزمها عما يرجع الى
الانكليزية ما لم ترض بذلك الدولة (ومنها) ان رياسة الديانة للملك بحيث يوظف مناصبها
مثل ما يوظف المناصب السياسية (ومنها) رياسة سائر القوات والصلح والحرب الى غير ذلك
مما هو في ممالك ايطاليا (ومنها) تلقبه بملك برنطانيا العظمى وامبراطور الهند حتى يقول في

طالعة

ما المقدمة كانت به الرعية مأمورة فلان سمة لقب ملك المملكة المتحدة من بريطانيا
العظمى وارلاندة وامبراطور الهند محاميا عن العقيدة الخ والتلقيب بامبراطور الهند حدث
سنة ١٢٩٣ باتفاق المجالس وقوله محاميا عن العقيدة اشارة الى رياسته الدينية (ومنها)
ان اجراء كل حق للملك في التصرف انما يكون بواسطة رؤساء متوظفيه وهم رؤساء
الاساقفة والوزراء (واما القسم الثاني) وهو واسطة الاعيان وهؤلاء الاعيان هم الملقبون
باللوردات وبالقرناء حسبما في مجمع لهم ولهم خصوصياتهم وامتيازاتهم والذي يتعلق
بهم هنا انه يتركب منهم مجلس اللوردات المشتمل (على) رؤساء الديانة (وعلى) عائلة
الملك (وعلى) سائر لوردات انكلاتيره (وعلى) ستة عشر لوردا من لوردات اسكوتسيا
(وعلى) اربعة لوردات من لوردات ارلانده ولوردات المملكتين الاخيرتين منتخبون من
امثالهم في اقاليمهم لمدة المجلس مدة حياتهم وبيد هذا المجلس سائر الاحتساب على
التصرفات وانشاء القوانين وتغيير العادات والحكم في المتوظفين بحيث لا يصدر عن
الدولة شيء الا برضاه وليس لاعضاء هذا المجلس مرتب وعددهم غير محصور لان الملك
قد يلحق بهم من شاء من رعيته ولاعضائه اعطاء الرأي فيه بالمباشرة او بارساله مع احد
امثالهم كتابة والوزراء ينتخبون من هذا المجلس ومن مجلس النواب والملك انما ينتخب
رئيسهم فقط وهو ينتخب بقية الوزراء كما في بقية اروبا وعدد الوزراء تسعة الرئيس
وهو وزير المال في الاغلب ووزير الخارجية ووزير الداخلية ووزير الهند
ووزير المستعمرات ووزير رياسة المجلس الخاص ووزير الحرب ولورد قاضي القضاة
وهو رئيس مجلس اللوردات وموظف الحكم القانونية ولورد المحاسبات وهؤلاء
الوزراء هم المباشرون لسائر اعمال الدولة بعد اذن الملك وليس له مخالفتهم الا اذا وافقه
اغلبية الندوة فحينئذ يستبدلهم بغيرهم وهؤلاء الوزراء يضم اليهم الملك اعضاء من
بقية اللوردات فيتشكل منهم مجلس الملك الخاص ورؤساء ادارات الوزارات ولا يزيد
مرتب الوزير عن مائتين وخمسين الف فرنك في السنة (ومنهم) من له خمس ذلك فقط
ووظيفة هذا المجلس الخاص التدبير في اجراآت الاعمال كما ان من حقوق الاعيان
ان يكون نوابهم حكام الولايات كل ولاية حاكمها من لوردتها وليس للملك عزل احد
منهم من مرتبته اللوردية (ومنهم) ايضا اعضاء مجالس العليا في الولايات التي لها
التصرف الكلي

(واما القسم الثالث وهو واسطة الاواسط) فهي بانتخاب الاهالي منهم نوابا عنهم

فلس النواب للاحتساب على تصرفات الدولة وحماية حقوق السكان وما يستقر
عليه رأيهم يجري اذا وافقهم مجلس اللوردات كما انه يسوغ للاول أن ينتخب من هذا
المجلس رئيس الوزراء ولهذا انتخاب بعض الوزراء من بقية أعضاء هذا المجلس
ومدة انتخابهم لاعضاء المجلس سبع سنين وشرط العضو أن يكون وحيدا غير محكوم
عليه بما يشين العرض ذا دخل من املاك في المملكة غير منقولة يبلغ مائتين وخمسين
فرنكا أو صاحب معارف له اجازة فيها من المدارس العلمية واما قد اختص هذا
الاحتساب بأواسط الناس ولم يكن للاسافل فيه حظ وعدد أعضاء هذا المجلس
بحساب واحد على العشرين ألف نسمة من السكان فكان عددهم يتردد في رهاء
ستمائة ومجموع هذا المجلس مع مجلس الاعيان هو المسمى بالقمرة أي الندوة
وعليها مدار سير الاعمال في الداخلية والخارجية ومن أصولها أن ميزان المال ليس
بمعقود على حالة واحدة دائما بمعنى أنه اذا كان الدخل الموضوع يوفي بمصاريفها
لسنته ويحصل منه فاضل في الخزينة أو يشترى به من ديون الدولة واذا كان لا يوفي
يزاد في الضرائب الى أن يقع التسديد كما هو جار في الدول الاخرى بل ان قاعدة الانكليز
في جعل الميزان في كل عام بصدد النظر الى مقدار اللازم من المصاريف وعلى مقتضاه
يعمل الدخل بحيث لا يكون للدولة فاضل ومن الاصول أيضا اعطاء الحرية لكل فرد
وجماعة في مملكتهم بأن يتكلموا في السياسة علنا وبالصحف وتصرفات المتوظفين
مصلحة او اعلان آرائهم بالمدح أو بالقدح في الصحف وفي مجامع الناس ولهم الاستدعاء
الى الاجتماع ولو اجتمع ملايين من الخلق من غير أن يتعرض لهم أحد بشيء ومن الاصول
أيضا التي استقرت الآن انه تنشأ في الامة حزبان (احدهما) يسمى حزب المحافظين
يعني انه يريد التحفظ على القوانين الموجودة والجاري عليها في الداخلية والمساعدة على
كل ما يساعدها في الخارجية وان لا يتغير شيء الا ما تدعو اليه الضرورة (والحزب
الثاني) يسمى حزب الحرية يعني انه يريد زيادة اطلاق الحرية في الداخلية وفي كل
الممالك ويساعد على قيام عوائق الحرية في أي جهة كانت بما تقتضيه حال الانكليز
ولكل من الحزبين رجال مشهورون بما يقولون ويكتبون للانتشار وتنتقل عليهم
الندوة ومهما مالت الاكثرية لاحد الحزبين وجب أن تكون الوزارة مركبة
من أعضاء ذلك الحزب فلا تزال تدول الدولة بينهم ومن لوازمها انه كلما تغيرت الوزارة
يتغير معها سائر المأمورين الذين عليهم مدار الاعمال ولو من علائق ذات الاشغال كاتب

سره

عمره وحواشيه الذين يخدمونه فيما يتعلق بتصرفات الدولة لزم تبدلهم أيضا مع
الوزارة خشية من افشاء أسرارها الصداقة أو لوشاية أو التراخي من خوفهم فيما يتعلق بالملك
مما يضر بالاحزاب ونشأ عن هذا عدم ثبات السياسة الخارجية على طريق واحد داعي
في الاحزاب التبدل المستمر في الوزارة وان كانت كل وزارة تراعي أصل ما سنته
سابقتها لكنها تضر به بتغيير لا يذكر فلا يحصل الاعتماد عليه من الخارج ومن الاصول
أيضا ان الخدمة العسكرية لا يدخل اليها بالغصب أو بالقرعة وانما هي بالاختيار لمن
رغب فيها ولهذا تحدق عساكر الانكليز في الحرب كثيرا من الاجانب الراغبين في
المال لذلك بدل انهم هذا زمن الحرب خارج المملكة أما اذا هاجم العدو المملكة
فيجب على كل الاهالي الدخول في سلك العسكرية على قانون لهم في ذلك حتى ان النساء
أرادوا منهن الدخول في ذلك واقلهن من الفخر وكذلك العساكر الاحرار لحراسة المملكة
يدخل اليها بالاختيار وهي عدا الضابطة التي تلزم أهالي كل جهة ومن أهم أصولها
أن لا يحبس أحد الا بالتحقيق أو شهادة حتى يكون كلامه حجة على الجاني وذلك
من الاصول المتبعة في اوروبا وبها يتيسر فرار الجناة لان حرمة الضابطة ونفوذهم
من أهم الوسائط الحافظة للامن ومن أهم ما يعتني به سائر أصول الانكليز أن لا يولى
المراتب السامية في الدولة الا من كان على مذهب الكنيسة الانكليزية المترتبة فتأمل في هذا
مع ما يأتي ان شاء الله في أحوال تداخلهم في بلاد الاسلام بدعوى الحرية ومن عاداتهم
قبول جاه العائلة منهم والاعيان في توظف صدورهم وأقربائهم اذا كان فيهم شيء من
الاهلية مع اهمال غيره وان كان أحق من تقدم ومن ذلك رتب العسكرية فلا تتنقل
الا للاعيان والعائلة والامراء العسكرية فلا يستحقون ذلك مهما فعلوا غير انه قد صدر
منذ سنة ١٢٨٩ ه‍ ١٧٧١ م ابطال شراء الرتب العسكرية فهي ملازم الى أمير لاي
بأمر من الملكة حيث حاصل الثمن الذي كان يأخذه من الآلاي قد نفذ واغتاظ لذلك
كثيرون فاحتج منهم لكن المصلحة غلبت وصارت رتب العسكرية ضمن الاستحقاق
الا بالاستحقاق في المعرفة وبحد المقدار العسكري يعلم ما للملكة من السلطة وان خالفه
المدد بناء على حق قديم لهم مع موافقة الوزارة له

﴿ مبحث ادارة الولايات ﴾ قد تقدم في صدر بريطانيا انها تنقسم الى تسعة وخمسين ولاية
وهاته الولايات فيها مدن ذات خصوصية بالامتياز بالشرف حسب عوائد قديمة ومدن
كبيرة استحقت بكثرة سكانها ان تسمى عموما أكثر في المدن ومدن يحكمها عمال ان

من كبرائها وأثريائهم ومدن وقرى خالية عن الامتيازات المذكورة (فأما) الأنواع الثلاثة الأول فإن لها إدارة خاصة لا تدخل في عموم الولايات التي هي بها (وأما) النوع الرابع فهو مشمول بإدارة عموم الولاية (والحاصل) في إدارة عموم الولاية هو أنها راجعة إلى الوالي العام على الولاية وهو واحد اللوردات الحاصل على عضوية الندوة ويعينه الملك لذلك وليس له مرتب على هذه الوظيفة وهو ينتخب أناسا من أهل الولاية الأعيان أعضاء لإعانته ويوظفهم له الوزير الملقب بقاضي القضاة وليس لهم مرتب أيضا ومدار أعمالهم حفظ الراحة ورياسة العساكر المحافظة والنظر في الأعمال العسكرية ولهم أيضا مرجع الأحكام الشخصية والنظر في مصالح الولاية الإدارية وحفظ الطرق وإنشائها إلى غير ذلك من المصالح كما هو دأب الإدارة من الأصناف الثلاثة المشار إليها سابقا (ومنها) مدينة لندرة بأن يكون لها نوع مخصوص ورئيس المجلس البلدي الذي أعضاؤه من الأهالي المنتخبين منهم وإنما ينتخب رئيسه من أحد أعضائه كل سنة ولا مرتب له ولهذه المجالس البلدية مرجع جميع المصالح المتعلقة بالبلد ومنها إدارة الضابطية ولا دخل للدولة فيها أبدا وعلى رؤساء هذه المجالس أيضا الانتخاب على كيفية انتخاب أعضاء مجلس النواب فيباشرون نظارتهم لكي يكون الانتخاب موافقا للأصول وهو الذي يرأس جمعية الانتخاب ويتصرف في الأحكام الشخصية كتصرف قضاة الصلح الآتي بيانهم ويوم تولية رئيس هذا المجلس الذي يسمى شيخ البلد يكون في لندرة موكب حافل من أعظم المواكب وله من الاحترام والتوقير كالأمراء الملوك ثم إنه يتعلق بالديانة في كل الجهات جم عدده يزداد أو ينقص وهم الحاكمون بحفظ الكنائس والمقابر والفقراء والطرق أيضا وإعانة الضابطية عند الحاجة هذا (وأما) الأحكام الشخصية فإن لها إدارة مخصوصة رئيسها اللورد قاضي القضاة الذي هو رئيس ندوة اللوردات ثم نائبه ثم اللوردات قضاة المجالس العليا في الجهات الكبرى ثم حكام مجالس الولايات ومجالس الضابطية وكل هؤلاء لهم مرتب وهناك حكام الصلح الكثيرون لا مرتب لهم وكذلك حكام طورى على نحو الممالك التي تقدم ذكرها غير أن الأمر الذي انفردت به انكلترة هو أن أحكامها لا تستند إلى قانون خاص فصار بهذا أصعب الشرائع لأنها تستند إلى مجموع أشياء وهي ما يوجد من القوانين في بعض الأمور وما يوجد في أحكام سابقة صدرت من مجالس الأحكام القديمة وما في أحكام الرومان وما يقع عليه اجتهاد أصحاب الاجتهاد وهم

اللوردات

الموردات أهل المجالس العليا وقاضي القضاة ووزرائه وعلماء الاحكام وهم المسمون
بالابوكاتو فلذلك كان علماء الاحكام من أشهر الناس وأوجههم ومن غريب عادات
المملكة أنها اذا حدثت نازلة ووجد حكمها في احدى تلك الاصول لكن أصحاب
اجتهادهم ظهر لهم ان المصلحة الوقتية تقتضي بخلاف تلك الاحكام لاختلاف الزمان
فانهم يجرون اجتهادهم لكنهم لا يجعلونه ناسخا للسابق بل يبقى السابق ويبقى الحادث
حتى تكون الاصول متناقضة ويبقى لأهل الاختيار عندهم الخيار وبذلك يعلم مقدار
النفوذ والسلطة للطبقة العليا من الناس عندهم لانهم هم الذين يكونون من أهل
الاختيار كما يعلم فلما اعترض بعضهم على أحكام لهم بأنها ثابتة بخلاف
الاول في كتب الفقه مع جريان القضاء في القضايا بما يوجب لهم التحرز من
الخطأ ولتخفيف الابهام عن عموم المحكوم عليه لان ذلك لاعتراض على فرض
تسليمه كما هو ذهول عنهم أعظم غاية ترجع به علينا ثم ان الاحكام المذكورة
لها ترتب في تحقيقها من مجالس وراء مجالس الى أن تكمل بانتفاء الحيف منها والثقيل وما
يرجع الى المعاملات وما يرجع الى الجنايات فالحيف لا يخفى التحقيق الا اذا حصل
ولم يقع فيه الاحتساب لعام وأما الثقيل فينقل الى مجالس تحقيقه الى ان ينتهى
الى المجلس الاعلى بالتحت وحيث كانت الحرية منوطة والاحتساب في رفع الظلم يرفع الى
كل احد برفعه الى مجالس الاحتساب ولو كان في حق غيره مع اباحة نشر النوازل
والافكار في صحف الحرية وفي الاعلانات ومطبوعات تنشر حتى صار الانتشار في مجامع
عمومية علنية كان التعدي على الحقوق من أصعب الامور عندهم
(في بعض ادارة مستعمرات الانكليز) اعلم ان الانكليز قد تيسر لهم اتساع مستعمراتهم
في مشارق الارض ومغاربها بشيئين (احدهما) حسن انتظامهم في داخليتهم المؤدي الى
الثروة والقوة الحربية (وثانيهما) حسن الادارة المشكور عليه بالنسبة لغيرهم
من الدول سيما بعد خروج امريكا عنهم لانهم تعلموا من ذلك الاسباب والبواعث
الموجبة للانفراد منهم فاستقر رأيهم على انهم في كل جهة من المستعمرات يجعلون مركز
الوجود قوة مركزية لهم ويجعلون نوابا من ثقات اعيانهم مقيدا التصرف بالشورى
مع اعيان منهم ومن أهالي المستعمرة يرجع الى هذا النائب الذي هو الحاكم في تلك
الجهة الامور الكلية من الادارة السياسية واما بقية الجزئيات والاحكام والسيرة فانها
تفوض للاهالي يجرون على حسب عقائدهم وعاداتهم وأحكامهم وكذلك الاداء المرتب

للحكومة وكيفية استقلالها موقوف بعد الى غير ذلك من غير تداخل الانكليز معهم في شيء
سوى انهم بحيث تجاوزوا عليهم ابطال المظالم والتعدي على بعضهم وابطال بعض العوائد
القبيحة بالعقل الراجع الى علم الغير كحرق الاحياء تبعا لمن يموت من قراباتهم او دفنهم
وكتغيير لباس او مثل ذلك او نحو ذلك مما يجمع على ... ولا خلاص منه جمهور الاهالي ويبقى
الحاكم الانكليزي بحاله مرة الثلاث الحكايات ولمنافع الانكليز والاهالي حتى ان اعظم
مستعمراتهم الآن وهو الهند له حكومة مخصوصة كما تقدم في المقدمة واعظم وظائف
فيه هو الحاكم العام وهو انكليزي لكن ثاني رتبة منه وهو قاضي القضاة هو من اهل
الهند الاعيان وجميع احكام الهند راجعة اليه ومرتبه سنويا اربعة وعشرون الف ليرة
انكليزية وعلى ذلك المنوال بقية الامور ودخل تلك الحكومة خاص بها الا ما اخذ منه
الدولة الانكليزية شيئا ومصاريفه كما يرجع الى حكومة الهند وعلى اذا حدث
حرب جوار للهند مع حكومة اعانتها الدولة الانكليزية على مصروف تلك الحرب لعود النفع
اليها بواسطة بل ربما حمل اكثر المصروف عليها كما وقع متأخرا في حرب الافغانستان
كما ان الانكليز تستعين بعساكر الهند بدخولهم في امرها عند الحاجة اذا حدث
حرب مع دولة اخرى وكثيرا ما تبقى الممالك على حالها بملوكها وامرائها واعيانها عليهم
مجرد المراقبة والحماية وتلزم الملوك باجراء العدل في حكمهم واجراء الشورى وبذلك
يحصل ميل العموم اليها (فان قيل) اذا كان الامر كما ذكرتم فاي فائدة للانكليز في هذه
المستعمرات سوى تشويش البال وصرف الاموال في الحماية او الثورات (فالجواب)
ان فائدتهم عظيمة من وجوه (اولها) وهو اهمها رواج التجارة الانكليزية فان مائتي
مليون من الخلق لا يستعملون الا في الملابس والبضائع الانكليزية وهذه من الاهمية ما لا يخفى
وبضائع بقية الممالك لا تمانع مع ما يوظف عليها من عظيم الجمرك في تلك
المستعمرات او يدخل منها الا ما لا وجود له عند الانكليز مما هو حاجي واما المصانع
الانكليزية فتدخل عوضه من الادوات تبور لهم بضاعة ولا تقصر لهم عملة فانه يقعد
ثلاثون مليونا من الانكليز من الصناع يكونون متعيشين على رواجه في مستعمراتهم
كل على قدر احتياجه زيادة عن الممالك الاجنبية وكفى بذلك غنى للامة الانكليزية
واي دليل اعظم اهمية من ذلك رد دولة مثلا الهند فان مستعمر الهند وحده كانت قيمة التجارة
الصادرة والواردة اليه في سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م ثلاثة آلاف وخمسمائة مليون
فرنك يختص الانكليز وحدهم منها ثمانمائة مليون والباقي مع سائر الممالك واعلها

الصين

الصين فهذا مستعمر الهند وحده راجت تجارتهم فيه بذلك المقدار وليقس عليه غيره
(وثانى الفوائد) أشغال معلميهم فى الفنون والصنائع فى تلك المستعمرات الواسعة
الكثيرة السكان عما يحدثونه للاهالى على وجه الارشاد والتعليم والتدين عن طيب
نفس منهم من المكاتب والمعامل وطرق الحديد وغير ذلك (وثالث الفوائد) حوز
الاراضى الخالية عن المالك وتعميرها بأهالى انكلاتيره الذين ضاقت بهم جزائرهم
فصاروا يهاجرون منها الى كل الآفاق التى تيسر لهم بها المعيشة والعمل فيهاجرون الى
مستعمراتهم أولى لهم حتى تنشئ منهم دولة جديدة كما وقع بالفعل فى دول امريكا المتحدة
اذ غالب أهلها أصلهم انكليز وكذلك ما هو حاصل الآن فى استراليا (ومن أعظم
فوائدهم) القوة الحربية التى تتصرف فيها انكلاتيره من عساكر تلك المستعمرات مع ان
المصاريف على العساكر من دخل المستعمر فاعظم بذلك من قوة للانكليز حتى ان
عساكر الهند الذى تحت أمرها أضعاف عساكرها المتدربة فهاته الفوائد
أعظم وأنفع لامة الانكليز من أخذهم ضريبة على سكان المستعمرات تحوجهم الى
الحقد والثورة عليهم كما وقع فى امريكا وابعدهم أيضا من جهة السياسة فان النفوذ
وارتفاع الوقار الحاصل للانكليز فى جميع جهات المعمورة ليس بحاصل لاى دولة
كانت اوروباوية وذلك أوجد للانكليز ان يعدو الفا وعشرين الف منهم باطلاق
التصرف فى أحد المستعمرات فيكون أهلها تحت قبضتهم ويديرون فيهم قانون
الانكليز بالعدل ويوهمون فيهم من قضاتهم ويعبرون عوائدهم وشرائعهم بما يلزم
لذلك من مصاريف تكثير القوات وكون الهند فى المستعبدين حتى ينتهزوا الفرصة لفك
قيودهم متى ما سنحت الفرصة وعدل هاته السياسة وعبارة الاهالى فى مقاصدهم
وعاداتهم وأحكامهم وكبرائهم وحدتهم تيسر لها امتداد المستعمرات واتساعها وطول
بقائها ثابتة بدون كثرة مصاريف فان الهند الذى هو أعظم المستعمرات وفيه من
السكان ما ينيف عن مائة وستين مليونا انما تضبطه دولة الانكليز بعشرين ألف
عسكرى انكليزى فقط وان كانت حكومة الهند لها نحو المائتى الف من العساكر
تحت السلاح لكنهم كلهم من الاهالى ماعدا العشرين الفا المذكورة وذلك ما خلا
ما للملوك والامراء المستقلين بالادارة فى الهند من العساكر والقوات وما ذاك الا لمجاراة
الاهالى بما لا ينفرهم مع اجراء العدل فيهم والزام امرائهم وملوكهم بذلك وحريتهم فى سائر
أطوارهم حتى انها تنظم لهم شعائرهم الدينية كما ينظموها التى أنفسهم فالمسلمون مثلا

تعلق لهم المدافع فى أعيادهم ومنعهم من الاشتغال فى المواسم وتعزف الموسيقى
العسكرية فى أعيادهم وكذلك تعمل مع المجوس وتصرف على الجميع أموالا باهظة فى
المعابد وأهل الديانة من دخل الهند فى عيد الناجور الكوكوفى نهر الهند يحضر
أهل الامر والحكم من الانكليز ويأخذون ذلك المجور من أيدى الكهنة بالقوة فى
انهو رمه الاهالى (وحينئذ) تنشر الرايات وتطلق المدافع من الابراج والسفن هذا
فالبلاد التى تحت ادارتها بخلاف البلاد المستقلة بالادارة فالاهالى يوازنون بينها
فانهم من حالة الاستقلال وما هم عليه من المدافع التى لم تمكن حاصلة اليهم مع موازنة
المشقات والاهوال الخاصة لهم من علان الثورة لان الانكليز أيضا قساة وقلوبهم فظة
غليظة عند الثورة يضربون بالمدافع التى تتشرم منها جلود السامعين ويقول القائل أين
التمدن ورحمة الانسانية والشفقة التى لم يتحققوا بالتنوير بها وما هى الا سواد على
بياض يأمرون بها غيرهم ولا يرون من أنفسهم ما يعاملونه من الغدر باغراء أقسام
الاهالى للانقسام وبذل الاموال العظيمة فى ذلك فاذا حصل الانقسام وقع الانتقام من
الكل على التدريج وربما حصل من بعض الاقسام المعاصر أشد مما يحصل من نفس
الانكليز ولذلك أثرت هذه الى المشهورات السكون والرضى بما هم عليه مستمتعين
بثمرة ذلك بقدر الامكان بل ان بعضهم مكنتهم دولة الانكليز من الاستقلال وأعانت لهم
بذلك ورضواهم قبوله خوفا من تسلط غيرها عليهم أصلا وربما بما علموه التساهل بما
لم يعاملهم به الانكليز بوزن ما وقع فى جهة من استراليا منذ نحو خمس سنين ومع
ما مر فقل ما يعلم وقت عن حدوث ثورة فى احدى الجهات من المشهورات المذكورة
وفى الاغلب بعد حصول الراحة بالقوة أو باللين وهو الاغلب تريح الدولة البواعث على
الثورة حتى تعود المصافاة مع الاهالى على وجه كأنه راسخ واثق قلما أن الامر هو ابا على
لا ... أنها لا تستعمل القوة الا بعد اضمحلال حدود اللين حتى انها فى نفس خروج جامع
الثائرين لا توجه عليهم قوة كبيرة من أول وهلة بل ترسل مقدارا غير كاف لاخماد نار
اذا كانت مقصورة بهيجان قوى وكثير أمانه تكسر قوتها أولا وثانيا وثالثا لكثرة الانكص
على عقبها الا بعد بلوغ ربها ما بعد الومة تحرب على الصوالح بالرفق مع تزييد القوة شيئا
فشيئا الى أن تغلب أو يوقع الصلح على ما يرضيه ويرضى به الثائر على نوع ما كان ذلك
لعدم وجود قوة عسكرية تحت السلاح ولا حاصرة للعدوى متى أرادت الدولة لما مر من
ان الانكليز لا يدخلون العساكر الا بالرضى وليس لهم الا بعد حفظ الراحة فاذا ثارت

مع لزوم الدولة احضار العساكر برضاهم وذلك لا يتأتى عادة الا بمثل ما يأتي للدول المرتبة
العساكر وايضا بعد حضورهم تلزمهم مدة التدريب ثم ان العساكر عندهم تلزمهم
المصاريف اكثر من عساكر بقية الدول لان من قانونهم ان العسكري لا يخدم شيئا سوى
الحركات الحربية فيلزمهم من الخدمة وحمل الاثقال ما هو اضعاف عددهم ولا يخفى ما في
ذلك من المصاريف والكلفة لحوطة الى الوقت حتى ان عساكرها الذين وجهتهم على
الحبشة منذ نحو عشرين سنة لزمها أن تعمر لهم طريقا حديدية وقنوات لجلب المياه كلها
موقتة وكان خادم العسكر يضاهي عدد العساكر وهكذا دأبها في حروبها وبناء على
اتساع المستعمرات وتفرقها وبعدها عن مركز الدولة وكون الطرق البحرية مع ان
نفس مركز المملكة جزيرة لزم أن تكون دولة الانكليز هي اقوى دولة في البحر من حيث
السفن الحربية ومن حيث كثرة السفن التجارية ووجود البحارة والعارفين بفن البحر
﴿مطلب في السياسة الخارجية للانكليز﴾ اعلم ان ما تقدم من الاحوال العامة
في الخارجية للدول الطبيعية مما تقدم ذكره في ايطاليا وفرانسا وهو ايضا جار
في انكلاتيره من وجود الجمعيات والمراقبة لجهات المانع الخ فالذي يخص انكلاتيره
هنا هو بيان علاقات اهتمامها في الخارج وحيث قد تقدم ان لها مستعمرات في جميع
أقسام الكرة المعروفة كانت عنايتها في الخارج اوسع من غيرها من بقية دول اوروبا
لكن ليست الجهات كلها سواء في ذلك بل هي متدرجة ففي أوروبا ليس لها من النفوذ
في داخلية دولها ما في سواها سواء كانت الدول كبيرة او صغيرة لابتناء اداراتهم على قواعد
راسخة مسلمة بين جميعهم مقررة بمعاهدات وان ترى ما كما لانكلاتيره دائما في برلين
قاعدة الا نادرا في موناكو التي هي دولة مستقلة في بلدة محاطة بايطاليا عدد سكانها نحو
أربعة آلاف نسمة ولكن في تلك الدولة احكام من رعية الانكليز وانما
نواب الدولة يراقبون لاحوال السياسية لا لاحكام الشخصية ثم لدولة الانكليز زيادة
اعتبار في خصوص مملكة البلجيك بما تضمنته معاهدة سنة ١٨١٥ من استقلال
هاته المملكة عند سقوط نابليون الاول وجعلها تحت حماية كبار الدول غير ان المراقب
لتلك الحماية هي دولة الانكليز فهذا هو سر زيادة اعتبارها هنالك ومثل ذلك حاصل
في دولة البرتغال لما تسبب عن حروب سلفها مع اسبانيا وفرانسا (واما) بقية الدول فلا
فضل عندهم لانكلاتيره على موناكو في احوالهم سوى ما تجر اليه السياسة الآتي
ايضاحها (واما) امريكا فهي ايضا على ذلك المنوال (واما) آسيا وافريقية فعلى وجه

آخر مع دولها من حيثيتين (الاولى) ان المعاهدات القديمة معهم التي ابرمت فيها
الاحوال الحاضرة فاذا لم يعدم تقييد المعاهدات بمدة محدودة فتمر الازمان وتتغير
الحالات وتبقى احكام المعاهدات على ما هي عليه فيلزم منها ان تكون لدولة الانكليز
شبه دولة مستقلة في كل من هذه الممالك بحيث ان رعاياها غير داخلين تحت الاحكام
مثل الاهالي بل يحكم في المخاصمات فيما بينهم وحدهم او بحضورهم او بحضور احد
من سفارتهم مع حاكم البلد وله الاعتراض على الحاكم في الحكم وفي بعض الممالك اذا كان
الحكم في جناية في مادة تتعلق باحدى عمال الانكليز الى غير ذلك مما يقصر معه الاهالي عن الوصول
الى الحق ويحصل منه شبه حكومة مستقلة في وسط المملكة وليس ذلك مختص بالانكليز
بل عام في جميع دول اوروبا مع تلك الممالك وعلة ذلك هو زيادة التظاهر والتعظيم من
احكام البلاد من الدول القوية ذات الغرض في النفوذ في تلك المملكة وفقد ذلك ممن
ليس له قوة او ليس له غرض (والثانية) الحيثية هي ان مستعمرات الانكليزية عدة ان
اهمها هو الهند فكانت منصبة خاصة على كل ما هو من قوتهم فيها بالواسطة او قصدا حتى
صارت تحافظ على الطرق الموصلة اليه فكانت قبل فتح خليج السويس تتوصل اليه
من المحيط الجنوبي وراء افريقية ماسة فاتخذت عدة مراكز في افريقية الغربية
والجنوبية والشرقية مع عدن في آسيا كل ذلك لتكون لها قوات ومراكز تلتجئ اليها عند
الحاجة وبه يعلم ان ثمرة المستعمرات ليست خاصة بالارباح التي اشرنا اليها بل منها ايضا
اهمية المستعمر من جهة كونه مركزا حربيا فقط وذلك مثل جبل الطارق ومثل مالطة
وغير ذلك فبناء على ما شرحناه صارت سياستها الخارجية مع كل الدول القريبة من الهند
والتي هي في طريقه والتي لها مصالح او مطمح نظر اليه على نوع آخر من المشاحنة مع
القوي والتحوز مع الضعيف وتستعمل لذلك كلا من الترغيب والترهيب فالدول التي
لها معهم دائما زيادة محاورات سياسية هي دولة الروسيا من حيث انها امتدت في دواخل
آسيا حتى اقتربت من الافغانستان الذي هو في حدود الهند ومن حيث طموح نظرها
الى الاستيلاء على الممالك العثمانية التي يهمها بقاؤها كما يأتي بعد والدولة الثانية
التي لها معها زيادة عناية سياسية هي الدولة العثمانية وذلك من وجهين (اولهما) انها
لا تريد زيادة عظمتها وقوتها خوفا من امتدادها الى المشرق وارتباط المسلمين هناك
بها حتى بالعجم ومسلمي الهند ويعود الهند لما كان عليه من التعلق بالخلافة
الاسلامية (وثانيهما) تخوف عليها من الضعف المفرط حتى تقتسمها الدول المجاورة لها

فيكون

فيكون ان يحوز منهما الحرافى النفوذ والسطوة التي تخشى منها انكلاتيرا على فقد
قوتها واعتبارها المادى والمعنوى وبناء على هذا صار لها تداخل كلى فى سياسة
الدولة العثمانية الخارجية وحملها على ذلك التداخل مع هيبة الدول الكبيرة السنية
لما لهم من الماس بتلك السياسة سواء كان قصدا وبواسطة واضة لذلك
انكلاتيرا فى حال ملاينة فرنسا لانها دولة بحرية قوية تخشاها وهو لانها اولى لها
بمقاصدها لجمعها بتشابه سياستها على جانبيه تقرب منها الممكن كما تقدم وذلك
تستعمله حتى فى تحريضها الخارج حتى تستعين بكل الوسائل لقطع اسبابه مع التحفظ
على حقوقها كما وقع منها اخيرا سنة ١٢٩٤ من التوسل بالسلطان العثمانى لانه لم
ارسل تابار سالة رسولا الى بلاد انكلاتيرا ويقطع معها المناصفة الداعية
لحرب من عدم قبوله السفير مقيم عنده فى كابل وبعد ذلك ما ابعث عليه واصراه الروسيا ولم
يقبل التوسط حتى وقع فى الحرب كما تقدمت الاشارة اليه فى محله وذلك لبواعث دعاها الى
ملاينة فرنسا كما تقدم فى سياستها الحاضرة خصوصا فى التسليم لها فى السلطة على مصر
ارفى لاقل على مناصفتها اما على انفرادها وحدها فى مصر حتى تمنح الفرصة
لانكلاتيرا فى الانفراد بها حيث كانت الآن هى اقرب الطرق الى الهند بعد فتح خليج
السويس مع ما فى ذات مصر من الاهمية الكبرى وتبين (حينئذ) وجه زيادة شغل
انكلاتيرا باحوال الدولة العثمانية وعلى الخصوص احوال مصر وما يجرها من ذلك
الى تبعية الدول الكبيرة ومع بقية الدول التى تجاورها مصر تجاريها على حسبها فى القوة
والضعف ثم اعلم ان سياسة الانكليز لما كانت مبنية فى التصرف على مذهب الحزبين
الذين مر ذكرهما فى السياسة الداخلية وهما حزب المحافظة وحزب الاطلاق لحرية
كانت تختلف فى الخارج على حسب مقاصد الحزب الذى يتولى ادارة المملكة ويؤثر ذلك
فى السياسة الخارجية ايضا تأثيرا بينا وترى تغير السياسة يتعاقب على توالى الحزبين حتى
يكاد ان لا تثق دولة بالاعتماد على سياسة لانكلاتيرا فى زمن لانها لا تعلم ما يكون من حزب
المحافظة بالاطلاق الاحتراس على ممالكهم ومزيد ثروتهم وتمددهم على معاصديهم واذا
حزب الاطلاق قد جلب افكار العامة اليه فيقصد الى تحسين الادارة وينقض غزل
سابقه ويعدل من عمل عليه وسياسة كل من الحزبين وان لم تكن سياسة دفعة واحدة
السياسة لا آخر حتى لا يتميز لها حال حرب ومودة او نقض صلح ابرم لكنه يسعى بقدر
الطاقة فى ابطال كل ما وجده من عمل غيره حتى يبرهن للخارج على فساد ما سعى فيه

ما فيه من غير ان يثبت عليه شئ هو الذي كان سببا في السداد ولهذا اصار كل من الحزبين
يجهد منفعته في عدم الدخول في حرب موسقوة لكن لا يجد ضده بدا بالتشنيع عليه لان
عاقبة الحرب مع الدول الكبيرة مجهولة وانبنى على هذا وهم دولة الانكليز من سائر الامم
المستقلة انها دولة تجارية اعمالها تبحث على زيادة غنى اهاليها من غير بحث عن الشرف
والجاه الذي للامم الكبيرة القوية وعند دخولي الى انكلاتيرة وجدت رئيس الوزارة
هو رئيس حزب المحافظين وهو اللورد بيكنسفيلد واعطاه ذلك اللقب بعد معاهدة برلين
سنة ١٢٩٥ حيث نجح سعيه في تدبيرها وضمن استيلاءه بتلك المعاهدة
واستولت انكلاتيرة على قبرص وكان هذا الرجل من نسل اليهود لما ترقى في السياسة
غير دينه لدين الدولة حتى يمكن له الترقى للمناصب العالية واشتهر بتاليفه وافكاره
وخطبه حتى صارت له رئاسة حزب المحافظين وولي الوزارة مرارا (واما رئيس حزب
الاحرار) حينئذ فهو مستر كلادستون وليس له لقب شرف لكنه يتساوى بمعارضه
حاز تلك الرتبة وتولى الوزارة مرارا

﴿فصل في بعض عوائد الانكليز وصناعتهم﴾ اعلم ان انكلاتيرة كغيرها من اوروبا
لا يليق للمولى احمد فارس قد اشتغل على تفاصيل في عوائد القوم بمجرد وجوده في غيرها فمن
رام الاطلاع على جزئياتها فليراجع كتابه وغيره انما نذكر في الامر بعض ذلك
(وحاصله) ان اصل الاهالي كانت من قبيلة من قدماء الفرانسيس اختلطت مع قوم
قدماء في الشمال وتناسل منهم هذا الجيل وهم اقوياء بيض البشرة يحمرون الدم ويغلب
فيهم الطول وشقورة الشعر فصارت هيئاتهم جميلة ... متزينة في الاخلاق المرضية فهم
لا يتخطون عن حدود الاستقامة ولا انقياد الى الحكم حتى ان الحكم منهم الحكم العسكري الع
لعدة مئات من الالوف وتكلموا في السياسة وهاجوا واضطربوا ووقع بينهم خلاف
في تلك الجامع احوجت الى الخروج من القول الى الفعل فما هو الا ان صعد حاكم تلك
الصقع على مكان مرتفع ويقول ... باسم الملك امر كل فرد منكم ايها المجتمعون
بالتفرق حالا وان يدخل كل منكم مسكنه او محل صناعته تحت قيد الحكم الصادر في اول
سنة في دولة الملك جورج في قمع الخروج والغوغاء والله يحرس الملك فحينئذ يتفرق
الجمع الا ما ندر ويحتاج الى اعمال القوة من الضابطية والحرس والعساكر بل وعلى كل مار
اعانة الحرس الا اصحاب رتبة اللورد فانهم غير مكلفين بذلك ومن النادر قليلا وجود
حالة مثل تلك بل الافراد الجناة يحضرون للحكم وينقادون الى امر اعوان الحكم بمجرد
القول

المولود في فرص الامتناع يخرج له لمون عصبة على رأسها صورة تاج المثلث فيطلى
رأسه ويثقله وإن لم [illegible] [illegible] عنه [illegible] [illegible] [illegible] مطاعات هنالك
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فتقدم أن عدد السكان نحو
اثنين وثلاثين مليونا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وقليل من السكاوليك ثم اليهود ثم
الدهرية ثم [illegible] أي الذين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والمعمودية [illegible]
[illegible] ويصدقون بالكتب وهم أقرب إلى الإسلام [illegible] بكثرة [illegible] في [illegible]
[illegible] كانوا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على تجميع
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على خمسة أصناف (الأولى) [illegible] [illegible]
تقدم بعضها في [illegible] ومن خاصيتهم أن لا يدخلوا في [illegible] [illegible] إلى تعب
في العموم ويتنزهون [illegible] [illegible] [illegible] يكون كل منهم في [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] ولا [illegible] في [illegible] الأبجرد الذي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
الذي هو [illegible] [illegible] [illegible] وهؤلاء هم أصحاب [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
(الثانية) هم الأعيان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (الثالثة) [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] (الرابعة) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
([illegible]) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
والثلاثة [illegible] كل منها [illegible] [illegible] فوقه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
أنهم على نوع من صفات ملوك [illegible] [illegible] [illegible] والكبرياء [illegible] [illegible] باللعب
واللهو [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من الذهب [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
ونحو ذلك [illegible] [illegible] [illegible] المشرق والمغرب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

كان من طبقته وبينهم مودة أو من يتعطلون عليه بالمعرفة وهي إنما تحصل للغريب
إذا كانت له وصاية من أحد أو بإذن أو لتلك العائلة فقد تعرف به في أحد الولائم
وحينئذ يرى من إكرامهم وتعظيمهم له باشتراكه معهم ويدعوهم عليه ما يقربه
عينا من الرقص والغناء واللعب والمراكب والأكل والشرب والمدائح حتى يكون
لبعض هؤلاء العائلة مراكب خاصة في طريق الحديد يعزمون بها على الزوار يسيرون
بها إلى حيث أرادوا ويولونه أي الصاحب من ملاطفتهم وإكرامهم له بإعطائه قدح
الشاي من يد كبيرتهم ما يكون به على يقين من الصداقة لأن ذلك من غاية الإكرام
وإن لزم الضيف من الغذاء ما هو عنده في غناء عن المحافظة على الآداب والقواعد المعروفة
لديهم كعدم التنوع ولا الحك من بدنه ولا التدخين ومن عجيب أطوارهم فيه
التنفس التام فبعض أنواعهم يكرهون شم أثره على الثياب وبعضهم يدخن كل حال
وإن ترى من واحد من هؤلاء ذوي الملابس أو آلاف الملابس يتكرم بشيء ذي قيمة
ونهاية التوادد بالهدية هي صورته أو ما شاكله مما فيه تواد تتم ألف فرنك
بل كاد أن لا يوجد من يتصدق منهم على الفقراء إلا أن يكون لزاما أو ولو مرأى أحدهم
على فقير يتضوع جوعا لما رأى له من داع إلى رحمته حيث إنه يعلم أنه يعطى سنويا
إلى ديار الفقراء دارا من المال والإحسان يكون ذلك الفقير لدى رآه في حالة جوع
من البرد أو الحر أو الجوع بما يمكن له الوصول إلى تلك الدار أو أنه لم يكن فيها سعة
لقبوله وأقول إن هذه الحالة كادت أن تكون عامة في أوروبا لا في الإسلام فإنهم يجرون
على حسب مكارم الأخلاق وأما أطوار العامة السفلى فهي أشنع ما في جميع
الفرنسيس سواء كان من جهة الاعتقاد أو من جهة السيرة والحركات فيتطيرون
من أشياء كادت أن لا تحصى وينقادون إلى الشعوذة والدجالين بما يخرج عن
حد المعقول وكاد أنه لم يكن عندهم مجهول الاسم فيلاعب المعنى سوى ما يرسمان
لهم القسوس في الكنائس ومن هذا القبيل اعتقاد عامة أهل إرلانده أن تقطع
الجبالات من جزيرتهم بسبب قسيس مع أنه أفقدها الثلج والبرد مع عدم الاتصال بالقارة
حتى يحصنوا بيرها ولهم في ذلك خرافات ومحصل أن صعوبة الاتصال على الأجبال هي
السكون وارتياده وأغاني عن العرب الأواسط في التعرف حتى لو التقى بين أطوارهم
سنين لا يكاد أن يقول له واحد منهم كما أن من طبعهم الإقبال على الشغل
والجد فيه وعدم الإيمان بالقدر حتى إذا يئس أحدهم من أمل قتل نفسه فكثيرا

ما

ما تسمع بذلك وقتل الآباء لاولادهم وكذلك الامهات والعكس ومما يحصل عندهم
من الوقاحة أحيانا مصافحة الاب ابنته والاخ أخته لكنه لم يسمع بمصافحة الابن امه
ومنها أن يبيع الزوج زوجته ان لم يحبها ويمضي لهم الحكم بذلك فالعجب لقوم يعذبون
عن بيع الرقيق في الآفاق ويحكمون بصحة بيع الزوجة بفلس او فلسين لان الطلاق
عندهم له شروط وهي ثبوت الفاحشة من الزوجة لدى الحكم ومن غريب ما وقع في هذا
الصدد ما وقع منذ عهد قريب ونشر في سائر صحفهم وغيرها من ان زوجة أحد اللوردات
ولدت وعندما بشرت بانها ولدت ذكرا قالت من امرح هو ابن ولي العهد وكانت قرابة
زوجها بعمر دنت وثار عجاج النازلة الى ان رفعت لدى مجلس الحكم لكي يستطيع
الرجل طلاقها وادعى وكيلها انها اعتراها جنون من النفاس حتى صارت تقول ما لا أصل
له وادعى وكيل الزوج ان المخالطة حاصلة من قبل مع ولي العهد وكانوا يتزاورون
ويتنزهون معا وقضى الحال باستدعاء الشهود ومنهم ولي العهد وعند حضورهم في
المجلس الذي هو عام وحاضر فيه كتاب الاخبار وغيرهم قال القاضي ما انه ينبغي ان
لا يسأل الانسان عما يستحي او يشين العرض وينبغي للشاهد ان لا يجيب اذا سئل عما
يشين عرضه ثم دعي بولي العهد وسأله عن معرفة المرأة فاجاب بمعرفتها ثم سئل عن
اجتماعه بها فاجاب الى ان قال انهما اجتمعا في منزل من المنزهات للطعام فشربا واكلا
وبقيا جملة مدة لا بكل في محل خاص ثم رجع كل منهما الى محله بعد قضاء النزهة فقال
له القاضي لدى بهم عاصمة ما سألتك هل واقعتها بالزناء عند الخلوة فرفع ولي العهد
صوته قائلا لا فضج المجلس له بالتصديق وحكم القاضي ببراءة المرأة وبقاء زوجيتها وكثيرا
من الاعيان يتحاشون عن بيع الزوجات الكائنة ثم في السوقة وصحفهم تنشر منه شيئا كثيرا
ومن عاداتهم الاحكام وهو انه كلما عرض لاحدهم حق على صاحبه لا تبادر بضرب جمع
الكف وعندما يغلب أحدهما كثيرا يصافح صاحبه ويتراضيا ولا حكم في ذلك
ولا يحصل هذا بين الاعيان وانما يتعارضون عنه بالمقاتلة كما هو جار في الممالك الاخرى
من أوربا وهي امداد الشدة لبعض بين اثنين على شرط التكافئ في العرض يرمي احدهما
صاحبه بمبارزة أو شيء من متاعه ثم يرسل له شاهدين يطلب منه التقاتل فيعين الآخر
شاهدين ويتفق الشهود على آلة القتال ومكانه وزمانه بعد اعمال وجوه التراضي
واسقاط الطلب فان لم يجد أحضروا طبيبا وحضر المتقاتلان والشهود والطبيب وتقاتلوا
على الصفة المتفق بها فاما ان يموت أحدهما او يسلما او يحصل عطب فيه الحاجة للطبيب

ويتوصل لامرها ان يصحب احدهم [illegible] الى امام الناس وصـ[illegible] وقد [illegible] صاحبه
مهما الاقاه ان يهينه [illegible] وهذه [illegible] ولم يكن [illegible] بالاحكام لكن الحكومات
تغض النظر عنه [illegible] لا تعترض [illegible] وان صاحب [illegible] شرفه بالشكاية [illegible] حكم له
لكنهم ان [illegible] فيما [illegible] [illegible] من [illegible]
لان الحكومات [illegible] لدفع [illegible] والمهم [illegible] اعراض الشخصية المضرة [illegible]
فهم [illegible] في اوروبا [illegible] من ازدياده [illegible] من عادة الانكليز
التطير بان [illegible] كثرة [illegible] صبح المرأة [illegible] مالم تتكلم [illegible] من اهل العام لاسيما في
عامتهم [illegible] الانكليز واصحاب الحدثان [illegible] من اعمارهم حتى يقولون
انهم [illegible] ازواجهم [illegible] الطلاق [illegible] المرأة اربعة اولاد
في بطن واحد [illegible] الحال عندهم [illegible] دون [illegible] لادهم [illegible]
الالوف [illegible] الى الآن [illegible] ل لكن [illegible] فعددهم في مملكتهم
لا [illegible] ذلك في [illegible] كانت [illegible]
المملكة [illegible] سنة ١٨٥ لا يصل الى سبعة
عشر مليونا [illegible] وسنة ١٨٨٢ اعني في [illegible] صار عددهم [illegible]
ثلاثة وعشرين مليونا [illegible] واحد ملايين او تزيد [illegible] الى [illegible]
[illegible] من ذلك العدد [illegible] في [illegible] على يوم
الاحد [illegible] على [illegible] ولم يكن
من [illegible] مع [illegible] ولذلك [illegible]
في ذلك حتى [illegible] علم احد [illegible]
[illegible] في [illegible] وهو
يوم الاحد [illegible] الكنيسة [illegible]
الكنيسة [illegible] الوزير [illegible] بان [illegible] الى
القسيس في [illegible] يوم الاحد [illegible] صبيحة يوم الاثنين ولو في
الساعة الثانية قبل [illegible] له اوراقه [illegible] من [illegible]
الاشغال [illegible] تتردد على الجلد ولهم
[illegible] في ذلك وقد [illegible] القسيس وكثيرا ما يحصل [illegible]
من عليه في [illegible] او تبركه او [illegible] ان اخلاق الانكليز [illegible] ولا [illegible]
بالاجنبي

بالاحتذى مثل ما يقع من الفرنسيس غير أنهم ما داموا أحدهم أحد ما يسمعه من عيالهم فانه
يخاف عقوبته ويندم على ذلك لانهم يحمون ذمار وطنهم ولوع الجيل وتربيتهم وتنبيهها
وغناءهم بانفة لا طلبة لذواهر السياسة دون لقطع أصواتهم وحصرها ومع فية امهات
هم مثل امثال من تقدم ذكره من الممالك ثم يوجد في انكلاتيرا نوع من البشر يسمون
عند أهل تونس بالزمارية وفي الاصطلاح كالة وبالفرنساوي بابوهيمية وهم في
الحقيقة يوجدون في اغلب الامم لا شغل لهم وفي كل جهة معتادون على عوائدهم
وأهمها التجول وعدم اتخاذ الصنائع وتعاطي علم الغيب وسكنى الخيام وتعاطي
السرقة مع التحفظ الى الغاية مع الفقر وطمع لنفقتهم ومن عادات أواسط الانكليز
وعامتهم حسن تربية لاولادهم بحيث ينشؤن على التهذيب والميل الى التعليم من
صغرهم حتى انهم كثير ما يتعلمون الحروف ومبادئ القراءة بمجرد التربية في ايدي
الام او المربية للصغير مع الصداقة والابتعاد عن الاخلاق الذميمة وكل اوربا على هذا
الاسلوب لهم في عادة من التعليم الحسن

(مطلب في التجارة بانكلاتيرا) اعلم ان الاصول التجارية التي مر ذكرها في الممالك
السابقة هي جارية كذلك في انكلاتيرا لكن هؤلاء بلغوا مبلغا عجيبا عن سائر الممالك
بما يروح من تجارتهم في مستعمراتهم وبرهم حتى احصى سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م
ملك الانكليز من المنقولات التي لهم حاصلة من مكاسب الحديد ودون الدول وغيرها
فكان ستة وثمانين [illegible] مليار فرنك و [illegible] مليار الف مليون ودخل ذلك في السنة
مليارات [illegible] (١) فرنك [illegible]
من خارج المملكة وذلك كاف في بيان مقدار غنى هؤلاء القوم وحركة تجارتهم فان
مراكبهم تصل الى جميع جهات المسكونة ويوجد ما به للبحر اعظم المدافع الخارجة
من مملكتهم هو الفحم الحجري فقد أخرج من مقاطعه سنة ١٨٦٦ ما يزيد على ألف
مليون قنطارا والمقاطع الموجودة في انكلاتيرا منها فحم ثلاثة آلاف ومائتين
واحدى وثلاثون مقطعا [illegible] عظيم الاثر وذلك من حيث انه يخرج منه للخارج واستعماله
في الداخل ومن حيث توقف اشغال [illegible] عليه لكثرة اعمال المعامل بالبخار ولذلك
اشتغلت افكارهم به حتى انه كان كثير من اهل الاقتصاد عندهم يبحثون في احوال فراغ
ذلك المعدن وما يتسبب عنه من الريبة للانكليز وفي سنة ١٢٨٨ هـ ١٨٧٠ م اشتد
البحث في هذا الامر وعينت الدولة لجنة لتحقيق الامر وبعد مدة واضحت استقرار رأيهم على

انه يمكن بقاء هذا المعدن عندهم الى مدة ثلاثمائة وخمسين سنة ثم يفرغ نظرا لكمية
ما يستخرج منه سنويا ونظرا لصعوبة استخراجه من سافل طبقات الارض وكثرة
المصاريف عليه حينئذ ومن ثلاث السنة ارتفع ثمنه نظرا للاقتصاد في استخراجه ولا زال
ايضا مما يوجد بهم من الحديد او يوجد في مصانعهم ومن موارد تجارتهم
الواسعة ايضا ما يخرج منهم من الجلد واقمشة الجلوب لهم الحبوب لان ما يخرج منها
عندهم غير كاف لهم ويوجد في اوروبا الانكليز الغنى الذي لا يوجد في غيرهم كما يوجد فيهم
الفقر المدقع بكثرته وقد ابتدعت في خصوص لندره شركات التجارة وازاء ربعة ٢١٢٥
شركة أفلس منها ٤١٢ شركة رأس مالها ١٠٠٠٠ ليرة ونيف وذلك في خصوص سنة
واحدة وهي سنة ١٨٨١

(مطلب في الاحكام بانكلتيره) قدمت اصول الاحكام الشخصية عندهم في مبحث
السياسة الداخلية وعدا قولها هنا ان قضاة الانكليز يضرب بهم المثل في اوروبا في العفة
وعدم الميل الى الاغراض ووفق منهجات دولتهم وهناك مدن يقيم فيها القاضي ومدن
تذهب اليها القضاة في اوقات معلومة من السنة وتعرض عليهم الدعاوى المهيأة لهم من
حكام الجهات والاحكام الاخيرة انما تصدر من القضاة بمحضر الجوري وقد تقدم
الكلام عليه عبارة عن جوري الانكليز تختص بانه على قسمين فالاحكام الجنائية جوريها
ينتخب من قسم من وجوههم والحكم منهم اثنا عشر على كل مادة والاحكام الحقيرة جوريها
من السوقة واصحاب الحرف مثل .... جوري الانكليز من رأيه عظيم على نمس
الجوري فان القاضي يرسلهم في محل .... حتى يقع اجماعهم على رأى
واحد من غير ان يأكل او يشرب واذا وجد مع احدهم شيء من مواد المعاش غرم وهذا
من عجائب الاحكام اذ كيف يلزم اتفاق آراء عديدة على قول واحد دائما او يضطرون
على ذلك عوضا ان يكون ذلك وسيلة للعدل ربما كان وسيلة للجور كانهم صاروا
يضمنون تعويض الحكم بالاجمال اشد عن القتل من المنكر وذلك خلاف زيادة
الشركما صرحت به عمومهم انصفة وكذلك صاروا لا يحكمون بحبس المدين وانما على
الدائن اثبات ماله والحكم يوصله به ومن احكامهم المبنية على العادات القديمة
تعريفهم للوالي في وعده من المعذرة الى ان يموت وهو من اشد الشناعات عندهم ومع
ذلك فهو ماش في كثير منهم مراعاة العادة كما جرى به وقد وقع عندهم منذ عهد قريب
ان احد الاهالي وجد فيه لاعبات جميلات جدا فدعاهن مترفوهم واحتفلوا بهن وبعد
مدة

مدة مديدة اكتشفت الحرس على أنهن في الواقع غلمان شددن أنفسهن عن حالهم ووجدوا حكم الاطباء انهم معمول بهم كثيرا لكن حكمهم أشد حكم ولتتبع الجزئيات لكي لا يقع الافتضاح لدى العامة وقد انتهى الى عدم حصر احكامهم في مرجع واحد طول مدة الحكم وكثرة امارات [illegible] عليها ربما يوجد من الطول ربما التي تصول بها الدوائر جدا ومن أحكامهم اباحة الزنى بالتراضي مثل ما تقدم لكن يمكن ان يقال ان نساءهم اعف من غيرهن في الممالك الاخرى وذلك لاوساط الناس على ذلك النحو بما عدا هؤلاء ولازدحامهن تعرضا للأماثل بل وربما فضت هي الرجل

(مطلب في المعارف بانكلاتيره) لا جرم ان امتداد الثروة يقتضي على كل من الدول والأمم على قدر ارتقائها لان نمو الثروة وما تقدم من احوال حال ثروتهم يدل على حالة المعارف عندهم وأصول المعارف هي الموجودة من هاتين المملكتين السابقة فتقدم تعليمها الى التقاسيم الموجودة في مراتب وأعظم المدن التي توجد بها المكاتب الموجبة للارتحال لاقامة التلامذة بمدارسها هي مدينة كمبريج واكسفورد وأكثر أبناء الاغنياء يقصدون هاته المدارس ولهذا كان كل من المدينتين عالي الاسعار اذ اغلب التلامذة يقضون أوقاتهم في الملاهي والتفاخر ولو تيسر لهم التعلم وقل ما يبرع ابناء الاغنياء في العلوم لكن على كل حال لا يوجد فيهم الجهل المطلق ومما اختصت به انكلاتيره وجود جمعية بابية التشريق منهم مرتبة ثم انفاق النفقات الباهظة على ارسال الرجال لتنصير الناس في أقسام الارض [illegible] فيغرون الناس بالمال وبالمباحثات الدينية وفتح المدارس لتعليم العلوم ودرس العقائد فيها وقد بذلوا [illegible] في الهند لتبديل عقائد أهله [illegible] مع المسلمين مباحثات [illegible] وكان الانتصار فيها ولله الحمد للمسلمين حتى انه اسلم [illegible] كثير من الجيوش بل في هاته المدة [illegible] أربعة قسوس من الذين قصدوا الاقناع والجدل بسبب صدق الديانة الاسلامية ورسوخ علمائها هنالك وتبحرهم في العلوم ثم ان أسباب تيسير نشر المعارف في انكلاتيره كثرة سهولة المتناولة فقد حرر وافي سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م انه يوجد بلندره وحدها ٨٧١ مطبعة و ١٦ معملا لصنع المكابس التي تستعملها الايدي فضلا عن معامل مكابس البخار (وتسعة) معامل لآلات اعضاء الحروف و ٢٢ معملا لصنع مكابس المطابع الحجرية و ٢٣ معملا لسبك الاحرف بلوازمها وكل مدينة فيها من المطابع والمكاتب

ما يناسبها وعدد المكتبات التي بانكلاترة ٢٠٠ مكتبة فيها من الكتب المطبوعة
٢٨٧١٤٨٣ ومن الكتب التي بالخط ٢٦٠٠٠ وأعظم هذه المكاتب مكتبة لندرة
الكبرى وهي ثانية المكتبة الأهلية في باريس ومن أهم وسائط المعارف و[illegible] والجريدة
عندهم الصحف الخبرية وهي على أنواع في الموضوع فمنها الخاص ببعض فنون علمية
كالطب والكيمياء وغيرهما والبعض عام في الفنون والبعض جامع للسياسة والفنون
والتجارة وأهم صحف هذا النوع صحيفة التيمس وكان أول انتشارها عن كانون
ثاني سنة ١٢٠٣ هـ ١٧٨٨ م وكانت أولا [illegible] ثم صارت أعظم [illegible] الانكليزية ولم
يزل يتزايد انتشارها حتى صار [illegible] يطبع منها ستين ألف نسخة في الساعة
الواحدة تطبعها الماكينة التي تحرك بالبخار ثمان صفحات أو اثنتي عشرة صحيفة الورق
الذي تطبع عليه [illegible] الآلة [illegible]
وطول كل قطعة من الكاغد قدر ثلاثة أميال انكليزية ويوضع فيها من تلك
القطع من الثلاثين إلى الأربعين في اليوم فتحدث الورقات [illegible] بعضها [illegible] مسافة
مائة وعشرين ميلا [illegible] طبعه [illegible]
الأخبار ولها [illegible]
والصحف [illegible] ورئيس المنشئين [illegible] على
المنشئين [illegible] بالمرتبات [illegible] في [illegible] موضوع [illegible]
فإنه يعطي صاحبها أجرا [illegible] في [illegible] الواحدة له في [illegible]
الأقطار [illegible] مرتبات وفرنا ولهم أعوان وكتاب [illegible]
ولهم [illegible] في صرف [illegible] الأخبار [illegible]
[illegible] يرسلون [illegible] على [illegible]
بل ويرشون من يرتشي من [illegible] في [illegible] الأخبار السرية وقد حصل في
بعض الدول [illegible] قبل وصولها [illegible] يرشون [illegible]
وهؤلاء الكاتبون [illegible]
وعند وقوع حرب [illegible] يرسلون [illegible] إلى ميادين الحرب في
المعسكرين حتى [illegible] وسائط [illegible] الحرب [illegible]
عليهم أن [illegible] الأخبار [illegible] الخبر
و [illegible] هؤلاء الكاتبين من الأخطار [illegible] معلوم في الحرب [illegible] عن موقع
الرمي

الرمى وكثيرا ما يكونون بقرب رئيس العسكر ومن المعلوم ان لا يخطر احدهم بذلك الا لكثرة المال فادارة التيمس لها من الدخل والخرج السنوى ما يضاهى دولة من الدول الثانوية مع ان كل نسخة منه لا تباع الا بثلاثة صانتيما اى ثلاثين من مائة من الفرنك الواحد ولو اشترى الورق وحده ابيض لكان اعلى من ذلك لان ورقه هو من معمل خاص به فالربح العظيم انما هو من كثرة الخرج مع كثرة الاعلانات وعدد نسخ كل دفعة نحو من السبعين الف نسخة وعلى نحو منه فى اصول الادارة صحف اوروبا الشهيرة كلها

«مطلب فى الصناعة فى انكلتيره» ما الفلاحة فهى متوسطة الغاية واكثر ما يستنبت هو القمح والشعير والبطاطس وشجرة الدينار التى تستعمل منه الكركة اى البيرة وكل المستنبتات لا تكفى حاجة الاهالى فيجلبون من الخارج كثيرا الاحجرة الديمار وبقية الصنائع فاعظمها عمل آلات الحديد بانواعها والنحاس والمنسوجات القطنية ولهم فيها مهارة على سائر الملل حتى صارت ارخص عندهم من غيرهم ثم المنسوجات الصوفية لاسيما المستخرجة من صوف غنم الريف والمنسوجة من الحرير وبقية الصنائع هى دون ما ذكرناه فى الحسن والرواق لكن جميع مصنوعاتهم متينة

«مطلب فى هيئة المساكن فى انكلتيره» المساكن فى انكلتيره على خلاف الممالك المتقدم ذكرها فان هيئة البيوت خارج على نحو ما فى الاستانة من خروج جهات من الدار ودخول اخرى وكذلك الغرف فتح ابوابها الى فوق مع كونها غير كبيرة مثل ما فى بقية اوروبا وكذلك الديار كل منها يسكنها عائلة واحدة ولا تزيد طبقاتها على ثلاث والبناء كله من الآجر والسقوف والدرج من خشب متقن الصنعة والالصاق بينه ومن احسن ما عندهم هيئة الكنف واتساعها ونظافتها وان كانوا يعاملون عليها بالوساخة اما تقدم فى الابنية هو الة الصعود الى منزل بقية الديار كما فى الممالك السابقة ثم ان منازل المسافرين هى ايضا مثل الممالك السابقة غير ان اكثر الواردين انما يسكنون فى ديار منفردة بحيث الانسان حاضرة بجميع لوازمها وينفق فى اكلها على حسب ارادته والذى يقوم له بلوازمه هو صاحب المحل ويسأله عن مقدار ما يريد ان يصرف يوميا وعن ابان الوقت اكله وما هو مشتهاه ويصرف له على نحو ما يريد ويخدمه خوادم المحل الذين هم فى الاغلب من البنات الجميلات ومن اراد كراء بيت واحد فله ذلك وهذا الطريق ارفق بكثير من السكنى فى منازل المسافرين لانها فى انكلتيره غالية جدا كانها

معدة لارباب الحرف خاصة ثم ان حارات السكك لا تخلو من بيت للماء او غيره من
اللوازم الى ذلك من عيب المسكن عندهم والطرق التي بها الاسواق وحوانيت الباعة
لا تسكن الا للاراذل بحيث يصح ان يقال ان عاداتهم في المسكن قريبة كثير من عادات
المصريين في انهم [illegible] ثلاث [illegible] من الطرق [illegible] في [illegible] الديار
تنظيمها كل على قدرته اما الفرش والاثاث فهو على نحو ما تقدم في الممالك السابقة
من اوربا وموائد الانكليز في البيوت اتقن من غيرهم [illegible] تضاهي [illegible]
المستقلة [illegible] كانت ان تكون كلها من الآجر
[illegible] (اما الطرق) في انكلاتره فهي
دون غيرها من ممالك اوربا المتمدنة [illegible]
حتى اني رأيت في ذلك [illegible] لا [illegible] واحدة لا تكاد [illegible]
كثيرا ما فيها من الوحل [illegible] (وهكذا) سائر الطرقات كثيرة
الوحل [illegible]
تبليط الطرق بقطع الخشب لانها [illegible] (واما تنوير الطرق) فهو على نحو ما في سائر اوربا
لكن القرى الصغيرة في بلاد [illegible]
[illegible]
فارس في [illegible]
الحديد [illegible] من الابنية [illegible]
[illegible] سائر اوربا [illegible]
[illegible] والحكم [illegible]
[illegible] الى [illegible] الشديدة [illegible]
[illegible] اعلى [illegible] والبرد [illegible]
[illegible] في وقت معلوم [illegible] في البستان [illegible]
لكنه يجمع من الكلام [illegible]
واذا مرض [illegible] والدواء [illegible]

(واما في اللبس) فان كثيرا من [illegible] اللبس الانكليزي [illegible] لبس الفرنساويين بل
والشابات المترفات [illegible] الفرنساويات وهم يؤثرون مصنوعات
الفرنساويين عن مصنوعاتهم في اللبس ولبس العساكر احسن من لبس عساكر غيرهم

نظافة وشكلا وإن كان على نحو واحد ولما كانت الأبخرة والدخان والضباب
في انكلاتيرة تتكاثر جدا كانت الثياب البيض كالقمصان تحتاج إلى التغيير بكثرة
محافظة على النظافة فاحتاجوا إلى جعل رقبة القميص ورؤس يديه وصدره منفصلة عن
القميص وتمسك به بواسطة زراير حتى لا يلزم تغيير جميع القميص بل يجردونه مع ما يظهر
منه عدة مرار في اليوم وهذا وإن كان موجودا في فرنسا إلا أنه على الدوام عند أواسط
الناس لكن لدى خدمة الانكلاتيرة جعل تلك القطع من ورق تخين أبيض
صنعة وجلد يخيطونه وإن كان لا يصلح لا بد من ابتياعه جديدة أرفق من غسل الكتان مع
دوامه يحتاج إليه من كثرة غسل الصابون انتهى والملابس بالحديد المحمى
(وصاب في الأكل في الانكلاتيرة) الانكليز أكثر أكلا من غيرهم حتى ان المقل
منهم أحدهم يأكل أربع مرات في اليوم صباحا وقبل الظهر وفي الساعة السادسة بعد
الظهر وقبل النوم ولا يشتهي المبالغة في المطبوخ ومنهم من يأكل ثمان مرات
في اليوم وأكلهم على العموم بسيط لحم مشوي بصلصة ولحم خالص مقلي أو مشوي أو مسلوق
وبطاطس مسلوقة في الماء ليس الأوائل يمنعون في أطعمتهم شيئا من التوابل بل يأتون
بها في أواني أمام الآكل يأخذ منها ما يشتهون طبعا بل حتى الملح كذلك عند بعضهم ومن
هاته التوابل الحريفة كثيرا كالفلفل وغيره مما يشتمل الخردل يأتون إلى موائدهم
بقطع كبيرة من اللحم وهو لذيذ جدا إنه كان لحم البقر يأتون به قطعا كبيرة جدا
بحيث يأتون بها على قدرة صغيرة كل قطعة واحدة كما أنهم أكثر أكلا للحم من غيرهم
ممن رأيت الفرنساويون منهم والطعام الشهير لهم يأتون بطاطس وفرنساويين وقد
رأيت بعض الطعام بالندرة (أرمعا) لأكل الانكليز (ووصيا) لأكل المشرقيين
(وقيما) لأكل الفرنساويين ويختار الآكل الجهة التي يريدها ولكن لا يمكن الاستطاعة
أكلهم لوحدة الأعيان كثرة الغش في المأكولات بحيث لا تكاد تجد خبزا من دقيق
الحنطة حقيقة بل هو فيه أنواع شتى تركب باتقان حتى لا يفرق بينها وبين الأصل لا
بعمليات كيماوية وكذلك الزبدة فإنها الأشحم حيوانات تركب مع أجزاء بأعمال
كيماوية حتى تصير مثل الزبدة (وهكذا) سائر الأشياء إلا اللحم وقد ذكر في كشف عجبا
ما يتعجب منه من خلط المأكولات وغشها وحول العموم بأنواع الطبيخ وهم كثيرو الشرب
للمسكرات الروحية وكذلك المسكر كما أي البيرة أشده البيرودة الحمر وذلك لأنه حيث
لا ينبت بأرضهم العنب ويخلطون البيرة بورق التبغ حتى تصير شديدة التأثير ويكثرون

منها حتى يغمى عليهم بل ان أيام لا احد ترى النساء والرجال سكرى على الطرق ملقون
ويتفوهون بالفحش وبعضهم احيانا يموت من كثرة السكر وأهل اليسار يشربون
الشاى بكثرة سيما فى العصر ابلا ولا يدعو احد بعضهم اليه و يحلون اشربته ويجعلون
فى أقداح الشرب قطعا من الجبن الحامض أو يخلطونه بشىء من اللبن ويأكلون معه
شيئا من الخبز والزبدة وغير ذلك من المآكل الخفيفة لكنهم لا يضعون فيه العنبر وغيره
مما تصنعه المغاربة والمشارقة وأكثر طبخهم فى الاوانى من حديد لا نحاس لانه اذا لم
يبيض دائما ينشأ منه الصدأ القتال وقد صار اغلب أوروبا يطبخ فى أوانى الحديد
أو النحاس التى يعمل داخلها طلاء بنوع من الخزف بحيث لا يمس النحاس الطعام ومن
عاداتهم فى الاكل أكل اللحم النيئ سيما فى بعض الطيور حتى يصير الطير يكاد يتحرك
من الدود الذى نشأ فيه واذا أدخل الى بيت الاكل زكمت أنوف حتى الكلاب من قبح
نتن رائحته وهم يستلذونه على ذلك مثل ما وان افرنجيين من القواعد الجارية فى عموم
أوروبا ان لحم البقر لا يؤكل الا بعد يوم من ذبحه فى الاقل ومثله الطيور وأحرى ان هذا
يحسن من جهة تليين اللحم وقابليته للهضم ولا سيما فى البلاد الباردة لكن لا يصل
الحد به الى حدوث أدنى رائحة به فان هذا مضر بالصحة فضلا عن استقذاره (أما لحم الغنم)
وما شاكله فيؤكل فى يومه وهو لذيذ لكنهم محرومون من لذة أكل الخروف الصغير
اذ الحكم يمنع ذبح الشاة دون سن العامين لاجل الاقتصاد بكثرة اللحم لان الشاة اذا كبر
جسمها كثرت أضعاف أضعافها وهى صغيرة ثم من أراد ذلك فله ذبح خروف بخصوصه
ويؤدى عليه أداء زائدا للحكومة بحيث لا يوجد الا بالاعتناء

﴿مطلب فى المواكب فى انكلاتيره﴾ المواكب عند الانكليز هى رأس السنة
والاعياد الدينية واجتماعاتها مثل من تقدم فى عيدهم غير انهم عند تتويج الملكة يلبس
الكبراء ذلك الشعر الابيض العارية ويقبلون يدها على ظهر الكف ومنهم من يقعد
عند ذلك على ركبة ورجل وتقبيل يد الملكات جار عندهم أيضا وزوجة الملك
تعامل معاملة الملكة فى ذلك بل وبعض الممالك مثل اسبانيا العساكر فيها يقبلون يد
الملك أيضا ومن المواكب الشهيرة فى لندره يوم دخول صاحب الملك المدينة قاصدا
متوجها الكنيسة مار بولس متشكرا على أمر أو لافتتاح بناء مهم عام فحينئذ
يأتى راكبا الى البلاد ولا يدخل الا من باب تمبل بار وهو فى أول طريق الستى الشهير
فيغلق الباب فى وجهه شيخ المدينة فيتقدم الملك الى ان يصل الباب فيفتح أحد كبراء
أتباعه

أتباعه في بوق ويدق آخر الباب وتقع مخاطبة بينه وبين شيخ المدينة ثم يفتح الشيخ الباب ويقدم للملك سيف البلاد فيأخذه منه ثم يرده عليه ثم يسير الشيخ في ركابه إلى أن يصل إلى مقصده مع الاحتفال التام وكمال الازدحام ومن المواكب المشهورة يوم تولية شيخ المدينة في كل سنة في شهر تشرين ثاني فانه يحصل في الطرق حواجز لمنع مرور العجلات وتنظف الطرق بحيث يخرج الشيخ من قصر كلدهال في موكب حافل ويركب عجلة موشاة ذات قيمة جليلة تجرها أفراس ويركب معه قاضي القضاة والكل باللباس الرسمي ويوضع أمامه آلات الحرث على عجلة مزينة تجره الارض وعلى عجلة أخرى سفينة ذات شرع تجرها ستة أفراس أيضا وتنتشر في الطرق الشرطة وتمشي أمامه وتطوف حول طريقه فرق عديدة منهم بعضها يعزف بآلات الطرب وبعضها ينفخ في أبواق وبعضها يحمل رايات مختلفة الألوان وبعضهم متدرع بالدروع العتيقة وفي موكبه جميع أصحاب الرتب العالية وشيخ المدينة المعزول ويلاقيه في الطريق وزراء الدولة وأعضاء المجالس والمدعوة وسفراء الدول وعند استقراره بقصر الحرس يدعو جميع الاعيان لوليمة فاخرة تشتمل على ٢٦٣٧ صحن مع زينة المائدة بأواني الذهب والفضة ويحمل أمامه صحن به سمك صغير يسمى سمك نهر التيمس ويكون ذلك اليوم يوما مشهودا وذلك الشيخ من أعظم رجال الدولة مع أنه يمكن أن يكون حدادا أو نجارا أو عسكريا على حسب ما ينتخبه مجلس البلدي ويساويه بعد وفاته ومرتبه نحو عشرة آلاف ليرة ولا يستنفع منها لذاته بشيء إذ كلها تصرف في أبهة المنصب ولوازمه

(مطلب في اللغة في انكلاتيره) اللغة الانكليزية مستخرجة متولدة من اللسان الانجلوسكسوني القديم وهي لغة صعبة محلولة النظم تؤدي المعاني كلها بأبدع تركيب وقد اشتهرت جدا في أمريكا والهند حتى صار عدد من يتكلم بها ثمانين مليونا عدا من يعرفها وليس يستعمل هذه اللغة وكتابتها لغة حقيقية لأن أسماء أحرفها تخالف ولا تساعد على إنشاد الشعر والغناء إلا بكلفة كبيرة

﴿مطالب في القوة الحربية والعسكرية والمالية والتجارية﴾

فـرنك	
٠٠٠ ٠٠٠ ٧٥٠ ٢	دخل الدولة الانكليزية عدا حكومة الهند وخرج مثله سنة ١٨٨١ نحو
٠٠ ٠٠٠ ٦٣٠ ١	دخل حكومة الهند والخرج مثله
٠٠٠ ١٦٠ ٠	عساكر برية تحت السلاح
٠٠٠ ٢٥٠ ٠	عساكر الهند تحت السلاح
٠٠٠ ٠٦٥ ٠٦ ٠	عساكر بحرية والبس بهند منها في وقت الحرب في خارج مصر بالاجرة كالترك بدون عدد الهجوم عليها فانهم محاربون
٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ١٠	ثروة التجارة المنحصرة
٥٢٨ ٠٢٠	عدد السفن الشراعية الحاملة للراية الانكليزية
٠٢٧ ٠٠٥	عدد البواخر الحاملة للراية الانكليزية
٢٩٤ ٠٠٧	عدد المعامل ذوات الآلات لنسج المصنوعات في بريطانية
٠٠٠ ٠١٨	امتداد سكك الحديد المفتحات من اركان في سنة واحدة ستة عشر ميلا
٦١ ٠٠٠	عدد الوابور المدرعة العاملة والاحتياطيه
٠٠٠ ٣٦٠	جوم طورنولاته وكل طورنولاته عشرون قنطارا ومدافعها على حساب المدفع الواحد طورنولاته ٣٧

الباب السابع ❁ في جزيرة مالطه

﴿الفصل الاول في سفري اليها﴾

لما رجعت من اوروبا الى تونس في اواسط رمضان سنة ١٢٩٦ وجدت انقلاب الاحوال وتم الاستيلاء من اعدائها عليه وقد شتم ولم تحد لصاحبي الى وزير تونس مصطفى بن اسماعيل بزراته اضطر لى الشر حتى ادى الى بعض الصادقين بعزمه على البطش بي ولو افضى الى القتل متعمدا برهان داخل دراستنا اذ لم احسبه من قصوما علمت عليه من عزمه ووجه ولا التعطيل لهم حسبما سبق لاشارة الى طرف منه في ذيل تسلط فرنسا على تونس وفي اسباب سفري ولم تحدد له الا الاقتراب برأي وطلبت من ذلك الوزير

الوزير كان أعفاني من الوظيفة الاصلية فكانت كتابة [illegible] فطلبت الاذن
بالتوجه الى الحج فمنعني أولا فاستخرت ثم عين لي بعده لانه ولي عهده فاذن لي قائلا
بالاستخارة ووصاني وشايعني لولي عهده [illegible] بما شاء من غبطة الذي ملأ به وزيره
صدره فانفذني الى ثغرهم وأخذت ورقة بجواز وسافرت أواسط شوال من تلك
السنة الى الحج على طريق مالطة بحرا فوصلت اليها بعد سفر بالباخرة البريدية نحوا من يوم
واذا هي جزيرة [illegible] ترى بها حيطان من الحجر مرصوصة منتشرة على تلك الجبال ومرساها
من أعظم مراسي البحر الابيض [illegible] على الجهة الشرقية من
شاطئ بلدة فاليتا التي هي قاعدة الجزيرة وصعدنا الى البلد [illegible] المسافرين
واتفقت مع صاحب المنزل المسمى أوتيل دي باريس على أن يكون [illegible] اليوم [illegible] فيه
عشرة فرنكات [illegible] الاكل [illegible] والسكنى في [illegible] مرتين لانهم يسألون عن
كيفية الاكل [illegible] من كثرة الاكلات [illegible] الى البلاد ولم يطلب [illegible]
الا الاداء على المأكولات وذلك لان السفر [illegible] يلزم [illegible]
ما حضر [illegible] من المأكولات التي تقدم [illegible] التي [illegible]
كنت [illegible] ولم [illegible] باشارة بعض الاحباب [illegible] كثير من [illegible]
الى [illegible] في البلدان [illegible] وكان الامر على ما قالوا [illegible]
والاكل [illegible] لم يكن [illegible] على [illegible] المأكولات
التي تؤدي الى [illegible] حيث كنت لا احتاج الى تلك الاشياء في مالطة
[illegible] الكمرك واخذت فيها [illegible] لا [illegible] الاستراحة
بالمنزل [illegible] بالطبقة السفلى [illegible]
ومعهم بعض [illegible] والطبقة [illegible] من المطبخ [illegible]
العربية [illegible]
[illegible]
الكنيسة [illegible]
[illegible] مع بقية الخدم [illegible]
القصد [illegible] فتعجبت من الامر كيف يكون صاحب تلك
[illegible] ذلك المرتب [illegible] من الاستانة الى طرابلس الغرب مع شدة
الثياب في الهواء [illegible] من مقام عال حتى [illegible] في

الصيت فدل على وجود جم آخر غير الوجه الذي عما يحضر بالمدركة ولله لطيف
حفيظ (وهاته) البلاد أعني بالبنا قاعدة مالطة متصاعدة في جبل حتى ان أغلب طرقها
يصعد فيها بدرج ومن الطرق رحيبة للعجلات أحسنها واحدة من الشمال الى الجنوب
خارق البلد الى طرفيها وبعضه مبلط بالخشب غير ان تقليد البلاد الاوروباوية غالب عليه
لا من جهة الوضع المترتب عن عدم اتساع الاقطار ولا من جهة فرقعة العجلات
المتكاثرة ولا من جهة رخص الاثاث اذ مالطة على خلاف ذلك كله وهي على نوع
البلاد الاوروباوية المتوسطة في التمدن واحسن ما فيها نظافة الطرقات وان كان
أهلها يبولون في الطرقات لكنهم يغسلونها بالماء كل يوم وبها قصر كم
وفيها آثار عتيقة على ... البلاد وليس ... كم لا مدافع من أول نوع اخترع
وهي ورقات من نحاس منصوبة بجبال ثم ما توقف عليه ... بالضرب بدون
كل مدفع غاية أشار ... داخله ... وبه ما في البلاد ليس ... الله كم
غير انها حاوية لا ... ما في المدن الحسنة مما يرجع الى التمدن على نحو ما في أوروبا
ولا ... (أما التحصين) فهي من أول أقسام المراسي ولها ... حصينة
بما حولها من الحصون المعمرة بالمدافع الضخام جدا مع الكثرة وجهاتها ... فوق
أخرى ... على ... من الجبل وهي حصون ... لا ... الحجارة ولو من
أعظم المدافع بحيث يصح ان ... انها لا يمكن لمهاجم ... الواحد ... الا بالحصار
لاحتياجها الى القوت من خارج ... طول مدة الحصار ... في البحر
الابيض ... تجارة من البحر الاسود وغيره ... الحبوب ... في
أهلها ... كما ... على ... واصلاحها ... على كل المواد اللازمة لها ... مرسى ... ومرسى
الشط وهي مرسى الكرنتينة اي مكان اقامة الواردين من البلاد المصابة بالامراض
المتوبية وهي دون الاولى ... على أقسام على وجه يمكن به
الاحتراس من مخالطة السكان ... وهي ... لا باس بها ... خارج
البلد مقبرة اسلامية محوطة بسور ... عند امام الجامع وهو جامع
... والامام ... والقائم بالجميع الدولة العثمانية ... ورود المسافرين الى
هناك ... من المشرق والمغرب ... ذلك لامام الصلاة ... على من ...
... سلوكه ... المدينة كان ... على ... الجامع ... ولله عاقبة
الامور

الامور وعند مروري على حوانيتها وجدت بها أسرة من حديد صغارا جميعة تطوى حتى يصير الواحد فى طول ذراع وعرض شبر مع عدد وافر فى المكان الذى يفرش على ظهره اللحوم عليه فاخذت منها اثنين للرحلة فى البحار وفتشت على مثل صغير يمكن حمله بسهولة لأنى لم أجده هناك ولا وجدت شيأ حتى أنى لا أجده فى غيرها فاكتفيت بثلاث وسافرت منها بعد [illegible] اقامتى بها ثلاثة أيام راكبا باخرة تجارية انكليزية متوجهة الى اسكندرية

الفصل الثانى

﴿ فى التعريف بمالطة ﴾

يسمى هذا الاسم ثلاث جزر واقعة فى البحر الابيض على دقيقة ٤٥ درجة ٣٥ من العرض الشمالى دقيقة ٤٤ درجة ٢٢ من الطول الشرقى الجزيرة الاولى تسمى مالطا وبها خمسة عشر قرية أكبرها مدينتها التى هى القاعدة والجزيرة الثانية تسمى (غودج) بها ستة عشر قرية والجزيرة الثالثة تسمى كمونة وبقربها أخرى تسمى فلفلة وهاتان ليس بهما سكان والعرب تقدم اسم أهل الجزيرتين الاخريين لمالطة بهما واختلف جمهور المؤرخين فى الحاق مالطة هل هى من جبال أوربا أو افريقية ومنهم من جعلها من أوربا بالقرب بالشكل منها (ولكن هيئة) احجارها جبال مصرية غير أن هواءها ليس مثل المصرى فاذا حفت بالشمس تصاب نوعا ما فارضها غير جيدة لكن لشدة العمل والمعالجة صارت صالحة لزرعة كل النباتات التى بالبلاد الحارة (وأما مياهها) فليست بغزيرة وليس بها الكافى وليس بها انهار الا ما يحدث عند المطر السيول وليس بها بحيرة (وأما ينابيعها) فتوجد بها عينان ضعيفتان (احداهما) بالجزيرة الاولى (والثانية) بالثانية ماؤهما عذب مشوب بشيء يسير من الملوحة وأكثر شرب أهلها من ماء المطر المخزون فى الصهاريج والآبار (وأما هواؤها) فهو أميل للحرارة بها من المنطقة الحارة وتحدث بها احيانا جملة أمطار كأفواه القرب مع رعود وبروق هائلة [illegible] بسرعة ويحدث ذلك فى فصل الخريف الا انه يقل فيه [illegible] وأما فى الربيع والشتاء فهو كثير الهواء مضر بالصدر كثير الندى حتى يفسد المأكولات وغيرها [illegible] (وأما نباتها) فينبت بها البقول وهى جيدة والقمح والشعير وغيرهما من الحبوب ويحصل فيها محصول متوسط كما ينبت بها القطن والعنب والرمان والليمون وغير

ذلك من الأشجار التي تتحمل الحر ولا تحتاج الى كثرة الماء ولذلك لم يكن بها غابات وما
ينبت فيها من الشجر لا يرتفع، ويوجد بالارض الاسمر نوع يسمى الخرنوب لدى بكون في
قوس الواحدة منه ممتد غصنه مسافة [illegible] وهو في مالطة لاصق بالارض لا يكاد يبين
(وهكذا) سائر الاشجار ويعظم الصبار جدا (واما حبوباتها) ففيها القمح الجيد كثير
الحمل وبقية الحبوب [illegible] من خارج ويتحف عنها الاقاليم [illegible] المرعى وبها
الحمير بكثرة والبغال والخيل بقلة (أما الحيوانات الوحشية) فليس بها الا الارنب ومنها
نوع الذي يعظم [illegible] السبع [illegible] والطيور الانسية كالحمام بكثرة عندهم ويوجد
بكثرة العصفور الاصفر الحسن الصوت المسمى بالكناري ولو امر به فلا يكاد [illegible] الرحالة
كالحسان (واما المعادن) فليس بها الا الحجر [illegible] عند شاطئ البحر [illegible]
صناعية (واما مدنها) فهي قاعدتها المسماة بفاليتا والمدينة وقرى مجموعها احدى
وثلاثون قرية اهم ما فيها الكنائس (واما مراسيها) فقد تقدم ان بها مرسيين عظيمتين
جدا وما عداهما فمراسي طبيعية حول القرى [illegible] وما شاكلها (واما اهاليها)
فعددهم مائة وخمسون [illegible] كلهم مالطيون وبينهم قليل من الطليان تجارا
ومن الانكليز عسكرا او بعض موظفين ومن العرب افراد تجارا او [illegible] واصل
الاهالي على غالب الظن من بربر تونس [illegible] انهم نصارى على مذهب الكاثوليك ولهم
غلو شديد وانهماك في اعتقاد الخرافات

الفصل * الثالث

{ في تاريخ مالطه }

{مطلب في التاريخ القديم} اول من سكن هاته الجزيرة الفنيقيون وسموها اجاجية
ثم عمرها اليونانيون وسموها ماليتة واشتهرت بذلك من قبل التاريخ المسيحي بسنة ٨٤٤
ولم تزل ولايات المستولين على ايطاليا تتوالى عليها [illegible] للقرطاجنيين ثم رجعت
للرومان ثم الحقت بالدولة الشرقية [illegible] ظلموا الاهالي واشتدت وطأتهم [illegible] استعانوا
بالمسلمين وافتتحها المسلمون [illegible] تونس [illegible] وصقلية في المائة الثالثة
هجرية ولاقوا من اهلها [illegible] وثارت شديدة الى ان تم الاستيلاء عليها [illegible]
الى مالطة المعروف الآن وكان [illegible] من الامم اليوناني السابق وبقيت بأيدي
المسلمين [illegible] ومائتي سنة ثم الحقت بصقلية تحت [illegible] الروماني ثم التحقت بمملكة
النمسا

الشهير الملقبة دولة امبراطورية جرمانيا ثم الحقت بفرانسا ثم بنابلى ثم استولى عليها
نابليون الاول والحقها بفرانسا ثم عند حرب الدولة العثمانية مع فرانسا فى مصر وتحزب
الانكليز مع الدولة العثمانية استولت الانكليز على مالطة

﴿مطلب فى تاريخ مالطة الجديد﴾ لما سار الفرنساويون الى اهل الجزيرة بانتهاك
عوائدهم وكنائسهم ثار عليهم اهلها ثورة شديدة واستنجدوا بالانكليز فاعانوهم وسلموا
الحكم اليهم وكان ذلك فى سنة ١٨٠٠ ولم تزل حكومة الانكليز مستقرة هنا واغلب
الاهالى مائلون اليهم عن طيب نفس

﴿مطلب فى سياسة مالطة الداخلية﴾ الحكومة الانكليزية تعتنى ان الحصون والقشل
بيد عساكر انكليزية والحاكم العام انكليزى مراع للاهالى وعوائدهم حتى انه يتحرى
لهم احيانا ويرسل لهم حاكما على مذهب الكاثوليك من اهالى ارلاندة وقد وقع ذلك مرة
عندما تعرض احد الحكام البروتستانت لعادة لهم فى احد اعيادهم فقامت الحكومة
وعزلته دولة الانكليز حالا ووضعت بدله كاثوليكيا ولا تزال تراعى لهم ذلك وهو عندها
احدى الكبائر التى تربطهم بها وهم بعيدون حتى فى تعصب المذهب البروتستانت
وذلك الحاكم فى وظيفته خمس سنين ثم يبدل بغيره لان تعب الاهالى ابقاءه ثم ان
تصرفه مقيد بشورى عشرة من اعيان المالطيين فى كل ما يعود على مصالحهم وحماية بلادهم
وكل المتوظفين فى السياسة والاحكام هم من اهل مالطة الا الكاتب الاول للحاكم العام
وجميع دخل الحكومة لا تاخذ منه دولة الانكليز ولا دانقا واحدا بل كله يصرف فى
مصالح الاهالى وعساكر الدولة تصرف عليهم من خزينتها الاصلية دخل مالطة والاحكام
الجارية فيها اصول القانون الانكليزى عدا ما يصلح بالاهالى ومطابقا للعادة ثم حتى
ان احترام يوم الاحد الذى يلزم فى انكلتيره غلق جميع الدكاكين فيه لا ترى منه
فى مالطة شيئا فتلخص ان الحكومة شورية قانونية والاحكام الشخصية مفردة من
الادارة العمومية ومع ان الحكومة الانكليزية وحقوقها اهلية غير ان اكثر الواردين من
الانكليز واكثر المتوطنين او غيره متكبرون كبرا عظيما على الاهالى لاحتقار
عاداتهم وبلادهم فاورث ذلك كره جميع الاهالى لهم وان لم يقدر واحد من الانكليز على
ظلم احقر الاهالى

﴿مطلب فى السياسة الخارجية لمالطة﴾ ليس فى مالطة من سياسة خارجية تعتبر
اذ هى لاحقة بانكلتيره واعظم قاعدتها فاستعمل لكل الدول الكبيرة مراعاة لكونها

ماوى متوسط بين المشرق والمغرب فتأوي اليها السفن المارة لكلا الطرفين وليس
لاورشليم الآن فضل من شيء سوى قضاء ما يحتاج اليه اتباع دولهم اذا احتكموا في الادعاء على
الجميع سواء من دون دخل للقنصل فالقناصل أشبه بوكلاء تجارية عندهم فائدة في الاعلام
بالحوادث السياسية ان حصلت هناك وبذلك كانت اغلب القناصل هناك اصحاب
وظائف شرف لا وظائف عمل وكثير منهم لا مرتب له وغالبا يكون من ذوي الثروة فيقيم
بريهم اشارة الحكومة لمن ينسب اليها على باب داره بمجرد اعتراف الافرنج مطلقا وان كانوا
من أهل مالطة أم من غيرهم ملحقين ولوع زائد بحب الفخر فتراهم يتهافتون على نياشين
الافتخار وعلامات الامتياز ولو من دولة سان مارينو التي هي عبارة عن اربعة آلاف
نسمة ليتحلوا بها صدورهم في المواكب او يثبتوا في عراتهم عرات على شكل الوردة
ذات الوان مشيرة الى ما عندهم من علامات الامتياز وقد دخل الزور فيها اي في تلك الوردة
فنال من الزور زيادة المراعاة ولو من جماعة لندره وسماسرة باريس ومن سخافة عقول
بعضهم أن يتخذ تلك الاشارات وسيلة للدخول على النساء حتى تعشقه للزواج أو غيره
بناء على انه من علية الناس وقد نشأ عن هذه الرغبة في النياشين ان بعض الدول صار
لا يعطيها الا بثمن لاجل النيشان الذي هو ازيد من قيمته زيادة على ذلك صار بعض
الدول يعين لمن يرقيه في الخارج عددا مخصوصا من كل طبقة من النيشان ليبيعه
ويتعوض بثمنه عن اخذ مرتب له من دولته وكذلك مرتب اتباع السفارة مع ما يحصل
له من رعيته اذا كان مقيما في مملكة بنوع نيم تداخل الامراء والقناصل في الاحكام

﴿مطلب في بقية عادات المالطيين واحوالهم﴾ لما تقدم لنا الكلام في الممالك
السابقة على بيان اطوار الاوروباويين وعاداتهم فلا داعي الى الاطالة بالاعادة على غير
فائدة لان مالطة قطعة من ملحقات اوروبا واجمال اطوارها انها على العموم مثل اطوار
سكان الطليان والاعيان منهم مثل اعيان اوروبا سوى انهم يزيدون عليهم بكثرة لبس
الخواتم في الاصابع ونساؤهم جميعا اذا خرجن في الطرق يجعلن على رؤوسهن
رداء اسود مدلى جهة اليسار ويمسكن طرفه الايمن باليمين
وكذلك انهم يتكلمون لغة لهم هي الاعرابية محرفة
جدا ومدخول فيها كثير من الالفاظ
والاصطلاحات
الايطالية

الباب الثامن في الاقطار المصرية

الفصل الاول في سفري البحري

بعد أن أقمت بمالطة ثلاثة أيام بانتظار سفر باخرة تولى الاسكندرية حيث لم يكن بينهما
بواخر بريدية تأتي بالبريد اولا الى مالطة او غيرها من جهات المشرق ثم يذهب
الى الاسكندرية ويلزم طول مدة السفر فلذلك أتيت باخرة تجارية من بواخر الانكليز
التي تتوجه الى هناك بكثرة فوجدنا واحدة مشحونة بالفحم تجري اثر انزالها ما نزلت
في مالطة وحملت الباقي الى الاسكندرية والكراء فيها وفي أمثالها أرخص من بواخر
البريد لانه راجع الى الناس من حيث ان أصحابها ليس لهم الا الحمولات التجارية التي هي
موضوع تشغيل السفينة ولم يكن بها الا الصفة العليا والاخرى للركاب وليس بها
المتوسطة وهما مثل طبقات البريد فركبنا الباخرة عند تمام افراغ شحنها فسافرت
من غير تأخير ولكنها لم تسافر الا صباحا بعد الشروق وأسفت من ركوبها لما رأيت بها
من الوسخ سوى داخل البيت الكبير فانه نظيف ومثله حجرات النوم ومن المعلوم أن
الجلوس بعد ذلك متعلق بما مضى من وقت السفر أربع ساعات النوم وغسل ظاهر
الباخرة غسلا محكما فصارت من أنظف البواخر ويحق أن يقال ان بواخر الانكليز
مطلقا أشد نظافة من سائر ما رأيناه من غيرها أعني كل نوع بالنسبة الى نوعه وذلك اني كنت
رأيت بواخرهم الحربية مجتمعة مع غيرها من البواخر الحربية للدول الكبيرة عند قدومها
الى تونس سنة ١٢٨٠ في اثر ... فكانت بواخر الانكليز أتقنها نظافة وكذلك
البريدية والتجارية ولهم في ذلك اهتمام زائد ثم سفرنا بالسير والبحر في غاية السكون
وكان معنا من الركاب في الطبقة الاولى انسان يتكلم بالطليانية له معرفة بالتصوير فكدنا
أن لا نمر بشيء الا وصوره من طير او سحاب او سفينة بل وكل من في الباخرة حتى كان فيها
في الصفة الاخيرة على ظهر السفينة أناس من المغاربة وآخرون من صفاقس كلهم
متوجهون الى الحج وفي كل يوم عند ارادة غسل ظاهر الباخرة يؤمرون بالانتقال من مكان
الى آخر مع حمل رحالهم فيكونون في شدة التعب مع الدوار الحاصل لبعضهم من عرض
البحر وصوروهم على تلك المشقة والجهد الجهيد ولما نظرت الى حالة هؤلاء الحجاج
شاهدت مصداق قول الفقهاء بعدم وجوب الحج على تلك الصورة لانهم لا يصلون ولا صلاة
واحدة مثل فريضة الحج وتركهم الصلاة يأتي من عجمة ابدانهم من تفرطهم بلا

استقذروه من البلل المتقاطر عليهم بغسل السفينة ومن عدم وجود مكان للصلاة لانهم يمرون
من تحتها ويركبون فوقهم ومع ذلك يعاملون معاملة الحيوانات العجم من الحربيين
بالاهانة والسب الى غير ذلك وأيضا به ترى بعضهم الدابة اخرى في باقي مكانه بل
منهم من سقط ويبول فيه ويتصل به منه لمن بجنبه فلما رأيتهم في هذه الحالة
ذهبت اليهم وأعلمتهم بالحكم الشرعي في وجوب نحو شروط الاستطاعة فيه وسألتهم
لماذا يعدلون عن ركوب الدرجة الوسطى في بواخر البريد او في العابرة لتمنعهم أم البيت
بدنية وبعضهم تظهر عليه آثار الثروة فاجابوا بان ذلك انه مذهب لا ضرر فيه لانه يدخل
عليه في السفر الى بيت الله دل مهما زاد كان ثوابه اكثر واصروا على ذلك منكرين
على قولي فعدلت عن ذلك ولاممتهم في المحافظة على الصلاة والى كيف نصلي ونحن على
هاته الحالة واين نصلي فقلت لهم انكم مالكية ومذهبكم يرى صحة الصلاة ولو على ما انتم
عليه لان ازالة النجاسة سنة وقيل تستحب فقط مع القدرة والذكر فقال لي واحد منهم
اني اصلي كما اقول فقلت نعم رأيتك تصلي والآخرون قالوا لو نجد مكانا نركع فيه لصلينا
فاسا اصلي فقاطعت رئيس الباخرة الى أن اذن لهم في التفسح واستعمال المساقي
المرحاض فقط لكن اعانهم مع ذلك لم يصل واحد منهم ايضا من حب كثرة رحالهم
حتى ان بعضهم رافع حزمة كبرى معلوفة بشريطان كالبالون بنفقة الاقدام والتفيد
الى غير ذلك فقالوا اذا لا تقونا فقلت انكم تذهبون الى مدن ان لم تكن اكثر من
مدنكم فهي نحوها ولا بد ان يكون لاهلها ما يكفيهم فلا وسعكم ما وسعهم وزاد الطريق
في البراري يؤخذ من اقرب مدينة اليه فقالوا يلزم لذلك اقرب وهذا الذي عندنا انما هو
من بيوتنا فقلت لو بعتم هذا واضفتم عليه كراءه لجعل وبرا لكان ارخص عليكم من
شرائكم الزاد من الاماكن الاورمية فقه لو تلك البلاد لا اعرف أحوالها الاولى التي ومن
اماكننا وهكذا جرت المحادثات ثم الموائد امر صعب جدا وفي غروب اليوم الرابع
وصلنا الى الاسكندرية ولا يظهر لنا منها شيء لان ارضها منخفضة ولا جبال بها حتى يمكن
رؤيتها من بعد وحيث كان وصولنا بعد الغروب ومن الرسوم ان لا تدخل السفن اليها
الا بهاد يهديها الطريق حيث كان قرب مرساها صخرات لا تبين من البحر وتضر بالسفن
اذا صادمتها ارم حصور وأوقدت الهداة ليدلوا السفن على الطريق وهم على ذلك اداء
معين فلزم الباخرة ان تكون طول الليل عند فرضة في نحو ميل ولم يظهر لنا من البلد
سوى منارة هداية السفن وقرب الشروق ظهر الوادي في قارب قادما للباخرة فاعرض

عنه

عنه السمن محتقراً له وابتدأت مشاهدتى لاعمال الافرنج على المصريين وتبين ان السمن
كان على الباطل. وبقى المركب غير متوقف عن الدخول لمجرد الرسم فدخلنا المرسى فاذا هى
ذات أمن وان مرسى صناعية فيها بواخر الحكومة المصرية التى هى قطعة غاية
بواخر كان كلها خشب وفيها من البواخر التجارية الاجنبية ازيد من عشرين وفيها
باخرة حربية أجنبية وبعد تمام الارساء أحد لا حاجة [illegible] من مأمورى الصحة فى
انزال المسافرين كان أذن للركاب بالنزول وذلك لان من القوانين الصحية ان كل سفينة
تسافر من مكان يلزمها ان تستصحب من مأمور الصحة الذين لهم ديوان خاص صكا
منصوصا فيه حالة البلاد التى صادرت منها من جهة الامراض العامة وفقدانها فى السفينة
من الركاب وانواع البضاعة التى بها واذا وصلت الى مرسى مقصودة لها اول ما يلاقاها
مأمور الصحة فيطلبون ذلك الصك ويفتشون عن صحة الركب وعددهم فان لم يوجد
ما يقتضى الضرر أذنت بالفراغ ما تريد فى تلك المرسى فاحاطت بالباخرة القوارب الصغيرة وثار
عجاج الصياح من أصحابها يتخاطبون من أهل وارغب فى النزاع على حمل الاثقال
والركب ولما رأيت الامر تفاقم امر لى خروجي الباخرة [illegible] رحلى وجاءت
خارج الماق زورق فلان اصحاب القوارب كادوا يختصمون الرحال شاء صاحبها ام أبى
من غير مسارعة لاجرة [illegible] فى أى بلد كانوا ثم بعد الوصول يصدر لاحواضها
مضاعفة ولما نزل جميع الركب مع رحالهم ولم يبق حول الباخرة الا قوارب السلم التى
[illegible] على الفمرق [illegible] قارب [illegible] على [illegible] واعانني على ذلك ابن
وكيل [illegible] تونس الحاج على العبرانى رحمه الله حيث تلاقانى فى الباخرة بعد ان ورد
تابعه سائلاً عنى [illegible] القارب [illegible] لان [illegible] ثم
لما وصلنا الى الفمرق [illegible] الحوار وكادت ان تحصل [illegible] منع الدخول الى
الاسكندرية حيث كانوا يمنعون دخولها بريد الحجاز [illegible] جعلوا لهم خارج البلاد مكانا
محاطاً بالعساكر بحيث لا يسوغ للوارد الا المركب فى البحر او طريق الحديد [illegible] الى
السويس وكان سبب ذلك كثرة من كان يرد من الاقطار العربية للحج [illegible] وازداد
فتكاثروا بمصر يحملون حكومتها واهاليها [illegible] لا داعى اليه لا شرعا
ولا عقلا لان أصل فرض الحج معلق على الاستطاعة بنص القرآن الكريم فلا يسوغ
الاقدام على الحج بدون شروطه ثم اذا وقع لعارض فقد المال او [illegible] يقوم به فى
الرجوع لوطنه او ذل ماله او [illegible] فى بيت مال [illegible] بعض الكتاب لابناء

السبيل فيعطون حاجتهم في بلوغ مكانهم ولو كان ابن السبيل غنيا لكنه في ذلك
الطريق لا مال له فتدارك الله بلطفه وأذنا الحكام بالدخول للبلد فبادروا الى رحالنا
وأرادوا التشديد في تفتيشها وفاء لعملهم على ما أولها متطلبي الاحسان اليهم ولم يبقى
الا الخلاص من ذلك بدفع شيء من المال رشوة كما هي العادة من الخوف من تشتيت
رحلي والسرقة منه مع التعب ثم قصدت منزل المسافرين الافرنجي المسمى أوتيل دي روب
في أكبر شوارع البلاد بعد مشقة في الامر ثم النزول عند وكيل تونس الذي لا داعي
اليه سوى تحمله لكلفة بالضيف والمصروف عليه مع تكلف في لزوم مراعاة أحواله
وعاداته معه فلا يوافق حالتي وعاداتي فذلك كلي معرفة به مع ما أنا عليه من
المرض الملازم لدى الشدة من قبل رجوعي الى تونس بسبب الانفعالات النفسانية ويلزمني
المساعدة التامة في الاكل والنوم وغير ذلك مما يحصل منه ضيق مشقات أو يقتضي تركه
ما اكتريت في ذلك المنزل بيتا واسترحت به على ما اعتدت وعشت في حانه وأكلت
ومن ثم أكثرت محالة بصديقي أخي في الله الصفوة الخيرية عالي الاخلاق والعرق
سيدي ابراهيم السنوسي المدني وهو المحدث البليغ المتمكن في علوم المنقول والمعقول
والسياسة صاحب الاخلاق المرضية الذي تقدمت الي نشأته من بيته الاصيل عند مؤسس
البيضاء فاقام مدة بمكة المكرمة وحصل من العلوم ما استكمل به عمره ثم رحل الى تونس وأقام
بها مع صحبي واسترحت به أيامها وأعتز بها في أسير بها زمنه وكاد أن يتخذها قرارا
لولا المحنة التي وقعت بها من سنة ١٢٨٠ الى سنة ١٢٨٦ فارتحل عنها على ما دعت
اليه مقتضيات الاحوال من فساد الحكومة واستقر بالاسكندرية ثم علا على كماله
وفضله وعفافه وانعمت نعم الله عليه لا زال أهلا لكل فضيلة ولاقيته في الطريق
وازمعنا بالاستقرار في مقره وحيث كانت الاسباب المقرر اليها آتيا في الخلاص من الصعوبة
مفقودة مع أخي الفاضل المرحوم الشيخ الاني حتى ولا حيث ساعدت مراده وأقمت عنده
مدة أيام ولاقيت أيضا أخي في الله التقي النقي الكامل رستم باشا الجركسي وهو الفاضل
العفيف المصروح المؤتمن نشأ في بلاد الجركس من جبال القوقاس ووفد على تونس
دون سن العشرة ودخل الى مكتب الحرب وحصل على القرآن العظيم ونصيب كاف من
العقائد والعبادات والتجويد والصرف والحساب والهندسة وغيرها من الفنون الرياضية
والحربية ثم تحصل على اللغة الفرانساوية ومعرفة اللغة التركية وتمكن من علم التصوف ثم
تقلد أرفع المناصب في حكومة تونس فولي أميرلوا خزانة الامير ثم مستشار الداخلية

ثم

ثم وزيرا فيها وعضوا في المجلس الخاص والمجلس الاكبر وكان من أشد المحامين عن العدل
والشورى ولما وقعت النكبة العامة لتونس سنة ١٢٨٠ وما نشأ عنها من المظالم سافر
المشار اليه الى اوروبا ثم رجع الى تونس سنة ١٢٨٦ باستدعاء الحكومة وقلد وزارة
الحرب مع توظفه في كل من المجلسين بولايته علاوة على أعمال بديهية تجربية والاعراض
وغيرها وسافر مرارا أميرا على المعسكرات لاقرار الراحة والامن في الولاية وفي كل ما تقلد
به كان مستقيم السيرة والسريرة مثنى عليه بالسن الخاص والعام ولما ابتدأت النكبة
الكبرى الاخيرة لتونس ورأى مبادئها ترخص من الوالي السفر للتداوي فأقام في أوروبا
مدة ثم أقام بالاسكندرية ولاقيته بها في احدى المرار الكائنة بالرحلة وانه مات
من الشكل المدموع المأنوفة سابقا وان العزيز ولا حول ولا قوة الا بالله وهاته البلاد
أعني اسكندرية هي ثاني مدينة في القطر المصري وهي مباح تجارته مع سائر الممالك
التي على البحر الابيض واشتهرت بالمرسى وما حوله من حصون وقشلات للعساكر ومكاتب
عديدة لسائر الفنون وقصر للخديوي بقرب المرسى أنيق فاخر ومنتزه عام خارجها
بالمكان المسمى بالمحمودية وهو منتزه به حدائق بها الورد في الرحبة في الشبيبة
واكثر الرد ابناءهم لا جانب وفي المحمودية طريق وسيع ضمن صناعي حوله
الاشجار المتقدمة وفيه الترعة بعلائم وبقربه فرع من النيل وعليه آلات
بخارية لرفع الماء وتصفيته وتقسيمه على البلاد في قنوات واغلب طرق البلاد
مبلطة بالحجارة حسنة المنظر بها حارات الافرنج التي بوسطها الحارة الكبرى ذات
الحديقة والمنارات وحولها القصور الشاهقة ومن تحتها الحوانيت المزخرفة
وبوسطها صورة محمد علي باشا مجسمة ضخمة كأنه راكب جواده واغلب
طرق البلاد في حارات المسلمين ضيق وما عداها فهو متسع وبها من الجوامع الشهيرة
جامع الامام البوصيري رحمه الله وهاته المدينة بناها الاسكندر المقدوني وهو الرومي
اليوناني الذي نشأ في مقدونية المعروفة الآن بالرومللي في بلد فيلبه وهو تلميذ
أرسطو الذي أشار عليه بتفريق ممالك الفرس عند تغلبه عليها سنة ٩٣٥ قبل الهجرة
ودالت له المملكة المأثورة الى الآن وهي اقدم مما في كلام في الاقيانوس وليس اسكندر
هذا بذي القرنين على الصحيح بل ذاك من الملوك المعروفين بالاذواء فقال جبريل البلاد اليمن
واسمه الصعب ولقبه ذو القرنين ولقي ابراهيم الخليل وعانقه كما في الصحيحين واطال في ذلك
فليرجع اليه من أراده وهذا ما يؤيد ما قلناه في الكلام على سور الصين في المقدمة وقوله

الجديد وقديما الاسكندرية وهاتان البلدتان بالاسكندرية الآن وكانت هي قاعدة الاقطار
المصرية الى افتتاح الاسلامي ويكن تجاهها جزيرة تسمى الجزيرة فاروس فاتصلت بالبر
برصيف بناه بطليموس وهي الآن جهة رأس التين وفي شمالها الشرقي منها بني المذكور
منارة الاسكندرية الشهيرة وكان ارتفاعها اكثر من ١٥٠ قامة وأحد جوانبها يزيد
عن ٥٠ ذراعا وكان انشأ عليها أحمد بن طولون قبة من خشب واخذتها الرياح ثم
أصاب المنارة انصداع في الالف الهجرية وفي عام ... انهدم بزلزلة ثم حدث ثم
انهدم الجميع وبني بمحلها الطابية الموجودة الآن من آثار محمد علي باشا وقد كان اسس
بطليموس الاول خزانة كتب تزايدت من بعده الزمان تحتوي على ٧٠٠ ٠٠٠
مجلدا وزعم بعض المتعرضين من المؤرخين ان أميرا منهم يدعى عمرو امر بحرقها مع انها
احترقت قبل الاسلام بمدة مديدة لان لما اخذها يوليوس قيصر الرومان عندما كان
محاصرا بالاسكندرية ورامت اعداؤه الاستيلاء على سفنه واضرم فيها النار وكانت
بقرب من المرسى التي تحتوي على الخزانة المذكورة فاحترق الجميع كذا في جغرافية
... بكري قال ومن المحقق انه بعد ذلك من الزمن كان ... في هذه
الى المكتبة كثير من كتب ... برجام ٣٠٠ الف او ٤٠ الف كتاب وتجدد
بذلك خزانة كتب عظيمة ... دون الاولى واصابها الحريق مرارا ثم عرت
بالتمام بواسطة التعصب للديانة النصرانية لازالة كل ... في مدة حكم
تيودوس قبل الاسلام ... بالاسكندرية ... المدينة الآن نحو من ٣٠٠ الف نسمة
وبها ازيد من ٣٠ الف محل ما بين كبير وصغير وتشتمل على محل فاخر للسفن واصلاحها
ومن مرتبات البلد المسلة الواقعة قرب محطة سكة الحديد الموصلة للرملة وهناك
المسلة على نحو المسلة التي ذكرناها في باريس ... من عمل ... مصر لم
يبق بها الآن منها فقط وطولها ٦٤ قدما في قطعة واحدة من حجر عليها كتابة قديمة
جهات مدينة الاسكندرية ... سنة ١٧٣٦ قبل الميلاد ومنها ... عمود السواري
الشهير الواقع جهة ... وهو عمود على قاعدة عظيمة فوق تل عال ارتفاعه
نحو اكثر من ٣٠ مترا ومحيطه نحو ٢٨ قدما ... صحراء ... وبعد
اقامتي ... ايام وتزودي منها ما يلزم لطريق الحجاز غير الحجام والقرب ...
احدهم ... مصر ... ارخص ... الى جميع ... توابع ...
والخادم الذين استأجرتهم من الاسكندرية توجهت حينئذ الى مصر القاهرة راكبا ...

طريق

طريق الحديد ولم نجد بها غير خاصيات اذ فرش ومرافق مثل ما يوجد في اوربا وكان ركوبي بعد العصر ولم نزل سائرين وطالما يقف الابيض ببلدان كثيرة كان منظر الارض قرب اسكندرية ليس بها الا غدران وحدائق واحات وسبخة بها الماء واكثرها مزروع ثم الارض كثر تغييرها في حسن النبت والزراعة بعد حصة وبعد ذلك المنظر الجميل لارخاء الظلام سدوله ووصلنا الى القاهرة بعد سير اربع ساعات ونصف فتلقاني في الموقف الحبيب الوجيه الحاج على الشماخي وكيل تونس واخبرنا وقد تدرت اليه عن الاقامة بمنزله بامر ونزلت في منزل المسافرين المسمى الحمارة الكبيرة مواجه لروضة الازبكية وامثال هاته منازل نحو من اسماء اوربا

الفصل * الثاني

(في صفة مدينة مصر القاهرة)

هاته المدينة هي قاعدة الاقاليم المصرية منذ الفتح الاسلامي غير انها اختلفت اسماؤها وبقاعها على حسب اختلاف الدول والاعصار وان كان مركز جميعها واحدا فبعضها عاد لبعض واول ما اختطه الصحابة رضوان الله عليهم مدينة الفسطاط حيث ضرب سيدنا عمرو بن العاص فسطاطه في الفتح وعند ارادته التقدم جهة الاسكندرية التي هي القاعدة يومئذ وجد يماما قد فرخ على عمود فسطاطه فابقاه وابقى الفسطاط الى ان رجع الجيش بعد الفتح واختط المدينة حول الفسطاط فسميت به ثم لما تغلب الامر الفاطمي على مصر على يد قائده جوهر اختط القاهرة وصارت هي دار الامارة وهي مدينة رحيبة بذيل الجبل بجهة ذاتها واعلاه الات بخارية لرفع الماء وتصفيته وارساله في قنوات تفرق على جميع المدينة وعليه جسر جديد طوله مترو ٥٠٠ وعرضه عشر مائة بعجلات وعلى جانبيه صورة اسدين وقد صنع سنة ١٢٧١ وعلى حدودها جبل شاهق عليه قلعة حصينة وكانت مستقر الامراء وهي ذات حصون مبنية صناعية مشحونة بالمدافع من الطرز الجديد اصطنع زيادة على تحصينها الطبيعي وتشرف على المدينة وارباضها وترى عظم اتساعها وبها قبة جامع فخم ذو قبة شاهقة جدا وصومعتين جليلة مرتفعة وبه اسطوانات من المرمر الملون ذات صنعة وارتفاع عظيم وصحنه الرحيب مفروشا انيق جميل وبني هذا الجامع محمد على باشا كما به قبره وبه قصر الحكم بجواره وهو ذو بيوت وسيعة واواوين رحيبة مشتمل على جميع الفرش ولا زال هو القصر الرسمي للمواكب المهمة

وان لم يكن فاخراً مثل القصور الحديثة التي يقيم بها الخديوي وبالقلعة أيضاً معسكر وديوان
نظارة الحربية وبها بئر عميق جداً يدعي الجهال انه جب يوسف عليه السلام ولكن الحامل
لهم على ذلك غرابته ووجود بئر في ذلك الارتفاع فهذه مجرة وبالقاهرة أسواق
كثيرة جداً الى الدرجة الكثيرة منها حوانيت في سائر الجهات وأهم طرقها القديمة
هو الطريق الموصل من الازبكية الى جامع سيدنا الحسين ويسمى بالموسكي فهو متسع في
بعض جهاته نحو ثمانية أو عشرة أمتار وفي بعضها نحو خمسة أمتار وأما بقية الطرق
القديمة فأكثرها لا تمر به العجلات وبعضها تمر به عجلة واحدة بخلاف الطرق الجديدة
التي افتتحها اسماعيل باشا في عشرة الثمانين والمائتين والألف في الحارة المنسوبة اليه
المسماة بالاسماعيلية فهي على نحو الطرق الاوروباوية تماما واستقامة وهناك الحديقة
كما حدثت حديقة عمومية ومن محاسن القاهرة حديقة الازبكية الجميلة اللائقة المحاطة
بسياج من قضبان الحديد الجميلة وبها أبواب من كل الجهات على الطرقات المحاطة
بها وهي ذات غياض ورياض وأشجار وأزهار وفساقي وقهاوي تدق فيها الموسيقى
الرسمية كل يوم عشية لكنه لا يحضره غالبا الا الافرنج وقصور الخديوي وأقاربه
وحواشيه ما في الحارات الجديدة منتشرة في سائر نواحيها وأهمها قصر عابدين أما القصور
التي هي حول القاهرة فهي كثيرة متباهية أزيد مشابهة على قصور ملوك أوروبا وجمعت بين
ما للاوروباويين من الفخر وما للشرقيين من التزويق ولاسيما ان لكل منها حدائق
وعيون وحيوانات غريبة ومن هاته بستان شبرا وقصر ذي البركة الرحيبة الذي
أنشئ جديداً على بعد من القاهرة نحو ثلاثة أميال وله طريق جميل هو متنزه أهل
المشي والتنزه بعجلاتهم وخيولهم لما هو محفوف بالأشجار العظيمة ومن ورائها
البساتين والقصور المؤنقة لأهل الترف والمتنعمين من الاوروباويين والامراء والوزراء وهي على
جانبي ترعة من النيل وهكذا حارات الافرنج والحارات الجديدة في تأنق البناء والقصور
وبهجتها من الظاهر فضلا عن الداخل لكن ديار الاهالي ليس متفاوتها من الخارج
على سير النظر أما ما اشتملت عليه القاهرة من المقامات والاماكن المعظمة فأولها مقام سيدنا
الحسين رضي الله عنه وأرضاه وذلك انه بعد الشنيعة الشنعاء بكربلاء أيام يزيد سنة ٦١
حمل الرأس الشريف المكرم ويقال انه دفن بعسقلان الى ان نقله الملك الصالح طلائع بن
رزيك وزير الفاطمية سنة ٥٤٨ الى القاهرة في موكب عظيم ودفن بالمقام المشار اليه ثم
عملت عليه المقصورة من الفضة الموجودة الآن سنة ١١٧٥ وبني حوله المسجد

الرحيب وقد تشرفت بزيارة هذا المقام الشريف وصليت الجمعة وغيرها في مسجده ونبه
المحمود وقد صلى الخديوي محمد توفيق تلك الجمعة هناك فلم يكن له من الابهة والضخامة
الكبرى الا ما يذكر وغاية ما هو بعض خدم واعوان ومن المشاهد ايضا مشهد سيدتنا
زينب شقيقة السبطين رضي الله تعالى عنهم ومنها مشهد سيدتنا رقية ابنة سيدنا علي بن ابي
طالب ومنها مشهد سيدتنا سكينة بنت الحسين السبط ومنها مشهد سيدتنا نفيسة الطاهرة من
ذرية سيدنا الحسن الشهيرة بالزهد والصلاح ذات المناقب المأثورة ومنها مشهد الامام الشافعي
خارج القاهرة في القرافة وغير ذلك من المشاهد والمقامات التي لا تكاد تحصى رضي
الله تعالى عنهم اجمعين وذلك لان مصر محط رحال الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين
رحمهم الله اجمعين وكذلك الجوامع التي تكاد تفوق العد واول مسجد بني بها هو
الجامع العتيق ويسمى الآن جامع عمرو وأسس سنة ٢١ عند الفتح الاسلامي ثم زاد فيه
مسلمة بن مخلد الانصاري سنة ٥٣ ورونقه وقيل انه بنى به اربع منائر باركانه الاربع بأمر
سيدنا معاوية وهو اول اختراع في ذلك وفيها يقول عابد بن هشام الازدي

وكم بنت من منارات صالحات * واجدر بالصوامع للاذان
كأن تجاوب الاصوات فيها * اذا ما الليل ألقى بالجران
كصوت الرعد خالطه دوي * وارعب كل مختطف الجنان

ثم الجامع الازهر وهو اول جامع اسس بالقاهرة بعد المعز اسسه جوهر الصقلي سنة
٣٦١ وجدد انشاءه مرارا وهو ينقسم الى بيت وسيع ذي تقاسيم مرفوع سقفه على
أعمدة والى صحن وسيع محاط به اروقة يقيم بها جماعات من الطلبة المجاورين لاخذ العلم
وهذا الجامع هو مدرسة العلم الجامعة في الاقطار الشرقية وفي القاهرة جوامع اخر عديدة
ذات بناءات ضخمة أشهرها باعتناء البناء وضخامته وارتفاع مواقعه جامع السلطان
حسن بن قلاوون ابتدأ في عمارته سنة ٧٥٧ وأتمه في ثلاث سنين ومقدار ما صرف عليه
بسكة الوقت نحو ثلاثة عشر مليونا فرنكا فهو من أشهر الاماكن بقاهرة مصر ومنها
مدارس العلوم الرياضية وقد جمع بها خزائن الكتب التي كانت متفرقة وتشتمل على نحو
مائة الف مجلد منها الآثار البديعة بخط البديع ومنها من نفائس الكتب تأليفا وخطا
ما لا يوجد غيرها ومنها مصحف كريم يقال انه بخط سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه
ومصاحف أخر عديدة عظيمة الحجم مزوقة بالذهب الى غير ذلك من الكتب العتيقة
والنفيسة وذلك بقية ما فات الفرنساويين من الكتب التي نقلها الى باريس عند الحملة لانه

على مصر مدة نابليون بونابارت وكذلك المرستانات أى المستشفيات لجامعة التداوى
وتعليم فنون الطب وقد شاهدت أحدها. هو جامع لسائر أدوات الكيمياء والطبيعيات
والاجسام المصبرة المشرحة من بنى آدم وغيره عرايا. ثم شاهدت فى ابوابه لا آثار هى
على شكل حرف من الصعيد [illegible] فى خبر عما يتعرف بمصر أو أحد [illegible]
اسماعيل باشا ومن مهمات ما يذكر فى الآثار الاهرام التى تقربها فى كتاب سمى
بالجيزة وقد ذهب البعض الى ان الاحجار [illegible] لا يمكن [illegible] الارض
حول [illegible] ولم يصل اهل الصناعة بها والاهرام بارض مصر كثيرة جدا منها ما هو باق
الى الآن وعدده معظمه [illegible] ٢٧ هرما ومنها ما قد انهدم بصروف الايام
وأكبرها واجودها أهرام الجيزة المذكورة وهى ثلاثة اهرام أكبرها وسطها ويعرف
باسم هرم [illegible] واشهر الاقوال فى بانيه [illegible] أحد فراعنة العائلة الرابعة
من [illegible] مصر وعلى ما [illegible] ان [illegible] الآن نحو ستة آلاف سنة
وكانت مدة [illegible] فى البناء ٥٠ سنة [illegible] ٢٠ سنة وكان المشتغلون
فى بنائه ٣٦٦ ألف نفس [illegible] المدة [illegible] من يوم من [illegible]
[illegible] على هيئة [illegible] على [illegible] وقد وضع على شكل
مخروط قاعدته مربعة [illegible] على [illegible] مركز [illegible] فى
وسطه [illegible] على [illegible] له [illegible] ربح [illegible]
لا [illegible] لانه [illegible] اسطحه وفى داخل هذا
الهرم عدة [illegible] وان كنت فى [illegible] الدخول اليه
لان المدخل ضيق [illegible] يدخله لا [illegible] أمامه أحد [illegible] هناك
[illegible] ثم [illegible] ذلك لمرض لدى [illegible] ضيق الصدر فلم أدخله [illegible] الكلام
فيه من [illegible] بالاختصار [illegible] فكرى وكذلك [illegible] جملة مهمات تتعلق
بالآثار المصرية فاعرى انه كتاب جامع [illegible]
السبيل و لافادة والاختصار [illegible] فى هذا الهرم [illegible] حجرة [illegible] حجرة الملك فيها
حوض بديع الصنعة من قطعة واحدة [illegible] حجرة الملكة ويرى الناظر فى
داخله ما يبهر العقل من كمال احكام تركيب [illegible] الاحجار حتى [illegible]
الواحدة منها [illegible] مكعب وجميعها [illegible] قطعة واحدة [illegible] أعلاه من داخل
بسطح نحو عشرة أمتار [illegible] حجرة وارتفاع أعلى الهرم على سطح ارضه

١٤٦ أما طول سطح أحد جهاته فهو ١٨٤ وطول كل ضلع من قاعدته ٢٣٠ مترو
وللأهرام الأخر أصغر من هذا وقد اختلفت الأقوال في الغرض من بناء الأهرام
حتى قال عمارة اليمني

تنزه طرفي في بديع بنائها ❊ ولم يتنزه في المراد بها فكري

أهم ما قصاراه أنها قبور الملوك القديمة ولا سيما وقد وجد بقرب هذه الأهرام صورة أسد جاثم
ضخم في الحجارة رأسه رأس آدمي وطول الشخص منها [illegible] أضخم ما يكون من الصور وأصله
من أعمال الفراعنة الأقدمين يسمى أبا الهول وبقربها أطلال بناءات هائلة
مطمورة بالرمال ثم كشفت منها بيوت حائط [illegible] منها في قطعة واحدة من الحجر
وسقفها كذلك حجرة واحدة تدهش الرائي لها وكيف أمكن علوها ووضعها
بمحلها وحول هذه الجهات أناس [illegible] الصناعة لهم سوى التفتيش على الأشياء
العتيقة من تحت الأرض [illegible] الألواح والظروف [illegible] غرائب تلك الآثار
التي [illegible] الحكومة المصرية اعتنت كثيرا بجمع الآثار العتيقة التي يمكن نقلها وحفظها
في محل خاص بها وهو من أهم ما يشاهد في الدنيا [illegible] لكل قاصد [illegible]
وفي تلك الجهات المصرية عجائب من صنع الأقدمين مما يدل على تقدمهم
التام في الصنائع والفنون ومنها ما [illegible] الآن مثل الآلات [illegible]
الإتقان وحفظ أجسام الأموات [illegible] بالمومية المصرية التي [illegible]
[illegible] الأقطار [illegible] من مواد [illegible]
ومن ذلك [illegible] ما وجد من أمثال هذه الأشياء في أقاليم الصعيد حيث كانت مقر
[illegible]
[illegible] وكل ما يمكن أن [illegible] أيدي الدول الأجنبية
فقد جمع في القاهرة [illegible] الآثار [illegible]
[illegible] على الحكومة المصرية [illegible]
[illegible] الآثار [illegible] حتى صح أن يقال فيها
مثل ما [illegible] وقد اجتمعت [illegible] وقد زرت العلامة
المصري الشيخ [illegible] إبراهيم [illegible]
[illegible] وهو على [illegible]
والتمكن من [illegible] على جانب عظيم من التواضع [illegible] وحسن الأخلاق فأخبرني

انه من تلامذة الشيخ سيدي ابراهيم الرياحي التونسي وانه اخذ عليه واجازه عند اختياره مصر للمجاورة وانى عرفت به وهو عالم نحرير محبته الشرف من اتباع التونسي ودها الى الاسلامي عساكر جوم الله قبوله واظن ان سنه نحو الثمانين سنة وكذلك

٭ حضرت تبركا بدرس العلامة النحرير الشيخ محمد عليش صاحب التآليف الشهيرة وهو حينئذ يقرأ في شرحه على مختصر خليل في الفقه المالكي اثناء كتاب العتاق بمسجد قرب جامع سيدنا الحسين رضي الله عنه لانه لم يستطع القراءة بالجامع حيث تكثر فيه الاصوات من المدرسين وهو اكبر سنه البالغ نحو التسعين وضعف بدنه كان ينخفض الصوت حتى في لم اتمكن من سماع تقريره كما ينبغي لانخفاض صوته مع مزيد السكون في المسجد ومع ذلك فقد اطال الدرس حسب معتاد المصريين فكنت فيه ساعة ونصف والصوت وهو لا زال يسرد الاقراء وعليه من مهابة العلم والصلاح

٭ ما يؤذن بصحة الشهرة وكذلك اجتمعت بالفاضل الصفوة الخيرة سيدي عمر السنوسي اخي صديقي سيدي ابراهيم السنوسي المتقدم ذكره في الاسكندرية وهو ذو اخلاق مطابقة لما هو من مجد الاعراق ومن هؤلاء من بعض الاعيان من الاهالي والمستوطنين من اهالي الاقاليم الاسلامية كالفاضل الحسيب محمد الاسنابي من اعيان

٭ تجار اهل المغرب ذوي الثروة والشهم الهمام الزبير باشا الذي كان ملكا لجهة من مملكة دارفور من السودان ودخل طاعة تحت الخديوية المصرية رغبة في اتحاد كلمة الاسلام ثم عزله اسماعيل باشا وبقي مقيما بالقاهرة وهو رجل ذو دماثة جبلية تعجب مجالسه من كمالاته مع انه من اهالي السودان وان كان اصله من نسل العرب الكرام فهو مهذب الاخلاق عارف بالسياسة والحروب وبجغرافية دواخل افريقية وشغوفا بالانسانية غيور على الملة كثير الثناء من امثاله وقد دعت الضرورة الى الاجتماع بحضرة الخديوي

٭ محمد توفيق باشا توجهت اليه واحضرت ابياتا نظمت تاريخي ولايته الذي كان قد ولي منذ بضعة اشهر وتلقاها مني بسرور وفيها التاريخ الهجري وهو قولي

في سماء الشرق لاح ٭ لاح توفيق الخديوي

١٢٩٦

وبيت التاريخ الميلادي هو قولي

فانشد التاريخ صاح ٭ قرة عين الخديوي

١٨٧٩

والصاد بعدد تسعين لان ذلك هو حساب المشارقة فيها واما المغاربة فهي عندهم بستين وذلك

وذلك لان حروف أبجد حساب جمل وقع في اعداد بعضها خلاف بين المشارقة والمغاربة وهاته الحروف نذكرها هنا تتميما للفائدة حيث رأيت كثيرا من أهالي القطرين يجهلون ما عند اخوانهم حتى أنهم ربما حملوهم على الخطأ في العدد مع ان ذلك مبني على الاصطلاح الذي لا مشاحة فيه ودونك حساب الاحرف والذي فيه الخلاف نضع حساب المشرق عن يمينه والمغرب عن شماله وباقيه انضع له عددا واحدا ا ١ ب ٢ ج ٣ د ٤ ه ٥ و ٦ ز ٧ ح ٨ ط ٩ ى ١٠ ك ٢٠ ل ٣٠ م ٤٠ ن ٥٠ ٩٠ ص ٦٠ ع ٧٠ ف ٨٠ ٨٠٠ ض ٩٠ ق ١٠٠ ر ٢٠٠ ٦٠ س ٣٠٠ ت ٤٠٠ ث ٥٠٠ خ ٦٠٠ ذ ٧٠٠ ٩٠٠ ظ ٨٠٠ ٨٠٠ غ ١٠٠٠ ٩٠٠ ٣٠٠ ش ١٠٠٠ وحيث كنت قائلا الابيات في المشرق راعيت قاعدتهم فاجتمعت بالخديوي في قصر عابدين ولم يكن معنا أحد وهو متواضع دين متقشف متبصر وبعد اقامتي بالقاهرة بضع أيام واشترائي منها الفرس ومحل الماء في الطريق واشتراء الخيام اللازمة لذلك سافرت الى بلدة السويس في طريق الحديد وكان المار ان قرب القاهرة جبلا كلما قربنا عن خط النيل الا وكانت الارض صحراء خاوية لا نبات بها ولا أنيس سوى بعض شجر القصب على حافتي الترعة الذاهبة الى السويس وبها أفراد من القوارب الصغيرة الحاملة كل منها الانسان أو اثنين مع بعض بضائع فوصلنا الى السويس بعد الغروب وكان السير من القاهرة اليها نحو ثمان ساعات فلاقانا الخبير المنيف وكيل المغاربة بتلك البلدة ونزلت بأحد منازل المسافرين على نحو ما مر في غيرها وما هي قرية بها بعض الاجانب وبها حاكم يلقب بالمحافظ وضابطية وعساكر وأهم ما فيها مرساة الصناعية وبقربها من الشرق فوهة الخليج الجامع بين البحرين الابيض والاحمر وحول المرسى محل للتحفظ المسمى بالكرنتينة وعليه عساكر محافظون وفي البلد نخلات وشبه جنينات حول ديار بعض الافرنج وما وراء ذلك فهو صحراء خالية وان كانت الارض قابلة للاصلاح لكن تشديد الحكومة في اعلاء سورها أبقاها ترابا وجميع المنازل التي بالبلدة تخليج السويس لها بعض شرب ومياه النيل واصلة اليها

الفصل ❀ الثالث

(في التعريف بمصر)

هاته المملكة صارت مشتهرة من عدة ممالك عظيمة في افريقية في عهدها هاته الاعصر

الابيض ويبتدى الحد الشرقى منه مارا على خط موهوم بين الشام ومصر ثم على
شاطئ البحر الاحمر الغربى شاملا بلاد النوبة الى أن يصير لمملكة الحبش التى يفصل
بينهما جبال هناك فينعطف الحد منها شرقا محيطا بامارة الجنوب مارا مع البحر الاحمر
ثم يرد ايضا منه الى أن يصير زيلع بباب المندب ومملكة الحبش حينئذ داخلة فى الحد لكنها
لاتصل البحر لان مملكة مصر من شطوطه ثم يمر الحد مع البحر ويشمل مملكة
عادل المسماة بزيلع ويمر على شاطئ افريقية الشرقى على الخط الشرقى الى أن يصل الى
حدود مملكة زنجبار ثم يبتدى الحد الجنوبى فيمر من الشاطئ مارا الى دواخل افريقية
السودانية وينعطف الى الجنوب حتى يصل الى حد الدرجة الثالثة جنوبا وراء خط
الاستواء ويشمل مملكة دارفور ويصل الى حدود مملكة وداى ويمتد الحد الغربى مع
مملكة وداى الى ان يصل الى الصحراء الكبيرة فيتبعها ذاهبا الى الشمال من غير
تعيين لخط معين حيث ان الامر مجهول ولا حصر فيه وهكذا فى الجهات السودانية
الى أن يصل الى طرابلس ويمر معها الى ان يصل الى البحر الابيض حيث ابتداء
التحديد وحيث كانت على ماعلمت من الاتساع والكبر لاجرم ان كانت مساحة
ارضها عظيمة جدا (واما مصر) الاصلية فالمعمور منها هو عبارة عن واد بين سلسلتين
من الجبال مارة من الجنوب الى الشمال يضيق تارة الى ثلاثة اميال ويتسع اخرى الى
نيف وعشرين ميلا كلها سقى انهر النيل وذلك كان فى غاية الخصب والنضارة فتجدد
ارضه سنويا بفيضان النيل ويخرج منه انهار كثيرة ماحول به مصر فيه عامرة وما عدا
هذا الوادى فهو عبارة عن جبال عالية لانبات بها واراضى يابسة مرملة لاترى فيها
الا الحصا (واما) بلاد النوبة الداخلة فى مملكة مصر وهى اعالى بلادها من الجنوب فهى
ذات صحارى وجبال خصبة واراضى خصبة وبقية الممالك وهى وداى ودارفور
وزيلع وغيرها فكلها ذات جبال وآكام وخصب (واما جبال) ممالك مصر فهى كثيرة
ليس منها جبل بركانى ولا منها الزائد فى الارتفاع واعلاها هو الفاصل بينها وبين
الحبشة (واما انهرها) فاولها نهر النيل وما ادراك ما النيل وهو نهر يحمل السفن الصغيرة
الى أول شلالة بعد الخرطوم وهو عندهم ينقسم الى ثلاثة اقسام (احده) يسمى
نيل السودان وذلك من منبعه الى الخرطوم (الثانى) منها الى فيلة وهى جزيرة فى وسطه
قريب مدينة اسوان (الثالث) منها الى البحر الابيض فالقسم الاول يتكون من نهرين
يسمى احدهما البحر الابيض والاخر البحر الازرق عبارة عن عظمهما حتى الحقا
بالبحر واسم الابيض كانه هو الاصل النيل وهو يجتمع من عدة انهر فى اواسط افريقية

وهو

وهو أعظمها وأبعدها منبعا لانه ينبعث من بحيرة أوكريوي المعروفة بفيكتوريا على ظن آخر المحررين الآن وان كان التحقيق انه مجهول حيث تبين ان تلك البحيرة تستمد من بحيرة أخرى وامكن الوصول الى اكتشافها اصعب ولعله تعدد أسباب لذلك وطوله الى حيث يجتمع بأخيه قرب الخرطوم ٢٣٠٠ كيلومتر أي نحو ألفي ميل (وأما) الأزرق فمجموعه نحو الثلث من السابق ومنبعه من بحيرة دمبيه في بلاد الحبشة ويمر على عدة شلالات ثم يجتمع بأخيه ويصير حينئذ القسم الأوسط فتصب فيه عدة أنهار غير مستمرة وذلك في بلاد النوبة فاذا وصل الى أسوان حدثت منه الشلالة الأخيرة التي تمنع زيادة صعود السفن عنها لأمامها لكونها من ارتفاع الارض في المجرى الأعلى وانحدارها في المجرى الأسفل مع صخور مرتفعة فيكون له خرير كالرعد القاصف يسمع من بعد بعيد فاذا وصل النيل الى أسفل القاهرة انقسم الى فرعين شرقي وغربي فالشرقي يصب في البحر الأبيض عند دمياط والغربي يصب في البحر المذكور عند رشيد وأحدث من النيل ترع عديدة حتى صار يصب في البحر الأحمر وخليج السويس والاسكندرية وغير ذلك وصنعة الترع في مصر كانت معروفة في مصر بأحسن مما هي عليه الآن حتى كانت تروي سائر رباه بل وجباله بالآبار ويرشد الى ذلك قوله تعالى حكاية عن فرعون وهذه الأنهار تجري من تحتي فكانت أرض مصر كلها عامرة بالأنهار وهاته الترع تحمل القوارب وتمنع المواصلات وتبين عمرانا في مصر أنهارا عديدة عظيمة منبعها في السودان وتجتمع الجميع في النيل ولولا عظمة المياه لتلاشت في الصحارى التي تمر عليها ومن غرائب النيل أنه يبتدئ في وقت معين من كل سنة وهو وقت الانقلاب الصيفي ويستمر على ذلك الى الاعتدال الخريفي فيأخذ في النقصان الى الانقلاب الشتوي فيعود في مجراه الى السنة المقبلة ويختلف فيضانه بالزيادة والنقصان واعتداله المطلوب للسكان هو أن يرتفع على المجرى الاعتيادي سبعة أمتار فان زاد أهلك بالغرق وان نقص أجحف الناس بالقحط ولهذا الفيضان كانت مصر الاصلية لها مناظر عجيبة ففي الربيع الذي هو شباب الزمان في سائر البقاع تكون مصر عجوزا ما أقبح منظرها في وقت نموها وفي الصيف الذي تعم فيه المياه في المعروف تكون مصر بحرا من الماء العذب وراسية فيه قرى ومدن وأمصار يوصل من بعضها البعض في القوارب وفي الخريف الذي يبتدئ فيه في غيره بذبول النبات تكون هي قد شب نباتها وازدهرت وربت وفي الشتاء تنتشر أزهارها وتتورد أشجارها

ويحصد زرعها وتدخر أقواتها وتعيش على الماء المحصول لانها قد انفردت بذلك عن غيرها
وليس هناك ما يشبه الانهر الصغيرة المارة على بلوجستان فانه يقرب من ذلك من حيث
فيضانه فى الصيف ولما أحدثت الآلات الجديدة لرفع الماء من النيل زمن نزوله قل
ضرره من القحط اذ لم يعهد أنه حصل مثله الا سنة ١٢٧٨ وكان كربه شديدا (أما ضرر) تفاقم
فيضانه فقد عاون على تخفيفه الاخبار بالسلك الكهربائية حيث يأتى الخبر بتفاقمه
من عمالة السودان ومصر العليا فتسد له أفواه الخلجان وترتفع الناس عن الاراضى
المنخفضة ومع ذلك يحصل منه ضرر عظيم أحيانا وقد اختلفت الاقوال فى أسباب فيضانه
وأظهرها انه مركب من شيئين أحدهما ذوبان الثلج المتراكم على جبال
الحبشة الشاهقة وعلى جبال أواسط افريقية بحيث أن انهار الربيع تسيل مياهها ويطفح
بها النهر الازرق وغيره واطول امتداد لانهر ما يصل ماؤه الى مصر الا فى انقلاب الصيف
(وثانيهما) ان جنوب خط الاستواء فصوله على عكس فصول شماله فالربيع عندنا هو
الخريف عندهم والصيف عندنا هو الشتاء عندهم وقد علمنا ان النهر الابيض منبعث من
جنوب خط الاستواء بعدة درجات وان الامطار فى الاقاليم الحارة تتراكم دفعة فيما
وقت الخريف والخريف فى الجنوب هو ربيع فى الشمال فلا يصل ماؤه الا فى الصيف
فى الشمال فيحدث من ذلك طفو النهر الابيض أيضا ويلتقى بأخيه وهما دائمان
فيحدث فيضان النيل زمن الصيف فى مصر (أما) بقية الانهر فى عمالات مصر فى النوبة
والسودان فكثيرون الانهار والجداول منها ما يصب فى النيل ومنها ما يجف فى الصحارى
وليس منها ما هو مسمى بالنهر الابيض والازرق المتقدمى الذكر وفى أرض مصر من
صعيدها الى بحريها لا يوجد نهر أصلى سوى النيل لكن أحدثت منه أنهار عديدة عظيمة
تسمى بالترع حتى صارت أغلب الاراضى المصرية كأنها جزيرة بين الانهر الصناعية ومنها
الكبير الذى يحمل السفن النهرية ومنها الصغير ومنها ما هو دائم الامتلاء بالمياه ومنها ما يجف
عند نقص فيضان النيل والموجود الآن من هاته الترع يزيد عن الستمائة وأحد
عشر نهرا أطولها الابراهيمية فانها تقرب من مائتى ميل ولا نزال الاعتناء بأمر الترع
الملتزم لتكثير أراضى الزراعة حتى بلغت الآن الى ما يقرب من خمسة ملايين فدانا
مستقيمة مزروعة والفدان عبارة عن مساحة ٥٩٢٩ مترا مربعا وهذا المقدار وان
كان كثيرا فى ذاته لكنه لم يبلغ الى ما كانت عليه الترع فى مصر قديما حيث كانت زمن
الفراعنة تصعد مياه النيل الى أعالى رباها وجبالها وتسقى جميع أراضيها حتى ما نص

عليه في التاريخ ويشهد له قوله تعالى حكاية عن فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الانهار
تجري من تحتي فجمع الانهار والافتخار بها بل والتعاظم الى حد دعوى الالوهية فاض
بانها كثيرة جدا وبالغة في حد خارج عن المعتاد في الكمية كصعودها الى الاعالي
والواسطة في ذلك اما ان تكون بواسطة الآلات تحمل الماء من أسفل الى أعلى بكثرة
حتى يجري في الانهار ثم من هذه يحمل كذلك الى ما فوقها الى أن تجري ومن هذه أيضا
الى ما فوقها وهكذا الى نهاية الارتفاع والآلات اما ان يديرها الماء نفسه أو قوة
أخرى محركات الآن غالبا فانه من علوم الاقدمين أو تكون الواسطة هي تدريج الترع
من أعالي النيل قبل الوصول الى الشلالات بان يؤتى لاول شلالة قبل انحدار الماء منها
فتشق له فروع ذات هيئة مع ارتفاع الاراضي كيفية هندسية وبناء قناطر وحنايا للمرور
الماء من الاعالي الى الاعلى ثم من شلالة أخرى بعدها وهكذا وحينئذ تجري الانهار في
الارتفاعات كما تجري في المنخفضات وتحصل منه النباتات الجليلة ومناظرها البهيجة
(وأما) بحيرات مصر فهي عديدة وبعضها كبيرة أكبرها بحيرة المنزلة ومحيطها نحو من
مائتين وخمسين ميلا وتسير بها السفن الصغيرة ومياهها دائما وهي شرقي مدينة
دمياط ويخترقها خليج السويس ولبحيرة ماعام أيضا مع الخليج. ليس لها فائدة مهمة
سوى استخراج الملح من بعضها وصيد السمك من بعضها وبعضها يجف تماما أما ممالك
السودان ففيها بحيرات مهمة مثل بحيرة منبع النيل وغيرها ولكنها قليلة الجدوى
بالنسبة للمنافع مثل بقية ذخائر السودان (وأما) هواء مصر فمعتدل وهو على العموم
حار ويهب فيه الرياح الشمالية على شاطئ البحر الابيض بلطف حرها خصوصا
صيفا عند زيادة النيل (وأما) الجنوب وجهة السودان فهو حار جدا حتى اني كنت في
مدينة مصر في شهر ... بعد فيضان النيل ولم أكن أستطيع النوم بالغطاء بالملاحف
الكتان ولكني لا أستطيع أيضا فتح الطيقان لكثرة الندى المضر ورأيت مثل ذلك في
اسكندرية أيضا التي هي أقرب المساكن من البحر مع اني كنت بها في ذلك الشهر أيضا
(أما) السويس والصعيد فلا ننكر شدة حرها ثم هي بعد الانقلاب الشتوي يحصل
بها البرد الى درجة تطلب التدثر والتدفي فيكون الهواء عموما معتدلا مع ابتهاج الارض
بالنبات (وأما) نباتاتها مع وجود ما وجد له فيصح أن يقال انه لا يوجد
من نباتات الدنيا الا ما ندر حتى الأشجار التي تكون في الاراضي الباردة فانها توجد في
الجبال الشاهقة في نواحي السودان ذات الثلج الدائم وفي السودان غابات عظيمة صالحة

أخشاب البناء للسفن والديار وللأعمال الجيدة بصناعة مثل الابنوس وغيره لكن أرض
مصر الأصلية ليس بها من غابات طبيعية وغاية ما فيها منظر الغابات هو النخيل فالحاصل
ان بلاد السودان مشتملة على كل ما يحتاج اليه من المزروعات الحبوبية والاشجار ذات الثمار
وغيرها (وأما حيواناتها) فمنها الخيل بقلة بالنسبة لذاتها لكن يوجد في السودان نوع
منها جليل يعرف بالكحيل والبغال قليلة والحمير كثيرة يركبها حتى الاعيان والعلماء والكبار
ويحلقون شعرها ويصيرون لها بهيئة تعجبهم فيدعونها حتى اذا قال الجو يجد به صفرة
ظاهرة وصارت تمشي على ثلاث مما ام الشرطي ينظر لمن اخذها من يحدثها للحكومة
والحمر والابل كثيرة بمقدار منها نوع الهجين وهو نوعان في السير أحدهما يمشي
براكبه وهو الذي اذا سار رفع رأسه ومد عنقه والثاني الى راكبه وهو الذي اذا سار ادلى
رأسه الى الارض ومد عنقه الى أمام وكلاهما من الابل المعتادة يدرن أصحابها ويختارون
الجيد الاعراق العتيق الحركة ثم يمرنونه من الصغر على مداومة سرعة السير بحيث
عليها ويبقى ناحلا ويكون عدة لاصحابه للوصول الى الامد البعيد في الزمن القريب
وكان عند الاقدمين عوضا عن طريق الحديد الآن غير انه لا يحمل الاثقال الكثيرة
ولقد رأيت من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم ما يزيد القلب ايمانا وذلك في الحديث
الذي رواه الامام مسلم في صحيحه في الكلام على سيدنا عيسى عليه السلام وبه تترك
القلاص أي الابل يعني انه لا يسعى عليها واضطربت الشراح في تطبيق ذلك والحق ما يثبته
المشاهدة من الاستغناء عنها بالرتل وطريق الحديد والله أعلم انه سيمتد حديده الدرب
ويصل الى مكة والمدينة حيث ان سيدنا عيسى عليه السلام ينزل هناك والله أعلم والبقر
قليل وهو نوع ضخم والجاموس كثير والاطلاع من العامة لذي له بقرة منه نفعه من كثير
من الاشياء فيشرب ويبيع من لبنها ويأدمها ويبيع من سمنها ويحرث عليها ويوقد
بخثيها ويعتبر أولادها ولذلك صارت البقرة عنده أعز شيء عليه في الدنيا (وأما) الغنم
فهي كثيرة في السودان والحيوانات الوحشية يوجد منها في السودان كل الانواع التي
تألف البلاد الحارة كالاسد والنمر والفيل والزرافة وغيرها (وأما) الطيور فيوجد سائر
الطيور الاهلية (وأما) الوحشية فغالبا يوجد منها بعض الرحالة كالسمان والحنفاق
والحدأة كثيرة وكذلك الغراب ولقد شاهدت منه نوعا غريبا لان لونه أبلق وعليه
فيكون اصدقه في قوله تعالى وغرابيب سود هي صفة كاشفة لا مؤكدة حيث يوجد في
الغراب الاسود والابلق بعضه أسود وبعضه أبيض كما يوجد في السودان أنواع شتى من

الطيور

الطيور الغريبة كالببغاوات الالوان البهية المذهبة والمفضضة وغير ذلك من انواع الطيور
(واما) معادن مصر فمنها اكثر انواع المعادن المعروفة فالذهب يوجد بكثرة فى عدة اماكن
من السودان منه ماهو فى معدنه ومنه التبر الذى يوجد فى رمال من سيول المياه واشهر
معادنه فى سنار حتى يعرف بالذهب السنارى وكذلك يوجد الفحم الحجرى المعدنى فى بلاد
النوبة ويوجد انواع المرمر والرخام الابيض والاحمر فى جهات من الصعيد وكذلك
الملح فى عدة سباخ والجبس والشب والرصاص فى مواضع حوالى شط البحر الاحمر
والنحاس فى عدة اماكن والحديد بكثرة فى عدة جهات والكبريت حتى انه يوجد جبل
يسمى به (واما) الفضة فهى قليلة وتوجد احجار ثمينة واهمها الزمرد لكنه قليل ويوجد
الفيروزج والعقيق والذى يجب به الاعتناء هو حجر البورفير وهو كثير ويضاهى ما فى
بوهيميه لمساواته كثرة وصفاء واكثر هذه المعادن متروك اما لعدم المعرفة به
او لصعوبة نقله حتى رأيتهم يأتون بالحجارة للبلاط الرقى فى الاسكندرية من بلد تريست
فى مملكة النمسا مع ما فى البلاد من الحجارة التى صنع منها القدماء تلك الاهرام والهياكل
والمعابد التى تفرد ذكرها فى قواعد الدنيا ولا شك ان العناية لو توجهت الى استخراج
منافع السودان لسهل نقل تلك الحجارة وسائر المعادن باخذ الفحم الحجرى للطرق
الحديدية التى تتم لايصال الاتصال وواصلة الاقطار فى السودان كنوز لا يحصيها
الا خالقها واعظمها بكثرة غاباتها واخشابها المرغوبة كالشمشير والابنوس وغيرهما حتى
لا يحتاجون لجلب اخشاب البناء وغيره من خارج المملكة فانهم يأتون حتى بحطب الوقد
ونحوه من الخارج وذلك ضعف للبلاد (واما) مدن مصر ففى مصر من القرى والمدن
ما يجاوز الثلاثة آلاف بلدة واشهرها قاعدتها وقد تقدمت ومنها ثغر الاسكندرية
ومر ذكرها ثم طنطا ورشيد ودسوق واسيوط والابيض على وزن محمد قاعدة كردفان
وابوحراز وشندى قاعدة دارفور وسواكن ودمياط وغير ذلك وقد كانت بها مدن هائلة
فى الصعيد تحتوى على بنايات عجيبة وصنائع غريبة وقد دثرت تلك المدن ولم يبق لها
من اعتبار سوى ان بعضها صار يجعله قريات ليست بذات اهمية وتلك الهياكل القديمة
قد اكتشف عنها وتسمى بالبرابى ويقصدها السواح للاطلاع على ما احتوت
عليه من الاعاجيب والصنائع المندرسة ومن هذه البرابى واحدة فى بلد ادفو التابعة
لمديرية اسنى اخبرنى الرحالة محمد براده انه رأى به ديوانا كبيرا منقوشا فى الصخر على
حيطانه صور جميع المصنوعات المعلومة لدى الدول وانه رأى فيه بعينه راسه صورة طريق

الحديد بقضبان ممتدة وعليها حرّاقة ذات عجلات الكهرباء دون مركبة أعني لا آلة الحارة
كما رأى فيه صورة السلك الكهربائي يعني صورة أعمدة عليها سلك ممتدة تمشي الى
آلة ورأى صورة سفينة ذات عجلات وصاعد من مدخنتها صورة الدخان ومما ثبت
من خبره أنه يوجد في جملة المرائي بيتان عظيمان أحدهما يحتوي على صور جميع
الحيوانات والآخر على صور جميع المصنوعات وان منها ما تقدم وكان نقش في الحجر
ورأيت في جغرافية مفكري ذكر تلك المرائي واحتوائها على النقوش والصور
لكنه لم يذكر خصوص ما تقدم ذكره (وأما) مراسي مصر فهي الاسكندرية ثم
برنبال ودمياط ورشيد في البحر الابيض ولا عبرة بغيرها والسويس في الخليج
ومصوع والقصير ومواني في البحر الاحمر لا عبرة بغيرها في الخليج الشرقي وأما أهاليها
فهم على قسمين الاول أهالي مصر وهم نحو ستة ملايين بعضهم من ذرية القبط أبناء
المصريين القدماء وبعضهم أبناء العرب الفاتحين واختلط الكل من أسلم من القدماء
بالفاتحين وصاروا جميعا مصريين وتكاثر عددهم في هذا القرن أعني حيث كانوا في
أول دولة محمد علي باشا لا يبلغون الاربعة ملايين وانما زاد عددهم بالتهذيب والضبط
على الصحة بحسب الهواء والعلاج فاوهم انه من منبه لوباء والجدري اللذين
كانا يفنيان فيهم وبلغ عددهم الآن الى ما ذكر. والقسم الثاني منهم هم السودان وهم
أيضا على قسمين الاول أهالي النوبة وكانت قبائلهم سائرة من الزنج وذرية
الكنوز من العرب ثم تسلطت عليهم قبيلة الفونج ودخلت في الاسلام وبقيت هي
الحاكمة الى أن افتتحها محمد علي سنة ١٢٣٦ والثاني أهالي دارفور وعدد
سكانه خمسة ملايين وهم من نوع سوداني يسمى فور ومن هنا سميت بلادهم ودينهم الاسلام
ومعهم نوع يسمى المساليت ولكنه باختلاط الجميع بالعرب ودخول قبائل منهم بينهم
حتى كانت عائلة الملك عربية صار الجميع يتكلمون بالعربية ولعل أهل الاهالي
على العموم أكثرهم عرب واللغة العامة والرسمية عربية ويوجد لغات أخرى سودانية
وعدد الجميع بالاصالة ستة عشر مليونا والديانة الغالبة هي الاسلام ويوجد النصرانية
على مذاهب شتى ومنها القبطية شيء من شعائر اليهود وشيء من شعائر الوثنيين كما يوجد كل
من ديانات الوثنيين (وأما) صنائعهم على العموم وأهل المدن الكبيرة أكثرهم نبهاء
والعارفون بالمصالح العامة المشتركة والباقي على الاطلاق هم على سذاجة وأهل
بالمنافع الخاصة وجهلاء بالمشتركة واللون الغالب أسمر وأسود وأهل السودان والعرب

من

من أصل العرب بني شجعان (وأما) فلاحو مصر فلما طال عليهم الاستيلاء الاستبدادي
ضعفت فيهم الشجاعة بالمرة وكادوا أن يفقدوا الغيرة كما حكاه المقريزي

الفصل * الرابع

﴿في إجمال تاريخ مصر وطبقاتها﴾

﴿مطلب في تاريخها القديم﴾ اعلم أن مصر أشهر بقاع العالم بمعرفة أصول تاريخها
القديم لكنه في الواقع غير محرر ولا موثوق به وقد أطنب العلماء الإسلاميون وغيرهم
في تواريخ مصر وعلومها وقد نقلوا منها ما تستطيبه الأسماع والأفهام بإشارات إلى
أنموذج ذلك ممزوجة بما لا يخلو من المبالغات والخرافات ويدعي بعض المتأخرين
أن المحقق عندهم في مبدأ التاريخ فيها المحقق هو قبل الميلاد بألف ومائتي سنة والحق
أنه غير محرر لأن استنادهم في ذلك أعمارهم والتوراة التي بين أيديهم وهي كما ذكرنا سابقا
غير صحيحة سيما في عدد التاريخ وقد أقر بعض متدينيهم بالغلط الحاصل في ذلك محل
شبه فيما يرجع إلى التاريخ العام وبه يعلم أن لا وجود من الكتابات المنقوشة على
الأحجار المتعددة وغيرها من القرائن الواضحة ونظار في تصحيح التوراة بأن موسى
عليه السلام لم يقصد تاريخها وضبط الحقيقة وإنما قصد ذكر عمود نسبه ولا يخفى
أن هذا غير مقبول إذ كيف به ذكر عمود نسبه في تواريخ مخالفة لنفس الأمر لأنه يلزم
أن يكون قائلا بأن فلانا مثلا بعد الطوفان بكذا ثم فلان بعده بكذا وفي زمن
[illegible] في تاريخ كذا مع أن ذلك الوقت ليس مطابقا لذلك التاريخ
فهؤلاء بين الكذب أو الخطأ المنزه عنه كلام الباري تعالى والمعصوم منه رسوله
فلا محيص عن القول بالتحريف في التوراة التي بين أيديهم وإذا أضفت إلى ذلك
الميزان المقبول في حساب العمر وحكمة التناسل من البشر بعد الطوفان ولو على
القول بعدم عمومه في سائر الكرة ونظرت إلى المدة التي ذكر أن إبراهيم عليه السلام
[illegible] فيها وما كان عامرا من الجهات التي لا نزاع أن الطوفان عمها وهي محل إقامة
إبراهيم عليه السلام وقومه ومن كان معاصرا له من الأمم الذين طوفوا في البلاد وتعمروا
بما لهم من القوة والعدد والعلوم لا شك أنه يستحيل عندك أنهم كلهم نشؤوا
في مدة مائتي سنة من نسل أربعة من أولاد نوح عليه السلام وأصحابه ويستحيل أن تنمي
وتتعدد بمعجزة الطوفان المذكورة من عقول أمة في قرنين إذ لا يمكن أن يكون بعض من

أدرك من أدركها الى زمن بعيد المياه فكيف مع ذلك ينفي توحيد الله وعبادته
غيره ولا يتأتى ذلك الا بطول الزمان ونسيان الهجرة وانقراض العلماء ومن عاصرهم
في مدة مديدة ولذلك لا نعتمد حينئذ على تعيين أوقات ما نعرض له من الدول القديمة
وانما نقول ان مصر قبل بعثة موسى عليه السلام كانت قامت فيها دول عظيمة ذات
شأن وقوة وعمران وملوكها يسمون بالفراعنة جمع فرعون وهي عبارة مصرية
معناها نور الشمس وأول من يعرف الآن من فراعنتها هو منيس (أو) مصرايم الذي
حول مجرى النيل وبنى مدينة منفيس ثم زادها خلفاؤه بعده رونقا حتى كانت أعظم
مدن الدنيا واتخذتها الفراعنة تختا لهم ولو بعد انقراض عائلة فرعون المذكور
وفي مدة أحفاد المشار اليه نشأت دول أخرى صغيرة في أراضي مصر وتقسمت على ثلاثة
أقسام في أحدها تحت العائلة المذكورة والآخران تحت عائلتين أخريين الى
ان تغلبت على الجميع العائلة الرابعة من الفراعنة ومنها فرعون الباني للهرم الكبير
الذي بالجيزة ومركزه ثم انقسمت الى عدة أقسام كان منها العائلة الخامسة وتولى
منها عدة ملوك أحدهم باني الهرم الثاني بالجيزة أيضا وكذلك العائلة السادسة
وغيرها الى الثانية عشر كلهم متفرقون في جهات من مصر الى أن قهر الجميع تحت
حكم فرعون أوسيرطاسن (أو) سيزوستريس ثالث ملوك العائلة الثانية عشر
وضم الى ممالكه بلاد الحبشة وغيرها من السودان وانقرضت عائلته بعده بقليل وغاية
ما يعلم انه تداول مصر بعد ذلك عائلتان وهما الثالثة عشر والرابعة عشر وكانت حوادثهما
ليست مهمة فلم يوجد لهما وقائع شهيرة (وأما) الخامسة عشر والسادسة عشر فلهما
اعتبار من جهة قوة الملك والترقي في الصنائع والمعارف وفي آخر الأخيرة ابتدأ تسلط الملوك
الرعاة على مصر ثم استيلاؤهم على قسم عظيم منها أو على كلها لكن بقي للأهالي
جهة من أعالي الصعيد ملكوا عليها العائلة السابعة عشر من الفراعنة ولم يكن لها
أهمية في جنب مملكة الرعاة وهؤلاء الرعاة يغلب على ظن محققي المؤرخين انهم من
العرب اجتازوا الى مصر وبقوا فيها مدة طويلة ذوي شأن وسلطان مهيب قوي وقال
بعض الأحبار بأن دخول يوسف الى مصر كان في دولة هؤلاء الرعاة ولما قضي على
تلك الدولة بالانقراض كان الذي باشر قهرها فرعون أموسيس وانشأت العائلة
الثامنة عشر ولها عدة آثار باقية الى الآن من المباني والصور الدالة على قوة الملك
والتمدن كالمسلتين الموجودتين بالاسكندرية والقسطنطينية وكذلك الموجودة برومه

وقال

وقال بعض المؤرخين ان دخول يوسف عليه السلام انما كان في هاته الدولة ويستدل
من الآثار ان عبادة الاصنام تلاشت في مدة تلك العائلة ثم استولت العائلة
التاسعة عشر من الفراعنة وكان منها فرعون سيزوستريس المشهور وعند اليونان
بتلك الامم وامتدت مملكته من نهر الطونة في اوروبا الى نهر الكنك في الهند
واشاد في كل مملكة افتتحها آثارا تدل عليه وارتقت مصر في مدته الى غاية
كبرى من المعارف والغنى حتى قيل انه اول من رسم خريطة الصورة مملكته الواسعة
وزادت رقيا وتحضرا وانتهت في معارف الطبيعيات والهندسة واستمرت في مدة حفيده
فرعون زمن موسى عليه السلام حتى ادعى بملكه ومعارفه الالوهية وكان من قصته
ما هو مذكور في القرآن العظيم ومن غريب ما يستحق الذكر ان مؤرخي مصر القدماء
لم يذكروا حادثة غرق فرعون ونجاة موسى عليه السلام وبني اسرائيل بانفلاق البحر
مع انها حادثة كبرى وبناء على اهمالها انكرها من لا دين له من متمردي هذا العصر
واستندوا في ذلك في الاستدلال ان قبر فرعون المذكور واسمه منفطا الثاني موجود
بين قبور الفراعنة في الصعيد بالمكان المعروف بباب الملوك فلو كان غرق لما كان له
قبر واجاب عن هذا بعض النصارى بان وجود القبر لا يدل على وجود المقبور كان وجوده
يمكن ان يكون قبل موت فرعون على عادة اسلافه من احضاره قبورهم مصممة مزوقة
وهو قد هيأ ذلك وان لم يدفن فيه ويحتمل ان يكون ايجاد القبر تعصبا من المصريين وعنادا
في اخفاء الامر الذي احاط بهم دفعا للعار عنهم في الاجيال المستقبلة واستدل المجيب
المذكور على ان فرعون موسى هو منفطا المذكور بان الذي ولي الملك بعده ابنته
وتصرف بالنيابة عنها زوجها لانه لم يكن له ولد سواها وابن صغير قاصر فدل ذلك على
حدوث امر عظيم انقرضت به عائلة الملك حتى صار الى امرأة وزوجها مع ان جدهم
القريب سيزوستريس المار ذكره قد ترك من الاولاد نحو عشرين فهذا الحادث
الذي انقرضت به العائلة ليس هو الا ذلك الغرق لفرعون وملائه اهـ ولا يخفى ان كلا
من الجواب والاستدلال غير مسلم (اما) الجواب فان وجود القبر الاصل فيه ان يكون فيه
مقبور سيما اذا كانت عليه كتابة اسمه التي بها عرف انه قبره وتاريخ موته فانه الاثر المهم
الابدي وضع صاحبه فيه واحتمال ان المصريين اخفوا ذلك القبر على تلك الكيفية
قصد الاخفاء لواقعة في الاجيال القادمة احتمال بعيد كما انه لا يؤثر مع الباحث سيما
وواقعة غرق فرعون مع ملائه ونجاة موسى بني اسرائيل بانفلاق البحر من المعجزات

الباهرة التى لا يبقى معها للمصريين عناد بعد مشاهدتها وهلاك ملكهم الذى كانوا
يعبدونه فلا تبقى فيهم بقية يتذكرون بها عن الاجيال المستقبلة واين هم من هذا مع
افتضاحهم لانفسهم ولجميع معاصريهم ومن هو تحت ممالكهم من الامم [illegible]
الطونة ولكنهم اشتغلوا بانفسهم والانقياد الى الحق او الى تدارك امرهم اذ تساوى فقط
فى الاقل بين اعين الامم الذين ينظرون الى هلاك مدعى الالوهية مع امرائه ووزرائه
وجيوشه فكيف يخطر لهم فى تلك الحالة التعجيبة على اجيال مستقبلة مع ان سائر
معاصريهم ينقلون خلاف ذلك (واما) الاستدلال فهو غير منتج اذ لا يلزم من تولية الاناث
انقراض عائلة الملك كيف ذلك ونحن نرى فى التاريخ بل وفى خصوص تاريخ
المصريين مدة انه قد صار من ملكات مع وجود العائلة بل ولم يزل ذلك جاريا فى جهات من
الارض الى الآن ولم لا تكون ولاية البنت لان قاعدتهم كانت وراثة الملك لاكبر اولاد
الملك لاناث والذكور سواء وتصرف زوجها بنيابة عنها باختيارها لا لانقراض
العائلة وكانى ارى هاتيك التعليلات فى الجواب مبنية على اهمال علم السند والرواية اما
لو كانوا يعرفون سنده وجرت عليه اعمالهم لما انتهوا لذلك واقتصروا من
مهاويها لكنهم مع ان علم السند والرواية امر ضرورى بل طبيعى لاخذ الاخبار الغائبة
عن المشاهدة واذا بنيت عليه الاحكام استقام الامر وخلص من الغلط والغش والكذب
وبناء على اعتبار ذلك نحن المسلمين نقول ان الذى تقدم بوجوده هو غرق فرعون
مصر مع ملائه ونجاة موسى عليه السلام وبنى اسرائيل بانفلاق البحر معجزة له اما كون
فرعون المذكور منفطا او غيره وكون مدته الى الآن كم هى فلا علم لنا به ولا دليل
لنا عليه وذلك العلم حصل لنا بالنقل المتواتر فى القرآن من نبينا محمد عليه الصلاة
والسلام الذى ثبتت نبوته وصدقه بالمعجزات المتكاثرة فاخباره لا شك فى صدقه
ولو وقفنا على ذلك النقل المتواتر من امة بنى اسرائيل مع حصول الحادثة من شهدها
منهم وهم امة عديدة يستحيل تواطؤهم على الكذب لمن بعدهم منهم ومن غيرهم نقلا
منهم جيلا بعد جيل على تلك الصفة الى الآن وعدم ذكر الواقعة فى تواريخ علماء ذلك
العصر لا ينفى وقوعها لان السكوت عن الشئ ليس بنفى له وهنالك حامل على عدم الذكر
لان المؤرخ انما يكون من علمائهم الذين هم اشد مصادقة للديانة واذا شاهدوا مثل
ذلك ولم يجدوا وجها لانقداح فيه وتخريجه على ما يلائم مذهبهم يكتمونه [illegible] على انه
مندمج فى رموزهم ما نسبوه الى عمال القادحين فيه التى ينسبونها الى نوع من الباطل عمدا

او

أو جهلاء والعياذ بالله وإنى لا أعجب من إنكار ذلك من غير ذوى الديانات من أهل العصر
وإنما أعجب من إنكار النصارى واليهود الآن معجزة لسيدنا محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهى انشقاق القمر مستدلين على إنكارهم بمثل ما استدل علماؤهم فى إنكار
واقعة الغرق من عدم ذكرها فى التوارخ مع أنهم يحتجون بمثل ما تقدم ونحن نقول إن
معجزة انشقاق القمر ثبوتها أبين وأمرها أوضح وذلك لما وقعت ليلا بعد مضى حصة منه
لأن القمر كان ليلة البدر أى الرابعة عشر وهو فى كبد السماء كما تشير إليه روايات
البخارى من أن نصفه بقى ظاهرا فوق الجبل ونصفه غاب وراءه والروايات وإن اختلف
ألفاظها فمدار معناها على إظهار الحجة فى انشقاقه لنفر وعاد إلى ما كان عليه ولا ريب أن
حوادث السماء لا يشتغل بها العموم دائما إلا إذا أحدث العلم من قبل بها فتشوفت إليها
الأنظار أو تقع بحسب الصدفة فيما الأمر الذى لا يطول زمانه مثل بعض الشهب المؤثرة
للضوء القوى أو غيرهما مما لا يطلع عليه إلا الأفراد رصدوه ولا يعلم بخبره فى جميع الجهات
والآفاق وإن ذكره بعض الناس فلا يثبت عند علماء المؤرخين لعدم تيقنه عندهم
لعدم ثقتهم بأخبار الأفراد القليلين فلا يكون سكوتهم دليلا على عدم الوجود على أن
وراء ذلك ما هو أوضح وهو أن الممالك المتمدنة إذ ذاك المجاورة للعلماء المؤرخين الذين
يمكن لهم رؤية القمر عند استقامته فى كبد السماء فى مكة المكرمة غاية مكانها ما بين
شطوط المغرب إلى مبادى جبال همالاى أما أهالى أوروبا لم يكونوا إذ ذاك من أهل المعارف
والتدوين سوى جهاتها الجنوبية من بقايا الرومان (وأما) الصين وسكان آسيا الشرقية
فلا يرون القمر إذ ذاك لغروبه عندهم أو قرب غروبه فى ضوء النهار فهم وإن كانوا
إذ ذاك متمدنين وعلماء لكن ذلك غير مرئى لديهم ثم إن الممالك المذكورة التى يمكن لهم
رؤية القمر إذ ذاك هم فى أنفسهم مختلفون فى الوقت فيكون الوقت إذ ذاك عند
الهنود بعد نصف الليل وعند المغربيين عند غروب الشمس أو ما قارب ذلك فى كل
من المكانين وها تيك الأقطار ما مضى عليها من وقت انشقاق القمر نيف وعشرون سنة
إلا وقد أدخل خالد بن سنان قائد جيش المسلمين فى المغرب فرسه فى محيط الغرب
وقال ليس لى وراء هذا ما أفتحه وقد بلغت فتوح الجيوش الإسلامية فى الشرق إلى
بخارى وسمرقند وأفغانستان وسائر تلك الجهات ومعلوم أن هاته الأقطار عند الفتح الذى
كان بقرب انشقاق القمر لأن الانشقاق كان فى السنة الخامسة قبل الهجرة والفتح تم
فى مبدأ خلافة سيدنا عثمان كانوا على قسمين منهم من آمن وهو الأغلب ومنهم من

بقى على دينه (فاما) من آمن وألف فقد روى مثل سائر المسلمين الانشقاق اما رؤيته
أو رؤية أحد ممن يثق به من أهل وطنه مع التأييد بالرواية المستفيضة والتواتر
القطعي من الصحابة الذين شاهدوا ذلك وعلموه ونقلوه بالكلام الذي يتعبدون
بتلاوته ولا يرتابون في حرف منه وكذلك صار نقل كل من آمن من سائر تلك الاقطار
ولهذا تواتر النقل بعدد كثير منهم فتصير كذلك كيفية الوقوع وهو أيضا بالغ مبلغ
التواتر مع ان الاصل ثابت بغير احتياج لاحد كما في سائر المتواترات لانه اذا قال قائل
ان الكعبة في مكة المشرفة ولا يقال له عمن تروي هذا لانه قطعي معلوم بالضرورة
وكذلك نقل الانشقاق لانه متواتر بالقرآن في قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق
القمر (واما) القسم الثاني من علماء تلك الاقطار الذين لم يؤمنوا فانهم التحقيق عندهم
ما تقدم عند المسلمين في ثبوت ذلك عنده منهم من قبل لانه يضرب عن ذكره في
تاريخه لانه يكون حجة عليه وهو يتأول في وقوعه بما تشير اليه الآية الكريمة فهو
حريص على عدم اثباته بالمرة لكنه لما عارضه النقل القطعي سكت عنه ولم يتعرض له
بنفي ولا اثبات ولا فائدة لهم لم يذكر احد منهم ان ذلك الزمان قد كان فلان وفلان
يرصدون القمر او السماء ولم يروا هذه الحادثة مع انهم حريصون على ذكر كل قادح
في الدين فسكوتهم في الحقيقة هو نفس الاقرار بالوقوع ولا يخيل مع عدم ذكرناه
ان مجرد المسكوت عنه حجة في عدم الوقوع والحاصل ما ذكرناه ويتأيد هذا بان الممالك
التي بقيت لم تفتح وكان فيها بقية من الناس وهي يمكن منها رؤية الانشقاق مثل بقية
مملكة الروم الشرقية والغربية فانهم لما تقاصر طالعهم في تلك المدة القريبة بدولة
ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان من معجزاته انشقاق القمر وهم على دين
النصرانية وثبت ذلك عندهم قطعيا عن نقل اقمارهم وعلموا ان ذلك الانشقاق
حجة لخصمائهم فعلى تقدير ان يكونوا رأوه واثبتوه في بعض تواريخهم عند وقوعه
فلا يبعد ان أضربوا عنه بعد بلوغ وصفه اليوم لكي لا يكون حجة عليهم ولا يعاد ثباته
عند من يأتي من قومهم سيما والملوك دائما تحت الانقياد للقسوس وكبراء الديانة
فربما انهم منعوا من ذكره كما يمنعون سير ما يضر بديانتهم ويأتي مثل هذا
التعليل الذي يرد ذكره عن بعض النصارى في شأن غرق فرعون وهو هنا على نحو
ما أوضحناه ابين وامكن فلذلك قلنا باستبعاد عجيب من انكارهم له ولا يقال لعلهم
انكروه واستندوا الى عدم ذكره في التواريخ من حيث وقوع الخلاف في وقوعه حتى

عند المسلمين لأن رواية أحاديثه لا تخرج عن الأفراد والآية المارة قد قال بعض
المفسرين فيها أن الفعل الماضي وضع موضع المستقبل تحقيقاً لما سيقع فلا يكون هناك
النقل بالتواتر للوقوع بالفعل والوجه في سقوط ذلك بديهي عند من تضلع بالفنون
الشرعية وبيانه أنا قدمنا أن الأحاديث المروية في الصحاح إنما هي في بيان الكيفية
والأسباب أما أصل ثبوت الواقعة فإنه منقول تواتراً عقلاً لأن مدار جميع الروايات
البالغة حد التواتر على إثبات الوقوع فليس هي من الآحاد وكذا التصريح القرآن
قطعي فيه وما ذكره بعض المفسرين ليس هو من كلام أحد من الأئمة ولا خلاف عندنا
في ذلك وإنما هو من كلام بعض الملاحدة والمرتدين لإدخال الشبهة كيفما كان الحال
على المسلمين وإن نسب القول بذلك لأحد الأئمة فإنما هو من التزوير والبهتان حيث
لم يثبت بطريق الرواية الصحيحة عن الثقات نسبة قول ذلك لأحد علماء الأمة ولذلك لا ترى
كل من نقل ذلك من المفسرين الا وقال أثره ويرده قوله تعالى وإن يروا آية يعرضوا
ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر الآية فإنه إذا كان المعنى
سينشق القمر لا يكون لقوله يعرضوا الخ من معنى لأن ذلك الزمن الآتي ليس فيه
من يدعي المعجزة حتى ينسبوها إلى السحر وأيضاً قوله تعالى وكذبوا نص صريح في
تكذيبهم بأن انشقاق القمر معجزة وغاية نسبوه إلى السحر وقد جاءت قراءة وقد انشق
القمر بزيادة التأكيد للماضي ولهذا نقل الإجماع غير واحد على أن الانشقاق قد وقع
وأنه لا خلاف بين المفسرين في ذلك وكذلك الروايات في الوقوع قد قال الواقدي إنها
متواترة بالقطع وبه صرح القاضي عياض وغيره من ممارسي الرواية والحديث وقال
القاضي عياض أيضاً ما معناه أن من يدعي عدم التواتر في ذلك إنما هو الجاهل لكن
يغمض بصره ويقول مالي لا أرى الضوء وكذلك هذا فإن المعرضين عن الاطلاع على
الحديث والسير هم الذين لا يعرفون تواتر الرواية في ذلك زيادة على ما قدمنا من صراحة
القرآن فيه وإجماع الأمة على تفسيره بالإعجاز وبلا تأويل ولا شبهة ولم ينقل أحد خلافه
سوى دسيسة الملحدة المذكورة مع الأرجوحة على حاله وكان نقل كثير من المفسرين لها
للرد عليها هو الذي صرح لما ذكر والحق أن كثيراً من المتأخرين الذين فسروا لم يراعوا حق
القرآن في تنزيه تفسيره عن سفاسف الأقوال مما هو مردود بالبداهة وأصول العقائد
والإجماع كما وقع في هاته الآية مما حمل للقول به وإن لم يكن له من أساس ولا سند
ولا عجب لأن الملحدين ودسائسهم في المعاني مما اشتغلوا بل إنهم طمعوا حتى في

الإلحاد وأرادوا أن يدخلوا عليهم الشبه والتحريف مع العلم القطعي بتواتر كل حرف من
القرآن في محله ومرور ألف وثلاثمائة سنة وعشر سنين عليه ولم يقع الشك فيه ولا راج
التشكيك على أحد من الأمة من عامتها فضلا عن علمائها ومن هذا القبيل ما رأيته عند
كتبي لهذا المحل في تأليف جديد للغوي أحمد فارس سماه الجاسوس على القاموس فهو
وإن كان في بابه من جهة اللغة حسن الموضوع لكن لما كان صاحبه غير متضلع بالعلوم
الشرعية اغتر وراج عليه ما يذكر في بعض كتب أدبية لذوي مجون متهورين يذكر
ما يرونه من الطرف والظرائف لتقضية الوقت والترف لدى جهال الامراء حتى قالوا ان
بعض كلمات القرآن الكريم وقع فيها التحريف واختلاف الرواية في القراءة بسبب عدم
وجود الشكل والنقط في الأحرف العربية في الزمن القديم وعدوا من ذلك جملة ألفاظ
حتى قال ان منها أناناها قرئ أوناما وقضى قرئ وصى ويئس قرئ يتبين وعباد الرحمن قرئ
عند الخ ولولا انحصار المقصود لهؤلاء الماصع لهم ذكر ذلك والا فأي ذي عقل يقول
ان أحرف الكلمات المذكورة يشبه بعضها بعضا حتى يقرأ على ما ذكر فمن أين أتت
الواو في أناها حتى صارت أوناما وكيف يشبه القاف بالواو في وصى ومن أين أتت الالف
في عند حتى صارت عباد وهذا كله في باب التمشدق والا فالحقيقة ان القراآت
السبع كلها متواترة باجماع أهل الملة والدين كما نص على ذلك علماء أصول الفقه
وأصول الدين وسائر القراء ولذا قال أحد مدعي العلم في عصرنا ان التواتر يحصل
به العلم العام فما لي لم يحصل لي حتى الظن بذلك فضلا عن العلم فنقول ان ذلك من
الجهل المركب وذلك لأن المراد بكون التواتر يحصل العلم انما هو عند من علم التواتر
وعند أهله أي أهل موضوع التواتر لا عند جميع الخلق ومثاله مثل جهل فانك اذا
سألت أحدا أهل السياحة وعلماء الجغرافية عن وجود المدعى ستكهولم أجابك
بالإثبات أنها موجودة قطعا وأنها تحت مملكة السويد وبدونه لا يرتاب في ذلك مثل ما لا يرتاب
في وجود نفسه فاذا أتيت لجمهور علماء الجامع الأزهر وعلماء جامع الزيتونة وعلماء
جامع القرويين وغيرهم من عدة علماء الدين وسألتهم عن تلك البلاد لا تجد عند أحد
منهم شعورا بها ولا يجيبك الا بأني لا أعلم هذا الاسم من موضوع فهل يكون عدم معرفة
الجمهور العظيم من علماء الشريعة قادحا في وجود تلك البلاد أو في وجود كونها
تحت تلك المملكة بثبوت التواتر ان لم يشاهدها من أهل العلم بذلك كلا فكذلك لا يكون
جهل جميع الجماهير قادحا في وجود التواتر بالقراآت السبع بل قال جمع من الأصوليين

ان

ان القراآت العشر متواترة وصلا عن السبع واذا كان كذلك فلم يبق محل لدعوى التصحيف أو التحريف فى تلك الكلمات واشباهها مما ثبتت به القراءة واعجب من ذلك من التشديق الذى لا اعتبار له سوى التسويد فى الكتب ان ينقل عنه من يرى ان العلم كاف فيه وجوده فى كتاب مسود وسيأتى لهذا الموضوع مزيد بيان فى الخاتمة ان شاء الله تعالى ولنرجع الى تاريخ مصر فنقول انه من عهد منفتا وابنه لم يوجد فى التاريخ شئ معتبر من أحوال مصر سوى استيلاء عائلات أخرى للملك الى ان بلغت الى العائلة الثانية والعشرين فكان منها فرعون شيشنق الاول الذى حارب ملك الشام وهو ابن سيدنا سليمان عليه السلام وفتح مملكته وبقيت تحت حكمه وصور فتوحه على هيكل الكرنك وكتب عليه بالنقش بحروفهم مملكة يهوذا فى قبضتى ثم خرجت عليه الشام وحاربها ابنه وانكسر ثم لم يكن لوقائع مصر من أهمية الى ان استولت عليها العائلة الخامسة والعشرون وهى من ملوك الحبشة وأولها فرعون سباقون وصار من هاته العائلة عدة ملوك وحاربوا ملوك أشور التى كانت مملكتهم بين الفرس والشام وعظمت مملكة مصر فى أيام تلك العائلة حتى اتحدت بالحبشة وبعض أفريقية وصار فيها تمدن عظيم حسبما دلت عليه الآثار ثم انقرضت الدولة وانقسمت المملكة المصرية الى اثنى عشر قسما ثم اتحدت تحت العائلة السادسة والعشرين وأولها فرعون أسامتيس وترقت المملكة فى أيامه وكان به ابتداء استعمال الحروف الابجدية فى الكتابة عوضا عن الكتابة بالصور التى كانت مستعملة سابقا لكل صورة علامة على كلمة ومن مدته ابتدأ التثبت فى التاريخ المصرى واتخذ الحالة نوعا مما كان من قبل فى اثبات الزمن وكانت ولاية المذكور سنة ٦٦٤ قبل الميلاد وكان خلط بعمارته معارف اليونان وكثرت بهم الحالة ثم استولى ابنه [illegible] بابل واراد وصل النيل بالبحر الاحمر ولم يتمه وخرج عنه ايضا بعض ما فتحه فى آسيا كملك الشام ثم استولى عدة من ذريته الى ان فتح مصر بخت نصر وقتل فرعونها وأولى عليها أحد أعيانها فخاف عليه فسار بنفسه ملك فارس وتغلبت على جميع البلاد وصارت مصر ولاية فارسية فحدثت فيها عدة ثورات من الاهالى لانقاذ أنفسهم من الفرس ولم تغن شيئا ونهاية خروج مصر من يد أهلها كان فى حدود سنة ٣٥٨ قبل الميلاد ولم يتولاها احد منهم الى الآن بل كانت سائر دولها من المتسلطين من خارج ثم بقى بعد تلك الثورات استقرار ملك فارس الى ان ظهر اسكندر المقدونى اليونانى

وشرع في الفتوح وافتتح مصر وجعل قاعدتها الاسكندرية كما مر وكان فتوحه
سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ثم استولى عليها بطليموس الاول من اليونان أحد قواد
الاسكندر عند اقتسام ممالكه بعد موته وانشأت الدولة البطليموسية التي تحفظت
على ما امكن لها معرفته من علوم قدماء المصريين وزادت بمعارف اليونان وقد دفع
بطليموس المذكور الشام وجعله ولاية مصرية واهلك من اليهود ما أهلكه بختنصر
حتى لم يبق منهم الا القليل النادر من الرعاع ثم لما تولى ابنه أعتق من وجد منهم وردهم
الى بيت المقدس مكرمين وهو الذي أمر بترجمة التوراة من سبعين رجلا من اليهود
العارفين باللغة اليونانية فترجمها كل منهم بانفراده وقوبلت التراجم مع بعضها
واستخرج من الجميع نسخة واحدة وهي المعروفة الآن بالسبعينية ومع ذلك فهي مخالفة
الآن للعبرانية والسامرية ويقال ان السبعينية أول تحريف للاتفاق عليه اذ ذاك وكان
تحت مصر دولة تونس وطرابلس وكثير من جزيرة العرب والشام وكثير من جزائر
اليونان ثم تولى بطليموس الثالث ورغب في الفتوح الى ان دخل اوربا [illegible] ثم تولى
الرابع وقتل ابيه وفي سائر ممالكه ثمرة له ثم بعدها وتولى بعده ذريته ولكنهم لم يكن
لهم من تقدم اجدادهم سوى اسم الالقاب اما الاعمال فهي فوضوية استبدادية شهوانية [illegible]
الله في انقراض الدول حتى استولت منهم امرأة ذات جمال فائق واسمها كليوباترة فعاثت
في البلاد والعباد وضعف ملكها فقصدها امبراطور الرومان بالحرب وارسل لها جيشا
ولكنها لما التقت برئيس جيشه شغفته حبا حتى تزوجها بعد ان كانت تزوجت
احدا بعد واحد بعد آخر ثم قام معها رئيس الجيوش الى ان ارسل اليه جيش آخر
وقتل في المعركة ولما أيست الملكة من النجاة مكنت حية قتالة من ثديها فنهشتها
وماتت وقد رأيت صورتها في عدة اماكن من اوربا والحية في ثديها وكان بذلك
انقراض دولة اليونان من مصر وابتداء سلطنة الرومان عليها فلم تزل ولاية رومانية
يلقب واليها بالمقوقس له ملاقى المصريين الى ان جاءت الامة وخاطب النبي صلى الله
عليه وسلم الملوك بالدعوة الى الاسلام فكان من الملوك المخاطبين منه عليه الصلاة والسلام
المقوقس ونص الكتاب الذي بعثه اليه بسم الله الرحمن الرحيم من (محمد) عبد الله ورسوله
الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى (أما بعد) فاني أدعوك بداعية
الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فعليك اثم القبط يا أهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا

بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اه فاجابه بالعربية
بما نصه بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما
بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت ان نبيا قد بقي
وكنت أظن ان يخرج من الشام وقد أكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان
من القبط عظيم وكسوة واهديت اليك بغلة تركبها والسلام فلم يكن فيه اجابة ولا انكار
وانما هو يومي الى قرب الاجابة ثم فتحت مصر في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه سنة ٢٠
على يد عامله سيدنا عمرو بن العاص في جيش عدده ثمانية آلاف وامده خليفته باربعة من
أسود الصحابة قال ان الواحد منهم في مقام ألف فتلك اثنا عشر الفا ولن يغلب اثنا عشر
الفا من قلة وتمادى الفتح منها الى افريقية وحيث كانت أخبارها الى العائلة المحمدية
العلوية مبسوطة في التواريخ لا يمكن استيفاؤها نقتصر هنا على ذكر الدول وسنيها
مع ملاحظات في صورة جدول خاص بذا واما بقية ملحقات السودانية وهي القسم
الجنوبي من النوبة وما يليه جنوبا من قبة السودان وقاعدة ملكهم تسمى سنار باسم
المملكة فنهاية ما يعلم من أحوالها انه قبل الهجرة بنحو ٢٧٣٥ سنة كان يسكنها
قوم من الزنج لا نعرف أحوالهم ثم وردت عليهم طائفة الكوش من العرب وحصلت
بينهم وبين المصريين وقائع اضطرت المصريين الى اقامة قلاع في الحدود وتقلص ملكهم
عما كان لهم في النوبة من العود ثم تأسست مملكة أهل سنار العرب على صورهم الراعية ثم
خرجت عنهم كما سبق ذكره ثم دخلت في اهالي سنار وغيرهم الديانة النصرانية في القرن
الرابع من الميلاد ثم في القرن الاول الهجري افتتح العرب هاتيك الجهات وبقيت على
الاستقلال بادارتها سوى التبعية الدينية للخلافة الى سنة ٨٨٩ فاقبلت قبيلة تسمى
الفنج (او) الفون ولا يعرف من اين أتت فتغلبت على تلك الجهات وتملكتها وكانت
على الديانة الوثنية ثم أسلمت وصار منها علماء أجلة في عدة مدن وارتحل منها طوائف
الى قواعد الاسلام لاخذ العلوم فبرعت منهم فحول وكان ملكهم من أقوم ملوك الاسلام
الى أن حدث فيهم التنافر الداخلي والانقسام وتغاير وافقه بينهم فعملوا بذلك وسيلة
لجارهم في التسلط عليهم فاغتنم محمد علي باشا فرصته واستولى على جميع سنار
بعد استيلائه على النوبة سنة ١٢٣٦ أما شطوط النوبة الشرقية أعني ما كان منها
على البحر الاحمر فانه كان في أغلب الاوقات تابعا لمصر حتى لدى الفتح الاسلامي وعند
ما أخضعت الدولة العثمانية مصر بقيت هاته الجهة تحت ادارة خاصة بها تابعة للدولة

الى سنة ١٢٤٣ ففوضت ادارتها الى محمد على وجعلت جزأ من الممالك المصرية وألحقت
بها أيضا بلدة أنصبا وملحقاتها التى كانت تابعة للحبشة فاستولت عليها مصر شيأ
فشيأ (وأما) دارفور فغاية ما علمت من تاريخها أنها كانت من الممالك الاسلامية القديمة
وأهلها من أخلاط السودان والعرب وآخر عائلة من ملوكها عربية سودانية يسمى أولهم
السلطان عبد الرحمن توفى سنة ١٢١٨ وانتقل الملك فى أبنائه الى ان تغلب على المملكة
اسماعيل باشا سنة ١٢٩١ (وأما) زيلع وغيرها من بقية جهات السودان على شطوط
أفريقية الشرقية فحاصل ما بلغت اليه أنهم قوم من العرب اختاروا التوطن هنالك من قبل
الاسلام ثم أسلموا فى صدر الاسلام ولما استولت الدولة العثمانية على اليمن وغيره من
جزيرة العرب وأدر بقية دخلت تلك الممالك أيضا طوعا فى طاعة الدولة ولم تزل جارية على
عوائدهم وطالما الحكم السياسى الى أن ألحقت ذلك بمصر بمقتضى فرمان منحة الى اسماعيل
باشا وورثته وذلك سنة ١٢٩٢ (وأما) بلاد النوبة فكانت قديما مشحونة بعباد كرناه
فى منار الى أن استقر الاسلام بمصر فبقى أهل النوبة على الشرك حتى انه فى زمن
المأمون لما قدم الى مصر اشتكى اليه ملك النوبة من عامل اسوان وأهلها انهم ملكوا
أراضى فى بلاده بالشراء من أناس والحال انهم أى البائعين عبيده فأحال فصلهم على
قاضى اسوان ولم يقر المأمون بالرق فصح عليهم ملك النوبة وطشيهم ثم صار التعدى
متوليا من النوبيين على أهالى مصر وكلما أغاروا وجه لهم حاكم مصر زادا فيذعنون
ثم يعودون الى زمن صلاح الدين بن أيوب فالتجأ اليه ابن أخ ملك النوبة مستنصرا على
عمه فأعانه وأولاه ملك النوبة وضرب عليه خراجا وألحق بمصر نحو الربع من النوبة ثم
لما ملكت الدولة العثمانية استقلت النوبة وكانت حدودها مع مصر مأوى للامراء
أصحاب الفتن يلجؤن اليها الى أن استولى محمد على فاستولى على جميع النوبة وغيرها
وصار أغلب أهلها مسلمين ودونك جدول حكومات مصر منذ الفتح الاسلامى

﴿ جدول حكومات مصر ﴾

التاريخ من الهجرة	أسماء الحكومات	ملاحظات
٢٠	مبدؤها عمرو بن العاص وخلفاؤه	عمال الخليفة من الخلفاء الراشدين ثم الامويين ثم العباسيين
٢٦٤	أحمد بن طولون وذريته	سلطان مستقل بالادارة خاضع الى الخليفة العباسى تقريبا
٢٩٢	عمال العباسيين	مثل سائر العمال
٣٢٣	الدولة الاخشيدية ومنها كافور الاخشيدى	سلطان مستقل يدين بالتبعية للخلافة العباسية
٣٥٨	الدولة الفاطمية أولها المعز العبيدى	خلافة مستقلة على مصر وسائر المغرب
٥٦٧	الدولة الايوبية وأولهم استقلالا صلاح الدين وآخرهم شجرة الدر	مستقلين وتملكوا الشام وغيره وصلاح الدين هو فاتح بيت المقدس من أيدى الافرنج وصاحب الوقائع الشهيرة فى حرب الصليب وفى مدتهم انتقل الخليفة العباسى الى مصر سنة ٦٥٩ وهو صورى فقط
٧٨٤	دولة الجراكسة أولهم المعز ايبك زوج شجرة الدر المذكورة	مستقلين خاضعين لخليفة عباسى بالاسم
٩٢٢	الدولة العثمانية وعمالها ومنهم المماليك	عمال لآل عثمان لهم ادارة مختارة فوضى
١٢١٣	الفرنساويون	تغلب نابليون الاول وبقى الى أن أخرج بسيف الدولة العثمانية واعانة الانكليز

﴿مطلب في تاريخ مصر الجديد﴾ لما استولى الفرنسيس على مصر وكان قاصدهم التوصل
من هناك الى افتكاك الهند من الانكليز لما كان بينهم من الحروب والعداوة وكانت
سائر أوروبا اذ ذاك ضد الفرنساويين حسبما تقدم ذلك في محله فحينئذ عاضدت انكلتيره
الدولة العثمانية على حرب الفرنساويين واخراجهم من مصر ١٢١٦ وبعد استقرار امرها
للدولة استولى على امارتها محمد على باشا الذي أصله من الارناؤط وقدم مع عسكر تابع
لعساكر الترك لاخذ مصر من الفرنسيس وكان كامل الاوصاف للرياسة فتقدم الجيش
بنفسه على بني جنسه وانقاد له الجميع وقررت ولايته للدولة على دفع خراج معلوم سنويا
وذلك سنة ١٢١٩ فوجد مصر في نهاية درجة الفقر والدمار وأهل بل حتى
الامراض الوبائية من الطاعون قد تمكنت فيها وصارت عادية تفني من الناس سنويا
خلقا كثيرا حتى قل العمران ولم يبق من مآثر تقدم المصريين سوى الاسم في التواريخ
ثم وجود للعلوم الشرعية بقية آثار في الجامع الازهر من العلماء وذلك كله لما مر عليها
من تقلبات الدهر والظلم والجور والاستبداد والحروب في الايام الخالية منذ قرون
ساعده الحظ ووافقه البخت وفتح لمصر عصرا جديدا فقدم فيها حدثا لم يعلمه أهلها
ورتب الاداء على الاهالي على قانون غير مجحف وألزمهم بتعمير الارض وفتح الترع وانشأ
المدارس العديدة للعلوم الرياضية والحربية واحضر لها من أوروبا واحدث المهارة فيها
وألزم الاهالي بالنظافة وتوسيع الطرقات والبنايات وارسل التلامذة الى أوروبا لتعلم
الفنون وأحيى العلوم الشرعية وسهل أبواب التجارة واسس معامل السلاح والسفن
وترجمت جملة الكتب المهمة في فنون شتى من لغات شتى الى العربية ونشأ في مصر جيل
جديد وعصر جديد تحسنت فيه طرق العمران والتمدن والقوة في مدة يسيرة فافتتح النوبة
وسنار واستولى على الشام والحجاز وانتشلها من الوهابيين بل امتد بالاستيلاء الى قرب
الآستانة في الاناضول وتحسنت شوكته من عصيانه على الدولة العثمانية فتعصب
الانكليز الى الدولة في الظاهر لتوطيد اركانها وفي الباطن خشية من انتشاء دولة
اسلامية شابة ذات قوة متينة ومركزها مصر فتقتضي ان تمتد من هناك الى الهند لدى
هبوب روح قوة الانكليز بما اداه ضده احدى الدول الاوروبية مثل فرانسا والملك
محاربته مع الدولة العثمانية التي هي اذ ذاك على ضعف شديد من حرب الروسيا
والثورات الداخلية واستقلال اليونان وغير ذلك فقهر محمد علي ولكن لاغتنام مقصد
انكلتيره لم تسمح للدولة بالاستيلاء التام على مصر لمراعاة المقاصد المشار اليها أيضا

فكان الاوفق لها ابقاء مصر في شبه استقلال لضعف كل من الجهتين وبقي محمد علي
واليا على مصر على ان تكون الولاية في ذريته من أكبر الى أكبر ويؤدي خراجا سنويا
للدولة ويعينها عند وقوع حرب بمدها بالعساكر لا يزيد عددهم عن الاربعين الفا
وكذلك يعين بالتعيين في الرتب العالية في مصر يعين هو واصحابها تقوم الدولة
والسكة والخطبة تكون باسم السلطان العثماني والعلم عثماني أيضا وحرم محاربته
في الدولة وكذلك الشام وبقي في ذلك الى أن ضعف بالسن فتنازل عن الولاية لابنه
الاكبر وهو رئيس جيوشه وحروبه ابراهيم باشا سنة ١٢٦٥ وكان على قدم أبيه
وتوفي تلك السنة فتولى بعده ابن أخيه عباس باشا بن طوسون بن محمد علي سنة ١٢٦٥
فاعترى ديوان التمدن شيء من الانحطاط لصرفه المداخيل في الشهوات لكنه أحدث
شيئا من النافع كبعض طرق الحديد والسلك الكهربائي وأحكم الصلة مع الدولة
العثمانية ثم توفي سنة ١٢٧١ وولي بعده سعيد بن محمد علي فزاد انحطاط التمدن
وتبع طرق الاسراف ومنح رخصة لبعض الفرنساويين بفتح خليج السويس وكثر الدين
على الحكومة ثم توفي سنة ١٢٨٠ وولي اسماعيل باشا ابن ابراهيم باشا فاعاد عصر
التمدن والمعارف واتساع القوات البرية والبحرية وشدد الالتحام برجال الانكليز بحيث
جاء له آخذا في طريق الاستقلال بالمرة عن الدولة العثمانية وصادف ان كان في أيام
ولايته حصلت حرب أمريكا المتحدة في بعض جهاتها فانقطع منها جلب القطن الى انكلترا
وشدد طلبه من مصر وحصلت فيها ثروة لم تعهد مع امتداد طرق الحديد الى جهات
شتى والى السودان ثم تم فتح خليج السويس في مدته ودعى له ملوك أوربا فحضر له كثير منهم
كامبراطور اوستريا وامبراطورة الفرنسيس زوجة الامبراطور نابليون الثالث
من غير توسط الدولة العثمانية مما زاد الشبهة في دعوى الاستقلال لكنه كان يحقق
من وراء بيان المقصد ولا يتم له مقصود بغيره من وقت تجدد عادة ارضاء الدولة العثمانية
وقد قدم اليه السلطان عبد العزيز نفسه الى مصر والى مقره في الاسكندرية وحصل منه
على فرمان باعتبار فصار الوراثة في خصوص بنيه من أكبرهم الى ابنه الاكبر
وهكذا وزاد في الخراج للدولة واخذ منها بلاد زيلع وفتح دارفور وكردفان وغيرها
من السودان وزادت المعارف كلها منتشرة في أيامه وانشأ المحاكم المختلطة بمصر لتتبع
حكم القناصل وانشأ مجلس النواب من الاهالي لكنه صوري وكذلك مجلس الوزراء
الا ان الخديوي تحت أمره وحده لكن ازداد الدين على الحكومة بكثرة المصاريف

الداخلية في اثناء القصور وغيرها كالترع والطرق وبكثرة مصاريف الدول لتحصيل
مطلوبه منهم مما ذكرناه وافتقر الاهالي من الظلم وأخذ أموالهم بالضرب وغير
ذلك بحد غير معلوم ومع ذلك لم تقدر الحكومة على الوفاء بفوائض الديون الاروباوية
وجعلت تزيد في القرض الى أن توقف المقرضون عنه فتداخلت الدول في حفظ
أموال رعاياهم وانشأوا وزارة فيها وزير انكليزي للمالية ووزير فرنساوي
للاشغال العامة وتحرش الوزراء غير الاجنبيين حينئذ في عدم الاذعان لمجرد
ارادة اسمعيل باشا وتقلب مرارا في تغيير الوزراء ثم بعده الى أن ثار الجيش باغراء
منه فأمر مجلس النواب وأهانوا الوزارة الاجنبية كلها بدعوى انها انقصت من مصاريف
الجيش وعدده لكن المعاملة مع الوزير الفرنساوي كانت لينة وهو معرض منهم حتى كان
لسان الحال يدل على ان فرانسا ربما نوع اتفاق مع الخديوي يوافق قصده في التباعد
من انكلاتيره حتى تفطنت لذلك وأرسلت له رسولا خاصا اليه بنصيحة شديدة مآلها
ان الدافع له هو الرفق بالرعية والكف عن الاسراف وان ركونه الى غيرها لا يفيده
عند تمحص الحق فأجاب بالاخلاص مما رمى به واتخذ حقه من التداخل الاجنبي الى أن
حصلت تلك الامور من العساكر وعزل الخديوي الوزارة فتراجعت فرانسا وانكلاتيره
وطلبوا من الخديوي أن ينعزل عن الخديوية فأبى والحوا الى ان كادوا أن يباشروه
بالحرب وكانت الدولة العثمانية اذ ذاك أثر وجعها من حرب الروس التي انتزعت بها
كثيرا من ممالك الدولة فارادت الدولة أولا أن تحمي الخديوي لكنها لما علمت أن
لا مناص من عزله من جهتهم كما قيل بيدي لا بيد عمرو وحفظا لماء وجهها ولهيبتها بادرت بارسال
أمر بتلك الكيفية الى اسمعيل باشا فيه بعزله وامر آخر الى ابنه الخديوي الحالي محمد
توفيق باشا بتوليته واستلم زمام الامور وذلك سنة ١٢٩٦ ، ثم سافر اسمعيل الى ايطاليا بحرمه
وأبنائه وبقي ساكنا في نابلي بقصر لحكومة ايطاليا وتصرف الخديوي توفيق في مصر
بواسطة الوزراء وجعل رئيس الوزارة مصطفى رياض باشا وجعل المكلفين من انكلاتيره
وفرانسا مراقبا ماليا يحضر مجلس الوزراء وله صوت فيه بحيث لا يمضي شيء الا ما وافق
عليه المراقبان وقسمت مداخيل الحكومة على قسمين أحدهما لفوائض الديون وقدر
تلك الديون نحو الف مليون فرنك ومقدار ما يعين لفوائضها واستهلاك أصلها نحو مائة
وستين مليونا فرنكا سنويا والباقي من مداخيل الحكومة يدفع منه خراج الدولة
العثمانية وبقيته مصاريف الحكومة ويرى الصرف للوزارة بدون مجلس النواب

مع

مع وعد الخديوى عند ولايته بفتحه واجراء ما تمناه الى أن ظهر للوزارة ان تحدث قانونا فى رتب العسكر كان من مقتضاه ان أبناء مصر العارفين بالكتابة والقراءة لا يتجاوزون رتبة رئيس الالف أى بين باشى والذى لا يعرف ذلك لا يتولى الا رتبة رئيس عشرة وبقية الرتب يتولاها الدخيلون فى مصر كالترك والافرنج فامتنع من الامضاء على القانون فى وزارة الحرب عدة من أمراء الالايات معللين بان ذلك خلاف الانصاف فسجنهم وزير الحرب فثارت العساكر وأخرجوهم من السجن وأحاطوا بقصر الخديوى طالبين عزل وزير الحرب فعزل وحصلت (حينئذ) ملاطفة لاتحاد العساكر وانصافهم وحياة المصريين ونشأ فى الامة حزب يسمى الحزب الوطنى رئيسه فى الكلام رجل يسمى عبد الله نديم فصيح اللسان عارف بطرق الكلام وكثرت منه الخطب فى الجوامع والمواكب ومن غيره أيضا فى الحث على الاتحاد وابعاد الاشغال لابناء الوطن وكذلك الوظائف وخروج من [illegible] الاجانب الذين اشتد احتقارهم للاهالى واستبدادهم عليهم بالمرتبات الباهظة حتى انى لما مررت بمصر كنت أسمع دوى غليان الاهالى من التشكى من كثرة توظيف الاجانب الذين بلغ عددهم نحو ألف ومائتى موظف يأخذون منه نحو واحد عشر مليون فرنك مع اقتدار الاهالى على القيام بتلك الوظائف وحصول حرمانهم عن ذلك ثم بدا للوزارة لزوم التنقيص من عدد العساكر فثار العساكر وأحدقوا بقصر الخديوى متسلحين حتى بالمدافع بعد ان أرسلوا الى نواب الدول بالامن عليهم وعلى رعاياهم والاعلام بمقاصدهم وكان رئيس ذلك الاتحاد رجل من أهل مصر فى رتبة أمير الاى فصيح اللسان ثبت الجنان اسمه أحمد عرابى فخاطب هو ورؤساء الجيش لاقناع الخديوى بعد ان [illegible] الخديوى بمطالبهم بواسطة خطاب قنصل الانكليز معهم تلقاهم وأعلموا بأن مطلبهم هو عزل الوزارة وتولية رئاستها شريف باشا وجمع مجلس النواب واجراء قراره حقيقة وان تكون له الحرية اللازمة لذلك وانه لا يمس حقوق الاجانب وتعهدات الحكومة معهم فلم يسع الحال الا القبول بجميع المطالب واجرائها فعلا وزاد عرابى نفوذا وانطلقت الالسن بالحرية فلما اجتمع مجلس النواب ألف قانونه الذى تبتنى عليه أعماله وكان من جملته انه له الحق فى الاطلاع على حساب الحكومة فى المال وله الرأى فيه مع ان ذلك من خواص مأمورية المراقبة الفرنساوية الانكليزية فامتنعت وزارة شريف باشا من قبول ذلك لما فيه من تداخل الدولتين فى الامتناع حتى يفضى الى التداخل فى السياسة فأصر المجلس على طلبه وأظهرت العساكر التعصب الى المجلس فاستعفى شريف ووزارته

ومن هنا خرجت الاعمال عن القصد الجميل لما يوقعها في الزوال لان العاقل ينظر لجميع
مقتضيات الحال ونسبة قوة الدول فيتباعد من موجبات الفساد ولا تطلب النهايات في
البدايات كما هو القاعدة الشهيرة القائلة من طلب الشئ قبل أوانه عوقب بحرمانه وما
بالعهد من قدم قد رأوا تداخل الدولتين في عزل الخديوي السابق حتى تم مرادهم
فكيف يفتح لهم باب التداخل وهم بالمرصاد منهم لكن سبق القدر فلم يتدبروا
واستعجلوا فاصروا على طلبهم ففوض الخديوي انتخاب الوزارة الى المجلس مع انه من
حقوقه تطييبا لخاطر الاهالي فاستولى رئاسة الوزارة محمود سامي واستولى وزارة الحرب
عرابي ونائبه أيضا من هنا لا اعتراض عليه من العقلاء في قبول الوزارة لان مقامه من
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب بتلك الولاية ويصير له غرض خاص به من
الارتقاء الى المناصب العالية سيما بعد ان رقي من كان معه من رؤساء العساكر الى رتبة اللواء
وقبل هو من الخديوي تلك الرتبة بعد الالحاح عليه فوافقته نيته الوزارة رأى اعاس
وكانت اذ ذاك ألسن الاهالي وعمومهم منطلقة بالقدح في الاوروباويين والتشنيع عليـ
هم عليهم لاسف منتقم لاسلافهم فهاجت ضدهم صحف أوروباوية وأشدهم
الفرانساويون والانكليز حتى برقت وارعدت دولتاهم متهددين بالحرب طالبين
نفي عرابي وبعض من رؤساء العسكر الذين رقوا الى رتبة اللواء وارجاع وزارة شريف
وحدث من طلب مجلس النواب في التداخل في أمر المراقبة وقوع اضطراب وحدث ان ظهرت
فيه دعوى على بعض من العساكر الجراكسة بانهم قصدوا قتل عرابي باغراآت سرية
منها المنسوب الى المفتش باشا أحد علائق اسمعيل باشا فنفى أولئك الجراكسة الى
الاستانة وبقوا فيها تحت الحفظ مكرمين في أحد البنايات السلطانية الى أن رجعوا
بعد الحرب الآتي ذكرها ولما أصرت الدولتان على ذلك أعلن الخديوي بعزل الوزارة
فثارت الاهالي والعساكر والزموا الخديوي بارجاع عرابي الى وزارته وقدم اذ ذاك
مرخص عثماني وهو المشير درويش باشا ومعه عدة رجال لاقرار الراحة في مصر بالوجه
السياسي لان الاهالي أيضا كثروا من التنويه بانتمائهم للدولة العثمانية وردت منهم
افراد على الوجه الخصوصي من قبل لاراحة الاهالي وكان الخلاف بين عرابي والخديوي
عند قدوم درويش باشا اشتد حتى ظهر الخبر بأن الاهالي قدموا عريضة بطلب عزل
الخديوي بل جرى الطمع حتى الى اخراج الخديوية عن عائلة محمد علي بالمرة وطلب أن
تكون مصر مثل ايلغار في امتيازاتها التي منها اختيار الوالي وأن لا تتداخل فيهم الدولة
العثمانية

العثمانية بشئ فى ادارتهم بل ربما تعرضت حقوقهم بانه لو ترسل عساكرضدهم فانهم يقاتلونهم كما يقاتلون سائر الدول وحينئذ أعلنت كل من فرانسا وانكلتيره بلزوم ابقاء الخديوى ونفوذه وقطع مضادته بالقوة الجبرية عبران فرانسا تطلب ان تكون قوتها وقوة انكلاتيره هى الفعالة ولا تسمح الدولة العثمانية بذلك وانكلاتيره على ضدها تطلب مبادرة عساكر الدولة العثمانية لذلك فرأت الدولة العثمانية ان فصل المادة يتم بدون احتياج الى قوة وأرسلت درويش باشا ومن معه لذلك وحصل من قدومه ما أغاظ كثيرا من الاوروباويين لانقياد العساكر المصرية والاهالى للسلطان وامتثال أمره وابتدأ السكون والتوافق والرضى بالحصول شيئا فشيئا لكنه حدث فى اسكندرية التى كانت اذ ذاك مرساها غاصة بأساطيل الدول الاوروباوية حادثة شنيعة وهى قتال بين المسلمين والنصارى السكان بسبب مشاجرة عادية فطلب الاوروباويون بذلك وزمر واحتى توجه الخديوى ودرويش باشا وعرابى الى الاسكندرية لاقرار الراحة وأقر الدول ان الواقعة عادية لا دخل لها فى السياسة غير ان أصل المسئلة من اصرار الدولتين على مطالبهم وامتناع أهالى مصر لا زال على ما كان وقرأت اشد اقداما وتهديدا باعلان الحرب وتمادت انكلاتيره فعقدوا فى الآستانة ما يعجب من المؤتمر فامتنعت الدولة العثمانية من التداخل فيه لما لها من حق السيادة وحدها على مصر فرأت ان ذلك من باب تداخل الدول فى داخليتها لكنهم عقدوه ودخلت فيه الدولة العثمانية أخيرا وبينما هو فى التعارض كانت العساكر المصرية تصلح فى حصون الاسكندرية حسب اللزوم وللاستعداد فيما لان الدولة العثمانية كانت حجرت على اسماعيل باشا تحصينها عندما أحكم حصن أبوقير جوار الاسكندرية وحصون دمياط وغيرها لما سبقت الاشارة اليه فى أخبار اسماعيل باشا ولما رأت أساطيل الدولتين ذلك التحصين ادعوا انه تهديدهم وطلبوا الاقلاع عنه فأمرت الدولة العثمانية بالكف عن التحصين وادعى المصريون الامتثال وادعى رئيس اسطول الانكليز عدمه وطلب دخول عساكره الى الحصون فتفاقم الخلاف وأطلقت النيران من الاسطول الانكليزى على الاسكندرية فخربتها فى نحو عشر ساعات وتقررت بعض مدرعاته وانحازت العساكر المصرية الى مكان يسمى كفر الدوار وحشدوا هنالك واستولت العساكر الانكليزية على الاسكندرية وبقى الخديوى فيها وانكشف الغطاء على مخالفة العساكر للخديوى وكان معه درويش باشا المذكور ثم رجع الى الآستانة وبقى مع الخديوى الكاتب الثانى

للسلطان وانتهزت الحاح الانكليز على الدولة في ارسال العسكر وترسل الدولة الى أن
وقعت عدة محاربات برية كان النصر فيها للمصريين واستولت انكلترا على بورت
سعيد وعلى خليج السويس وكان أكبر المعسكرات المصرية في التل الكبير بين
القاهرة والاسماعيلية وتصادف الانكليز في لزوم قوة كبيرة لهم لاتمام قصدهم لان
فرانسا فتح مجلس نوابها الاستشارة في حرب مصر أنكر ذلك أشد الانكار وسحبت
أسطولها وبقيت على الحيادة والدولة العثمانية وان وافقت أخيرا على ارسال عسكرها
لكن تشدد الانكليز في جعله تحت أمرهم وأن لا يتصرف الا على قدر اشارتهم وأن يخرج
متى ما امروه بالخروج ألزم تأخر ارساله وكان تصرف العساكر المصرية بغاية الاحتراز من
الاعمال الحربية سوى ما صدر من افراد من العربان والملاحين في جهات قليلة وبينما
الامر على ذلك واذا بالدولة العثمانية نشرت اعلانا حسب طلب انكلترا بان عرابي
وكل من انضم الى حزبه عصاة فلم يمض على ذلك بضع أيام الا وقد انحلت عرى التعصب
المصري ودخلت العساكر الانكليزية الى القاهرة راكبة في الرتل بدون أدنى حرب
ولا معارضة مع ان الجيش المصري ومن انضم اليه من العربان وغيرهم المتجاوزون المائة
ألف والخمسين ألف محارب تامة أدوات الاستعداد تفرقوا جميعا أيدي سبا في بضع ساعات
وسلم عرابي نفسه أسيرا الى الانكليز فرجع الخديوي الى مصر وأقيم وكيل مدافع
انكليزي عن رؤساء العساكر المصرية وآل الامر حسب ارادة انكلترا بان حكم
بقتل عرابي لكن الخديوي عفا عنه لانه لم يعمل شيئا الا بوفاق من شيخ وأبقى له مرتبا
للقيام بنفسه ونفي هو وكبراء الرؤساء الى جزيرة سيلان في الهند وذلك هو التعليل
المنافي مع ان حزبا عظيما من الانكليز يرون ان جناية أولئك العساكر سياسية
لا توجب القتل الذي حكم عليهم المجلس الحربي بالقتل لكن الخديوي عفا عنهم
وأبدل القتل بالنفي ولم تزل العساكر الانكليزية مقيمة بمصر وحكامهم السياسيون هم
مرجع الامر والنهي والوزارة تحت رئاسة شريف باشا وناظر الداخلية الذي له كمال
النفوذ رياض باشا وانكلترا بصدد ترتيب حالة جديدة للسيرة السياسية داخلية
وخارجية لمصر مع اعلانها بان مصر تحت سيادة الدولة العثمانية على امتيازاتها المقررة
بالفرمانات السلطانية وان الترتيبات التي هي بصددها لا تمس شيئا من حقوق الدولة
ولا معاهدات الدول الاجنبية وتقلص نفوذ فرانسا في مصر ولم تزل غير مسلمة رسميا
لانكلترا بمرادها والروسية تميل الى معاضدة فرانسا هذا ما وقع الى الآن وهو المحرم

سنة ١٣٠٠ ونه بعلم صحة ما كناذكرنا في استيلاء فرانسا على تونس وكتبناه سنة ١٢٩٨ والله يفعل مايشاء ويحكم بحكمته عاقبة الامور

﴿مطلب في السياسة الداخلية المصرية﴾ اعلم ان مصر مملكة عثمانية لها امتيازات خاصة بينها الفرمان الصادر في ولاية الخديوي محمد توفيق باشا وهذا نصه

الدستور الاكرم الملهم الخديوي الافخم المحترم نظام العالم وناظم مناظم الامم مدبر امور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهام الانام بالرأي الصائب ممهد بنيان الدولة والاقبال مشيد اركان السعادة والاجلال مرتب مراتب الخلافة الكبرى مكمل ناموس السلطنة العظمى المحفوف بصنوف عواطف الملك الاعلى خديوي مصر الحائز لرتبة الصدارة الجليلة فعلا والحامل لنيشاننا الهمايوني المرصع العثماني ونيشاننا المرصع المجيدي وزيري سمير المعالي توفيق باشا أدام الله تعالى اجلاله وضاعف بالتأييد اقتداره واقباله انه لدى وصول توقيعنا الهمايوني الرفيع يكون معلوما لكم انه بناء على انفصال اسماعيل باشا خديوي مصر في اليوم السادس من شهر رجب سنة ١٢٩٦ وحسن خدمتكم وصداقتكم واستقامتكم لدى ذاتنا الشاهانية ولمنافع دولتنا العلية ولما هو معلوم لدينا بان لكم وقوفا ومعلومات تامة في خصوص الاحوال المصرية وانكم كفؤ لتسوية بعض الاحوال الغير المرضية التي طرأت بمصر منذ مدة ولاصلاحها وجهنا الى عهدتكم الخديوية المصرية المحدودة بالحدود القديمة المعلومة مع الاراضي المضمومة اليها المعطاة الى ادارة مصر توفيقا للقاعدة المقررة بالفرمان العالي الصادر في ١٢ محرم سنة ١٢٨٣ المتضمن توجيه الخديوية المصرية الى اكبر الاولاد وحيث انكم اكبر اولاد الباشا المشار اليه وجهت الى عهدتكم الخديوية المصرية ولما كان تزايد عمران الخديوية المصرية وسعادتها وتأمين راحة كافة أهاليها وسكانها ورفاهيتهم هي من المواد المهمة لدينا ومن أجل مرغوباتنا ومطلوبنا وقد ظهر ان بعض أحكام الفرمان العالي الشان المبني على تسهيل هذه المقاصد الخيرية المبين فيه الامتيازات الحائزة لها الخديوية المصرية قد دعا نشأة بعض الاحوال المشكلة الحاضرة المعلومة صارت بعض المواد التي يلزم تعديلها من هذه الامتيازات وتأكيدها وصار تبديل المواد المقتضي تبديلها وتعديلها واصلاحها فاتقرر اجراؤه الآن والمواد الآتية وهي ان كافة واردات الخطة المذكورة يكون تحصيلها واستيفاؤها باسمنا الشاهاني وحيث ان أهالي مصر أيضا من تبعة دولتنا العلية والخديوية المصرية ملزومة بادارة أمور المملكة الملكية

والمالية والعدلية بشرط ان لا يقع في حقهم أدنى ظلم ولا تعد في وقت من الاوقات
لخديوى مصر يكون مأذونا بوضع النظامات اللازمة الداخلية المتعلقة بهم وتأسيسها
بصورة عادلة وأيضا يكون مأذونا بعقد وتجديد المشارطات مع مأمورى الدول الاجنبية
في خصوص الكمرك والتجارة وكافة أمور المملكة الداخلية لاجل ترقى الحرف والصنائع
والتجارة واتساعها ولاجل تسوية المعاملات السائرة التي بين الحكومة والاجانب أو
الاهالى والاجانب مع أمور ضابطة الاجانب بشرط عدم وقوع خلل في معاهدات
دولتنا العلية السياسية وفي حقوق متبوعية مصر اليها واعلامها قبل اعلانها لان الخديوية
المشارطات التي تعقد مع الاجانب بهذه الصورة يصير تقديمها الى بابنا العالى وأيضا يكون
جائز للتصرفات الكاملة في أمور المالية لكنه لا يكون مأذونا بعقد استقراض من
الآن فصاعدا بوجه من الوجوه وانما يكون مأذونا بعقد استقراض بالاتفاق مع
الداينين الحاضرين أو وكلائهم الذين يعينون رسميا وهذا الاستقراض يكون منحصرا
في تسوية أحوال المالية الحاضرة ومخصوصا بها وحيث ان الامتيازات التي أعطيت الى
مصر هي جزء من حقوق دولتنا العلية الطبيعية التي خصت بها الخديوية وأودعت
لديها لا يجوز لاى سبب أو وسيلة ترك هذه الامتيازات جميعها أو بعضها أو ترك قطعة
أرض من الاراضى المصرية الى الغير مطلقا ويلزم تأدية مبلغ ٧٥٠ الف ليرة عثمانية
الذى هو الويركو المقرر دفعه في كل سنة في أوانه كذلك جميع النقود التي تضرب في مصر
تكون باسمنا الشاهانى ولا يجوز جمع عساكر زيادة عن ١٨ الفا لان هذا القدر
كاف لمحافظة أمنية ايالة مصر الداخلية في وقت الصلح وانما حيث ان قوة مصر البرية
والبحرية هي مرتبة من اجل دولتنا العلية يجوز ان يزاد مقدار عساكرها بالصورة التي
تستنسب حالة كون دولتنا العلية محاربة وتكون رايات العساكر البرية والبحرية
والعلامة المميزة لرتب ضباطهم كرايات عساكرنا الشاهانية ونياشينهم ويباح لخديوى
مصر ان يعطى الضباط البرية والبحرية رتبا الى غاية رتبة أمير الالاى والملكية الى
الرتبة الثانية ولا يرخص لخديوى مصر ان ينشئ سفنا مدرعة الا بعد الاذن وحصول
رخصة صريحة قطعية اليه من دولتنا العلية ومن اللزوم رعاية كافة الشروط السالفة
الذكر والاجتناب من وقوع حركة تخالفها وحيث صدرت ارادتنا السنية باجراء المواد
السابق ذكرها فقد أصدرنا أمرنا هذا جليل القدر الموشح أعلاه بخطنا الهمايونى وهو
مرسل معية افتخار الاعالى والاعاظم مختار الاكابر والافاخم على فؤاد بك باشكاتب
المابين الهمايونى وهو من أعاظم رجال دولتنا العلية الحائز والحامل للنياشين العثمانية

والمجيدية

والجديدة ذات الشأن والشرف حرر في تاسع عشر شهر شعبان المعظم سنة ١٢٩٦ من
هجرة صاحب العز والشرف

و بهذا تم أصول الحالة التي عليها حكومة مصر (أما) كيفية الادارة فلما قدمناه في
التاريخ لا يتيسر لنا التصريح بالحقيقة التي يجري عليها الحال لانها غير مستقرة كما علمت
وانما نقول انها الآن للخديوي يتصرف بواسطة لوزرائه على نحو القاعدة الاوروباوية
وما عدا هذا فهو موقوف الى الآن وهو سنة ١٣٠٠ ومن العجب ان بقي الحال
هكذا على غير استقرار وكل حين يسمع انهم يريدون ان ينشئوا أساسات للادارة ولم
تظهر لها وجود مع شدة التشكي من الاهالي من الحالة الراهنة التي مآلها عدم العلم
بمرجع الامر وعدم تعيين المتصرف ومساواة الاوباش القوة الحربية في يد الانكليز وهم
أصحاب العقود الحكم يصرحون بانهم لا يتصرفون في الادارة وانها راجعة الى
الخديوي وحكومته وهؤلاء ايديهم قصيرة اذ كل شيء مرجعه صاحب القوة لاسيما بعد
ان استعفت وزارة شريف باشا وتولية وزارة نوبار باشا الذي علم ان لا مناص من مجاراة
القوي مع تفاقم الثورة في السودان التي كانت ابتدأت اثناء مدة اسمعيل باشا بسبب
تعدي المأمورين على رجل متصوف بالصلاح يسمى محمد احمد كان شيخ طريقة وله
اتباع فصارت منهم اتباع طريقة حربية فاغروا عامل تلك الجهة وهي دارفور فارسل
اليهم بعض اتباعه فغالبوهم وقهروهم وتكرر ذلك وكلما ارسل اليهم قوة كسروها
فحصل لمحمد احمد شهرة الى ان ادعى المهدوية وكانت الاعيان والامراء من السودان
في حرج من ادارة المصريين فانضموا اليه بتدبيرهم واموالهم الى ان استولوا على أغلب
السودان المصري وكسروا المصريين في جيوش عظام احدها يشتمل ازيد من عشرة
آلاف قتلوهم عن آخرهم واستولوا على مهماتهم وفي اثناء ذلك دخل عسكر
الانكليز الى مصر وما انفكت انكلترة بفصل السودان عن مصر واستقلالهم بامرهم
متعللة بانهم لا نفع فيهم للحكومة مع ضيق ماليتها على الوفاء بصرفهم وكان ذلك سبب استعفاء
وزارة شريف باشا متمسكا بان ذلك لا يصح بدون امر الدولة العثمانية التي لها
السيادة والنظر بمصر ايضا لكن انكلترة اصرت على رأيها وأولت نوبار باشا
وفائدتها من ذلك هي تضعيف مصر واستقلال السودان بموافقتهم اليها لكنهم كانوا اشد
عليها مما كانوا مع المصريين فارسلت اليهم مرارا كثيرا كان مأمورهم يسمى غردون
كان متوليها حاكما عاما عليهم مدة اسمعيل باشا فحاول تسكين ثورتهم فلم يقبلوا منه صرفا

ولاعدلا فتحصن ببلاد الخرطوم وطلب القوة من دولته وكانت الوزارة إذ ذاك بيد حزب الحرية فاظهروا من التناقض في القول والعمل ما يتعجب منه في ارسال القوة وأمرها بالتقدم تارة وبالتأخر أخرى الى أن فتح السودانيون الخرطوم وتم لهم جميع أمر السودان وحصل من مجموع لامور الحالة الراهنة في مصر من الامور وكثرة التشكي من الادارة التي هي على غير أساس فعقدت انكلاتيرة التي زمامها بيد حزب المحافظين اتفاقا مع الدولة العثمانية هذا نص تعريبه (أولا) ترسل كل من الدولة العثمانية وانكلترا مندوبا عاليا الى مصر (ثانيا) يتدبر المندوب العالي العثماني متفقا مع جناب الخديوي أو مع من يعينه لهذا الغرض الخديوي في الوسائط النافعة لتسكين السودان ويتفاوض المأموران والخديوي في جميع التدبيرات التي يمكن بها تعديل الاحوال المصرية عموما ويكون اجراؤها برضاء الجميع (ثالثا) يباشر المندوبان العاليان ومعهما الخديوي اصلاح وترتيب العساكر المصرية (رابعا) ينظر المندوبان العاليان مع الخديوي في جميع فروع الحكومة المصرية ويمكنهم أن يدخلوا التعديلات التي يرونها لازمة في كل ما هو داخل في دائرة الفرامين السلطانية (خامسا) يقع الاعتراف من طرف السلطنة العثمانية بجميع المعاهدات العمومية الاجنبية التي عقدت مع الحضرة الخديوية وذلك اذا لم تكن مخالفة للامتيازات المعطاة في الفرامين السلطانية (سادسا) عندما يرى المندوبان العاليان ان هناك حدودا تقررت وصارت سيرة الحكومة المصرية منتظمة وأمرها مضمونا يقدم كل منهما تقريرا الى دولته لعقد الاتفاق باخلاء العساكر الانكليزية البلاد المصرية في وقت مرضي (سابعا) يقع امضاء هذه المعاهدة في ظرف خمسة عشر يوما وتكون مبادلتها في القسطنطينية اهـ وقدم المرخصان المشار اليهما في الاتفاق وعند وصول المرخص العثماني وهو مختار باشا الغازي احتفلت به الحكومة أزيد من احتفالها بالمرخص الانكليزي الذي كان سبق صاحبه (وأما) الاهالي فاحتفلوا بالثاني فقط وعند ملاقاتهم معه للسلام مع جمع من الاعيان أنشدته هذين التاريخين أولهما

الى غاية تنتهي دام منتصرا * قد احتفلت هنا ارخ بمختار كم

وثانيهما بشرى المنال عموم أهل المصر اذ * اصلاحها ارخ بمختار يجري

وبقي المرخصان بمصر وهما مباشران الآن النظر في الاصلاح وتأسيس الادارة على أصول راسخة وهذا ما وقع الى تاريخ طبع هذا المحل وهو ربيع الثاني سنة ١٣٠٣

ومطالب

«مطلب في السياسة الخارجية» الاسباب التي بيناها في اوهام الداخلية هي بعينها
جارية في الخارجية فالامور بيد الانكليز وجميع الدول مسلمة بذلك الا فرانسا
فصرحت بالاعتراض وبمقتضى ما ذكرنا في سلطة فرانسا على تونس يظهر ان رجال الانكليز
لهم في مصر حسبما اوهم يتخذون طريقتهم في جلب الاهالي اليهم قلبا وقالبا ومراعاتهم
لحرياتهم وسائر عوائدهم واصولهم كما هو ديدنهم في الممالك التي لهم فيها النفوذ لكن
الاهالي مصرون على النفور لان التصرف الانكليزي كان في مصر على صورة لم تعهد
من احد قط لانهم في الرسم معترفون بانهم لا يأخذون مصر ولا يجعلونها تحت حمايتهم وفي
نفس الامر القول قولهم ولا يصدر شي الا عن ارادتهم الى ان حصلوا على الاتفاق المذكور
في المطلب السابق مع الدولة العلية فحينئذ صار لهم حق المداخلة برضاء صاحب الحق
دفاعا للدول لان بعضهم وهي المانيا اشارت بالتعريض مرارا على انكلتيرة بتصريحها
بالاستيلاء على مصر واعلامها موافقتها وايطاليا كذلك مع مزيد القيام بانكلتيرة في
المساعدة حتى ادخلت عساكرها الى مرسى مصوع واعلنت بالاستيلاء عليها لكنها
لا تمس حقوق الدولة العثمانية وهو كلام لا يعقل ولا مفهوم له الا عدم التصريح
بالاستضعاف واغرب من ذلك ان الدول اجابوا الدولة العثمانية لما طلبت منهم التداخل
مع ايطاليا في خرقها حقوق الدول بانهم لا يتداخلون حيث صرحت ايطاليا بمراعاة
حقوق الدولة (واما) الروسيا فلم تبد ممانعة ولا موافقة (واما) فرانسا فكانت ممانعة
للانكليز لكنها منذ رأت الدول الكبيرة موافقة على نحو ما رأيت وقد تكفلوا بان
تكون عليهم جميعا كفالة قرض الى مصر قدره تسعة ملايين ليرا ومع ذلك كله فان
الانكليز امتنعوا من الاستيلاء الرسمي او وضع الحماية كذلك بل حتى من كفالة القرض
المذكور وحدهم لخوفهم من كونهم اذا فعلوا ذلك فتحوا بابا للدول في اضرار بالدولة
العثمانية ويرجع ذلك الى عدم معرفة ما تأخذه كل دولة وترجح به ميزانها فربما رجعوا
على انكلتيرة ولذلك مالت الى ذلك الوجه من التراضي مع صاحب البلاد وكان لها
وحدها حق برضاه لعلها تتخلص من اضرار الدول بالدولة العثمانية الآيل عليها بالضرر
ايضا لكن الاضافة الى الطليان في الاستيلاء على مصوع مع تلك الدعوى التي اقرت
الدول بانها كافية في اقناع الدولة العثمانية هل يبقى معه الدعوى الذي ارادته انكلتيرة
وهو ان تداخلها لم يكن الا بالرضى الظاهري فان كل دولة يسوغ لها ان تستولي على بلاد
الاخرى وتقول لها انها لا تمس حقوقها والكلام وحده مقبول فالحاصل ان السياسة التي

وقعت من الدول في مصر وبالخصوص من الانكليز أمرها عجيب واختراعها غريب
ولله فيهم علم غيب هم صائرون اليه

﴿مطلب في بعض صفات وعوائد المصريين﴾ أما أهل مصر الاصلية فقوم مختلطون من العرب الفاتحين وأبناء القدماء المعروفين بالقبط وأبناء الروم الذين امتلكوا مصر نحو الستمائة سنة ولون الجميع أسمر الا قليلا من أبناء الترك والمغاربة وغيرهم من الوافدين الى هناك ولهم حسن أخلاق وطراوة وبشاشة في الخطاب واذا اختلفت نفوس الرعاع والعوام تراهم بذيئي اللسان لهم مهارة في أصناف السب حتى اذا بلغوا الى حد التضارب قال أحدهما لصاحبه (ماعليش) فتصالحا وعادا الى المصافاة ومن أخلاقهم حب الصياح لكنهم اختصوا بكثرة اظهار استحسانه بالآه ومع رفع الصوت ولا يتحاشى من ذلك حتى بعض أعيانهم بل انهم يستأجرون أناسا معدين لذلك لكي يصرخوا بالآه حتى تغلب أصواتهم صوت الموسيقى والطرب وتغطي الجملة كلها هكذا ومن عاداتهم استصحاب قراء القرآن في بيوتهم ليلا للتلاوة بالانغام ويعطونهم أجورا على ذلك ومن الغريب ان بعض القبط أيضا يعملون ذلك ومن عاداتهم في السلام انه اذا دخل الداخل يقف له جميع الحاضرين فيشير بيده بالسلام هاويا بها نحو الارض ويرفعها الى رأسه فيحيونه بمثل ذلك ولا يفهم منهم التقبيل الا ليد العالم على ظهرها او القادم من سفر يقبل في كتفيه وسلامهم مع الامراء والكبراء هو بالاشارة أيضا لكنه فيه تعظيم كبير بان يدخل الداخل قابضا يده الى صدره ويقرب خطاه منكسا رأسه مقبلا بالخطا حتى اذا لصق بالرئيس هوى الى الارض كأنه يريد تقبيل رجله أو ذيل سترته ويمسك الذيل ثم يجعل يده على فيه ثم جبينه والمتواضع من الكبراء المسلم عليهم يضم ذيله اليه كأنه يمتنع من ذلك ويقول أستغفر الله أستغفر الله وغيرهم لا يفعل ذلك لكن أكثرهم متواضع وكلهم يقفون للداخل كبيرا كان أو صغيرا الا الكبير بالمرة مع المعظم جدا ويتكرر الوقوف الى الداخل مهما تكرر دخوله الا اذا كان خادما أو صاحب شغل وأكثر ركوب المصريين على الحمير الا العرب فالخيل وتوجد في المدن العجلات للركوب على أنواع شتى وسائقوها أسوأ أخلاقا من أمثالهم في سائر البلاد وان كانوا في جميعها مستغربين واذا ركب أحد الاعيان عجلته جعل أمامه رجلا يركض وهو لابس لباسا مزركشا وبيده عصا طويلة وهو حافي الرجل ويصيح بالمارين ليتنبهوا للعجلة وما أصبرهم على الجري وما أجراهم حتى اذا خرجوا من البلاد وقفوا وذهبت العجلة فاذا رجعت الى البلاد رجع جاريا

جاريا أمامهم والمصريون أهل جد وكد في شغلهم لا يميلون الى البطالة بل يقبلون على
أشغالهم من غير فتور ويوجد عندهم السؤال المحزون المصحوب حتى انهم اذا رأوا من
أعطى سائلا يكادون أن يسلبوه ثيابه غصبا من الالحاح بل ربما أضروه في بدنه
فالاصلح بالانسان ان لا يعطى الا سرا على حقيقة جدا اذ السؤال صار صناعة لتلك
الفرقة ولهم رؤساء وعليهم أداء مقدر ولهم وقائع عجيبة في الحيل وكتمانه فقد ذكر لي
ثقة انه في حدود عشرة السبعين من القرن الثالث عشر كان أحد الشحاذين مارا في الطريق
فسقط منه كيس وكان بمرأى من أحد الضابطة فالتقطه لذلك فلما علم به انه ضابطي انكر
ان يكون الكيس له فألح عليه الضابطي وآل الامر الى المشاحنة حتى رفع الى رئيس
الضابطية فأمر الشحاذ بأخذ كيسه الذي وجد به عدد كثير من الابرات الذهب فامتنع
وأنكر ان يكون له حتى جلده رئيس الضابطية جلدا وجيعا وهو مصر على انكاره فأطلق
سبيله وجعله شيخ الشحاذين وداووه من ضربه وشكر صنعه كل بني جنسه وأدوا له جميع
ما خسره في الكيس وزيادة لانه لم يظهر عليهم أثر الغنى لكي لا يحصل عليهم ضرر
ولكي لا تقسو عليهم القلوب ولهم وقائع كثيرة من هذا القبيل مع ابداء صنوف في الالحاح
والتضرع تفتت القلوب ولم أر في البلاد مثلهم فظا ويغلب على الجميع الوسخ في الثياب وفي
البيوت والديار لا بعض الاعيان ومن نحا نحو الاوربيين وأكثر ذلك في الفلاحين وأصحاب
القرى بل ان هؤلاء لا يستحيون من كشف العورة نساء ورجالا (وأما) أهل النوبة وبقية
السودان والعرب فقد تقدم في التاريخ أصلهم وأما عاداتهم فالسودان وان كانوا قريبي
الطبع من المصريين لكنهم أحذق أنواع السودان وأقربهم للتمدن سيما من خالطوا العرب
فكانوا مثلهم وأما العرب فهم على نحو الصفات التي ذكرناها في عرب تونس ومن عادات
الجميع ان مبدأ توقيت الساعات عند الغروب ويجعلون اذ ذاك عقارب الساعات في
الساعة الثانية عشرة وهي مبدأ الحساب عندهم وما يقابلها من الاثني عشر ليس لها
وقت معين بل هي على حسب ما يصادف وهذا أول روزيتي لذلك وعليه عمل جميع الجهات
الشرقية (أما) جميع الاقطار التي مر ذكرها كلها فانها تعدل على الزوال أي زوال هو
الساعة الثانية عشرة وتنتهي الى نصف الليل فتبتدئ الساعات الاثنا عشرة التي هي تمام
الاربعة والعشرين ساعة المقسم عليها الليل والنهار ولا شك ان اعتبار الزوال أصح في
التأقيت لانه لا يختلف عن زمنه سواء طال النهار أو قصر بخلاف الغروب وذلك لان
الزوال عبارة عن توسط الشمس في قوس النهار وخط نصف النهار يقسم جميع أقواس

النهار بالسواء أعنى أقواس طوله وقصره فلا يختلف الزوال عن وقته بخلاف الشروق والغروب لان الشمس تنتقل عن محلاتها كل يوم وبذلك يكبر قوس النهار أو يصغر فتجد الغروب إما متقدما عن زمنه بالامس أو متأخرا عنه حسب سير الشمس فى طول النهار وقصره بحيث انك اذا حررت الحساب تجد من زوال يومك الى زوال غده اربعة وعشرين ساعة تامة واذا حررته من الغروب الى الغروب القادم تجدها أربعة وعشرين ساعة الا دقائق فى أوقات زيادة النهار فى القصر أو أربعة وعشرين ساعة ودقائق زائدة فى وقت زيادة طوله لكن كان عدول الشرقيين عن التوقيت الذى لا يختلف هو مصادفة الشرع فى اعتبار مبدأ اليوم من الغروب وان لم يكن بينهما تلازم

(مطلب فى الاحكام بمصر) الاحكام بها الآن على ثلاثة أنواع (النوع) الاول الشرعى الاسلامى وهو فى كل ما يرجع الى الزواج والطلاق والوقف وغيره مما يرجع الى أحوال الديانة فى المعاملات وهذه قضاة ومفتون على المنهاج الشرعى وان أحدث فيه مصاريف يأخذها القاضى على الدعاوى مع بعض عوائد تجحف بالخصوم مما أوجب التشكى من ذلك والنوع الثانى بقية المعاملات بين سائر الاهالى ولها مجالس سياسية (ومنها) الضابطية تحكم بحسب قوانين سياسية موافقة للشرع غالبا وتارة بحكم الحاكم باجتهاده كما فى سائر الاقطار السودانية والنوع الثالث المعاملات التى بين الاهالى والاجانب فلها مجالس مختلطة من سائر الاجانب يحكمون بقانون متفق على ملاءمته لعادات الاقطار وعلى الاجمال فاهل مصر لهم الحرية الشخصية فيما يرجع الى الديانة وشعائرها حتى صارت المنكرات جهرا ولا يقدر الانسان على منع ابنه من مثل ذلك بالحكم دائما سائره وأما الحقيقية الحرية الشخصية وهى أمن الانسان على نفسه وماله وعرضه الا بحق فهذا كانه موجود فى العموم لكن اذا اراد الحاكم الحاقه فالحيل ممكنة وأما الحرية السياسية وهى مشاركة العامة للحكومة فى الرأى فالتحقيق انه غير موجود وان كانت الصحف تتكلم فى السياسة لكنها مخصوصة بالسياسة الاجنبية أما القدح فى تصرفات الحكومة فهو ممنوع نعم لبعض الصحف المستند أصحابها على خصوصيات عينية القدح فى سيرة بعض افراد لمنفعة خاصة والامر موقوف على ما يستقر عليه الحال من الترتيب السابق ذكره فى أحوال السياسة

(مطلب فى تجارة مصر) التجارة بها متسع جدا فى السلع الوطنية والهندية والسودانية والاوروباوية وأغلب الاوروباوية فى يد الاجانب (واما) غيرها ففى يد الاهالى

ولهم

ولهم براعة فى الاكتساب ولكنهم قليلوا الاسفار فلا تكاد تجد منهم خارج مصالحكوم الا النادر وكل من أقام بمصر من العرب ربح الربح الحسن من التجارة لان محصولات الاقطار كثيرة ويخرج منها أنواع كالقمح والشعير والفول والتمر والعدس والذرة والارز والسكر وهو جيد كثير او قصبه واصمغ وفيه أنواع شتى والنطرون والصوف والافيون والعصفر والجلود والحصر والقطن وهو الغالب وفيه أنواع جيدة وبزره وكذلك سن الفيل وريش النعام والمنسوجات الكتانية وغيرها وهذا كله يصدر منها أما الداخل اليها فأهمه الجوخ أى الصوف والحرير والشاشية والزرابى على أنواع والاخشاب للبناء والوقود والعنبر والمقل كالعزدق والجوز والاشربة والبن والصابون والدخان والورق والشمع والزجاج والنحاس وغيره من المعادن مصنوع وغير مصنوع والفرش الصوفية وغيرها بحيث ان مصر مسابقة لاوربا فى الغنى بالتجارة وانواعها عامة منها ما هو على النحو الاوربا وى كالتجارة فى رفاع الدولية والتجار به ولها مرسى عظيم فى الاسكندرية وكذلك البريد فيها على غاية الانتظام برا وبحرا خاص بالحكومة وتأتى اليها أيضا برد اجنبية بحيث لا يخلو يوم من ورود بريد اليها من الاقطار مع السفن التجارية الكثيرة ومنها ما هو على النحو البربرى من التجارة فى القوافل الى دواخل السودان والصحراء واهمها القوافل السنوية وهى قافلة دارفور وقافلة الحبش وقافلة فزان والكل منها عند وروده يوم حافل وكل منها تأتى بتجارة ما وراءها من دواخل افريقية ولو زاد تسهيل الطرق والاعتناء بما فى السودان لاستغنت عن الخارج وزادت ثروتها لانهاية فان فى السودان كنوزا مكنونة ودونك نتيجة قوة التجارة مع الممالك الخارجية لتعلم منه ما يحصل سنويا من المال فى المملكة

٣٦٠ر٠٠٠ر٠٠٠ قيمة السلع الخارجة منها
١٦٠ر٠٠٠ر٠٠٠ قيمة السلع الداخلة سنة ١٢٨٩ نحو فرنك
٢٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ الفاضل

فلولا فائض الدين الاجنبى الذى يخرج سنويا الى اوربا حيث كان أغلبه بيد الاجانب لكان يبقى سنويا فى مصر مائتا مليون فرنكا ولكن مع ذلك أيضا فلا أقل ان يبقى فيها خمسون مليونا كل سنة هذا فضلا عن حركة التجارة فى داخل المملكة وبين أقسامها (مطلب فى الصنائع بمصر) فمصر الصنائع فقط مناسبة لتقدمها وان كان بها بعض المنسوجات الحريرية والقطنية وغيرها كالاحجار والنجارة حتى فى السودان لكنها متأخرة

ومما يعجب له انتم ان الملاحة من الصعيد الى جهة بحر الروم هى فى غاية التقدم
وللفلاحين معرفة جيدة بكيفية رى الارض حتى بالآلات البخارية رافعة للماء من
النيل والترع وبكيفية اثارة الارض وتعميرها فلهم اليد الطولى فى ذلك وترى الفلاح
بفطانته وبنباهته يشتغل آلات الحيل وأطراف النوار وأصحاب الفلاحة من الاعيان لهم
منازل فى أراضيهم لمباشرتهم الاعمال ولهم ثروة عظيمة من ذلك أما أنواع الفلاحة
فهى زراعة القمح والشعير والفول والعدس والحمص والترمس الذى يؤخذ منه الاشنان
والكتان وخس الزيت والسلجم اسماهما من الزيت والبرسيم والجلبان والذرة
والحلبة والقرطم وهو حب العصفر والخشخاش والخردل وغير ذلك من الخضروات
والحبوب والقطن على انواع لذاته ولم يزل يخرج منه الزيت للصابون والتسريج
وكذلك قصب السكر الرفيع ويزرع ايضا التبغ المستعمل للدخان والفول السودانى
فى كل من السودان ومصر وهو صالح للاكل ويستخرج منه زيت جيد للايقاد لا رائحة
له ولا طعم واذا اشتعل ليس له دخان مثل غيره (وأما) الاشجار فلا يكثر عندهم الا النخل
فى جميع الجهات والزيتون استنبت لكنه ردئ الزيت لكنهم لهم كروم بانواع
زبيبية كالعنب والخروع عندهم جدا (وأما) البرتقان والليمون فهو قليل والموز كثير
فى البلد وعندهم شجر الدوم الشبيه بالنخل وكذلك الاهليلج ويزرعون الزهور الطيبة
مثل الورد والياسمين وغيرها والاشجار الغير المثمرة قليلة كما تقدم تفصيله فى التعريف
بمصر وأما فقد وجد اعتناء بانواع من الصنائع سيما التى تمس اليها الحاجة كبوجه
وتقدم فيها الاهالى كصناعة الاسلحة والبواخر وتوجد معامل للحكومة منها ضرب
السكر متقدمة وبه معمل آخر لسبك الحروف لطبع وتجليد الكتب ومعمل للسلاح وآخر
للسفن وحوض لها وآخر للجوخ وآخر للدبغ وآخر للورق وكلها على الطرز الاوروباوى
المتقن ويمكن أن تقوم بعملها الاهالى حتى فى صنع المدافع والبنادق من الطرز
الجديد وللاهالى ايضا عدة معامل فى صنوف شتى (وأما) الجهات السودانية فكثير من
أراضيها وان كانت صالحة للزراعة لكنهم يهملون ولا يوجد منها الا القليل حول
المدن واشتغالهم انما هو برعى الغنم والخيل والابل وصيد الوحوش النفيسة للتجارة
كسن الفيل وريش النعام وجلد الاسد والنمر وتحصيل الذهب من معدنه الباقى
بالطبع كالتبر من سنار والصحراء وغيرها

(مطلب فى المعارف بمصر) العلوم الشرعية لها نافقة فى القاهرة وكفى بالجامع الازهر
مدرسة

مدرسة العلوم عامة فقد دخلت اليه ووجدته يزار ويموج بالدروس والتلامذة ولهم طريقة حسنة في سرعة ختم الكتب اقراء بحيث ان كل كتاب لهم فيه مدة معينة لا يسوغ مجاوزتها ولا يخرجون في التقرير عن الشارح والحاشية المعينة للاقراء ووجدت عندهم اعتناء في الاقراء بالحواشي بحيث لا يقرا كتاب بلا حاشية معينة يتفق عليها الشيخ والطلبة ولهم اصطلاح في الاوقات للعلوم مثلا الصباح كله الى الزوال للعلوم النقلية كالفقه والحديث الخ والمساء للعلوم العقلية كالنحو والبيان الخ ويقرأ فقه المذاهب الاربعة وللازهر شيخ هو مثل شيخ الاسلام له النظر على سائر العلماء وتوظيفهم وكثير من التلامذة يقيمون بالازهر في رواقات خاصة وتعدد من المسجد الآن بالتلامذة الطالبين والحافظين للمتون وغيرها وفي كل من الاسكندرية ودمياط وطنطا جوامع حافلة بالعلوم الشرعية وفي بعض مدن السودان ايضا مثل سنار وبربر كذلك ومن عاداتهم جعلهم في الدروس التطويل حتى يبلغ الدرس الى ثلاث ساعات ولا اقل من ساعة ولذلك كان للتلامذة الاطلاق في هيئة الجلوس بل حتى يتكئون على جنبهم ووجوههم ويأكلون وينامون وهم في الدرس (واما) العلوم الرياضية فلها مدارس عديدة منها للاجنبيين ومنها للاهالي جامعة لتعلم اللغات كالتركية والفارسية والانكليزية يقرا من انها وبه لتعلم الطبيعيات والفلاحة والهندسة والحساب والجبر والهيئة والفلك والطب والتشريح العلمي والعملي والكيمياء وتركيب الادوية وسائر العلوم ومعلموهم من الاجانب والاهالي وفي المدارس سائر الآلات والكتب المحتاج اليها ومنها ما هو مجانا ومنها ما هو بالاجرة من التلامذة ومنها المقيم ومنها المتعلم فقط وكذلك المدارس الحربية وهذا كله خاص بالقاهرة وقليل بالاسكندرية (اما) بقية البلدان فلا يوجد بها الا المدارس الابتدائية في بعض مدن والقرى قلما يوجد بها مكاتب للقرآن والخط وبعض من العلوم الشرعية في بعض من الجوامع لكن لا توجد بلدة ولو قرية صغيرة بدون مكتب وقد احدثت هاته المكاتب الابتدائية في القرى حتى شملت تعلم مبادي الحساب والعبادات والعقائد ورأيت في جغرافية ذكرى احصاء في سنة ١٢٩٢ لاحوال المعارف دونك خلاصته

تلامذة	مكاتب ومدارس	معلمين
١٤٠ر٩٧٧	٤٨١٧	٩٠٤٦

ولا شك ان العدد تزايد من ذلك التاريخ فلا شك انها في تقدم بالمعارف والعلوم

الهائيـة الرياضية يكملون تحصيلها في الممالك الاروباوية ورأيت من تلامذتهم في
باريس ولوندره وجنيف وغيرها ورأيت في مصر وبواخرها سائر العاملين والرؤساء من
الاهالي والاجنبيين متوظفون لا لضرورة بل لرواج أمر ولهذا وقع التشكي المشار
اليه في بحث التاريخ وقد كثرت المطابع وطبعت فيها الكتب على حسب سائر المشارب
ومنويهم وكذلك كثرت الصحف الخبرية يومية واسبوعية لكنها في الحرية على حسب
حالة الحكومة

﴿مطلب في هيئة المساكن﴾ البناء الجديد كله على النحو الاروباوي ظاهرا وباطنا
سيما محلات الحكومة ورجالها (وأما) الابنية القديمة والمعتادة للاهالي فليست بجميلة
الظاهر بل انه لما كان الطين الذي يبنون به مسودا من أصل لون التراب ولا يضعون
فيه ما يغيره الا قليلا حيث كان غاليا ولا حاجة اليه لقلة المطر أو انعدامها عندهم ثم انهم
لا يطلون ظاهر البناء على الطرق ولا يبيضونه فصار منظره بشعا وان كانوا يتأنقون في
الرواشن الخشب بالنقش والهيئة لكنهم أيضا لا يصبغونه فيكون لونه مكدرا وصورة
عموم الديار ان يكون فيها دهليز وحوش غير مسقوف يحتوي على بعض بيوت لجلوس الرجال
والضيوف ووضع بعض المرافق ومحل لغسل الثياب والطبخ ومخزن للمياه كل ذلك في
الطبقة السفلية ثم باب ودرج في الغالب غير حسنة يتوصل منها للطبقة العليا فيوجد فيها
عدة بيوت أعلاها مائل الى تربيع ويكون منها طاق في السور المطروق وتجعل أيضا
كنيفا بالوعته مكشوفة وغالبا تحصل منه رائحة كريهة وغالبا تكون البيوت والدرج
غير مبلطة وبعضهم يعوضون عن ذلك بفرش الحصر والزرابي في البيوت ويعملون عليها
للجلوس اما مصاطب من خشب أو لبن وعليها مقاعد محشوة قطنا وعلى الابواب ستارات
ليست بانيقة وعامتها من منسوجات القطن وحول المقاعد متكئات يابسة محشوة
تبنا وعليها نوع طرح من نفس القطن ولا يزيد البناء على طبقتين غالبا وأما الاعيان فتكون
ديارهم على ذلك المنوال لكنها أكبر وأنعم وأنظف وربما زادت طبقة ثالثة الى السابقة في
القديم والمفروشات تكون حريرية وصوفية جميلة مع تزيين البيوت بالمرايات والساعات
والادوات الصدفية والذهبية والفضية على حسب الرفاهية ويكون في الطبقة السفلى التي
للرجال دواوين كبرى وفي أكثر ديارهم دكة من البناء عريضة للجلوس عليها والجميع مبلط بنحو
الرخام والكذان وعند الجميع فرش النوم مفارش محشوة قطنا أو صوفا وحريرية يوضع
بعضها فوق بعض من اثنين الى ثلاثة توضع ليلا عند النوم وتسوى بالوسادات واللحف

وتارة

وتارة يوضع عليها ناموسية ثم يرفع جميع ذلك صباحا ويوضع في خزائن في البيوت معدة لذلك ويبقى البيت للجلوس وليس لهم فرش دائمة ولا مكان خاص بالنوم وخدمتهم من ذلك في تعب كبير وتلك العادة جارية عند جميع المشرقيين فيما رأيت من البلدان لكن من اتخذ تقليد الاوروباويين صارت بيوتهم وديارهم ومفروشاتهم ونومهم كله على نحو ما ذكرنا في بلاد أوروبا ومما تعجبت منه في مصر رؤيتي للزرابي مفروشة وغير ذلك مما ذكرناه مما يزيد في الحر مع ان قطرهم حار وكان الاولى به الرخام والحصر وغير ذلك مما يبرد المكان ويروق هواءه لكني لما تذكرت قاعدة الناس على مذهب أمرائهم زال عني التعجب وذلك ان أمراء مصر مدة طويلة وهم من الترك وهؤلاء بلادهم باردة فجروا في مصر وشامهم على ما اعتادوه في بلادهم وقلدتهم الاهالي وحتى العائلة الخديوية الآن لم تزل ناهجة منهج شارة الترك واصطلاحهم بحيث لا يشك الرائي انهم قسم من الدولة التركية لما يرى من أسلوب جميع حركاتهم وهيئتهم هذا (وأما) الطرقات فالجديد منها متسع تمر فيه العجلات والقديم في ضيق عظيم لا يكاد يتخلله الهواء وكلها غير مبلطة الا اسكندرية لان المطر قليل النزول عندهم أو مفقود الا في اسكندرية وفي كل بلد نظارة لنظافة الطرق والتنوير ليلا والغرس بين البلاد على حسب التيسر ولم يزل العمل جاريا في توسيع الطرق وضيق الطريق عامة في سائر بلدان المشرق التي رأيتها وكان ذلك في الاقاليم الحارة لشدة الحر فاذا ضاق الطريق لا تنزل الشمس الى الارض لارتفاع الابنية فيقل الحر نوعا ما لكن ذلك مضر بالصحة لعدم تجدد الهواء وكثرة الندى ومخالف للشرع أيضا لان المشروع في الطرق ان يكون عرض المنافذ منها سبعة أذرع والطريق العام اثنى عشر ذراعا وللعطفات التي من المشروع أيضا ان تكون أمام المسجد تكون سترا في تنبيه كما نص على ذلك في الفقه والسير وصرح به مكتوب الخليفة الثاني سيدنا عمر رضي الله عنه الآمر برسم الكوفة ومما ذكروه ان لا تزيد طبقات دورها عن طبقتين والوجه في ذلك هو ان الدار اذا اشتملت على أكثر من طبقتين سكن بها أربعة من يسكن في طبقتين فتصغر البلدة مع انها بلاد الامة فيما في وجه العدو فالاصلح تكبيرها وأيضا فساد الهواء من كثرة الاجتماع في محل واحد ضيق المساحة اذا كان ذات طبقات كثيرة وأيضا تعب السكان بكثرة الصعود وأيضا كثرة التعب والاسراف في مصروف البناء اذا علت الطبقات لان المصروف في الطبقات العليا أزيد بكثير من الطبقة السفلى لما يحتاج اليه من كثرة العلية وأيضا فيه نوع من الكبرياء

والغبار المتسبب عنه صيفا وعلى هذا فضيق الطريق قبيح شتاء وصيفا وحر الشمس يدفع بما
يعمل من المظلات والسقوف كما هو واقع في عدة جهات من مصر في الاسواق بل وفي
الطرقات أيضا من سقوف خشبية بعضها محسن وبعضها ليس فيه الا دفع اذية
الشمس والطرقات في القاهرة ترش بالماء عدة مرار في اليوم حتى يحصل فيها نوع طين
والطرق الجديدة المتسعة كلها مرصوفة الارض وحواليها الاشجار المظللة والقنابل من
الديار بها حنفيات وجاءها النيل جار في القنوات والغالب ان يأتي السقاؤن بقرب او
براميل من ماء النيل غير المصفى ويخزن في الديار في جرار كبيرة وكل دار لها عدد معلوم يأتي
في بابه السقاء بثمن معين

﴿مذاهب في اللبس بمصر﴾ (أما) لبس رجال الحكومة العادي والرسمي فهو على الطرز
الافرنجي غير ان الشارات والعلامات هي تركية صرفة حتى الشاشية والسترة والبنطلون
هي ذات العثمانية باجمعها (وأما) لبس الرجال من أهل المدن الاعيان فيلبسون قميصا
وسروالا واسعين يضعونهما تحت القميص ويسدلون القميص عليهما وهو طويل الى نحو
نصف الساق ويلبسون عليه صديرية مقفولة الوسط بعروة وفوقها قفطان طويل الى
الكعبين ويداه تصل الى أصابع اليد ويطبقونه على صدورهم ثم يحزمون عليه بحزام
ويلبسون فوق جميع ذلك جبة طويلة أيضا الى حد القفطان ومقدمها مفتوح الى الاسفل
ويداها ضيقتان الى أسفل المرفق والجميع من الحرير منسوجات رفيعة وعلى رؤسهم
شاشية تونسية وعمامة فتلة الصوف ملفوفة على نحو العمامة التونسية وهو لباس العلماء
وكبراؤهم يزيدون فوق الكل جبة واسعة جدا وواسعة الاكمام أيضا وبعضهم
يلبس العباءة عوضا عن الجوخة والقفطان (وأما) الاواسط وبعض التجار
فيلبسون القميص من أسفل وفوقه صديرية مثل السابقة وفوقها أي الصديرية غير مقفولة
ومنتان يصل الى الحزام وسروالا واسعا جدا طويلا لا يصل الى الارض أسود اللون
ويحزمون به فوق القميص وعليه حزام والجميع من المنسوجات رفيعة الخياطة والزينة
بخيوط من الحرير حتى تصير كلها مزينة وفي الشتاء يلبسون فوق ذلك كبوتا من الجوخ
يصل الى الركبة وعلى رؤسهم شواشي تركية وحدها او معها عمائم هندية مطرزة
بالحرير (وأما) الاسافل والخدمة فيلبسون من الشكل الاول الى القفطان وفي الاكثر
يكون من قطن أبيض وعليه بنطلون افرنجي وشاشية تركية او تونسية والفلاحون
وأهل القرى يلبسون قمصا زرقا وعراقية لبس الاولاد يلبسون في أرجلهم شيئا
(وأما) بقية الاصناف فيلبسون الاحذية على أنواع شتى من الانواع الافرنجية أو نوع

من

من الحذاء أحمر بلا قدم عال ومن جهة الاصابع يكون مخروطا منثنيا مخروطه الى أعلى (وأما) النساء فالصنف الاسفل يقتصرن على القميص ولا يخرجن فى الطريق بل رأيتهن يخدمن فى آلات البناء ويناولن الحجر والطين وغيره كالرجال وهن مشوهات الوجوه (وأما) الاواسط والاعيان فمنهن صنف يلبسن مثل النساء الافرنج نسوة الافرنج تماما ومنهن اذا خرجن فى الطريق يلبسن رداء من حرير ويغطين بصفيق من الحرير أو الدنطلة على أنوفهن فلا يدرى فى الحقيقة وجوههن كله مكشوف واذا ركبن فى العجلات تكون طواقيهم مفتوحة غير انهن يسدلن ستاراتها نحو النصف من الطاقة واللباس الآخر الذى أدركته على العادة القديمة فيلبسن على القميص فرملة مزركشة بالفضة وعليها عباءة رقيقة وعلى رؤسهن مخروطات من ذهب أو فضة أو نسيج رفيع وكل ثيابهن يصل الى الكعب واذا خرجن التفففن فى رداء غير هذا وعلى وجوههن نقاب مخيب ويجعلن على الانف شيئا مثل الاصبع محوكا فى النقاب ليبعد النقاب عن الاعين والانف للنظر والتنفس والنساء لهن صولة على الرجال فى البيوت

﴿مطلب فى الاكل عصر﴾ (أما) الخبز فالعام عند الجميع هو نوع مستدير فى ارتفاع أصابع ذابل النضج قطره أزيد من شبر ويوجد بقية أنواع الخبز الافرنجى (وأما) الاطعمة فمنها أنواع عديدة والغالب فى الاسواق نوع من الفول مطبوخ فى الماء وعليه شئ من السمن وكذلك نوع من السمك مقدد على الرائحة وسائر طعامهم فيه الادام بكثرة وادامهم السمن (وأما) الزيت فلا استعمال له الا فى السلاطة وزيتهم ردىء لانه مجلوب من كريد والشام وكل لا يحسنون عصر الزيتون والحسن عندهم هو المجلوب من ايطاليا ولا يستعمل الا بعد ماذكرناه كما انهم لا يأكلون من اللحم الا الغنم ولحم البقر لا يأكله الا الفقراء وهو معيب كما انه فى نفسه ردىء والافرنج يأكلونه والفقراء يأكلون الجاموس والابل وفى القرى والعرب والسودان يكثر أكل الابل وكذلك الذرة والدخن أى الدرع أما هيئة الاكل فهى على نحو الانواع التى ذكرناها فى تونس (وأما) وقته فهم يأكلون مرتين غالبا الحداء صباحا بعد الشروق ويخرجون الى أشغالهم ثم يعودون الى ديارهم قرب الغروب فيتعشون

﴿مطلب فى المواكب﴾ (أما) المواكب الرسمية فهى فى العيدين أى الفطر والاضحى يجلس الخديوى فى ايوان كبير بقصره بعد الاعلان من قبل بوقت المعايدة ويكون لابسا لباسه المزركش الرسمى متقلدا بنياشينه فيدخل عليه رجال دولته والعلماء الاعيان واحدا اثر الآخر يسلم عليه بتقبيل ذيله ويقف هؤلاء الكبراء

ثم يدفنون ويكثر تزاور الناس فيما بينهم (وأما) الاعراس والختان فيحتفلون
لها بزينة الدار ويدعون ضابطين معدين لذلك فيأتي الطباخ بزاد وبث الطعام
والموائد والمناديل والخدمة ويتابع كتابة كل المدعوين الذين يعين لهم
الوقت للدعوة من بعد الظهر الى قرب الغروب ومهما حضر اثنان او ازيد ادخلوا
الى بيت كبير ويقدم لهم مائدة على قدرهم فيها أنواع شتى من الطعام المطبوخ والحلو
ويكثرون من الاصناف الى نحو العشرين لونا والمثرون يزيدون الى نحو الاربعين لونا
وهكذا الاكل جماعة بحيث يأكلون اكل شبع ولا يوضع ما يظهر عليه انه أثر اكل
سابق وعادة تكثير الطعام موجودة حتى للضيوف بل حتى في الاكل العادي يوميا
بحيث ان أواسط الناس لا يكون في مائدتهم أقل من ستة ألوان فطورا وعشاء ولهم
عادة التطوف بالختون على نحو ما ذكرنا في تونس بل و يزيدون بالتطوف به ليلا
والشموع والمشاعل موقودة والمغنون رافعون أصواتهم بالشعر والمدائح وكذلك
الاعراس يطوفون بالعروسة ومعها الموكب والطبول والمزامير تعزف ولهم أيام لبعض
المنتسبين للصالحين يخرجون فيها تلامذتهم بالالبسة الرفيعة والاعلام والمباخر وغيرها
وينبطح بعض الناس على الارض في الطريق ويأتي شيخهم راكبا فرسه و يمر فوق أولئك
المنبطحين ولا يضرهم وطء أرجل فرسه يدعون ذلك كرامة وأعظم المواكب يوم خروج
ركب الحاج وكسوة الكعبة فيحضره الخديوي والعساكر وحلاقى لاقصى وتحمل
الكسوة في محمل على جمل مزين ويحادثه الخديوي وكبار الدولة بل قد يحمل ذلك أمراء
الانكليز مع الخديوي بغاية التوقير والمدافع تطلق الى أن يخرج الركب عن البلاد
و ينزل هنالك حتى يجتمع المسافرون ويتوجه الى الحجاز ويحمل ذلك الركب أيضا
أموالا عديدة لمرتبات وعوائد لاهل الحرمين مع صدقات ومحصول وقف الحرمين ومن
المواكب مولد السيد البدوي في بلد طنطا ويعقد فيها سوق عظيم تأوي اليه التجار من
سائر أطراف القطر المصري ولهم حكايات في كراماته رضي الله عنه في نفاق السلع لكل
قادم غير ان ذلك السوق يشمل من منكرات الزنى ما يستهجن ذكره وشهرته (وأما) الجنائز
فعندهم فيها من عادات الجاهلية أمر فظيع جدا وذلك انه اذا مات الميت تأتي النائحات
الصائحات وتبقى تنوح أسابيع ليلا ونهارا ما يزعج أهل الحارة بحيث اني مكثت
بدار صديق في الاسكندرية لموت جاره ولم أستطع النوم ليلا ولا نهارا واقبح من ذلك
ان النائحات والنسوة يخرجن مع الجنازة في الطريق الى أن تدفن ويرجعن هكذا

نائحات

ناعمات والغريب ان ذلك يقع ولو فى محلات العبادة مع انه منكر شرعا وفيه وعيد شديد وكذلك انكاره عقلا وعادة وهو انبع للسنة عند دون الميت فيطلب قائل الشهادة فيه من الحاضرين فيشهدون فيه بالخير لحديث من أثنيتم عليه شرا وجبت له النار ومن أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة أو كما قال صلى الله عليه وسلم

﴿مطلب فى اللغة بمصر﴾ اللغة هى العربية ولو فى السودان غيران بعض جهاته لهم لغات أخرى بربرية لكن اللغة العربية عرفت هناك كثيرا سواء فى تغيير الحروف أو فى ذات الكلمات فان الجيم لا يكادون ينطقون به وكذلك الدال يبدلونه زايا الى غير ذلك واذا سألت أحدا عما تريد قال (نعو رابه) وأشباه ذلك بل ان ذلك جرى حتى عند بعض أصحاب الصحف فيكتبون كتابة مختلطة بين أصل العربية والاعتيادية مع ان الاصل فى الكتابة هو الرجوع الى حقيقة العربية وهو الجارى عند العلماء والكتاب نعم ان الكتاب الرسميين صاروا يستعملون بعض الفاظ اصطلاحية أو فرنساوية وكذلك نفس اصطلاح الكتابة كاد بعضهم أن يخرجه عن الاصطلاح والاسلوب العربى غيران هذا ليس بعام بل المهرة تنصر لا لباب بلاغتهم فى الصحف وغيرها من الكتابات ومع ماذكرناه من صعوبة النطق عندهم ببعض الحروف نجدهم أتقن خلق الله أداء لقراءة القرآن وتجويدهم لهم ضلة فيه تخشع لها القلوب وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

﴿مطلب فى الاحصائيات بمصر﴾

٥ر٠٠٠ر٠٠٠	عدد أهالى مصر
٥ر٠٠٠ر٠٠٠	عدد أهالى دارفور
٦ر٠٠٠ر٠٠٠	عدد أهالى النوبة وزيلع وغيرها
١٦ر٠٠٠ر٠٠٠	
١١٠٠	طول سكك الحديد أميال
١١٤٧٢	طول اسلاك التلغراف أميال
١٦٠ر٠٠٠ر٠٠٠	قيمة التجارة الداخلية فرنك
٣٦٠ر٠٠٠ر٠٠٠	الخارجة

٢٤٣ر٠٠٠ر٠٠٠ دخل الحكومة فرنكا وكان دخلها فى ولاية سيدنا عمرو بن العاص من خصوص الدخل الشرعى مائة وثمانين مليونا فرنكا خصص منها الثلث لتكثير الترع والزراعة حتى أوصل ترعة تسير فيها السفن من الفسطاط الى مراسى الحجاز

٠٠٠ ر٠٠٠ ر٢١٩ خرجها

٠٠٠ ر٠٠٠ ر٠٠٠٢ الدين الذى على القاهليون فرنكا

٠٠٠ ر٠٠٠ و١٦٢٠ فائضه

٠٠٠ ر٦٠٠ ر١٧٠٠ خراج الدولة العثمانية

٠٠٠ ر١٨٠٠ ر٠٠٠ عدد العساكر وقت السلم

٠١٣ ر٠٠٠ ر٠٠٠ عدد السفن ليس منها مدرعة وهذا عدا بواخر البريد والنهر

الباب السابع فى الحجاز

﴿الفصل الاول فى سفرى اليه﴾

بعد ان اقمت فى السويس خمس ايام ننتظر السفر بباخرة الى جدة وجدت عدة بواخر اجنبية ومصرية فاخترت المصرية وكان رئيسها اسطا وسائر متوظفيها ايطاليون ولا يركب احد الا بعد اخذ اذن مرسوم على ورقة بجوازه من محافظ البلدة ويؤدى على ذلك اداء نسيت قدره واظنه خمسة فرنكات وعند ركوبى فى الباخرة وجدت الازدحام من الركاب والمتاع فوق الحد فالتزمت ان اضم الى اثنين معى ورحلى الى استقرار الحال فى السفر وحللنا فى حجرتين بالطبقة الاولى لا يبيتها صغيرة ليس بها الا سريران احداهما اسكنها احد المصريين بعياله والاخرى سكنتها انا ورأيت من ازدحام الركاب وتراكمهم على بعضهم مع الوسخ وسوء الحالة وعدم احترامهم للطبقة الاولى وكثرة السكان على سطحها من النساء والرجال بحيث لا يجد الانسان محلا يرتاح به ما اسفت منه على الركوب هناك ولكنى تسليت بما رأيت من انشراح جميع الركاب وعدم اكتراثهم بما هم فيه من المشقة والكدر كما تسليت برفقة الحاج [illegible] على الفتوة احمد طاهر أطيب النسب وبحسن اخلاق رئيس الباخرة والركاب على السطح من الطبقة الاولى وهم من أعيان قرى المصريين وعرباتها وبعضهم له اطلاع على مسائل الفقه وكان ايضا راكبا معنا ناظر بواخر البوسطة الخديوية فى البحار وهو محمد صدقى لطفى رتبته العسكرية بيباشى وهو كامل الاخلاق والمعارف وله مشاركة حسنة فى العقائد والفقه والعربية مع محافظته على شعائر الدين من الصلاة وغيرها وله اطلاع كامل على احوال فى البحر لانه كان رئيسا للباخرة التى نحن بها المسماة بالزقازيق ورأيته يشير على رئيسها بعدة امور وهو ينقاد اليه وله اطلاع ايضا على الجغرافية والعلوم الرياضية وبعض الالسن مع

تفطن

نعطى الاحوال المناسبة فاتفق رفقته مع بقية الركاب وكثيرا ما يقضى الوقت فى
مداعبات مع بعض العربان الموجودين بالشيخ وكنت أجد الباخرة كبلاد اسلامية باقامة
الاذان فى اوقاتها كلها والصلاة جماعة فى عدة جهات لكن الكثير لا يصلى ولا يستطيع
الصلاة سيما عند اضطراب البحر وان كان لم يقع منه شئ شديد لكن حصل فى الباخرة نوع من
الراحة سيما فى اليوم الاخير لان اكثر الركاب لا يتناول بيديه من الطعام مع كثرة ادامه فضلا
عن غير ذلك حتى كانت بيت الطبقة الاولى عدمة لازدحام خدمة سكانها وكثرة كلامهم
المزدحم وعدم توقيهم الوسخ لكنهم يقضون أغلب الاوقات فى التلاوة الحسنة أو انشاد
الشعر وقد وجد واحد تقدمهم الركاب ووارتاق ركوبهم ان احدهم ركب فى الازدحام
بدون أداء الكراء وهو فقير واجتمعت أصحابه عن الاداء عليه فسجن فى سجن الباخرة
وبعد عدة ساعات انتدب أحد أصحاب الخير الى ان دعا رفيقا للمسجون خيرا وأذنه
بالتطوف على جميع الركاب البالغين ستمائة شخص واستلامهم بحسابه تروقه وطاب
اعانتهم له فى احوال كوب فحصل له مقدار ذلك وزيادة وعند حضور المال أحضر
المسجون واستلمه نائب البوسطة محمد لطفى المشار اليه مجانا ودفعت له الدراهم والدنانير
المجتمعة له ليستعين بها فى حجه ورأيت من بعض الاغنياء اشح الطباع فى هاته الواقعة
ومن بعضهم الاقتصاد ومن بعضهم الكرم ولما بلغ اعتدال رابغ اعلم الرئيس الحجاج
بذلك ليحرموا فاغتسلوا واحرموا [illegible] والله اعلم بكيفية علمهم واداء فرض
الاحرام لان حالة الضيق والوسخ فوق ما اقدر ان أعبر عنه ولا يعلم مقدار ذلك التعب الا
من شاهده وأضف الى ذلك ان الباخرة لا تعطى الاكل الا لاصحاب الطبقة الاولى فلزم
كلا أن يطبخ لنفسه وأغلب الركاب كان معهم زادهم مما يصبر من الطعام من لحم وغيره
وكنت أخذت زادنا من السويس محمارا دجاجا وخبزا وغيره فكان ما بقى يطبخ لى وان
معى فى طبخ الباخرة وفى ذلك من المشقة ان لم يمتد العمر ما لا يخفى فكان ذلك من عجيب
أمر الباخرة مع انها بريدية وذلك خلاف معهود صحتها ولما سألت نائب البوسطة عن
سبب ذلك قال ان الركاب الى جهات الحجاز لا يوجد منهم من يأكل من الباخرة
فرأينا ترتيب ذلك عبثا ولهذا تجد بواخر البريد فى البحر الابيض على نحو غيرها وأما هنا
فلا ثم عند غروب اليوم الثالث من ركوبنا قل سير الباخرة وأعلن الرئيس بذلك لانها
ان دامت فى سيرها تصل الى جدة ليلا ولا يتيسر الدخول الى المرسى ليلا فكان تقليل السير
أولى من الوقوف قربها وبعد شروق اليوم الرابع وصلنا الى جدة فتلقانا دليل المرسى

وهو اعرابي لابس قميصا أزرق وعلى رأسه عمامة حمراء راكب قاربا فصعد الى الباخرة
وصار يأمر بالسير بينما نحن نتعالى لكثرة شعاب البحر المغطاة بالماء حتى
دخلنا حوض الطور فاذا هو حوض واسع أمين طبيعي بما حوله من الاحجار الحاجبة
وفيه عدة بواخر خشبية وباخرة حربية صغيرة للدولة العثمانية وعدة من شراعية صغيرة
وبعد الارساء وأخذ الاذن في النزول من مأموري الصحة ونزول أصحاب الركاب نزلت
مع رفقائي ودفعت على كل واحد منا نحو أربعة فرنكات لأخذ ورقة على أن المدفوع
لنظافة أماكن الحجر فكان نمرة ورقتي ٧٦ ألف ونيف من المئات والآحاد وسبب الآن
تحرير كل الاعداد ولقيت أحد مطوفي التونسيين وهو جميل الاخلاق على خلاف
غيره فأخذ شارحا لنا الطرق وتعسف المأمورين الى أن أخذوا عشرة فرنكات وأقل
مكرهم عن لا يعطيهم تركوهم لمواجهة أياما بدعوى كثرة شغلهم فمنهم من أحسن
المأمورين وأكثرهم معرفة كلمات دالة من الشعار وغيرهم ثم غدا في المطوف على دار
اكتريت احدى طبقاتها واقمت هنالك ثلاثة أيام وهي مدة الحجر على ساحل البحر وهي
مرسى الحجاز الطبيعية للحجاج والتجار من سائر الجهات وسكانها أغلبهم من العرب
والهنود ثم المغاربة والاغاريق حتى الافرنج ولها أسواق رحيبة مسقوفة وتكنس البلد
وترش يوميا وشوارعها بالابزيت النفط وبها جوامع حسنة وماؤها مربها يؤتى به من بعد
في قرب من مصانع وفساقي وهو مالح جدا ردئ لان أرضها سبخة وبها بعض ديار
جميلة المنظر لنواب الدول وبعض التجار وأغلب المباني الكبيرة للكراء وفيها أملاك للاشراف
وبعد أن أتممت نقل لوازم المصروف الفرش والبسط وأخرجت منها حيث كنت قاصدا لها
لما قرب لي من اغترابي لم أنزع ثيابي وقد بحثت عن لهم المهم اكتريت جمالا لي ولاصحابي
فركبت الهودج الذي اشتريته من هنالك وهو مثل مهد من عيدان معمرة ومشدودة في
بعضها على أصعب كل نصف داره نحو ذراعين وعرضه ذراع أسفله الذي هو محل الجلوس
حصير من عزف النخل مشدود في تلك العيدان وفي زواياه الاربع عيدان صاعدة نحو
ذراعين ونصف ثم تقوس الى أن تتصل ببعضها فيحصل منها شكل أربعة أقواس متقابلة
ويشد له على نحو ربع الاسفل منها شبه الشمس حائل حديد من الحداء لتحمي الراكب
من السقوط وذلك في جهة واحدة وهي جهة الخشب المائل لظهر الجمل ثم يوصل كل من
النصفين بصاحبه فيتألف من ذلك مهدان متلاصقان متحاذيان مع بعضهما بحبال متينة
ولكل منهما أربعة أرجل تستند بها على الارض اذا برك الجمل ثم يوضع على محزم من فوق

زربية

زربية أو كليم أو منسوج قطني على حسب ارادة صاحبه ويدلى من الشقين الخشبين الخارجين
ويحاط على ثلاث الاعواد ثم يعمل من فوق جلد به أو جلد رقيق أيضاً لمنع نزول
الماء ان وقع ثم يفرش كل من الشقين بزربية على عدة طبقات ومنها الحاف محشو قطنا
ثم توضع عليه مخدة أو مخدتان أو وسادة محشوة قطنا أيضاً من جهة الارجل ويتقى
بالقطع في المساند الشاغل من الجهة الخارجية مخروط وفقط استارة من داخله ترفع وتنزل
وتقفل بخيوط ويربط في قوائم الاقواس عدة جيوب من سعف النخل لوضع اناء الماء
وغيره مما لابد منه من ضروريات السفر وزاده بحيث يصير كل من القسمين فراشا
مريحا يضطجع فيه الراكب ويكون امامه وخلفه مفتوحا وجنبه الذي من جهة رفيقه
مفتوحا ايضا وجنبه الآخر به طاقة ان اراد فتحها أو غلقها ثم يوضع الجميع على الجمل
ويربط به ربطا محكما ويوضع له درج من خشب رفيق في مقدم الهودج المسمى بالشقدف ليصعد
منه الراكب الى شقه ويمسك الجمال الشق الآخر الى ان يصعد اليه صاحبه أيضا ويعدلان
في الثقل حتى يسير بهما الجمل ويلزم ان يكونا متقاربين في الوزن ولذلك كان ركوبنا بعد
صلاة العصر خارج البلد ومع كون ذلك المركب متوسطا في الراحة فقد وجدت في نفسي
تمام سير الجمل الهوينا حتى حصل لي نوع من الدوار لكن الانسان يأنس به لا سيما بعد يومين
يزول عنه ذلك ويصير مرتاحا بحسب سرعة سير خطوة الجمل وبسبب فات الصيف والمطر
نأنس بنغمة شبه المتعب الذي كان يغني به احد … حتى وقت ركوبنا على جمال
الرحال وبهذا سرنا ضحيتنا الى الماء وصار لنا ولم نزل … الصلاة في أوقاتها وصلينا
عند الصباح قرب … في صحراء … من الجبل
وعلى الطريق قهاوي من اعواد الحطب والحصير كثيرة العدد اكثرها فارغ لمن يريد
النزول فنزلنا بها واكتريت … لنا …
من زادنا وأعطينا الجمالين والقهوجي وارتحلنا الى … فركبنا ووصلنا مكة
المشرفة بعد نصف الليل وانزلنا الطريق الا قليلا وكثر التعب لاسيما على الجمل
لان كثيرا منهم من يركب من جدة الى مكة الى الجمل … وصلوها في نحو تسع
ساعات الى احدى عشرة ساعة لكن ذلك وان كان فيه قلة الحمل كثير منه ولذلك
آثرت الحمل وعند الوصول الى خارج مكة المشرفة … وجدنا … فاعجبت
بانه لا يوجد الا الماء البارد ولا يمنع الاغتسال به فلذلك … الوضوء …
المطوف ورأيت منه ان يكتفي بالاعلام بلا … ولا اعلام بالشاعر … الى هذا

باب السلام والكعبة قبالة الباب أو من عند الى غير ذلك حيث كنت ملت
اليهم يزيدون وينقصون ويدعون و[illegible] لم يرد به شرع وكنت استصحبت
عدة كتب في الفقه وفي خصوص المناسك وأخذت منها بما برواية الامام عن جابر في
وجدت في بعضها ما ورد له في المناسك للملا علي قاري في [illegible] آثار البيت الآن [illegible] باله
محروقة في حق أبوي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يكون له علي أدنى منة
واعتقادنا تبعته هذا من علماء أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] في آله
الكرام والمعصومين جاهه العظيم عليه وعلى آله أكمل الصلاة والتسليم فاقبلت الى باب
السلام وادركت [illegible] ما ينبغي و[illegible] الكعبة المشرفة وبه محمد ثم دخلت المسجد
الحرام وطفت بالبيت الكريم وقبلت الحجر الاسود وسعيت بين الصفا والمروة وقواربت
ما انتفضت مما [illegible] في ذلك القدوم [illegible] ثم توجهت [illegible] الطوف الى دار وكيل تونس
حيث كان ساكنا به كل من الاخيار الثقات السيد أحمد والسيد [illegible] عامر والسيد محمد
[illegible] القادمون من تونس قبلي [illegible] وأقمت فيه ثلاث ليال عندهم وصليا
الصبح في [illegible] ثم [illegible] اقمت فيه ولم [illegible] أحد [illegible] عليه
وانه [illegible] أخلاق [illegible] مما [illegible] التحاشي عن [illegible]
[illegible] ان [illegible] الى دخل البيت المعظم [illegible]
اخلاق [illegible] شيئي ولم يكن [illegible] الا [illegible] اقتنعهم
بذلك [illegible] وانحراك [illegible] وكذلك تشرفت بالمثول بين
يدي [illegible] الشريف المعظم صاحب الاخلاق [illegible] مع ماهو عليه من رفعة
الشأن [illegible] الشهيد [illegible] وهو [illegible] الاخلاق
متواضع [illegible] ولا [illegible] الا [illegible]
أحد [illegible] الى [illegible] تونس في [illegible]
[illegible] عرفات واكبر في [illegible] الحرب
ثائرة في الطريق فوجهت رحلي على جمال واكتريت [illegible]
من [illegible] أيام الحج [illegible] والعمران واذا
نحن [illegible] الذي [illegible] اذ لم تكن
[illegible] عرفت [illegible] عن الحجيج
وأقمت [illegible] ثم توجهت صبيحة يوم الثامن الى عرفات لوقوع شك في ثبوت الشهر
وافينا

واقمنا فيه الى ليلة العشر من الشهر بعد الوقوف وأخذ حصتنا من الليل أفضنا من
من عرفات بعد ان أدينا ما نسأل الله قبوله وكان موقفا تقشعر منه الجلود من خشية الله
والتجرد لعباده ليعلم سائر أمرهم وكانت الارض تموج بالخلائق ضارعين الى ربهم جل
وعلا تنبعث منهم الحماسة والخشوع وعند الافاضة اتفقت مع حماري ومع الرفقاء على التأخر
عن الازدحام وأخذ الطريق الاقل ازدحاما وكان دليلنا مصمما على خلاف ذلك لانهم غالبا
يرون من شدة تزاحم الحجاج واضطرابهم عن حقوق المشروعات ما يدلون ويرغبون في الالتحام
والزحام والاصطدام الذي فيه لهم منافع يتحدثون بها مدتهم فلما وصلنا كانوا يسرعون السير
ومن عادة جمهورهم أن لا ينقاد الى راكب بل الى سائقه فقط ولو اتسع المكان من وجه
ودخلوا بنا كرها في وسط الزحام ولم يبق منا واحد يسمع صوت صاحبه الا وران بالضجيج
الصياح والزعاق والشرق فمن حاج يعدو ومن داع يدعو ومن مصرح ينادي رفيقه ومن
صاحبه منعثر بالمارة من سقوطها ومن راكب بين كسرة ومن باك يتذكر
هول اليوم ومن هارب ولسقوط جمله وحمار نحو ثابت والناس منها فارون
يجرون وآخرون يرجعون آخرون وقفوا في الاصطدام مع جدوله والناس لا يذكر بعضهم
بعضا في مطالب أمر نفسه ذكرت هول يوم الفزع الاكبر وما ابعث الهداة
الهوى حتى دفعني بعض شدة الجمال فاسقطني عن حماري وتخرجت من بين ارجل
الحيوانات متصورا الشدة مات ابي حتى يسر الله الي الخروج عن الطريق بالصعود
الى محل مرتفع فجلست هناك حامدا الله على النجاة وبعد هنيهة لحق بي بعض أصحابي
وحادي الدليل حاثا على الذهاب ولا نمكث في مكاننا هذا ووقفت له بأيمن ارحل
ان الله حرم في هذا الوطن الجدال ولكن ما عليك من الاد اوقف فادي سوابقي نفسي
أفعل أخف الضررين لان البدو لا يعلمون أكثر من الفعل وهو الذي تدعو اليه لان
افعاله يتعدى على انهم يقتنعون باخذ السبب ومنه الدفاع ما استطعت ووراء هذا كله
انه لا وجود لشيء تمام وله وهؤلاء الخلائق في الطريق وعند آخرهم أنوخه فدعني
ونسي وذهب بعضهم وبقيت أسرح في عجائب الخلق من الحالة التي بيننا بعضها الى
أن خف الماشي فرافقت آخرهم حتى وصلنا الى مزدلفة ولم أجد رحلي فجلست في قهوة
حتى مر بي أحد أصحاب رحلي فاهتديت اليه وجمعت بين المغرب والعشاء ثم بعد أداء
مناسك المزدلفة توجهنا الى منى وخيمت في مرتفع من الارض في أطراف تلك الهضاب
مع أهالي جدة ورجعت الى مكة وأديت بقية المناسك وحللت الاحرام ثم رجعت

الى منى الى تمام أيامها وكان فى اليوم الاول عند رمى الجمار من الزحام ما وصفنا بعضه
حتى مات عدة أناس وتكسر عدة وإنما ذكرت هذا تتميم الاخوان حتى يحترزوا من ذلك
ولا يغتروا بأقوال الادلاء لان لهم مقاصد واطوار اغراضهم ودونهم ثم انه مما عنانى انى ورجعنا
الى مكة وأكتريت بنائى لحصب خارج مكة تغلب لصحة الهواء وبرودته لان المرض
اشتد على ثم أخذت بعض زوادت مناسكها ثم حيث قرب الركب الشامى الى أن تهيأت
القافلة التى أكتريت بها الجمال للتوجه للمدينة المنورة فسافرنا اليوم التاسع عشرين
الشهر واشتريت حمارا لان يتابع عليه فادنى حد الانى كنت اركبه بعد الظهر فتعبنى
ومعى أحد رفقائى الذين صاروا من بعض اخوانى الى أن نصل الى أول القافلة الحجازية
فيدهشت من الابل السائرين ويأتى لى حوله مستظلة قرب الطريق ونعاس على
زربيتى واستريح وننتظر على نحو ساعة أو ساعة لاربعة ويأتى آخر القافلة فنركب
الحمار ونعمل كذلك مرتين أو ثلاثا الى أن نصل المغرب ويشتد الظلام فنركب الجمل وكان
سيرنا على الطريق الفرعى بعد عائلة متاع أصحاب الابل لامير مكة فى أمن من همهم
وكان كراء الجمل الذى عليه الهودج ثمانية وعشرين ريالا دورو أى مائة وخمسة عشر فرنكا
من مكة الى المدينة ومنها الى ينبع وقيمة حمل الرحل والاتباع الكل جمل خمسة
وسبعون فرنكا وكثرت رحلاتهم وما من مولى الجمالة شجاعة ويا ... الجمل الذى
نركبه ولا عانة على بقية للوازم فرأيت منه ضر الكبير بوقوف بعيره فانه تخلف عنى
فى المدينة المنورة ولم يصل الى ينبع فرحلنا من مكة اليوم الاول بعد الظهر ومررنا يومئذ فى
طريق طيب ونزلنا بعد العشاء ثم رحلنا قبل الشروق وصعدنا فى جبل وعر حداو بعد أن
مررنا به نحو خمس ساعات سرنا فى طريق بسيط الى المدينة المنورة ولولا ذلك الجبل لكانت
العجلات تستطيع السير بسهولة فى الطريق وكان سير الجمال لا يزيد عن ثلاثة أميال فى
الساعة حسبما قرره أدلاؤهم وسيرهم متعب وتدوم الرحلة من اثنى عشرة ساعة
الى ستة عشرة ساعة وواحدة منها دامت اثنين وعشرين ساعة تعبت منها لوازم حاجتى فى
واحدة لكى يستريحوا يوما من رحيل فى بلادهم وهى خديعة ولا يتركون الاقرب ماء وفى
الليلة الثانية عشر وصلنا المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فرحلنا بها
عند الفجر وتلقانا الطريق النبوى الحب وحلابه والمرقه لا يعنى مزور ونزلت
عند اه صل الحجر وصاحب الاخلاق الحميدة والصفات الحميدة الطبع الكامل
عبد الجليل برادة جازاه الله خيرا وكثر من أمثاله فى الامة وبعد أداء الآداب والسنن

أسعدنى

أسعدني الله بالوقوف بين يدي نور العالم وسيد الخلائق وملجأ الأمم وفضل الله على خلقه ورحمته للعالمين سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيا له من حظ نسعد به بالجسد ويا له من فضل يبدي من كرم الله وجل وحظيت بالسلام عليه وعلى صاحبيه عليه الصلاة والسلام وعلى آله الكرام وصحبه الأعلام وفي اليوم الثالث أنشدت بين يديه عليه الصلاة والسلام قصيدة في التي مطلعها

الى السيد المصطفى شددت عزائمي * الى سيد الارسال شمس المكارم

وبثثت اليه عليه الصلاة والسلام شكواي في دنياي وأخراي وبلغت قصدي أعلى مطالبي ولله المنة والحمد منها ما قضي في حينه ومنها ما تم قضاؤه بعد مدة قليلة وإن أرجو كرم الله في قضاء باقيها بوسيلة رسوله عليه الصلاة والسلام وزرت آل البيت عليهم السلام وكثيرا من الاصحاب والائمة الاعلام والمشاهد المباركة ثم قمت مع القافلة وتوجهنا الى ينبع ورفعنا ما أبقيناه من رحالنا في بلدة الجديدة ووصلنا ينبع في الليلة الرابعة قرب الفجر فأردت النزول في خان فتعب الأحمال ان اكترى دار الاحاكم البلدة وأكتراها لي بخمسة وثلاثين قرشا في الليلة هي أربع بيوت خربة فوق السيب والدرج خربة وليس بها ولا حصير وأقمت بها ثلاثة أيام ويمكن في المرسى ثلاث أو رابع بواخر تنتظر ازدحام الحاج فيه باخرة غادرتها قافلة من المتخلفين على جدة ثم ينبع فاكتريت بها قاصدا الاسماعيلية

الفصل * الثاني

{في صفة البلدين المكرمين وموكب الحج}

{مطلب صفة مكة المكرمة} أما مكة المشرفة فهي واقعة في عرض ٢١ درجة و ٢٠ دقيقة شمالي وطول ٣٧ درجة و ٣٦ دقيقة شرقي ومن اسمائها مكة وبكة وأم القرى وأول من سكنها سيدنا ابراهيم عليه السلام بوالدة ولده سيدنا اسماعيل عليه السلام وكان سيدنا اسماعيل أبا العرب ورفع هو وأبوه قواعد البيت العتيق وكان مقصد الامم الحنيفية وهذا البيت الكريم هو في وسط المسجد الحرام وزواياه الاربع مقابلة للجهات الاربع أعني الجنوب والشمال والغرب والشرق وآخر بنائه الى الآن هو بناء السلطان سليم الثاني على نحو الاصل الذي كان عليه زمن النبي صلى الله عليه وسلم لان سيدنا عبد الله بن الزبير بناه على قواعد ابراهيم عليه السلام وأدخل فيه الحجر ثم هدمه

عبد الملك وأعاده على هيئته زمن الرسالة فلما استخلف أبو جعفر المنصور أراد أن
يعيده على ما بناه ابن الزبير لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها لولا
قومك حديثو عهد بكفر لبنيت الكعبة على قواعد ابراهيم فلما زال المانع وحدث قوة
الايمان ترجح عوده الى الاصل واستشار الخليفة الامام مالك بن أنس رضي الله عنه فقال
له ناشدتك الله يا أمير المؤمنين لا تجعل بيت الله ملعبة بأيدي الملوك فان الذي رأيته وان
كان صوابا لكن بقاؤه على حالته احتراما له أولى فبقي على ما هو عليه الآن وأساس
جدران الكعبة مرتفع عن الارض ما بين عشرين صانتي الى ثلاثين و يزيد العرض عن
الحيطان ما بين عشرين الى أربعين فهو كالدرجة محيط بالجدران وهو المسمى بالشاذروان
والحجر الذي هو من قواعد ابراهيم عليه السلام في جهة البيت الواقعة بين الغرب والشمال
ويحيط به الحطيم الذي هو سياج مستدير نحو نصف دائرة ارتفاعه متر و سمكه متر
ونصف مغلف بالرخام وينتهي قوس النصف دائرة قبل أن يصل الى جدران الكعبة بنحو
مترين وخمسة وثلاثين صانتي والبيت مبني بحجر كبير وأرضه مرتفعة عن مساواة
المسجد بنحو مترين وبابه قرب ركن الشرقي مستقبلا ما بين المشرق والشمال
ويصعد اليه بدرج مثل المنبر في المواكب العامة وعند فتحه الخصوصي يؤتى له بسلم صغير
وعتبة الباب من فضة وعضادته من رخام والباب دفة واحدة مغلفة من ذهب وهو
من خشب الساج وداخل البيت ثلاث أعمدة من القماري قطر كل واحدة أزيد من
شبرين وارتفاعها أربعة من ستة أذرع وعليها مكابس من ذهب والبيت مبلط بقطع
كبيرة من المرمر وكذلك حيطانه وسقفه من الساج وفي ركنه الشرقي من خارج ما بين
المشرق والجنوب في ارتفاع قامة الحجر الاسود وهو حجر معوج أحدب يميل من
فضة أسود لامع أثرت فيه أيدي اللامسين حتى صار في بعض جهاته انخفاض وصار
ذا شكل مقعر مثل اناء الشرب واصله قطعة واحدة ثم تشقق من ضرب المنجنيق عند
ما حوصر ابن الزبير رضي الله عنه فجعل له صندوق من الفضة وبه فوهة يظهر منها
الحجر قطرها سبعة وعشرون صانتي متر وأي نحو ثمن متر وثلث وفي سطح البيت ما بين
الشمال والغرب ميزاب الرحمة من ذهب يصب في الحجر والبيت طوله مما بين المشرق
والشمال أزيد مما بين المغرب والجنوب فطوله اثنا عشر مترا وعرضه عشرة أمتار
وعشرة صانتي عدا الشاذروان وارتفاعه خمسة عشر مترا و يكسى كل عام بكسوة من
الديباج الاسود يؤتى بها من مصر وعليها حزام مزركش بالفضة مكتوب به آيات
كريمة

كربة وكذلك نفس الكسوة وفيها كتابات جديدة . والقسم الثاني من نفس النسيج وقبالة
باب الكعبة على نحو اثنى عشر مترا مقام ابراهيم عليه السلام وفيه بيت مربع داخله
آيات بينات من أثر القدمين في الصخرة ووراءه بانحراف الى الجنوب الشرقي بئر زمزم
وعليه قبة وحوله أحواض وعليه بكرات من النحاس ثم صحن المسجد متسع جدا طوله مشرقا
ومغربا مائة واثنان وتسعون مترا وعرضه مائة واثنان وثلاثون مترا والرواقات
مرفوعة أقواسها على اسطوانات من حجر وسقفها قباب من بناء وفي وسط الصحن على بعد
نحو اثنى عشر مترا من الحطيم اسطوانات من حديد أو نحاس ذاهبة في الهواء موصولة
بعضها ببعض بسلاسل من نحاس يعلق بها مصابيح وهي دائرة بالبيت علامة على حدود
المطاف وعلى سمت الركن الشمالي على دكة لجلوس المؤذنين والمسمعين وخلف المطاف
وقبالة جهة البيت التي بها الميزاب يقيم امام الصلاة من مذهب الحنفي وله محراب وهو أول
مصل في الأوقات كلها ما عدا المغرب واذا أقيمت الصلاة وتقدم الامام الحنفي رأيت المسجد
الحرام كله في غاية من الهدوء ولم أر شيئا لم تدخله البدعة أبدا إلا الصلاة في ذلك الوقت
ما عدا تسميع المسمع فهو زيادة على بدعة شنيعة يريد أن يسمع المؤذن أصبعه في أذنيه وهو
في الصلاة وما عدا هذا فانك ترى آداب الاسلام حقيقة وامتثال الخلق أمر خالقهم فيقع
من الخشوع ما لا يعلمه الا الله سيما في صلاة جمعة وتتبينه حكمته البالغة في وسع المسجد
كل من يدخله وترى الخلق مع ذلك الازدحام على غاية من التؤدة وامتثال أمر الشرع بحيث
لا تسمع الا همسا من تسبيحهم وتكبيرهم في الركوع والسجود فاذا سلم الامام الحنفي
عادت الحركة لما كانت عليه وتوعد صلاة كل من أئمة المالكي والشافعي والحنبلي حتى
لا يكاد المؤتم يعلم حركات الامام أمامه لكثرتهم . قد يقدم مذهب الشافعي على غيره لأن
مذهبه يرى استحباب التبكير بها وكل أحد من الأئمة له جهة من جهات الكعبة يصلى
اليها وقد عينت محل الامام الحنفي وأما الشافعي فمحرابه خلف مقام ابراهيم عليه السلام
وأما المالكي فمحرابه تجاه الضلع الغربي الجنوبي من الكعبة خلف المطاف بعشرين
وأما الحنبلي فمحرابه مواجه للضلع الجنوبي الشرقي على نحو ذلك البعد أيضا وباب السلام
من المسجد الحرام تجاه باب الكعبة وباب الوداع في الجهة المقابلة له ووراء الرواقات
عدة مدارس لسكنى المجاورين ويسكن بيوتها الحجاج أيضا وحول المسجد من أغلب
الجهات طرق وباب السلام يفتح في الطريق الموصل من الصفا والمروة وهو طريق متسع
حوله ديار ذات عدة طبقات ومشربيات وأسفل الديار حوانيت عليها مظلات يباع

بها الماكولات وغيرها وكل من الصفا والمروة محل في نهاية زاوية من الطريق متسع ذو
درج مرتفعة تنتهي الى حائط وبينهما طريق متسع عرضه ما بين عشرة و ثني عشر
مترو وطوله نحو اربعمائة وخمسة امتار وفي وسطه محل الهرولة في السعي تبتدئ من
الميلين اي العلمين الاخضرين على بعد خمسة وسبعين مترا من الصفا عند باب [illegible] من
الحرم وتنتهي الى العلمين الآخرين بعد مسافة نحو سبعين مترا عند باب علي وكل من
العلمين قائم مثله في الحائط [illegible] وفي مكة المشرفة أسواق كثيرة يباع بها سلع سائر
الاقطار واكثرها سلع هندية لان تجارا كثيرين من اهالي الهند والاسواق مسقوفة
بالواح وفيها القهاوي كما ان أعراف البلاد عندها ذاتها قهاوي وهي على نحو الخصوص
ويجلس فيها على كراسي كبيرة وصغيرة من اخشاب الخط وعرف اهل وخارج البلد
على طريق عرفات مقبرة المعلى ثم بعض مباني لاولاد من الاشراف رضي الله عنهم
وبيوت لبعض من الاعراب وغيرهم وفي جبل ابي قبيس المطل على المسجد الحرام مسجد
صغير وبعض دور وزاوية للشيخ السنوسي وشرب جميع الاهالي من عين زبيدة التي
اوصلتها امرأة الخليفة هارون الرشيد من قرب عرفات الى مكة [illegible] على مجراها
في الطريق والبلاد [illegible] لانها [illegible] وغيرهم ويحصل من كثير من الناس
تقديرها [illegible] فيها من الاوساخ كما توجد آبار اخرى [illegible] وغيرها يؤتى
بالماء منها او [illegible] السقاؤن على الدار ويوضع في جرار [illegible] دوارق ويوضع في
طواق او غيرها يعتبر عليه الهواء لتبرد ويبرد الماء لكن من عادتهم فيه انهم يبخرون
الدوارق بعود يسمى عود المعل وهو المكثير وتارة بالمصطكى فيحصل طعم في الماء غير
شهي والمعل اسود وهم يرونه حسنا وتقسم مكة الى [illegible] عشرة حارة وقيل ان عدد
سكانها مائة وسبعون الفا

﴿مطلب في صفة المدينة المنورة﴾ واسمها المدينة وطيبة وطابة ويثرب وموقعها في [illegible]
من الارض المرتفعة في عرض ٢٥ درجة و ٣٠ دقيقة شمالي وطول ٣٧ شرقي
وغربيها على نحو [illegible] جبل احد وبها اسوار وحصن [illegible] ذات مدافع
وخزائن للذخائر الحربية والحرم الشريف النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام في
جهتها الشمالية الغربية وقد جدد الحرم الشريف والمسجد السلطان عبد المجيد فكان
المسجد وحده مائة وخمسة وخمسين ذراعا طولا اي من الجنوب الى الشمال وعرضه
[illegible] من جهة الجنوب مائة وخمسة عشر ذراعا ومن جهة الشمالية ثمانون
ذراعا

ذراعا ونحو ثلث المسافة أيما صحن المسجد الذي هو جهة الشمال ويحيط به رواقات
وكله من بناء ضخم مرفوعة قبابه على أقواس قائمة على اسطوانات من المرمر الاحمر
المأخوذ من مقطع بالحجاز به قرب المدينة وكذلك واحد الابواب وصحن المسجد تحيط
به رواقات وما عداها مكشوف وليس بين المسجد وصحن أبواب وباب السلام من غربي
المسجد قرب حائط القبلة والمحراب في نحو ثلثي عرض المسجد أعني أنه أقرب الى الشرق
حتى يكون قبالة المحراب النبوي الاصلي لان المسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة
والسلام قد زيد فيه مرارا أولها في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه حين ازدادت كثرة
المسلمين وآخرها الى الآن ما زاده السلطان عبد المجيد رحمه الله وكل من زاد فيه تحرى
مواقف النبي عليه الصلاة والسلام لتبقى محفوظة فلذلك وان زيد في جهة القبلة حتى صار
حائطها يبعد عن حرم الحجرة الشريفة نحو الثمانية أذرع مع أن حائط القبلة كان مساويا
لحائط الحجرة لكن بقيت قيمة المحراب الاصلي محافظا عليها والمحراب الجديد قبالته
أما المنبر فهو وان تغيرت ذاته لكن محله لم يتغير وهو الآن من المرمر المتقن والاصلي من
خشب وأما الحجرة الشريفة فالاصابة عليها بناء ضخم مستطيل من الغرب الى الشرق
وعليه قبة عالية أرفع من سائر قباب المسجد وداخلها القبر الشريف المكرم لصق الحائط
القبلي من جهة الغرب ويليه قبر الصديق رضي الله عنه لجهة الشمال متأخرا الى
الشرق بحيث ان رأس الصديق رضي الله عنه مسامتة لاسفل من رأس رسول الله صلى
الله عليه وسلم نحو ذراع وذلك تأدبا من الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يليه
ثم الى الشمال أيضا بانحراف الى الغرب قبر الفاروق رضي الله تعالى عنه وهذه الحجرة لا يدخلها
أحد ووراء حيطانها من خارج شباك من حديد متين متصلة قواعده برصاص مذاب
غليظ الجرم مالئ للاساس الى عمق عميق حتى اتصل بطبقة الماء في الارض والسبب
في وضعه هو أنه كان في مدة السلطان نور الدين الشهيد عصر حدث حادث عظيم بالمدينة
وكان أمر الحجاز اذ ذاك تابعا لسلاطين مصر فرأى السلطان نور الدين رؤيا هالته وهي أنه
رأى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات في ليلة واحدة وهو يقول له أنجدني أنقذني من
هذين الرجلين وأشار اليهما ورآهما رجلين أشقرين وتحقق وصفهما وعلم أن ما كيد من
النبي صلى الله عليه وسلم في أمرهما والاسراع به فاستيقظ السلطان رحمه الله متهجدا
فما صلى الفجر الا وقد أعد مرور بريد وعشرين نفرا من صناديد فرسانه واحضر أموالا
جسيمة وركب جواده في خاصته وفرسانه وما خف من الزاد ووصل الى المدينة المنورة بعد

السير ولم يعلم بما رآه أحدا فوصلها في ستة عشر يوما فزار النبي صلى الله عليه وسلم ثم أمر
باحضار أهل المدينة بعد كتابتهم وصار يتصدق عليهم ويتأمل تلك الصفة التي رآها في
النوم إلى أن نفدت الناس فقال هل بقي أحد فقالوا لم يبق سوى رجلين صالحين عفيفين
مغربيين يكثران الصدقة فلما رآهما إذا هما الرجلان اللذان رآهما مناما فسألهما عن
منزلهما فأخبراه أنهما في رباط خارج المسجد بقربه جهة الحجرة الشريفة فأمسكهما ومضى
إلى المنزل فلم يجد به سوى ختمتين وكتبا في التصوف ومالا كثيرا وأثنى عليهما الأهالي ثناء
كثيرا فرفع السلطان حصيرا في البيت فوجد تحته سردابا ذاهبا صوب الحجرة الشريفة
فارتاعت الناس لذلك وقال السلطان اصدقاني وضربهما حتى أقرا بأنهما نصرانيان
بعثهما ملك من النصارى في زي الحجاج وأعطاهما أموالا كثيرة للتوصل للذات الشريفة
ونقلها فنزلا بأقرب رباط وصارا يحفران ليلا ولكل منهما محفظة جلد يملآنها ترابا صباحا
ويذهبان إلى المقبرة فيفرغانها هناك على عدة كرات وهكذا دأبهما مدة فقتلوهما
هناك وعمل ذلك الحاجز الرصاص رحمه الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله
وآله وصحبه ومن والاه ولا يخفى أن الواقعة كانت مدة حرب الصليب ورأى أحد ملوك
النصارى محاربة الصليب ولم يبينه أصحاب التاريخ لعدم اعتنائهم بذلك عند ذلك
حتى إنك تراهم يذكرون الوقائع الحربية في الشام مع النصارى ولا يذكرون من هم حيث
تعددت إذ ذاك ملوكهم مع لباسهم وصاروا يدا واحدة على المسلمين ولذلك لم يبين الملك
المرسل لذينك الرجلين لأجل مكيدة المسلمين بنقل نبيهم إليهم والتشفي منهم ولأجل
إبطال معجزة نبيهم عليه الصلاة والسلام دون غيره من الأنبياء عليهم جميعا الصلاة
والسلام وفي المدينة المنورة أسواق وصنائع لكل ضروري ومدارس لسكنى
المهاجرين وكتب موقوفة في عدة خزائن على أبنائها أهمها مكتبة عارف باي ورأيت بها
كتابا لم أكن أعرفه وهو الجامع الصغير في النحو لابن هشام من أشهر كتبه وطرق المدينة
غالبها ضيق لا يمر به إلا رجل واحد إلا طريق الباب المصري الموصل لباب السلام وقرب
الباب المصري المناخة وهاته المناخة بطحاء وسيعة يحوطها عدة دور للسكنى ومن
عادات أهل المدينة أنهم لا يركبون دوابها دائما لأن النبي صلى الله عليه وسلم
إلا المعذور وإذا لاقى أحدهم غيره خارجها وهو راكب ترجل له إجلالا لزائري
وبقية عوائدهم على ما ينبغي في العادات العامة عن خلافهم رضي الله عنهم حسن
أخلاق أهل الأرض فيجب محبتهم من أي جانب وصفاء القلب وصلة القريب

والبعيد

والمجد والكرم ولو كان بهم خصاصة وحرية النفس والشهامة والشجاعة فهم أهل
لذلك لجوار كما ورد وصف مدحهم في القرآن العظيم ومن وقد علم تحقق بحقهم
لأن أصل الأنصار لم يبق منهم هنالك الا عائلة واحدة وبقية السكان كلهم من الوافدين
ومن بعد الا السادة الاشراف حفدتهم من أبناء سيد الوجود وابن عمه سيدنا علي رضي
الله عنه وأما بقية المهاجرين فلم يبق من نسلهم هنالك أحد معروف سوى واحد نقيب
في ضريح سيدنا حمزة وهو من بني العباس رضي الله عنهم أجمعين

* مطلب في صفة ركب الحج * لما كان الحج فرضا على كل مستطيع له من العباد
فهم يرحلون اليه من كل فج عميق ويجتمع الحاج من جميع جهات الارض من مشارقها
ومغاربها وقد كان في الزمن السابق يأتي أكثرهم برا اما بعد حدوث البوابير فصار
الاكثر يأتي بحرا بالمراكب في البواخر الا من كان من أهالي جزيرة العرب فانهم يأتون برا
وكذلك الركب المصري وان بطل سيره برا عند طبع هذا الجزء وأما عند حجي فانه كان
يأتي برا ومثله في الاتيان برا الركب الشامي الذي كان يخرج من القسطنطينية ويأتي
الى دمشق الشام ويجتمع هنالك بركب العراق مع حجاج الشام ويسافر الجميع الى مكة
وصحبة هذه الاركاب هو أمين من السلطان حاكم ورئيس دولته على الركب ويصحبه
أمين الصرة أي حامل الاموال المعينة لمصاريف الحرمين وسائر الموظفين وللاعراب
الذين لهم عوائد من الدولة وتلك الاموال مأخوذة من دخل أوقاف الحرمين ومن خزينة
الدولة كل بما يخصه وكذلك يحمل الهدايا والصدقات الخاصة التي يرسلها السلطان
وأهالي دولته وسكان قصره وحيث يجتمع عنده اموال جسيمة وقد جعلت الذي ترسله
الدولة للقيام بما يعود اليها من جميع ما يلزم الحرمين سواء كان من الخزينة أو من الاوقاف
هو الآن نحو مليونين ونصف فرنك عدا الهدايا الخاصة ثم يمشي مع هؤلاء قسم من
أنواع الجيوش فرسان ومدافعية ورجالة وتنصب لهم خيام الرحلة ثم بعدها ينضم اليهم
كل من أراد الحج بخيامه وسائر لوازمه كل حسب استطاعته ويحصل يوم خروج المحمل من
دار الخلافة موكب فخيم ثم يسافر الركب نهارا ويقيم ليلا على مراحل معلومة الى أن
يصل الى مكة وكلما مر على بلد انضم اليه حجاجها وقد بقي الحال الآن على ذلك سوى
كون الركب من الآستانة الى مرسى بيروت صار بحرا ثم من بيروت الى دمشق الشام يسافر
من عرباته وذا انتظام ومن دمشق ترتيبه العسكري كعهده ذلك ويسافر على نحو ما ذكر
وعلى نحو هذا الركب المصري وما اتصل من الجهات البرية فأما ما يأتي كل قافلة

عليها نحو تسع للارتقاء ويسافرون حسب استطاعتهم فاذا اجتمع الجميع في مكة واستقر كل
منهم مكان يخصه للاقامة فيه خرجوا ليوم ثامن من ذي الحجة الى منى ومنها الى عرفات
وهم محرمون فيقفون يوم عرفة وبعد الغروب يمضون الى المزدلفة ثم قبل الشروق
يأتون الى منى وذلك يوم العيد ويقيمون ثلاثة أيام لاداء المناسك ويحصل ليلة ثاني
العيد أفراح عظيمة من عساكر الاركاب بالالعاب النارية واعمال صور حربية
بالمشاهدة لكي يحصل ارهاب الاعراب من الحركات العسكرية وسرعة سلاحهم وعظم
مدافعهم ثم في صبيحة يوم ثاني العيد يحصل موكب عظيم في منى لدى فسطاط الشريف
أمير مكة فيحضره الوالي وأمراء الاركاب ورئيس العساكر بالحجاز وسائر الاعيان من
أهل مكة والحجاج كلهم بالالبس الرسمية ولما ينتظم الموكب يخرج السيد الامير
الشريف ويقف في الصدر وتقف الناس حوله على حسب مراتبهم ثم يتلى المنشور
السلطاني المؤذن بالثناء على الامير وتقليده الامارة أو ابقائه عليها وتحريضه على ادامة
الامن والقيام بواجب حقوق الحرمين والاهالي وهو باللغة التركية ثم يتلى تعريبه ثم
يخلع عليه أمير الركب الشامي الخلعة التي يرسلها أمير المؤمنين الى أمير مكة السيد
الشريف وهي جبة من الجوخ واسعة سوداء مطرزة بالذهب ثم يقبل الجميع بالتهنئة
للسيد الامير ثم يفرق الناس ليهنئ بعضهم بعضا ثم يسافر كل ركب بعد عوده الى مكة
في يوم معين بعد اداء جميع المناسك وتمام الامور للاصحاب والمقيمين من الامراء
والرؤساء وكل منهم أي الاركاب يعود الى بلده على الطريق الذي قدم منه ويكون كل
ركب كأنه المراحل يحصل فيه من النزهة والانشراح لذوي الابصار ما ترغب فيه النفوس
هذا ولا يخفى ان مناسك الحج مقررة في كتب الفقه بل وقد خصصت بها تآليف منفردة
لعلماء كثيرين فلا يمكن لنا الآن بيان ذكرها لانها خارجة عن الموضوع وانما الذي
يناسب ذكره هنا هو ان الحج من أحد أركان الاسلام الخمس وهي كلمة الشهادة أي أشهد
أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصيام رمضان وحج
البيت على من استطاع اليه سبيلا وهو فرض مرة في العمر ويندب تكراره كلما
استطاع الانسان وقد ذكر العلماء حكمة مشروعيته كما ذكروا الحكمة في مشروعية
جميع الاركان وحاصل ما أشاروا اليه هو كونه شكرا لله على ما خصنا به من نعمة السلطة
على الانعام أي الحيوانات وهو عبادة مركبة من أعمال بدنية وأعمال مالية ويمكن ان
يكون مشتملا أيضا على حكمة أخرى مرعية في نظر الشارع وهي أحكام الوصلة بين قبائل
المسلمين

البلدان وتعرفهم ببعضهم واطلاع كل منهم على حاجات أخيه وعوائده ليعين كل منهم
أخاه في الحضرة والغيبة بما يستطيع حسبما أمره الشارع بذلك ويتبع منه مزيد
المواصلات بين الامم والشعوب والقبائل من مشارق الارض ومغاربها كما هو الامر
الواجب شرعا في جعل المؤمنين عصابة واحدة وقد مثلهم الشارع بالبنيان يشد بعضهم
بعضا ومثلهم بالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد وجعلهم اخوة
يجمعهم الدين الواحد الى غير ذلك من النصوص الدالة على اتحادهم ووحدتهم مما
لا يمكن ايجاده بدون تعرف يحصل لهم في كل سنة وعند اجتماعهم فيه ليحصل ذلك القصد
وبيان قصده منه مناسك الحج اجمالا الى ذلك حتى يحصل على أكمل وجه فانه عين لهم المحل
الذي يجتمعون فيه بصورة لا يحصل معها تكبر من بعضهم على بعض في التفضيل كما لو
كان الاجتماع في بلد قبيلة أو جهة نبوية بل جعل ذلك المحل هو خاص وخالص النسبة
للخالق جل وعلا وحده ثم عين زيارة نبيه الذي هو واسطتهم الى خالقهم ولا يحصل من
قصد ذلك المحل أدنى امتياز بغير الملوك ثم انه أوجب عند أول القدوم الى ذلك المحل
الاحرام الذي هو من جملة ما نص عنه ترك لبس المخيط وغيره من سمات الرفاهية التي يحصل
فيها التفاضل بحيث يكون الناس كلهم سواء لا فضل للاعلى على راع ولا للعالم على جاهل
وأوجب على من اضطر الى ترك شئ أن يفدي بالاحسان والصدقة الجالبة لقلوب
الفقراء لديهم مظنة انكسار القلوب بما يرونه من الرفاهية فيعوض ذلك بزيادة
صلاتهم والاحسان اليهم لان الاحسان يجلب القلوب فتعتدل الحال وكذلك شرع مزيد
النفقات والاحسان على حسب رتبها واستطاعة المنفق لكي يزيد التوادد ثم قصر ذلك
الاحرام على مدة مخصوصة هي مظنة حصول التعرف واستقرار التوادد بين الافراد فاذا
حصل التوادد وثبت كذلك بالصلات يعود زواله بمجرد زوال أثر سلطة على المسلم عليه ولذلك
أباح اللبس حينئذ وكذلك شدد النهي والنكير على الجدال في الحج لموجب
للتباعد الذي هو نقيض المقصود كما شدد مثل ذلك في الفسوق الذي هو موجب
لاستنقاص العبد بمعصية خالقه فيقول أخوه اذا كان هذا لم يراع حق الخالق في بلده
الامين فكيف يرعى حق أخوتي بالغيب وكذلك منع التمتع بالنساء لكي لا ينصرف
الفكر هناك الا لطاعة الخالق وحده وفي طاعته ما أمرنا اليه من احكام الوصلة
مع اخوانه المؤمنين وهذا الامر وهو كون الحج مشتملا على حكمة الوصلة بين الامم
قد أشار اليه بعض المتأخرين تبعا لبعض المتقدمين في أقرب نص على مزيد المواصلة

بين الامة وقالوا ان أهل المحلة الواحدة اذا أكد عليهم الشارع زيادة على ما يلزم في حق
الجوار أمر أن تصحبه عبادة الله تعالى وهو اجتماعهم خمس مرات في اليوم يجددهم ثم
الصلوات الخمس يجتمع الاعلى والادنى في صعيد واحد بين يدي الله على سواء ويروا
أحوال بعضهم ويتأنس البعض بالبعض لكي تتأكد الوصلة الروحية بالوصلة البدنية
ويعمل كل بما يجب عليه في حق أخيه ثم أوجب على أهل المصر الواحد الاجتماع العام
في يوم من الاسبوع وهو يوم الجمعة لتحصيل ما أشرنا اليه من جميع أهل المصر ثم زاد لهؤلاء
يومين آخرين في كل سنة على حالة مخصوصة من اظهار الزينة ليتعرف كل واحد بحسب حاله
حتى يستدل غيره بهيئته على حالته ليعلم مقتضى الحال في الوصلة وذلك يوما العيد وكان
وجه تكريره ذلك مرتين أحدهما بعد الصيام شهرا والآخر في ... والثانية
في وسط العام على معتاد الناس لمزيد التقوى ومطابقة الحال للتعرف بالمراسة وأكد
الشارع في جميع هذه الاجتماعات باجتناب المضرات وباستعمال المقربات كالتباعد
من أكل الثوم وكالتطيب والنظافة ثم أوجب على كل فرد الحج مرة في العمر رغبة فيما اراد
على ذلك تحصيل ما أشرنا اليه في الحج ولاشك أن التيسر للعبد لا يحصل لجميع أهل الاقطار
كلهم في عام واحد فحصل على الاقتدار اجتماع اناس من كل قطر في كل عام فاذا حصل
منهم ما أشرنا اليه دامت الوصلة بينهم ولا ... في ذلك ...
عمل بمقتضى التعرف فاذا اشتدت الوصلة بالمراسلات والاسفار والتجارة فصلا لا يجب
أحيانا من الفرع من أمة الى ... أخرى ... عليها العدو كما هو معلوم
في وجوب القتال وجوبا عينيا على كل فرد فيما اذا هجم العدو على قسم من الامة وعجز
أو تقاعس عن دفاعه فانه يجب على من جاوره أو بلغه الخبر انقاذه ومنه يسري الى
من وراءه وهكذا حتى يعم الوجوب المشرق والمغرب ولو على النساء والاطفال عن يقدر
على الدفاع وما ذاك كله الا لتوحيد المؤمنين وحفظ بيضتهم الاسلامية لكنا الآن
نرى أن الناس غافلون عن جميع ما ذكرناه ولا يعتبرون آثار الحكمة ولا يلتفتون اليها
ولا نرى الاهل كل اقليم مقتصرين على عدد الحاضر منهم بعضهم مع بعض لا يعلمون
ولا يتعرفون الا بمن عرفوه في بلدهم سابقا فضلا عن التعارف مع أهالي الاقاليم الأخر كأنهم
ليسوا منهم ولاهم ... بالوفاء لهم بحاجاتهم حتى انه يرجع الناس الى أقطارهم من غير
شعورهم بشيء من حالة حجاجهم في الاقطار الأخر كأنهم لا تعلق لهم بشيء وقد كانت
رجال الامة على عهدهم ... يتعرفون بأهالي
الارض

الارض وحصل بذلك اشتهار رجال الامة فى الاقطار لاسيما العلماء والصالحين فانهم
بمتشرف ذكرهم وبعد صيتهم عم علمهم من حجاج وان لم يروه فى حجهم ومن طالع
التواريخ والسير والرحلات علم من ذلك كثيرا فسبحان محول الاحوال وهو الباقى
لارب سواه

الفصل * الثالث

﴿ فى التعريف بالحجاز ﴾

اعلم ان الحجاز قسم من جزيرة العرب ممتد على شاطئ البحر الاحمر وحدوده الآن التى
تحت تصرف الدولة العثمانية هى انه يحده شمالا العقبة المعروفة بالبحر الاحمر وجنوبا
اليمن من قرب صنعاء وشرقا الحناكية وهى تبعد شرقا عن المدينة بمرحلتين فى حدود
نجد وهذا الحجاز احد اقسام جزيرة العرب الخمس وهى اليمن وهو القسم الجنوبى منها
الممتد على شاطئها الى البحر الهندى الى ان يصل الى خليج فارس والحجاز وهو القسم الثانى
وهو القسم الغربى منها الممتد على شاطئ البحر الاحمر ويليه شرقا القسم الثالث وهو نجد
المتصل شمالا بالشام ويحده غربا الحجاز وشرقا العراق وجنوبا اليمامة والقسم الرابع
تهامة وكان ممتدا بين الحجاز واليمن ويتقدم البحر الاحمر الى ان يتصل باليمامة على
خليج فارس ويحده جنوبا اليمن وشمالا الحجاز ثم نجد وشرقا اليمامة وغربا البحر الاحمر
وقد اضمحل هذا القسم فى اعتبار السياسى وصار مقسما بين جيرانه والقسم الخامس
هو اليمامة وهى يحدها جنوبا اليمن وشمالا العراق وشرقا خليج فارس وغربا نجد
وكذلك هذا القسم صار فى السياسة تابعا لغيره لحد ذلك الاقسام هى الاقسام الاصلية
لبلاد العرب التى كانت متميزة عن بعضها بمقاومة ولن كانت الفرق بينها من جهة
طبيعة الارض عند القسم المشهور بحسن الهواء وخصوبة الارض وجودة الحيوانات
فهو قسم نجد وعليه الذكر فى اشعار العرب وامتداحه بينهم واما بقية الاقسام كلها فكان
منها ما كان مرتفعا فهو جيد الهواء وخصب النبات وما كان منخفضا فهو حار جدب وعلى ذلك
الغور منخفض ومنه الحجاز وقد علمت حدوده الآن واما جباله فهى كثيرة وان شئت
قلت انه كله جبال فى اقليمه فقد ظهر منه بعض من شدة حره فى جبال المكانى
غريبة فى مستهل جمادى الآخرة سنة ٦٥٤ ظهرت نار فى المدينة المنورة وما حولها
زلزال شديد دام زيادة من ثلاثة ايام بدايتها ... من جهة جنوب

المدينة على مرحلة منها من جهة الموضع المعروف (حبس وسيل) وسالت النار فى وادى أحيلين كالنهر العظيم فحطم جميع ما مرت به وتحمل الصخور ثم قانصة تجرى كالنهر العريض العظيم وامتدت سائلا الى قرب المدينة أى الى أن بلغ حرمها فصرف عنها ذات الشمال ووقف وانطفأت النار بعد ان كانت ظهرت أول يوم نهار جمعة كالغمام الاسود الذى عم الافق حتى أظلم الجو وظنوا ان الشمس والقمر قد كسفا ثم أظلم الليل وظهر ضوؤها وعلا فى الجو الى ان رئيت من حول بصرى ومن مكة والطائف وكان لها دوى كالرعد ونهرها يغلى بأمواج كالبحر من النار المتلاطمة وتقذف فى الهواء الصخور كالجبال والمدن ونهرها ذو اللون أزرق وهو رعدت منه قلوب الناس والتجؤا الى ملاذ الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغ سيلها الى حرم المدينة صرفت وانطفأت ومع عظم لهيبها وسطوع ضوئها على الاماكن البعيدة لم يصل من حرها الى المدينة المنورة شئ وكان النسيم يأتيها باردا وكان خروج تلك النار احدى معجزاته صلى الله عليه وسلم التى لا تحصى فقد روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما وهما فى أول القرن الثالث حديث لا تقوم الساعة حتى تظهر نار بحر الحجارى تخرج نار من أرض الحجاز تضئ أعناق الابل ببصرى ورواياتها كثيرة حتى كان فى أحداها تعيين محل خروجه وانذار الساكنين به منها فكان الامر كما قال صلى الله عليه وسلم وبقية جبال الحجاز كثيرة منها المشهور كأحد وأبى قبيس وعرفات وهو ليس بمرتفع ومن أحسن جبالها هواء الطائف فانه فى شدة الصيف يكون معتدل الهواء وهو مصيف أعيان مكة وجدة وأما انهار الحجاز فليس به نهر مستديم وانما تسيل الانهر به عند نزول المطر حتى ان أحدها يأتى من جبال الطائف ويمر على المدينة المنورة على صاحبها أكمل الصلاة والسلام ثم يذهب مغربا الى البحر وأما بحيرات فليس بالحجاز بحيرة وأما العيون فمن سائر عيون عظيمة عذبة احداها عين الزرقاء التى تسقى المدينة وهى نابعة من قباء تحت الارض فى عمق عدة أذرع وتذهب الى المدينة تحت الارض وعليها عدة منافذ لتناول الماء وفيها الكفاية لجميع البلد وما حولها وانما سميت الزرقاء نسبة لجاديها مروان بن الحكم الازرق العينين أجراها بأمر معاوية رضى الله عنه ومنها عين زبيدة التى تسقى بها مكة وهى آتية من قرب عرفات تحت الارض مثل السابقة وقد أجرتها زبيدة زوج الرشيد العباسى وقد عمرت الآن عمارة حسنة صارت بها فى غاية الانتظام ومنها عين بلد الصفراء وهى أيضا تحت الارض لكنها ليست بغويصة بل انها تبعد عن سطح الارض نحو ذراعين وبها ماء غزير صاف عذب بارد يشرب فاذا جعل فى

الاوانى

الاودية بردوهى تغور بعد البلد في الارض ولا ينتفع منها الا بشئ يسير للشرب وسقى
بعض بساتين ومثلها عين بلد الجديدة مع أن كلا منهما يصلح لسقى غابة عظيمة من حيث
الماء وجوده فقد شاهدت عين الزرقاء وقد أباحت حولها فاوانا عنوية على أربد
من ستمائة سنة وهرع الى العين حجيجهم لغسل اشمائهم [illegible] والعمل الكرش الغنم
التي ذبحت يوم ثاني النحر ومع تراكم [illegible] كنت أرى الحصباء في مجرى
العين والماء يتدفق عن ذراعين وأمامه حجارة وعلى الجملة جار بمكان عرضه
من خط الاستواء ولا شك أن الاودية بين جبال تزيد علاوة على الارتفاع ولذلك يختلف
الحال فمع كون مكة المشرفة شديدة الحر حتى انى كنت ما في [illegible] اذا اردت صلاة
العشاء في الحرم لم استطع الجلوس على الارض بدون [illegible] في وقت [illegible]
الشمس في الارض فان الطائف لا يمكن فيه في الصيف الا التدثر بالغطاء الصوفي
وقد شاهدت من امر السراب شيئا عجيبا فاني لما كنت مسافرا من مكة الى المدينة
سمعت من اصحاب القافلة انهم يقولون ان الماء ليس موجودا ولابد من المبيت على الماء
وكان الوقت وقت العصر ورأيت على قرب من الطريق غدرانا كثيرة فسألت الجمال هل
هذا ماء فان الامطار قد سقطت قبل مرورنا [illegible] فلم يسمع فقلت من أين هذه الغدران
حينئذ فقال ليس هذه غدرانا وانما ذلك سراب فلم اطمئن لقوله وارسلت احد اتباعي
[illegible] من ذلك الماء [illegible] أرسله [illegible] صاح لي انه لا
ليس هنا شئ [illegible] فلم اعهد السراب على [illegible] هو
وذلك لحرارة [illegible] الهواء [illegible] وأمامه [illegible] النبات الذي يكون
بالاقاليم الحارة [illegible] فكرى [illegible] صعبة
وأشجار كثيرة صالحة للبناء بأخشابها وأكثر شجر [illegible] على أنواع شتى
وبقية الشجر [illegible] للعيون كثرة [illegible] والرمان وهو جيد
للغاية [illegible] والتين كما [illegible] بعض البقول مثل [illegible] وقليل
من بقية المستنبتات ومن [illegible] في حماية أشجار الحرم المكي وادي من القطع
[illegible] قصد الشارع الى استكثار الشجر [illegible] على [illegible] السحاب
[illegible] ويكثر الامطار ويحسن الهواء ويشرح الصدور ويقي الناس من الشمس
ويلطف الحر [illegible] ومن شاهد تلك البقاع علم شدة
الاحتياج الى الاستظلال من الشمس وعلم حكمة تحريم قطع شجر حول البلدين المكرمين

الذين تلزم عمارتهما وشرع للناس لمهاجر كل فج عميق وقد أشار الى حكمة تحصين الحرم بالشجر وحرمة قطعه بعض العلماء ومنهم السمهودي في خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم وفقه لقال الطحاوي يحتمل أن يكون سبب النهي عن صيد المدينة وقطع شجرها كون الهجرة كانت اليها وكان بقاء ذلك مما يزيد في رونقها ويدعو اليها كما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن هدم آطام المدينة فانها زينة المدينة فلما انقطعت الهجرة زال ذلك اهـ وقوله انقطعت الهجرة أي بموته صلى الله عليه وسلم او بحرمته الفتح وكلامه قابل للذهب عنده في عدم تحريم المدينة وأما الائمة الثلاثة فهم على تحريمها مثل مكة وأدلتهم قوية والحاصل ان المراد هو ان تكثير الشجر في البلاد لا سيما البلاد الحارة مما يرغب فيه وقد صرح السهيلي في كتاب الصحيح بالنهي عن قطع شجر دار الحرب بلا حاجة اليه ويكره قطعها فضلا عن دار عليه الصلاة والسلام للناس قطعها وتحريم ما حولها الاكثر الائمة رضي الله عنهم مع الفائدة الظاهرة من ذلك (وأما) حيوانات البحر فوجدت به الحيوانات الاجنبية المألوفة كما لا يخفى اهل الراية اي بصرهم لاولي الابصار ويرغب فيها جميع الامم ولا سيما ... ولا لاحد ... حيوانات البر ... مثل ماذكره مصر واحسن منه كما وجد ... بنيله ... يكره واحد ... الحيوانات البرية كلها موجودة لا سيما الجبل ... (وأما) الاسود فغير موجود بكثرة ولكن يوجد كثير بشمر ومصر ... اي شعرها شيخ فاسد والنبوي ... عليها مطالعا سابا لكثرة الاسود أرض العرب وذلك لصيد ... كانت بدويه أيام هذه مع تشعيره انتظر برامنه المشطر الذي صار كانه بدوي فخ مع كونه حضر يا بحث وهي

(أفاطم لو شهدت ببطن خبت) * لهالت عندك الاخبار خبرا
ولو أشرفت في جنح عليه * (وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا)
(اذا لرأيت ليثا أم ليثا) * وكل منهما بأخيه مغري
يرى كلا على نقمة أخاه * (هزبرا أغلبا لاقى هزبرا)
(تبهنس اذ تقاعس عنه مهري) * وأقبل نحوه أدنيه ذعرا
فكاد يريبه فيخال مني * (محاذرة فقلت عقرت مهرا)
(أنل قدمي ظهر الارض اني) * أرى قدمي للاقدام أحرى
وانت مزعزعي شيئا ولكن * (رأيت الارض أثبت منك ظهرا)

(وقلت

(وقالت له وقد أبدى نصالا) * باهرة فاغر بصرون صرا
وسوسا ذات الحاء تلظى * (تعدد ذوو حواه كبرا)
(بكف كف غيلة حدى بيه) * كلى القوس ينزع مسبطرا
ولا يثنى براثن منه الا * (ويبسط للوثوب على أخرى)
(احص ف قس يا بث فيرى) * فلى بقساعاين وأنت أدرى
ومهرى قائل لك لا تخافى * (علما ان تحى كل مرا)
(ألم يا بنت ما ولد كفى) * الست ترى بها رطب أحمرا
ألم بك ماء شلاه فتكى * (بكاظمة غداه هدت عمرا)
(فلما خاب ابتغ غش) * وعزته المرارة فاستمرا
ويح ع ى شوري نزل * (وحالتى كالى ذات جمر)
(مدى ومشيت من سدى راما) * مساوئ ولاقى الصبر صبرا
ورد لأرض يديه ساعليها * (مراما كان اذ طلباه وعرا)
(سلات له الحسام حدث لى) * اسات من لجرة به مهرا
ولم أمش الصرة له لاى * (شقت به لدى الصباح بحرا)
(واطلت المهند من عينى) * فارته عاد مر المن أمرا
باربق هما هو ن برق * (وعدله من الاضلاع عشرا)
(فخر مضرجا بدم كانى) * هدمت به أوصت عليه سترا
وكدت لهول وحشه أرى * (هدمت به بناء مشمخرا)
(اضربه وبصل تركته مشعا) * وشق ه لق بطنا وظهرا
وشبكما اتى منها مشى * (لدى وقلبها قد كان وترا)
(وقالت له بصر على الى) * أرانت مصرا شطرا فشطرا
واستحى المروءه أن ترانى * (فتات منامى جاداوقهرا)
(ولكن رمت أمرا لم يرمه) * أبى لا يدع النفس خسرا
وايك سامى بالصبح حصا * (سواه ولم أطق باليث صبرا)
(تحاول أن تعلى فرارا) * فهل علك هب ن نمرا
وتقص مدرو بك له عزمى * (أعرايك احاوات نكرا)
(أبيت تروم الاشبال قوتا) * طات به الدماء ورهت صدرا

ولكني أفيد بها وأحبو * (وأطلب لابنة البكري مهرا)
(فلا تبعد فقد لاقيت حرا) * يرى وبقران أبناء عذرا
ومن كرم برزت الى كريم * (جدير أن يصاب خسرا)
ولا أسف على عمر تقضى * أبدله منه حسن الذكر عمرا

* وأما معادن الحجاز فانه يوجد به الزمرد الجيد ويوجد قريبا من المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام حجر البلور الشبيه بالالماس ويوجد أيضا الذهب وكان مستخرجا من قديم ولا يبعد وجود الفحم الحجري وكذلك غيره من المعادن المحتاجة للبحث

* هذا وأما مدن الحجاز فأصل قاعدته وقاعدة عموم الاسلام هي المدينة المنورة وكانت مدة اقامة الخلافة بها اتسعت وكبرت وكذلك بعد ذلك في العصور الاولى من الاسلام وان حدث فيها الخراب الكلي والجلاء العام مدة يزيد ثم دون ذلك مدة القرامطة ثم تراجع عمرانها الى النمو ثم عادت الى ما هي عليه الآن مما ذكرناه في صدرها وقاعدة الحكومة الحجازية الآن هي مكة المشرفة وقد مر ذكرها ومن اعتبر ما جرى عليه الحال في ظهور الاسلام يرى ان عناية الله بالمدينة عظيمة وقد جعلها مظهرا للدين القويم وانتصار الرسول الامين عليه الصلاة والسلام وكانت مكة تابعة في الحكم للمدينة حتى بعد فتح مكة وقد حاز الانصار بذلك فخر استنزال النبي صلى الله عليه وسلم الى الحد الاصلي فقد قام ناديه لابد رزقهم واستقر هو ومن بعده من الخلفاء الراشدين بالمدينة الى خلافة سيدنا علي وكان صدرها بالمدينة ثم رحل بالكوفة ومع ذلك فقد عد مركز الحجاز هي المدينة وذلك هو الموافق لحالة السياسة لتوغل المدينة من اقطاره واذا كان الحاكم في مكان تمهدت سائر السبل اليه وعلى تقدير حدوث بعض الحوادث في الطرق يمكن تحل وتنفذ الاحكام في الاطراف لاستقرار القوة في الوسط وليست مكة المشرفة على ذلك النمط وقد تغير الحال من زمان مدة الاسلام في قاعدة الحكم بالحجاز فكان الامر على ما ذكرناه من كون المدينة هي القاعدة ثم انفردت مكة بحكمها وبقيت المدينة مستقلة ثم صارت الاحوال تنقلب وتارة تكون مكة تابعة وتارة متبوعة وتارة يستقل كل منهما بحكم ولم يعد استقرار الدولة العثمانية والذي عليه العمل الآن هو أن مكة هي القاعدة والمدينة لها حكم يرجع في أمره الى حكومة مكة وما بقي من المدن فالمحرر والثابت موجوده وأما الموجود عبارة عن قرى مثل الطائف وهي أكبرها والصفراء والجديدة وجدة وينبع وغيرها وقد غلط كثير من الجغرافيين حتى من المحققين في ذكرهم لسكان هاته البلدة

وكونهم

وكونهم يعودون [illegible] في أحكامهم ويقال [illegible] في خلافة سيدنا عمر رضي الله
عنه من إجلاء جميع [illegible] لا [illegible] من جزيرة العرب [illegible] لا [illegible] الشارع
في كونه [illegible] تاريخ [illegible] في [illegible] وكانوا لا [illegible] من
[illegible] القانون [illegible] وهم [illegible] المنصورة في [illegible] حكم محمد بن رشيد
النجدي [illegible] فإنه [illegible] هو الحاكم على جميع أواسط جزيرة العرب وهو
على مذهب الوهابي وله نفوذ تام وحكم عادل [illegible] وسطوة [illegible]
[illegible] في جميع الأقاليم من [illegible] ويجلس في مجلس حكمه ويحضر القاضي
و[illegible] أحد [illegible] من [illegible] في الخصومات
فإذا دخل المشتكي [illegible] على القاضي [illegible] بحضوره ويحكم القاضي
[illegible] لا [illegible] موافق للشرع أم لا
فإن [illegible] ولا [illegible] عليه [illegible] الإدارة
[illegible] لا [illegible]
[illegible] ومع [illegible] وهو في
[illegible] وأمره [illegible] في الطريق وهو [illegible] ولا [illegible]
صاحبه فأخبره [illegible] من [illegible]
وقال له كيف [illegible] فقال له [illegible] هذا [illegible]
من [illegible] وقال له ما كنت [illegible] الآن [illegible] حتى [illegible]
فائدة [illegible] في ذلك [illegible] كما أخبرت عنه ومن علم
حالات القوم [illegible] في هاته الأزمان [illegible] الحاكم [illegible] مطابق [illegible]
[illegible] ولا [illegible] لا [illegible] الحكم [illegible] الواحد
أمرولية [illegible] على [illegible]
التي [illegible] إلى [illegible] في وقت [illegible] هو
وفرسان جيشه [illegible] الأمور [illegible] إلى أن [illegible]
[illegible] إلى الأمور [illegible] أحد [illegible] وتلك [illegible] كان [illegible]
من العسكر [illegible] ذلك [illegible] مع كونه جواد وفيا
[illegible] على [illegible] المدن [illegible] أعلاها به حصن
أو يقربه حصن لإقامة العساكر [illegible] لأن [illegible] أغلب الحصون [illegible]

للاهمال وليس به حامية وأما مراسي الحجاز فأعظمها مرسى جدة ثم ينبع البحر وهاته هي أقرب المراسي الى المدينة المنورة بحيث يصلها البريد في يوم وتبلغها القوافل في ثلاثة ثم بقية المراسي على قلتها ليس لها أهمية غير أن الوجه منها كان هو مرسى أمينة لما من الله عليه من احاطة الصخور العظيمة حول الحوض لدى ترسى به السفن بحيث يصعب ان يقبل الان لدينا تقدير ثلاث البواخر الا ان الذي هم من حذاق أهل التدبير واتساع المعارف بالصناعة العربية وقد شاهدت كلا من مرسى جدة وينبع بحوض كانهم اسبق من السفن اكثرهم في امر تام ولو عقد الاعلام لادرجت كالجبال واعلى الحربيين لايدخلون الا بدليل من بحرية اهالى تلك المراسي وقد شاهدت الحرابة البحرية التي في الباخرة المصرية التي سافرت فيها الى جدة معالم ساعلى جميع الحجارة المنورة بحر حو وشاطئ البحر الاحمر مع بيان عمقه ومركزه وهي من صنع الاعلام فيقف من اهل لهم تويق مصرية او عثمانية وأما بواعث ثلاث الحربية هي الاولى علم اعتداء عام ولو العثمانيين الذين يعدون البحر الاحمر بحيرة في مملكتهم من جميع جهاته وبعد ولد من خوف قوم واهمال اخرين وهي احدى علامات تأخرنا وضربانا من البلاد وشواطئها لا يتعرب اذا جاء الاجانب

ومجال العمل لما يريد وأما سكان الحجاز فهم كافة عرب من نسل العرب الاقدمين الاسكان البلدين المكرمين فاغلبهم من الوافدين من جميع الجهات فصاروا اكثرهم كقدمين الهنود واما في المدينة فاكثرهم من المغاربة ويعد جميع السكان في الحجاز بقرب من مليونين والذين يعمرون الارض ما بين مكة والمدينة هم قبيلة حرب ويعرف بالاحامدة ومنهم بني سالم ومنهم قبيلة حرب وهم التجار ومنهم البعض الذين يكثرون قطع الطرق بين البلدين المكرمين وهاته القبيلة هي حرب الموجودة الان وهي تنقسم الى قسمين كبيرين اولهما بنو عمرو وهم سكان الطريق من مكة الى الصفراء وثانيهم يعرف بني سالم ومنهم بنو حرب وهم سكان بقية الجهة ومدينة الحجاز جميع اهل الاسلام على مذاهب شتى غالبهم اهل سنة على المذهب الحنفي والشافعي ومن تشريعهم العلماء الدينية بكثرة زوايا الشيخ السنوسي المنتشرة في جميع جهاتهم وقد مررنا الكلام على مذهبهم عند الكلام على جزيرة العرب في المقدمة وعلى حوادث الناس في فصل سعري في مراجعها كما يوجد المذهب الوهابي بقلة وان كثرت جهات نجد الخارجة عن حكم الحجاز واما تقسيم الاهالي بالنظر للحكم فان كل قبيلة لها مشايخ متوارثون يجمعون الى امير كالسيد شريف

﴿ تم الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس أوله فصل في تاريخ الحجاز ﴾

بحمد من أسبغ نعمه على العباد والصلاة والسلام على بدر الهدى وعلى آله نجوم الرشاد قد تم طبع الجزء الرابع من صفوة الاعتبار على يد مصححه مصطفى محمد قشيشة الفقير لرحمة الكريم الغفار متضرعا لكرام حائزا من الموالي بتمام المرام وذلك بالمطبعة الاعلامية التي هي عن التعريف غنية ووافق طبعه يوم الاثنين المبارك وهو التاسع من شهر جمادى الاخرى الذي هو من شهور سنة ثلاث وثلاث مائة وألف من هجرة من خلق على أكمل وصف وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ طبع بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٣ ﴾

﴿ فهرست الجزء الرابع من كتاب صفوة الاعتبار ﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفه

صحيفة

٨٢

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿ تمت الفهرست ﴾

﴿ طبع بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٣ ﴾

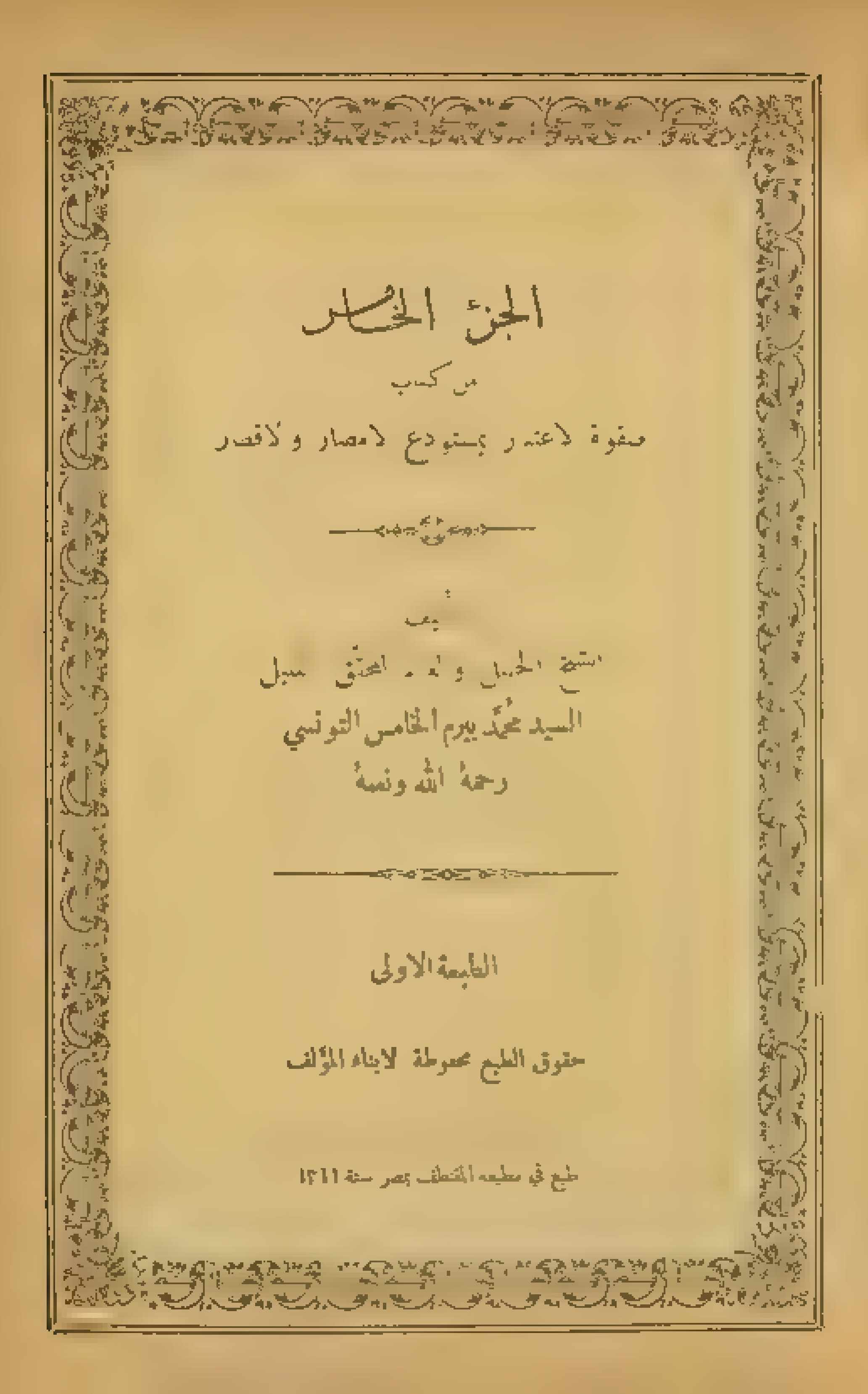

الجزء الخامس

من كتاب

صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار

تأليف

الشيخ الجليل والعلامة المحقق النبيل

السيد محمد بيرم الخامس التونسي

رحمه الله ونعمه

الطبعة الاولى

طبع في مطبعة المقتطف بمصر سنة ١٣١١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم تسليما

فصل في تاريخ الحجاز

مطلب في تاريخه القديم

اعلم ان سكان الحجاز هم العرب وتاريخها هو تاريخهم فقد كان الحجاز معمورا قبلهم لكن ذلك العمران قد جهل تاريخه لمرور تقادم عهده مدة كبيرة وغاية ما يعلم من حوادث ذلك التاريخ هو بعض حوادث ذات تعلق ببعض الاماكن المشرفة مثل بيت الله الحرام فانها بنيت من عهد سيدنا آدم عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام وجددت ايضا قبل سيدنا ابراهيم ولكن الاخبار عن ذلك كادت ان تكون خالية عن التحقيق ثم انه لما تكونت امة العرب واستقرت في جزيرتها حدثت فيها حوادث تاريخية مهمة جدا غير انها في ذاتها ايضا منقسمة الى اربعة اقسام باعتبار تقسيم العرب في انفسهم لان العرب منذ نشأتهم الى الآن منقسمون الى اربع طبقات فالطبقة الاولى هي العرب البائدة والثانية العرب العاربة والثالثة العرب المستعربة والرابعة العرب المولدين او المخضرمين

فاما الطبقة الاولى فهي التي كانت قبل سيدنا ابراهيم وانما سميت بائدة لابادتها اي انقطاعها وانقطاع اخبارها وان كانت ذريتها لم تزل وهم بقية الطبقات وانقطاع اخبارها انما جاء من شدة طول العهد والامد فلم يعلم من احوالهم الا بعض حوادث قصها الله تعالى في القرآن المجيد مثل ما ذكر من احوال رسول الله سيدنا صالح الى قومه ثمود وكذلك قصة عاد مع رسولهم سيدنا هود والاشارة الى ما كان هناك لامة

من القوة وطول العمر والثروة وشدة البأس الى غير ذلك من احوال انقراضهم والاعتبار بما كان لهم وبقيت بعض آثارهم في ديارهم وما غير ذلك من تفاصيل تواريخهم فلا يوجد منهُ الا قصص يذكرها بعض المفسرين والمؤرخين لا سند لهم فيها الا الاخذ بقصص القصاص مما لا ينبغي الاعتماد عليه لهم الا ما ورد شيء من ذلك عن الصادق الامين رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهُ ينبغي ان يتلقى بالقبول ولعلهُ لا يوجد من ذلك عدا ما في القرآن المجيد الا النزر مما روي بصحيح السند وهكذا ما يروى عن الصحابة رضي الله عنهم في ذلك الصدد لانهم قد صحت الرواية عنهم لا يقولون الا ما بهِ ثبوت باحدى الوجوه الموصلة وحاصلهم ان ذكروا حوادث القصص وكذلك كانت الاخبار عن تلك الطائفة من العرب البائدة الامم التي خلق مثل هو ابيهم كانوا امة عظيمة ذات ثروة وشهرة وعمروا الارض عمرًا عظيمًا وجروا على عادة الدول في عادة الخالق * فارسل اليهم الرسل في زمان [illegible] الى ان احاط بهم العقاب وطول [illegible] ما بين [illegible] القرآن المجيد ويدل عليه ايضا [illegible] القوم لما كان [illegible] بين سيدنا نوح وبين سيدنا ابراهيم عليهم جميعا [illegible] كما هو مذكور في سورة الاعراف مضاعفة من تكون الامة وكثرتهم [illegible] ذلك القدر من الكثرة والشدة وغير ذلك من الصفات لا بد لهُ من زمن طويل كما ان تكثير ذلك العدد الوافر من رجل واحد ثم ان [illegible] معجزة الطوفان [illegible] يستدعي ايضا ذلك الطول ثم ان تعدد الرسل مع [illegible] في كل واحد منهم [illegible] من بعد الآخر وكل واحد منهم يجل [illegible] بالصيحة الى غير ذلك يدل ايضا على شدة طول الزمن [illegible] وكل ذلك قبل سيدنا ابراهيم عليه السلام فلا بد ان تكون المدة بينهُ وبين سيدنا نوح طويلة جدًا لا يعلم مقدارها الا الله تعالى ومجموع ذلك يدل على طول عمر الدنيا [illegible] انها حادثة وانها آئلة الى الفناء وهذا كلهُ يبين معنى قوله عليه الصلاة والسلام بعثت انا والساعة كهاتين وقرن بين اصبعيه الكريمتين الوسطى والسبابة وكذلك ما دل من الآيات والاحاديث على قرب الساعة فربما قال قوم اين هذا القرب وهذا [illegible] وقد مضى من زمن البعثة الى الآن ازيد من الف وثلاثمائة سنة ومع ذلك لم تظهر العلامات الكبرى كنزول سيدنا عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها الى غير ذلك فنقول ان [illegible] الامور نسبية في علم المقدار الكثير

من مدة الدنيا التي مضت وعلم ما بقي منها وأن الساعة قربت وهي مقارنة البعثة ولا
شك في ذلك الا ان كانت المدة مخصصة بمدة طويلة لا كمن كما هو الواقع والمشاهد من حالة
الآثار الدالة على ان ما مضى يزيد على العشرات من الاف السنين فستة الاف سنة او
ثلاثة الاف من تلك العشرات من الاف مثلا لا كسر متلاحقين ومتقاربين والا
ان اعتبرنا ما برهنه اهل الكتاب من المدة وهي ستة الاف مثلا ولا يمكن انهم الا على
ضرب من التأويل الذي لا يحتاج اليه مع عدم الوقوع ولنبين تحريف التوراة فيما يستند
اليه اهل الكتاب الذي زعمه من ذكر فيه محمد على قوة شريعة تظهر وعلى مثل الخرافات
المخالفة للواقع

واما الطبقة الثانية من العرب وهي العرب العاربة فهي التي من زمن سيدنا ابراهيم
وسيدنا اسماعيل ابنه فهي العرب المعروفين الى عهد البعثة وهذه الطبقة اخبارها معروفة
الا ان الاخبار عنها المتأخرة ما [illegible] من شعرها وقصائدها وحكاياتها كانت تفاصيل
الحوادث التاريخية غير محققة لان العرب كانوا امة متوحشة لعدم وجود تواريخ محررة
في اخبار هاته الامم من العرب حتى جاء الاسلام [illegible] في ذلك من التاريخ
الى ما بعد الاسلام عند ما حدث تدوين الكتب في الامة الاسلامية وذلك من القرن
الثالث من الهجرة فيوجد في التواريخ الاسلامية اخبار كثيرة عن هاته الطبقة وكثير
منها يلوح عليه سمات الصحة [illegible] لا سيما وقائع وحوادث [illegible] على جميع
ذلك [illegible] لانه لا يكون الا رواية صحيحة من احدى التواريخ
المشهورة في ذلك مثل تاريخ المسعودي وتاريخ ابن خلدون وغيرهما من التواريخ الكثيرة
ومن الذي يليق ان نذكره هنا ان شمال [illegible] حدثت فيها دول عظيمة وممالك
واسعة وكانت في اغلب الاوقات منقسمة الى ثلاثة اقسام جنوبي وشمالي ووسط

فاما القسم الجنوبي فهو اليمن وحدثت فيه دول عظيمة مستقلة بنفسها في اغلب الاوقات
ولكنها لم تتسلط على غيرها من الامم الا نادرا نعم قد تسلط عليها غيرها احيانا فتارة
تكون تابعة لملوك فارس وهو الاكثر وتارة لدولة الحبش او دولة اليونان او الرومان
او المصريين وفي كل الاحوال الاغلب ان يكون حكامها منها وان كانوا تابعين لغيرهم ممن
ذكرناه وساد فيهم تمدنا جميلا كما تدل عليه الاثار التي حول البلدان القديمة مثل صنعاء
وغيرها وصار فيهم رجال ذوي فطنة وفكر وقد وصلوا الى الكمال كما يرشد اليه الحديث
الشريف القائل الايمان يمان والحكمة يمانية او كما قال عليه الصلاة والسلام

✵ • ✵

واما القسم الشمالي فهو مملكة غسان والحيرة الموالية للشام والعراق فهاتان كثيرًا ما حدثت بها دول مستقلة ذات شأن كمقام دول اليمن وفي أكثر الاحوال تكون هاتان المملكتان تابعة لصاحب مملكتي الشام كالروم وغيرهم وفي أكثر الاحوال ايضاً تكون رؤساؤهم منهم وان كانوا تابعين لغيرهم

واما القسم الثالث وهو الوسط المشتمل على الحجاز ونجد وتهامة فالحجاز منهُ في أغلب الاوقات ان لم نقل في كلها كان منفردًا

واما غيره فيكون تارة تابعًا للحجاز وتارة لليمن وتارة ينفرد بنفسه مثل الحجاز والحجاز الذي هو بيت القصيد مع كونه كان مفرزًا عن الخضوع لغيره الا ان يكون خضوعًا صوريًا في بعض الاوقات لبعض ملوك اليمن فيحتمل انهُ في نفسه لم يكن به دولة ملكية قط ولم تجتمع سكانه مجتمعين في دائرة كل قبيلة خاصة بل رؤسائها فقط ولا سلطنة لواحدة على أخرى الا ان تكون على طريق الظلم والعدوان وقد انفردت قبيلة قريش من بين سائر قبائل العرب بالمجد والشرف لما امتازت به من اختصاصها بالسكنى حول بيت الله الحرام الذي بناه الخليل معظمًا عند جميع من قبلهُ سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل ابو العرب وكانت سائر قبائل العرب تحجه من جميع الآفاق اليمن والشام وغيرهم وتعظم اهله وتكرمهم وتختص من بين الشعوب بني قريش بنو هاشم منهم فكانوا هم سدنة البيت وهم حماته وقد اشتهرت في قبائل العرب بكثرة مكارم الاخلاق قريش فكانوا ابعد خلق عن تعاطي السيء وكانوا احرص الناس على حفظ المجد وحماية النسب يحفظون انسابهم ويتفاخرون بها ويكرمون الضيف ويتنافسون في البذل والكرم ويحمون الجوار ويوفون بالعهود ولهم اليد الرفيعة في الشجاعة والحمية والفروسية والاعتناء بتربية الخيل الجياد والابل ويتفاخرون بالعدل ويستقبحون الظلم وان انحرفوا عنه في غيرهم بالاعتداء عليهم وخصوصًا بنو هاشم فهم أكثر بيوت الشرف ومكارم الاخلاق حسب ما يرشد الى ذلك قولهُ عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ويؤكد ذلك حلف الفضول الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا ما احب ان لي به حمر النعم ولو دعي به في الاسلام لاجبت اهـ وذلك ان قريشًا تحالفوا على ان لا يجدوا مظلومًا الا نصروا اليه حتى يردوا ظلامتهُ ويأخذون حق الضعيف من القوي وبتفرقهم في جهات الكون حدثت بين القبائل المشاحنات على مقاصدها وتمكنت العداوة بينهم وصاروا على قلوب شتى

وكان اعظم همهم وغاية تفاخرهم هو البلاغة في لغتهم التي بها يعربون عن خصال
فضائلهم ومناقب ذويهم حتى صاروا يعقدون لذلك اسواقاً كسوق عكاظ يقصدون اليه
من كل فج عميق وتأتي القبائل بما لديها من النظم والنثر ويقع بينهم تفاخر وروح
في [illegible] ويكون موضوع [illegible] الاجتماع هو عرض كل قبيلة كلام فحول شعرائها من نثر
ونظم فتنصب لاصحاب البلاغة والبيان [illegible] ويعد كلٌّ منهم ما لديه من القصائد
التي كان تأنق في اختيارها حتى ربما [illegible] الحال بأحدهم ان لا ينشر قصيدة الا بعد
التروي والتدبر فيها واصلاحها مدة اعوام وسنين حتى كانت لهم قصائد تسمى الحولية
وقد يكون الانشاد [illegible] مع الابداع ولا غرابة من تصرفهم في اغراض شتى من
مدح وحكم وصفة مكارم الاخلاق [illegible] والبطش والحروب وفي [illegible]
والنسب و[illegible] و[illegible] وغير ذلك [illegible] رقائق بين سائر
الامم [illegible] لا [illegible]
في خاضوا فيه [illegible] وكانت [illegible] ومعروف لهم [illegible]
عبارة ولا احاطة [illegible] البلاغة [illegible] معنى [illegible] يتكلمون [illegible] بعض
الكلام على بعض [illegible] من لغة [illegible] يكشف في [illegible] موقفه
ويطلق في داخل الكلمة [illegible] قدرة [illegible] وفي [illegible] دلالة على [illegible]
ذلك الكلام فقد [illegible] لغاية [illegible] في فهم معنى هو مقصود ما احتوى عليه من
الفصاحة ومن ذلك معلقات سبع مشهورة غير انهم [illegible] الجاهلية قد [illegible]
[illegible] ابرهيم واسمعيل عليهما السلام ولم [illegible]
[illegible] لا يعترفون بالله موجود [illegible] من خلق السموات والارض
يقولون الله وكذلك تعظيمهم للبيت الحرام [illegible] في [illegible] على [illegible]
من وثنية ومجوسية ودهرية [illegible] في [illegible] مستغرقين في الضلال
الذي عم جميع طوائف الارض في ذلك العصر بحيث لم يكن [illegible] يعبد الله على حق
لأعدد من افراد مخصوصين . وبينما كان [illegible] الارض في ذلك [illegible] الحالك [illegible] نور
الله قد سطع وكشف عن العالم [illegible] بعثة رسول [illegible] سيدنا ومولانا محمد صفوة
بني هاشم سادة العرب [illegible] حيث [illegible] في سائر الاحوال المتعلقة
بالدين والدنيا وظهر في [illegible] عصر [illegible] واستقامة [illegible] من
الارض في سنين قليلة والكلام على تفاصيل [illegible] بعثة [illegible] من مكملات

دعاة الدين الاسلامي فيه بسط ووفر في مجلدات ضخمة من كتب السير والتاريخ لا يمكن الاحاطة بها وشرح شيء منها على التفصيل وانما الذي ينبغي التنبيه عليه هنا لمن لم يكن خبيرًا هو ان تاريخ الحديث محصور في عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين بما فيه من القيود ما لا يوجد في غيره من التواريخ وهو صحة الاسناد واتصاله بحيث يصح ان يكون معتمدًا لاستنباط الاحكام الشرعية منه لان جميع حركات وسكنات رسول الله صلى الله عليه وسلم تشريعية الا ما قام الدليل على اختصاصه به عليه الصلاة والسلام وهكذا سنن خلفائه الراشدين من بعده ومن المقرر في كتب الاصول ان الادلة الشرعية لا تثبت بمجرد النقل بل لا بد ان يكون النقل على الوجه المعتبر وهو روايته في سلسلة السند [illegible] والشهرة [illegible] الذي هو مقصود في كل منها وبهذا يتبين غلط من يزعم ان الامام ابا حنيفة رضي الله عنه كان غير عالم بالسير الذي هو تاريخ سيرة رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وكذلك سيرة خلفائه الراشدين من بعده وهم سيدنا ابو بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا علي وسيدنا الحسن وسيدنا الحسين رضي الله عنهم لان كل ذلك يتوقف عليه كثير من مسائل الاحكام [illegible] وكذلك على الادلة التي يستند بها المجتهدون [illegible] ومنهم ابو حنيفة رضي الله عنه [illegible] العلوم [illegible] ولا عبرة بما ينشر في بعض كتب مؤرخي غير المسلمين [illegible] يسمونه [illegible] الى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في بعض سيره وعاداته لانهم ينقلون تاريخ ذلك العصر خصوصًا ما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم كسائر التواريخ التي تتوقف على مجرد الرواية مع عدم تتبع [illegible] وقد عرفت ان الامر عندنا ليس كذلك بل هو مشروط بما ذكرناه فلا يعتبر منه ما يذكره الافرنج لان في تواريخهم في هذا الموضوع [illegible] على الخصوص [illegible] الافرنج على الاطلاق لاتكالهم على تعاليمهم وعدم فتح بصائرهم في حقائق معارف المسلمين حتى حرمهم ذلك [illegible] طريقة التاريخ عند الافرنج متفقًا مع [illegible] ليست مطابقة للواقع في الموضوع الذي ذكرناه ثم ان [illegible] ما كتب الله لها ان تسود على الارض ويتم حكمها فيها في الطول والعرض [illegible] وعدله في [illegible] مدة بحيث انها في خلافة سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه المتوفى سنة ٢٧ هجرية امتد حكمها من جبال

القيروان في المحيط الغربي جهة الاندلس ومراكش وكان ذلك تحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام حيث قال (زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي مقدار ما زوي لي منها) فكان الامر كذلك ولم يتوغل ملك الامة في الجنوب وفي الشمال مثل ما توغل في المشرق والمغرب كما وقع لامة الاسلام العربي في الاحياء وسبب ذلك والله اعلم أن العمران في الارض كان في ذلك التاريخ غير معتبر في جهتي الجنوب والشمال وعلى مساح الامم ومقام الغرب حقق في جهتي الشرق والغرب وكان الوجه في الاتيان بلفظ المشارق والمغارب بصيغة الجمع هو الاشارة اما الى المشارق بالنسبة للعرض في تعددها نظراً لاختلاف العروض او بالنظر الى الطول اي مشارق اهل الارض فان كل جهة من الارض شرق لما سكن في غربها ومحيط الشرق بالنسبة لنصف الكرة الذي هو القسم المعمور والمعروف اذ ذاك وهكذا الغرب فيكون في الحديث على الوجه الثاني اشارة الى عدم ملك المسلمين في امريكا كما هو واقع بالفعل لانها ليست بمشرق ولا بمغرب لاحد ممن سكن هذا القسم اعني القسم المشتمل على آسيا وافريقيا واوروبا لان بعد قارة امريكا من هاته القارة جعل مشرق شطوطها الغربية ومغربها هو الجزء بسبب امتداد البحر ... الى ... حد ... القائل ان تلك الاصقاع المفتوحة ... ورجوع ... الامر ... الى مركز الحكم ونحو ... وتحت الدولة ... لانهم ... فيها ... بسبب ذلك كما حدثت ... الدولة من العرب وهي العرب المستعربة في ... تعربوا ... بكونوا في الارض عرباً وامتدت هذه الطبقة الى نهاية دولة العرب في الصورة ... على ... حدود الدولة التي تقلص فيها ظل دولة حسية العرب ولم يبق فيها ... لكن عصبة و ... وانقلبوا ... والذين ... الدولة في أيديهم حقيقة هم العجم من الترك والموالي الذين ... بنو العباس بطانة لهم فتغلبوا على الاطراف وعلى ... تارة مع شدة في الاستيلاء وتارة مع ضعف الى ان انقرض ملك ... بغداد على يد ... انقرضت دولة بني العباس وان عادت رسماً لا معنى له بعد مدة قليلة من السنين بظهور احد ذرية بني العباس في مصر واكرمه ... بالبيعة الصورية وتسميته بالخليفة ثم يحجرون عليه في قصره الرحيب بحيث لا يكون له من الامر شيء ويكتب كتاباً يشهد فيه على نفسه انه فوض الامر الى ذلك السلطان الذي ولاه وبقي متمتعاً في لذاته التي يتعلق بها عليه حسن ظن من سلاطين ذلك الزمان بمصر حتى اعتقدت العامة ان وجود الخليفة

موقوف على شرط النسب العباسي وحده فأراحت هاتيه البدعة الدولة العثمانية عند استيلائها على مصر سنة ٩٢٣ هجرية بفتوى العلماء

ومن تاريخ انحصار دولة العرب اي بني العباس في مملكة العراق وخروج الحجاز عنها عالماً انه يمكن من هو عصر حدثت الطبقة الرابعة وهي العرب المخضرمون الذين هم سكان جزيرة العرب الآن فانهم وان كان اكثرهم فيهم عربية النسب اصالة لكن لغتهم قد خرجت عن اصلها وكذلك طباعهم وعاداتهم لتقيدهم لام المتسلطين على الدولة التي هي اكثر نفوذاً في ممالك الاسلام فهم وان كانوا عرباً من جهة الانساب لكنهم غير عرب من جهة اللغة والطبع وبعض الاختلاط في الانساب ولذلك اطلق عليهم اسم مخضرمين وقد اتممنا الكلام على اجمال اوصاف الطبقات الاربعة من العرب لنتكلم عن شيء من حالة التاريخ الجديد بالحجاز لكي يتسع تعريف تلك الطبقات على وتيرة واحدة ثم نعود الآن الى ما بدأنا في الكلام على التاريخ فنقول ان انتهاء التاريخ القديم للعرب كان بظهور الاسلام

فصل

في التاريخ الجديد للحجاز

اعلم انه ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاصة العرب وسيد الامم قد حدث تاريخ جديد في سائر العالم لا في الحجاز فقط الذي هو مطلع نوره عليه الصلاة والسلام وذلك بعموم رسالته صلى الله عليه وسلم فانه ولد عام الفيل الذي كانت تؤرخ به العرب وهو العام الذي قدم فيه ملك الحبشة للاستيلاء على مكة ومعه فيلة للحرب فولى كبيرها على عساكرهم وانهزمت الحبشة بدون حرب وكان ذلك من الارهاصات الدالة على البعثة وذلك العام قبل الهجرة بسنة ٥٣ ويوافق ذلك سنة ٥٦٩ ميلادية وقد كان والد النبي صلى الله عليه وسلم قد توفي قبيل ولادته فكفله جده عبد المطلب وارضعته اخواله بنو النجار في المدينة ثم نشأ صلى الله عليه وسلم على كمال الاخلاق واشرفها سجية فطر عليها من غير تعليم ولا تأديب حتى انه كان امياً لا يقرأ ولا يكتب على ما هو الغالب في الامة اذ ذاك وكفله عمه ابو طالب بعد وفاة جده فلما استكملت شبوبيته تعاطى التجارة

على وجه المضاربة وهي ان يكون المال لانسان والعمل على الآخر و المال الذي اتجر به كان لخديجة بنت خويلد احد اعاظم قريش واغنيائها فسافر الى الشام ورجع بربح فاق على مقداره ثم تزوج السيدة خديجة وقد رغبت فيه لعلو نسبه حيث كان صفوة بني المطلب وبني هاشم سادات العرب كما تقدم ولكمال حسبه لما رأت من حرفته بالارباح في تجارته مع ما هو عليه من استجماع كافة مكارم الاخلاق ووفرة العقل و الجلالة والمهابة حتى كانت قريش يدعونه الامين ويقتدون لاشارته و مروى انهم لما اختلفوا عند تجديدهم بناء الكعبة فيمن يبني الحجر الاسود وهم بالمسجد الحرام وتراضوا على تحكيم اول داخل فكان هو النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا جميعاً رضينا هو الامين

ومن كمال تدبيره ارضى جميعهم في ذلك حيث اخذ ثوباً ووضع فيه الحجر الاسود ثم قال لهم لترفع كل طائفة من احدى جهاته ورفعوه جميعاً حتى اذ دنوا به محله وضعه فيه هو عليه الصلاة والسلام وهكذا عرف بين الجميع بالصدق والوفاء والبراءة عن كل نقيصة فلما بلغ الاربعين من عمره بعثه الله رسولاً بنزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم مع الملك واقام بعد ذلك بمكة ثلاثة عشر سنة يدعو فيها الناس للايمان بما نزل عليه من القرآن واقامة الدليل والبرهان واظهار المعجزات الخارقات للعادات من الاخبار بالمغيبات الماضية كحوادث الامم الماضية مما حسنت فيه اخبار اهل الكتاب لعلمهم فيه بما يوافق الحق والعقل وان خالف اقوالهم خبيثاً وكذلك المغيبات الحالية كالاخبار عن بيت المقدس وتوصيفها توصيف معاين لها مع انه لم يرها قط لأني الاسراء الذي هو معجزة له عليه وآله الصلاة والسلام وكذلك المغيبات المستقبلة كغلب الروم من الفرس وعود الكرة لهم وانتصار المؤمنين وعزهم وامتلاكهم مشارق الارض ومغاربها مما جاء كله على نحو ما قال وهكذا اجابة دعواته وغير ذلك من المعجزات واعظم معجزة انشقاق القمر التي بينا ثبوتها القطعي في الكلام على مصر وفوق ذلك كله معجزة القرآن الذي هو من جنس كلامهم ومن النوع الذي فيه محل تفاخرهم واعتنائهم فقد هو يومياً يقص عليهم القصص ويقيم البراهين على الايمان ويوعظ ويرغب ويرهب باساليب شتى ويدعوهم الى المعارضة باتيانهم بمثله وينادي عليهم بالعجز عما يريد في حماستهم في المعارضة ولم يأتوه واحد منهم بشيء حتى لجأوا الى انه سحر وغير ذلك من اعذار المعاندين العاجزين كقولهم انه اساطير الاولين مما رده عليهم القرآن الكريم حيث قال لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين (الآية) فقد اخطأوا وافتروا ولم يفقهوا ان مناط المعجزة هو اللسان

العربي وهو محض ما اداهم الى المعارضة وذلك لا يتأتى فيه قولهم لان لسان من زعموه
عجمي وليس هو موضوع التحرير وهذا كاف في دحض اصل الدعوى من كون نسطور
لم تكن بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم علقة ولا مواصلة وغاية الامر ان النبي صلى الله
عليه وسلم قد رآه اثنان من الرهبان قبل النبوة وآمنا به حتى عدهم البعض من الصحابة
على قول من يرى الصحبة تثبت بالرؤية مع الايمان ولو قبل البعثة وهذان الراهبان احدهما
يسمى بحيرا او جرجيس رآه صلى الله عليه وسلم عند اول سفرة له صلى الله عليه وسلم مع
عمه ابو طالب الى الشام وهو ابن اثني عشر سنه وكان الراهب في صومعة له يتنزل
حولها الركبان فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ورأى بعض العلامات التي استدل عليه
بها قرب من النبي صلى الله عليه وسلم وتفحص حقيقته ورأى الخاتم وتعرف اخباره من
رفقائه ثم تلطف الى عمه حتى رجعه الى بلده خوفا عليه من اليهود واخبر عمه ورفقاءه
بما يكون له من الشأن والامر (والثاني) من الراهبين هو نسطور الراهب رآه ايضا قبل البعثة
وعند سفره للتجارة الى الشام ومعه ميسرة غلام خديجة ورفيقه فلما رآه من الصومعة ايضا
تعرف خبره من الرفقة واخبرهم بما يكون له من الشأن ايضا ولا يعلم ولا ينقل عن
احد لا في الثقات ولا في الموضوعات انه اجتمع بغيرهما في غير ذلك الموطنين الا ما روي
بضعف من انه صلى الله عليه وسلم سافر وهو ابن عشرين سنة الى تجارة ايضا بالشام وفي
صحبته ابو بكر الصديق رضي الله عنه وان نسطور اجتمع به اذ ذاك ايضا وحذره ورغبه
في الرجوع عن الشام خوفا عليه من الروم فارسل معه ابو بكر رضي الله عنه غلامه
مصاحبا في الرجوع وهاته الرواية على ما فيها من الضعف ليس فيها شيء زائد عما في
الروايتين السابقتين بالنسبة لامر الراهبين فيا ليت شعري من اين افترى بعض المتشدقين
من الافرنج المدعين معرفة التواريخ بان النبي صلى الله عليه وسلم كانت له مودة مع ذلك
الراهب وهو بحيرا ويصحبه بالنصائح وقد علمت مما مر سابقا ما يشترط في حالة نوابغ
ذلك العصر ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم قد امره الله بالهجرة الى المدينة التي قدر ان
تكون في مظهر اصلاح هذا العالم الارضي ونجاة اهله في الآخرة وكان اذ ذاك قد فشا
خبر الاسلام والبعثة فتلقاه الانصار اهل المدينة بالبيعة والطاعة وتتالت عليه القبائل
بالايمان وتمهد اذ ذاك لاجراء امر الله واحكامه على من عاندوه بعد اقامة البرهان
والحجة وتمم الله وعده لرسوله وللمؤمنين ففتحت مكة ودخلت في اثرها جميع قبائل
جزيرة العرب ولم يزل الدين ينتشر الى ان عم البسيطة في نحو نصف قرن ثم ان تاريخ

الحجاز لما كان من ذلك الوقت هو تاريخ الامة الاسلامية الى انتقال الخلافة منه في خلافة سيدنا علي ثم عودها اليه في خلافة سيدنا الحسن رضي الله عنهم جميعاً ثم خروجها منه من ابتداء خلافة سيدنا معاوية والكلام على ذلك كله مبسوط في جميع التواريخ الاسلامية فلا ثمرة في ذكرنا لا نريد مما ذكرناه هنا طبقاً لقاعدتنا وانما نقول ان الخلافة لما انتقلت عن الحجاز صار على كل من مكة والمدينة وال مخصوص عليه ان والي مكة قد تعين من وقت الفتح واول وال بها هو عتاب بن اسيد في سنة ثمان عند الفتح وولي ايضاً على اقامة الموسم والحج ثم ان بني امية كانوا لا يولون على مكة الا اقرب الناس واخصهم لديهم واستمر الامر على ذلك الى حدود سنة ٢٥١ التي استقلت فيها عائلة سادتنا الاشراف بني الاخيضر وبقيت بايديهم الى ان تغلب عليهم القرامطة سنة ثلاثمائة وسبعة عشر وهولاء القرامطة قوم ظهروا بالبحرين متظاهرين بالاسلام واغتنموا فرصة وهم شرذمة كفرة وطغاة من المنافقين فادخلوا في الدين الدسائس ووضعوا الاحاديث ونقلوا من الاكاذيب ما ليس له خبر مأثور حتى استولوا على مكة والمدينة وخربوا الكعبة وقلعوا الحجر الاسود من موضعه الى ان رجعه بعد ذلك عمال بني العباس الذين طهر الله بايديهم الحرمين من ولوث القرامطة ثم استقل بالحرمين ايضاً السادة الاشراف بنو سليمان بن داود بن الحسن المثنى وبقي الملك بايديهم الى سنة اربعمائة وستين وخمسين فاستقل بملك الحجاز الهواشم الذين هم العائلة المستولية الى الآن من سادتنا الاشراف واولهم سيدنا مولى الشريف ابو هاشم محمد العلوي المتولي في السنة المذكورة والمتوفي سنة ٤٨٧ وبقيت في بنيه الى الآن فهم كانوا من ذلك التاريخ مستقلين بالامر والنهي والنصب والعزل وسائر الادارة الداخلية لانهم يدينون بالتبعية تارة الى خلفاء العباسيين والسلاطين الذين تغلبوا عليهم ببغداد الى انقراض دولتهم فادينوا بالتبعية الى سلاطين مصر وبهذا كان الحال يختلف عندهم فتارة تنفرد مكة والمدينة بامير واحد منهم وتارة تستقل كل منهما بامير الى ان فتح السلطان سليم الاول مصر وقام بها مدة فاستقبله في الطريق وهو راجع الى الاستانة الشريف المقدس ابو نمي ابن الشريف بركات فبايعه نيابة عن ابيه ونفسه فاقره السلطان حالاً امارة الحجاز كله مشاركة لابيه في حياته واستقلالاً بعد مماته ولم تزل ولله الحمد هاته العائلة الكريمة الشريفة هي الحاكمة على الحجاز الى الآن وذلك اعظم دليل على ثبوت نسبها لانها من عهد استقلالها الذي هو كبد القرن الخامس وتوفر حينئذ معرفة الانساب من الدولة العباسية التي لم تزل الى ذلك التاريخ لها صولة وشوكة خصوصاً في بغداد لان امر النسب لدى

يخشى منهُ حتى السلاطين المتغلبين عليهم لانهم يخشون من خروج الخلافة الى غير العباسيين لتميزهم من شيعتهم واحصعوا الناس تحتهم ان يتلاشى امرهم متلاشي متبوعهم فلم يغروا لهم بنسب ويرضوهم بالسكوت عن الحجاز لأ لما يعلمون من حقيقة نسبهم وثبوتهِ عند الخاص والعام وهكذا بقيت هاتهِ العائلة بارك الله لنا وللمسلمين فيها حاكمة على منبع البعثة أعزّ الله اعيانا ومسلمين بوجودهم والقيام بسنة الحق لابائهم وجدودهم والامير الحالي هو مولانا همام الشهم عون الرفيق ابن مولانا المقدس المبرور سيدنا مُحَمَّد بن عون صلوات الله وسلامهُ على جدهم رسولهِ وعليهم وعلى جميع قومهم

مطلب في السياسة الداخلية للحجاز

امر من مدار الادارة كلها جليها وحقيرها كلياتها وجزئياتها قد كان سابقاً مناطهُ هو الامير السيد الشريف وكانت على حسب اصول المراسم الشرعيَّة المعارفة من قديم مثل تفويض الاحكام الشخصيَّة الى القاضي والمفتي ويراد الامير بالجلوس الى رفع المظالم واجراء بقيَّة الادارة واستمر على ذلك بعد الخضوع للدولة العليَّة ايضاً ومنا مديداً من الزمن حتى في امر القوة الحربيَّة فقد كان للامير عساكر خاصون بامارتهِ ليقيم بهم ما تستدعيهِ القوة وقد بقي الى الآن شيءٌ من ذلك حيث ان للامير نحو الحراس او العساكر الخاصة لا يبلغ عددهم المئتين وقد ما بدى للدولة العليَّة الاحتراس من امر الولاة مدة السلطان محمود الثاني في اواسط القرن الثالث عشر لكثرة مخالفة ولاة الاطراف على ما سيأتي بيانهُ في محلهِ حصل ذلك التغيير ايضاً في الحجاز لكنهُ بأمرين وهو جعل القوة العسكريَّة الكبرى خاصة بالدولة العليَّة بان ترسل شيئاً من جندها عساكر يقيمون هناك وتزيد قوتهم وتقللها على قدر الحاجة ورئيسهم من طرف الدولة ايضاً ليس بمعزوم لامتثال امر الامير فيما يراهُ من معاقبة بعض القبائل بل هو على حسب ما يظهر لهُ في الواقعة وعند تخالفهِ في الرأي للامير بجهران الدولة معاً لمن ما تراهُ وكذلك امر العاشر اي الكمرك في المراسي البحريَّة استبدت بهِ الدولة وحدها بمأمورين ترسلهم من طرفها ونشأ عن ذلك في اول الامر قلاقل ومحاربات افضت الى ابدال الامير بغيرهِ من فروع عائلتهِ الكريمة ولم يزل يزداد تداخل الدولة في التصرفات الداخليَّة الى ان جعلت والياً على الحجاز من احد كبار رجال دولتها مشرقيَّة ولايتها مع بقاء سيادة الامير على منصبهِ واعتبار نفوذهِ وامرهِ

على الاطلاق ولا يخفى ما في وجود آمرين على مأمور واحد في زمن واحد من الاضطراب ونشأ ايضاً عن ذلك الاحتراس ان الدولة صارت تستدعي من بني سيادة الامير في السن من عائلته ليبقى تحت السلطنة ويتحقق بأخلاق الدولة ويعرف سياستها الداخلية والخارجية لانهُ هو ولي عهد الامير فاذا آلت بهِ الولاية كان عالماً بأحوال الدولة التي هو خاضع لها وتقلدهُ الدولة مدة اقامته تحت السلطنة رتبة الوزارة والمشيرية وتجعلهُ عضواً بمجلس شورى الدولة الذي يرجع اليهِ على التدبير في جلب مصالح الدولة الداخلية هكذا ظاهر الحال ونعم المسلك لو يكون هو الامير والوالي بحيث تحدد لهُ الدولة تصرفاتهُ على نحو بقية ولاتها غير انهُ بمجرد تكونه معتزاً بعدم خروج الامارة عنهُ وعن عائلته ويكون الادارة في امارته تجري على طبق الشريعة المطهرة مع عدة الاحتراس عن البدع التي لا داعي لشيء منها هناك لكنهم اقتصروا على خصوص الفائدة في ابقاء ولي العهد بالتخت لمآرب للدولة ربما احتاجت اليها مع سيادة الامير نسأل الله التوفيق

والجاري الآن هو ان يختص سيادة الامير بالامر والنهي والولاية والعزل في جميع قبائل الاعراب وكذلك الوظائف المتعلقة بالبيت الحرام من امامة وخطابة وغيرها الا انهُ ينهي الى الدولة ما يراهُ في كبارها لتصدر الاوامر السلطانية على حسب ما ينهيه وعلى نحو من ذلك الوظائف الدينية بخصوص مكة كالفتوى في المذاهب ونقابة الاشراف وما شاكلها وما القاضي فانهُ يرسل الى مكة قاضٍ والى المدينة المنورة قاضٍ من تحت السلطنة على نحو بقية ولاياتها وكذلك بقية الولايات العربية كلها تتصرف فيها الدولة والحاصل ان الذي استقر عليه الحال الآن هو اختصاص الامير بأمر قبائل الاعراب ما لم يستدعِ الحال محاربتهم وبعض الوظائف في خصوص مكة مما مرجعهُ الديانة كائمة الصلاة في البيت الحرام من المذاهب الاربعة وهم وان كانوا اربعة الآن لكنهم لم يقع استقرارهم هكذا في زمن واحد بل كان الامر اولاً امام واحد شافعي ثم زيد ثانٍ من المذهب الحنفي ثم آخر من الحنبلي ثم آخر من المالكي في ازمان متباعدة بحسب المناسبات في اتباع ذلك المذهب ونفوذهم لدى الدولة الحاكمة وهكذا الامر في ائمة المسجد النبوي على صاحبه افضل الصلاة والسلام وعلى ما قيل فان الامام المالكي لم ينصب الا في عشرة السبعين من القرن الثالث عشر

واما بقية مدن الحجاز التي هي المدينة المنورة وجدة فاما المدينة المنورة ففيها محافظ وهو كبير العساكر وشيخ الحرم النبوي على صاحبه افضل الصلاة والسلام وقاضٍ

وكلهم يأتون من تحت السلطنة وفيها مفتٍ وعلماء وخطباء وأمين الحرم مع طوائف أُخر صغيرة وهؤلاء المتوطنون سيما اصحاب الادارة والحكم تابعون لوالي الحجاز مع بعض امتياز لهم في مخاطبتهم للدولة رأساً

واما جدة فمتوطنوها مثل متوطني بقية مدن المملكة العثمانية ما عدا المجالس الحكمية القانونية لان الاحكام سيأتي بيانها وانها على خلاف بقية الممالك العثمانية اذ لا مجالس عرفية بها فاجمال الحال ان الادارة السياسية مرجعها هو سيادة الامير مع الوالي اللذين يرجعان جميعاً الى ما تراه الدولة العثمانية

وكليات الادارة الآن هناك ليس فيها مكوس ولا ضرائب ما عدا الكمرك على الواردات البحرية وبعض اعشار على النخيل في القبائل الخاضعة حقيقة وكل هؤلاء القبائل لا يدفعون شيئاً الى الحكومة ولا الى الامير الا ان خضوعهم لدى ذكرناه الى سيادة الامير في الحقيقة هو ظاهري فقط وانما يختلف الحال فيها بحسب الزمان وشدة الطغيان في الانقياد وعدمه وبعض الجهلة ينسبون ذلك الى ارادة بعض الامراء من العائلة الشريفة ظانين ذلك لان بقاءهم في الامارة انما هو لاخضاعهم تلك القبائل فهم لا يريدون ان يكسروا شوكة القبائل بالمرة حتى تجري فيهم الاحكام مثل غيرهم ويدخلون تحت قياد المذلة اذ ربما استغنت اذ ذاك الدولة عن الامراء الاشراف والحق ليس كذلك فان بعض هؤلاء الامراء قد اخضعوا جميع القبائل الى الاحكام حقيقة منذ عهد ليس ببعيد زمن السلطان عبد المجيد وولاية المولى المقدس الامير الشريف عبد الله بن عون بعد ما ساعدته الدولة وعملت برأيه وامدته بالعساكر مثل ما اراد والباعث الحقيقي على اهمالهم هو عدم مساعدة الدولة للامراء على اخضاعهم متعللاً رجالها في الظاهر باحترام هاتيك البقاع الكريمة ومراعاة مجاوريها وسلاطين آل عثمان احترامهم وتعظيمهم شعائر الدين وتوقيره شنشنة معروفة قديماً وحديثاً ولذلك يوافقون على مثل تلك النصيحة على انها ربما كان باطنها غير ذلك وهو عدم استفادة اولئك الرجال من انقياد تلك القبائل لانهم وان خضعوا حق الخضوع فلا مساغ لضرب شيء من الضرائب عليهم لا سراً ولا جهراً فتكون فائدة خضوعهم راجعة لسيادة الامير وحده من نفوذ احكامه واوامره فيها فيظهر اولئك الرجال النصيحة الى السلاطين على نحو ما قدمناه مع ان اخضاعهم واجب شرعاً لأمن السبل وحفظ الحجاج من التعدي واقبال تلك القبائل على عمران اراضيهم لانهم الآن زيادة عن عدم دفعهم للدولة ولا للامير حتى اعشار املاكهم فهم يأخذون من الدولة

اموالاً في كل سنة بمجرد محافظتهم على امن السبل ولا يؤخذ منهم شيء من المال
قل او جل غير انه قد كان في اواسط القرن الثالث عشر رجل من قبيلة حرب يسمى
الشيخ سعد قد تقوى بدهائه على اتحاد جميع قبيلته وعظمت شوكته بانقياد غيرهم من
القبائل ايضاً ولم يخضع الى الحكومة قط لانه اذا اخذ امرتات التي اشرنا اليها من
طريق الحاج الى المدينة وعند ما تسافر القوافل اليها يعد جمال كل قافلة ويأخذ على كل
جمل نصف ريال اي اثنين فرنك ونصف ضريبة منه على اصحاب الابل وبعد موته
وخضوع ابنه وانقياد القبائل نوعاً ما انقت تلك الضريبة على اصحاب الابل عند ما
يكترونها الى الحجاج وليس للدولة غير ما مر ذكره من انواع المداخيل الا نوع من
الضرائب الخفية اكثرها يستفيده افراد من متوظفين لانفسهم مما يؤخذ على حجاج
مأسماه جمعوها كضريبة على تصنيف انى في العبد من الضحايا وغيرها من لا يصرح به
في الحقيقة الامر يسير في الجهات التي يذكرون الصرف لاجلها وكل المصاريف اللازمة
لكل من الحرمين سواء كانت الوظائف الدينية او السياسية او شعائر المحمدين او اقامة
المواسم كله تصرفه الدولة من خزينتها وهو مقدار يبلغ نحو مليونين ونصف فرنك لان
الاقامة بخصوص شعائر المحمدين الشريفين مما يلزم في مقامها ولا اقول على حسب
الاستحقاق لان حقهما لا يبلغ اليه ولو بذل النفس والنفيس . ومن المعلوم ان الشريعة
المطهرة كان منبعها تلك الاماكن المكرمة وقد اجريت فيها الشريعة حق الاجراء واستقر
الامن في سائر جزيرة العرب وكانت القبائل تؤدي الى بيت المال الاسلامي ما اوجبه
الشرع على كل مسلم فكيف يغير ذلك الآن حتى يتجرءوا على ابدال حرم الله بعد الامن
بالخيفة والايمان بما يسود منه الوجه يوم القيمة ويبقى به في ندوب الصحيفة مع ان
حملها على الاستقامة امر سهل يسير

وما حدر هاتيك الاماكن الشريفة بالمحافظة فيها على ادارة تحافظ على السنة
وعمل الخلفاء الراشدين الذي هو الامر الوحيد في جذب قلوب سائر المؤمنين الى الدولة
التي تجري ذلك فضلاً عن خصوص اهالي الحجاز ولا ريب ان ذلك يريح فكر الدولة
وتستغني عن الاحتراسات الناشئة عن الدسائس في رمي بعض ذوي الامر بمعاضدة
بعض الدول الاجنبية لتطلب الخلافة او الاستقلال نسأل الله اصلاح الحال

مطلب في السياسة الخارجية

اعلم ان الحجاز مرتاح ولله الحمد من امر السياسات الخارجية اذ ليس في دوحه ومدنه ما عدى جدة وينبع اجانب ولا يدخله الأ المسلمون وليس لواحد الادعا بحماية احدى الدول الاجنبية وكل من دخل فهو خاضع لاحكام البلاد ولا ريب ان المسلمين يحجون في كل عام من جميع آفاق الارض وعلى الكثير منهم استيلاء الدول الاجنبية التي يبلغ عددها في هذا الوقت الى ثلاثة عشرة دولة منها القوي ومنها الضعيف ومنها المنصف ومنها المتعسف ومع ذلك كله ليس لهم ادنى تداخل و تكلم فيما يتعلق برعاياهم المسلمين هناك ولله يديم سطوة الجيش نعم ان جدة يوجد بها قناصل كثيرون للدول الاجنبية الذين لهم رعاية او علقة بالمشرق ولهم تجار اوربيون في تلك المرسى وكذلك بعض الدول الاجنبية الذين ليس لهم هناك شيء يذكر نجد لكثير منهم قناصل يتولون تلك الوظيفة برغبة منهم للدولة الموظفة بمجرد فخر لهم من غير داع ولا مرتب وعلى كل حال فسياسة اولئك القناصل معلقة بالدولة العثمانية اما بواسطة واليها هناك او بواسطة سفرائهم في تحت السلطنة فالسياسة الخارجية حينئذ في خصوص جدة تابعة لسياسة الدولة العثمانية التي سيأتي الكلام عليها في محله ان شاء الله تعالى

مطلب في عوائد وصفات الاهلي

اعلم ان البلدين لاكرمين سكانهما الآن منهم من غير العرب لاصليين فان المدينة لا يوجد بها لأ سكنة الشريفة حقيقة من العرب وقد كنت رأيت رجلاً واحداً من ذرية العباسيين مقيماً في ضريح عمه سيدنا حمزة ولم يبق من الانصار هناك الأ بقية عائلة واحدة وبقية سكانها كلهم من الآفاق واكثرهم مغاربة و ما مكة فلا يوجد بها من العرب المحققين لأ عائلة السادة الاشراف وعائلة الشيبي والبقية كلهم من لآفاق واكثرهم هنود ولا يخفى ان العوائد والصفات تغلب على السكان باعتبار اصلهم غير انهُ لا بدّ ان تحدث فيهم تغييرات تناسب حالة السكان لاصليين فأخلاق هذين البلدين على الاجمال مناسبة لاخلاق العرب غير ان اهالي مكة تعتري اخلاقهم الحدة بخلاف اهالي المدينة فانهم لين الاخلاق كرام الطباع ويغلب على الجميع الحشمة والحياء وسلامهم بالمصافحة او الاشارة باليد ويقفون لكل داخل ولو تكرر دخولهُ واهالي المدينة اشد حرية في الطباع

وعدم المدنية والعكس في الاخلاق الرجولية وتجد غير كثير خيل ويسافرون الى جدة
ركوبًا على الهجين من غير تعب مع السير الحثيث مع التمكن في معرفة الرماية والفروسية
ولكل منهم سلاح مستوفر . واما الملاهي فلا يلتفتون اليها ولا وجود لها كما هو الواجب
سيما في تلك الاماكن نعم قد وجد من بعض الوافدين تساهل وتجري على استعمال الخمر
والآلات الطرب سرًا وكاد ان يكون من بعضهم جهرًا سيما من بعض اخلاف العساكر
او المتوسعين الذين لا يخافون الله ومن المعلوم ان الفساد ملائم لطباع البشر فيسرع فيه
التقليد لكنهم مع ذلك لا يزال الامر بحمد الله مستورًا فلا تجد محارم متجاهرًا بها ولا
ترى حانة خمار او دارًا معينة للفسوق وان وجد شيء فهو يكون في بيت صاحبه في
الستر . وعلى قريب من هذه حتى اهالي جدة . واما بقية العرب منهم على اخلاق بقية
السكان من قبائل العرب تدعو بهم تمسكهم من الاخلاق العربية التي نص فيها صلى الله
عليه وسلم (بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) لا الغش وعدم التمسح بالمطاعم وهجوم القوي
على الضعيف فلا تجد الامر مستقرًا الا قليلًا لانهم بني ... حفظ الصغير وتوقير
الصغير الى الكبير ... وتراهم يحدوا على ذلك كناية عن حفظ ذمة
المستجير به ... يوفي بعهده ولو جنى ... فيها هو وقبيلته هذه بعض ما
يمكن ان يذكر من الصفات الحميدة مع اكرام الضيف وحسن الطعام . واما بقية
الاخلاق السابقة العربية فكادت ان لا يوجد منها شيء كجودة القريحة والدهاء في
الامور ومعرفة احوال العالم فمن عجيب ما شاهدته من البلادة في بعضهم وسهو ان كان
احد الجمالين ماشيًا بقربي في طريق المدينة المنورة على صاحبها افضل الصلاة
والسلام وعلى آله وهو كان يحسب شيئًا في حساب بينهما فقال له اصحابه سبعة
وعشرون مع سبع كم هو فقال له اكمل هيه فاعاد عليه السؤال فاجابه بالجواب الاول
ثم اعاد ذلك ثالثًا ... حينئذ انتسب في سبعة وعشرون فقال له صاحبه هيه
ايضًا و ... على ان ذلك هو الحساب وعلى ذلك فقس فلا تكاد تجد من منهم من اتسع
للحساب في البديهيات وما حوصلهم من الادب التي ... بها الصرور ... غير
من حفظ ... والابيات من صدورهم فانهم فيه مبالغة كثيرة بحيث لا يمكن ... الراي
مرة ... معجزة وما ... على ... فقد كان رئيس الجمالين في
قافلتنا استصحب معه عياله من مكة الى بلد الحديدة وكان مردفًا لها على جمل له فكانت
من ساعة ظهورها الى ساعة دخولها بيتها التي هي مدة تنيف عن ستة ايام وهي ملتحفة

بعباءة تجيبه من اصوف سود لا يظهر منها مقدار ظفر ومن اصابع رجليها فضلاً
عن يديها او وجهها ليلاً ونهاراً لا تفارق حوية المعير وعلى هذه الحالة النسوة في المدن
عم أن البدوية برزة فقط وممكن تكلم بعض نسائها بحرص لاداء مناسك الحج
لكنهن في غاية الستر بحيث لا يظهر منهن شيء وعادتهن في جميع ان لا يخرجن الا
ليلاً مع شدة الستر [illegible] وان خطرن بخروج نهاراً فلا يمررن بالاسواق
ولا بالطرقات الكثيرة المرور ويوجد منهن تسكن في عوالي المدينة اي خارجها بقرب
من منازلها بيتهن لحدوثه [illegible] لعلها صمها من قوم قد تعودوا في عمق الارض وهم في
كل قطر مستقلون بانفسهم لا يدخلون احداً ولا يخصون الناس لأي ضرورة البيع
والشراء ولهم في كل قطر نقب بحسب عرف هند ويقال لهم في بلاد الترك شكانة وفي
تونس حماربه ويشتغلون في كل جهة الصنائع الخسيسة من صلاح اواني النحاس وصنائع
الخيل وقد اتخذوا في جهة [illegible] وتعدهم [illegible] الشيمة على
دعوهم [illegible] الفرس [illegible]
الى يومهم [illegible] وامرهم في ذلك [illegible] وليس عليه نكير و لامر لله
الذي اليه المصير

مطلب في تجارة الحجاز

عرف بعد جدة في مرسى تجارية عظيمة لانها مركز للبضائع الهندية وغيرها من
البضائع في الاقطار الشرقية ومنها يرسل لتلك الجهات الاسلامية التي تجارها مسلمون وكذلك
لكثير من البلاد الاوروباوية كالبضائع الاوروباوية والبضائع العربية من بلاد المسلمين
وكذلك بلاد الترك ومصر والشام يؤتى بها الى جدة وترسل الى الهند وغيره من الاقطار
الشرقية وبذلك كانت جدة مرسى تجارية كبرى فضلاً عن يدخل منها الى جزيرة العرب
على طريق البر سواء كان للحجاز او لغيره من بقية الاقطار ومركز تجارة جزيرة العرب
هي مكة المشرفة فيأتيها البضائع من جدة وتوزع منها على القوافل الى سائر جهات جزيرة
العرب الا ما يرد من الجزيرة الى جهات اليمن التي لها مراسي تجارية مثل الحديدة وقليل
ما هي فكانت مكة حينئذ هي معتبرة تجارة العرب وتجار معتبرون فيها اغلبهم هنود واما جدة
فتجارها من جنس مجتمعه وفي اسواق كل من هاتين البلدتين تقاسيم حسنة بحيث لكل

صنف من التجار جهة مخصوصة وتجارتهم عينة جداً واما المدينة المنورة فالتجارة فيها مقصورة على اهلها غالباً يؤتى اليها بالبضائع المحتاج اليها فيها وتباع لاهلها والقبائل تحمل البضائع على قوافلهم الى مراكز القبائل والى جهات جزيرة العرب مع الامان على البضائع التي يحملونها فالقافلة لها رئيس يكون ذا مروة وله كفيل اعيانه في الجهات التي يذهب اليها ويحمل منها فتسلم اليه البضائع والمكاتيب البريدية ويبلغها ... الى اصحابها وان حصل ضياع لشيء منها ولو تعدي بعض القبائل بالاغارة فكفلاؤه يؤدون لاصحاب البضائع جميع ما يضيع لهم ومن اهم انواع التجارة التجارة في المأكولات من الحبوب كالقمح والشعير وقد علمت ان البريد موكول الى هؤلاء القوافل التجارية فامره غير منتظم كما انه غير محتاج اليه في اغلب تلك الجهات غير انه يوجد بين مكة وجدة بريدًا منتظماً يومياً صباحاً ومساء يحمل على الحمير السيارة فيصل في نحو تسع ساعات كما انه يوجد في مكة مركز للتلغراف اي السلك الكهربائي ويتصل في جدة ومنها يتصل بجميع العالم كما انه يوجد بريد منتظم في كل شهر مرة بين مكة والمدينة لان ما يكون امرًا مستعجلا فيرسل مع سيار مخصوص وهذا البريد كله ما عدا اصحاب القوافل مرتب من الحكومة والمباشرون له من قبائل الاعراب الساكنون في اماكن مروره وفي كل سنة في موسم الحج تروج التجارة في مكة لان اغلب الحجاج يشترون منها البضائع التي لا تعم في بلادهم مما على وجه التجارة فيها وهو القليل او على وجه الاهداء الى اقاربهم واحبائهم وكذلك تروج التجارة بالمدينة المنورة لان سكانها يأتيهم في ذلك الوقت واردهم الذي اما من اموالهم في بلدانهم او من اهدايا التي ترسل من الآفاق او من الاوقاف او الارصادات المعينة بذلك في بعض الجهات واهمها الجهات في الدولة العثمانية وهي الركن في ذلك لانها ترسل في كل عام للقيام بشعائر الحرمين الشريفين ولمرتبات المجاورين واهل الوظائف ما يبلغ مقداره سنوياً نحو المائة الف ليرة اي مليونين ونصف فرنك وكذلك الحكومة المصرية ترسل كل عام احدى وعشرين الف اردب من القمح مع اموال عيناً يبلغ مقدار جميعها الى نحو العشرين الف ليرة اي نحو خمسمائة الف فرنك فضلاً عن قيمها عدد ستين كل منها في احدى الحرمين لها اوقاف مخصوصة بمصر يرسل منها قدر كفاية القائمين عليها في كل عام وكذلك القطر التونسي يرسل من اوقافه المعينة على الحرمين الفين ليرة في كل سنة لكل حرم الف اي خمسة وعشرين الف فرنك فاهل المدينة اذا وقفت عليهم تلك الاموال يدفعون منها ما كان عليهم من ديون ترتبت عليهم في ضروريات اشتروها

نسيئة ثم يشترون كمايتهم للسنة القابلة أكلاً ولبساً وان فضل شيء بعد ذلك ادخروهُ لبقية السنة فبذلك يحصل في ذلك الوقت رواج للتجارة وهذا بالنسبة لغير ذوي الثروة منهم اما هولاء فهم على نسق غيرهم من ذوي الثروة وكذلك بعض قبائل الاعراب القيمين بين الحرمين لهم نصيب مما توسعهُ الدولة والحكومة المصرية فيحصل منهم ايضاً رواج في التجارة بما يشترونهُ من ضروريَّاتهم والحاصل ان التجارة المعتبرة مركزها هو جدة ادامها الله بلد اسلام

مطلب في الصنائع

لا يخفى ان الصنائع شعبة من شعب التمدن فتكثر وتقل على حسب ما في المكان الذي هي بهِ من التمدن وحيث تطاول زمن بعد الخلافة عن الحجاز وتكاثر بعد عهدها فيهِ الهرج وقل العمران وتغيرت طبائع العرب السكان على حسب ما اشرنا اليهِ فلم يكن الآن بالحجاز الا الصنائع الضرورية وبعض الحرفية اما الفلاحة فكادت ان تنعدم لما ان صار اهل الحجاز عيالاً في قوتهم جميعهِ على ما يرد اليهم من خارج بلادهم الا ما ندر والسائر في تلك الاقطار لا يرى من الزراعة الا زرعاً يسيراً حول بعض البلدان لا يسد من عوز مع ان عشر ما حول المدينة وحدها قد كان في خلافة سيدنا عمر يبلغ الى اربعمائة الف اردب من الشعير وحده فضلاً عن بقية الجهات ولو جمع الآن حاصل جميع ما بالحجاز لما بلغ الى عشر المشار من ذلك المقدار وعلى نسبة من ذلك امر زراعة الاشجار فانهُ يوجد بالمدينة بساتين بها كثير من انواع الشجر الليمون والرمان والعنب وغيرها من الفواكه المتعارفة كثيراً وغير هاتهِ البلد لا يوجد بها الا بعض شجيرات من تلك الانواع لا تستحق الذكر وان كان حول المدينة بعض من البساتين لكنها ليست على ما ينبغي الا النخيل فيوجد منهُ كثيراً كما يوجد بجهات اخرى حول المدن والقرى وفيهِ انواع كثيرة جداً من انواع التمر منها الحسن للغاية ومنها دون ذلك وفيهِ بعض تجارة سيما في موسم الحج لشراء الزائرين للتمر وحملهِ الى اوطانهم كل على قدر سعة حالهِ تبركاً بذلك واما البقول فكادت ان لا يوجد منها الا النادر كالبصل وما شاكلهُ من البقول المتعارفة الشهيرة وكذلك الازهار واما بقية الصنائع فيوجد منها البناية والخياطة والنجارة وبعض صنائع اخرى من الحاجيات كالسروج وحوايا الابل وغيرها مما يحتاج

له أكدًا من غير تحسين والسبب في عدم الاعتناء في كل من الفلاحة وقلة الصنائع
هو اعتياد السكان على [illegible] على مرتبات وخيرات من الدولة والأوقاف وتعويض
الأعراب عن مثل ذلك أيضًا لأن الدولة جعلت لهم [illegible] جرايات سنوية من مال وحبوب
للقوت ليقوموا بحفظ أمن الطرق وعدم التعدي على [illegible] فلا تعب [illegible]
حسبما يليق لأهل تلك البلاد [illegible] على ذلك عشائر الأعراب بقطعهم للطرق وتعديهم
على قوافل الحجاج [illegible] مرتبات [illegible] حتى [illegible] لخصوص [illegible]
هم يد في توزيع ذلك [illegible] في نقص شيء [illegible] الأعراب من مرتباتهم
[illegible] في الأرض [illegible] الأمر [illegible] حتى أن المدينة
مأمورة على صاحبها [illegible] كبيرًا [illegible] محصورة [illegible] عن
سورها [illegible] والطرق [illegible] انقطاع [illegible] لقوت
وحبوب [illegible] الأعراب على [illegible] كان هذا
حال المدينة [illegible] التي في بعض [illegible] لا يزرع [illegible] إلا
[illegible] ومن ذلك [illegible] الأرض مع [illegible] وفيها
عيون كثيرة أحدثها المتقدمون في عصر الخلافة ومن قرب منه وقد شاهدت في كل
من سفح الصخرا [illegible] عينًا عزيزة [illegible] من ذراع [illegible] وعمقها
أزيد من ثلاثة أذرع [illegible] في غاية العذوبة [illegible] في الأولى
برد [illegible] المشرب وهو صالح [illegible] لكنه لأن [illegible] والقوم
يسيح على الأرض [illegible] فيه وقد ذكر في خلاصة الوفاء في أخبار دار المصطفى
صلى الله عليه وآله وسلم عيونًا [illegible] كثيرة على ذلك [illegible] لا [illegible] منتفعًا به
سوى [illegible] وكذلك [illegible] والآجام [illegible] بقرب المدينة وغيرها كلها [illegible] أشجار
مثمرة وغير مثمرة صالحة للاحتطاب [illegible] ولا ينتفع أهالي البلاد
لأن [illegible] حولهم [illegible] من [illegible] وغيره [illegible] حولهم
[illegible] عدم الأمن والخوف [illegible] الأعراب [illegible] الأراضي
[illegible] وسيعة صالحة [illegible] ومائة [illegible] كان سيدنا عمر رضي الله عنه حمى
في وادي القرى جهة تكفي [illegible] من الخيل [illegible] ثم [illegible] بعده سيدنا
[illegible] ومن بعده [illegible] ذلك [illegible] على [illegible] في بلاد الأمن وذلك
فوائد [illegible] كان [illegible] منهم [illegible] ذلك [illegible] عنهم ذلك [illegible]

ومن تجرأ على اسبال عوقب وتجب شريعة حق القيام لابن السكن على عمران
وكفى الله المؤمنين عوائد العصيان وما الله بغافل عما يعملون

مطلب في المعارف

من البديهي ان ما ذكرناه في الصنائع من جهة الرواج والكساد هو سار ايضاً
في المعارف فالمعارف لا تنحصر على غاية من الحصول ولا يوجد منها ما هو محصور
ومقصور على خصوص البلدين المكرمين فيوجد في كل منهما بعض دروس في المسجدين
الحرميين في بعض العلوم الدينية بعضها [illegible] فيوجد من [illegible] دروس نحو
و [illegible] ومن [illegible] بعض دروس في التفسير والحديث وتشتمل على [illegible]
يكن يوجد بكل من البلدين المكرمين [illegible] سعوا في اقطار اخرى ثم [illegible]
لان هناك لا [illegible] من بعض [illegible] من العلماء الواردين من
الاقطار على حصول خصوصية غير [illegible] ولا مفيدة للعموم وفي هذه المدة الاخيرة [illegible]
بعض [illegible] وحمه الله مؤلف كتاب [illegible]
الحق مدرسة بمكة المشرفة يقرأ بها [illegible] ومن جملة من [illegible] بعض
دروس في [illegible] وبعض علوم اخرى [illegible] ايضاً
وما ذكرناه مع [illegible] درجة [illegible] لا [illegible]
[illegible] حتى مما حدث [illegible] من [illegible] الذي
[illegible] ذكرناه [illegible] مكة المشرفة
[illegible] في [illegible] حتى
كادت ان لا يوجد قرية [illegible] الطريق [illegible]
من معرفة اصول الديانة الاسلامية والفروض العينية و [illegible] هؤلاء
شيء من صلاح الحال [illegible] لاحد الحرمين
فيا اسفا على [illegible] المعارف [illegible] في مكان [illegible] حكمه وظهورها ولولا وجود [illegible]
من طلبة الدولة العلية [illegible] لاحد البلدين المكرمين والبعض من [illegible]
[illegible] على الطريقة القديمة لكن [illegible] لذلك عن علم وتدريس [illegible] على طريقة
العلم حقيقة فهم [illegible] في علاج الامراض ولولا هؤلاء لحرمت [illegible] في بلد التي

يفترض على عموم الامة تعميرها فان ابا حنيفة وغيره من الائمة يقولون بحرمة سكنى البلاد التي لا طبيب بها وكل من المدينة المنورة ومكة المشرفة يفترض حمايتها فكيف يسوغ اهمالها بأمر المعارف وهلها حتى تخلو من طبيب لولا أولئك وانما قلت في اطباء الهند انهم عاملون بالطب على الطريقة العلمية احترازاً من المدخلين ممن يدعي هذا العلم مع جهله المطبق به المتكاثر ظهورهم بالبلدان التي لا تنتبه حكوماتها لمنعهم من ذلك التدجيل لانهم يضرون بجهلهم وقد شاهدت ذلك في نفسي بمكة عياناً حيث كنت مريضاً بابهام رجلي اليمنى حيث انقلب الظفر تدريجاً وغاص في اللحم و شتد امره حتى كاد يمنعني عن المشي وكان حصل لي مثل ذلك واما ساريس فجيء لي بطبيب خاص بذلك النوع من الامراض وعالجني برفع الظفر بآلات وكيفية في عملها لم يحصل لي معه شدة ألم وجعل تحت حرفي ورقة من الرصاص صبغة لكيلا يعوص ثانياً وقطع الظفر الى محل التصاقه باللحم وعادني لله بسبب ذلك له كنت بمكة ووجدني مثل ما وقع سابقاً وذكرت لبعض الحاضرين عندي ما كان وقع اخبرني انه يوجد حكيم يعمل مثل ذلك فجيء به لي وكنت محترساً منه لكني رأيت معه آلات للقطع وغيره كثيرة منقة واشتد أ في بعمل من غير كثرة ألم فظننت انه عن علم فلم يفعل الا قطع الظفر لكن عقبه ألم كدت معه ان لا استطيع المشي لولا لطف الله لانه زاد الزيادة في القطع بعد ذلك فامتحنت لانه ليس له من العلم شيء سوى كونه حلاقاً حجاماً تعوّد على قصد بعض الناس فامثال هذا يمنعون شرعاً عن مباشرة اعمالهم

ولكن البلاد اذا اقشعرت وصوح نبتها رعي الهشيم

فاذا خلت البلاد عن حكماء عارفين بعلم الطب يضطر الناس الى هؤلاء الدجالين والحق ان امر المعارف مع كونه واجباً في كل صقع وبلاد فهو في الحرمين اشد تأكيداً وانا لله وانا اليه راجعون

مطلب في الاحكام

قد علمت مما مرّ في مبحث السياسة الداخلية الاصول التي تجري عليها الاحكام وحاصلها ان سيادة الشريف امير الحجاز هو مرجع الحكم في قضايا الوقائع التي تقع بين القبائل وهو ايضاً مرجع الشكايا من مظالمهم فيصدر رؤساءهم ومشايخهم ويأمرهم بما يراه

ويعد الحكم في العدل بحسب اجتهادهم هكذا الاصل ولكنهم الآن مستبدون بامورهم كل قبيلة لا تخضع الا لمشائخها ورؤسائها، كما ذكر في زمن الفترة وكل يحكم باجتهاده واستبداده ولو في القصاص في الانفس وقد تعدت قبيلة على أخرى كان الامر لمن هو اقوى فطاعتهم الآن لسيادة الامير تاتي ظاهرية وهو لن يستطيع على اخضاعهم ولو بدون عساكر الدولة بل من ينضم اليه من قبيلة الاشراف ككثرة لا يقدر على تنفيذ ذلك كما مر في احوال السياسة الداخلية كما يرجع الى سيادة الامير فصل المظالم في اهل مكة والوالي هو الذي يجلس الى فصل المظالم فيما يقع بين السكان في مكة يعني محاكمها مشتركة بين الامير والوالي لكن الوالي يعود بسلطته الى جدة والمدينة المنورة يجلس فيها المحافظ في مثل ما ذكرناه وفي كل البلاد حاكم باسم الامير يجري ما ذكر ايضاً في المسائل الخفيفة والمسائل الثقيلة ترجع الى من في مكة او الى سيادة الشريف الامير والقبائل كلها مشايخهم هم مرجع الحكم في سائر القضايا ثم ان كلاً من المدن المذكورين بها قاضي هو مرجع الحكم في كافة الامور الشرعية يحكم بمقتضى الشريعة وفي كل من المدن مفت حنفي يستوضحه الخصوم في احكام القاضي لكن القاضي ليس مجبوراً باتباع فتواه بل لا يجري الا ما يراه ولكن جميع ذلك ليس على عدد ولا يجمع القاضي الا الامور من باب شريعة الاسلام في بحث السلطنة او قدر الخصم ان يرجع اليه ولا يخفى ما في ذلك من المشقة لعدم الثقة كما يوجد في كل من المدن المذكورين مجلس تجاري للنظر في امر المعاملات وقيم الديونات وغش الباعة وحساب المكاييل والموازين ويحكم في ذلك كله بما يراه من الاجتهاد ولو بالعرف كما يوجد مرجعات اخر على بعض المذاهب الاخر يرجع اليهم اهل ذلك المذهب في الاحوال الشخصية ويقوم بحسب مذهبهم وهؤلاء المفتيون كلهم يولون بامر من الدولة العثمانية

واما بقية البلدان الخاضعة لها فالقاضي يولى من سائقيه وغيرهم من العلماء يولى فيها نائب عن القاضي بجهة قاضي مكة لاجراء الاحكام الشرعية في البلدان التي هو فيها وبقية الادارات والاحكام ترجع الى القائمقام او الشيخ وهو الذي يحكم بما يريد والخلاصة ان دائرة الاحكام بالحجاز لا تزال الى الآن على ما هو من عهد القديم اعني انها ليس بها مجالس للاحكام العرفية وغيرها من القوانين الحديثة التي وضعت العثمانية الآن وبها يبيت الامر يجري حقيقة على المنهج الذي سلكه خلفاء الراشدين كيف وهي مكان ظهور الشريعة ومنبع العدل وتأسيس التمدن الحقيقي الصالح لاستقامة الدين والدنيا والآخرة والامر لله وحده لا رب سواه

مطلب في هيئة المساكن

المساكن بالحجاز تختلف بين اهل المدن واهل القرى فاما المدن فالديار بها هي شبيهة بالنوع الذي ذكرناه في مصر غير انه في مكة تكثر طبقاتها حتى انه ربما بلغت الى الست طبقات كل منها مسكن الاسرة لا يحتاج الى غيره في السكنى والطبقة الارضية لا يعتنى بها للسكنى وانما ثم للمرافق وحبس الرحل بخلاف مدينة منورة فان دورها كل منها بها صفة ارضية يسكن فيها في الصيف لانها ابرد من العلوية غير ان البيت بكل منهما يكون عال في الصيف في السطوح التي يجعل لها حرم كالشرفات لوقاية السكان من السقوط والاودية كما لا يخصص حيطه [illegible] في بعض الديار الحسنة لاهل الثروة منها تخصص وتبنى حيطانها ونوافذ [illegible] وتجعل عليها من اعلى الواح لاصقة مصمتة ويعلق فيها [illegible] سائر الابنية فان الحيطان يسد فيها ما بين الاحجار [illegible] المركب من الجير والطين ثم تبيض بماء الجير والسقوف تكون من عيدان [illegible] من انواع الخشب وفوقه التراب وليس في الحجرات [illegible] ولا غيره من الارض تكون [illegible] عليها حصير او الزرابي (البسط) لا غيرها [illegible] والطبقة الارضية مبلطة بانواع من الاحجار الشبيهة [illegible] ولدرج في كل غير [illegible] مثبتة [illegible] وديار مكة لا سيما المعدة للاجرة كل طبقة منها لا يوجد بها مطبخ وما يطبخ منها باحدى حجراتها بالفحم او الحطب [illegible] في الشتاء [illegible] في الصيف فلا يسخنون [illegible] للاستسقاء [illegible] لا يوجد في كل من مكة والمدينة الا حمامات بكل منهما لان السكان يغتسلون في ديارهم [illegible] وهكذا [illegible] ليس بها حمامات ومفروشات الديار على النحو الذي هو جار بمصر وغيرها من الشبيه بالمفروشات التركية والاوروباوية ومن غريب صنعتهم المتعلق لي نفس بها الابواب فان المفاتيح نحو عود مستطيل في آخره اسنان تدخل في ثقب في الغلاق وترفع الى فوق ويجذب الغلاق بمحله اذ ذاك فينفتح ولا ريب انه سهل السرقة اذ تصنع مفاتيح على ذلك النحو بيسر لكن الامر الفظيع هو ان تلك معلق على شكل [illegible] وقد رأيت على باب الحجرة النبوية معلاقا من تلك [illegible] وهو من ذهب [illegible] من روايته الحبود وقد خاطبت من يقتدر على تغييره [illegible] فان ذلك لا يخطر على فكر احد من الاهالي لجهلهم [illegible] وبقي الحال على ما هو [illegible] الامر

هذه في المدن [illegible] في [illegible] الدور [illegible] من طبقة واحدة لأن الدور من طبقتين وهي في الحقيقة بيوت لا دور [illegible] والبيت ان الدور هي المسكن الذي يشتمل على جميع [illegible] [illegible] فسحة تكون في وسطها علناً مكشوفة [illegible] التي [illegible] انها لا فسحة بها مكشوفة غير الفسحة التي فيها [illegible] الحجرات [illegible] الغربي [illegible] كان الاستعمال مخالفاً [illegible] الاصطلاح [illegible] يطلقون على [illegible] بيوت وتونس والمغرب يطلقون على [illegible] دور [illegible] بيوت في القرى [illegible] علناً اذ لا يجعل [illegible] على [illegible] وليس [illegible] فسحة مكشوفة [illegible] يجعلون للحجرات منافذ للضوء [illegible] السقوف [illegible] لانهم يشددون [illegible] كما تقدم سابقاً [illegible] البيوت [illegible] ولا [illegible] لأن [illegible] ما [illegible] سطوحها التي هي على نحو سطوح [illegible] كلا تعرفها [illegible] فتكاد هاتيك القرى [illegible] لا تبين [illegible] في [illegible] السود فانها لا تكاد تبين والحاصل ان [illegible] بقية الصنائع التي مر ذكرها في [illegible] الابواب والشبابيك على [illegible] لا يوجد بها [illegible] دخول الريح لأن الدور [illegible] ترى البيوت مغروسة [illegible] في حقيقة غير مستعدين [illegible] لأهل [illegible] يمنى ويسرى مرتفعاً [illegible] الارض [illegible] الوسط [illegible] مكشوف [illegible] السماء يتجدد منه الهواء [illegible] ذلك [illegible] السكان باحدى الجهتين التي يجعل [illegible] وكل [illegible] الصفة [illegible] كما ذكرنا سابقاً [illegible] مناسب [illegible] على خلاف [illegible] وغيرهم [illegible] ليس لهم مثل ذلك واما الطرقات على العموم [illegible] وغيرها فهي طبيعية ليس بها تحسين ولا [illegible] الامر انها تكسى في المدن [illegible] وعليها ضيق حتى يكاد [illegible] لا يمشي [illegible] الانسان واحد مع ان اصل الشريعة على خلاف ذلك [illegible] عمر رضي الله عنه لما استشير [illegible] للصحابة والجيش الذي فتح الفرس لما استوخموا ارض فارس [illegible] باختيار ارض تشبه ارض العرب فاختاروا الكوفة فامرهم [illegible] وان تكون دورها لا تجاوز الطبقتين

وان تكون طرقها العامة كل منها ثلاثة عشر ذراعاً والطرق الخاصة سبعة اذرع عرضاً والمطحاة التي تكون امام المسجد مستوى ذراع في سنين وهذا هو الاصل الذي يعتقد ابو مذهب حنفي في ذلك وانظر كيف كانت حالة المدن في صدر الاسلام ويؤيد هذا ان شرحنا التي هي سنن كان لان صحة البخاري رضي الله عنه قد كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم نحو المسجد النبوي كما هو مذكور في صحيح البخاري رضي الله عنه الذي هو الآن من المسجد النبوي ويشمل الابنية ودياراً وطرقات واسواراً وغير ذلك فيا سبق على وقوع هذا التعبير عن الشريعة بمكان للتمدن ومصالح الناس حقيقة فليس توسيع الطرق وتنظيمها من نعتقد الافرنج كما يدعيه الجهلاء بل هو من شريعتنا التي توصي لاتباعها بان ذلك منها وحيث كانت الطرق على نحو ما مر ذكره يكثر فيها الوحل زمن المطر غير مهدودة من قبل الحكومة وليس من القناديل والزجاج تعلق في حيطان وسقوف الاسواق لان كل صنعة لها سوق يخصها وبعض هذه الاسواق من اكثرها مسقوف بالالواح على نحو ما ذكرنا في اسواق تونس وحوانيت هيئتها ايضاً على ذلك النحو وليس للديار حرم ولا صحاب حاجة وكل ابوابها في الطريق تفتح الى سقفها خشبة كبيرة وصغيرة واما الطرقات خارج المدن فهي على طبيعتها الاصلية واعلى الطرق بين مكة والمدينة صالحة لمشي العجلات وتمر فيها المدافع الآن وهي مثل عجلات وكذلك الطريق بين جدة ومكة فليت شعري اي مانع لاستعمال العجلات في الصحراوات فاني رأيت الا عجلة وحدة في الحجاز بمكة وقالوا انه ليس لها غيرها ورأيت بالمدينة عجلة من اجل ركوب بعض المرضى في سنة شيء وعجلات من المدافع ملقاة في الطريق وكان امر الامن هو الاساس

مطلب في اللبس وبقية العادات

اما اللبس الرسمي فهو كلبس الدولة العثمانية الذي تقدم مثله في مصر وكذلك لبس الرجال هو مثل لبس اهل مصر والاعيان يلبسون جبة واسعة الاكمام كعلماء مصر لانها فارقة مرتفعة خصوصاً للسادة الاشراف ويجعلون على رؤوسهم كوفية مطرزة بالحرير على اشكال حسنة بديعة تكون مكشوفة الوسط وعليها عمامة مكورة عظيمة يشدونها شداً محكماً جميلاً وهي نصابه واما الاشراف في القبائل فيجعلون على رؤوسهم

منديلاً من الحرير ملوّناً وعليهِ عوض العمامة عقال من وبر الابل مقصب بخيوط الفضة المذهبة ولكل واحد منهم مطلقاً في البدو او القبائل خنجر معقوف في حزامهِ في وسطهِ من امام وكلاهما في علامة الشرف مع سيفهِ لعباءة يمانية او عراقية مقصبة بالذهب ونحوهم في هذا سائر الاعراب من القبائل وشبههم يلبسون عباءة على قميص ويتمنطقون على القميص بمنديل او نحوه وكثير منهم يعلق على جنبهِ خنجراً والكل يلبسون في الارجل النعال الحجازية ذات الشرحات التي تدخل بين الاصابع وتختلف جودة ورداءة على حسب ثروة اللابس وربما تدثر بعض اهل البادية بالفرو المعروف بالكرك ولبس نسائهم سراويل من نسيج الحرير او المقصب بالذهب تختلف انواعه يتنافسن في صنعهِ على حسب الثروة والمكنة والرجال لباسهم ومثل السراويل ما ذكر مثان يفتح صدره ويعلق دو كم ضيقة لا تبلغ مرفقيه وفوق الجميع نحو عباءة من المنسوجات الخفيفة مشقوقة الى الدرقة من على الاكمام سعة حد حتى انها تغطي اصابع الكف وان كان لها ثقوب في محل الاكمام تخرج منها الايدي وعلى رؤوسهن نحو المناديل من منسوجات ضيقة يخيطون طرفها بطرف مكعب نحو نصفه او حريرة على حسب الاحوال وفي رجلهن احذية من نوع لشمق لموضع ودا خرجن من البيوت زدن على ذلك خفاً من الجلد الاصفر مع رداء واسع من ذي الكم ستر الاصابع ونعال مسدول الى السرة مثقوب حيث العينين ويسمى ايضاً بعوب من يومه كلها ومن الاكل فانهم يجلسون له على الارض ويوضع على الخوان وهو مثل ما تقدم في اكل اهل مصر غير انه اكثر اداماً من السمن واكثر ميزة ان الاعراب اكثر اكلهم الارز مع العدس ولا يأكل الجميع لحم البقر الا نادراً بحيث يستعيض به الاعراب في بدو ويكون على بكثرة ويبخرون الماء بالمصطكي وعود الند ثم يجعلونه في اواني ويضعونه في ممر الريح لاكتساب البرودة

واما المواكب فأعظمها موكب الحج وقد تقدم الكلام عليه ولاهل مكة موكب يسمى الرجبية يسافر به ذوو اليسر الى زيارة النبي عليهِ وعلى آله اكمل الصلاة وازكى السلام ويحصل من ذلك في المدينة المنورة موكب حافل في رجب وبكثرة اسراف اهل مكة في حجهم والتباهي بينهم في يصعدونه فيه بصغار بعضهم الى تأخير فرضهِ الى ان يبلغ سن الشيخوخة خشية المعرة من كونهِ لم يفعل تلك العادات الاسرافية في الرحل والمركب والخيام ونحو ذلك واما الاعراس فهي اقرب عندهم الى الطريقة المشروعة

من جهة عدم وجود بعث جهرة و ... لأن لديه وشيء من غيرها مع حفظ
السنترقي المسالة ولاهل المدينة عادة وهي ان الرجل اذا زوج بكرًا ودخل بها فلا يخرج
من بيته اسبوعًا تامًا لأنه يجتمع بها في هذه وان خرج يومًا ولو للصلاة ... من
امرأة لان ذلك دليل على انها غير مستحسنة عند زوجها واما الثيب فلا يعتبرون ذلك
فيها . واما المآتم فهي على الوجه المشروع من اكثر وجوهها فلا عياط ولا ربط ولا
قراءة بالطرقات ولا ولائم من صاحب المأتم وعنا يعفون في ذلك ما هو مشروع في
السنة اجرى الله احوالنا واحوالهم جميعًا على الوجه المشروع

مطلب في اللغة

لا يخفى ان الحجاز هو معدن اللغة العربية ومحل تدفق ورصانة الكلام لكن ذلك
كله قد انعكس على مدنه ولا تكاد تجد متكلمًا باللغة العربية معربة حيث دخلت المفردات
العجمية بين القوم منذ نصب الاعاجم على بلدانه لاستيلائه لان الناس على مذهب امرائهم
فيقلدون الغالب والقوي حتى في لغته وكلامه وما كفى ذلك في دخول مفردات الاعجمية
حتى سرى الاسراف اللحن في الاعراب كما هو مقرر من قديم حيث ذكروا في سبب وضع
علم النحو سماع سيدنا علي عليه السلام لحنًا في الكلام وسار بوضع ذلك العلم ومن
البديهي ان الامر كان قد طويت مدة وشدة لانصب ابي ذلك الوقت لم يكن لاختلاط
الامة باسم اخرى ثم ازداد بعد ذلك تمكن الاعجمي من بنوة تسددت اللغة في الحجاز
فسادًا كليًا حتى لم يبق من يتكلم كلامه مستقيمة في الاعراب والالفاظ الا
النادر ممن هم اهل علم وربما اضطروا الى كتابة كثير من
المفردات الاعجمية لشهرتها وتعربها وهجران ما يرادفها
من اصل العربية وسبحان مقلب
الاحوال وهو لا يتغير
ولا يزال

الباب العاشر

في المملكة العثمانية

(تنبيه) * لما كانت هاته المملكة ليست كسائر الممالك التي مرّ الكلام عليها لا من جهة الذات ولا من جهة المعنى لما انها مركبة من ممالك شتى كانت كل واحدة منها مستقلة بنفسها ولا يزال كل منها له صفات خاصة من جهة جغرافيتها وحسنها وأهلها وعوائدهم واخلاقهم وغير ذلك فيتسع الكلام عليها كلها من هاتيك الحيثيات بصفة واحدة وان تكلمنا على كل واحدة منها بانفرادها ربما يطول الكلام فيها جميع ما تقدم وما يأتي في الممالك التي شاهدتها ووصفتها وانما نتكلم عليها من الحيثية التي يدل عليها اسمها وهو كونها مملكة عثمانية وليس هناك قطعة من الارض تسمى في الاصل بهذا الاسم وانما كل منها باعتبار ذاته اسم خاص والجامع بينها في هذه التسمية هو كونها تحت سلطة دولة سلطانها من هاته العائلة وهي العثمانية المنسوبة الى عثمان الذي هو اول من تسلطن من ابنائه وبقيت في ذريته الى الآن هذا من جهة الذات وما الجامع على مخالفة ما سبق في مثلها من جهة المعنى فخصوصية الاسم او تخصيصه لان قول الحق صعب والكذب حرام وبخس وان كانت هذه القصر لسعيد ... في غير محبوب لمعظم الوطني لانه قرة لاعين اهل الاسلام ويكل ... من الانس ... يتسع ان نقول الحق ولا يخشى لومة لائم غير ان بعض مقتضيات الحال تستدعي الاقتصار في القول والا تخلص في الكلام على هاته المملكة العثمانية الا الاقتصار على الاجمال على حسب ما تسمح به الاحوال الى ان ييسر الله سبحانه وارادته لهاته المملكة بتأليف خاص يحتوي على التفاصيل في الحقير والجليل ورحمته تعالى قريبة لا يعزب عن امره شيء وهو على كل شيء قدير

فصل في سفري اليها

قد تقدم انني ركبت من مرسى ينبع في رجوعي من الحج وقد كان ركوبي في باخرة نمساوية من اخوات البواخر البريدية المشتركة بين الهند واوروبا وهي باخرة محدثة وحملت معها ذلك الطود الشهير ذا النسب الخطير والحسب المنير السيد ... القادري حفيد قطب الاقطاب الاكبر مولانا سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنهم وهو نقيب الاشراف

بغداد ايضاً واكثر عائلته وكان حاجاً في ذلك العام ثم ان الله تعالى منّ عليّ برفقته عندما
اجتازت الباخرة ترسي ببنبع وركب في الباخرة ايضاً بعض من الحجاج الترك العثمانيين
والروسيين غير انه لم يركب في الطبقة الاولى سوى السيد ورفقته اخوه السيد احمد
وابن عمه السيد عبد القادر وحورية له وبعض من الخدمة القائمين بين يديه لانه ابقاه
الله قد اتخذ في الباخرة مكترى في الباخرة احدى زواياها واختص بها وفرش بها فرشاً
عربية وكانت خدمته ثم القانون مأكوله زيادة عن مباشرة خدام الباخرة مثل كونه يأكل
منفرداً هو ومن معه على مائدته الخاصة في الارض من خصوص طعامه الذي يطبخه
له طباخه الخاص غير انه من مكارم اخلاقه كان يجري للاكل وقت اكل الرفقاء
بحيث كنا نجتمع وكان ما على مائدته حتى على الطعام الذي بين يدي كل منا اذ
كنت جالساً مع بقية ركاب الصنف الاول انا ومن في ذلك الايوان للفطور والعشاء
وسارت بنا الباخرة ثلاثة ايام ووصلت جبل الطور ووقفت هناك مدة الحجر وهي يومان
ونزل كل من كان بالباخرة الا اصحاب الصنف الاول ومن ادل بن رحلة في الباخرة
لان القدر الذي يحجرون اليه ويحجرون عند صعودهم انه لم يحصل لهم مشقة الا لازدحام
وكان من هؤلاء الترك رجل من اهل بوسنة يعرف قليلاً من العربي حصلت بيني وبينه
مودة حتى استأذنت عليه رئيس الباخرة واذن له في الجلوس معي بايوان الطبقة الاولى
وهو حسن الاخلاق له بعض مشاركة في النحو والفقه وقد ترجم يوماً بيني وبين احد
الترك الروسيين من اهل ولاية قزان وان كان تفهمه منه عسر جداً لان لغته مخالفة
للغة الترك بعض مخالفة وله بعض اطلاع على العربية من جهة كونه قرأ بضاعة مزجاة في
الفقه فسألته عن حالة المسلمين في بلده من جهة الاحكام الروسية فكان مآل كلامه
ان الروسية لا زالت محترمة لهم في حرياتهم الخصوصية ولا يتداخلون فيما يجري بينهم اذ
مرجعهم في ذلك الى حكام منهم وكان هذا خاص باهل تلك الولاية التي صارت مع
الروسية على توافق لطول عهد استيلائها عليهم ومحافظتهم على الشروط التي خضعوا بها اليها
لان الروسية مجرية في الولايات التي استولت عليها في الحرب الاخيرة مع الدولة العثمانية
ما هو جار في بقية ولاياتها والزمت جميع السكان من مسلمين وغيرهم بان يكون التعليم
بلغتها فقط لان اللغة هي التي توحد الجنسية واذا تروسنت لغتهم صاروا روسيين حتى في
الجنسية ثم انا وصلنا الى خليج السويس الموصل بين البحر الابيض والبحر الاحمر وهو
احدى ما تم هذا القرن لان السفن صارت تصل من شطوط الغرب في افريقيا الى

شطوط الصين ولهذا في ايام قبلنا لا تتجاوز السفر الى اسعدها بعد ان كانت يلزمها
عدة اشهر لانها كانت يلزمها الخروج من خليج فارس ثم تخبط بجميع قارة افريقية
بالبحر المحيط ثم تعود فلعمري انها لامر مفيد للتجارة على العموم وان كانت فيها
مضرات سياسية بالنسبة لكثير من السلطنات وقد روي ان عمرو بن العاص استاذن
سيدنا عمر بعد فتحه لمصر بفتح خليج موصلاً ما بين البحرين ولعله بهذا المكان الذي
هو عليه الآن لانه انسب الاماكن لذلك حيث كانت بالوسط بحيرات عميقة مغنية عن
حفر خليج فيها . ثم ان سيدنا عمر منعه عن هذا الخليج الذي يراد فتحه هل يحصل به
فصل بين ارض جزيرة العرب ومصر فاجابه بعد ذلك لا انفصل بين ارض المسلمين
بالبحر . ويقال ان سيدنا علي رضي الله عنه قال لعمر بعد ما استشار كبار الصحابة
في ذلك انه اذا تم ذلك الخليج تسير سفن الروم وتضرب في جدة وغيرها من مراسي
بلاد العرب وليس للمسلمين سفن تعارضهم فيسهل عليهم غزو بلاد الاسلام ولذلك
كتب سيدنا عمر رضي الله عنهم اجمعين الى عامله عمرو بن العاص بان يضرب عن
ذلك صفحاً ويمكن ان يكون خليج في سيناء موجوداً في العهد القديم . ثم ان الرمال
تراكمت في احدى جهتيه على ما سيأتي ذكره فسدت البحر وسدت عرضها حتى صارت
الارض واحدة ما عدا البحيرات التي في الوسط عن سعة وهذا شيء ربما دلت على اتصال
البحر سابقاً . ويدل على هذا ان بعض المفسرين روى في تفسير قوله تعالى "حتى اذا
بلغا مجمع البحرين" في قصة موسى وخضر عليهما السلام ان بعض مؤرخين يقول ان
المراد بالبحرين هما بحر فارس والروم فبحر الروم فهو معلوم واما بحر فارس المعروف
الآن فيستحيل ان يتصل ببحر الروم الذي هو البحر الابيض خصوصاً في هذا الزمن
القليل نسبياً من زمن موسى عليه السلام الى ما بعثته معروف فيه حالة الارض
على ما هي عليه الآن فلا يصح ذلك الكلام الا اذا كان البحر الاحمر يطلق عليه بحر
فارس سابقاً لانه متصل به وفارس منه قريب لانهما يتقابلان الآن في جزيرة العرب
اي شطوطها الجنوبية فلا يبعد ان يكون الاسم يطلق سابقاً على الجميع سواء . واتصال
البحر الاحمر ببحر الروم سهل جداً عامر بابه و هو مشاهد بالعين حيث اتصلا في
هذا الزمن وسبب هذا الاتصال هو ان رجلاً فرنساوياً يقال له فردينان دي ليسبس
له مهارة في الهندسة وهو من مشاهير قومه بدى له بيوم امكان اتصال البحرين بهذا
الخليج واعانته على مرغوبه دولته لاغراض سياسية في قرب الاتصال بالهند بعدة يمكن لها

يوماً ما باخذ الثار من الانكليز على نحو ما سبق في تاريخ الدولتين فساعفهم على قصدهم
والي مصر اذ ذاك سعيد باشا ابن محمد علي باشا وكانت الانكليز من اشد المعارضين
في ذلك سراً وكأن الاقدار تقول لهم (وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) فانهم حصلوا
فيه على اكبر فائدة اذ صارت سفنهم في اكثر السفن مارة به مع تحصيلهم على مآرب اخرى
سياسية كتداخلهم في القطر المصري وغير ذلك زيادة عن كونهم صاروا هم المالكين
للقسط الاوفر منه ومحصلين على ارباحه الباهرة وذلك لان فردينان دي ليسبس ألف
جمعية لذلك الشغل وجعلت هاته الجمعية التي هو رئيسها رأس مال لمصاريف العمل
وجعلته على اوراق ذات اسهم تباع وتشترى لكل من اراد وكان للحكومة المصرية من
تلك الاوراق ما مقدار قيمته نحو ثلاثة مليون فرنك وآل الامر بعد ذلك الى بيع
اسماعيل باشا خديو مصر الاسهم الحكومية فاشترتها الدولة الانكليزية تماماً زيادة عما
اشترته سابقاً ولاحقاً من الاسهم الافرادية وصار ثمن هاته الاسهام يرتقي شيئاً فشيئاً
حتى صارت كل رقعة منها اصل سعرها خمسمائة فرنك تباع الآن بالفين وثلاثمائة فرنك
او نحو ذلك لان تلك الجمعية شرعت في العمل وعمقته بحفر خليج من البحر الاحمر
بمحاذات مرسى السويس ووصلته بالبحيرة الاولى ثم حفرت خليجاً بين هاته البحيرة
والبحيرة الثانية الى ان وصلت الى البحر الابيض وعند تمام عملها عقد اسماعيل باشا
خديو مصر لفتح هذا العمل الغريب موكباً مشهوداً حضر به القطر المصري كانه دار
عرس واستدعى اليه ملوك اوربا كلهم لمشاهدة مرور اول باخرة تمر في ذلك الخليج
وكذلك اعيان غيرهم من الاوربائيين وكل من قدم منهم فمصاريفه مدة اقامته بالقطر
المصري على الحكومة المصرية ولم ينصرفوا حيث شاؤوا وقد سمح بعضهم حتى الى السودان
مع القيام بكل منهم على حسب مقامه اعظم قيام ووفد عليه من ملوك اوربا العظام
امبراطور النمسا وامبراطورة الفرنسيس اي زوجة الامبراطور وولي عهد كل من
انكلترا واروسيا وبروسيا فضلاً عن بقية الملوك المتوسطين والصغار وصرفت في ذلك
كله من الحكومة المصرية اموال تكاد ان لا تحصى تعاظمت بها ديونها وذلك كله لمآرب
سياسية لم ينجح منها المقصود ونشأ عنها وحشة مع الدولة العثمانية آلت الى الرضاء بعد
صرف اموال باهظة ثم استقر عمل جمعية الخليج على اقامة عملاء ومراقبين على محافظة
الخليج ويستخلص على كل سفينة تمر فيه مقدار معلوم من الاموال على حسب حمولتها
ونوعها حربية او تجارية وفي رأس كل سنة تقسم الارباح على اصحاب الاسهم بعد

اخراج المصاريف الكثيرة لان الخليج من جهة السويس مثلا ترى الرمال تنثال عليه منذ حفره الى الآن لولا شدة العمل في رفع تلك الرمال ليلاً ونهاراً على مسافة طويلة تزيد عن العشرة اميال ومع ذلك كله فقد شاهدت في الباخرة التي اجتزنا فيها ان سيرها كان بطيئاً جداً لهذا السبب وكذلك غيرها احترازاً من المرور في الرمل مع كثرة العلامات المجعولة في الماء لمحل المرور ومع ذلك كله قد اصطدمت الباخرة في الرمال عدة مرار حتى اني علمت انه عمل لا يدوم لشدة التعب لدى شاهدته من العملة في جذب السفن والبواخر المصطدمة في الرمال حتى كانها تجر بالايدي مع كثرة مقاومة العمل بالآلات الرافعة للرمال ومع ذلك كله لا تخلو فيه الأصعبة وحدة [illegible] اماكن ووقوف السفن اذا كانت تعارضها سفينة اخرى في احداها ذاهبة والاخرى راجعة وتلك الاماكن وضيعة تمر بها السفينتان وبذلك يجعلون علامات على اعمدة مرتفعة في الخليج وشهلا يدرك منها رئيس الباخرة ما يأمره به محافظو الخليج من وقوف او مشي سريع او بطيء او غير ذلك ولذلك رأيت رئيس الباخرة كثير [illegible] تلك العلامات ويفرح [illegible] ينقضها عند دخوله في الخليج وبسبب ذلك كانت السفن لا تجري فيه ليلاً في تاريخ مروري وقد وقفت مرة لمعارضة باخرة انكليزية حربية ذاهبة الى الهند حاملة للعساكر فلما مرت [illegible] والركاب في [illegible] مع [illegible] الركاب في [illegible] الباخرة الحربية لكن عظم تلك الباخرة الحربية التي هي من نوع الفرقطة جذب البال لذلك فانها كانت ذات ثلاث دقات من مدافع وحاملة لاربعة آلاف وخمسمائة عسكرية وكثير منهم معهم عيالهم وكانوا على هيئة [illegible] وما صاروا يصرخون ويضحكون ثم وصلنا الى مرسى الاسماعيلية التي في وسط الخليج وفوقها بقليل جسر يصل بين آسيا وافريقيا ولا يقطع الا عند وجود المارين ويدفعون عليه خرجاً لحكومة مصرية وشاطئ الخليج بالتبن وفي صبيحة اليوم الثالث وصلنا الى بورت سعيد ووقفنا بضع ساعات وكان عمال الحكومة المصرية حارسون لباخرتنا لكيلا ينزل منها احد لانهم منعوا في ذلك التاريخ من لايدخل الى القطر المصري حاج لأمر هو من اهله لانه كان كثير من المغاربة يدخلونه وهم فقراء فربما حملوا الاهالي وحكومة مصاريف لرجوعهم الى اوطانهم ولذلك اغتنموا بذلك التحجير ثم قمنا من هناك الى ان وصلنا الى مرسى بيروت اعظم مراسي ولاية الشام المعروفة بسوريه فطلب مديرو شركة تلك الباخرة من الركاب ان ينزل منهم الى تلك البلدة كل من كان قاصداً القسطنطينية وما حولها وما القاصدون يونانة وهرسك وغيرها مما تكون لهم

مرسى تريست طويلاً دنهم يقوف في الباخرة لانها قاصدة هناك ... ولذلك يبدلون
وكانت الباخرة تعهدتهم بالوصول الى القسطنطينية وما حولها فانهم ينتظرون هناك الى ان
تأتيهم بعد خمسة ايام باخرة اخرى لحمية الباخرة الاولى وتحملهم الى مقاصدهم وكل من
اراد من هولاء ان ... مصاريف مدة انتظاره فذلك يدفعها اليه القيمون على شركة تلك
البواخر الفرنسية المساوية المسمّاة شركة ... ولقد اخذ منهم بالفعل كثيرين من نزل لكن
بعد مشقة لعدم التفاهم حيث كان اغلبهم من الترك الروسيين الذين قل من يعرف لغتهم
ولا مشاحة بعضهم في مقدار المصاريف التي علينا مع ان ... مقومة لاهل كل طبقة
مقدراً عن كل يوم ... لاني صرفت الطرفة حيث كان النزول هناك من اعظم
... ... السيد ... القدري ... تلك البلاد

... وكانت المرسى ... بعد ارساء الباخرة على الشط وركوبنا في
زوارق مع هيجان البحر ... رجالنا من الكمرك الذي لم ... من اهله الأخيرا
وحملنا الى البلاد ... احسن اقرانه وعدت حودما بركب حول الكمرك ... رجل من المتشفين
بخدمة ... على ... المسافرين ... من جهة ... على البحر فاذا هو
... لاحد ... مثله ... وسطه ... واحدث ... واسمه ذات حجرة
للنوم والصديق وحجرة ... في ... تلك الليلة و لاكل فيه حسن
ومن عد شرعت في زيارة بعض ... البلاد والمرج على ... هم ... فاذ في بلد
جديد ... في ... مطلة على البحر وحولها ... وحسن ... بحيث ان
حدودة منها على نحو ربع ساعة ... له علامات وله دارة ... كما سيأتي في محله
وواليه يسكن في الشتاء في بيروت وهو ... رستم باشا وقد رأيته يوماً راجعاً من
الجبل الى داره ... في عربة يجرها ثلاثة من الخيل العتاق وامامه فارس
ووراءه اربعة من العسكر ... متسلحين وبيد كل منهم ... في وجهه وهذا الباشا
هو شيخ ... اصله ... خدم الدولة مدة ... في خدمتها وسمعت الثناء عليه
في تلك البلد وغيرها من ... وغيرهم غيور على الدولة محافظ على ناموسها ومصالحها
ومن غريب ما سمعته عنه انه كان مرة ... في جهات ولايته على ذلك الجبل فصادف انه
... الجهة القريبة من طرابلس الشام ... الى تلك الجهة ... النهار وليس بقربه
مكان صالح للمبيت الا بلد طرابلس ... من صباح ليوم الى ... كما يعلمه
بانه يبيت ضيفة وكان الوقت رمضان ... حر النهار ذلك ... وعادة البلد

ووجهاؤها ثم دخلوا جميعاً الى دار المتصرف وجلسوا في ابوابها كلهم فدخل الخدمة
باطباق المشروبات المبردة والحلويات وكان الغروب لم يقع وكان هو ايضاً رستم باشا لا
زال على دين نصرانيته لكنه لما راى تلك الاطباق داخلة وعملة البلد ووجهاؤها جالسون
اكابر وجهة وقال للمتصرف ما هذا فاجابه بانه مشروبات مبردة فقال الباشا أليس هذا
رمضان فتبسم المتصرف وقال ثمة من عبر ان يريد اظهار قصده لمخالفة الدين ثم هو
رمضان ولكن جنابكم مسافر وانا ايضاً متبعكم وها انا ابتدئ بذلك واخذ الكاس وشرب
فاشتد حنق الباشا عليه وخاطبه بشدة بما معناه انت ان كنت لم تراع ديانتك فانا يجب
علي ان اراعي ديني ووظيفتي لاني متوظف ووزير خليفة المسلمين وهذا المقام انما جاءني
منه وهاته البلاد بلاد مسلمين وهؤلاء الجمع مسلمون جاؤا لاجل خدمتي فهي نصرانياً
فاني ادب على الشعائر الاسلامية التي صرت بها نائب اباء وقدر بها على احتقاره وطردك
بصرامة هنا فاخرج حالاً حيث انك لم ترع سلطانك وامامك الذي هو خليفة المسلمين ولا
اهل البلاد التي انت عليها ولا ما لدي تعطي شيئاً فخرج المتصرف من المجلس وشكر
الحاضرون كلهم عمل ذلك الباشا فقال لهم فعلت هذا لاشكر وظيفتي واحافظ ديانتي
ولعمري ان مثل هذا الرجل يحق ان يستخدم وان يبث متوظفي الدولة كلهم على نمطه
كثر الله من المخلصين الصحيحين امثاله ووفقه لسعادة الدارين . وحاصل وصف هاته
البلد في اجمالها جميلة المنظر لان دائرها محصنة بحيطان من خارج وحسن اكثر طرقها غير
ان بجانبي الطريق مجاري للمياه على عمق شبر مكشوفة وربما اضرت بالمارين والمياه طيبة
مختلط بالخير فهو حسن المنظر ويقرب شكل الديار من ديار تونس غير انهم يجعلون
بعض الديار ذات الطبقات درجاً مكشوفة في السطحات الخاصة بالديار وحسن في
البلد طريق للعجلات وهذا الطريق يوصل الى دمشق الشام جعلته جمعية اورباوية منتظم
السير في اوقات معلومة وكراء معين وتغيير الخيل في مراكز معينة ليلاً ونهاراً وكنت
اردت الذهاب فيه الى دمشق لكن قصر الوقت مع تعطل السير في الطريق لكثرة
الثلوج منعني من ذلك

واعظم جوامع البلد الجامع المنسوب لسيدنا يحيى عليه السلام وهو جامع واسع
نظيف وكذلك بقية جوامعها نظيفة وحماماتها جميلة نظيفة جداً متقنة التحسين بانواع
المرمر وفوارات المياه وبها اسواق جميلة وان كانت صغيرة على نسبة البلاد لان البلد
لاصلية صغيرة وكثر حولها البناء المتقن على اشكال شتى منها قصر بديع صالح للملوك

وحوله بستان مؤنق عليه تشابيك فيه من المرمر في البناء والرخام وانواع المفروشات البديعة والاشجار وتقسيم الماشي وهو لاحد الاهالي النصارى ذوي الثروة الكبيرة التي حصلت له من بعض خدمات له عند خديو مصر السابق ثم استحصل على ان يكون قنصلاً للروسيا في بيروت. وتوجد بيوت اخرى جميلة تقرب من ذلك كما توجد مدارس عديدة اسسها القسوس من البروتستانت الاميركانيين ومن الجزويت الفرنساويين وقد اثرت هذه المدارس تأثيراً واسعاً في المعارف هناك فتقدمت النصارى بمكان بيروت في التحصيل على معارف جيدة من اللغة العربية نحواً ولغة وانشاء وفي معرفة بعض اللغات الاجنبية وعلى مبادي الفنون الرياضية حتى صاروا متأهبين للتقدم وتقلد الوظائف في بلادهم وغيرها ويحصلون ذلك في مدة قليلة لسهولة التعليم بالكتب التي اخترع بعضها نفس الاهالي وغيرها غير ان [illegible] بالعربية يكون عالماً على غير اللهجة الفصيحة والاسلوب العربي الفصيح لان غالب التلامذة يتعلمون باللغات الاجنبية فيفتحون كتاباتهم العربية على منوال تلك اللغات فيصير السبك عجيباً في قوالب عربية يمجها من ذاق طعم البلاغة ودونك ما كتبت جماعة من رسالة لاحد [illegible] ذلك الوطن وهو البارع المتفنن رشيد الدحداح كتب [illegible] ذلك نفي من [illegible] صفحة منها بعد ان ذكر ما طرأ على اللغة العربية الشريفة وما حدث لها من التغيير بالاساليب الاعجمية [illegible] قال "وكذلك الاجنبي تجنب الفرنسيس [illegible] في ترويج لسان العرب باللغة الفرنساوية حتى تصير لباساً له ويصير [illegible] لها فيبدأ [illegible] الاسماء فيجعل [illegible] مثال افندي ويبدل [illegible] بجاري وادث كتب [illegible] على قدم و [illegible] عوض القلم وقيل حدث الحرية لا كتب لكم او عندي الشرف ان اخبركم في [illegible] رسالتكم مكرمة وبالطبع صرت ممنوناً لما تضمنته من الاحساسات الودية والشعائر الوطنية ورأيتها مملوءة من روح الصداقة. ووعدة في دوام العلاقة واخذت الاحتياطات اللازمة لادخالها في الجريدة الجرائد ليس فقط لاجل سروركم بل بالسبب الاقوى لاجل مصلحتنا ولكن من سوء البخت مراعاة الظروف توجدنا على نوع ما ان نتخذ التمهل بالعمل الى فرصة وفوق كل شيء لانه الآن حاصل هنا افكار واستعدادات حربية واما عن الالقاب فبالصدق ومع الاعتبار يقدم لكم الشكر ويهدي لكم السلام حكيم فلان وقس على ذلك الف داهية من التعبيرات الواهية. التي هي بالمقت حرية والتي في تسميتها صرف كعندي الشرف. وما هو احط من السماجة كقول الرسالة. وكم من الصنع كطبعاً وبالطبع. واي من ريب

الحبوب. كالمحبوس واشبح من الحسائر. كهذا الاستعمال للروح والافكار والتقدم والاستعدادات والاحساسات والشعائر". الى ان قال" اما تشبه مادة احد هذا الاعصر وموت احمر ولو حرمت عليهم اليوم هذه المادة لكسروا الاقلام وعجزوا عن الكلام فتراهم يعربون بها عن كل الافعال العربية فيقولون المجد السامادية للفاضل وبعد ملاحظة لهم واتخذوا الدعاء للدولة الى ان قال فيا للحسارة ولا اسف على مرض الامة واشرافها على التلف. وأيم الله انه تصدع لا يلتئم. وجرح لا يلتحم" الى آخر ما اطنب به في تلك الرسالة المشهورة في جرائد عديدة عربية ومنها العدد ٩٥ من مرآة الشرق وهذا الكاتب وان كان من اهل لبنان البارعين في العربية والفرنساوية لادمانه عرنسا وصيرورته من رعاياها لكنه ستفاد من ذلك التعبير لان هذا التعليم شمل اهل ... والحق يقال ان فوائده خالطها ضرر التعليم ... في حاب طباع ... الطمعة الى حب ... لمعلمين لكنه من حيث التعليم له مزية معتبرة تقدم بها النصارى هناك على المسلمين حتى فطن في المدة الاخيرة بعض ... ورعى هذا المدرك ووجدوا واليا يلد ... وهو مدحت باشا فعقد لهم ... سمى جمعية المقاصد الخيرية ومكنها من الاوقاف التي في البلد وكانت استولت عليها ايدي الاغتصاب والمنافع الشخصية فاستعانوا بها مع ما يوزعونه على اهل البلد من كل ذي حميه وعلى ... التلامذة وانشأوا بذلك مدارس على نحو سوق السبق ذكره وكنت دخلت في كلا القسمين ورأيت من تلامذتها ما يسر القلب ولعمري انها مآثرة جليلة تحق ... تذكر وهذا الرجل وهو مدحت باشا هكذا دأبه في كل ولاية وليها لا بد ان يترك فيها مآثرة تذكر وان اعترى كثيرا منها بعده نقض اخس لانها لا تزال قائمة ذاتها من الصحة المتعددة وهو في الحقيقة من افراد رجال الدولة الذي يشتمل عليهم تاريخها نصحا وتدبيرا وعملا وعمله اكثر من قوله بحيث لا يجد القادح فيه قولا لولا نحيزة فيه كانه جبل عليها مداومة ما يشاهده في وظائفه من التأبيات والتسويف الذي يستعمله اروساء في وظائف الدولة حتى صار لهم طبيعة والوقت لديهم ليس له عيار فاداه ذلك الى الاستهزاء بالعرض التي يجدها لاجراء المصالح فعلا وجرأه ذلك لما اوقعه اخيرا فيما اداه الى الوقوع في حتفه رحمة الله عليه رحمة واسعة. وقد حصل من تلك الجمعية فائدة لا تنكر في المعارف لاهل تلك البلاد وهي وان تأسست في جميع البلاد الشامية لكنها كانت في بيروت اشد تقدما في المعارف حتى صارت هي اول البلاد الشامية في معارف على عمومها وان كان لدمشق

مزيد التقدم في الفنون الشرعية ثم ان اهالي بيروت وان كانوا قسمين مسلمين ونصارى لكنهم جميعاً في غاية الالفة بعضهم مع بعض وعوائدهم جميعاً واحدة حتى في محاسن اخلاقهم وقد شاهدت من فضلاء القسمين ما شكرتهم عليه من محاسن الاخلاق والفرح بالضيف مثل الشيخ المدركة البليغ البارع ابرهيم الاحدب وله ديوان شعر شهير ومثل الاعيان الاجلاء حسين بيهم ومحيي بك رئيس الجمعية الخيرية وعبد القادر القباني صاحب جريدة ثمرات الفنون احدى الجرائد العربية المتكاثرة في هذه البلاد في ابانها من التقدم الذي اشرنا اليه مع بعدها عن مراكز السياسة ومن اصحاب الجرائد الذين اجتمعت بهم هناك ايضاً البارع المجيد المتفنن سليم البستاني صاحب جريدة الجنة وجريدة الجنان وهو من النصارى اعيان البلاد وممن اجتمعت به منهم ايضاً وجيه الاعيان ابرهيم اليازجي ابن الحسن الذكر المتفنن اللغوي الماهر ناصيف اليازجي صاحب المقامات الشهيرة ومنهم سليم ثابت وغيرهم ومنهم الكاتب البارع حسن افندي وهو من كبار من اهالي دمشق الذي اجتمعت به في بيروت لانه قدم اليها صحبة والي الشام اذ ذاك مدحت باشا رحمه الله لانه كان من كتاب الولاية الخديوية عربية وتركية ومتضلعاً في مصحبه وتحشيته ثم ترقى بعد ذلك في خدمات الدولة العلية وكذلك اجتمعت بالوجيه بشارة افندي الذي لي معه من المعرفة السابقة في باريس ولاقيت عنده مزيد النصوح وهو متصرف ببيروت اذ ذاك ولقد شاهدت من هؤلاء الجميع اكرم ما يوجب عليّ الثناء عليهم جازاهم الله عني كل خير واجل ما حصلت عليه في هذه البلاد حضرة الاجازة في الطريقة القادرية من مولاي وسيدي السيد سلمان القادري ومثله ابقاه الله من يجيز ويحافظ على شريعة جده الاعلى عليه وعلى آله الصلاة والسلام وبه عند ما اجازني قال لي ما معناه في امر الاذكار وآداب الطريقة ليست هي الا الشريعة فقف على ما ورد به الشرع واعمل به فهكذا يكون المرشدون وما اجازني بذلك الا بعد مزيد الالحاح تواضعاً منه ابقاه الله الى ان اتت ليلة سفري فشايعني بمرعوي مودعة وسافرت صبيحة تلك الليلة الى القسطنطينية في احدى البواخر السابق ذكرها * فوقفت بضع ساعات على ازمير التي هي قاعدة احدى ولايات الدولة ونزلت متفرجاً على مرساها وما حولها فاذا هي ذات مرسى جميل حصين صنعه احد الافرنج برخصة من الدولة وفيه بوغوجة وتصل سكة الحديد الى رصيفه وهي ذات فرعين يمتدان الى داخل الولاية شرقاً وغرباً وحول المرسى قشلاقات عسكرية وبعض ديار للافرنج والطريق فيها واسع جميل وبقية الطرقات والاسواق ضيقة عليها

آثار الروم لان [illegible] لاتية [illegible] لاحزاب [illegible] عهده [illegible] وما يذكر لا كوننا
بلاد تجارية [illegible] الولاية [illegible] من كثرة [illegible] والعوكة التي تحمل [illegible]
[illegible] لآفاق [illegible] كثيرة [illegible]
[illegible] تجارها [illegible] جزيرة
رودس وجزيرة [illegible] الاشجار
العظيمة ثم وصلنا الى [illegible] القسطنطينية
والبلدة [illegible] شيء يذكر [illegible] الطوبخانة
و [illegible] على
[illegible]
وتلك [illegible] منها
[illegible] مركز اعظم
المراكز [illegible] ولا يدخله
[illegible] وكذلك وقعت الشجرة [illegible]
لاحد الاجارة [illegible] القوارب
من الساعين [illegible] ويمكن ان [illegible] من [illegible]
[illegible] الاباريق من [illegible] بشكل
وعلى [illegible] الاباريق [illegible] تم [illegible] الى [illegible]
متوسط بين [illegible] احدها [illegible] على البحر الابيض
والاخرى [illegible] على البحر الاسود [illegible] الى [illegible] وما يتعلق
[illegible] وقد [illegible] القسطنطينية [illegible]
[illegible] الشجرة [illegible] على مقربة من [illegible] موصلة بين
[illegible] القوارب [illegible] السبع
[illegible] بعض من [illegible] خير الدين باشا
التونسي [illegible] عند الوزير
المذكور ثم [illegible] بعد ان اشتريت
[illegible] مقدار الحاجة
وقمت [illegible] من [illegible] ١٢٩٧ [illegible] سنة ١٢٩٨ و [illegible] في [illegible] البكر من

تونس وبقيت بالقسطنطينية منتزهاً الفكر والبدن متمتعاً بهوائها الحسن متأنساً
بالاصدقاء ذوي الوداد الى ان حل بي مرض ماحق في سنة ثمانية من استيلاء الفرنساويين
عليه عما كنت به تدبرت ولم تعد الصحة بعينه لحوه والله يقضي ما اراد فقدمت الى
ايطاليا لاخابر في شأنهم وبيع املاكي وفي [illegible] ذهبت الى جنيف من مملكة
سويسرا فوضعت بها [illegible] في مكتب خصوصي ثم رجعت الى ايطاليا لاتمم ما ذكرناه
ثم رجعت الى القسطنطينية بعد ان اعلمتني [illegible] سفرها اليها فمررت على مملكة [illegible]
ثم النمسا ثم الرومانيا ثم الصرب والبلغار وسيأتي ذكر هاته الممالك ان شاء الله كل منها
معرفة ببابه ثم رجعت الى القسطنطينية مقيماً بها [illegible] من اول سنة تسعة الى اول
سنة اثنين وثلاثة التي توجهت فيها الى مصر حيث لم اجد من [illegible] واحدة عسكرية والمدنية
ما يستقيم به الحال وكذلك [illegible] كانت [illegible] نفسي علي بمرتب
وكرامة بيت لم يمكن اضطر ذهاباً في حرمه لمدوة من السبق تحصحب حتى بالقيام
بالضروريات الواجبة في بعض الجهات [illegible] الله مفرج الكروب

مطلب في صفة القسطنطينية

هاته البلدة قديمة الانشاء وقد صارت تخت المملكة الرومان المعروفين بالروم سابقاً على
ما تقدم في تاريخ ايطاليا وسميت البلدة باسم احد ملوكهم ذوي الصيت المنتشر وهو
قسطنطين المتوفي سنة ٣٢٣ ميلادية واتخذ موقعها في احسن موقع الكرة الارضية في
نصفها المعروف قديماً وموقعها ايضاً احصن هاتيك المواقع لانها متحكمة بين البحر
الاسود والبحر الابيض ويوصل بينهما خليج بدي بوسطه بحر مرمرا وهذا الخليج
مكان البلدة بكنفيه حال يميناً وشمالاً وخلل مكساة بحسن النبات الزاهر في جميع
الفصول وقد وضعت البلد على سبع تلال حال يفصل بينها خليج اما قسم منها فيفصل
بينه وبين غيره الخليج الكبير وهذا القسم هو المسمى باسكودار الواقع في قارة آسيا
والقسمان الآخران يفصل بينهما فرع من هذا الخليج داخل في قارة اوربا الى ان يتصل
بجدول يعرف بكاغدخانه والقسم الشرقي من القسمين يسمى بغلطه والقسم الغربي يسمى
باسطنبول وقد كان في القديم محل البلدة مفصولاً عن قطعة القارة بخليج واصل الى بحر
مرمرا وهو قرب مقام سيدنا ابي ايوب الانصاري الآن فكانت جزيرة منفردة

وهذا القسم هو مقر البلاد الاصلية الذي يشتمل على مركز الادارة والاسواق وغير
ذلك وحيث كانت البلد واقعة في عرض سعة ورمين شتاي كان هواؤه يغلب عليه
البرود وتنزل عليها الثلوج في كل سنة ويرى جمد جديع في بعض السنين حتى في جميع
اوقاتها ه. مصر ممدود في الارض ... من الخليج حيث كان الخليج في
الوسط ومحتوية على جميع شطوطه ممتدة نحو ٢٢٠٠ ... قصور ... واكثر مبنية السبع ...
الوان لان ابنيته بالاخشاب ويدهن ... واحد ... جميلة مع كثرة ...
ويتحلى هذه البناء ... مع ... في ... مع جودتها وتعدد ... مدنها وبينها
القباب المتلاصقة ثم ... على سطح ... السواتين والحدائق والاشجار الملتفة
والعيون المتدفقة ... وتتراءى لراء ... هذا الحبيب
في ذلك المصر القديم مدة نحو ... كانت هي سيدة البلدان السياسية
خصوصا ووضعها ... على كل من ... وعلى كل من البحرين الابيض
والاسود ولهذا يسمونها في تقديم ... بين العرب والبحرين ... ذلك
المطر ... يحط درجات ... وتحمل ماشي في
شوارعها لان طرقاتها ... وسط ... على ... حافتها مقابلة مكتوبة
... واحدة مرم ماحدة خصوصا
في هذه ... على ... الاكثر
... مناطة بالدولة التي صافت
... صنايع ... في العربات والبرانية وما
... كل ... عشرة ... لا ...
... الصاري ... الضرورية والحاجة وتحبيبة على
... ذلك هو ...
قديما ... في يجيدونه من صنايعهم وتجارتهم ولما
... في ... في ... وما ... كل ...
... ايدي ... مدركهم ... لا ... معارفهم ... الراحة ...
صنايعهم ... تهم ... وفوتهم ... لا ... درجة
المعارف لديهم ... عن الصنايع وغيرها من اوجه الكسب لانحصار الامال في
مجرد التوظف في الدولة وهذا ترى البلاد مملاة بالقهاوي والمخامات التي هي

فهوى نشعة [illegible] في هذه البلاد
[illegible] في حوش [illegible]
بيوت [illegible] مكون محفوظ [illegible]
وتسعى على [illegible] قسطنطينية [illegible]
والخاص [illegible] طرفه [illegible] بعدى من [illegible] في وسط
[illegible] سمى [illegible] المسافة
في [illegible] على القطار [illegible] الى [illegible]
لعوبجوة على [illegible] الى [illegible]
وورطه كوى [illegible]
ثم [illegible]
[illegible] الاسود [illegible]
بعدها [illegible]
[illegible]
الدول لاحدة [illegible] مع كون شركة [illegible]
قد [illegible] طريق [illegible] على شرط تحديدها
للطريق [illegible] لاحد [illegible] هذا [illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible] في باب [illegible]
[illegible] طريق [illegible] في [illegible]
في [illegible] في الجميع
[illegible] في [illegible] الحديقة
[illegible] في حيث [illegible]
[illegible] لم [illegible] الدار التي
على حافتها [illegible] الجسمة الموجودة
في [illegible] ذكرناه [illegible]
قديمة [illegible] بالطوب
مطموح [illegible] حسن الظاهر والباطن

وصورتها ان تدخل من الباب الى دهليز فيه درج قبالة يصعد منها الى الطبقة الاولى
التي هي ايوان مثل وسط الدار مسقوف مع سقف بيوتها وفيه ابواب هاتيك البيوت التي
هي مربعة و مستطيلة وفيه ايضاً نحو اسعدين يمنةً وشمالاً في العلو ثم تلك الدرج
تمتد صاعدة الى الطبقة العليا التي هي على نحو التي تحتها وتختلف اشكال الدرج في
كونها ذات فرع واحد الى آخرها او ذات فرع او فرعين وكل دار تشتمل على عدة
مراحيض جميلة وضع بطرفه كل منها بوعاء للوضوء ومحل للمدفأة بحيث ان الوضوء في
هاتيك البلاد يسير شيء على صاحبه مع نظافة المكان وحتى ان جميع تلك الديار الى وجميع
احوال السكان بطبيعة العادة كل على حسب حاله عسراً ويسراً وقصور السلطنة ومساكن
السلاطين قد اشتملت على هياكل الابنية المستحسنة في اكثر البلدان واعظمها بهجة
ورونقاً قصر دولمه بغجه الذي هو الآن قصر السلطنة الرسمي وله باب عظيم ذو
اتقان وتزويق بالذهب لم ير مثله قط صنعة وزخرفة في جميع اوروبا وغيرها وهو يفتح
الى ساحة عظيمة امامه وفي مقدمه جامع يقابله باب مقابل ذو بهجة وقريب من باب
القصر في حسنه باب ثان يفتح في طريق [illegible] وكلا البابين يدخل الى ساحة
عظيمة منها الى القصر الذي هو منقسم الى ثلاثة اقسام اي حجرة [illegible] وسطها
مرتفعة يوازي ارتفاع القسمين الآخرين مرتين وهذا القسم الوسط كله ديوان
واحد هو مجلس السلطان في المواكب [illegible] الذي [illegible] قدر اتساع
قصر تام سلطاني فان القسم الاول هو قصر ذو طبقتين [illegible] نصفها تحت الارض
ونصفها فوقها وتشتمل كل طبقة على دواوين [illegible] وحجرات [illegible] مكللة مزوقة
بالذهب والنقوش [illegible] مكررة [illegible] زخرفة ولا يهم التي
تأتي فيها الاستحسين [illegible] وهذا القسم خاص بجلوس السلطان للرجال والقسم
الثالث مثل هذا القسم وما [illegible] دونه رونقاً في الفرش وهو مسكن حرم السلطان
ثم عائلته [illegible] الاول في [illegible] وتشمل حاشية السلطان وخاصته
وطباخيه [illegible] قسم الحرم قصر آخر منفصل عن السابق مثل احد القسمين
السابقين هو مسكن ولي العهد لكنه لا يماثله في [illegible] وهو اكبر ابناء
السلاطين بعد السلطان المتوفي وهذه القصور شادها السلطان المرحوم عبد المجيد رحمه
الله وتسمى دولما بغجه وقريب منه قصر آخر شاده السلطان عبد العزيز يسمى جراغان
هو اشد رونقاً وزخرفة في داخله من الاول لكن الاول ابهج منظراً وجميع على

شاطئه خليج تعج اليه رواشيها المكتوبة كما هو شأن جميع الدار هناك فلا تجد
بين الشباكين ازيد من نصف ذراع او ذراع وعلى نحو من هذين القصرين في
قسم اسكودار قصر بناه السلطان محمود رحمه الله يسمى بكلربك وهو اصغر من
الكل ثم قصر آخر بديع للغاية يسمى بيقوز حجارته كلها داخلا وخارجا من المرمر
الاحمر و الاخضر فنصفه الاعلى اخضر و الاسفل احمر وهناك قصور اخرى عديدة
صغيرة دون هاته . الا القصر السلطاني الآن الذي يلدز الذي هو في الاصل مثل
هاتيك الصغيرة لكنه لما رغبه السلطان المعظم عبد الحميد بالانفراد فيه والسكنى به
دائما تزايدت قصوره شيئا فشيئا حتى صار ابنى في الداخل من الكل وان كان من
خارج لا يظهر منه الا القليل لوقوعه في وسط بستان متسع ملتف بالاشجار ومحيط
به اسوار ومساكن للعساكر على جميع محيطه

فصل

في مجمل تاريخ الدولة العثمانية

اعلم ان الدولة العثمانية كانت تأسست عندما تفرقت الدول الاسلامية واستقل كل منهم
بجهة مع خروج عن حدود الشرع ان اسعفوا الشهوات واسترقوا الرعية وتصرفوا في
الاموال بحسب الاغراض فضعفت شوكة الاسلام وصارت ممالكهم نهبة الاجانب
فرحل من وراء النهر في هجوم جنكيز وتيمور لنك كان على عدوة الشرقية قبيلة
من مسلمي الترك تحت رئاسة سليمان شاه جد عثمان جاء متجهين الى السلطان السلجوقي
لاشتمالهم من ظلم التتر طالبين الامان و مكنهم من ارض بالاناضول فكان رئيسهم ارطغرل
بعد وفاة ابيه سليمان شاه غرقا حيث كانوا قوما شدادا متمرنين على الحرب وفتح بسيفه
الداثر اراضي وبلدانا وفوض امرها اليه السلطان السلجوقي وآل الى عثمان من بعده فلقب
بالسلطان عثمان وذلك في سنة ٦٩٩ وقد نظم الحبر الشيخ محمد بيرم الثاني قصيدة تشتمل
على انموذج من تاريخ هاته الدولة مع اسماء سلاطينها ذكرناها هنا لايفائها بالمقصود
وسماها " عقد الدر والمرجان في سلاطين آل عثمان " وهي

اقدم قبل القصد شكرًا لمنعم ... علينا بما اربى على كل انعم

على عز هذا الدين والملة التي ... وان حقت فازت بمحض التقدم

واتبعهُ ازكى الصلاة مسلمًا ... على اشرف المخلوق قدرا واعظم

نبي لهُ وصف النبوة ثابت ... وادم بين الماء والطين فاعلم

محمد ﷺ من قد اظهر الله دينهُ ... بمكة ذي البيت العتيق المعظم

واعلاهُ بالانصار اذ حل طيبة ... فحيا بوجه مشرق ذي تبسم

وما زال محروس الجناب مؤيدًا ... بكل امام بالعلا ذي تحكم

محوطًا الى ان آل تدبير امره ... وحفظ ذمار باخميس العرمرم

لحي حلال يعصم الناس امرهم ... اذا طرقت احدى الليالي بمعظم

كرام فلا ذو الضغن يدرك ثبله ... لديهم ولا الجاني عليهم بمسلم

ملوك بني عثمان سلسلة العلا ... غصون نمت اذ فرعت من عطمطم

فلله ما قد شيدوا من بنائهِ ... وما هدموا للكفر من كل معلم

لقد احكموا امر الجهاد بما اتوا ... باعظم صنع فيهِ من بعد اعظم

فكان لهم والله يكلأ مجدهم ... بما فعلوا حق على كل مسلم

وقدرمت في ذا النظم جمع ملوكهم ... وبعض مزاياهم لتروى فتعلم

فأولهم (عثمان) با كورة العلا ... مذيق الردا من باسهِ كل مجرم سنة ٦٩٩

لهُ فتحت برصا فاضحت مريدهم ... فكان لها في ذاك فضل التقدم

وثانيهم (ارخان) من قد تتابعت ... كريمة من صلب الولي المعظم سنة ٧٢٦

شجاعتهُ قد اظهرتها حروبهُ ... فعمهُ بما تختار فيها تحكم

وثالثهم من نال فضل شهادة ... (مراد) على القرن حمزة عندم سنة ٧٦١

فذاك الذي قد قضى حتم ادرنة ... فذاقت بهِ برد المنا والتنعم

ورابعهم شمس العلا (بايزيد) هم ... موافقهُ في الحرب مرة معظم سنة ٧٩١

لئن كان مع تيمور ما انقذ القضا ... فان ارتكاب الغدر منشا التظلم

ولا عجب للاسد ان طرقت بها ... كلاب الاعادي من فصيح واعجم

فحمزة وحشي سقت حمزة الردا ... وحتف علي من حسام ابن ملجم

وخامسهم فخر الملوك (محمد) ... مجدد هذا الملك بعد التصرم سنة ٨١٦

وسادسهم ثاني ال(مراد)ين من رقى ... من العز مرقى لا ينال بسلم سنة ٨٢٤

تخلى عن الامر اختياراً لشبله ... وعاد لخير الحال خوف تألم
وسابعهم فحل الفحول (محمد) ... له فتح اصطنبول اشرف مغنم سنة ٨٥٥
عقيلة عن صيد الملوك تمنعت ... وكلهم سيف وصلها ذو تهم
لقد جاءها يختال في العز مودعاً ... حبايا المنايا بين جيش عرمرم
لدى اسد شاكي السلاح مقذف ... [illegible] لبد اظفاره لم تقلم
فدحرج عنها سيد الروم خاسئاً ... لدى حيث القت وصلها ام قشعم
[illegible] ... بتكبير مشي العالمين ومعدم
[illegible] ... كأنهم قد غضبوها بمظلم
[illegible] ... وما هو عنها بالحديث [illegible]
وثامنهم فرع له (بايزيد) ثم ... ابو الجود ماذا [illegible] معدم سنة ٨٨٦
وتاسعهم مفتاح فتح ممالك ... غدت في جبين الدهر غرة ادهم
(سليم) [illegible] ... [illegible] الارض من قرب جهصم سنة ٩١٨
ولاح [illegible] سناه فاصبحت ... عروساً تجلت في وشاح منمنم
ومذ برقت بالشام انوار برقه ... [illegible]
فسكن منها روعة بقدومه ... وضمت عليه سورها ضم معصم
وواجه مصراً بالاذى اذ تلكأت ... فاجرى بها نيلاً تدفق بالدم
وقد [illegible] ... واقبل طومان كذيب لضيغم
فاصبح مصلوباً بباب زويلة ... يداس باقدام ويوطا بمنسم
ولم يبق من ابناء شركس ناعق ... كأنهم قد لامسوا عطر منشم
واضحى سليم للمقامين خادماً ... بذاك ينادي للسلاطين خدم
[illegible] ... [illegible] كاس علقم سنة ٩٢٦
قد [illegible] ... فصار له امر العراقين ينتمي
وقد [illegible] ... حداة الورى تحدو بها كل موسم
فمنها ويا لله غزوة رودس ... تغنى بها طير الفلا بترنم
وفي سكتوار بعد ان فتحت له ... اجاب الى المولى بقلب مسلم
فلاحت بافق الملك طلعة شبله ... (سليم) عظيم الملك فرع معظم سنة ٩٧٤
لهمته العلياء قبرص اذعنت ... تقابل مسعاه بوجه مقسم

وفي يمن من بعده فتوحه ... لوالده الارضى اتى بالتمم

واحيا به الرحمن تونس عند ما ... شدت بعد عزة شائخ في تحطم

فشد بمسعى [illegible] فاقامه ... وكان بقهر الاسر صاحب مجثم

ومن بعده قد بايع الناس فرعه ... (مراد) [illegible] سنة ٩٨٣

ويتلوه في دست [illegible] ... (محمد) [illegible] سنة ١٠٠٣

اقام على اغرى فابدى باتقها ... [illegible] كل [illegible]

وعطر للرحمن في الارض وجهه ... [illegible] مرغم

وقام ابنه ذوالحسن (احمد) بعده ... يجبي [illegible] سنة ١٠٢[illegible]

ومن بعد هذا (مصطفى) بن محمد ... اقيم ولكن عقده غير مبرم سنة ١٠٢٦

فبويع (عثمان) بن احمد بعده ... وازيل عن قرب لامر محتم سنة ١٠٢٨

وقد عاد [illegible] ... وازيل بعد العود مثل المقدم سنة ١٠٣١

فجاء (مراد) نجل احمد بعده ... فكان كحلم لاح اثر تومم سنة ١٠٣٢

احل على دار السلام بجيشه ... فانقذها من رافضي مذمم

وقد لبست ما زانها لمسرة ... وافقت [illegible] من ثوب مأتم

وعادت [illegible] ... تجرر اذيال الهنا والتنعم

وقدقام (ابرهيم) وهو [illegible] ... مليء من حزم وحسن توسم سنة ١٠٤٩

بكندية منه وقد جاس ارضها ... [illegible] رقم

[illegible] على كرسيه [illegible] ... لمن هو في عهد الصبا والحلم

(محمد) [illegible] ... [illegible] من الكبار كل مصرم سنة ١٠٥٨

ولكنه لما تكامل واستوى ... بدا منه حزم فاق كل احزم

فتمم فتح [illegible] ... بكندية اعظم به من متمم

وناهيك من فتح [illegible] ... [illegible] في التواريخ تعلم

ومن بعد هذا تم خلع [illegible] ... فيالك من فعل قبيح مذمم

فقام (سليمان) اخوه مقامه ... [illegible] في صلاح تحطم سنة ١٠٩٩

ومن بعده قد قام (احمد) [illegible] ... [illegible] لا [illegible] سنة ١١٠٢

واعقب هذا (مصطفى) بن محمد ... واخر عما ناله من تقدم سنة ١١٠٦

فقام اخوه (احمد) بعد خلعه ... وسلم لما شام برق التألم سنة ١١١٥

وقد فتحت تبريز قهرًا ومورة ... بايامه وجه الزمان المطهم

فبويع للسلطان (محمود) بعده ... هو ابن اخيه مصطفى متقدم سنة ١١٤٣

سنة ١١٦٨ ومن بعده فقدم (عثمان) صنوه ... ومن بعد هذا مصطفى ادوالتقدم سنة ١١٧١

الى الموسقواذ وجه العزم نحوه ... وجرد في حرب له كل أصرم

ومن بعده (عبد الحميد) اماما ... اخوه عظيم من عظيم مفخم سنة ١١٨٧

ابان له الله الهدى واماله ... رشادًا وتسديدًا لدى كل مبهم

فهاك سلاطين الزمان جمعتهم ... بنظم كسمط باللآلي منظم

وعدتهم سبع وعشرون قد عدت ... سماء العلا منهم تضيء بأنجم

ودولتهم خمس المئين عمرت ... وفي طول هذا العمر لم تك تهرم

وذا في ثمان بعد تسعين ضمها ... الى مائة من بعدها الالف تعلم

وناظمها العبد الفقير محمد ... ابن انوري المشهور فيهم [illegible]

يقول تناديني المعالي بقولها ... اليك الذي قد قلت فيهم به اختم

ايا دولة ارست على كل سابق ... عليها لعز الدين والملة اسلم

وقد سلمت حتى رأت في سريرها ... هماما به الدين الحنيفي يحتمي

(سليم) بن [illegible] مصطفى ... لدينك يا مولاي صنه وسلم سنة ١٢٠٣

فلا زال [illegible] ... [illegible] المهدي وعيسى بن مريم

يقول حفيد الشيخ قدس سره ... موافقة في الاسم لا في التمم

لقد انجح الدعوى بفضل نواله ... كريم [illegible] على كل مسلم

بتسليم هذا الامر لليث (مصطفى) ... [illegible] الفرد لقب [illegible] سنة ١٢٢٢

ولما قضى نحبا قتيلاً من الاولى ... [illegible] بالدم

تعالى الى دست الخلافة حازمًا ... اخوه المرتضى (محمود) [illegible] سنة ١٢٢٣

له صولة في الروسيا مع بناته ... فاروام ماء الردى والتقسم

ومن بعده قام ابنه من لجدم ... غدى ينشر الاعلام في كل معلم

ألا انه (عبد المجيد) وحيدهم ... له النصرة الغراء في كل معظم سنة ١٢٥٥

بحرب القريم الخطب دام مصابرًا ... فنال المنى من بعد طول تجهم

ونظم قانونا الى الخير رشدًا ... وتمم ما ابداه رأيه المقدم

فاصبح وجه البسيطة مبهجًا ... [illegible] من [illegible] عدل متمم

ومن عهده وفى لى لدست صيغم   له مفخر اربى على كل ضيغم

فذاك الذي عم البسيطة عدله   وساد فساق السوى بمنتظم

وان رمت مدحا للاكابر تكتبي   فذكر ابو (عبد العزيز) المرحم

لقد حسنت سود الليالي بعهده   واضحت [illegible] بالخلافة تأتمي

ومذ ارتقى فوق السرير تتوجت   بانعامه هام الزمان بانعم

لذلك تاشير الولاية ارخت   حبيت به الاسلام مازال يحتمي سنة ١٢٧٧

ولكنه قد حل [illegible] مرة   فخيب من الخطب العظيم المحوم

فتم داعي الحق واعقب جمعه   ونادوا [illegible] للعام مقدم

(مراد) [illegible]   لاجلال شرعه بالامامة فخم سنة ١٢٩٣

فادوا [illegible]   [illegible] في كل معظم

الا انه عبد الحميد [illegible]   عماد الورى والدين نحو المكرم

فاربى على كل [illegible]   [illegible] في كل [illegible]

[illegible]   [illegible]

[illegible]   [illegible]

[illegible]   [illegible] عاد الاعظم

فكان لى [illegible]   [illegible] القضا اعظم به من محتم

[illegible]   [illegible]

[illegible]   [illegible] عدل معظم

ولا [illegible] في كل يوم [illegible]   ترجح عن شد العلى والتقدم

[illegible]   [illegible] الخلافة مبرم

ودوس سرير الخلافة ورخت   [illegible] الصفا والتقدم سنة ١٢٩٣

[illegible] تري [illegible] تجدد   لعبد الحميد العيد [illegible] سنة ٢٩٧

[illegible] تاريخ السلاطين [illegible] اولهم السلطان [illegible] السلطان سليم ثم السلطان مصطفى كما [illegible] تاريخهم من السلطان مصطفى الى [illegible] عبد الحميد [illegible] وتبين مما سبق ان الدولة [illegible] مدة [illegible] سنة [illegible] الامم [illegible] ماتي سنة تناقصت [illegible] كانت عليه لا سيما في حروبها مع الروسيا لان الدولة

الروسية منذ وفاة بطرس [illegible] ذكر في سنة ١٦٨٢ حيث مطمح نظرها توهين شوكة الدولة العلية و [illegible] على [illegible] للاستيلاء على شتى الثغور وقد [illegible] مدونة لروس في [illegible] في [illegible] على سائر [illegible] من [illegible] ذلك ويبرهن هذا صريح وصية منسوبة الى ذلك القيصر واول من شهرها في اوروبا هو فريدريك كياردي سنة ١٨٣٦ وهذا تعريبها

من بطرس الاول [illegible] كل من يجلس على تخت الروسيا بعدنا قال الله سبحانه [illegible] لا احد في [illegible] ما حملني على الاعتقاد بان الامة المسكوبية تسلط [illegible] على الممالك الاوروباوية (لا قدر الله) والدليل على ذلك ان الامم الاوروباوية [illegible] في الاخير كان دركت الروسيا تقدم [illegible] لا شك انها [illegible] شوكة العمر وعدي ان هجوم الامم [illegible] على [illegible] التي لا بد من نفوذها كما وقع [illegible] الامم المذكورة على [illegible] وما بين [illegible] ولما وجدت الروسيا [illegible] جيشاً عظيماً يعطي [illegible] ولا يتعرض [illegible] الاعتقاد على ان اقررها الاصول التي لا بد من [illegible] المقصود [illegible]

اولاً

على ملوك الروسيا [illegible] حرب [illegible] جيوشهم دائماً على حال الرياضة والاستعداد [illegible] الا [illegible] حرب [illegible] وجبر ما نقص من العساكر وترقب فرصة للهجوم على الاعداء [illegible] الحرب والصلح [illegible] تقتضيه الحاجة نظراً الى توسيع دائرة شوكتنا وفلاح البلاد

ثانياً

عليهم ان يجلبوا من سائر الاقطار الاوروباوية العارفين [illegible] مدة الحرب و ما مدة الصلح [illegible] من العلماء لتمتع الروسيا [illegible] الاخرى من دون خسارة ما [illegible] طبيعة

ثالثاً

عليهم التداخل في سائر [illegible] الممالك الاوروباوية وخصوصاً المانيا لقربها الينا

رابعاً

التداخل في احوال بولونيا وفي انتخاب ملوكها حتى لا ينحسم [illegible] لروسيا وادخال جيوشها بها بحماية هولاء [illegible] الى ان يتيسر التسلط على البلاد وان تعرضت لدول الاخرى تحت الاحوال لمطالبها الى ان تقدر على استرجاع ما سلبناه

خامساً

ناخذ من مملكة السويد ما يمكن اخذه ونضعف [illegible] وبين الدانمرك عدواناً دائماً

سادساً

لا يتزوج اهل بيتنا الا بنات [illegible] لكي نحفظ بين اوروبا و[illegible] وتكثير وسائل المواصلة بينهما

سابعاً

يجب الاعتناء بمحالفة انكلترا [illegible] في تجارتها [illegible] منها بغيرها الى صلاح شأن [illegible] الخشب وغيره من نتائج [illegible] انكلترا [illegible] موصلة بين تجارها وتجارنا

ثامناً

[illegible] الامكان من جهة الشمال وعلى [illegible] كما يجب السعي بالامتداد من جهة الغرب وعلى شواطئ البحر الاسود

تاسعاً

نقرب من القسطنطينية والهند بقدر الامكان فمن ملك القسطنطينية فقد ملك الدنيا فبناء على ذلك يسعى لادامة الحرب مع الترك وتملك الفرس وعمل ترسخانات على شواطئ البحر الاسود [illegible] من الاتراك [illegible] ويسعى ايضاً تحويل مملكة الفرس من [illegible] وتسهيل تجارة الهند الى [illegible] وقتال فنتقدم الى الهند التي [illegible] الدنيا [illegible] ذلك لا حاجة لنا بذهب انكلترا

عاشر

يجب السعي في تأكيد المحبة مع دولة النمسا [illegible] ظاهراً على ما قصدته من التسلط على الدنيا مع [illegible] عليهم ملوك الدنيا سراً

حادي عشر

نداوره لحسابنا فيما قصدناه من اخراج الترك من اوروبا وفي ضربنا بالاستيلاء على القسطنطينية واصبحت دولة النمسا ضيقة من الغيرة لاجل ذلك فسنا نحث دولة من دول اوروبا على محاربتها او نسلم لها جانباً مما حصلنا عليه ونسترجعه في اول فرصة

ثاني عشر

نجمع سائر الاغريق ببولونيا و[illegible] ونسعفهم بقدر الامكان بالحماية والدفاع عنهم حتى يكونوا لنا حماة ما بين الاعداء

ثالث عشر

بعد الاستيلاء على مملكة السويد وبلاد الفرس وبولونيا والاستحواذ على الممالك العثمانية وجمع جيوشنا ودخول اساطيلنا بالبلطيك والبحر الاسود نشرع في المفاوضة السرية مع فرنسا ودولة النمسا في قسمة الدنيا بيننا فان ارتضت احدى الدولتين ما نعرضه عليها نستعين بها على قهر الاخرى ثم نهجم عليها ونفنيها ولا يصعب علينا ذلك حينئذ حيث يكون بيدنا ملك الشرق ومعظم اوروبا

رابع عشر

ان امتنعت كلا الدولتين المذكورتين مما نعرضه عليها وهذا مما يبعد وقوعه يجب السعي في تحريض احداهما على الاخرى وننتهز الفرصة ونهجم على المانيا بجيش عظيم ونوجه اسطولين الى بحر محيط و[illegible] للاسطول الاستيلاء على فرنسا وبعد قهر فرنسا والمانيا لا يصعب الاستيلاء على بقية ممالك اوروبا . ه

وهذه وصية وان انكرها رجال الدولة الروسية لكن السيرة السياسية والعسكرية الموجودة في خارج من ذلك التاريخ الى الآن تصدق وجودها اذ هي منطبقة عليها مطابقة النعل بالنعل ولا زالت تنفذ سطورها في اسيا واوروبا ولما كانت الدولة العلية هي الدولة ذات الشأن المجاورة لها في كل من القارتين مع مخالفة الديانة جعلتها نصب نظرها ووجدت سبيلاً لمخادعة الدول الاوروباوية بالانتصار للمسيحيين الموجودين في [illegible] بما تدعيه من التعدي عليهم فتريد تحريرهم من استيلاء الدولة العلية عليهم على ما سيرد مفصلاً في الفصل الاول من الخاتمة فجعلت تثير ثورات في احد الاقسام ثم تنتصر له بان يجعل له ادارة مستقلة في داخليته وبعد مدة تغريه بالاستقلال وتنتصر له فاذا تم

استقلاله لا تأمن من نتيجة ثم تنتقل الى قسم آخر بواليه وهكذا وما سقطت الدولة
العلية الى هذه المقصد تداركت الامر بالاصلاح الادارة على حسب ما تقتضيه الاصول
الشرعية ويزيل تلك الاعتراضات حتى تنطوي ونمنع عنها وتستميل بقية الدول الاوروباوية
الى انضمامها من مشاحنها فعاجلها المرحوم السلطان محمود مبادي الانتظام بعد ان لاقى
متاعب شديدة مع العساكر الينكشارية الذين كانوا اعظم اسباب التقصير في الممالك
العثمانية العلية حيث عاثوا في الارض بطلب الرعية والاستيلاء على الاحكام السياسية في
القاعدة وبلاد الممالك وخروجهم عن طاعة السلاطين وتلاعبهم بهم حتى بعد ان كانوا هم
عدة الملازم ودمسري الاسلام فتصاروا عند ما [illegible] الى حلال قرب حادي
عشر فامتدوا [illegible] ذكرا وغادوا [illegible] وهن الشوكة وتداركها السلطان
محمود [illegible] ذلك النصف بالمرة بعد حرب [illegible] وعلم عوضهم العساكر المنظمة على نحو
تنظيم العساكر الاوروباوية في [illegible] مع [illegible] في نحو عظيم من حرب
الروسية التي كانت [illegible] سببا لتقرير استقلال الدولة اليونانية و[illegible]
لروسيا اليد في [illegible] وكذلك كان السلطان في [illegible] من ثورة الاغريق في
جزيرة مورة وصف اليها عدد الاسطول الانكليزي بالسطوة واساطيل الولايات التابعة
للخلافة كمصر وتونس و[illegible] الاساطيل العظيمة راسية في بحر [illegible] الاحتراس
في شأن ثورة مورة واذا بالاسطول الانكليزي وارد فيها في صورة المعاضد لان السلم
متاكد بين الدولتين ولم تكن بينهما شائبة حرب بمرة وسارت الاساطيل الى بعضها
بعلامات السلم [illegible] الاساطيل العثمانية حتى اذا تم تمكنهم منها اطلقت
عليها النيران من جميع الجهات [illegible] مع شدة الاقتحام والتداخل والمسلمون في
حال [illegible] على [illegible] فهلكت جميع تلك الاساطيل وغرقت في لجة البحر
دفعة واحدة بمن فيها فكانت حادثة لا تنسى ولا تمحى من صفحات التواريخ حتى ان اعضاء
مجلس الاعيان ومجلس النواب من الانكليز انفسهم هاجوا وماجوا على دولتهم من تلك
الفعلة والزموا الوزراء بالمحاكمة والقصاص فذكر وزير البحرية انه اذن بذلك وقال ان فعل
رئيس الاسطول ما فعل هو [illegible] منه ولا [illegible] فالزموا احضاره والحكم عليه
بالقتل وعند ما احضر ووقع في مجلس الحكم وصدر الحكم بقتله وعلم انه لم يبق له مفر
اقبل على وزير البحرية [illegible] في [illegible] وزير [illegible] تلك البطاقة التي [illegible]
قد [illegible] ان احرقها وها هي الآن في جيبي فبهت وجهه واطرق صامتا ثم عقد جلسة

مرية واطلاق سبيل الوحش ويقرب ان الحصن على ذلك ما هو مذكور في طباع الدول سيما اذا كان القصد هو ركاس مستوعبو عما ياثم به الماضي بيدان الدولة الانكليزية لم تزل من ذلك الوقت الى الآن تعضد الدولة العلية وتنصح لها وتظاهرها متى استطاعت كما ياتي ومع هاتيك الاسباب التي تقدمت الاشارة الى بعضها فالسلطان محمود رحمه الله ونعمة لم يرَ حدة متقدماً حتى انه بلغه خبر الاسطول وهو يحدث احد كبراء دولته لم يرد على سؤاله عن تحقق الامر من غير انزعاج ثم عاد لحديثه الذي كان فيه وشمر عن ساعد الجد في تجديد الاسطول وفور ترتيبه متمم لعساكر النظامية والاحكام الادارية والسياسية وحرمة دينه من الاستبداد وتسلطن ولده السلطان عبد المجيد فوجد في تلك الحال صعوبة شديدة في تهذيب ولي العهد هو موافق للشرع حررت في اول الربيع من احكامه وصدر الفرمان الحي الحدث بالتنظيمات وتعريبه هو

من المعلوم عند الجميع ان دولتنا العلية لم تزل من مبدإ ظهور امرها معتنية بكمال رعاية الاحكام القرآنية الجليلة والقوانين الشرعية المنيفة وان سلطنتنا السنية قد وصلت بذلك الى الدرجة القصوى من القوة والمكنة ورفاهية الرعايا وعمارة المدن والقرى لانها منذ مائة وخمسين سنة انعكست قوتها ومعموريتها بالكلية وحدث في الآخر الضعف وذلك لعوارض متعاقبة واسباب متنوعة منها تجاوز حدود الشريعة والقوانين الشرعية ولا يخفى ان الممالك التي لا تسير ادارتها على منوال القوانين الشرعية لا تدوم استقامتها فلذلك لم تزل افكارنا من حين جلوسنا على سرير الملك مصروفة الى تدبير وسائل عمارة الممالك والرعية ولا يخفى ان تحصيل المطلوب في مدة يسيرة بعون الله تعالى نظراً الى حسن الموقع الجغرافي الحاوي على ممالك دولتنا العلية ذات الاراضي الخصبة والاهالي ذوي الاستعداد والقابلية ولهذا راينا من المهم وضع قوانين جديدة مؤسسة على القواعد الشرعية المشيدة واعتمدنا في وضع ذلك على العناية الربانية متوسلين بحرمة سيد البرية صلى الله عليه وسلم ومدار القوانين المشار اليها على وجوب حفظ النفس والعرض والمال وعلى بيان المرجع في تعيين الاداء وطلب العساكر اللازمة اما وجوب حفظ النفس والعرض فلكونهما اعز الامور الدنيوية فاذا خشي الانسان عليهما اضطر الى التشبث بما يرى نجاته فيه وقد لا يكون ممن كان وان لم يكن في اصل فطرته مجبولاً على الخيانة ولا يخفى ان ذلك مما يضر بالدولة والمملكة بخلاف ما اذا كان آمناً

على نفسه وعرضه فيكون بالضرورة لا يحيد عن طريق الصدق والاستقامة ويصرف الهمة الى حسن
الخدمة لدولته وملته وما المال فهو من بعد الامن عليه لا يتأتى له القيام بحقوق دولته
اذ لا يخلو دائماً من شغل بال واضطراب حال بخلاف ما اذا كان آمناً على ماله فانه يسعى
بنفسه ويعتني في دينه ودنياه وينظر في توسيع دائرة معارفه وعيشته وبذلك يتمكن من
قلبه حب الوطن وتشتد غيرته عليه وعلى دولته ويكون سعيه على حسب ذلك واما تعيين
الاداءة فالمرجع فيه ان كل دولة تحتاج في حفظ ممالكها الى القوة العسكرية كما تحتاج في
ضبط تصرفاتها الى مصاريف لازمة ولا بد لها من مال وهو من قبل يحسب احتياجها
وانما يتحصل ذلك بما يصرف على ... فمن المهم ان يوضع للاداءة المشار اليه
طريقة منتظمة وذلك بان لا تستند الا دون ... والحمد لله على ذلك لكن
ظهرت آثاره من الاختلال والخراب ... لان حصر زمام مصالح مملكة السياسية
وامورها المالية بيد شخص واحد موكولة الى اختياره بل لا مانع من ان يقال موكولة الى
قهره وجبره تسبب عنه ما ذكر خصوصاً اذا لم يكن ذلك الشخص من اهل الخير والديانة
وآثر منفعته على منفعة الغير ويكون تصرفه مبنياً على الظلم والضير فوجب لذلك ان
يبادر بترتيب معيار مضبوط يعتبر في توزيع الاداءة على الاهالي مرعى فيه قدر المكاسب
واليسار بحيث لا يؤخذ من احد ما فوق مقدوره وبعد ان يخص المصاريف للدولة
اللازمة للعساكر وغيرها بحد محدود مقرر بين لا تتعداها وما خلا العساكر ايضاً من اهم
ما يتوقف عليه حفظ الدين والوطن ويترتب عليه فيلزم للاهالي ان يقدموا اشخاصاً منهم
للخدمة العسكرية لكن الطريقة الجارية في ذلك الى الآن مع ما فيها من عدم الانتظام
تؤدي الى اختلال اصول الزراعة والتجارة وفي قلة التناسل فيقع النقص في الاموال
والانفس والثمرات ومن ذلك عدم اعتبار عدد النفوس الموجودة ببلدان المملكة
فيؤخذ من بعضها اكثر من المقدور ومن بعضها اقل من الميسور واستمرار الجندي في
الخدمة العسكرية مدة حياته وبذلك تقل الانفس ويختص الضجر الذي يفوت الخدمة
المذكورة فبناء على ذلك نرى من اللازم اذ مست الحاجة لاخذ العسكر من الممالك ان
يوضع لذلك اصول مخصوصة جارية على منهج المساواة المطلوبة ثم يسلك في الاستخدام
العسكري طريقة مساوية بحيث لا يبقى الشخص في الخدمة المذكورة اكثر من خمسة
اعوام مثلاً فبهذه الاصول التي عليها مدار القوانين والتنظيمات يحصل بعونة الله تعالى
العمران والقوة والامن وايضاً فبذلك تحول يلزم من الآن فصاعداً ان لا يعامل احد

من ارباب الجرائم و الجنايات مما يفضي الى اتلاف نفسه من سم ونحوه بدون مبالاة بل لا يحكم عليهم الا بما تقتضيه القوانين الشرعية وان لا يتسلط احد على الوقوع في عرض آخر وهتك حرمته وان يتصرف كل منا في امواله و املاكه بغاية الحرية وعدم المعارضة وان من جنى جناية لا يحرم ورثته من حقوقهم ولا يجوز الاستيلاء على امواله بالجناية التي هم براء منها وهذه المعاهدة ما جارية في حق المسلمين وغيرهم من ملل التابعين لسلطنتنا بدون استثناء احد منهم ولاقامة الامور وتعميم الاحكام [illegible] العدلية قدرما يلزم للنظر في سائر اللوازم ونصها مما يتفق عليه الاكثر وعلى وكلاء دولتنا العلية ان يحضروا مجلس المذكور في بعض الايام ويبدي كل واحد منهم بخصوصه دون تحاش ولا مداراة وما معروضة في شأن التنظيمات العسكرية فانها تكون بدار شورى العسكرية بحضور السر عسكر وكل ما يستقر عليه الرأي من القوانين يعرض علينا لوضعه بالخط الهمايوني ويكون دستور العمل [illegible] وحيث كان وضع القوانين الشرعية المشار اليها هو لاحياء الدين و الدولة والملة نعقد ذلك العهد و الميثاق من طرف الملكي على ان لا يصدر منا شيء يخالفها واقسم على ذلك في بيت الخرقة الشريفة بحضور جميع العلماء والوكلاء ويحلف كل منهم على ذلك فاذا صدر بعد ذلك من احد الوزراء والعلماء ما يخالف تلك القوانين الشرعية فانه يجري بتأديب المناسب لجريمته الدنيئة بدون التفات لرتبته ولا مراعاة لخاطره وحيث ان مأموري الدولة لهم مرتبات كافية ومن ليس له ذلك الآن سيرتب له ما يكفيه وحيث ان التعدي قطع مواد الرشوة مستقبحة طبعا وشرعا بوضع قانون يخص عقوبتها ولاستيفاء التنظيمات المشار اليها والاصول المنبنية التي عليها مغيرة للعوائد الجورية القديمة وحيث ان نشر هذه الاوراق استطلاعية الى سفراء الدول المتحابة مخبرين بالاصول المهمة ليكونوا شاهدين على اعتمادها كما نشرها في اهالي الاستانه وسائر ممالك المحروسة فمن سعى في حل عرى هذه القوانين الموضوعة على اساس شرعي متين فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ولا ينال فلاحا الى يوم الدين ونسأل الله تعالى ان يوفق الاجراء بعد خير الختام آمين". اه

ثم ان الجهلاء واصحاب الاغراض خصوصا من المنتسبين للعلم و من اهل السياسة كادوا ان يحدثوا تحريكا في الممالك باشاعة ان التنظيمات تضاد الديانة الاسلامية فاضطر المرحوم السلطان عبد المجيد ان يجمعهم وهم من الاكابر بارسال شيخ الاسلام احمد عارف الى منازلهم فقام فيهم خطيبا يشرح ان الشرع المحمدي لا يخالف التنظيمات بل

يقتضيها ولما كان هذا العالم معروفاً بالرسوخ في العلم والورع انقادت العامة لمواعظه اما ذوو الغايات الخصوصية من ذوي الرياسات فلم يألوا جهداً في تعطيل اجراء التنظيمات بالفعل الى ان وجدت اروسيا سبيلاً الى مد حدها سنة ١٢٧٠ فاضطرت الدولة العلية الى حربها المعروفة بحرب القريم وظاهرها كل من دولتي فرنسا وانكلترة وسردينيا حيث توجه نامق باشا الى فرنسا واتفق على [illegible] الامبراطور نابليون الثالث [illegible] ودروان دولويس ان عرض الغرض من تعاون اروسيا لا تأمن بوائقه الدول الغربية لان اروسيا لا سمح الله لو تسلطت على الاستانة [illegible] او مصر لتمكنت التسلط على البحر المتوسط وحرمت تجارة [illegible] الممالك الشرقية من [illegible] الغربية وايضاً تحصل على النفوذ السياسي الذي تحصل به للدول الغربية [illegible] من يستولي عليها وحيث كانت فرنسا مباشرة رئاسة الحرب في جمهور لا يسوغ لها اغضاء النظر عن هذه الحادث وترك الدولة العلية منفردة مع خصمها الالد [illegible] كانت الحوة الفرنسوية في الامبراطور [illegible] معاضدة الدولة العلية [illegible] من انكلترا بمعاضدتها ومعاضدتها لما وصل الى [illegible] حتى وجد العموم في [illegible] وكادوا ان يحملوه على الاعناق [illegible] وحماية الدمار فلم تمت الحرب [illegible] حتى [illegible] فرنسا وانكلترا [illegible] اليها دولة سردينيا [illegible] الدول العظام وتمت الحرب واستقرت [illegible] على شروط معاهدة باريس ومضمونها [illegible] في جميع [illegible] سائر تصرفاتها الداخلية التي [illegible] على خلاف [illegible] الممالك التي لها استقلال في ادارتها وهم من النصارى كالصرب والجبل الاسود والافلاق والبغدان فتبقى ممتازة [illegible] تحت حمايتها و[illegible] البحر الاسود فيكون محايداً حتى لا يسوغ لاحدى الدولتين [illegible] سوى عدد يسير [illegible] وكذلك نهر الطونة يكون نهراً تجارياً فقط تحت مناظرة جمعية اوروباوية [illegible] الدولة العلية من [illegible] اروسيا [illegible] ووجدت في سلك الدول الاوروباوية العظام وتمكنت [illegible] لم يزل بعض المتوطنين في [illegible] على السيرة الاستبدادية والعدو منهم بالمرصاد [illegible] جمعيات سرية في [illegible] الى الولايات العثمانية التي على

سكانها نصارى والقوا دسائسهم لتهييج الثورات والفتن والعداوة بين الراعي والرعية هذه
وسعي الروسيا في معاهدة خاصة بجعل وجه التودد من روسيا ولا تسمح للدولة بصائحه
للدولة للطماع من استعداد من رجال الاستعداد الكبيرة لاستعداديه التي في صيدة
الروسيا تكون على شرط التسليم في الولايات التي كانت مستقلة وبذلك تعقد دولة
روسيا مع الدولة العلية معاهدة على ذلك ولاقدام وتعوضها عما صدر من تلك صلاحية
عوضاً عن يخرج من عدده وقدرتها بناء على الخط من ديونها الى المقدار
الذي تطورها ورثت هذه الوساوس وامست الدولة العلية بعدم اقتدارها على دفع
فائدة ديونها حتى اغتاظت منها سكان اوربا واستعمل الاهالي في شأن تلك الجمعيات
الحربية حتى ثارت ولايتا بوسنه وهرسك ثم العساكر حين الاسود ثم الصرب وقد رأى
رجال الدولة الصادقين خطئ تنظيم [illegible] الباطنة التي اس القصد منها لا
صدق الدولة بعدها وحملها في قيمة عددها وايرادها عن الدول الناصحة لها مع انها
استقرضت من رعاياهم منذ سنة ١٢٧ نحو خمسة الاف مليون فرنك ولم يحصل منها
ومن مداخيل الدولة التي هي نحو عشرين مليون ليرة في السنة على نحو ثلاث سنين التي
هي نصف وعشرون سنة [illegible] بعد لأمانة النقود الذي قراءة الصدر الاعظم
بحضور السلطان عبد العزيز في الباب العالي وهذه [illegible] قد تحقق جميع الوسائل
اللازمة للاصلاح شأن المحاكم الحكمية واشكال تعميمها وترتيب خدمتها على اعدل وجه
ممكن حتى ينال جميع رعايا الدولة منها عناية [illegible] من حسن المعاملة والانصاف من غير
مراعاة جنسية ولا مذهب وانه بذل جهده في اصلاح قوى الدولة وتقسيمها على
ما يعادل تقسيمات الدول الاخرى [illegible] العساكر مع الرديف نحو الآن ثمانمائة الف
نفر مجهزة [illegible] التام ومصحوبة تماماً [illegible] منسقة حسب الاختراعات الجديدة
وان الاسطول [illegible] صلاحها غاية الاعتناء حتى اصبحت الدونانمة العثمانية الآن عددها منها
ما يجعلها ممتازة للدول البحرية الكبرى وانه في تجربة السعي مشروع الآن في انشائها في
الترسانة العامرة يكون للدولة من امرها [illegible] للمدرعة والمونيتور وهي [illegible] ذات ابراج (
ستة عشر فلكاً وانه [illegible] لاوامر اللازمة تحصين سائر حدود السلطنة بالابراج والحصون
حسبما تقتضيه ضروريات الوقت وانه جهز ترسانات الدولة بالادوات والمكينات
والمهمات اللازمة حتى صارت [illegible] تستطيع ان تجري ترساناتنا في انشاء السفن
الحربية و صلاحها وانه يجري [illegible] المصنع الجديد الذي شرع في انشائه

منذ مدة في الطونجانة وهو مصنع يستطيع ان يصب ثلاثمائة مدفع في كل عام من أحسن
مدافع شنيدر والخاتمة لان بمساعدة وزير المعارف وقرنائه الوزراء الاخر موجهة
الى تكثير عدد المكاتب والمدارس توفيراً لاسباب التعليم وترتيبها على وجه يمكن سائر
الناس الانتفاع بها لانتاج المطلوب ومن الاعمال المتعلقة بالسكك الحديدية والطرق
المعدة لسير العجلات وانه لاهتمام بها من غير انقطاع ولا توان وان في .. من اغسطس
الآتي تكون سكة الحديد المشروع في انشائها بين اسكودار وازميد ومن الخزانة لا يزال
موجهاً اليها كل ما تستحقه من عظيم اعتنائه وهمته وتزيد يوماً من التسهيلات سائر ما
تحتاج اليه منها دوام اعداد الادوات والآلات اللازمة لها على اختلاف انواعها من
اذن رسوم الكمرك على الاطلاق في سائر اقاليم السلطنة وهذا كله زيادة ترغيب الناس
في الاشتغال بها حالة كونها في اعظم ينابيع الثروة في الملك وختم الصدر الاعظم تقريره
بقوله ان مالية الدولة باقية على ما كانت عليه . هذا وبعض التقرير لم يكن في الخارج
سوق ما ذكر وهذا تعلق الامر فيما بعد بان استندت رجال السياسة والعساكر الى
فتوى من شيخ الاسلام في انحلال فكر سلطان واولوا السلطان مراداً وحيث كان ضعيف
المزاج وترجح بكونه ولابنه وموت عمه وثورة على الوزراء من بعض المسلمين لم يطق
تحمل عبء الخلافة واستند اهل الحل والعقد الى فتوى ايضاً وولوا سلطاننا عبد الحميد
ايده الله بمعاونة من الادارة باحسن الخط الهمايوني عند تقلده الامة وهذا تعريبه
" انه لما اعتزل حضرة الاكرم حضرة السلطان مراد الخامس عن مشاغل السلطنة والخلافة
ووقع منها جلسنا بموجب القانون الشرعي على تخت اجدادنا العظام وقد وجهنا لعهدتكم
مسند الصدارة العظمى ورياسة مجلس الوكلاء ثقة وتجديداً بناء على ما لدانكم من
الروية السليمة والخبرة الخبيرة وما لكم من الوقوف والاطلاع على مهم امور الدولة
وكذلك ابقينا جميع الوكلاء على مناصبهم واني شديد الاتكال في جميع الاحوال على
تسهيلات حضرة موفق الامور هو الله سبحانه وتعالى) وتوفيقاته الصمدانية وقصارى آمالي
ومنتهى قصدي معطوفة بالحصر لتشييد اساس شوكة دولتنا ومكنتها بحيث تنال صنوف تبعتنا
بالاستفادة الحرية وشمول حمية نعمة العدالة والرفاهية واني ثقة تامة ان جميع وكلاء
دولتنا وعمالها يشاركوننا في هذا الاثر ويصدقوننا عليه وقد عرف الناس اجمع ما حال
الحرب والاغتشاش التي تم نشأتها اخبار واسباب متنوعة وصور واشكال متعددة فاذا
امعن النظر في ذلك من اي جهة كانت تجمع مبادئه واساسه في نقطة واحدة وهي عدم

جريان القوانين والنظامات المؤسسة على الاحكام الجليلة الشرعية التي هي المستند
الاساسي في دولتنا العلية حقها وتمامها واتباع كل فرد افراد تبعتنا في ادارة الامور مما
اتساع ميدان عدم الانتظام الطارئ على ادارة دولتنا ملكاً ومالاً وما حصلت عليه
امور ماليتنا من عدم الامنية في الافكار العمومية وتعذر وصول الممالك الى الدرجة
المتكفلة بتأمين حقوق الناس وتأخر استفادة مملكتنا حالة كونها قابلة لانواع وسائل
العمران كالحرف والصنائع والتجارة والزراعة كما هو معلوم فهو من عدم الثبات الذي وقع
على كل ما شرع به من الاجراءات وكل ما حصل من التشبثات الصادرة عن نية خالصة
بقصد اعمار مملكتنا ورفاهية حال رعايانا وتبعتنا وسعادة حالهم ومآلهم بدون استثناء
الحرية الشخصية وكون ذلك بالجميع صار عرضة لتغييرات متنوعة بعث تبدل المقصد
الاصلي ولا ريب في انه تولد ونشأ عن عدم الثبات باتباع القانون والنظام ولما كان من
اهم ما يلزم من التدابير الواجب وضعها اولاً واولاً في مطلب قوانين المملكة المقتضي
وضعها وتطبيقها في صورة تكفل بأمنية العموم وتفهيم ينبغي ان يبتدأ بها من هذه النقطة
المهمة وهي ان يترتب مجلس عمومي تكون اعضاؤه وزراء مستوجبة لثقة العموم واعتمادهم
ويكون موافقاً لتربية مملكتنا واخلاق اهليها كافلاً لعدم تأمين اجراء القوانين حرفاً
بحرف ولما كانت القوانين الموجودة والتي ستؤسس من الآن فصاعداً توفيقاً وموافقة
لاحكام الشرع الشريف مقدسة ولما هو محافظته ضروري ومشروع مملكتنا ودولتنا
وناصراً في موازنة واردات الدولة ومصارفها فيبحث الوكلاء في هذا المجلس
ويتذاكروا فيه بتدقيق وتأمين ويعرضوا قرارهم لدينا ويستأذنوا عنه ثم لما كانت مسألة
توديع المأموريات الى غير اهلها من المأمورين وتبديلاتهم المتوالية من غير سبب مشروع
هي من جملة الامور الباعثة على ايقاع جريان القوانين والنظامات كما ينبغي في حيز
الاشكال وهذا مما يأتي بكدر الحضرة ملكاً ومصلحة فينبغي ان يتعين من الآن فصاعداً
مسلك مخصوص لكل نوع من الخدم والمأموريات وتتخذ قاعدة ثابتة يستخدم بمقتضاها
في كل عمل من يكون اهلاً له ولا يعزل احد او يبدل من مأموريته الا بموجب على وجه
ان تكون كافة الوكلاء ومأموري الدولة كباراً وصغاراً مسئولين عن الوظائف الموكولة
لهم كل بحسب درجته وكما هو معلوم لدى المحققين ان ترقيات ملل اوروبا المادية والمعنوية
انما هي حاصلة بقوة الفنون والمعارف ولما كان مستعداً كافة صنوف تبعتنا وما فطروا
عليه من الذكاء والحمد لله بوصولهم من كل وجه للترقيات وهم ما لدينا من الامور

الاسرع بتعميم المعارف فاحص ما تقدم والحالة هذه ان يحصل الاجتهاد بالابلاغ تخصيصات المعارف الى الدرجة الكافية حسب يساعد الامكان وان تستحصل الوسائل الموصلة لتعميم نشر صنوف المعارف على الدوام ويبادر عاجلاً للاصلاح الاصول الملكية والمالية والسعيد في الولايات بحيث توضع ضمن دائرة الانتظام في صورة مماسة للقاعدة التي تتخذ في المركز وحيث ان الحادثة التي ظهرت في العام الماضي في اطراف هرسك وبوسنة باغراء ارباب الاغراض قد تمم لها ايضاً مسئلة عصيان الصرب والدم المهرق من الطرفين انما هو دم اولاد وطن واحد وكل دوام هذه الحال التي يرثى لها موجب لكدرنا وتأثرنا الشديد يدوم الشعب بالتدبير المؤثرة بعينه لاستئصالها وفيما نؤيد مجدداً كافة احكام المعاهدات المنعقدة مع الدول المتحابة نؤثر رعايتها على الوجه الحسن فينبغي المثابرة بالاجتهاد على ازدياد روابط الحب والمسالمة الدائمين بيننا وبين الدول ونسئل حضرة الرب المتعال ان يقرن مساعينا جميعاً بتوفيقه واسعافه في كافة الاحوال آمين · يوم الاحد في ٢٢ شوال سنة ١٢٩٣ ·

ثم اخمد الحرم في الثورة وقهر جميع العصاة في سائر الانحاء وعندما رأت الروسيا تلاشي الوسائل التي اعدتها لم تفلح صبراً حتى جيشت الجيوش ووقفت على قدم الحرب مدعوى ان تعهدات الدولة العلية في حق النصارى لم تجر وانهم لا زالوا في الظلم من الولاة والتعدي من المسلمين وان تعهدها الجديدة الموافقة للائحة الكونت اندراسي وزير النمسا التي قدمها على وجه المودة والنصح ومساعدة الدولة العلية للاصلاحات المطلوبة للولايات الثائرة هي غير كافية ولم ترضهم فتريد اذاً الدولة الروسية ان تطلب الاستقلال في الادارة لتلك الولايات على ان تكون تحت حمايتها وانها تنفذ هذا بقوة السلاح ولولا ان انكلترا حاشت في حلقها وصرحت ما عدا ما كانت تمد الثائرين حساً ومعنى بانها ان لم تكف عن هذا الحرب السري فانها تدخل معها في الحرب الجهري وكذلك دولة النمسا ظهرت تحرش من جهتها خوفاً من كل منهما على مصالحهم اذ دولة الانكليز تخاف من تملك الروسيا الخليج فارس وخليج السويس وبذلك تسقط من يدها مستعمراتها في الهند ودولة النمسا تخشى من كف الصقالبة بجوارها فيطيرون عنها وتتلاشى فيما بينهم مع سابقية التآلف بين الفريقين والمكاريين الذين هم قسم مستقل من مملكة النمسا حتى ان رئيس الدولة يلقب بامبراطور النمسا وملك هنكاريا وهذا التآلف جاء من مساعدة الفريقين بعد ما كان قديم النمسا قاهراً لهنكاريا ومستبداً عليها في التصرفات السياسية غير

انه مع كل من الدولتين مانع من انفاذ قصدها بالفعل وما دولة انكلترة فمع انها كانت
دولة حربية محضة لم يكن في قدرتها التصرف الا على طبق ارادة الامة وامتها منقسمة الى
حزبين احدهما يسمى حزب المحافظين والثاني يسمى حزب الاحرار وتقدم بسط هذه النسبة
في الكلام على انكلترا وكان الحزب الثاني مضادًا لانتصار دولتها للدولة العلية حتى انه لما كان
بيده زمام التصرف في سنة ١٢٨٨ وانتهزت الروسيا الفرصة من حرب جرمانيا وفرنسا
وطلبت تغيير معاهدة باريس فيما يتعلق بتقوية شأنها في البحر الاسود ساعدت اذ ذاك
دولة انكلترا على ذلك المطلب وغير شرطة وفي هاتيه المادة لتتكلم عنها كان التصرف
بيد حزب المحافظين لكن حزب الاحرار عدد لم وكاد ان يجذب اليه الحزب الآخر فلم
يكن في وسع زعماء هذا الحزب الذي بيده زمام تصرف الدولة ان يخالفوهم بالمرة سيما
والباعث على ابعاد سياستهم مع المحافظة لم يحصل في هذه الآن انه كان بتقوية النصير واضعف
من ذلك عدم تحقق تحالف ذي قوة برية معتبرة يمكن لانكلترا ان تتحد معه للانتصار
للدولة العلية لان فرنسا الوحيدة مثل ذلك لم يكن في وسعها الدخول في الحرب لما تقدم
في الفصل الثالث من المقصد في الكلام على فرنسا وهذا السبب المتعلق بفرنسا
هو الذي يكف دولة النمسا عن انفاذ قصد العسكريين في مساعدة الدولة العلية
حيث ان الموازنة الاوروباوية تغيرت وتحالف الامبراطورة الثلاثة اي امبراطور المانيا
والروسيا والنمسا صار حقيقة ومن حكم على مساعدة عدوهم وتعهم كما بينته الحوادث اللاحقة
احوذب بمنامة المسار اليه عنيه . متصاعفة كل من انكلترا والنمسا لكبح الروسيا ان
عقدوا مؤتمرًا في لاستانة لاتفاق ما بين الدول الموقعين على معاهدة باريس على ما
يصلح به الحال ويرجع السلم بين الدولتين المتحاربتين فارسى امرهم فيه على ان طلبوا من
الدولة العلية ما يأتي

اولًا تغيير حدود الجبل الاسود باعطائه بعض اراضي من مملكة العثمانية . ثانيًا تشكيل
لجنة من مرخصي الدول الاوروباوية بتعيين تلك الحدود الجديدة . ثالثًا ابقاء حكومة الصرب
على الحالة السابقة بان تكون لا لها ولا عليها وتتقرر حدودها من جهة بوسنة عملًا بمقتضى
الخط السلطاني الصادر سنة ١٢٣٢ . رابعًا الولاة الذين يتعينون في بوسنة وهرسك
والبلغار ينتخبون من جانب الباب العالي مع موافقة دول اوروبا في ذلك وابقائهم في
مأمورياتهم مدة خمس سنين . خامسًا نظرًا الى الموقع الجغرافي تقسيم تلك الولايات الى
لوية ويتعين لها متصرفون من جانب الباب العالي بعد انتخاب اولئك الولاة لهم . سادسًا

ثالثاً مجلس مركب من ثلاثة اعضاء لكل من الولايات تنتخبهم مجالس الولايات لتحرير دخل الولاية وخرجها وتعيين اعضاء مجلس الادارة وتوزيع الضرائب السلطانية على الاهالي ما عدا رسوم الكمرك والدخان الراجعة للدولة العلية . سابعاً ابطال طريقة الالتزام مدخول الدولة وسقاط البدل ... لكل من الولايات الثلاث . ثامناً دخل الولايات المذكورة عدا ما هو راجع للدولة كالدخان والكمرك يعطى منه قسط للخزينة للدولة العلية والقسم الباقي يصرف في مصالح الولايات المذكورة ويعطى لكل منها دستور العمل بذلك . تاسعاً ترتيب المحاكم المدنية . عاشراً اعطاء حرية الاديان . حادي عشر تنظيم الجندي الاهلي . ثاني عشر العفو العمومي ... من الحوادث السياسية . ثالث عشر اعطاء رخصة الاهالي في شراء ... رابع عشر الشروع في تنفيذ تلك الشروط في مضي ثلاثة اشهر . خامس عشر تعيين ... من طرف دول اوربا للاحتساب على جريان تلك الشروط ... الدولة العلية ... من دول الافرنج المذكورة ... صدرت ... حرية ... رعاياها على السواء ... القانون الاساسي الذي احاط به ... السلطان الغازي عبد الحميد ايد الله ملكه وقد ... الاسرة ... في الفرمان الذي صدر ... العامة واوردوه للعمل بالقانون ... كان ... في ... و ... الشريف لاتي نص ... في موكب مشهود ... في يوم كانه يوم عيد وهو

" وزيري سمير المعالي مدحت باشا

" ... السلطنة كانت في ... في الايام السالفة واسباب ذلك ... لم يكن ... على ... فقط ... وقعت ... عن الطريقة المستقيمة في الادارة ... حتى ... وتوفي ... ولذلك كان المرحوم والدنا السلطان عبد الحميد ... في ... الادارة ... بالتنظيمات الخيرية اشتملت على تأمين جميع ... في ... واموالهم وعرضهم وشرفهم طبق القواعد الشريفة المطهرة والتنظيمات المذكورة هي التي كانت ... على ... الى الآن ومن آثارها المذكورة ... في ... هذا القانون الجديد الذي اقتضته ... دولتنا التي ... حيث ... تلك ... وقد تيسر لنا في هذا اليوم الاعلان ... الايام السعيدة ... المقدس المرحوم ... الدولة وان ...

مقاصده الحسنة ولا شك انه كان سعى سعيه في ادخال السلطنة في العهد القانوني
الذي نستظل به الان ولو توفرت مدة تأسيس التشبث خيرية الاسباب المتوفرة
لان لكان ولذا المرحوم اسس اذ ذاك احكام هذا القانون الاساسي ولكن العزة
الالهية قدرت ان يكون هذا التبديل السعيد الذي هو الكفالة العظمى لخير رعايانا في
مدة ولايتنا ولله المنة على ذلك. ومن المعلوم المقرر ان اصول ادارة الدولة صارت مغايرة
للتبديلات المتتابعة التي وقعت شيئا فشيئا في تصرفاتنا الداخلية وفي زيادة علاقتنا مع
الدول الاجانب ورعاية مرعوا ازالة جميع الاسباب المانعة للامة وللبلاد من الانتفاع
بالنتائج الطبيعية التي لم تحق فيها كما يلزم وان نرى جميع رعايانا قد حازوا الحقوق
التي من عوائد الامم المتمدنة بحيث يكون كلهم مستعدين سوية حالة في التقدم والالفة
والاتحاد فكان من الواجب اتخاذ طريقة تامة مستقيمة للحصول على القصد المذكور ووقاية
حقوق الدولة ومحو تحكمات واستبدادات الناجمة من الاعراض الغير المانعة الناشئة من
وجوه التصرف الاستبدادي بيد امر واحد او بعض انفار وان تمنح حقوقا متساوية
لجميع الطوائف المتركبة منهم الامة وان يجعلهم في حالة يمكنهم معها الانتفاع بخير الحرية
والعدل والتسوية ولا فرق بينهم في ذلك وهذا هو الوجه الوحيد لاتصاح حماية جميع المصالح
وصياناتها وهذه القواعد لكافة تحت وجوب عمل آخر مفيد للغاية وهو وجوب تقييد اساس
ادارتنا بصورة شورية قانونية ولذلك لما اصدرنا خطا عند صعودنا على كرسي السلطنة
قررنا لزوم احداث مجلس للامة (وهو الاعيان والمبعوثان) وقد اشتغلت جمعية خصوصية متشكلة من
رجال دولتنا واهل العلم والمتوظفين الاعيان في تأسيس اصول هذا القانون بغاية التدقيق ثم
وقع التأمل فيها بمجلس وكلائنا والموافقة عليها وهذا القانون مشتمل على اثبات الحقوق الراجعة
للذات السلطانية وحرية جميع رعايانا وتعيين السياسية والعرفية وتسويتهم لدى الاحكام
الشرعية والعرفية ايضا وبيان مسئولية الوزراء والمتوظفين ومتعلقات وظيفتهم وحق مجلس
الامة في الاحتساب على اعمالهم واستقلال المحاكم الحكمية في خدمتها والمعادلة بين دخل
الدولة وخرجها معادلة حقيقية وقسمة التصرفات الحكمية بالاوطان مع بقاء المركز لاعلى
فيها للدولة وجميع هذه الاصول مطابقة لاحكام الشريعة المطهرة ولضروريات الوقت
ولمرعوسا فاذلك النية الحسنة التي شانها تحقيق خير الجميع حيث ان ذلك غاية المراد وقد
جعلت اتكالي على الله وعلى امداد رسوله في ذلك واسطت لمهدتهم هذا القانون بعد ان
وافقت عليه بامضائي السلطاني ويقع العمل به حالا بحول الله في جميع جهات السلطنة

فلان ارادتنا انكم تعلنوا بهذا القانون وتجروا العمل بمقتضاه من هذا اليوم كما يجب عليكم ايضاً اتخاذ جميع الوسائل اللازمة المتاكدة للاشتغال في تهيئة الترتيب التي تضمن ذكرها القانون المذكور ولله تعالى المسئول ان يقارن بالنجاح سعي كل من اشتغل بما يؤول الى نجاة السلطنة والامة وكتب في ٧ ذي الحجة الحرام سنة ١٢٩٣ ".

عبر اعضاء المؤتمر لم يقنعهم ذلك وساروا جميعاً من الاستانة دفعة واحدة مظهرين الصدية للدولة العلية والدولة لم تكترث بذلك حيث ان ما فعلته من الرفض لمطلبهم كان عن رأي الامة لانها عقدت محفلاً عاماً من جميع وجوه اصناف رعيتها حتى انه حضره المعروف بالدوزيه ولد باشا امير الامراء (الفريق) رستم باشا وزير الحربية اذ ذاك في المملكة التونسية حيث كان رسولاً عن اميرها في تهنئة حضرة السلطان بالولاية واجمع جميع اولئك الاعيان على اختلاف دياناتهم على رفض تلك المطالب حتى ان النصارى واليهود منهم قالوا نؤثر ان تراق آخر نقطة من دمائنا ونصرف آخر درهم من اموالنا على حفظ شرف مملكتنا من الاهانة بالتجزئة وان كان هذا لم يبدو في نفس حقيقة الامر لبعض دون البعض هذا بعد ان كان عرف جميعهم الرجل الوحيد مدحت باشا صاحب الصدارة اذ ذاك بعواقب الاعراض عن الدول واحتمال تعصبهم جميعاً كي ينصروا امام حقيقة ضميرهم فلم يتزحزحوا شيئاً فامضى السلطان ووزيره هذا الرفض ولله درهم من رجال اذ لم يسع سائر الامم الا انصافهم والاذعان بان لهم الحق في رفض ذلك الاقتراح الى ان اللورد سالسبوري اشد المتعصبين في المؤتمر قال عند ما استقر بمجلس وزراء في انكلترا لقد انصف القوم في رفضهم المطالب ثم ان الخصم لم يرد تذللا وعلى بان للدولة العلية اهانت اوروبا لكي يجوز حقوقه في اشهار الحرب بيد ان انكلترا مع ذلك لم تسمح له بما اراد وبحث على المال للدولة العلية واجتمع سفراء الدول في انكلترا واستقر امرهم على لائحة هذا نص تعريبها

" ان الدول التي تعاطت عموماً اسباب سلم المشرق واشتركت هذا القصود في مؤتمر الاستانة قد رأت ان الطريقة الوحيدة في بلوغ المقصد الذي اعتمدت عليه في المحافظة على التوافق الذي وقع من حسن الحظ بينهم ومع ذلك يجددون تقرير امر بعينهم وهو من مصالح العموم في تحسين حالة امم النصارى بالممالك العثمانية واجراء الاصلاحات في بوسنه وهرسك والبلغار حسبما قبله الباب العالي على ان يجريها من عند نفسه وبذلك اعتبر عقد الصلح مع الصرب صحة اما ما يتعلق بالجبل الاسود فان الدول تعتبر عقد الصلح معه مرام مرعوباً فيه ولا بد له من توطيد بوقع تعديل الحدود وتعطى حرية الجولان في

من الدولة لان الدول تعتبر بأن [illegible] التي [illegible] و [illegible] بين الباب العالي و [illegible] بين الولايتين كلما تقدمت خطوة في السكون الذي [illegible] الى [illegible] [illegible] يستدعون الباب العالي لتوكيده [illegible] لعساكره على قدم السلم ولا يبقى منها الا [illegible] عدد انه أكثر الازمة لتقرير الراحة ويبادر الى اجراء الاصلاحات اللازمة [illegible] الولايات في قرب وقت حتى يقع ما [illegible] به المؤتمر وقرروا [illegible] الباب العالي [illegible] الى اجراء القسم الاعظم من تلك الاصلاحات [illegible] مؤرخ في ١٣ [illegible] سنة ١٨٧٦ وهما ورقة [illegible] في المؤتمر [illegible] وذلك [illegible] وكلاء [illegible] وقد كان [illegible] الدول [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] من الباب العالي [illegible] [illegible] [illegible] تحسين حال النصارى [illegible] [illegible] من الامور الضرورية لراحة [illegible] [illegible] [illegible] في ذلك [illegible] على [illegible] التعلقات [illegible] [illegible] [illegible] واسطة وكلائهم في [illegible] [illegible] [illegible] تحسين حال النصارى [illegible] [illegible] التي تضطرب بها دائماً راحة المشرق [illegible] [illegible] من هذا الحادث لا يوافق مصالحهم ومصالح [illegible] [illegible] الدول [illegible] ما يرونه عموماً من الطرق التي [illegible] [illegible] لامن النصارى ومصالح السلم عموماً ،

وكتب في لندرة في ٣١ مارس سنة ١٨٧٧ *

وارسلوها للدولة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في مطابقة ما كان صدر من الفرمان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من الدول [illegible] اجراء الاصلاح حقيقة مقصوداً لا [illegible] [illegible] [illegible] مارس المصرحة [illegible] [illegible] الدولة العلية في [illegible] لكنها [illegible] مصرحة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الدول لها [illegible] [illegible] شرطاً في معاهدتهم [illegible] يكون لهم حق في طلب اجرائها [illegible] يطلبون اجراء سائر شروط المعاهدة [illegible] في ذلك [illegible] لكن باب ارتكاب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] دولة الروسيا [illegible] ما [illegible] عن [illegible] [illegible] واذا اضيف [illegible] [illegible] [illegible] الدولة [illegible] كانت نحو تسعين مليوناً من [illegible] وهي [illegible] من الحرب [illegible] [illegible] عشرين [illegible] [illegible] [illegible] الى [illegible]

ممالكها التي يعتنى بها ولا ينسى انه منذ ثلاثة وعشرين سنة فقط قد حاربتها اربع دول معاً وكانت الحرب بينهم سجالاً والدولة العلية لا تشتمل اكثر من اربعين مليوناً منهم خمسة عشر مليوناً اكثرهم معاضد لعدوها بالمال والرجال وانهم لا يعبئون بالمال فضلاً عن الانفس وقد كانت اذ ذاك في حرب اهلية دامت نحو السنتين ولم تتهيأ بكمال الاستعداد لتوهم انتصار الدول لها فاذا هم قد تجردوا عنها وتركوها وخصمها فقامت الحرب على ساق وظهر من صناديد العثمانيين ما هو معروف حتى اقر سائر الاجناس انهم بانهم امة لم ترَ جرأة مثل ما بدا من عسكر البطل الغازي عثمان باشا المشير دولة قائد في بلفنا التي صبر بها حتى عجب في مدة حربه بجيش لا يبلغ الاربعين الفاً جيشاً عرمرما من الروس والرومانيين يجوز المائة والعشرين الفاً وقتل منهم ما ينيف على عدد جيشه ولولا مساعدة القدر وعدم نجاده لما تيسر للروس مجرد حصار جيشه حتى اضطر الى هجوم خرق الحصار في [illegible] من جيشه الذي قدره سبعة وعشرون الفاً فتراكت عليه [illegible] الروس [illegible] وصير للتسليم [illegible] القيصر [illegible] وسلم له سيفه قائلاً له "[illegible]" ورد اليه السيف وكفى بذلك شهادة له [illegible] الروس وتقدمت الى [illegible] نحو القسطنطينية ومنعت من توسط الدول في الصلح حتى [illegible] للدولة العلية منها رأساً وعقد على شروط تضمنتها معاهدة سان استيفانوس وهذا نص تعريبها

شرط اول [illegible] انه توجب [illegible] المربوطة بهذه المعاهدة وتقتضي الشروط والوجوه الآتي ذكرها تقرر تصحيح حدود ممالك الدولة العلية وجبل الاسود وذلك لاجل انهاء المنازعات والمصادمات المتتابعة [illegible] فالحدود تمتد من جبل دوبرودريجه على [illegible] الذي عينه مؤتمر الذي كان حصل في الاستانة الى غوريشو وبيلكه [illegible] تحديد [illegible] عاجقة وعلى حد [illegible] تبقى في تصرف الجبل الاسود وتمتد الحدود بدءاً من مجمع نهر بيوه وتارة وتمر من نهر درين الى جهة الشمال وتنتهي الى مجمع هذا النهر مع النهر المعبر عنه ليم واما حدود الجبل المذكور الشرقية فتبتدئ من نهر ليم الى بحيرة بولرة ومن روستر الى سوق الانسا وبيهور وروسترق [illegible] يكون تحديد الخطوط هكذا اعني من جبال السلسلة الجامعة [illegible] ومن رؤوس جبال قوبريويق [illegible] على ذروة جبال [illegible] ومن هذه النقطة الى

كشب يسقاشيق وينتهي الحد على الخط المستقيم الى عين الماء في جيسي هوتي ويفصل
فيما بين جيسي هوتي وجيسي قاستراتي ويتجاوز ماء اشقودرة الى ان ينتهي لنهر
بويانة وهكذا مع النهر الى مصبه في البحر وبموجب ذلك تبقى نكشيك وعاشقه واشبوزي
وبودغوريجة ورابلياق ومارضي الجبل المذكور وقد يصير تعيين حدود امارة الجبل
قطعياً بمعرفة لجنة مركبة من بعض مأموري دول اوربا بشرط ان تكون وكلاء الباب
العالي والجبل معهم ايضاً فهذه اللجنة تلاحظ منافع الطرفين وامنية البلاد الكائنة في
الجهتين ثم تشير في الخريطة الى التعديلات التي ترى لها لزوماً وتعلم بها في حق وتوضيح
في ذلك ما رأته من صالح الجهتين ثم لا يخفى ان امر سير السفن في نهر بويانة لم يزل
يجلب النزاع فيما بين الباب العالي والجبل الاسود فلاجل قطع هذا النزاع يصير تحرير
نظام ذلك بمعرفة اللجنة المذكورة

الشرط الثاني ان الباب العالي يثبت استقلال امارة الجبل الاسود على الوجه القطعي
ثم فيما يأتي تتقرر فيما بين دولة الروسيا والدولة العلية والامارة المذكورة كيفية المناسبات
التي ستكون بين الباب العالي والجبل وقضية تعيين وكلاء من طرف الامارة في الاستانة
وفيما يقتضيه الحال من ممالكها ويتقرر ايضاً امر اعادة ارباب الجنايات الذين يهربون من
بلاد الدولة العلية الى الجبل ومن الجبل الى بلاد الدولة ومن اطاعة اهل الجبل المقيمين
او المارين في بلاد الدولة العلية وانقيادهم الى نظامات ومأموري الدولة طبق الحقوق
الجارية بين الدول والعادات والمعاملات القديمة التي كانت تجري بحقهم في بلاد الدولة
وستنعقد ايضاً مقاولة فيما بين الباب العالي والجبل الاسود لاجل توضيح وتنظيم المسائل
المتعلقة بالانشاءات العسكرية في قرب الحدود وحول وساسات لاهالي المتجاورة
هناك واذا اختلف الباب العالي مع الجبل في بعض مسائل ولم يمكن فصلها باتفاقهما فتحكم
بينهما دولتا الروسيا واوستريا ومن بعد هذه المعاهدة اذا وقعت مباحثة او مصادمة
فيما بين الباب العالي والجبل من غير المطالب المسكية الجديدة ينبغي ان يفوضا امرها
الى دولتي الروسيا واوستريا وهما باتفاقهما يفصلانها بينهما وقد تقرر انه من بعد امضاء
مقدمات الصلح الى عشرة ايام يجب على عساكر الجبل الاسود ان تخرج من البلاد الغير
الداخلة ضمن الحدود المذكورة اعلاه

الشرط الثالث ان امارة الصرب تكون مستقلة ويكون حدها بموجب الخريطة
المربوطة لهذه قاعدة مجرى نهر درين وتبقى كوجك زوريق و سقار في

ادارة الصرب ويمتد هذا الحد الى منبع نهر «رودوه» الكائن جوار «استابلاق» على
حسب الحدود القديمة وتبتدئ الحدود الجديدة من هنا اعني مع مجرى نهر روده الى نهر
راسقة ومنه الى «يكي بازار» ومن يكي بازار يصعد الخط الفاصل ويمر من جوار قريتي
«مهتره» و«ارغويج» الى اعلى النهر المذكور حتى ينتهي الى منبعه ويمتد الى بوسور
بلاتيا الكائنة في وادي ابار ويحول مع الماء الجاري الذي يصب في النهر المذكور
ومنه يسير مع نهر ايبار وسيدنج ولاب الى منبع نهر باتسه الكائن في حصن غورانا شيحة
بلاتيا وبعدها يمر من التلال الفاصلة بين نهري قرنوه وتربيجة ومن اقصر الطرق
الموجودة على مصب نهر مبو واحقه حتى ينتهي ايضا الى نهر دريغة ويسير مع هذا
النهر ويقطع مبو واحقة وبلاتيا ويصل الى جهة مورووة في قرب قرية قماس ومن
هنا يسير الى قرب قرية اصطفوجي ويجتمع هناك مع نهر ملوسينة وهكذا مع النهر الى
موراوة ويمتد مع النهر الى اعلى حتى يصل الى «قوتشاويجه» ويقطع سوق بلاتينا ويجتمع بنهر
بيساوة ويتصل بقرية قروبجح ومنها يمر من اقصر الطرق ويمتد على حدود الصرب القديمة
الى جنوب شرق «قره ول بور» وعلى هذا الخط يتصل بنهر اطوبه وتقرر اخلاء «اغه
قلعة» وهدمها وترتيب لجنة مركبة من مأموري الدولة العلية والصرب لاجل تعيين
خط الحدود على الوجه القطعي في برهة ثلاثة اشهر ويكون ذلك بمعاونة مأمورين من
طرف دولة الروسيا وهذه اللجنة تفصل ايضا المسائل المتعلقة بجزائر نهر «درين» وتقطعها
وحينما تبتدئ هذه اللجنة بتعيين الحدود الفاصلة بين بلاد الصرب والبلغار ينبغي ان
يكون وكيل واحد من طرف البلغاريين يشترك معهم في هذا الامر

الشرط الرابع ان المسلمين الذين لهم املاك في البلاد التي صار الحاقها بالصرب اذا
لم يريدوا الاقامة هناك فلهم خيار ان احبوا اجروا املاكهم وان احبوا اقاموا وكلاء
من طرفهم لاجل حفظها واستغلالها والمسائل المتعلقة باموالهم الغير المنقولة تفصلها لجنة
مركبة من مأموري الدولة العلية والصرب باعانة مأمورين من طرف دولة الروسيا في ظرف
سنتين وهذه اللجنة تفصل ايضا في برهة ثلاث سنين امر املاك الدولة والاوقاف
والمسائل المتعلقة ببعض الاشخاص الذين لهم علاقة وتمتع في الاملاك المذكورة وذلك يكون
عقب انعقاد المعاهدة بين الدولة العلية والصرب والاناس المقيمون او الذين يجولون في
بلاد الدولة العلية من تبعة الصرب تكون المعاملة معهم على القواعد الكلية تقتضي الحقوق
الكائنة بين الدول وقد تقرر انه من بعد امضاء مقدمات الصلح الى خمسة عشر يوما

يجب على عساكر الصرب ان تخرج من البلاد التي ليست داخلة في ضمن الحدود المذكورة اعلاه

الشرط الخامس . ان الباب العالي قد اثبت استقلال رومانيا على ممتلكتين وهذا ان تطلب من الدولة العلية غرامة الحرب وتجري المذاكرة بهذا الشأن في بينهما وبعد ما تنعقد المعاهدة بين الدولة العلية ورومانيا تنال تبعة رومانيا الامن والامتيازات ثمة دول اوربا

الشرط السادس . تقرر ان تكون البلغار امارة ممتازة في ادارتها تدفع خراجاً معيناً الى الدولة العلية ويكون مأمورو الحكومة والعساكر الاهالي من المسيحيين ويصير تعيين حدودها على الوجه القطعي بمعرفة لجنة مركبة من مأموري الدولة العلية والروسيا وذلك قبل خروج عساكر الروسيا من الروم ايلي وهذه اللجنة تبين في الخريطة التعديلات التي ينبغي اجراؤها وتلاحظ مادة اكثرية الاهالي وتوضح تطبيقية لفن تخطيط الاراضي وعدم تعيين وتبيين مقدار اتساع في خريطة وجهة في قطع الحدود وخط الحدود يبتدئ من حدود الصرب الجديدة ومن غرب «ورانيه» الى سلسلة الجبل الاسود ومن جهة الغرب يمر من غرب «قومانوه» و«قوجاني» و«قاقان دلن» الى جبل «قوارب» ومن هناك يمر من نهر ويتجه الى دريه ويلتفت الى جهة الجنوب الى حدود غرب حتى ينتهي الى جبل الياس ومنه يمر من غربي كوريجه واستوروه ويتصل بجنوب غرموس وكذلك يمر من ماء «دامستره» ويلتصق بنهر موغليجه ويمتد مع النهر «بكيجه» ويمر من نهر «ديكيجه» ومن مصب نهر واردار قريه ... صاري كوي وداك يمر من وسط عين الماء المعروفة ... من مصب نهري ... ومن السواحل الى «بوروكل» ويمتد من شعب الغرب ويمر من سلسلة جبل «رودوب» الى جبل «حانسه» و«شوه» ويمر من ... و«حبلبون» و«فرهقولاس» و«حمطر» الى «نهر ... » ويلتفت لجهة الجنوب ويمر من ... سوكوتلي وقره حمزة و... كوي واوجي واسحه الى «تكه دره سي» ... قرب دريه ومن تكه دره سي و«جورلي دره سي» ... ومن هنا وعن نهر «صوحق دره» ... قرية «سوركن» ومنها من التلال ويقطع «حكيم صابيه سي» حتى يتصل في ساحل البحر الاسود ويبتدئ ... من «سقاليه» ويترك سواحل ويمر من شمال حدود لوا طولجي ومن فوق راسوه الى نهر الطونه

الشرط السابع . ان امير البلغار ينتخب بحرية من طرف الاهالي بالحرية التامة والباب العالي يثبته بانضمام اراء الدول ولا يجوز انتخاب احد من اقارب ملوك دول اوروبا الجالسين على سرير الملك للامارة المذكورة وحين يحصل انحلال الامارة كذلك يكون انتخاب الامير الجديد على هذا المنوال وسائر الشروط وقد تقرر انه يسعى من قبل انتخاب الامير ان يجتمع مجلس معتبري البلغار ما في [illegible] طرنوا تحت نظارة مامورين من طرف الروسيا وفي حضور مامورين من طرف الدولة العلية وتؤسس نظامات هذه الادارة المستقلة توفيقا لامثالها اعني لنظامات المملكتين التي تنظمت في سنة ١٨٣٠ عقب انعقاد مصالحة ادرنه وعند تاسيس هذه النظامات [illegible] وقاية حقوق ومنافع الاهالي من المسلمين والروم والافلاح وغيرهم الموجودين والمختلطين مع البلغاريين وتقرر ايضا احالة تاسيس هذه الادارة الجديدة في البلغار مع ما يلزم من النظر في امور اجرائها لعهدة مامورين موظفين من طرف دولة الروسيا من هنا الى سنتين وفي انقضاء السنة الاولى من تاسيس الادارة الجديدة ان لم يحصل اتفاق بهذا الشان فيما بين الروسيا والباب العالي ودول اوروبا يكون للدول حق البحث لهم حق ان يوظفوا مامورين يرافقون المامورين الروسيين

الشرط الثامن . ليس لعساكر الدولة العثمانية حق بعد هذا للاقامة في البلغار وستهدم القلاع القديمة الكائنة هناك بمعرفة الحكومة المحلية وان الباب العالي له حق ان يتصرف بالادوات الحربية الموجودة في قلاع القطعة التي صار اخلاؤها من العساكر بموجب سند المتاركة الذي تحرر في ٣١ يناير والالات الحربية الكائنة في مدينتي شمنى ووارنه وجميع الاملاك المتعلقة بالحكومة العثمانية كذلك وتبقى عساكر الروسيا في البلغار مقيمة الى ان ينتهي ترتيب العساكر الاهلية الكافية لحفظ الراحة وتوطيد الامنية واذا اقتضت الحال يقومون فعلا باسم مامورين وسيصير تعيين عدد العساكر الاهلية بالاتفاق فيما بين الدولة العلية ودولة الروسيا وان مدة اقامة عساكر الروسيا في البلغار تكون سنتين والعساكر التي تبقى هناك بعد خروج جميع العساكر الروسية من بلاد الدولة العلية تكون عبارة عن ست فرق مشاة وفرقتين خيالة وجميعها خمسون الفا ومصروف هؤلاء العساكر يكون على البلغار ويكون لهم طرق مراسلات في المملكتين في شطوط البحر الاسود من جهة وارنة وبرغوص وفي مدة اقامتها هناك يكون لها المخازن المقتضية على الشطوط المذكورة

الشرط التاسع . ان امرب السوي الذي يلزم على البلغار ايفاؤهُ للدولة العليَّة ينقسم الى السك الذي يعيّنهُ الباب العالي وهذا السك يصير تعيينهُ بمعرفة دولة الروسيا والدولة العليَّة وسائر الدول وذلك في انتهاء السنة الاولى من ابتداء حركة اصول الادارة الجديدة ومقدار ذلك المرتب يتأسس بالنظر لايراد البلاد والاراضي التي تكون في ادارة الامارة على الحساب المتوسط والبلغار تتعهد بالقيام في التعهد الذي على الدولة العليَّة الى شركة سكة الحديد بين طريق وارنة وروسجق عقب المذاكرة مع الباب العالي وادارة الشركة المذكورة ومسألة سكة الحديد الاخرى الموجودة ضمن الامارة يصير فصلها بمعرفة الدولة العليَّة وحكومة البلغار وادارة الشركة

الشرط العاشر . ان الباب العالي لهُ حق في مرور العساكر ونقل مهمات والذخائر من الطريق المعيَّنة في داخل البلغار الى الايالات العثمانية التي وراء البلغار ولاجل عدم وقوع مشاكل في هذا الخصوص وتأمين الحاجات العسكرية المذكورة يصير وضع نظام بالاتفاق مع الباب العالي والامارة من ابتداء تعاطي هذه المعاهدة الى ثلاثة اشهر في ذلك وهذا الحق لحق المرور والعبور يختص بالعساكر النظامية فقط دون الباشبوزق والجراكس والعساكر المعاونة والباب العالي كذلك لهُ ان يتعاطى الوسطة عن طريق الامارة ويستعمل مسالك البوسطة في تعاطيه ذلك الامر كذلك يصير تعيينها وتنظيمها في المدة والشروط المحررة اعلاه

الشرط الحادي عشر . ان المسلمين وغيرهم من اصحاب الاملاك اذا ارادوا الاقامة في خارج الامارة لهم ان يحفظوا املاكهم ويؤجروها او يوصوا امر ادارتها الى من يريدونهُ ثم ان مأمور الدولة العليَّة ومأمور البلغاريين يجتمعان تحت نظارة مأمور الروسيا ويفصلون المسائل المتعلقة بتصرف الاملاك وفي منافع مستغلي الاملاك وذلك يكون في ظرف سنتين واملاك الدولة والاوقاف يصير تعيين امرها اما بالبيع واما باستعمالها على الوجه الذي يكون فيه النفع لجهة الباب العالي ويصير تعيين ذلك بمعرفة لجنة مخصوصة محدودة في السنتين المذكورتين والاراضي التي تبقى بدون صاحب عند انقضاء السنتين تباع بالمنادات والمزايدة ويؤخذ ثمنها ويدفع الى ايتام وارامل المصابين في الاحوال الاخيرة من المسلمين والمسيحيين

الشرط الثاني عشر . ان القلاع الكائنة على نهر الطونة يصير هدمها جميعاً ولا يبقى من بعد هذا على سواحل نهر الطونة قلعة ما مطلقاً ولا يجوز وجود سفن حربيَّة في مياه

رومانيا والصرب والبلغار سوى السفن الصغيرة والزوارق المختصة والمستعملة في الامور الانضباطية فقط وحقوق ووظائف ومميزات لجنة الطونة المختلطة تبقى تماماً على اصلها

الشرط الثالث عشر . ان الباب العالي يتعهد بتخريب الحجر في مضيق «سنه» وارجاعه الى حاله السابق ليصلح لمرور السفن منه ويتعهد ان يضمن العطل والضرر الذي حصل للتجار بسبب منع مرور السفن من نهر الطونة مدة الحرب وسيصير تعيين ٠٠٠ ٥٠٠ فرنك من اصل ديون لجنة الطونة الى الباب العالي لاجل هذا الامر

الشرط الرابع عشر . ان الاصلاحات التي قدمت الى مرخصي الباب العالي في اول جلسة مؤتمر الاستانة يسعى حالاً اجراؤها بالفعل في بوسنة وهرسك مع التعديلات التي ستقرر ما بين دولتي الروسيا والنمسا ويجب ان لا يطلب من هاتين الايالتين بقايا الخراج وان لا يؤخذ شيء من الواردات من ابتداء شهر مارس سنة ١٨٨٠ بل تصرف كلها في الاحتياجات المحلية ويعد بها عوض الاهالي والعائلات الذين اصيبوا في الاحوال الاخيرة ومن بعد انقضاء المدة المذكورة يتعين المبلغ الذي يلزم على الاهالي دفعه في كل سنة الى الحكومة المركزية بالاتفاق ما بين الدولة العلية ودولتي الروسيا والنمسا

الشرط الخامس عشر . يتعهد الباب العالي باجراء احكام النظام الاساسي الذي وضع في سنة ١٨٦٨ بخصوص جزيرة كريد على مذهب الاهالي الذي يسوغ مقدماً ويلزم اجراء الاصلاحات المماثلة لنظامات كريد في «ترحاله» و«ابيره» وفي سائر جهات الروم ايلي التي ليس لها نظامات مخصوصة ويصير تشكيل لجنة مركبة من الاهالي المحلية في كل ايالة لاجل ترتيب وتأليف النظامات الجديدة ثم يصير تقديمها الى الباب العالي ليتذاكر مع دولة الروسيا في ذلك

الشرط السادس عشر . ان خروج عساكر الروسيا من ارمينية وارجاع تلك البلاد الى الدولة العلية يمكن ان يفضي الى المناقشة والاختلاف فيما بينهما فلهذا يتعهد الباب العالي حالاً باجراء الاصلاحات على حسب الاحتياجات المحلية في الولايات التي سكانها ارمن وتأمين المسيحيين من تعدي الاكراد والجراكسة

الشرط السابع عشر . ان الباب العالي سيعلن العفو العمومي عن المتهمين في الاحوال الاخيرة ويطلق سبيل المحبوسين والمنفيين بسبب ذلك

الشرط الثامن عشر . ان الباب العالي يتعهد بالتبصر بعين الدقة الى ما يبديه وكلاء الدول المتوسطة في خصوص قضاء قوتور وتعيين الحدود الايرانية على الوجه القطعي

الشرط التاسع عشر. ب مبلغ الغرامة الحربية التي طلبتها حضرة قيصر الروسيا هي في مقابلة الضرر و الخسائر التي تكبدتها دولة الروسيا بسبب هذه الحرب والباب العالي قد تعهد بدفعها ثم هي ... (اولاً) ٩٠٠،٠٠٠،٠٠٠ روبل في مقابلة مصروف العساكر والادوات الحربية و الاستعدادات التي حصلت. (ثانياً) ٤٠٠،٠٠٠،٠٠٠ روبل لاجل الاضرار الحاصلة في سواحل بلاد الروسيا الجنوبية وفي اخراجات البضائع التجارية وفي طرق الحديد (ثالثاً) ... روبل ... الضرر الحاصل من الهجوم على قوقاس (رابعاً) ١٠،٠٠٠،٠٠٠ روبل لاجل الخسائر التي حصلت لتبعة الروسيا المقيمين في الممالك العثمانية ولمؤسساتها فعلى ذلك تكون هذه المبالغ من حيث المجموع عبارة عن ١،٤١٠،٠٠٠،٠٠٠ روبل يعني ٢٤٥،٢١٧،٣٩١ ليرة عثمانية وريال مجيدي ... ونصف هذا ... القيصر ... لاجل ... حال الدولة العلية من جهة المال وتأمل في مقاصدها التي ... عنها في هذا ... يقبل على ان تترك الدولة العلية الاراضي الحربية ... عوض عن القسم الاكثر من المبالغ المذكورة (اولاً). لواء طوجي يعني قضاء كيلي ... ومحوديه وايسقجي وطوجي وماجين وبابا طاغي وحرسوه وكوستنجة ومجيديه ... في نهر الطونه قد تركتها الدولة العلية جميعاً الآن لدولة الروسية ... ان مبادلة هذه البلاد ... بل انها تحفظ حق مبادلة هذه البلاد بقطعة ... التي حدث منها بموجب معاهدة سنة ١٨٥٦ الحدود قطعة ساراببا من جهة الجنوب ... من اراضي كيليا ومصب نهر الطونة و الجهات التي يصطادون منها السمك في النهر ... بمعرفة مامورين من طرف الروسية ومن حكومه المملكتين في برهة سنة ... اعتباراً من تاريخ تعاطي هذه المعاهده . (ثانياً) . اردهان وقارص وباطوم وبايزيد مع الاراضي الحاوية ... الى جبل صوغانلي سيصير تسليمها الى دولة روسيا وحينئذ الحدود الاصلية تكون هكذا اعني يبتدىء الخط الفاصل من جبال ... بين المياه الجارية والمصبة في نهري « هوبا » و « جوروق » ويمر من الجبال المتسلسلة الواقعة في جنوب قصاء ... ومن جوار قريتي « والات » و « شاكت » ومن فوق « درويك » و « ... كي » و « هوجه ... » و « مجقين طاغ » ومن الجبال الفاصلة ... التي تحفظ نهري « تورنة » و « جوروق » ومن فوق ... « يابي » و « ... » و « ... كليسا » الى ان ينتهي الى نهر ... ثم ... من ... صيبو ... طاغ ومن مضيق صيوري طاغ ويتصل بقريه ... ويلتفت الى جهة الجنوب حتى يصل الى « ... » ومن ... يمر

من غربي طريق اردوست وحراسان الى جنوب جبل صوغانلي ويتصل بقرية «كيلحان» ومنها يمر من جبل «تريا» ومن قرية حميدومن اوبرست مسافة ومن تلال «طاندور» ومن جنوب وادي بايزيد وينتهي في الجهة الجنوبية من «قازلي كول» وهذا المحل هو الحد الفاصل قديمًا في ما بين حدود اراضي الدولة العلية واراضي دولة ايران وان الاراضي التي صار الحاقها بملك الروسية ومذكورة في الخريطة المربوطة بهذه المعاهدة يصير تعيين حدودها قطعيًا بمعرفة مامور من طرف الروسية ومامور من طرف الدولة العلية وهما يلاحظان قواعد تخطيط الاراضي وقضية تأمين حسن ادارة القصوات.

(ثالثًا) ان الاراضي التي صار تركها لدولة الروسيا كما هو محرر اعلاه قد اعتبرت بمبلغ ١٬١١٠٬٠٠٠٬٠٠٠ روبل (مليار ومائة وعشرة ملايين روبل) واما الباقي من الغرامة وهو ٣٠٠٬٠٠٠٬٠٠٠ روبل (يعني ثلاثمائة مليون روبل) ما عدا ١٠٬٠٠٠٬٠٠٠ روبل التي هي في مقابلة خسائر تبعة الروسية وتأسيساتها سيتفق دولة الروسيا مع الدولة العلية على قضية دفعها وتأمين ايفائها. (رابعًا) ان العشرة ملايين روبل التي تخصصت لتبعة الروسية ومؤسساتها يصير تسويتها هكذا اعني ان سفارة الروسية في الاستانة تجري التدقيقات اللازمة بهذا الشان على مستدعيات ارباب العلاقة وتعرض الكيفية الى الباب العالي والباب العالي يجري التسوية على مقتضى عرض السفارة

الشرط العشرون . ان الباب العالي يتعهد بان يستعمل التدابير المؤثرة سريعًا في فصل الدعاوي المتنازع فيها منذ سنين عديدة المتعلقة بتبعة الروسية وانه اذا اقتضى الامر بدفع غرامة وينفذ احكام الاعلامات

الشرط الحادي والعشرون . ان اهالي البلاد التي تسلمت الى الروسية ان ارادوا الهجرة منها لهم ان يبيعوا املاكهم واراضيهم ويهاجروا وقد اعطي لهم مهلة في ذلك ثلاث سنين من تاريخ تعاطي هاته المعاهدة فالذين لا يبيعون املاكهم في هاته المدة ولا يهاجرون يدخلون في حكم الروسية عند انقضاء تلك المدة واملاك الدولة والاوقاف يصير بيعها على حسب الاصول التي يعينها مامور الروسية ومامور الدولة العلية في مدة السنين المذكورة وهما يعينان ايضًا كيفية نقل الادوات الحربية الموجودة في المحلات التي هي الآن في يد الروس سواء كانت من البلاد التي تسلمت الى دولة الروسيا او غيرها

الشرط الثاني والعشرون . ان القسيسين والزوار الذين يسكنون او يسيحون في الممالك العثمانية في الروم ايلي و الاناطولي من تبعة الروسيا سينالون الحقوق و الامتيازات

التي بالها القسيسون والزوار من تبعة سائر الدول سوية وسفارة الروسيا الكائنة في الاستانه وقناصلها يحمون حقوق الاشخاص المذكورة وذواتهم ومؤسساتهم والرهبان وغيرهم الموجودين في الاماكن المقدسة وبالخصوص في « ايبوروز » لهم حائزون حقوقهم التي كانوا حائزين عليها في السابق ويحفظون الديورة الثلاثة الكائنة في ايبوروز مع مشتملاتها المتعلقة بهم كسائر الديورة والمؤسسات الدينية الكائنة بغيرهم هناك سوية

الشرط الثالث والعشرون . ان المعاهدات والمقاولات التي كانت موجودة فيما بين الدولة العلية والروسية المتعلقة بالتجارة والمحاكمة وتبعة الروس المقيمين في بلاد الدولة العلية وتعطلت احكامها بسبب هذه الحرب ينبغي ان تجري احكامها كما في السابق وبين دولتي الروسية والعثمانية قد اعادوا المناسبات التي كانت قبل هذه الحرب في الامور التجارية وغيرها بمقتضى احكام المعاهدات والمقاولات المذكورة ما عدا المواد التي نسخها هاته المعاهدة

الشرط الرابع والعشرون . ان خليج الاستانة وخليج جناق قلعه سواء كان في زمن الحرب او زمن الصلح يكون مفتوحاً للسفن التجارية التي تريد المرور منه الى بلاد الروسيا من الدول التي تكون على الحيادة والباب العالي ليس له من بعد هذا ان يضع الحصر الغير المؤثر على الشطوط الموجودة فيما بين البحر الاسود وبحر الازرق وذلك بمقتضى معاهدة باريس التي صار امضاؤها في ٤ ابريل سنة ١٨٥٦

الشرط الخامس والعشرون . ان عساكر الروس يخرجون من بلاد الدولة العلية الكائنة في اوروبا (الروم ايلي) ما عدا البلغار وذلك من تاريخ انعقاد الصلح القطعي الى ثلاثة اشهر هذا وان العساكر المذكورة لهم ان يأتوا الاماكن الموجودة في البحر الاسود وبحر مرمرة عند السفر للركوب في السفائن التي تحضرها او تستأجرها دولة الروسيا حتى لا يكونوا مجبورين على الطاقة مدة الاقامة في الممالك العثمانية وفي رومانيا واما خروج عساكر الروسيا من الاناطول فيكون بعد انعقاد الصلح القطعي بستة اشهر ولهم ان يأتوا الى طرابزون لاجل الركوب في السفن ومن هناك يسافرون الى القريم او القوقاس

الشرط السادس والعشرون . ان اصول الادارة والاوامر التي وضعتها دولة الروسيا في البلاد التي دخلتها عساكرها والتي ينبغي تسليمها الى الدولة العلية بموجب هاته المعاهدة تكون باقية وجارية الى حين توجه العساكر منها وليس للباب العالي المشاركة في الاحكام ولا للعساكر العثمانية الدخول اليها قبل ذلك بناء على هذا

ان امير العساكر الروسية يحرر الضابط الذي يعينه الباب العالي عن سفر عساكر الروسية وليس للباب العالي ان يجري الاحكام من قبل ان تسلم له القلاع والايالات

الشرط السابع والعشرون ان الباب العالي لا يجازي احداً سوءًا من تبعته الذين دخلوا في المناسبات مع دولة الروسيا في زمن الحرب وليس لمأموري الدولة العلية ان تمنع او توقف احداً من الاهالي الذين يرغبون ان يسافروا مع العساكر

الشرط الثامن والعشرون ان اسرى الحرب يصير ارجاعهم تحت نظارة مامورين مرتبين من طرف الدولتين وذلك عقيب تعاطي مقدمات الصلح وهولاء المامورين يسافرون الى اودسا وسباستبول و ما مصروف اسراء العساكر العثمانية تدفعها الدولة العلية في ظرف ست سنوات تحت تأدية عشر قسطاً بموجب الدفتر الذي يحرره المامورون المذكورون وان قضية مبادلة الاسرى فيما بين حكومتي رومانيا والصرب وامارة الجبل الاسود يصير اجراؤها على هذا الاساس لكن يطرح مقدار الاسرى الذي عند الدولة العلية من مقدار اسرى عساكرهم ولا نرمها فيه تلك المصاريف

الشرط التاسع والعشرون ان حضرة امبراطور روسيا و حضرة الملوكانية سيثبتون هذه المعاهدة وامضاء تثبيتها يكون في بطرسبورغ في ظرف خمسة عشر يوماً او بوجه اسرع من ذلك ان امكن وكذلك يجري التصديق رسمياً على الشروط المذكورة في هذه المعاهدة على حسب الاصول الجارية في معاهدات الصلحية وان الدولتين المتعاهدتين من تاريخ تعاطي المعاهدة يعدون انفسهم رسمياً بانهم متعهدون بان مرخصي الطرفين قد امضوا هذه المعاهدة كما يأتي تصديقاً لمضمونها. حرر في ايا ستفانوس في ١٩ شباط الرومي (فبراير) و٣ ايار (مارس) الافرنجي سنة ١٨٧٨ الامضاء

الكونت اغناتيف صفوت نليدوف سعد الله

لكن الانكلترا لم تسمح بالاقرار بذلك حتى ادخلت اسطولها بحر مرمرا وعاضدتها بقية الدول في طلب تعديل تلك المعاهدة وعقدوا لذلك مؤتمراً في برلين و رسي الامر فيه على معاهدة نص تعريبها

بسم الله القادر على كل شيء

لما كان حضرة سلطان العثمانيين وحضرة ملكة مملكة بريطانيا العظمى وايرلاندة و امبراطورة الهند وحضرة امبراطور جرمانيا وملك بروسيا وحضرة امبراطور اوستريا وملك بوهيميا وملك هنكاريا وحضرة رئيس جمهورية فرنسا وحضرة ملك ايطاليا وحضرة

امبراطور جميع الروسيا يريدون لاجل قرار الراحة العامة في اوربا انهاء المسائل التي حدثت في الشرق بسبب تقلبات الاحوال فيها في هذه السنين الثلاث وبسبب الحرب التي عاقبتها معاهدة اياسطفانوس استقرّ رأيهم جميعاً على عقد مؤتمر يكون احسن الوسائل لاجل الاتفاق بحسب ما تقرر في معاهدة اياسطفانوس وبناء على ذلك عينت الدول المذكورة المشار اليهم وحضرة رئيس جمهوريّة فرنسا مرخصين وهم

حضرة ملكة مملكة بريطانيا العظمى وايرلاندا وامبراطورة الهند عينت الاونوربل بنيامين دزرائيلي الذي هو كبير وزراء انكلترا والاونوربل روبرت ارثر تالبت غاسكون سيسل مركيز صالسبري الذي هو ناظر خارجية انكلترا والاونوربل لورد اود وليم ليوبولد روسل الذي هو سفير من الطبقة الاولى لانكلترا لدى حضرة امبراطور جرمانيا وملك بروسيا

وعين حضرة امبراطور جرمانيا وملك بروسيا البرنس بسمارك كبير لوردية في بروسيا وبرنارد ارنست دوبولو مستشار خارجية والبرنس هوهنلوه شلنغفورست سفير المانيا لدى رئيس جمهوريّة فرنسا

وعين حضرة امبراطور اوستريا وملك بوهيميا وملك هنكاريا الكونت اندراسي وزيرهُ الخاص ووزيرهُ في الامور الخارجية والكونت لويس كارولي سفيرهُ لدى امبراطور جرمانيا وملك بروسيا والبارون هنري دوهايمرلي سفيرهُ لدى ملك ايطاليا

وعين حضرة رئيس جمهوريّة فرنسا موسيو وليم هنري وادنطون احد اعضاء مجلس الاعيان ووزيرهُ في الامور الخارجية وشارل ريموند كونت دوصان فاليه من اعضاء مجلس الاعيان وسفير فرنسا لدى امبراطور جرمانيا وملك بروسيا وفيلكس ديسبرر المكلف بادارة الامور السياسية في دائرة الخارجيّة

وعين حضرة ملك ايطاليا الكونت لويس كورتي احد اعضاء مجلس الاعيان ووزيرهُ في الامور الخارجية وادورد كونت دولوني سفيرهُ لدى امبراطور جرمانيا وملك بروسيا

وعين امبراطور جميع الروسيا البرنس الكسندر غورجيقوف وزيرهُ في الامور الخارجيّة والكونت دوشوفالوف من قرباء الحضرة الامبراطورية ومن اعضاء المجلس الخاص وسفيره لدى دولة بريطانيا وبول دوبريل سفيرهُ لدى امبراطور جرمانيا وملك بروسيه

وعين حضرة سلطان العثمانيين الكسندر قره تيودوري باشا وزيره في الامور النافعة ومحمّد علي باشا المشير في عساكره وسعد الله بك سفيره لدى امبراطور جرمانيا وملك

روسيا فاجتمعوا في برلين بحسب اشارة دولة اوستريا هنكاريا وبموجب استدعاء دولة جرمانيا ومعهم سائر محررات المؤذنة بالترخيص فبعد ان وجدت مطابقة للاصول وقع بينهم الاتفاق على المواد الآتية

(المادة الاولى) صارت لآن البلغار امارة مستقلة في امورها الداخلية وادارة مختارة تدفع خراجاً في كل سنة الى الباب العالي وتكون تحت تابعية الحضرة السلطانية ويكون لها حكومة مسيحية وعساكر وطنية

(المادة الثانية) تكون امارة البلغار عبارة عن الاراضي الآتي ذكرها وهي ان حدود تلك الاراضي من جهة الشمال تبتدئ من حدود الصرب القديمة وتمر على يمين ساحل نهر الطونة وتنتهي الى محل في شرقي سلسترا وهذا الخط سيصير تعيينه من طرف المؤتمر الذي يتشكل من مأموري دول اوروبا ومن هنا يبتدئ الحد في البحر الاسود ويمر من جنوب منقاليا التي صار الحاقها برومانيا اما من جهة الجنوب فانه يبتدئ من منصب النهر ويمر من جوار القرى المسماة هوجه كوي و سلامكي و « ايوجق » و « عربة » و « صوجق » على ... من جهة فوق الحدود « وادي قامجق » ومن جنوب « بيلة » و « كمنلق » على بعد من « حكم » مقدار متر ٢ ونصف ويمر ... « حاجي عمه » ويصعد في ذروة الجبل الكائن بين « يكلات » و « ابدوس بروس » ومنها الى ... « قرنه باد » ... « ويرو رويقه » ومن بوغاز « قزعاش » الواقع في شمال الجبل المسمى ... الى ان يصل الى « تيمور قبو » وعلى هذا يكون مروره من سلسلة البلقان الكبير الاسيوية ويمتد على جميع مساحتها الى ان ينتهي الى ذروة « قوريقه » ومن هنا يترك ذروة البلقان ويسير الى جهة الجنوب ويسير من بين قريتي « بيرتوب » و « دورنجي » ويصادر قرية بيرتوب مذكورة الى البلغار وقرية دورنجي الى شرقي الروم ايلي ويتصل بنهر « طوروديره » ويسير مع مجرى النهر الى منصبه في نهر « طوبوليجه » ثم الى نهر « سموكوفو » الذي يصب في نهر طوبوليجه المذكور بجوار قرية « بتريجوه » ويترك من الاراضي الكائنة فوق نهر سموكوفو المذكور مقدار كيلومترين الى شرقي الروم ايلي ويمر من مقسم المياه بين سموكوفو ونهر قاميه وياتي الى الجنوب الغربي من التل المسمى ووشاق وينتهي رأساً الى النقطة المذكورة في خريطة اركان حرب دولة اوستريا عدد ٨٧٥ ومن هنا يقطع بخط مستقيم الجهة العليا من وادي اختاب ويمر من بين بوغدينه وقره ولي ويتصل بالخط في مقسم النهر

مريج بيا بين اسقر وقرلي وحاجيلر ويسير مع خط المذكور من تلال « ولنيا » و « موغيلا » الى الممر الواقع في نقطة عدد ٥٣١ والى محلات المسماة « رمايليقا » و « ره وسوماتيقه » ويدخل من بين « صيوري طاش » و « قادرتيه » ويتصل بحدود لواء صوفية ومن هنا يبتدىء من « قادرتيه » الى جهة الجنوب الغربي ويمر من بين نهر قره صو ونهر « استروما قره صو » ويسير مع خط مقسم المياه ومن تلال الجبل المسماة « يورقبو » و « اسقوفيه » و « قوجيمار يلدن » و « حاجي كدك » تجاه بلقان قاشيق ويتصل بحدود لواء صوفية القديمة وكذلك يمر من بلقان قاشيق المذكور ومن بين وادي « ربلسقارة » ووادي « سقرارقا » ويسير مع خط مقسم المياه ويدور تل « ودبنجه بلانيا » وينزل الى وادي استروما في محل الذي يختلط به نهر استروما مع نهر ربلسقارقا ويدع قرية « برنبي » للدولة العلية ويصعد من جنوب قرية « بلشيتقة » الى فوق ويمر من اقصر خط الى سلسلة « عوز . . . » و « عسقة » ويتصل بحدود لواء صوفية ويترك كامل مشا صوهرد للدولة العلية ويلتفت الى جهة الغرب من جبل « رحيبق » ويدور جبال قاروتا يابوره وحدود لواء صوفية القديمة من جبل « قرني وره » ويمر من فوق مياه « اكرنصو » ولديقه ويطلع الى تلال « باسابولانا » حتى ينتهي بعد الى جبل قرني وره المذكور ومن هذا حتى يمر من تلال « استورر » و « وبله عوصو » و « مسيد بلانيا » ومن بين « استروما » و « موراوه » مع خط مقسم المياه الى عاميا وقريه طراوه ودر فوسقة ودر بيقة لان وبعدها من فوق دوشا قلادنق ومن مقسم انهر صوقوه وموراوه ويذهب رأساً الى المحل المدعو « استول » ومن هنا ينزل الى الطريق الموصلة الى صوفية وبيروته ويقطع في هذه الطريق الف متر ومنه عن طريق ويدليا بلانيا ويصعد على خط مستقيم الى جبل « رادوجينا » الكائن في سلسلة البلقان الكبير ويترك قرية دويقنجي الى صرنسان وقريه ساقوس الى السمار ثم يلتفت الى جهة الغرب ويدور تلال البلقان المسمى صيروق من صوب استاره بلانيا ويتصل بشرقي حدود امارة الصرب القديمة بجوار « تولا سميلوفوقه » ويسير على هاتيه الحدود حتى ينتهي الى نهر الطونة عند « راقوفيجه » ثم ان هذه الحدود جميعها سيصير تعيينها بمعرفة لجنة مركبة من وكلاء الدول المحصية على المعاهدة وحصل الاتفاق اولاً على ان هاتيه اللجنة تنظر بالاعتناء في خصوص محافظة حدود بلقان شرقي الروم ايلي الكائن تحت سلطة الدولة العلية وثانياً ان لا يصير انشاء استحكام في اطراف « صماقو » بمسافة ١٠ كيلو متر

(المادة الثالثة) يكون انتخاب امير البلغار من اهلها بحرية تامة و تقرره من الباب العالي برضى دول اوربا العظام ولا يصح انتخاب امير عليها من بيوت الدول المذكورة فاذا توفي عن غير ولد يكون انتخاب امير جديد على الشروط و الاصول المقررة

(المادة الرابعة) بعد انتخاب الامير تجتمع اعيان البلغاريين في طرنوفا لترتيب احكام ونظامات تخص الامارة وفي الجهات التي يكون سكانها من الترك واهل رومانيا والروم وغيرهم يلزم مراعاة حقوقهم ومصالحهم فيما يتعلق بقضية الانتخاب وترتيب الاحكام الاساسية

(المادة الخامسة) المواد الآتية تكون اساساً للحقوق العمومية في البلغار وهي « ان الاختلاف في المذهب و الاعتقادات لا يخرج احداً من الاهلية والجدارة من التمتع بالحقوق المدنية والسياسية و من دخوله في وظائف الميرية او العمومية او نوال الشرف او استعمال الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مذهبه فان الحرية ومباشرة جميع الاعمال الدينية ينبغي تأمينها لجميع الناس المقيمين في البلغار من اهلها ومن الاجانب ايضاً ولا يسوغ اتخاذ مانع ما لترتيب درجات ارباب المذاهب المختلفة و علاقاتهم مع رؤسائهم الروحانيين »

(المادة السادسة) تكون ادارة البلغار الموقتة تحت ادارة مأمورين من دولة الروسية الامبراطورية الى ان تتم فيها القوانين الاساسية ويستدعي مأمور من طرف السلطنة العثمانية والقناصل الذين تستخدمهم الدول الاخر وبناء على هذه المعاهدة بقصد مراقبة العمل « في الادارة الموقتة » المذكورة واذا حصل خلاف بين القناصل المذكورين فالحكم يكون على حسب الاكثرية الآراء وكما انه اذا حصل خلاف بين الاكثرية رأي المذكورين والمأمورين من طرف امبراطورية الروسية او المأمورين من طرف الحضرة السلطانية تجتمع سفراء الدول بالآستانة العلية وبناء على هذه المعاهدة في مؤتمر (كنفرانس) لتقرر رأيهم على انهاء الخلاف المذكور

(المادة السابعة) ان « الادارة الموقتة » المذكورة لا يبقى اكثر من تسعة اشهر اعتباراً من يوم التوقيع على هذه المعاهدة وبمجرد انتخاب الامير تصير مباشرة اجراء الاحكام الجديدة فتصير تلك الاحكام دستوراً للعمل وتكون الامارة قد حازت استقلاليتها الادارية (ادارتها المختارة) حوزاً تاماً

(المادة الثامنة) جميع المعاهدات التجارية والبحرية والاتفاقات التي جرت بين الدول الاجنبية وبين الباب العالي والتي لم يزل عملها جارياً تبقى مرعية الاجراء مع امارة

البلغار ولا يصح تبديل شيء منها مع احدى الدول المذكورة بدون رخصة منها ولا يسوغ وضع شيء من المصاريف على البضائع التي ترسل الى احدى الجهات في مرورها على البلغار وتكون معاملة جميع الاهالي ورعايا الدول وتجارتهم في الامارة على قدم مساواة تامة وتبقى امتيازات وخصائص الاجانب المقررة في المعاهدات (التي عقدت بين الدول والباب العالي) مرعية الاجراء في الامارة ما دام لم يحصل تعديلها برضى الدول

(المادة التاسعة) الويركو السنوي الذي يجب على امارة البلغار ان تدفعه في كل سنة الى متبوعها الحضرة السلطانية يكون دفعه الى البنك الذي يعينه الباب العالي ويكون تعيين المبلغ عند ختام السنة الاولى من جريان عمل الحكومة الجديدة باتفاق بين الدول الموقعين على هذه المعاهدة وهذا الويركو يحسب بحسب متوسط ايراد الامارة وحيث انها ستحمل جانباً من ديون السلطنة العمومية يلزم للدول ايضاً ان يتذاكروا على مقدار الدين الذي يعين على الامارة وذلك عند مذاكرتهم في امر الويركو

(المادة العاشرة) جميع التعهدات والاتفاقات التي عقدت السلطنة العثمانية مع شركة سكة الحديد بين روسجق وورنه تدخل في عهدة امارة البلغار اعتباراً من مبادلة التوقيع على هذه المعاهدة اما تسوية الحسابات السابقة التي كانت بين الشركة المذكورة وبين الباب العالي فمرجعه يكون بين الباب العالي وحكومة البلغار والشركة المذكورة وكذلك تدخل في عهدة البلغار سائر تعهدات الباب العالي مع دولة اوستريا وهنكاريا ومع الشركة المشروط تعهدها باعمال سكك الحديد في الروم ايلي فيما يتعلق بخط السكك المذكورة واتصالها في الاراضي التي دخلت الآن في حوزة البلغار ويكون عقد شروط الاتفاقات اللازمة لتسوية هذه المسائل بين دولة اوستريا وهنكاريا والباب العالي والصرب وامارة البلغار عند اقرار الصلح

(المادة الحادية عشرة) بعد هذا لا تبقى العساكر العثمانية في البلغار وهدم سائر القلاع والحصون يكون على مصروف حكومة الامارة في ظرف سنة واحدة او اقل من ذلك ان امكن وينبغي لتلك الحكومة ان تتخذ وسائط معينة لذلك ولا يسوغ لها ان تبني بدلها حصوناً جديدة ويكون للباب العالي حق في ان يتصرف في المهمات الحربية وغيرها من الاشياء التي هي ملك له الباقية في حصون الطونة التي اخلتها العساكر العثمانية بموجب الهدنة التي حصلت في ٣١ جنيواري (كانون الثاني) وكذلك التي في شمله (شمنى) وورنه

(المادة الثانية عشرة) المسلمون وغيرهم الذين لهم املاك في البلغار وهم يقيمون بدون السكنى

خارجاً عنها يبقون متمتعين باملاكهم ويمكنهم والحالة هذه ايجارها الى غيرهم وادارتها بمعرفة من ينتخبونه وتشكل لجنة مؤلفة من الترك والبلغاريين لتسوية جميع المسائل المتعلقة بكيفية نقل وتشغيل املاك الوقف لحساب الباب العالي والمسائل المتعلقة بالذين لهم مصالح فيها وهذه التسوية تكون في ظرف سنتين ثم ان البلغاريين الذين يسافرون يسكنون في باقي اطراف الممالك العثمانية يكونون تحت الاحكام والقوانين العثمانية

(المادة الثالثة عشرة) تشكل على جنوب البلقان ولاية تحت اسم «ولاية الروم ايلي الشرقية» وتكون تحت تابعية حضرة السلطنة تابعية سياسية وعسكرية بشرط ان تكون مشمولة بالاستقلالية ادارته ويكون واليها نصرانياً

(المادة الرابعة عشرة) حدود «ولاية الروم ايلي الشرقية» تكون متصلة بحدود البلغار من جهتي الشمال والشمال الغربي وولاية المذكورة تكون عبارة عن الاراضي الكائنة ضمن الدائرة الآتي ذكرها فحد هذه الولاية يبتدئ من البحر الاسود ويسير على النهر الواقع في جوار القرى [illegible] هاجه كوى وسلام كوى وايواجق وقولبه وصوحانلق [illegible] من جهة [illegible] قوردي [illegible] ويمر من فوق [illegible] بمقدار مسافة كيلومتر ٢ [illegible] ويقطع جنوب قراي «بلمه» و «كچاق» ثم يصعد الى التل الكائن بين «سكنت» و «ايدوس برونسا» ويمر من عقبات «قرنى اباد» و «[illegible]» و «قرنال» حتى [illegible] «يوروفيو» بالجهة الشمالية من «قوتل» [illegible] جميع مسافة [illegible] الكبير وينتهي الى تل «قوريقه» وفي هذه النقطة [illegible] الدائرة [illegible] على غربي حدود [illegible] يلي [illegible] الى جهة جنوب ماراً من بين قرية بيازوب [illegible] وتركي [illegible] من قرية [illegible] في الروم ايلي ويصل الى نهر «طوزلي دره» ويسير مع نهر الى مجمعه مع نهر طوبولنيقا وكذلك يمر مع هذا النهر الى مجمعه مع نهر «سموقوفور» في جوار قرية «بتريسوو» وعلى هذا يترك للروم ايلي الشرقية في خطوط مجاري هذه الانهر [illegible] مقدار كيلو متر ٢ ثم يتبع الخطوط الفاصلة لمياه المذكورة ويسير الى جهة فوق على طول نهر «سموقوفور» و «قامسقه» ويتبعث [illegible] الجنوب الغربي في [illegible] «كوانلق» ويصل الى اعالي الجبل في خريطة اركان حرب دولة اوستريا عدد ٨٧٥ ثم تقطع على خط عمودي مجرى نهر «ايجان دره» من الاعلى ويمر من بين «بوعوسا» و «قارولا» حتى يصل الى خط الفاصل الكائن فيما بين نهري «اسقر» و «ماريق» ويمر على طول خط الموضح في الخريطة المذكورة تحت رقم ٥٣٠

من تلال « وولبا موحيلا » و « حمابليقا » و « روه سومتاتيقا » ويجتمع بحدود لوبه صوفيه فيما بين « سيوري طاش » و « قادر تبه » فعلى هذا تفرق حدود الروم ايلي والمامور من جبل « قادر تبه » ثم يحط الفاصل المذكور يمر الى قدم من بين نهر ماريقا وتوابعه وبين انهر مستورة صو » و تبعه تابعا ستقامة الخطوط الفاصلة لهذه المياه ويتوجه الى جهتي الجنوب الشرقي والجنوب مارًا من تلال جبل « دسبوط » الى صوب جبل « كروشوفا » وهذا الجبل كان مبدأ الحدود التي عينتها معاهدة ايستفانوس ومن ثم الخط المذكور يتبع الخط المبين في المعاهدة المذكورة عينه بعد من هذا الجبل ويمر على سلسلة « قره بلقان » من تلال « قولا تلي طاغ » و « حبلي » و« قره تولاس » وايشيقلر ويسير جهة جنوب الشرقي حتى ينتهي الى نهر « و رد » ويسير مع هذا النهر على طوله حتى يصل الى قرية « طاه قلعه » و بقى هذه القرية في سلطة الدولة العلية ومن هنا يصعد ذروة جبل « بش تبه » ثم ينزل ويمر من جسر « مصطفى باشا » ويتجاوز نهر المريج من جهة فوق بمسافة خمسة كيلومتر ثم يتوجه الى جهة الشمال مع بين الانهر الصغار التي تصب في نهري « حاجي دره » و « مريج » ويسير على خط مقسم المياه الى الجبل المسمى « كودلر بايري » ومن هنا يلتفت الى جهة الشرق ويمتد الى « صقار بايري » ومنه الى وادي « طوبجه » والى « ... درند » ويترك « يوك دربند » « و صوجاق » الى جهة الشمال ثم يسير من بين الانهر التي تصب في نهر طوبجه من جهة الشمال وفي نهر المريج من جهة الجنوب على خط مقسم المياه ويصعد الى تل « قبلر » وتبقى قسم في الروم ايلي الشرقية ثم يلتفت الى جهة الجنوب ويمر من بين المياه الكائنة فيما بين نهر المريج من جهة الجنوب وبين قورتني « ... » و « ... الى » التي تصب في البحر الاسود ويصل الى جنوب قرية « ... » ويدور « تلال ... » و « رواق » من شمال الجبل المسمى « قرا كلق » ويسير مع الخط الفاصل فيما بين نهري « ... دوكه » و « قره ... » حتى يتصل بالبحر الاسود

(المادة الخامسة عشرة) يكون للحضرة السلطانية حق في ان تباشر محافظة الحدود البرية والبحرية وذلك بان تبني في تلك الحدود استحكامات وتقيم بها عساكر ولتأمين الراحة العمومية في ولاية « الروم ايلي » الشرقية بشكل فيها ضبطية وعساكر داخلية ومذاهب الاهالي الذين تؤلف منهم هذه العساكر والضبطية تكون مرعية ويكون تعيين ضباطهم من طرف الحضرة السلطانية وقد تعهدت الحضرة السلطنية بان لا توظف في

حصون الحدود عساكر غير نظامية كالباشي بوزق والجراكسة وفي جميع الاحوال لا يسوغ للعساكر النظامية المذكورة ان تتعدى على الاهالي وعند مرورهم في الولاية (لا استقرارهم في الاستحكامات) لا يسوغ لهم الاقامة فيها

(المادة السادسة عشرة) يكون للوالي حق في ان يستدعي العساكر العثمانية اذا حصل ما يخل بالراحة الداخلية والخارجية واذا وقع ما يوجب ذلك يخبر الباب العالي نواب الدول بالاستنابة عن قراره وعن السبب الذي احوجه اليه

(المادة السابعة عشرة) يكون تعيين والي « ولاية الروم ايلي الشرقية » مدة خمس سنين من طرف الباب العالي باتفاق الدول

(المادة الثامنة عشرة) بمجرد مباديه التوقيع على هذه المعاهدة تشكل لجنة اوروبية للنظر في ترتيب ادارة « ولاية الروم ايلي الشرقية » بالاتفاق مع الباب العالي ومن خصائصها ان تعين في ظرف ثلاثة اشهر وظيفة مأمورية الوالي وما له من الاستطاعة وترتيب الولاية الادارية والعدلية والمالية ويكون مقتدية في اعمالها تنظيم حالات حكام الولايات والاحوال عليه المذاكرة في جلسة الثامنة من مؤتمر الذي عقد في الاستانة وبعد ان يجعل القرار على جميع اللوائح المتعلقة بالولاية المذكورة يصدر فرمان من طرف الحضرة السلطانية ويبلغه الباب العالي الى الدول

(المادة التاسعة عشرة) يناط بعهدة لجنة الاوروبية المذكورة بالاتفاق مع الباب العالي ادارة المالية في الولاية الى ان تجري القوانين الجديدة بمجرد وضعها

(المادة العشرون) جميع المعاهدات والاتفاقات والمعاملات التي جرى تداولها بين الباب العالي والدول الاجنبية والتي ستنعقد فيما بعد يكون معمولاً بها في « ولاية الروم ايلي الشرقية » كما هو جار في سائر السلطنة العثمانية وجميع الامتيازات والخصائص التي حازتها الاجانب على اختلاف طبقتهم ومصلحتهم تبقى محترمة في الولاية المذكورة وقد تعهد الباب العالي بان جميع احكام السلطنة هاته فيما يخص المذاهب المختلفة يكون معمولاً بها ومرعية الاجراء

(المادة الحادية والعشرون) تبقى حقوق الباب العالي وتعهداته فيما يتعلق بسكك الحديد في الروم ايلي الشرقية معمولاً بها ومرعية الاجراء

(المادة الثانية والعشرون) تكون قوة الروسية في البلغار وفي « ولاية الروم ايلي الشرقية » مؤلفة من ست فرق من المشاة وفرقتين من الخيالة وجميع ذلك لا يزيد على

٥٠٠٠٠ نفر وتكون مصاريفهم على الولايات التي يتبوأونها وتنقل علائقهم ومواصلتهم مع الروسيا بواسطة رومانيا بحسب الاتفاق الذي يحصل بين الحكومتين المذكورتين وفضلاً عن ذلك تكون بواسطة مراسي البحر الاسود مثل وارنه وبورغاس حتى يمكن لهم ان يتخذوا هناك مخازن للوازمهم مدة اقامتهم وتقرر ايضاً ان اقامة العساكر الامبراطورية في ولاية الروم ايلي الشرقية والبلغار تكون مدة تسعة اشهر اعتباراً من يوم مبادلة التوقيع على هذه المعاهدة وقد تعهدت دولة الروسية الامبراطورية انه قبل انقضاء هذه المدة تتم مرور عساكرها من رومانيا فتخلو منهم امارة البلغار

(المادة الثالثة والعشرون) قد تعهد الباب العالي بان يجري في جزيرة كريد النظامات التي تقررت فيها في سنة ١٨٦٨ والتعديلات التي يرى من العدل اجراؤها وكذلك يجري في بقية الولايات العثمانية في اوروبا التي لم ينص على تنظيم مصالحها الداخلية كما في كريد نظام لم ينص عليه في هذه المعاهدة نصاً خصوصياً الا انه يطبق على هذه الاصلاحات كما هو جار الآن في كريد ويشكل من طرف الباب العالي هيئة مخصوصة يكون اكثر اعضائها من الاهالي المسيحيين في صدقات نظامات الادارة في كل ولاية ثم تعرض على الباب العالي للتروي فيها وقبل ان يعمل بها ويعطي دستوراً للعمل بها من الباب العالي ان يستشير الجمعية الاوروباوية المنعقدة للنظر في احوال الروم ايلي الشرقية

(المادة الرابعة والعشرون) اذا فرض انه لم يقع اتفاق بين الباب العالي ودولة اليونان فيما يتعلق بتعديل الحدود كما تقرر في المادة ١٣ من مضبطة مؤتمر برلين فدول جرمانيا واوستريا هنكاريا وفرنسا وبريطانيا العظمى وايطاليا والروسية تحفظ لنفسها عرض التوسط بين الفريقين تسهيلاً للمذاكرات

(المادة الخامسة والعشرون) تحتل عساكر اوستريا وهنكاريا ولايتي بوسنه وهرسك وتباشر فيها ايضاً ادارتهما وحيث انها لا تريد ان تتولى ادارة سنجقية يكي بازار الممتدة بين الصرب والجبل الاسود على الخط الجنوبي للشرق الى ما وراء ميتروويتسه فالادارة العثمانية تبقى معمولاً بها هناك وحيث ان المراد قرار الاحوال السياسية الجديدة وحرية المواصلات وامنها فدولة اوستريا وهنكاريا تحفظ لنفسها الحق بان يكون لها قشل وطرق تجارية وعسكرية في جميع الجهات المذكورة وهذه الغاية تحفظ لنفسها هي والدولة العثمانية ان تتفقا على الامور المتعلقة بهذه المسألة

(المادة السادسة والعشرون) قد اعترف الباب العالي باستقلال الجبل الاسود

وكذلك اعترفت بقية الدول الموقعين على هذه المعاهدة [illegible] يعترفوه سابقاً

(المادة السابعة والعشرون) اتفق الموقعون على هذه المعاهدة على ان استقلال الجبل الاسود يكون مربوطاً بالمواد الآتية وهي لا يسوغ التمييز في الاعتقادات الدينية في الجبل فلا يحرم احد من الاهلية و [illegible] لجميع ما يتعلق بتمتعه بالحقوق المدنية والسياسية وبدخوله [illegible] ونواله الشرف او استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيف كانت [illegible] لاهالي [illegible] الاسود وللاجانب ايضاً الحرية التامة في جميع [illegible] ولا يسوغ [illegible] في ترتيب درجات ارباب المذاهب المختلفة وفي علاقاتهم مع رؤسائهم الروحانيين

(المادة الثامنة والعشرون) [illegible] حدود [illegible] الاسود كما يأتي وهي انها تبتدئ من [illegible] وتسير [illegible] «[illegible]» [illegible] «ترهبيجه» وتصل [illegible] وتسير [illegible] ومنها تصعد الخط الى ان تصل الى جهة اوفق من [illegible] الذي يصب في «[illegible]» مقدار كيلومتر فقد [illegible] في جوار «ترهبيجه» ثم [illegible] هذه القرية [illegible] من الشمال الى جهة الشمال وعلى قدر الامكان [illegible] عن طريق «[illegible]» و«[illegible]» مقدار ٦ كيلومتر [illegible] «[illegible]» ومنها الى جهة شرقي [illegible] قرية «[illegible]» [illegible] ثم تمتد من الشمال الشرقي [illegible] «[illegible]» و«[illegible]» ويسير من اقصر طريق [illegible] النهر ويصل الى «[illegible]» الكائنة بين «قرقويقه» وبين «[illegible]» ومن هنا يصعد الى «موجقوق» ويتصل بمحل «سقوج زرو» ومن هنا الى قرية [illegible] الحدود القديمة ثم يمر الى [illegible] وتبقى قرية [illegible] من [illegible] الاصلية الى الطريق المذكور في خريطة اركان حرب [illegible] نمرة ٢١٦٦ ومن فوق مقسم المياه الواقع بين «[illegible]» و«[illegible]» وبين «[illegible]» [illegible] يتصل بالحدود الجديدة بعد مروره من بين [illegible] «[illegible]» و«قلامنتي» و«غرودي» وبعد ذلك [illegible] وقلامنتي وغرودي و«هوتي» [illegible] ويتصل [illegible] ومن [illegible] «[illegible] صوبان»

ويتجاوز ماء اشقودره ويسير رأساً من « عوريقه » طوبول لى التلال ويمر من مقسم المياه الكائن فيما بين « معورد » و « قايد » مع خط المقسم المذكور ويترك « ميرقوبق » داخل الجبل وينتهي الى محر وبذيك (فيبسيا) عند قرية « فروجي » ثم يلتفت الى الشمال الغربي ويمر في الساحل من بين قرى « سوسانه » و « زوبيي » ويتصل بمنتهى الحدود الجديدة في جهة الجنوب الشرقي فوق « ورموته بلانيا »

(المادة التاسعة والعشرون) انضمام انتواري (باري) وشطوط البحر التي تخصها الى الجبل الاسود مشروط على الصورة الآتية وهي ان يعاد على الدولة العثمانية الاراضي الكائنة على جنوب تلك الجهة الى بوبانا من تخميا دوسعو ويضم الى دلماتيا مرسى سبتزا والاراضي المتعلقة بها الى غاية حدودها الجنوبية كما هي مبينة بالتفصيل في خريطة ويكون للجبل الحرية المطلقة التامة للسفر في نهر بوبانه ولكن لا يسوغ له ان يبني على النهر حصوناً او استحكامات الا ما لزم للمحافظة على اشقودرة خاصة فتكون تلك الحصون والحالة هذه غير خارجة عن دائرة مسافتها حول المدينة المذكورة ستة كيلو متر (٦٠٠٠ متر او نحو عشرة اميال) ولا يكون له بواخر حربية ولا راية ولا يسوغ لاي دولة كانت ان تدخل بواخرها الحربية الى مرسى انتواري اما الحصون الكائنة في ارض الجبل بين النهر وشط البحر فتهدم بالكلية ولا يسوغ اعادة بنيانها وتفوض لعهدة اوستريا وهنكاريا دارة البحرية والصحية في انتواري وفي شطوط الجبل وعلى الجبل ان يستعمل القوانين والاصطلاحات البحرية على موجب القوانين والاصطلاحات الجارية في دلماتيا (ناوستريا) وقد تعهدت اوستريا وهنكاريا بان تحمي بواخر الجبل الاسود التجارية ويلزم للجبل ان يتفق مع اوستريا وهنكاريا على مد سكك الحديد وانشاء طرق عادية في الاراضي التي دخلت حديثاً في حوزته وعلى تأمين حرية المواصلة عليها

(المادة الثلاثون) المسلمون وغيرهم الذين يملكون عقارات في الاراضي التي انضمت الى الجبل الاسود ويريدون ان يستوطنوا خارجاً عن الامارة لهم حق بان يبقوا مالكين عقاراتهم بايجارها او تشغيلها بواسطة من يختارونه وتشكل لجنة مؤلفة من مأمورين من العثمانيين واهل الجبل الاسود لتسوية المسائل التي تتعلق بكيفية نقل الاملاك وحرثها وادارتها سواء هي من املاك الوقف او الاملاك الاميرية التي للباب العالي فتجري تسوية جميع متعلقات الذين لهم مصلحة فيها وهذه التسوية تكون في ظرف ثلاث سنين

(المادة الحادية والثلاثون) على امارة الجبل الاسود ان تتفق مع الباب العالي على

ما يتعلق بتعيين وكلاء من طرفها في الاستانة او في جهات اخرى من السلطنة العثمانية مما يرى لازماً اما اهل الجبل المقيمون في السلطنة العثمانية او المسافرون فيها فيكونون تحت احكام الدولة العثمانية على حسب الاصول المقررة بين الدول وعلى حسب العوائد المقررة مع الجبل

(المادة الثانية والثلاثون) يلزم ان عساكر الجبل الاسود تخلي الاراضي التي هم الآن مستولون عليها مما لم يدخل في حدود امارة الجبل الجديدة وذلك في ظرف عشرين يوماً اعتباراً من يوم التوقيع على هذه المعاهدة او اقل من هذه المدة اذا امكن كذلك يلزم للعساكر السلطانية ان تخلي في المدة المذكورة الاراضي التي دخلت الآن في حوزة الجبل

(المادة الثالثة والثلاثون) حيث انه يلزم الجبل الاسود ان يتحمل جانباً من الديون العثمانية العمومية في مقابلة الاراضي الجديدة التي دخلت في حوزته بموجب شروط الصلح تعين نواب الدول الاجنبية في الاستانة هذا المبلغ بالاتفاق مع الباب العالي على اصول عادلة

(المادة الرابعة والثلاثون) الكل موقعون على هذه المعاهدة معترفين باستقلالية امارة الصرب ويقيدونها بالشروط المحررة في المادة الآتية

(المادة الخامسة والثلاثون) لا يسوغ التمييز في المعتقدات الدينية في الصرب ضد احد حتى يخرجه من الاهلية و جدارة جميع ما يتعلق بتمتعه بالحقوق المدنية والسياسية و بدخوله في الوظائف الاميرية او العمومية او نوال الشرف او استعمال الصنائع والحرف المختلفة كيف كان مقرها وتحصيل الاهالي الذين يقيمون في الصرب والاجانب ايضاً الحرية التامة في جميع التعلقات المذهبية ولا يسوغ ايجاد مانع ما في ترتيب درجات ارباب المذاهب المختلفة وفي علاقتهم مع رؤسائهم الروحانيين

(المادة السادسة والثلاثون) امارة الصرب تكون مالكة للاراضي الموجودة في ضمن الحدود الآتي ذكرها وهي ان الخط الفاصل يمر على طول الخط الحالي ومن مصب نهر «درينه» في نهر صاوا ويذهب مع مجرى ويترك «زوورنيق وزحار» للامارة ولا يترك الخط المذكور اعني الحدود القديمة الى «قاوبيق» ثم يفترق في ذروة جبل قاوبيق عن الخط المذكور ويسير من جنوب الجبل على طول حدود بيش الشرقية ويمر من تلال «ماريقا ومارادار بلانيا» وهذه التلال هي الخط الفاصل بين انهر «ايبار وسيتيقا

وحوبليه « وعلى هذا تلتقي [illegible] بولاد [illegible] بعمتة وتمتد [illegible] حتى خط مقسم المياه
الى جهة الجنوب من [illegible] ومارودجه ويترك ودي [illegible] كله للصرب
ويصعد الى [illegible] فوحوق [illegible] ويكون [illegible] خط الفاصل بين النهر المسماة
بوحيقا وتوسقا ومورو [illegible] ثم يذهب من هناك الى ما لابيا
الى مجمع النهر [illegible] توسقا ومورو [illegible] ويسير على خط الفاصل فيما بين مياه
النهر الذي يخالط نهر مورا وه في جور [illegible] ودوس « وبين [illegible] لابسا ايليجه »
دوق » ترعوبست [illegible] ومن هنا [illegible] من ذروة [illegible] الى ذروة جبل قلتروق «
[illegible] من التلال الموضوحة في الخريطة تحت عدد ١٥١٦ و ١٤٤٧ ومن [illegible] عورا
ويصعد الى جبل « قربي [illegible] » ويجمع حدود [illegible] يعني بغر
من تلال « [illegible] بلابينا » ويسير على خط مقسم المياه الواقع فيما
بين [illegible] ومورو [illegible] [illegible] ومن [illegible] توسقوه
ودر [illegible] لاب « وبعدها [illegible] على مقسم مياه [illegible] صوقوه
ومور [illegible] ويذهب [illegible] اسموت [illegible] سوره [illegible] من جهة
شمالها الغربي ويقطع طريق [illegible] كيلومتر عن صوفيه ويصعد
على خط مستقيم [illegible] ويلحق [illegible] راودوجه [illegible] سلسلة
اسلقان الكبير وتترك [illegible] لامارة الصرب [illegible] سقوس « [illegible]
ثم يسير من ذروة هذه الجبال الى جهة الشمال الغربي [illegible] « سيروق » ومن
[illegible] ويصعد [illegible] قولا [illegible] يتصل
بحدود الصرب الشرقية القديمة ويسير على هذه الحدود الى نهر الطوية وينتهي عند النهر
في « راقوبجه »
(المادة السابعة والثلاثون) لا يغير شيء في الصرب من الشروط الحالية في خصوص
العلاقات التجارية [illegible] بين [illegible] الاجنبية وبين امارة الصرب الى ان يجري بذلك
اتفاقات جديدة ولا يسوغ [illegible] يؤخذ على البضائع التي تمر في الصرب مرسلة من جهة
اخرى شيء من عوائد [illegible] والرسومات [illegible] والامتيازات السالفة الآن لرعايا
الدول الاجنبية في الصرب وحقوق الاحكام والحماية المختصة لرعاياهم على الاصول
المعمول بها الآن تبقى مرعية لاجراء [illegible] ان يحصل اتفاق بين امارة الصرب والدول
الاجنبية على تعديلها

(المادة الثامنة والثلاثون) التعهدات التي تعهد بها الباب العالي مع دولة اوستريا وهنكاريا او مع شركة سكة الحديد في لزوم بلي او فيما يتعلق باتمام السكك الحديدية وتشغيلها في الاراضي التي دخلت في حوزة الصرب تبقى مرعية لاجراء عقد امارة الصرب وعند التوقيع على هذه المعاهدة يجري اتفاق بين دولة اوستريا وهنكاريا والباب العالي والصرب وامارة الصرب على قدر ما يخصهم لتسوية هذه المسائل

(المادة التاسعة والثلاثون) المسلمون الذين يملكون عقارات في الاراضي التي ضمت الى الصرب ويريدون ان يستوطنوا خارجًا عن الامارة لهم الحرية بان يبقوا مالكين عقاراتهم مؤجرتها او يديرونها بواسطة من يختارونه وستتشكل لجنة مؤلفة من مأمورين من العثمانيين والصربيين لاجل تسوية جميع المسائل التي تتعلق بكيفية نقل وادارة الاملاك المتعلقة بالوقف او الاملاك الحرية التي للباب العالي وكذلك تسوية جميع متعلقات الناس الذين لهم مصلحة فيها وهذه التسوية تكون في ظرف ثلاث سنين

(المادة الاربعون) تكون معاملة رعية الصرب القاطنين في السلطنة العثمانية او المارين فيها بحسب اصول الاحكام والقوانين المتداولة بين الدول الى ان تحصل معاهدة بين الدولة العثمانية والصرب

(المادة الحادية والاربعون) يلزم لعساكر الصرب اخلاء جميع الاماكن التي لم تدخل في حوزة امارتهم في ظرف خمسة عشر يومًا عقيبًا من يوم التوقيع على هذه المعاهدة كذلك يلزم للعساكر السلطانية ان تخلي في المدة المذكورة الاماكن التي دخلت في حوزة الامارة

(المادة الثانية والاربعون) حيث انه يتعين على الصرب حمل جانب من الديون العثمانية العمومية في مقابلة الاراضي الجديدة التي حازتها بموجب هذه المعاهدة فسفراء الدول الاجنبية في الاستانة يعينون مبلغ قيمة الاراضي المذكورة على صورة عادلة بالاتفاق مع الباب العالي

(المادة الثالثة والاربعون) الدول الموقعون على هذه المعاهدة معترفين استقلالية رومانيا وربطتها بالشرطين الآتيين

(المادة الرابعة والاربعون) لا يسوغ التمييز في الاعتقادات الدينية في رومانيا ضد احد حتى يحرجه من الاهلية والاقتدار لجميع ما يتعلق بتمتعه بالحقوق المدنية والسياسية ودخوله في الوظائف الميرية او العمومية وتوليه الشرف او مشغله الصنائع والحرف

المختلفة كما كان مقرراً للجميع لاهالي التابعين لرومانيا و للاجانب ايضاً الحرية التامة في جميع المتعلقات المذهبية ولا يسوغ اتخاذ مانع ما في ترتيب درجات ارباب المذاهب المختلفة او في علاقتهم مع رؤسائهم الروحيين فتكون معاملة رعايا جميع الدول سواء كانوا من التجار او غيرهم في رومانيا بدون تمييز في المذهب على قدم مساواة تامة

(المادة الخامسة و الاربعون) امارة رومانيا تعيد الى حضرة امبراطور الروسية اراضي بساربيا التي كانت انفصلت من الروسية بموجب معاهدة باريس التي امضيت في سنة ١٨٥٦ وحدودها في جهات الغرب من مجرى نهر البروت وفي الجنوب من الـ «كيليا» وفم «ستاري استانبول»

(المادة السادسة و الاربعون) يضم الى رومانيا جزر الدلتا التي على الطونة وجزيرة «يلان طاغ» وسنجقية طولجي وهي تشمل قضاء كيليا وسولنه ومحموديه واسقجه وطولجه وماجين وبابا طاغ وهرسوه وكوستنجه ومجيديه وما عدا ذلك يضم اليها الاراضي الكائنة على جنوب الدوبروجه الى ان تصل الى خط يبتدئ من شرق سيلستريا وينتهي في بحر الاسود على جنوب منكاليه ويكون تعيين تخوم تلك الحدود في نفس المواقع بمعرفة اللجنة الاوروباوية المؤلفة لتعيين حدود البلغار

(المادة السابعة و الاربعون) مسألة تقسيم المياه والسيادة تعرض على لجنة الطونة الاوروباوية لتكون حكماً عليها

(المادة الثامنة و الاربعون) لا يجوز وضع رسومات او عوائد في رومانيا على السلع التي ترد اليها بقصد ارسالها الى جهة اخرى

(المادة التاسعة و الاربعون) يسوغ لرومانيا ان تعقد مع الدول لائحة اتفاقاً لتسوية مسألة امتيازات ووظائف قناصلهم فيما يتعلق بحماية رعاياهم في الامارة الا ان حقوق الحالة تبقى مرعية الاجراء ما دام لم يحصل اتفاق عمومي بين الامارة والدول

(المادة الخمسون) تبقى رعية رومانيا القاطنون في الممالك العثمانية او المسافرون فيها او رعايا العثمانيين المسافرون في رومانيا و القاطنون فيها متمتعين بالحقوق التي تشمل رعايا بقية الدول الاوروباوية الى ان تعقد معاهدة لتسوية امتيازات القناصل ووظائفهم بين الدولة العثمانية ورومانيا

(المادة الحادية و الخمسون) تتعهد الباب العالي ووظائفه فيما يتعلق بالعام لاشغال النافعة وما اشبهها في الاراضي التي دخلت في حوزة رومانيا تعود الى عهدة رومانيا

(المادة الثانية والخمسون) لاجل زيادة تأمين حرية السفر في نهر الطونه التي اعترف بها من المصالح الاوروباوية قرر ذوي الموقعين على هذه المعاهدة بان جميع الحصون والاستحكامات الموجودة الآن على النهر من عند المحل الذي يقال له «بوغاز الحديد» الى فم النهر تهدم بالكلية فلا يسوغ بعد هذا بناء غيرها ولا يجوز سفر احدى البواخر الحربية على الطونه متعدى «بوغاز الحديد» الا البواخر الصغيرة المعينة لخدمة الضبطية في النهر وخدمة الكمارك ولكن يسوغ لبواخر الدول الموجودة في فم نهر الطونة لاجل الحراسة ان تسافر في النهر الى غاية «غلاتس»

(المادة الثالثة والخمسون) تبقى جمعية الطونه الاوروباويه مقررة في وظائفها ولو رومانيا من الآن وتجري اعمالها من الآن وصاعدا الى «غلاتس» بحرية تامة مستقلة عن الحكومة مأموري الممالك الارضية [illegible] ويلحق بها مندوب رومانيا [illegible] جميع الحقوق والامتيازات [illegible] المتعلقة بها وبمأموريها وخصائصها ووظائفها ثابتة الاجراء

(المادة الرابعة والخمسون) قبل مدة سنة من انتهاء المدة المقررة لجمعية الطونه الاوروباوية تتفق الدول على تمديد سلطتها او على التعديلات التي يرون اجراءها من اللازم

(المادة الخامسة والخمسون) جميع التعليمات المتعلقة بالسفر في النهر وبوظائف الضبطية فيه من «بوغاز الحديد» الى «غلاتس» يكون تأسيسها وتنسيقها من طرف الجمعية الاوروباوية بمساعدة مندوب من طرف الممالك الكائنة بسواحل النهر ويصير تأليفها بالتعليمات الموجودة او التي تحدث في امور النهر من تحت غلاتس

(المادة السادسة والخمسون) يلزم للجمعية الطونه الاوروباوية ان تتفق مع الدول فيما يتعلق بتنوير الفنارات الكائنة على جزيرة «يلان طاغ»

(المادة السابعة والخمسون) قد فوض لاوستريا وهنكاريا الاشغال اللازم اجراؤها لازالة موانع السفر التي تحدث من «بوغاز الحديد» والشلالات ويلزم على الممالك المجاورة للنهر من الجهة المذكورة ان تجري جميع التسهيلات اللازمة لصحة تلك الاشغال اما المواد المقررة في المادة الرابعة من معاهدة لوندرا التي امضيت في ١٣ مارس سنة ١٨٧١ فيما يتعلق باخذ ضريبة موقتة لسد مصاريف تلك الاعمال والاشغال فتبقى مربوطة بدولة اوستريا وهنكاريا

(المادة الثامنة والخمسون) الباب العالي يسلم الى امبراطورية الروسية في اسيا

(الاناطول) اراضي اردهان وقارص وباطوم مع مرسى باطوم وجميع الاراضي الكائنة بين
تخوم الروسية والتركية القديمة و تخوم الآتي بيانها وهي « الحدود الجديدة » تبتدئ
من البحر الاسود على حسب الخط المقرر في معاهدة اياستفانوس الى نقطة في الجهة
الشمالية الغربية من « خوردة » وعلى جنوب « ارتوين » وتمتد على خط مستقيم الى نهر
« جوروك » وبعد عبورها هذا النهر تسير شرقي « شخشين » وتستمر على خط مستقيم
في الجنوب وهناك يلاقي حدود الروسية المشروحة في المعاهدة المذكورة وذلك في
نقطة على جنوب « ناريمان » مع بقاء مدينة « ولتي » في حوزة الروسية ثم يبتدئ الخط
بالقرب من « ناريمان » الى الجهة الشرقية ويكون مروره من « زبيق » وبعد دخول
مدينة زبيق في حوزة الروس يسير الى « بنك شاي » مارا منه الى ان يصل الى
« ماردوز » وبعد دخول مدينة ماردوز وبكي كوى في عهدة الروسية يأخذ نقطة من
غرب قرية « قره اوغلان » تجعل الحدود فيها على خط الى ان يصل الى « مججرت »
ومنها على خط مستقيم الى ان يصل الى تلال « [illegible] » وتستمر على خط بين نهر « اركس »
في الشمال ومصب نهر « [illegible] » في الجنوب الى ان يصل الى حدود الروسيا القديمة

(المادة التاسعة و الخمسون) امبراطور الروسية يصرح هنا بان غاية مقصده من
جعل باطوم مرسى حرًّا (يعني حر ان تكون البضائع معفاة من جميع رسومات الدخول
او الخروج)

(المادة الستون) تعيد الروسية على تركية اودية الشكرد ومدينة « بايزيد » التي
ملكت للروسية بموجب المادة ١٩ من معاهدة سان استفانوس وقد ترك الباب العالي الى
مملكة ايران مدينة « قطور » واراضيها كما تقرر في رأي لجنة الانكليزية و الروسية
التي نيط بعهدتها تعيين تخوم تركية وايران

(المادة الحادية والستون) الباب العالي يتعهد بان يجري بدون تأخير في الولايات
التي سكانها من الارمن سائر الاصلاحات والتحسينات التي تحتاج اليها امورها الداخلية
وان يتعهد بتأمينهم من تعدي الجراكسة والاكراد عليهم ويفيد الدول الاجنبية مرة بعد
المرة التثبتات التي اتخذها لهذه الغاية وهي تراقب كيفية اجرائها

(المادة الثانية والستون) حيث ان الباب العالي اظهر رغبة في ابقاء اصول حرية
الديانة وتوسيع مدها توسيعا مطلقا فان الموقعين على هذه المعاهدة ينزلون هذه الرغبة
منزلة الفعل فلا يسوغ التمييز في الاعتقادات الدينية في جميع اطراف السلطنة العثمانية

حتى يحرج احدًا عن الاهلية والجدارة بجميع مايتعلق بتمتعه بالحقوق المدنية والسياسية او بدخوله في الوظائف الميرية او العمومية او نواله الشرف او استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيما كان مقره ويؤذن لجميع الناس بان يؤدوا الشهادة في جميع محاكم بدون تمييز احد في لدين واستعمال سائر الامور الدينية يكون بحرية فلا يكون مانع ما لترتيب درجات ارباب المذاهب المختلفة او لعلاقتهم مع رؤسائهم ويكون الاكليروس (اصحاب الرتب الكنائسية) والزوار والرهبان من جميع الامم الذين يسافرون في الممالك العثمانية في الروم ايلي والاناطول حائزين حقوقًا واحدة وامتيازات وخصائص واحدة وفوض لى القناصل ونواب الدول الاجنبية في تلك الممالك حق في حماية اولئك المذكورين وحماية محلاتهم الدينية والخيرية حماية رسمية في الاماكن المقدسة او غيرها اما الحقوق المسلمة لفرنسا لم تزل مرعية الاجراء وصار من المعلوم المقررها انهُ لا يسوغ تبديل حال من الاحوال الحاضرة في الاماكن المقدسة اما زوار جبل اثوس من اي جنس كانوا يبقون حافظين لاملاكهم وامتيازاتهم وحقوقهم السابقة ويبقون متمتعين بمساواة تامة في الحقوق والمزايا

(المادة الثالثة والستون) تبقى معاهدة باريس التي امضيت في ٣٠ مارس ١٨٥٦ ومعاهدة لندرة التي امضيت في ١٣ مارس ١٨٧١ مرعية الاجراء وذلك فيما يتعلق بالمواد التي لم تنسخها ولم تعدلها هذه المعاهدة

(المادة الرابعة والستون) يقع التصديق على هذه المعاهدة بعد ثلاثة اسابيع او اقل ان امكن وللشهادة بذلك اثبت الموقعون اسماءهم على هذه المعاهدة بعد ان وضعوا عليها اختامهم

تحريرًا في برلين في اليوم الثالث عشر من شهر يوليه (تموز) سنة ١٨٧٨

الامضاء

فون بسمارك	سالسبري	هايمرل	شوفالوف
فون بولوى	اود روسل	وادنطون	دوبريل
هوهنلوه	كورتي	سان فاليه	قره تيودوري
اندراسي	لاوني	ديبريس	محمد علي
كارولي	غورجيقوف	نكسبلد	سعد الله

وعند الاحد في عمل بمقتضى هذه المعاهدة طلبت الروسيا عقد معاهدة نهائية لتصحيح ما سلم من معاهدة سان استيفانوس لتخرج عساكرها من الاراضي العثمانية فاستقر الامر على معاهدة تعريبها

(المادة ١) يقع بعد هذا صلح ووداد بين السلطنتين

(المادة ٢) قد وقع الاتفاق بين الدولتين على ان تصرحا بان المواد التي تضمنتها معاهدة برلين التي صار اجراؤها بموجب توسط لدول السبع جرى العمل بها عوضاً عن شروط صلح معاهدة اياسطفانوس التي صار تعديلها او تبديلها في مؤتمر برلين

(المادة ٣) جميع مواد معاهدة اياسطفانوس التي لم يحصل تبديلها او تعديلها او الغاؤها في معاهدة برلين جرت تسويتها في المواد الآتية من هذه المعاهدة تسوية قطعية

(المادة ٤) بعد اسقاط قيمة الاراضي التي اخذتها تركية الى الروسية بموجب معاهدة برلين يبقى مبلغ الغرامة الحربية المتعين على الباب العالي اداؤه ٨٠٢،٥٠٠ ر ... ربل وكيفية اعطاء هذا المبلغ والضمان عليه تكون بالاتفاق بين دولة الحضرة العلية السلطانية ودولة قيصر الروسية ما عدا ما صرح به في الضبطة الحادية عشرة من معاهدة برلين فيما يتعلق بالغرامة الارضية والحقوق الاولوية المختصة بالدين لم تطالب على الدولة العلية

(المادة ٥) مطالب رعية الروسية القاطنين في تركية بصفة تعويض عن الضرر الذي حصل لهم في مدة الحرب الاخيرة تعطى عند ثبوتها وتسويتها بمعرفة سفارة الروسية بالاستانة واطلاع الباب العالي عليها وعلى كل حال لا يمكن ان تزيد على ٢٦،٧٥٠ ر ٠٠ ربل ويلزم تقديمها الى الباب العالي في ظرف سنة واحدة اعتبارًا من يوم مبادلة هذه المعاهدة المصدق عليها وبعد مضي سنتين لا يقبل الباب العالي شيئاً منها

(المادة ٦) يعين من طرف الباب العالي ومن طرف دولة الروسية مأموران مخصوصان لتسديد حساب تموين العساكر العثمانية الذين كانوا اسرى في الحرب الاخيرة وهذه المصاريف تعين الى يوم التوقيع على معاهدة برلين ويسقط منها المبلغ الذي صرفته الدولة العثمانية على مؤونة الروس الذين كانوا اسرى عندها وبعد تسوية هذا الحساب يدفع الباب العالي المبلغ الى الروسية في احد وعشرين قسطاً متساوية يكون دفع آخر قسط منها في ظرف سبع سنين

(المادة ٧) سكان الاماكن التي الحقت بالروسية الذين يريدون الاقامة في غيرها يسوغ لهم الخروج منها بحرية تامة كما انهُ يسوغ لهم ايضاً بيع املاكهم وعقاراتهم « الغير المنقولة » ولاجل هذه الغاية تعطى لهم مهلة ثلاث سنين اعتباراً من يوم التصديق على هذه المعاهدة فاذا انقضت هذه المدة ولم يخرجوا من الاماكن ولم يبيعوا عقاراتهم يصيرون رعية للروسية

(المادة ٨) قد تعهد الموقعون على هذه المعاهدة بان لا يعاقبوا او يسببوا معاقبة رعية الدولتين الذين كان لهم علاقة او مساركة مع عساكرهما في الحرب الاخيرة واذا اراد احد من العثمانيين ان يتبع عساكر الروس عند خروجهم من ارض الدولة العلية فلا يسوغ لمأموري هذه الدولة ان يمنعوهم

(المادة ٩) تمنح رعية الدولة العثمانية الذين اشتركوا في الانقلاب الاخير الذي وقع في ولاياتها بالروم ايلي الامان والعفو التام بحيث ان كل من حبس منهم لهذا السبب او نفي او ابعد من بلاده يعفى عنهُ ويخول الحرية التامة

(المادة ١٠) جميع المعاهدات والاتفاقات والتعهدات التي كانت حاصلة بين الموقعين على هذه المعاهدة فيما يتعلق بالاحكام وحال رعية الروسية القاطنين في تركية ثم الميت بسبب الحرب الاخيرة تصير معمولاً بها كما كانت سابقاً فتبقى علاقة كل من الدولتين من جهة تعهداتها وعلاقتها التجارية وغيرها على الحالة التي كانت عليها قبل الاعلان بالحرب ما عدا ما صرح به في هذه المعاهدة او في معاهدة برلين

(المادة ١١) يتسبب الباب العالي بالوسائط الفعالة لتسوية جميع الدعاوي والمنازعات المختصة برعية الروسية الموقوفة منذ بعض سنين ويعطى لهم تعويض اذا اقتضتها الحال مع المبادرة الى انهاء جميع الدعاوي التي صدر بها لهم اعلامات وقرار من المجالس

(المادة ١٢) بعد التصديق على هذه المعاهدة يقع تبادلها في سان بطرسبرج في ظرف اسبوعين او اقل اذا امكن

تحريراً بالاستانة العلية في ٨ شباط (فبراير) ١٨٧٩

فتلخص مما تقدم ان سائر الممالك العثمانية هي آمنة للوارد عليها واحكام الدولة العلية بها لكل من حوت ممالكها شرعية سياسية منظمة ولها مجلس شورى ومجلس اعيان

ومجلس مبعوثان (نواب) وان اعترض الآن من القلاقل الخارجية ما اوجب تأخير اجتماع المجلسين الاخيرين لاتمام اجراء الاصلاحات حقيقة واما تعيين قواها البرية والبحرية والدخل والخرج فقد تقدم ذكره مع بقية الدول

* الى هنا وقف بالمؤلف رحمه الله القلم * وبذلك اختتم هذا الكتاب وتم *

تقاريظ

كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار

مكتوب

ورد من حضرة العلامة الاشرف السيد علوي السقاف شيخ السادة بمكة المكرمة

الحمد لله تعالى

حضرة العالم العلامة والحبر الفهامة ملاذ الاعاجم والماجد الهمام الاكرم مولانا الشيخ محمد بيرم ادام الله النفع به امين

بعد اداء تحيات عاطرة . واشواق متكاثرة هو اني بعد ان تشرف ناظري المرور على جملة صالحة من تحريراتكم البديعة العلية المقدار وجدتها جديرة بما سميت به من صفوة الاعتبار . بمستودع الاقطار والامصار اضحت سياحتي فيها ناظري ونزهة من الهموم مجولاتي بها خاطري . كيف وهي خريدة غراء غريبة لا انها غريبة في بلاد الروم . وعروس تجلت في منصتها لا انها لا يكافئها كل خاطب لها يروم . اشرقت فيها كواكب التدقيق . واضاءت في آفاقها شموس التحقيق . ابدعتم معانيها واحسنتم . واحكمتم مبانيها واتقنتم . فشكر الله تعالى لكم حسن هذا الصنع . وسأله تعالى دوام النفع بكم لكل وضيع ورفيع . وها هي بيد الخادم عائدة اليكم . مصحوبة بعرض هذه الثانية عما في لم اياديكم . ودمتم . في عز كما رمتم

في ٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٠٠ — مستمد دعواتكم الصالحة

علوي بن احمد السقاف

ترجمة مكتوب

ورد عن لسان صاحب الحشمة ملك السويد والنروج اوسكار الثاني من مدينة اوبسالا
بتاريخ ٢ سبتمبر سنة ١٨٨٩

حضرة السيد

بأمر من جلالة الملك الشريف بأن اخبركم بورود تأليفكم الموسوم بصفوة الاعتبار الذي تفضلتم بتقديمه الى مقامه السامي بصفة كونه حامياً ورئيس شرف للمؤتمر الثامن الدولي للمستشرقين وقد كلفني جلالته بان ابلغ سيادتكم جزيل شكره على هذه الهدية النفيسة وتفضل يا حضرة السيد بقبول فائق اجلالي واحترامي رئيس الكتاب

﴿ دوميلسنغ ﴾

واسم الكاتب مذكور في الصحيفة ٦٢ من ترجمة الكتاب اي في ترجمة قصيدة جلالة ملك السويد والنروج بملك منسية

ترجمة مكتوب وارد باللغة التركية

من الكاتب كاتب عظمة نور المرحوم سعد الله باشا سفير الدولة العلية في ويانه سابقاً

من مدينة ويانه بتاريخ ٤ مايس ١٨٨٨

فضيلتلو افندم حضرتلري

وصلت لبد الاعزاز تحفتكم الكريمة واني لفي غاية الابتهاج مما تفضلتم باظهاره في حق هذا العاجز من آثار توجهاتكم الودادية وارجوكم قبول عذري لتأخري عن المبادرة بالاجابة. هذا واني اتباهى بوقوفي بالخبر على ما كنت اسمعه بالخبر عن فضائل ذاتكم العالية وكمالاتكم المشهورة وانكم بتحرير صاحب قلم اوقفتموه لخدمة الملة والمدنية الاسلامية واقبالها وترقيها وقد حفظت ذكرى الملاقاة التي تشرفت بها عند ما حضرتم الى اوربا لتبديل الهواء واهنيكم على توفيقكم لتحرير رحلتكم المسماة بصفوة الاعتبار المشحونة بالفوائد المهمة التي اتحفتموني بنسخة منها لطفاً منكم وتكرماً « خير الناس من ينفع الناس » واني ارجو ان لا تنسوني من دوام توجهاتكم والامر لعبدي في كل حال ﴿ سعد الله ﴾

فهرست

﴿ الجزء الخامس من صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار ﴾

ترجمة

المرحوم السيد محمد بيرم الخامس

هو السيد محمد بن مصطفى بن محمد الثالث بن محمد الثاني بن محمد الاول بن حسين بن احمد بن محمد بن حسين بن بيرام حضر الى تونس قائدا على احدى فرق الجيش العثماني عند فتحه من يد الاسبانيول على يد الصدر الاعظم سنان باشا سنة ٩٨١ هجرية وقد تزوج بيرام بنتا من آل ابي عبد الله بن الابار القضاعي صاحب كتاب التكملة واعتاب الكتاب وهو الذي ارسله صاحب بلنسية زيان بن ابي الحملات الى صاحب افريقية (تونس) ابي زكريا يحيى بن ابي حفص يستغيث به لما حاصره ملك برشلونة الاسبانيولي وانشده قصيدته المشهورة التي اولها

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا ... ان السبيل الى منجاتها درسا

وقد قدر الله ان الاسطول الذي ارسله صاحب تونس لم يصل في الوقت المناسب لانجاد الاندلسيين فرجع ابن الابار لتونس حيث استوطن بها سنة ٦٣٥ وقد امهرها بيرام اربعة آلاف ريال هذا هو المنشأ الاصلي لهذه العائلة

وقد ولد السيد محمد بيرم بمدينة تونس في المحرم سنة ١٢٥٦ هجرية الموافق لمارس سنة ١٨٤٠ ميلادية وامه بنت الفريق محمود خوجه وزير البحرية للايالة التونسية وامها بنت العائلة ذي الشرف المعروف ويتصل نسب آل بيرم

بالسادة الاشراف من جهات اخرى ايضاً اهمها جهة محمد بيرم الاول فان والدته بنت السيدة الشريفة حسيبة بنت محمد بن ابي القاسم بن محمد بن علي بن حسن الهندي الشريف وهذا السيد قدم الى تونس واجمعت عامتها وخاصتها على الاعتقاد بنسبه الطاهر والتبرك به ونسله فيها بركة اهل تونس الى الآن اما نسبهُ فيتصل الى الحسين السبط عليه السلام وقد تولى محمد بيرم الثاني نقابة الاشراف في حياة ابيه مضافة الى خطة القضاء التي كانت بيده سنة ١٢٠٦ واستمرت النقابة في يد ولده محمد بيرم الثالث وحفيده محمد بيرم الرابع الى حين وفاته سنة ١٢٧٨ كما ان رئاسة المفتيين الحنفية المعبر عنها في تونس بمشيخة الاسلام استمرت في يدهم ويد ابيهم محمد بيرم الاول من ذي القعدة سنة ١١٨٦ الى ٤ جمادى الاولى سنة ١٢٧٨ اي احدى وتسعون سنة وستة اشهر ولم تنقطع الا مدة قليلة بين وفاة بيرم الاول وولاية بيرم الثاني وكان جميع آل بيرم منخرطين في سلك العلماء مفتخرين بخدمة العلم الا قليل منهم فقد دخلوا في الخدمة العسكرية فجمع لهذه العائلة خدمة الدين من الطريقين طريق العلم وطريق الجهاد حتى ان احمد بيرم توفي بجراحة اصابته في محاربة الجزائر بين مراد باي امير تونس اذ ذاك سنة ١١١٢ وكان هذه الخدمة السياسية اثرت في صاحب الترجمة مع قرابته لوزير البحرية حينئذ وصار له ميل كلي للتداخل في الامور الملكية ومعرفة احوال الحكومة وقد كان جده محمود خوجه رام ادخاله في الخدمة العسكرية ولا ممانعة عمه شيخ الاسلام بيرم الرابع فدخل صاحب الترجمة الى جامع الزيتونة وقرأ على مشايخ الوقت المعدودين ولم يمنعهُ ذلك عن اشتغال فكره بما يهواه من

امور الادارة مع تباعد اهل العلم عادة عن كل ما هو خارج عن دائرة دروسهم وقد جرت عادة الكثير من العلماء والادباء بتونس ان يكون لكل واحد منهم صغر سنه كناش يسمونه بالسفينة يجمعون فيه ما يحلو لديهم جمعه من انشائهم او انشاءات غيرهم عصبة وادبية نظماً ونثراً متضمنة الفوائد المختلفة في فنون ومعان شتى وقد خطى صاحب الترجمة على خطاهم وعمره سبعة عشر سنة واول ما افتتح به كتابة ما تجمع لديه من اوامر وقوانين ونظامات في شؤون الحكومة اصدرها اذ ذاك صهره الامير محمد باشا وهذا يدل دلالة واضحة لا شبهة فيها على ميل صاحب الترجمة وتعلقه باحوال السياسة وقد كان في حال صباه يرى العربان يفدون على والده وهو مشغول بالزراعة يتضجرون ويتوجعون مما يصيبهم من ظلم الحكام وتشديدهم في نهب الاموال بسائر الطرق التي اخترعوها في ذلك الوقت مما هو مبسوط في الكلام عن سياسة تونس الداخلية في صفوة الاعتبار فاثر فيه تحييهم وبكاؤهم فوقف حياته من ذلك العهد على الانتصار للرعايا وتخفيف الاستبداد عليهم والسعي وراء نشر القوانين وتأسيس المجالس النيابية والميل بكل جوارحه للحرية مع ما جرت به العادة من تباعد ذوي البيوتات عن مثل ذلك حتى لقد بلغ به الولع بالحرية وحب المجالس الشورية ان تخالف رأياً يوماً وهو صغير السن لا يتجاوز من العمر عشرين سنة مع ابيه وابن عمه عندما افتتح الامير الصادق باشا المجلس الاكبر واسس قوانين عهد الامان (كونستيتسيون) فكان صاحب الترجمة ينتصر لهذه المستحدثات ويتوسم فيها خيراً للبلاد وذلك يخالفانه مع ان احدهما كان من جملة اعضاء المجلس لما غرس في اذهان اصحاب

البيوتات من التنحي عن مثل هذه المستحدثات التي لا تروق في اعين حكامهم وبعد وفاة عمه الشيخ بيرم الرابع ولاه الامير مشيخة المدرسة العنقية في ٦ جمادى الاولى سنة ١٢٧٨ فباشر التدريس فيها ومن عادة علماء تونس من مشايخ المدارس ان يقرأوا فيها صحيح البخاري خصوصاً في الاشهر الثلاثة المكرمة واعتباراً من ١٥ رمضان يبتدئ كل واحد منهم بحسب الدور بختم ما قرأه وذلك بان يتلو الحديث الشريف الذي وقف عليه ويكتب عنه ما يعن له من الشروح والتعليقات ويكون لذلك تجلس حفل يستمر من العصر الى قريب الغروب وتتوالى الاحتفالات المذكورة الى الليلة السابعة والعشرين من رمضان حيث يكون ختم جامع الزيتونة ودور المدرسة العنقية في اليوم الخامس والعشرين منه وقد حضر الامير بنفسه ذلك الختم في تلك السنة تشجيعاً للشيخ الجديد وكان حديث الختم قوله عليه الصلاة والسلام "ان امتي يدعون يوم القيامة غرّاً محجلين فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل" وفي ٩ جمادى الثانية سنة ١٢٧٨ صار مدرساً في جامع الزيتونة من الطبقة الثانية وفي ١٥ رجب سنة ١٢٨٤ رقي مدرساً من الطبقة الاولى فاستمر مباشراً للتدريس مشغولاً بادارة املاكه وعقاراته واموره الخصوصية وتوفي والده الى رحمة ربه في ١٤ جمادى الاولى سنة ١٢٨٠ وترك له ثروة عظيمة وفي تلك الاثناء ظهرت الفتنة العمومية في الايالة التونسية متسببة عما كان يتوقعه ويخشاه من عاقبة ظلم الرعية واستبداد الحكام وقبيل ذلك ابطلت المجالس الشوروية التي كان صاحب الترجمة يتوقع نفعها ويهواها ولا يتوسم الخير للمملكة سواها وكأن ذلك اثر عليه تأثيراً شديداً حتى انه كاتب احد

اصدقائه من امراء المسلمين مقيمين باوربا بما نص محل الحاجة منه " فيا لها من حال يرثي لها من رام الزوال . وتخر ستدثها شمحات الجبال . الى ان قال فقد فاز من نجا بنفسه . واستراح من فتنة بادائه وحسه . اذ الآيات وردت على ذلك منصة . فقال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة . ففاز المخففون . وابتلي المتأملون . ووالله العظيم . ونبيه الكريم . فلما نهضت عزائمي الى الترحال . فاثقلتني قيود العيال . مع ما انا عليه من الوحدة عن اخ شقيق . او قريب يخلفني فيهم عند الضيق . ولم استطع التخلص بكلي . الا بحمل ما يثقل كلي . واقسم بالقرآن . وصفات الرحمن . اني عرضت للبيع املاكي . لاتخلص بها من اشراكي . واستعين منها بالاثمان . فلم اجد من يصرف لهذا الوجه اي عين . ولو من اعيان الاعيان . الخ " والمكتوب كله منشور في الصحيفة ٣٦ من الجزء الثاني من صفوة الاعتبار ومن ذلك الحين اشتد اتصاله بالوزير خير الدين باشا اذ كان هو رئيس المجلس الاكبر الذي الغي وكانت مناسبة الوصلة بينهما حبهما للحرية وتعميم الشورى في المملكة وهما كما لا يخفى قوتان الوحيدتان لحفظ استقلال البلاد من التلاشي ولذلك فانه لما تولى خير الدين باشا الوزارة الكبرى في تونس في رمضان سنة ١٢٩٠ كان صاحب الترجمة من اكبر انصاره ومحازبيه وتظاهر بذلك تظاهراً كلياً حتى نشر في الرائد التونسي الذي هو جريدة الحكومة الرسمية مكتوبين ادرج فيهما انبساط الاهالي من تغيير الوزارة وبين غلط المتصرفين للحاكم السابق وانهم فئة قليلة لا تحب خير البلاد وكان بذلك اول تونسي جاهر بارائه السياسية في الجرائد تحت امضائه على ما اظن وزاد

على هذا التطهر الادبي من سعى في اعمال تظاهر مدني وذلك بان اتفق مع عمد جامع الزيتونة على اقامة احتفالات في الجامع شكراً لله على انقاذ البلاد من عهد الجور وادخالها في عصر الامن والرجوع لعهد الامان وحصل بالفعل ذلك الاحتفال واعقبهُ كثير مثلهُ في جهات الحاضرة وبقية بلدان المملكة فكانت نهضة حقيقية وطنية صادرة عن اخلاص بنية حباً في الحرية واستقامة الاحكام ولما استقر الوزير المذكور بيده في منصب ووجه عزيمته لاصلاح الادارة رأى ان الاوقاف مشتتة قد استولت عليها ايدي الخراب والاطماع فرأى ان جمعها في ادارة واحدة يكفل حفظها ويجمع ريعها فيصرف في اوجهه المشروعة وذلك على نحو الجاري في دار الخلافة السعيدة وقد رأى الوزير ان يعهد الى صاحب الترجمة امر هذه الادارة الجديدة لما يعهده فيه من معرفته بالاحكام الشرعية واطلاعه على مقتضيات الوقتية فامتنع المرحوم اولاً من قبول اي وظيفة كانت لانهُ لم يكن يميل الى التقييد بشيء ما يمنعهُ عن السعي وراء ضالته المنشودة وهي الحرية للرعية ودخولهُ في الوظائف يجعلهُ بلا ريب مقيداً مع الوزير بالآداب التي تقتضيها الوظيفة اما بقاؤه خارجاً عن دائرة الحكومة فيبقيه على حريته التي تمكنهُ من تذكير الوزير بما عساه ينساه من تتميم ما كان تعهد باجرائه هذا فضلاً عما كانت عليه همة صاحب الترجمة من الهمة واباءة النفس حتى كأن جدهُ حسين بيرم المتوفي سنة ١١٥٥ قد نظر اليه بعين الغيب لما ذيل البيتين الشهيرين

شيآن لو بكت الدماء عليهما | عيناي حتى تؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما | فقد الشباب وفرقة الاحباب

بقوله

واشدّ من هذين ان يلق الفتى   دل السؤال ووقفة الابواب

ومع ذلك فقد تغلب اصحابهُ عليهِ وقبل ادارة الاوقاف في ١٧ صفر سنة ١٢٩١ ولم يفرد مع ذلك بامرها بل شارك معهُ مجلساً مؤلفاً من ثلاثة اعضاء احدهم من رجال الادارة والاثنان الآخران من اعيان الاهلي والتجار وجعل نظرهم في الاوقف على قسمين الاول الاوقف الاهلية اي التي هي موقوفة على ذريةّ الواقف او قرابته والثاني الاوقف التي على اعمال البر مثل الجوامع وقراءة القرآن وغير ذلك فاما نظرهم في الاول فهو مجرد نظر ارشاد واما القسم الثاني فنظرهم عليه نظر تصرف مطلق والمباشر للاعمال هو الرئيس بعد اخذ رأْي الاعضاء ثم وقد جمع الاوقف كل نوع منها لجهة واحدة بان ضم مثلاً جوامع الخطب كلها لجهة والمدارس كلها لجهة واوقاف القرآن لجهة وهكذا الى آخر انواع الموقوف عليهِ وجعل لكل قسم وكيلاً خاصاً يباشر العمل في ذلك تحت نظر الاصلي فيقبض الوكيل ويصرف في اقامة الشعائر وفي اصلاح الموقوف والموقوف عليهِ ولكنهُ لا يعمل شيئاً الا بعد الاستئذان من رئيس المجلس وجميع حساباته ترسم في دفترين مخصوصين بشهادة عدلين احد الدفترين للحسابات اليومية والثاني للحسابات العمومية وانما جمع كل نوع من الاوقاف تحت نظر وكيل واحد لان الموقوف عليه مختلف الريع بعضهُ غني وبعضهُ فقير فاذا كانت ادارتها جميعاً متحدة فيصرف من دخل الغني على الفقير لانهما من نوع واحد وبذلك تيسرت سهولة الاصلاح ثم انهُ في آخر كل اسبوع يقدّم الوكلاء حساباتهم ويوردون

قسمين احدهما مجاني للفقراء يسع مائة مريض والآخر للموسرين باجرة معينة زهيدة وافتتحهُ الامير بنفسه في موكب حافل حضره في يوم ١٠ فبراير سنة ١٨٧٩ (١٨ صفر سنة ١٢٩٦) واعلن الوزير عن لسان الحكومة تحسن مساعي صاحب الترجمة في تنظيم هذا المستشفى بقوله في خطاب القاهُ على مسمع الامير في ذلك الاحتفال وهو "بمقتضى الاذن العلي وعناية سيدنا ادام الله تعالى بقاءه بمصالح البلاد وقع انجاز هذه المأثرة الجميلة التي هي احدى مآثر الحضرة العلية وهي هذا المستشفى الصادقي الذي شرفهُ سيدنا ايده الله تعالى بالحضور فيه هذا اليوم وقد اعتنى الشيخ السيد محمد بيرم ببذل الجهد في انجازه وترتيبه على الكيفية المشاهدة بما نرجو من الله تعالى ان يحل ذلك من سيدنا محل الاستحسان " فاجاب الامير بالشكر والثناء واهدى الى صاحب الترجمة في ذلك اليوم علبة مرصعة ذات قيمة وفرة مكتوب عليها اسمهُ بالاحجار الكريمة. وفي اوسط تلك السنة تطاول احد اعوان الوزير على القاضي المالكي الشرعي بديوان الحكم وهو امر لم يعهد له مثيل في تونس حيث تنزل الاحكام الشرعية وحكامها مرموقين بعين التبجيل والاحترام اللائقين فهاجت البلاد لذلك وماجت واتفق الحكام الشرعيون على تعطيل الاحكام الى ان يسترضيهم الامير بعزل الوزير وعقاب تابعه بعقاب صارم واجراء القوانين والمجالس الشورويَّة في البلاد لتكون ضمانة كافية على عدم العود لمثل هذا الحادث المكدر وعدم تسليم الادارة لمن لا يكون كفوءًا لها وبعد ان اتفقت كلمتهم على هذه المطالب وكادوا ان يحصلوا عليها دخل بين بعضهم دخل الغرور والتفرقة فتشتت آراؤهم وانحلت جامعتهم ورضوا

بتبعيد التابع المتطاول لاحدى معاقل المملكة في قابس الواقعة على حدود طرابلس وبتشكيل لامير لمجلس سماه مجلس الشورى للنظر في مهمات امور الدولة وجعله تحت رئاسة الوزير نفسهِ واعضاؤه بقية وزراء المملكة ومستشاروها وليس فيهم الأ اثنان من الاهالي والباقي كلهم من مماليك الجراكسة وزاد عليهم اثنين هما السيد محمد بيرم والعربي باشا زروق رئيس المجلس البلدي وكانا من اشد المعضدين لعزائم الحكام الشرعيين في مطالبهم التي طلبوها وكان ذلك في ١١ رجب سنة ١٢٩٦ ولا يخفى ما في رضاء المشايخ بمثل هذا المجلس خصوصاً بعد تعيين صاحبيهم فيهِ من الايقاع بهما والتغاضي عن صالح البلاد الحقيقي ولم تطل الايام حتى اختلق الوزير مأمورية لصاحب الترجمة وارسلهُ بها الى فرنسا وحاصلها السعي لدى كبراء القوم وخصوصاً غامبيتا رئيس مجلس النواب اذ ذاك وصاحب القول الفصل في بلاده لتغيير قنصلهم في تونس لانهُ اشتد على الحكومة اشتداداً لم يبق لها حرية للعمل في شؤونها الداخلية قط ولم يقف عند حدّ في القاء الدسائس والفتن وتوغير الصدور بين الراعي والرعية حتى انهُ لما طلب اعيان الاهالي التونسيين ما طلبوه من تأسيس الحرية والشورى في بلادهم كان الموسيو رستان نائب الجمهورية الفرنسوية ينصح الامير بعدم الاصغاء الى هذا الطلب وان العساكر الفرنسوية بالجزائر مستعدة لمعاضدتهِ وكسر شوكة الاهالي واذلالهم عند اللزوم وهي سياسة قديمة اتبعتها فرنسا في تونس نفسها فان قوانين عهد الامان السابق ذكرها المؤسسة في تونس سنة ١٢٧٤ كانت بمساعي فرنسا وانكلترا ظاهراً وتهديدهما للامير باسطوليهما اللذين حضرا لذلك الغرض

وكان ذلك لمجرد قتل يهودي في اقامة حدٍّ اقتضتهُ الشريعة ولما اجريت تلك لقوانين بالفعل سنة ١٢٧٧ وتوجه الامير لمقابلة الامبراطور نابليون الثالث في الجزائر واهدى اليه نسخة من تلك القوانين اقتبلها منهُ بالشكر ظاهرًا ولما اختلى الامبراطور بقنصله ليون روش وبخهُ توبيخًا شديدًا على ما رواه المرحوم الجنرال حسين وافهمهُ غلطه من معاضدة على اجراء القوانين الشورويَّة في تونس حقيقة وقال له ان العرب اذا تأنسوا بالعدالة والحريَّة فلا راحة لنا معهم في الجزائر مطلقًا ومن ذلك الحين وجه القنصل همتهُ لاقناع الوزير مصطفى خزنه دار بالغاء تلك القوانين ووجد منهُ اذنًا صاغية فالغاها وبقيت كذلك الى هذا الوقت . وقد قبل السيد محمّد بيرم مأموريتهُ كما قبل المرحوم حسين باشا وزير المعارف اذ ذاك بتونس مثلها لدى البرنس بسمارك ولما توجه صاحب الترجمة للسلام على الامير سلام الوداع واجههُ بكلام اللوم والعتاب على ما جرى منهُ من تعضيد المطالب الاهلية فاجابهُ الشيخ بيرم بكلام اثر في نفسه تأثيرًا لم يزل يكرره بتوجع الى آخر مدته وهو انهُ قال له اننا نطلب الحريَّة التي قال سيدنا انهُ لا يعطيها لنا غيره فاجابهُ الامير اني اعطي الحريَّة للنجار والحداد امثالك او لهذا (واشار الى احد كبار الحاضرين) فان النجار والحداد اذا اعطيا الحريَّة اساءا التصرف بها ولم تبقَ لنا معهما راحة فقال له السيد بيرم ان الحريَّة التي يعطيها سيدنا للحداد والنجار تصيرهما مثلي انا ومثل هذا واشار الى ذلك الوجيه وسبب انزعاج الامير من هذا الجواب هو تكرار لفظة الحريَّة فيه ولم يعهد انهُ سمعهُ من قبل حتى ان امراء تونس قديمًا كانوا يعتقدون انهم يملكون البلاد بمن فيها من

الارزاق والانعام والسكان امتلاكاً شرعياً لا ينازعهم فيه منازع واورد المؤرخ الاديب الشيخ احمد بن ابي الضياف في تاريخهِ نادرة جرت له مع امير تونس حسين باشا الثاني في هذا الموضوع كادت ان توردهُ حتفهُ رحمهُ الله . ولما وصل صاحب الترجمة هذه المرة الى باريس وكان ظاهر امره انهُ توجه للتداوي اجتمع بالموسيو غامبيتا وفاوضهُ في المسألة التي كلفهُ بها الوزير وسلمهُ تقريراً فيها هذه صورتهُ

" اني اقدم على وجه خصوصي غير رسمي الى حضرتكم العلية تقرير ما هو واقع في المملكة التونسية مما عساه ان يكدر صفاء القلوب حيث كنت أنا واهل بلادي على علم من ان الدولة العظيمة الحرة لا يليقها ما هو حاصل الآن من نائبها في تونس الذي اتخذ طريقة التشديد والتخويف ديدناً في كل شيء حتى صير حكومتنا متعذرة من اصدقائها عوضاً عن زيادة الالفة والركون الذي هو الواجب مع الامة الفرنساوية التي كل اهالينا يعلم انها وحدها هي التي تفيدنا ولهذا عند ما امتلأ وطاب من الكدر لم نقصد الا ابلاغ الحال الى رجالها المنصفين من غير ان نطرق باباً غير بابها وذلك ان موسيو رستان النائب المذكور بعد ان اوقع دولتنا في ارتباك وكاد يغير علينا الدولة الفرنساوية في نازلة موسيو دو صانسي التي لا تستحق تلك الاهمية حسبما يوضح ذلك التقرير الذي حررهُ مجلس لتحقيق معين من فرنسا وبعد ان اضطر حكومتنا الفقيرة التي لم تستطع دفع كبونها (فوائد ديونها) ولا مرتبات متوظفيها الى دفع مبالغ مجاناً من المال والاملاك الى اناس لا فائدة بهم لكلا الدولتين لاسباب نتحاشى عن ذكرها امام فخامتكم حتى انهُ خسره

في مدة السنة اشهر الاخيرة فقط نحو مائة الف وسبعة واربعين الفا فبعد هذا كله اذا هو الآن يتعرض رسميا لتحسين ادارة البلاد التي بها تتمدن الاهالي ويدخلون في الحضارة وكانت الدولة الفرساوية امالتنا اياها على يد نائبها سنة ١٢٧٤ (١٨٥٨) انتصارا للانسانية والحق وعوضا عن زيادة التقدم مع تقدم العام اذا هو الآن مضاد لذلك وقال الى سيادة سيدنا الباي لا تفعل مجلس الشورى الذي طلبته منك الاهالي وابق على حالتك العتيقة بل اوعز اليه مع بعض اعوانه المنكشف حالهم بان يقتل نحو ثلاثة اشخاص وينفي نحو سبعة ويلتجي الى حمايته ولا عليه في شيء فلولا مكارم سيادة سيدنا الباي لوقع البلاد بل فرنسا ذاتها في ارتباكات مضادة للانسانية والعدالة المجبولة عليها الدولة الجمهورية الفرساوية . فيا ايتها الحضرة الفخيمة هل ترضى الامة والدولة التي ترسل ابناءها الى قصي المشرق والمغرب لحفظ الانسانية ان يكون نائبها مضادا لذلك في بلاد هي جارة لها عندما كانت الدولة العظيمة تخرج اهل الجزائر من الحكم العسكري الى الحكم البلدي متسترا في دعواه بعدم التعرف بالمجلس بانه سمع ان مقصد منه هو التعرض لمصالح فرنسا مع انه على علم بان مصلحة الامة الفرساوية يعتبرها ويراعيها كل من الآمر والمأمور في بلادنا لعلمنا بعقباها بيد انه اذا كانت المصلحة ليست لفرنسا وانما هي مجرد فوائد شخصية فان مصلحة البلاد تقدم عليها وهو الذي نؤمل المعاضدة عليه من الرجال المشهورين في العالم من الدولة الفرساوية وتبقى بمآثرهم مزينة صحف التاريخ فبهذا انا انهي الى مسامعكم الشريفة اختصار ما هو حاصل ولحضرتكم ان تطلبوا الايضاح ممن يعلم حالة بلادنا من الذين لهم خبرة بها من الصادقين "

وقد بادر صاحب الترجمة بارسال تفصيل المقابلة وما حصل فيها من الكلام الى الوزير بمكتوب مؤرخ في ١٢ شعبان سنة ١٢٩٦ من جملة ما قاله له فيهِ عن لسان غامبيتا " ان كنتم تريدون الارتياح من الرجل (اي رستان) فيجب ان تكتموا هذا الامر بل ولا اجتماعكم بي في شأنهِ والأ كان ذلك ينقض قصدكم " وما كاد يصل هذا المكتوب الى تونس حتى انتشر الخبر بسر المسألة ولم يعلم ان كانت الاشاعة حصلت من نفس الوزير او من المترجم الذي كان الواسطة في الكلام بين غامبيتا وصاحب الترجمة الذي لم يكن يتكلم اللسان الفرنساوي والحاصل ان القنصل انتهز هذه الفرصة الجديدة وارعد وابرق على الامير والوزير وزاد في ايغار صدورهما على صاحب الترجمة وساعده البخت او الصدفة بانهُ في الوقت الذي كان الاهالي في تونس يطلبون تأسيس الشورى في بلادهم كانت الدول مشغولة في مصر بعزل اسماعيل باشا وحصل ذلك على يد خير الدين باشا صاحب الصدارة حينئذٍ وارتباطات الباشا المذكور بتونس وخصوصاً بصاحب الترجمة مشهورة عند الجميع فاستنتجوا من ذلك ان طلب الشورى في تونس لم يكن القصد منهُ الأ احداث ارتباكات في المملكة تفتح الباب لمداخلة الباب العالي خصوصاً وكان صاحب الترجمة معارضاً شديد المعارضة في وصل سكة الحديد بين الجزائر وتونس وتعيين الحد الفاصل بينهما الأ بعد العرض للدولة العليّة وزادوا في اقناع الباي بالتلغراف الذي ارسلهُ خير الدين باشا يعلمهُ فيهِ بفصل اسماعيل باشا عن خديويةّ مصر وقد استعمل الصدر الاعظم في تلغرافهِ عبارات اشتمّ منها رائحة التهديد والوعيد للباي حتى التزم الحال للاستفهام من الباب العالي

بواسطة السفارة الفرنساوية عن الغرض من عبارات ذلك التلغراف مع انهُ في ذلك الوقت كانت الملاقات الخصوصية بين المرحوم وخير الدين باشا معكرة مكدرة من حين خروج الباشا المذكور مِنْ وزارة تونس ولم يصف ماؤهما الأ بعد ذلك التاريخ كما يدل عليهِ المكتوب الآتي

"الفاضل الزكي الثقة المعتمد الشيخ سيدي محمد بيرم حرس الله تعالى كمالهُ وبعد فقد وصلنا مكتوبكم في ٢٢ من الشهر وعلمنا ما احتوى عليهِ من لذيذ الخطاب ونحن لله الحمد على ما يسر الاحباب من العافية التامة في امورنا الحسية والمعنوية واما ما اشرتم اليهِ مِن الاحوال السالفة عن قدومنا لدار الخلافة فجوابهُ عفى الله عما سلف والسلام من خير الدين في ٢٩ شعبان سنة ١٢٩٦ "

ومن راجع تاريخ مكتوب صاحب الترجمة المذكور اعلاه وجواب المرحوم خير الدين باشا عنهُ وقارن بينهما وبين تاريخ انفصال الباشا المشار اليهِ عن الصدارة العظمى الواقع في ٩ شعبان سنة ١٢٩٦ يعلم علم اليقين انهُ في مدة صدارة الباشا المشار اليهِ لم تكن بينهُ وبين الشيخ بيرم ادنى علاقة وان كل ما بناه اذ ذاك المرجفون بناءً على علاقاتهما الودادية القديمة هو محض اختلاق وكأن الوزير التونسي غفل او تغافل عن حقيقة المأمورية التي اناطها بعهدة صاحب الترجمة فارسل اليهِ تلغرافا رسميًا الى باريس ص ترجمته

مِن باردو في ٧ اغسطس سنة ١٨٧٩ (الموافق ١٨ شعبان سنة ١٢٩٦)

" من الوزير الاكبر الى الشيخ سيدي محمد بيرم . شاعت الاخبار بانك متداخل في امور سياسية خصوصًا وانهُ لم يصدر لكم ادنى امر فيها ولذلك

فان سيدنا المعظم يأمركم صريحاً بان لا تتداخلوا مطلقاً في هذه المسائل حيث انكم سافرتم لمعالجة صحتكم واذا انتهت مدة التداوي فارجعوا الى تونس"

ثم بعد ذلك ورد له مكتوب من الوزير بتاريخ ٢٥ شعبان جواباً عن مكتوبهِ المؤرخ في ١٢ شعبان وفيه يقول " اما بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاتهُ فقد بلغنا مكتوبكم الخصوصي وعلمنا ما ذكرتم وما وقع مع موسيو عميتنا فذلك من يعتمد عليه وعلى صداقتهِ واما كتمان السر فيكون مهماً لان نفعهُ لنا وان شاء الله يحقق الامل من اتمام الوعد لان القنصل في غاية القوة الخ"

فلم يسع صاحب الترجمة بعد هذا الاضطراب في اقوال الوزير الا ان يستعفي من وظائفه فاجابهُ الوزير عن الاستعفاء بهذا المكتوب ونصهُ " الفاضل الزكي مدرس الشيخ سيد محمد بيرم رئيس جمعية الاوقاف حرسهُ الله اما بعد السلام عليكم ورحمة الله فان ما عرضتموه علينا من طلب الاعفاء من رئاسة جمعية الاوقاف عمتناه ومن معلوماتكم انكم كنتم طلبتم هذا منا قبل سفركم على حين فلم نسعفكم لذلك والذي نعرفكم به انني لم نزل على رأيي في عدم اسعافكم لما ذكر ونرجو الله ان يجمعنا بكم وانتم على حال كمال ودمتم بحفظ الله والسلام من الفقير الى ربه امير الامراء مصطفى الوزير الاكبر عفا عنهُ في ٣ رمضان سنة ١٢٩٦"

وفي اليوم نفسهِ ارسل لهُ مكتوباً آخر نصهُ " اما بعد السلام عليكم ورحمة الله فانهُ بلغنا كتابكم المؤرخ في ٢٥ الشهر الفارط متضمناً ما نحن

على ثقة منهُ من سلوككم طريق استقيم في اقوالكم واعمالكم وتحرزكم في الاجتماع من ان ينسب اليكم غير ما قصدتموه ولا يستغرب ذلك من مثلكم ونرجو الله ان يجمعنا بكم وانتم على حال كمال ودمتم بحفظ الله والسلام"

وقد رجع صاحب الترجمة الى تونس بعد الالحاح الشديد عليه من اصدقائه فوجد الحال متغيرًا وملامح الوزير تظهر الشر ومع ذلك فقد ابلغهُ صاحب الترجمة ما رآهُ وسمعهُ في باريس بخصوص المسئلة التونسية وآراء رجال السياسة فيها ومن جملة ما بلغهُ ان لاحسن رائحة هناك ان القنصل اقنعهُ بمساعدة فرنسا على مرغوباتها من ضم تونس اليها وفي مقابلة ذلك تضمن للوزير ولاية العهد على الامارة واستيلائه عليها بعد سيده ونصحهُ بان لا يغتر بهذه الترهات فان القنصل اذا حصل على مرغوبه لا يوفي وعدهُ للوزير ولا تعود الخسارة الا على البلاد واهلها وقد حقق الزمن حدس السيد بيرم فانهُ لما دخلت فرنسا في تونس سنة ١٢٩٨ لم تطل مدتها فيها حتى عزلت مصطفى ابن اسماعيل عن الوزارة واخرجتهُ من البلاد بالمرة ولم توف له بما وعدته به بل طاردته بنظر العالم وكثيرًا ما تكلمت جرائدها وارباب الوجاهة فيها لتجريده عن نشان الجيون دونور الفرنساوي وهو حامل اول درجة منهُ وبقي يتقلب متغربًا في البلدان تتقاذفهُ امواج الذل والسؤال بعد ان صرف ما ادخرهُ ايام عزه من الاموال الطائلة واصبح

يومًا بحزوى ويومًا بالعقيق وبا	لعذيب يومًا ويومًا بالخليصاء

الى ان جاءت به المقادير الى قسطنطينية حيث تغاضت الدولة العثمانية عن ذنوبه وبقيتهُ ينعم بلذيذ الحياة ويتحسر على ماضي عزه وعين

صفقته . اما صاحب الترجمة فانهُ بعد عودته الى تونس من مأموريتهِ توجه
الى (المرسى) للسلام على ولي عهد الامارة الامير الحالي السابق ذكره فوجد
الامير المشار اليهِ في مركبته امام محطة السكة الحديد فاركبهُ معهُ وسارا الى
بستان الامير فكبر هذا الامر على مصطفى بن اسماعيل وامر صاحب الترجمة
بالكف عن التردد على ولي العهد وكثرت الدلائل على سوء نية الوزير نحو
السيد بيرم وتغلب دسائس موسيو رستان ضده حتى نصحهُ بعض الاصدقاء
من خواص حاشية الباي بالسفر خارج المملكة لان بقاءه في البلاد فيهِ خطر
عليهِ فطلب بعد عيد الفطر التوجه لاداء فريضة الحج خصوصاً وقد تهدَّدهُ
الوزير بانهُ اذا شاع الخبر الذي كان اعلمهُ بهِ بخصوص مساعيه لولاية الامارة
يلقيهِ تحت اعبائه المشوبة الثقيلة فامتنع الوزير من اعطاء الرخصة بالسفر
وقد توسط حينئذٍ السيد الشريف نقيب الاشراف السابق في تونس للحصول
على تلك الرخصة وبين للوزير عدم جواز منع المسلمين من اداء فريضة
الحج وزيارة النبي صلى الله عليهِ وسلم وللسادة الاشراف في تونس النفوذ
الكبير والكلمة المسموعة فالتزم الوزير بالاجابة وقد سافر صاحب الترجمة
من تونس في ٢٦ شوال سنة ١٢٩٦ ولم يعد اليها بعد وقصد مالطه ومنها
للاسكندرية ومصر القاهرة وفيها تقابل مع الخديو المرحوم توفيق باشا
وكان ذلك في ابتداء ولايتهِ فقدَّم له قصيدة في التهنئة بالولاية وتاريخها
وقد دار الحديث بينهما عن كيفية نظام اللجنة المالية الدولية المؤلفة في
تونس لادارة اشغال الدين وعن النتائج التي انتجتها وهل البلاد متضررة
منها ام لا وكان ذلك بسبب ما اقترحتهُ انكلترا وفرنسا اذ ذاك على الحكومة

المصرية من اقامة لجنة المراقبة المالية ثم ان المرحوم سار الى الحجاز وقد تقابل في مكة المكرمة مع المولى الشريف حسين الامير الاسبق واكرم وفادته ثم بعد اداء فريضة الحج والمناسك توجه للزيارة في المدينة المنورة حيث اقام ثلاثة ايام وكان مرضه العصبي مشتدًا عليهِ في الطريق وهناك توسل للحضرة النبوية بقصيدة طويلة طلبًا من الله الشفاء للبدن والعطف بالوطن ومطلع القصيدة

الى السدّة العظمى تحددت عزائمي	الى سدة الاجلال شمس المكارم
الى باب خير الخلق خصصت وجهتي	ومن فضل باب الله املت راحمي
اليك رسول الله قد جئت ضارعًا	وفضلك ممدود على كل قادم
فيا خير خلق الله جدلي بالرضا	وامِن محذي من عقاب المآثم
ويا أكرم الامجاد هب لي توبة	واسس على التقوى قيام دعائمي
وانت ملاذي في اموري كلها	فعجل شفائي من سقامي الملازم
ألا يا رسول الله طهر بلادنا	فقد جار في الانحاء ظلمًا غاصمي
يريد خلاف الحق في الخلق جائرًا	فنصحهُ رشدًا لذا كان ظالمي
فعجل بانقاذ البلاد من الذي	تأبط شرًا وارتدى بالمظالم
وفرج همومي والكروب وعلتي	وليس سواك يرتجى للعظائم
وللعدل ان ينقاد كل ملوكنا	لكيما يحل الدين اعلى العواصم

ومن المدينة المنورة توجه الى ينبع وسافر منها الى بيروت مارًا على خليج السويس وقد ذكر هذه الرحلة في اول هذ الجزء الخامس وما لاقاه في سفره من كرم واكرام صاحب السماحة السيد السند السيد سلمان افندي القادري نقيب اشراف بغداد

ولما وصل الى بيروت لاقاه والي سورية اذ ذاك سمو المقام الجليل الذكر مدحت باشا بمزيد العناية والرعاية وحتفل به أعيان المدينة من مسلمين ومسيحيين بما ابقى لهم في نفسه الذكر الحسن والثناء المستطاب وكان المرحوم من جملة المشتركين المساعدين في جمعية المقاصد الخيرية التي تأسست في بيروت لانشاء مدارس خيرية وقد زار تلك المدارس ولاقى من احتفال الاساتذة والتلامذة وانشادهم القصائد ومقالات الرفعة بين يديه ما زاد ابتهاجهُ وقد هنأه شاعر المدارس لبيع المرحوم الشيخ ابراهيم الاحدب بقصيدة شائقة ذات اربعة واربعين بيتاً مطلعها

بدر العلى تاريخهُ (من عزه) في الشرق اشرق نوره لمحمه

ومنها

من اين هذا الطيب هل ريح الصبا ليلاً سرى بعبير راحة صبه

او جاء بيروت محمد بيرم من حبه فذكت بوهج قربه

حيث الزمان على تلون طبعه ذي به كفارة عن ذنبه

وقد مدحهُ ايضاً الاديب الفاضل والسوذي الكامل الشيخ ابو حسن قاسم افندي الكستي البيروتي بقصيدة غراء منها

به تونس الغرب استعزت وافتخرت بصحبته الفضل الذي ليس يجحد

يغار على الدين الحنيف لانهُ خبير به لا يعتريه التردد

عليه من العلم الشريف جلالة يقوم لها الدهر الحسود ويقعد

وسيرتهُ الحسناء في كل موطن بألسنة الايام تتلى وتنشد

وبعد ان اقام هناك اسبوعاً رام فيه التوجه لدمشق الشام لرؤية

معالمها العظام وملاقاة السيد الامير عبد القادر الجزائري غير ان الوقت لم يسعف بذلك تراكم الثلج في الطريق وتعطيله السكة فتوجه تواً الى القسطنطينية وهنك ورد عليه مكتوب من الامير المشار اليه نصه

بسم الله الرحمن الرحيم — الحمد لله حمد المتوسلين . والصلاة والسلام على سيد المرسلين . وعلى آله وصحبه آمين . من خادم اهل الله عبد القادر بن محيي الدين الحسني الى جناب العالم الفاضل . والهمام الكامل . صاحب المقام السني . الشيخ السيد محمد بيرم افندي محترم . ادام الله عليه سوابغ النعم . اما بعد اهداء تحية مقرونة بالاخلاص والتكريم . وادعية متوالية بدوام نفعكم العميم . فالموجب لتحريره اولاً السؤال عن راحة وجودكم السعيد . والابتهاج بسماع حديثكم المجيد . وثانياً قد بلغنا من ولدنا عبد القادر افندي الدنا سلامكم . ومزيد محبتكم ووددادكم . وحصل لنا بذلك تمام السرور . زادكم الله نوراً على نور . ورغبة بربط اسباب المودة بجنابكم . واستحلاب بدائع خطابكم . ومجاب دعائكم على الدوام تحررت لكم هذه الارقام . وعليكم السلام في ١٦ جمادى الاولى سنة ٩٧ المخلص

عبد القادر الحسني

وكان المرحوم قبل توجهه الى الاستانة ارسل مكتوباً بواسطة بعض خواصه للوزير بتونس نصه " الصدر الهمام امير الامراء جناب الوزير الاكبر سيدي مصطفى اطال الله عمره اما بعد السلام التام فاني قضيت المناسك ولله الحمد ولم استطع المبادرة بالرجوع الى الوطن لاني في اضطرار الى اراحة البال والبدن للاسباب التي تعصونها حقاً فلزمني مراعاة الحال الى ان يمن الله

الكرب لقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والله حفيظ وولي من يتوكل عليهِ والسلام في غرة صفر سنة ١٢٩٧ " الأ ان هذا المكتوب لما بلغ تونس منعهُ احباء صاحب الترجمة وحواصهُ من الوصول ليد الوزير وبقي المرحوم في وطائفه الى حين وصوله للاستانة ولما ورد خبر وصوله اليها اسرعت الحكومة التونسية بتوجيه جميع وظائفه الى غيره وهو المرحوم الشيخ احمد الورتاني ومما يجمل بي ذكره هنا ان عائلة صاحب الترجمة رأت من مكارم اخلاق هذا الخلف وحسن تودّده وتلطفهِ بها ما يندر وجود مثلهِ في الاعصر السالفة فضلاً عن هذا الزمان في وقت اضطهاد الحكومة لسلفهِ ومراقبتها الشديدة لكل ما يتعلق بهِ ثم ان صاحب الترجمة لما استقر بدار الخلافة مدح الحضرة السلطانية بقصيدة مطلعها

النصر والتأييد والعمر المديد		قد توجت في عرشها عبد الحميد

وارّخ سنة الجلوس الشاهاني بقوله

بشرى الولاية قد اتت تاريخها		لخلافة يسنى بها عبد الحميد

ولم تطل الايام حتّى ارسل الوزير التونسي يطلب من الباب العالي ارجاع الشيخ بيرم الى تونس مدّعياً انهُ سافر بدون رخصة الحكومة ولم يقدم حسابًا عن ادارتهِ في الاوقاف والواقع ونفس الامر انهُ لم يطلبهُ الاّ بالحاح فنصل فرنسا عليهِ من جهة لان فرنسا لا تحب حصول الارتباط بين تونس والدولة العليّة باي وجه من الوجوه حتّى انها من بين سائر الدول لم تعترف بفرمان سنة ١٢٨٨ المقرّر لتابعية تونس للخلافة الاسلامية ومن جهة اخرى قد خشي الوزير من التحام صاحب الترجمة بخير الدين باشا وافسادهما مساعيه

لتولي الامارة واطلاع الدولة العثمانية على دسائسه وسوء سياسة الحكومة التونسية في مدة الصادق باي لانه سلم جميع الامور ليد وزيره العديم الخبرة وقد بذل مصطفى بن اسماعيل جميع مجهوده واغرى بعض كبار الرجال في الاستانة لمساعدته على اخراج الشيخ بيرم منها غير ان حكمة مولانا امير المؤمنين وعدالته حالت بين صاحب الترجمة وبين اعدائه واصدر امره العالي بانه اذا كانت هناك دعوى على ناظر اوقاف تونس المقيم بالاستانة فلترفع فيها اذ ان تونس لم تخرج عن كونها من الولايات العثمانية التي تجمعها جامعة تخت السلطنة وبذلك سكت مصطفى بن اسماعيل عن دعواه الفاسدة اما اولاً فلان صاحب الترجمة لم يخرج من تونس الا بجواز (باسبورت) رسمي ممضي عليه من الوزير نفسه بصفة كونه وزير الخارجية لم يزل محفوظاً للان وقد حضر لوداعه يوم السفر كثير من كبار رجال الحكومة بما فيهم وزير البحرية واعد له بامر الوزير الاكبر زورق خصوصي من زوارق الباي لتوصيله للباخرة وقد اوصاه الوزير بمحضر جمهور عديد من التونسيين لاحضار بعض هدايا من الحرمين المحترمين هذا ما يتعلق بالسفر واما حساب الاوقاف فقد جرت العادة بنشره سنوياً في الجريدة الرسمية «الرائد التونسي» ولم يتأخر نشره قط وهو محفوظ في مجموعة الرائد يمكن مراجعته ثم ان صاحب الترجمة قبل سفره للحجاز اخذ براءة من مجلس ادارة الاوقاف ممضى عليها من جميع الاعضاء ومن امين الصندوق وهي حجة قوية ناطقة بان لا شبهة في الحساب ولا شيء من اموال الاوقاف بقي في ذمة الناظر وتلك البراءة هي بنصها بالحرف الواحد

ل ا ترجمة المرحوم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم

ريالات فضه

٣٥٣٩٣٩ ١٠/٣١

٣٠٤٨٧٩ ٤٠٤٢

٤٩٠٥٩ ٤٠٥/٣١

٨٦٢ ٥٠٠٠٠

٤٠٤٣٤ ٤٠٥ ١

اطلعت الجمعية على حساب دخل وخرج سنة ١٢٩٦ التاريخ باضمام
حسابات السنين السابقة بها فكانت جملة الدخل ثلاثمائة الف وثلاثة
وخمسين الف ريال وتسعمائة وتسعة وثلاثين ريالاً ونصف ريال وعشرة
نواصر فضة وجملة الخرج ثلاثمائة الف واربعة آلاف وثمانمائة ريال وثمانين
ريالاً الا ثمانية نواصر ونصف ناصري فضه الذي بتذاكر الجمعية وكان
الفاضل ما قدره تسعة واربعون الف ريال وستون ريالاً الا سبعة نواصر
ونصف ناصري فضة اخرج منه الرئيس ثمانية آلاف ريال وستمائة ريال
وخمسة وعشرين ريالاً فضة صرف خمسة آلاف فرنك صرفت في مصالح
الدولة وخرجت فيها تذكرتين منها مقابضها يدفعها مصروفاً على يد الوزير
الاكبر ولم يدفعها القابض الى الآن احداهما تذكرة مؤرخة في ٢٧ القعده
من عام ١٢٩٣ عدد ٤٦١٩ بها الفا فرنك اثنان وثانيهما مؤرخة في ١٥
الحجة سنة ١٢٩٥ عدد ٣٥٦٩ بها ثلاثة آلاف فرنك ولما كان الفصل
الواحد والعشرون من ترتيب الداخلية للجمعية قضى بابقاء امفتاح الثالث

للحرفة الثانية عند الرئيس والفصل السابع عشر من الترتيب المذكور فاضى
بان كاهية الجمعية يقوم مقام الرئيس عند غيبته وقد اراد الرئيس السفر
الى اروبا فبمقتضى ذلك اتفقت تذكرتا الدولة المذكورتان بالخزنة الثانية
المذكورة وسلم الى الكاهية مفتاحها الثالث بمحضر الجمعية بعد اطلاعها على
الحساب المذكور وسلامة ذمة الرئيس مما في عهدته وكان الباقي تحت يد
امين مال الجمعية اربعين الف ريال واربعمائة ريال وخمسة وثلاثين ريالاً
لأسعة نواصر ونصف مصري فضة وكتب في ٢٠ يونيه الموافق لرجب
الاصب ١٣ من عام ستة وسبعين ومائتين والف

صح احمد الورتاني صح محمد بن الامين

صح محمد الشاذلي السنوسي صح من محمود بن سالم

هذا وقد خرج صاحب الترجمة من القطر التونسي وترك وظائفه فيه
ولم يكتسب منها شيئاً مع انه كان يسهل عليه كثيراً في تلك الاوقات
الدخول في ابواب الكسب بلا معارض ولا مانع كما جرت به العادة عند
الكثير محافظة منه على الاستقامة واحترام الحق لا سيما والاوقاف لم تكن
في بادئ امرها مضبوطة ولا معلومة فامرها في الواقع موكول لذمته
وطهارة نفسه فكان كثيراً ما يلتزم لبيع املاكه وعقاراته لتسديد
مصاريفه الواسعة حتى ان مصاريف سفره الاخير لباريس حيث توجه
بمأمورية من طرف الوزير التونسي تحمل بها من عنده وبلغت اربعة
عشر الف فرنك مع ان الوزير المذكور وعده بتسديدها ولم يوف بعد .
ولما استقرت اقامته في دار الخلافة وجد المرحوم خير الدين باشا مهتماً

بتقديم تقرير بشأن الاصلاحات المقتضي ادخالها في نظام الدولة العلية لزيادة سطوتها وتأييد عظمتها على حسب ما يفتكر وقد نفى التقرير المذكور بالفعل غير انهُ لم يحز محل القبول لانهُ لم يكن مطابقاً في بعض وجوهه لاحكام الشريعة الغراء فاخذ الشيخ بيرم في تطبيقهِ عليها ولما انتهى منهُ حصل تقديمهُ للحضرة السلطانية ومن ذلك الحين شملتهُ الانظار الشاهانية بعين ملاحظتها لدقة علومهِ واتساع معارفهِ ثم انهُ تفرَّغ لتدوين "صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار" وتم الجزئين الاولين منهُ وكان يقصد تقديمه للحضرة المعظمة المشار اليها عند اتمامهِ خصوصاً وهو شارع في عمل خاتمة الكتاب المذكور على نحو مقدمتي ابن خلدون واقوم المسالك اي انها تتضمن ما يقتضيهِ الحال لاصلاح الاحوال في البلاد الاسلامية لعود عصر شبابها اليها كما هو غرضهُ الوحيد الذي يدأب لهُ منذ زمان ويتحمل في سبيله كل مشقة وعناء وقد تحسنت صحتهُ اذ ذاك واستراح من اتعاب المرض وكاد ان يشفى منهُ تماماً حتى ان استمالته المرض قل بحيث بلغ درجة تقرب العدم وبينما هو على ذلك الحال متمتع ببال مستطراً الرحمة من الله بانقاذ بلادهِ من حكومتها الجائرة اذ ذاك وقد اعتذر عن العمل بمقترحات اقترحها عليه الموسيو فورنييه سفير فرنسا في ذلك الحين حاصلها الرجوع الى تونس تحت كنف فرنسا او لاقامة بالجزائر او باريس اذ فاجأتهُ الاخبار بزحف العساكر الفرنسوية على الحدود التونسية وابتداء حركة "خمير" المخترعة . ثم ان الشيخ بيرم كان عالماً بما ستؤول اليه البلاد من السقوط في يد فرنسا ولكنهُ لم يكن ينتظر حصول ذلك في العصر الحاضر وكانت في تلك

الاشياء ترد عليه مكاتبات من بعض احبائه التوسيين وغيرهم بما يحصل في تونس من تلاعب الوزير بين قنصلي فرنسا وايطاليا وارضائه احدهما يوماً واغضابه الآخر يوماً ثانياً وكان الشيخ ينصح مكاتبيه ومحبيه بتجنب هذه الالعاب المضرة خصوصاً تظاهر الوزير بالميل الفعالي لايطاليا واغضابه مرة واحدة عن فرنسا حتى انهُ اهان كرامتها لان ذلك لا تؤمن عواقبهُ ولم يمض على ذلك شهر حتى ابدت الوقائع ما كان يخشاه وليس من غرضنا تكرار كتابة ما حصل في ذلك العهد لدخول فرنسا الى تونس واعلان حمايتها عليها اذ ان ذلك تكفلت به كتابات غيرنا ولكنا نقول ان الحضرة السلطانية اصدرت امرها لخير الدين باشا ولصاحب الترجمة تقديم ما يريانه في هذه المسئلة لجانبها وقد كتب صاحب الترجمة في ذلك تقريراً مفصلاً لخص فيه بيان حقوق الدولة العلية على البلاد التونسية وارتباطاتها بها قديماً وحديثاً واستنهض هم الدولة لانقاذ تلك المملكة المسلمة حيث انها مرفد المجاهدين ومدد الصحابة والتابعين من الوقوع في يد دولة اجنبية وختم التقرير بنتيجة ما يراه وهو انهُ اذا كانت الدولة تشغلها شواغل الحرب الروسية وعواقبها من انقاذ تونس بالقسر من مغتصبها فلا اقل من انهُ يلزمها التحالف مع دولة اجنبية اخرى للتساعد بها على نيل ذلك المرام ولو اقتضى الحال التنازل لها عن مدينة واحدة مثل مينا بيروت في مقابل هذا التحالف وكانت الدولة جرت على مثلهِ مراراً عديدة فان خسارة مدينة واحدة خير من خسارة مملكة برمتها وقد كان الشيخ بيرم يكتب هذا التقرير والدموع تقرح عينيه والالم العصبي الذي تحرك وتجدد يفتك بجسده وكان يكرر القول على جلسائهِ بان

لا حذر مما قدّر لا سيما وان الفرصة المناسبة للدولة قد فاتت وهذا الزمن زمن قتال لا وقت جدال وسيأتي ذكر هذا التقرير في مجموعة منشآته ورسائله ولما رجعت قدم فرنسا في البلاد يئس المرحوم من قرب العودة اليها ورام التقرب من عائلته لمخابرة في شؤون بيع ما بقي من املاكه ونقله اعائلة من تونس الى بلاد اخرى فسافر الى ايطاليا لذلك فمرض واقام في مدينة ليفورنو قريبا من تونس وكان مدة اقامته في الاستانة معاشراً لاهلها وخصوصا ابناء العرب منهم معاشرة الصفاء والاخلاص متبعداً عن المزاحمة في طلب المناصب او التداخل فيما لا يعنيه ولم ير منهم الا ما يسره وكان السيد سلمان القدري رجع من القسطنطينية الى بغداد فلما استقر بها كاتب صاحب الترجمة بما نصهُ

"كتابي هذا وانه ممتلئ من الاشواق . ومضطرب الما من الاحراق . كيف لا وحب ذلك المولى الاجل . والمحب الافضل . قد اخذ بمجامع القلوب . واحاط بالفكر على اتم اسلوب . لمزيد ما انطوى عليه من الاوصاف الحميدة . والمكارم السديدة . مع طبع رائق . وعلو جنب فائق . وشهامة كاملة . ونجابة فاضلة . وعلم وافر . وفضل متكاثر . فكل فضيلة به حريةٌ . وكل مفخرة لهُ سجيةٌ . وليكن معلوماً لسيدي ادام الله تعالى بقاه . وانالهُ كل ما يتمناه . باني لم اخل ذكر ثنائهِ الجميل من لساني . ولم ينفك تخيل شخصه المنير لحظة عن جناني . بل لا زلت انساً بما ذكرتهُ من الذكر والخيال . مفتخراً بما حصلتهُ من محبة ذلك المولى النبيل بين الاحباب في جميع الاحوال . ثم اني وان قدمت من قبل هذا عريضة لم احظَ بجوابها من ذلك الجناب

الرفيع الكفي ابدي عذراً ما وقع من القصور مدة من عدم ترديفه بكتاب آخر اذ ترادف المراثي معدود لدي من حملة الفرائض. فلم يكن التأخير المذكور ناشئاً من قصور في المحبة. ولا عن تقصير في العلم بعلو الدرجة والمرتبة. بل ذلك نوع من التقدير. ووحد لك القوي عالم خبير. يصدق ما يدعيه هذا الخالص عقير. فارجو من بعد هذا ان تستمر المراسلات في البين. وينقطع بوجودها البين. سيدم الداعي

في ١٩ جمادى الاولى سنة ١٢٩٩ پوست نشين حضرت كيلاني

نقيب بغداد

﴿ السيد سلمان القدري ﴾

وقد كان صاحب الترجمة على عادة اهل تونس وعلى ما امتاز به من التشيع الكلي لآل البيت النبوي الكريم يميل ميلاً خاصاً للسيد المشار اليه لنسبه العالي وحسبه العلي وفضله المتلالي حتى ان ذلك كان من جملة البواعث على الابقاع به تشفياً من سيادة السيد النقيب حرسه الله ومع ذلك فقد كان المرحوم يبذل جهده في حمل دلالاته مع جميع من يعاشره من العرب وغيرهم في الاستانة على احسن ما يكون من المجاملة وحسن المعاملة وكان مع صاحبي سماحة السيد احمد اسعد افندي والسيد ابي الهدى افندي على قدم الوداد وحسن الاعتقاد كما يظهر من آثارهما المحفوظة لديه ونذكرها هنا تبركاً بهما وافتخاراً بودهما

"اخذت بابهجة الفضلاء. وقرة اعين العلماء.

كتابكم الكريم. وامركم المحترم الفخيم. واطلعت على رسالتكم الجميلة (١)

(١) عقد الدر والمرجان في سلاطين آل عثمان

اشاهدة لحضرتكم ايادي امير الطويلة . واني بحمده تعالى ممن يحب ان يسدي لمعروف لاهل الفضائل . سيما لمثل حضرتكم من ارباب المزايا العلية و لفواضل . ود وفق المولى تقوى بتقديم عملها ودمتم ارباب المناقب واهلها "

الداعي

(ابو الهدى)

" قدوة الاماجد الكرام . ذو الفضل والاحترام . محبنا العزيز السيد محمد بيرام . حفظه الله آمين

وبعد مزيد السلام . مع التحية و لاكرام نعرف سيادتكم هو ان الساعة ثلاثة ونصف في يومنا هذا لازم تشرفونا في لبيت مع نجلكم المكرم لاجل ان نتبرك بكم هذا ما لزم ودمتم . في عز وسرور . ونعم حضور

في ٧ ذي لقعدة سنة ١٣٠٠ "

الداعي

(احمد اسعد)

وبعد ان اتفق صاحب الترجمة مع عائلته على العود الى الاستانة والسكنى بها حيث لم ير محلاً انسب منها من بلاد لاسلام ولا تليق السكنى بعائلة مسلمة في بلاد اجنبية مع انه كان يخطر في بال بعض التونسيين اذ ذاك التوجه في عدد كبير الى امريكا للاستيطان بها غير ان هذا الفكر لم يمكن تنفيذه لصعوبات حالت دونه فقصد المرحوم التوجه الى قسطنطينية وعرج على جنيفا من بلاد سويسرا حيث القى كاتب هذه الاحرف في احدى مدارسها المعتبرة ثم قصد ويانه وبلاد المجر والصرب وروماليا حيث اقام ليلة في بخارست ومنها توجه الى وارنه من اعمال البلغار

ومنها ركب الباخرة قاصداً دار الخلافة حيث لم تتصل السكة الحديد
اذ ذاك بينها وبين اوروبا وقد قاسى في هذه السفرة آلام البرد واتعاب
السفر الذي حق فيه القول بانه قطعة من العذاب خصوصاً وهو يكن
صاحب الترجمة يتكلم بلغة جنسية لا بعض كلمات فرنساوية وليس في
القوم ولا في البلاد التي عرج عليها كثير ممن يتكلم تلك اللغة وكان يسرع
المسير للوصول قبل عائلته الى الاستانة لتحضير محل يحلونها وقد وصل اليها
قبل العائلة بنحو يومين او ثلاثة وبعد ان استراحوا قليلاً هاجم ذوو
الدسائس والاغراض بوشايات اوغرت الصدور على صاحب الترجمة
وكادت ان توقعه فيما لا تحمد عقباه وكان مبنى تلك الوشايات على حصول
الحركة العرابية بمصر اثناء وجود الشيخ بيرم في اوروبا فبنى عليها اصحاب
الاغراض اقوالاً فاسدة ومزاعم بعيدة منشأها الحقيقي حزازات في
صدورهم من الحسد له وبغية لايقاع رجال منصب من اصدقائه واحبائه
فاراد ذوو الانتقام منهم بالاساءة الى صاحبهم وجعله محل تهمة سنخرجون
منها ما يروج غرضهم في حكاية يومئذ لرجال دولة فبرهن هذا المهاجر بدينه الى
دار الخلافة الاسلامية ان ينزوي في بيته ويلازمه مدة تقرب من الستة
اشهر لا يخرج منه لا لقضاء الضروري او اداء فرض عين كصلاة الجمعة
وقد رأى في تلك الاثناء من تودد الهمام لا بر الصالح الورع الشيخ محمد ظافر
افندي المدني وتعطف الفريق المبرور الحاج حسن باشا محافظ مركز بشكطاش
محل سكنه وكلاهما من اقرب المقربين لذات الشاهانية المحلصين لها في السر
والعلانية ما اطلق لسانه بالشكر وقلبه بالدعاء صالح لهما والحق يقال ان

الحضرة الخاقانية لم تفتر عن شمول صاحب الترجمة بعين رعايتها وكثيرًا ما
كان امير المؤمنين نصر الله به الدين يظهر علائم رضائه وصفائه عليه حتى انه
لما اراد يهدي الى امبراطور المانيا فريدريك الثالث وكان اذ ذاك ولي العهد
بعض جياد الخيل امر احد الاعوان ان يتوجه الى الشيخ بيرم ليكتب رسالة
عربية يصحبها المأمور السلطاني معه عند ذهابه الى برلين ليقدمها مع الخيل
الى الامير المشار اليه وكان ذلك بعد صلاة يوم الجمعة ثلث وعشرين من
رجب سنة ١٢٩٩ وكان يطلق عليه عند ذكره من لفظ العناية ما يستدل
به على قرب منزلته من خليفة المسلمين وبمجرد وصول جلالته الى قصره
الفاخر يلدز بعد صدور ذلك الامر جاءه الرسول بالكتابة المطلوبة فسر
بها كثيرًا واثنى على كاتبها وتلك الرسالة هي " الحمد لله بديع الخلق كما شاء
واراد . جاعل الصافنات الجياد . عدة مستمرة من أهم آلات الاستعداد .
وصلاته وسلامه على رسوله متمم مكارم الاخلاق . الحاث على الفروسية
واقتناء الخيل العتاق . وعلى آله وصحبه فرسان ميادين الوفاق . اما بعد
فلا يعزب عن ساحة نبيه . ودراية خبير في المعرف وجيه . ما للخيل على
الاطلاق من المزية . في المدفع البشرية . سائر الآفاق . حتى ورد في الخبر
الشهير " الخيل معقود بنواصيها الخير " لاسيما نوع العراب منها . الجامعة
لاشتات المحاسن فلا ممدوحة لاهل الفضل عنها . ألم ترها قد حوت جمال
الصورة . واستقلت بالحذق وتهذيب الاخلاق المشكورة . فكادت ان تشارك
النوع الانساني في الادراك . وفضلت سائر انواع الحيوان المطلقة الذات
والمزية في مواطن العراك . ألا وهي العاديات ضبحا . المغيرات صبحا .

متوسطة الجموع . مسترفات عروع . مبلغات الآمال . مقربات الشواسع
لهمم الرجال . فلذلك توجهت بها عناية اهل الفضل . وتسابقت اليها
الرغبات في الخصب والمحل . ولم تزل كرائمها محفوظة الانساب متوارثة الخصال
الحميدة من الاجداد الى الاعقاب . لا يالي اهل العناية عن اقتنائها . ومعرفة
اصلها ونسبتها وانثائها . ويفوز عليها بالمزية ما صلح منها لاقتناء الملوك العظام .
سيما ما اختص بان يعتلي صهوته خليفة الاسلام . لا زال تاجاً على هامة الايام .
وما تختاره اليه العرب من صفوة جيدها الكرام . وعلى الخصوص ما تميز
باهدائه . لخلاصة اهل ولائه . من الملوك العظام . وكان منها هذه الخمس
الجياد . المعتقة الاعراق الامجاد ثلاثة منها عرب الآباء والامهات .
وثنان من خلاصة الاعاجم لوطن وان شاركت العراب في الصفات . وقد
تحرر هذا التحرير في تعريف شخوصها وما جمعت من سمات الكمال وفصوصها .
فاما الثلاثة العراب . السابقة غريق في العراقة والانتساب . فاولها اشقر
مبارك . الذي لا ند له في استجماع المحاسن مشارك . وسمته المجلى . وقد
طابق اسمه مسماه اذ هو لمفاخر الخيل مجلى . وهو من جياد نجد عربية .
الشهيرة بصفات ومزية . صقلاوي القبيلة . شامل لما يحمد في امثاله من
فضيلة . كل سلسلة اصوله من قبيلته المحمودة . وكلا ابويه متفرع من ذلك
القبيل الى جدود كثيرة معدودة مسماة اجداده وجداته . خالصة من
اشتباه النسب وكمالاته وثانيها وهو الاشهب . الحائل الى القصبات
الحين الاقرب . وسمته السبق . فهو منكب متقدمه في جميع صفاته حتى غدى
به لاحق . سوى انه استعوض عن مجدبة . اذ كان من عراق العربية .

ولا يخفى ما لفتقها من شهرة المزيَّة . سيما في حفظ النسب من الاختلاط . واتساق عموده على اقوم صراط . لا جرم ان كان وحيد اقرانه نسيجة ثنائه . واما ثالثها المسوّم . وهو أدهم المستكمل المقوّم وسمهُ ابو ليلى . فقد جمع لما في جياد الخيل بتلى اذ هو من صنف كحيل العجوز . الذي هو صفات العتاق من العراب يحوز . وعلى من جاراهُ في ميادينها يفوز . فهو لا يجارى اذا ما ضمر . لانهُ من خلاصة خيل قبيلة شمر . فلعمري ان هاته الثلاثة وان اختلفت اسماها . فقد نحدت عرقتها واحسابها . وكل منها قد استكمل صفات الجودة والفضيلة . وستثبت فيه محامد كل الخصال الجميلة فلا بدع ان تبهج ما يكمل به عدد الخمس . م تنبسط لهُ الروح وتنشرح به النفس . وهما الفرسان الاخضران . لمن استكملا صفة العتق ولو انهما اعجميان . وهما من جزيرة مدللي سهيرة . ذات النقطة المهمة من البحر الابيض الفائزة بالخيل ذات المذاهب الخطيرة . وهما وان افترقا هيكلا . فقد تفردا منظرًا مجملا . اذ هما فرسا رهان . متحدا الاخلاق والسمات والالوان . فاستكملت هاته الخيل مراتب التناسب . وكانت لها جهة ملائمة بما يشهدون من التوادد المتقارب *

وقد كان السلطان ارسل لهُ قبل ذلك ايضاً كتاب الشفاء لابن سينا في نسخة جميلة لتفحصه وتقديم كتابة بخصوصه وبعد مدة من الزمن صفا فيها الجو للشيخ بيرم من رمي الاعادي وحسد الحساد زاد السلطان في اكرامه باحتساب مصاريف اقامته في الاستانة على خزينة الدولة باعتباره ضيفاً من ضيوف الحضرة السلطانية وذلك بان تدفع نظارة المالية اجرة المنزل ولوازم

سبيت وقدرت في الشهر بخمس وعشرين ليرة عثمانية وقد استمر صرف هذا المرتب مدة ثمانية عشر شهراً اي لحين خروج صاحب الترجمة من الاستانة

وقد بادر المرحوم بكتابة المكتوب الآتي لاداء واجب الشكر على هذه المنة السلطانية ونصه

المقام لدي انحت به مطي البيان واستقرت . واعترفت البلاغة بانه وحيد عصره واقرت . وعضد يراع اشهاده اذ كان بعد ان جست يدها استطاعته ونفرت ولا بدع ان اضرت به عين الوزارة وقرت . وكان يبين الخلافة المؤتمن منها على ما تمنا الا وهو صاحب الدولة علي رضا باشا . مكاتب الحضرة السلطانية افاض الله عليه آلاءه قدسية . اما بعد سلام تحمله ايدي التعظيم . وتحفة داب الاجلال والتفخيم فقد بلغ العبد ما حصل له من عناية مولاه صاحب الخلافة العظمى والسلطنة الدخة المجد السمى . فوقع مني هذا الانعام الموقع الذي ليس وراءه حد في الاعجاب . وهزني السرور حتى اعجزني عن التلفظ بالخطاب . كيف لا وقد لاحت من ذلك الانعام بفضل الله علائم اخلاصي في اقتحمته من مفارقة وطني وكسبي وعشيرتي وحواسي كما كمنت سطنته لدى جنابكم قبل ان تحدث على وطني الطامة الكبرى . المرجو من الله ان يبدل بأمير المؤمنين عسرها يسرا . من اني اعد علي قربة نه حل وعلى . اذ في ذمتي ورقبتي بيعة لامير المؤمنين لا تبلى . ولا يجوز لي شرعاً ان ابتغي بعد الحميد سلطاني بدلا . فقد ورد في صحيح البخاري " من خرج عن السلطان قيد شبر مات ميتة جاهلية " فلم ابالي لذلك بالمضادات الوطنية والخارجية . واستقررت في ظل الخلافة

لاسلامية إلى ان غمرتني الانعمات الخاقانية. فكيف لا اطير بهذا الانعام سروراً. وهو علامة عناية الله تعالى ان تدل النفس الرضى موفوراً. فقلت يا نفس قري عيناً. وردي من منهل امير المؤمنين عذباً معيناً. فها انت شاهدت قسطاس عدله. واين انت من جوده وفضله. وفوق ذلك لطف العناية. التي ليس وراءها للتطلب من غاية. فحسبي حسبي. والمتوجه ضارعاً الى ربي بشراشر لبي. واخلاص قلبي. واقول اللهم يا من تجلى بجلائل انعامه. ويا من احتجب برداء كبريائه يا من توجهت الى جنابه الاقدس عزائم الآمال. ويا من تعلقت بعميم جوده اطماع السؤال. نستوهبك من الصلوات والتسليمات. ما يناسب من فضلته على جميع المخلوقات. وانرت به اقطار الارض والسموات. سيدنا ومولانا محمد خاتم الرسالة. ومنار الدلالة. وننتظم فيهما معه صحبه الكرام وآله. ونتضرع اليك اللهم ان تكسو هاته الدولة العلية العثمانية حلة النصر. خافقة الوية عدلها الى آخر الدهر. مؤيدة اعلامها. مكتوباً على صفحات الايام اجلالها واعظامها. تتأيد اسد غابها. واسود محرابها. قرة اعين المسلمين مولانا امير المؤمنين المحفوف بالتأييد الرباني. الخليفة الاعظم السلطان عبد الحميد الثاني. اللهم وكما جعلته منخرطاً في سلك المدح من رسولك عليه الصلاة والسلام لامراء القسطنطينية من آله الكرام حسبما هو في الصحيح المأثور. فجعله اللهم مظهراً لوعدك حيث قلت "ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور" واطل اللهم في طاعتك عمره. واجعل السداد

واصلاح فيما دبره . منكسة اعداؤه على الاعقاب . مستترة احباؤه بعمله المستطاب . والسنتهم بالدعاء له صادحة خاتمين صراعتهم باسرار فاتحة . وبعد ان شطت دعوات مشيئة الله في سلك الاجابة . واحرزت من حضرته موقع الاصابة . حين عصابة سكر وحمد وثناء ان تكون لسدة امير المؤمنين ايده الله مصروفة . ومن مقتضى ان وقوعه موقع القبول لدى جلالته على حسن تمهيد مقاصد الوزير بعد الاعتماد على الله تعالى موقوفة . فلتورد له رفد الحمية من تلك الغيرة الوصافة . لا زلتم صاعدين مدارج السعادة في العناية السلطانية "

وفي تلك المدة تفرغ السيد لتأليف الجزء الثالث من صفوة الاعتبار وتحرير رسالة سماها " التحقيق في مسألة الرقيق " بحث فيها عن كيفية معاملة الرق عند المسلمين بمقتضى الشريعة وبين اسباب الرق ودواعيه واحكامه وذهب فيها الى ان عبيد المتأخرين الآن هم احرار وان منع الحكومات الاسلامية تجارة العبيد هو شرعي محض لا يحتاج الحال فيه لطلب الدول الاجنبية وقد حرر قبل ذلك جواباً على بعض نبلاء الانكليز عن سؤال وجهه اليه مضمونه هل ان التونسيين مسرورون من دخولهم تحت دولة اجنبية فوضح السيد بيرم في جوابه ان التونسيين ليسوا اقل الامم حظاً في الاستقلال والتنعم بملاذه وغيرة على الوطن وانهم مسلمون يتمنون بكل جوارحهم دوام صلتهم بالجامعة الكبرى الاسلامية واستدل على ذلك بادلة عقلية ونقلية طويلة مقنعة وقد كانت من عادة صاحب الترجمة منذ كان في تونس ان يحتفل كل سنة بالمولد النبوي الشريف احتفالاً

شائق واجب عليه لحين وفاته حتى انه كان آخر اعماله في هذه الدنيا رحمه الله وفي كل سنة يكتب رسالة مخصوصة في موضوع من المواضيع علمية يخصص فيه التذكر بمولد الشريف وقد طبعت في الاستانة رسالتين لذلك الغرض احداهما فيما يجب لآل البيت النبوي الكريم من التبجيل والتعظيم مبيناً حقوقهم على المسلمين بشرط ثبوت النسب العلي حتى لا يدخل في هذه السلسلة النسبية دخيل تترتب له تلك الحقوق الواجبة وثاني الرسالتين فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم على سائر المسلمين وألف رسالة اخرى في سكنى دار الحرب وذلك عند ما رأى مصر أعلى بلاد الاسلام من التقهقر المستمر سأل الله لها التقدم والسلامة وقد ذهب في هذه الرسالة بعد شرح ما عليه البلاد الاسلامية الآن شرح الكافي وايراد الادلة والنصوص الشرعية الى ان الانسان حر فيما يختاره حسب مصلحته واجتهاده . وقد سأله بعض الافاضل عن رأيه في مسألة الاجتهاد والتقليد مستنداً على الرسالتين المطبوعتين في الاستانة المنسوبتين لنواب صديق حسن خان فشرع في الجواب غير انه لم يتمه ويظهر من فحوى كلامه وعمله بخصوصية انه يرى تقليد احد الائمة الاربعة واجباً على حسب المشهور في مذهب اهل السنة . ولما تولى امير تونس الحالي منصب الامارة هنأه الشيخ بيرم بمكتوب مصدر بهذين البيتين

ألا بعلي ملك تونس سدّدا فلا زال فخراً للبلاد مؤيدا
ونجح دعائي بان دقات ارّخن ألا بعلي ملك تونس سدّدا

وقد توجهت في ذلك الوقت آمال احبابه فتأمل هذين البيتين لرجوعه

الى تونس اذ ان نفوره الذاتي كان من الوزير مصطفى بن اسماعيل الذي
افل نجمه بوفاة سيده الصادق باي ولم يبق من مانع له من العود الى بلاده
ومسقط رأسه ومدفن اجداده خصوصاً وبستان نائب فرنسا استبدل بغيره
وصفا الوقت وزال المقت فكاتبه بعض المنتمين للسفارة الفرنسوية بتونس
بمناسبة الفرصة لا سيما وقد كان وعد الامير عند توديعه وهو اذ ذاك ولي
العهد بالعود الى الوطن عند ولايته عليه فاعتذر صاحب الترجمة عن كل ذلك
بان السيرة العمومية هناك لم تبق على الحالة المألوفة ثم ان صحته لم ترب في
تقهقر في الاستانة لتأثره من الانفعالات النفسانية المنسببة عن دسائس دهى
الاعراض السابق شرحها التي لا يكاد يخلو منها من كان له شأن بين الناس
او فضل يميزه عن اقرانه وبمعالجة وعيب لجزم الكبير من ان وضع
صاحب الترجمة جميع املاكه بتونس وصار يصرف من ثمنها في حاجياته وعوائده
التي لم يغير منها شيئاً بحيث رأى نفسه في تأخر مالي مستمر لا امن معه من
الوقوع في مخالب الفقر وهو لم يحس من العمل لاستمرار قدرته ومفرغ
للاشغال العلمية وكان بعض كبار اصدقائه يشعره من سنين او ذاك بنية
لاعداده الى وظيفة مخصوصة تليق بعلومه وما زال منتظراً حتى ضاق لذلك
ذرعاً وورد عليه اشتداد المرض العصبي اذ وجد تاملاً بتحريكه قوة وهو
لانفعال النفساني المستمر فنظر في امره فلم يجد من البلاد الاسلامية التي
يمكنه الاقامة فيها براحة بال الا القطر المصري وهو مع حرارته التي أدها
مزاج صاحب الترجمة الا انه اوفق من غيره من البلاد الاخرى . اما
الولايات العثمانية فقد اشار عليه بعض المخلصين عن الحنو على ان دابه

توجه اليها لا يجوز محل القبول خصوصاً وهو لم يكن له ميل الّا للتوجه الى المدينة المنورة المجاورة او الى الشام ويمنعه عن الاقامة في الحجاز احتياجه المستمر للحكماء والعلاجات وهما شيئان مفقودان تقريباً من تلك الجهات المباركة فاستعد لنيته في القدوم الى مصر وساعدته المقادير بالحصول على مكاتيب توصية من بعض ذوي النفوذ في هذه البلاد فاراد طلب الرخصة بالقدوم اليها ولكنه استشعر ان طلب الاذن للتوجه اليها ربما لا يجوز قبولاً خصوصاً وانه تعذر عليه وجود من يبلغ الحضرة السلطانية تفصيل امره وشكوى حاله على الوجه الحقيقي ولا من احترم الخليفة مثله من علماء المسلمين كان يدفع شكواه ويرفع عنه ألم معيشته ولكن دون الموت من عقبات لا تسمح لمن يهمهم الوقوف حيناً على مثل هذه الاحوال فاذا فقد اصبح الامين الذي يتحفظ بملافاة هذه الامور بحسن تبليغها الى مقام الخلافة حصل الاشكال الذي وقع فيه صاحب الترجمة ومناه فالتزم التمحل بطلب العودة الى تونس وقرن هذا الطلب بالاجابة وكاتبه علي رضا باشا بالمكاتب الذي في الهمايوني بهذه المشفقة الغريبة وهذا نصها بالحرف الواحد بخط يده

" العالم الفاضل والاديب الكامل محمد افندي بيرم سلمه الله

بعد التحية الوافية ابدي لكم انه عرض مادة العزيمة الى بلدكم فصدرت الارادة السنية السلطانية على عزيمتكم الى ذلك الطرف ان شاء الله تكون مصحوباً بالسلامة ونروم منكم ان لا تنسونا من دعائكم الصالح في السفر والاقامة ودمتم في ٢١ ذي الحجة سنة ١٣٠١ (علي رضا) "

ومما يذكر هنا مقرونًا بمزيد الاسف ان قسطنطينية مثلًا تشتمل على نحو المليون نفس من السكان من اجناس مختلفة اقلهم اثنانةً العرب او المنتسبون اليهم ومع ذلك لا ترى اشد منهم توفقًا على الايقاع فيما بينهم فبينما ترى الروم والارمن واليهود يعضدون بعضهم بعضًا ويسعون مي جنسهم في الخير بحيث يصدق عليهم انهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا ترى اولاد العرب المسلمين ينحلون ويتهافتون على اختلاق الاسباب ويحادهم لابعاد بني جنسهم عن دار الخلافة وتنفير قلوبهم منها وتلك في حقه آيات. فقد راجت فيهم سوق التحاسد والتباغض والتنافر والتشاحن حتى لا يكاد يخلو حديث من احاديثهم او حركة من حركاتهم الا في ايذاء بعضهم وايقاع السوء بانفسهم والتخاذل فيما بينهم لا فرق في ذلك بين الكبير والصغير والعظيم والحقير بل الداء واحد في الكل الا من وفق الله ولا شك ان هذا من سوء حظ الاسلام الذي كان ينبغي ان يصرفوا له اوقاتهم في خدمته بما في يدهم من القدرة على نفعه نسأل الله ان يرفع من بينهم آفة الدسائس التي يشوشون بها على انفسهم وعلى بلادهم ويسقطون بها شأن الامة العربية في أعين الامة التركية

وقد غادر الشيخ مركز الخلافة والعين مغرورقة بالدمع والحشاشة مملوءة بالاسى والصدر مفعم بالاسف ليس ذلك للمنصب فرقة او لرفاهة عيش رآها والطمع في شيء من نعيم الدنيا الزائل وعيشها الفاني وانما كان يتحرق فؤاده لما كان يرى عليه الامة الاسلامية من الاعتلال والاخذ في اسباب الضعف وكيف ان بلاده وقعت اولاً في يد الاجنبي وخرج لاجل ذلك

مشفقاً بعائلته في البلاد ليسكن بها بلدة اسلامية فلم يرَ امامهُ مكاناً هو اولى ان يقصد لهذا الغرض وأليق بعالم مسلم مثلهِ من اولاد نقباء الاشراف ان يقيم بعائلتهِ فيهِ سوى دار الخلافة وعلل النفس بأن ما يراهُ هناك من صولة الاسلام وتشييد الدين واستقامة أُمور المسلمين واجتهاد امير المؤمنين ومن حولهُ من خاصتهِ وحاشيته ورجالهِ لانقاذ الاسلام واهله مما سيسلي مصابهُ بفقد بلاده ومنّى النفس بانهُ لا ييأس على ضعفه وعجزه من القيام بخدمة تفيد الاسلام او نصيحة تشيد الدين او اشتراك في عمل يجمع به كلمة المسلمين او ما يماثل ذلك مما يجب على كل فرد من المسلمين القيام بهِ وخصوصاً من كان من طائفة العلماء فرأى لسوء الحظ من تلك الدسائس ودنايا السعايات ومسابقة الوشاة اضرارًا بكل من كان مثلهُ على رأيهِ حتى يخلو الجوّ لاولئك المسابقين ما اضطرهُ الى مبارحة دار الاسلام للتشتت مرة اخرى في البلاد بعائلته بعد ان يئس من العمل في حقهِ بمقتضى الآية الشريفة "قل لا أسألكم عليهِ اجرًا الا المودة في القربى" والمرحوم يمت بحبل النسب الى البيت الطاهر النبوي من جهة ويتصل من الجهة الاخرى الى مجاهد في سبيل خدمة الدولة العلية اراق دمهُ في افتتاح البلاد التونسية ولم تزل اعقابهُ تتوارث الولاء والاخلاص والصداقة المتينة للدولة العلية في كل زمان ومكان حتّى انهُ لما اهدى السلطان عبد المجيد كركاً من السمور الفاخر من ملبوساتهِ الذاتية الى امير تونس احمد باشا لم يرَ الامير المشار اليهِ أليق بلبسهِ من الشيخ بيرم الرابع فاعطاهُ اياهُ ولم يزل محفوظاً يتبرك بهِ في بيت بيرم بتونس وصار لبس الكرك مزية لم لم يتقدم فيها سواهم وقد اكتفى الشيخ

الرابع بذلك عن قبول نشان الافتخار التونسي لما عرضهُ الامير عليه واتبعهُ في ذلك صاحب الترجمة ايضاً سنة ١٢٩٥ اذ صارت العادة في تونس ان العلماء لا يتقلدون النياشين وفي حرب الدولة مع الروسية سنة ١٢٤٤ تقاعست الولاية التونسيةُ عن نصرة الدولة مادياً وادبياً فلم يجد شيخ الاسلام بالاستانة من يستعين بهِ لحث المسلمين في تونس على مساعدة الدولة الأ جد صاحب الترجمة بيرم الثاني لما هو مشهور عن هذه العائلة منذ القدم انها متعلقة بخدمة الدولة لا تفترعن ذلك ابدًا فاجابهُ بالمكتوب الآتي نصهُ

" ربنا افرغ علينا صبرًا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . ان احسن ما تشرفت بهِ الامة المحمديةُ . وتحملت بهِ العصابة الاحمديةُ . اتباع اوامر الله تعالى و نواهيه . وبذل الجهد في اعلاء هذ الدين وتشييد مبانيه . اقتداء بصدرها الاول . وعملاً بسنة نبيه المرسل . ولعمري ان هذا في العبارة وان كان سهلاً بيناً . فهي ابرازه للوجود ليس هيناً . لتوقفهِ على امدادات الهية . وهداية ربانية . وداع الى هذا بلسانهِ . وبرعه وسنانه . وقد تطابقت حملة الانباء في سائر البلاد . من جميع العباد . ان القائم بهذا الشأن . والحائز قصب السبق في هذا الميدان . ومجدد الدين بعد الاندراس . ومظهر اعلامه اثر الانطماس . الدولة العثمانيةُ اعلى الله منارها . وضاعف اقتدارها . وانام الانام في ظلها . واعاد عليهم من فيض فضلها . فلم تخل والحمد لله من امام يهدي الى الحق والى طريق مستقيم . ولم يأل جهدًا في رمي اعدائهِ بالعذاب الاليم . مؤيد من الله بعلماء . عاملين هم ورثة الانبياء ناهجين في نصح العباد منهج الاصفياء . وقد ورد علينا من حضرة مولانا شيخ

الاسلام . وامام العلماء الاعلام ومرجع الحكام في الاحكام . ومن بيده مقاليد النقض والابرام . لا زالت اقلامهُ في بحار العلوم سابحة . ومواعظهُ للقلوب جارحة . وتجارتهُ عند الله تعالى رابحة . كتاب كريم . هادٍ باوامره ونواهيه الى الصراط المستقيم . لا يقابلهُ كل مؤمن الا بالقبول والتسليم . وكيف لا وقد جاء بالذكرى التي تنفع المؤمنين . مأمور به في الكتاب المبين . حاثّاً على الجهاد . والتشمير عن ساق الاجتهاد . وتعاطي اسبابه . وطرح الامور الصارفة عن بابه . فاجتمع لقراءته الاعيان من العلماء وغيرهم بحضرة الامير جميعاً . وفتحوا لهُ قلباً وسمعاً . وتلقوه بالاذعان والقبول . والمبادرة لامتثاله بالعمل والقول . واميرنا مثابر على تنفيذ اوامر الدولة العلية . التي طاعتها من طاعة رب البرية . وما هو الا ان يؤمر فيطيع . ويكاتب ويأتي بما يستطيع . والله تعالى يؤيد سلطاننا بمدد نصره . ويجعل اعداء الدين تحت قهره . ويعلي راياته السامية في البر والبحر . ويكتب على صفحاتها سورة الفتح والنصر . والسلام اللائق بعلاكم . من العبد الفقير محمد بيرم

وفي الحرب الاخيرة تأخرت الحكومة التونسية عن مساعدة الدولة ايضاً لخوفها من معارضة فرنسا وقام الشيخ بمقتضى ما ورثهُ عن ذويه من محبة الدولة العلية يحرض الوزير وينصح الامير ويحض المسلمين جميعاً على اعانة الدولة ولم يكتف بذلك فقط بل سعى سعيهُ حتى توصل لاستخراج فتوى شرعية بوجوب القيام بواجب المساعدة للدولة حتى لا يبقى هناك عذر لمعتذر في ذلك التقاعس وهذه صورة السؤال الذي طلب عليه الفتوى

"علماء الاسلام. بعد اهداء السلام. والتحية والاكرام. ما قولكم.
رضي الله عنكم. في نازلة صورتها ان امام المسلمين قد اخبر اهل قطر من
المسلمين ممن هم تحت طاعته. وداخلون تحت بيعته بخطاب عمهم باسمه على
منابرهم بان العدو قد فجأ بلاد المسلمين معلنًا بالحرب ووقعت منه المباشرة
بالفعل في حدود المملكة وكان الامام استشعر من العدو ما آل امره اليه
من مباشرته بالحرب فهيأ من العساكر بحدود المملكة مدافعة عن بيضة
الاسلام نحو الستمائة الف وحين اطلاعه على جيوش العدو وعلم ما امكن
من اخبارهم رأى الامام ان الستمائة الف تحتاج الى ضم آخرين اليهم من
المدد الكثير الذي تحصل به مقاومة العدو ويمكن له به مدافعة العدو فاستنفر
كل من استطاع من اهالي ذلك القطر الى الانضمام الى حوزة العساكر ثم
الذي وقع في الخارج بعد استنفار الامام هو ان العدو قد استولى على
بلدان وقرى من مملكة ذلك الامام واهلها مسلمون جارية في تلك البلدان
والقرى شعائر الاسلام كما استولى على قسم من مملكة ذلك الامام سكانه
نصارى يؤدون الخراج ويذعنون بالطاعة للامام وهذا القسم له بال من
المملكة يبلغ عدد سكانه نحو الخمس ملايين وقد جعله العدو مركزًا لذخائره
وعدده بما فيه من الحصون ومع ذلك لم يقدر العدد الوافر الذي هيأ
من عساكر المسلمين على اخراج العدو مما تسلط عليه ثم حصلت للعدو مضرات
اخرى من غزو سفنه وثورة قسم ممن كان تحت سلطانه من مسلمين باعانة
الامام لهم فهل يجب والحالة ما ذكر على اهل ذلك القطر المستنفر اهله ممن
قدر على الزاد والكراع والسلاح ان ينفر للامام ويلبي دعوته سواء كان

حيث تقصر موالياً لموضع المحموم او بعيداً عنهُ وعلى تقدير ان يكون الموضع
لموتى اهله تكاسلوا وعرض لهم منع يتعلق الوجوب حينئذٍ بمن يلي من يليهم
وهكذا ام لا يجب واذ قلنا بوجوب ذلك على الافراد والاشخاص فهل ذلك
يشترط ولو كان هناك من له سعة عامة كمثل عالم لا اعلم منهُ في البلد
يحصل المقصود فهل حينئذٍ يسقط الوجوب عنهُ ام لا جوابكم الشافي "

وما فتئ رحمهُ الله يعرض خدمة البيت العثماني عند كل فرصة وكل
وسيلة حتى انهُ رأى رأياً ينتج عنهُ نفع المسلمين وارتقاء شأنهم جميعاً من
جهة توثيق عرى الجامعة الاسلامية وائتلاف ممالك المسلمين وتنظيم احوالها
على ما يجعلها قوة مركز وثبات الوجود ومن جهة اعتلاء شأن البيت
العثماني بتشييد امر الخلافة فيه على جميع المسلمين وممالكهم وذلك الرأي هو
ان تجعل الممالك المستقلة الاسلامية والولايات العثمانية المستقلة استقلالاً
داخلياً ثم يصير الجميع عصبة واحدة ومملكة واحدة تحت رئاسة الخليفة
السلطان العثماني ومن ضمن الامور التي اوصى بها في روابط هذه الجامعة
ان يجتمع امراء الممالك الاسلامية في بعض السنين بالكعبة المطهرة لتكون
شاهدة على قوة رابطتهم وفي ذلك من اعلاء شأن الممالك الاسلامية ما لا يخفى
على كل من امعن النظر في نظام الممالك الالمانية التي كانت ضعيفة ضئيلة
لتفرقها ممالك صغيرة يسهل على الطامع ابتلاعها كما حصل مراراً فلما اتحدت
جميع مقاطعات الالمانية على النمط الذي نراه الآن بمملكة بروسيا اصبحت
اعظم ممالك شأناً واشدها قوةً وصارت مملكة بروسيا التي كانت تحت رحمة
الطامع لضعفها وعجزها اقوى الممالك لاتحادها مع بقية الممالك الالمانية وقد

كتب المرحوم في هذا الباب كلاماً طويلاً مستشهداً فيه بالشواهد الدينية والتاريخية كقول احد مشايخ الاسلام بالاستانة الاقدمين عند تعريبه هذا المشروع ان كان يعارضه ان الاليق بمجد السلطان وفخر الدولة ان يكون السلطان سلطان السلاطين لا سلطان الولاة وربما اوجدهُ في ضمن ما سننشرهُ من بعض كتاباته التي تركها عند عرضة

وقد خرج الشيخ على تلك الحال يقلب طرفهُ في البلاد علهُ يجد بلدة اسلامية يشد اليها رحله فلم يجد من بلاد المسلمين بلدة يعيش فيها آمناً على نفسه وعرضه ولا يكون غرضة مثل تلك الدسائس الا البلاد المصرية وان كان دمعهُ يجري اسفاً على تلك البلاد بعد التي [illegible] من سيطرة الاجنبي عليها ولكن رب ضارة نافعة وبعض الشر اهون من بعض وقد انكر عليه المتشدقون عملهُ هذا وقدومهُ على مصر في حالة وجود الانكليز وتضارب الاحوال فيها غير انهُ كان يجيب على ذلك "بان لا حق لاحد في الاعتراض عليّ اذ ان الدولة رضيت لي الاقامة في تونس تحت حماية فرنسا حسب منطوق الارادة السنية مسطرة اعلاه وتونس سلخت بمرة عن الممالك العثمانية ولا اثر لسلطة الدولة او المسلمين فيها. اما مصر فانها مع وجود الانكليز فيها فانها لم تزل ولاية من ولايات الدولة وسيطرة الحكومة العثمانية فيها قائمة وعلى فرض مساواة في المعاملة لا قدر الله فلا فرق بين الانكليز والفرنسيس"

وقد انتقل المرحوم بعائلته الى مصر معرجاً في طريقه على بلاد اليونان وذلك في المحرم سنة ١٣٠٢ (نوفمبر سنة ١٨٨٤) اي بعد الاحتلال الانكليزي

بسنتين وشهرين ولما استوطن بالقاهرة هنأه حضرة المصقع البليغ الشيخ حمزة افندي فتح الله بهذين البيتين البديعين

لئن اشرقت في الشرق مصر ببيرم ... وضحت به تلك الكنانة تونس

فكم شد مع آدابه من مكارم ... اضاءت بها في عرب من قبل توس

وبعد ان استراح اياماً قابل الجناب الخديوي التوفيقي المرحوم فاظهر له مزيد العناية وترك له مهلة اتفقة لاميين محكي له سموه جميع ما جرى في الثورة العسكرية وتفاصيلها وكلما يتعلق بقسمة فيها وختم كلامه بقوله "اني ذكرت لكم كل هذا لتتأكدوا من صداقتي لكم" ثم اظهر له من علائم الاكرام ما جعله دائم الشكر له ومن ذلك انه امر بان تكون مصاريف الشيخ على نفقة الحكومة كما كان في ضيافة مولانا السلطان وفي ٢٥ ربيع الاول من تلك السنة اصدر جريدة الاعلام وهي جريدة علمية سياسية يومية غير ان صحة صاحب الترجمة وقلة اختباره بالقطر المصري لم تساعداه على تولي اصدارها يومية فجعلها تظهر ثلاث مرات في الاسبوع ثم صارت اسبوعية واستمرت كذلك مدة طويلة بحيث ان اول عدد منها صدر في التاريخ المذكور وآخر عدد وهو ٢٦٩ صدر في غرة جمادى الاولى سنة ١٣٠٦ ثم احتجبت الجريدة المذكورة عن الظهور بتولي صاحبها خطة القضاء في محكمة مصر الابتدائية الاهلية وكان في بنيه عند تأسيسها مع فتح مطبعة مخصوصة بها ان يشغل نفسه بتحريرها وبطبع الكتب المفيدة حباً بنفع العموم بما اكتسبه من الاختبار بالتجول في البلدان وبما يعلمه من العلوم الشرعية الاسلامية وتطبيقها على الاحوال السياسية التي ينتج عنها تحرير البلاد وانتظام امورها كما كانت تتولع به نفسه منذ القديم

حتى قال خير الدين باشا عن هذه الجريدة انها لا تلبث ان تكون "تيمس
العرب" ودفعه الى ذلك ايضاً ما كانت عليه سجيته من حب الاشتغال بالعلوم
وفن التحرير والانشاء ومن يتبع هذا الغرض لا في مثل الاشتغال بطبع
الكتب وانشاء الصحف ولكن قد حسب جميع اهله ان الجريدة لم تطل
ايامها حتى رماها بعض الناس بانها تحث على الانتماء للاجنبي وهو امر لم
نقله ابداً وغاية ما هنالك انه كانت تحث على الاستفادة من الانكليز ما
داموا موجودين في البلاد اذ ان تمسكهم بامر البلاد والامة جميعاً في
يدهم لا تحمد عقباها كما بينته التجربة بعد ولدى انتهاء لانتهاج هذا المسلك
ما قاساه من ظلم الاستبداد وما رآه من وجود عوامل الحركة في مصر تغري
بعض الاحزاب لتوعير صدور الناس على حكامهم اذ ذاك وخشي من دوام
الحال على ذلك بعواقب ان يأتي بضرر ابدي ويعود على الطائفة
الاسلامية والحاصل ان كثيراً من الناس لم يقدروا عمله حق قدره هذا
زيادة عن ان حال الجرائد في الشرق ليس هو على ما يشاهد في البلاد
المرتقية في التمدن والحضارة بحيث ان الجرائد هنا لا تنجح الا اذا كان لها
معضد قوي ولم يتعود الشرق لغاية الآن ان ينمي مثل هذا لكن يد الحكام
فيه والشيخ بيرم كان قليل معرفة الناس وخلائقهم في مصر فلم يجن من
جريدته ثمرة تذكر ثم ان كتب في صمم تحمل معرة مصاريفه ولم يكسب
منها شيئاً وزد على ذلك انه نزل في ترف وعزة نفس وشممه عنيد ومن تكن
هذه اخلاقه قلما ينجح في عمل تجاري ثم ان الجرائد اضر بصحته وزاد في تقهقره
فزاد في استعمال عرفين زيادة مفرطة حتى صار يستعمل نحو غرام وكسور

في اليوم وهو مقدار كاف لقتل عدة من الانفس الغير المعودة عليه
والتزم بعد سنتين واضطر من الاقامة بقصر ان يسافر الى اوربا وكان ذلك قريب
احتفال مالكة انكلترا بمضي الخمسين سنة على توليها سمت فتوجه اولاً الى
مدينة فلورنسا من اعمال ايطاليا لملاقاة صديقه المرحوم الجنرال حسين
باشا التونسي حيث صحبهُ تسوية شؤونه لما اعتراهُ مرض فاوقف جملة من
املاكهِ على بعض احفاده وخصص بعضهم بخيوش مساكين ومن هناك قصد
المرحوم مدينة باريس لاستشارة حكمائها في امر صحته ثم سافر الى لندرة
عاصمة الانكليز وهناك قابل جملة من ملائها وكبراء اعيانهم كاللورد سالسبوري
واللورد روزبري وقد تكلم مع من قدر منه ولاقى ان يكون بينهم
رسم الاحوال المصرية بما رآه بعد في جلته وحسه وحميه لخدمتهم
ومشيئة في مستقبل امرهم وكان اذ ذاك النفور مستحكما بين نائب الانكليز
في مصر وبين رئيس مجلس النظار فيها فكان يقوم في حيرة من هذا
الامر خصوصاً وانهم يرشحون لمنصب الوزارة في مصر فيلون حينئذ وفكر
القائم في اذهان بعضهم حينئذ ان رياض باشا مكروه في بلاد مستندين على
ذلك بظهور الثورة فيها مدة وزارته الاولى فبذل المرحوم جهده لصرف
هذا الفكر وسعى بقدر استطاعته فيه على اسان المسلمين وبعد ان حضر
الاحتفال رجع الى باريس لاتمام معالجته ثم عاد الى مصر بعد ان تغيب عنها
نحو الخمسة اشهر صرفت في طريقه على ريس ووبانه وفي الاثناء المذكورة
سعى الساعون كثيراً لارجاعه الى الاستانة وكاتبهُ بعض اصدقائه
في ذلك حسب ما صدرت به الاوامر السلطانية فاظهر المرحوم كمال

استعداده للرجوع اليها فالآن بيعة امير المؤمنين لم تزل في عنقي ووقف رجوعه على تسوية احواله المالية ثم يقدم الى القسطنطينية ومع ذلك فلم تكن الاعداء تكف عنه الاذى في جهة بغض حتى انه لما طبع صاحب الترجمة احدى رسائله المذكورة آنفاً المختصة بحقوق الاشراف دس ارباب الدسائس له في دار الخلافة ما اوجب المخابرة مع الحكومة المصرية بشأن موضوع تلك الرسالة اذ قيل انه تعرض فيها لمسألة الخلافة وهو امر لم يخطر له على بال ومن البعيد ان يفكر فيه عاقل وحاشا لمثل الشيخ بيرم وقد وصل به من الادب الى الحد الذي وصل وما هو عليه من غيرة منه على بني جنسه وملته ان يتصور حدوث زيادة شقاق بينهم وبروز بذور الخلاف بمسألة استقر قرار عليها مدة قرون وجمع المسلمون فدانت في مشارق الارض ومغاربها عند عدها وتركها وراءها الافراد فيما بين عثمان مدة بعهد السلطان سليم الاول ثم تعقبوه بعد فهي يكتب في جريدة الاعلام الى ان يسر الله بقدوم الغازي مختار باشا الى مصر وظهر له بالعيان فساد تلك الوشايات

وفي اثناء سفره كاتبه العلامة المرحوم الشيخ عبد الهادي نجا الابياري من كبار علماء الجامع الازهر ومفتي المعية السنية بهذا المكتوب

بسم الله والسلام عليكم ورحمة الله

ورد الكتاب عن الحبيب معطرا فشممت منه وجه حرم مؤلم
قد شمت منه مذ شممت اريجه بشرا بصحة ذي السيادة بيرم
حيا فأحيا مهجة كانت لما فقدته تمشي في الشقا تام

وبيتك ما دقت تترابن ساتما من بعد فرقته وراحة ثم
الآن سرت سرورنا بما ابدو من سريان برء محكم
لجناب مولانا الهمام فانه ذو بهجة الدنيا ونور العالم
جمع الاله له فضائل منها جمع الزهور بروض تحت المرزم
من بين اخلاق كازهار الربى ومحاسن تزهو بكل مخيم
بجلالة وجلالة وشهامة وسماحة موروثة عن حاتم
وسيادة وسعادة ابدية وجميل تدبير برأي محكم
فالله يكمل صحة لجنابه ما غردت قمرية بترنم

استفتح اوكتي هذه بلطائف تحيات تنسم بها نسائم الاسحار وتتمسك . واستفتح كمائم رقائق نضرة في مقلب مسلم ان رنة نمت . مبتهلا الى الله تعالى ان يتم الامل ويشرح الصدر بكمال صحة مزاج حضرة نضرة وجه الايام . وغرة طلعة الزمان وقرة اعين الانام . شمامة الحديث التي بها تتارج . وشمس قلادة المبيد التي بها تتبرج . علامة العصر الذي است محاسنه محاسن ابناء سلافة العصر فما هو الا روح الروح ولوح الفضائل التي تتناجى في المساء والصباح . وان شفاء جسمه شفاء لكل عليل ورواء ما كل غليل . فمهما صح مزاجه الشريف صح مزاج الايام وبرئ من حين العافية فعلى الدنيا السلام .

هذا ورجائي ان تمسوا روحي بتولي اخبار صحتكم كلما وفد وافد . وتمسوا نفسي بورود اخبار صحتكم كلما ورد لهذا الطرف وارد ثم سعادة الهمام فكري باشا يتحف حضرتكم بلطائف تحياته . احسن الله ما ولاه وخصكم النهايات

في ١٣ الحجة سنة ١٣٠٤ عبد الهادي نجا الابياري

وعلى ذكر هذا المكتوب والشيء بالشيء يذكر ننشر هنا بعضاً من محررات وردت على صاحب الترجمة عن لسان المغفور له توفيق باشا دلالة على منزلته لديه ونموذجاً على معاملته له فمنها تلغراف جاءه جواباً على التهنئة التي قدمها يوم تذكار الجلوس الخديوي في ٢٦ يونيه سنة ١٨٨٨

حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد بيرم بمصر

تلغراف حضرتكم الوارد بتهنئة الحضرة الخديوية على اليوم السعيد بعرضه قد صارت الممنونية لجنابه العالي من ذلك ولزم تبليغ الامر للمعلومية

سر تشريفاتي خديوي

رقم اثنين

ومنها مكتوب ورد له من محمد زكي باشا تشريفاتي اول خديوي اذذاك وهو

حضرة والدنا العزيز المحترم دام بالخير والنعم

تشرفنا بورود تذكرة حضرتكم ومتشكرين غاية التشكر وبوقته قدمنا الامانة للاعتاب الكريمة فحصلت الممنونية التامة وامره بتبليغ ذلك لسيادتكم افندم

الداعي

محمد زكي

في ٦ شعبان سنة ١٣٠٦

ولما كنا بصدد ذكر هذه المحررات فلنجعل خاتمتها مكتوباً ورد على المرحوم من صديقه الحميم . ملاذ المعظم . ذي القلب السليم . الاستاذ الابر مولانا الشيخ محمد ظافر دامت بركاته اذ ابانة بيان ما كانت عليه صلات صاحب الترجمة بمعاصريه ومعارفه ومخاطباته مع محبيه ونص المكتوب

الحمد لله

الى حضرة الهمام الفاضل . والعمدة الكامل . جامع شتات الفضائل . وناظم فرائد محاسن الشمائل . ومنبع المعارف . ومجمع اللطائف . وقطب فلك السياسة ومركز دائرة الرئاسة . حضرة الاعز الاكرم . مولانا الشيخ سيدي محمد بيرم . ادام الله عزه وقباله . وادناه مناه وآماله . آمين

بعد اهداء تحيات اطيب نفحا من روض الازهار . والطف من نسيم الاسحار . فقد وصل كتابكم الكريم . المشتمل على الود القديم . الحري بالتبجيل والتعظيم . وقرت به اعيننا سرورا . وامتلأت به قلوبنا بهجة وحبورا . وما اعلمتموه من الفرح والجذل بحصول نشاط مزاجكم من عارض المرض الذي حصل . فهو من علامات تمام الوداد . وخلوص محبتكم الاصيلة وكمال الاعتقاد . ولكم عندنا من ذلك الحظ الاوفر . والقسط الاكبر . وما عطفتم به على ذلك من الذكر الجميل والثناء والتبجيل . على المحب فهو من انطباع كمالاتكم الظاهرة . التي تجلت في مرآة ذاتي واصبحت في عالم الشهادة كم ظاهرة . كما هو مصداق قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن مرآة اخيه كما يشهد بذلك ذوق كل صديق وموفق وعلى كل فنحن معترفون بالقصور . ونسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق في جميع الامور . وان يجعلنا ببركة دعائكم مظهرا للخيرات . وواسطة لتوالي المبرات وان يجعل العاقبة للمتقين . وينجز وعده بنزول نص النصر على اعلام جيوش المؤمنين . ونخص بالسلام كامل من بحضرتكم وجناب اخينا الشيخ سيدي حمزه مسلم عليكم . وكذا كامل اولادنا مقبلين يديكم . وهذا ما لزم . ودام مجدكم والسلام

خادم الفقرا

١٣ شعبان سنة ١٢٩٤

محمد ظافر المدني

وقد تفرغ صاحب الترجمة في الاوقات التي يتركها له المرض لاتمام تأليف ابتداه في استانبول سماه "تجريد سنان للرد على الخطيب رونان" وذلك ان عالم افرنسوي مذكور وهو من مشاهير اهل بلاده تعرض في خطابة القاها بباريس تحت عنوان "الاسلام والعلم" الى ذكر الديانة الاسلامية وانها تمنع العلوم من الانتشار بين ابنائها فافسد صاحب الترجمة هذا الزعم برد مقنع بنى فيه على ذكر جميع العلوم والفنون التي استنبطها المسلمون او نقحوها وله رسالة في صورة سؤال حررها في جواز شراء اوراق الديون التي تصدرها الممالك الاسلامية حتى تبقى اموال المسلمين في بلادهم ولا يحجبهم عنها سقوط الربا الذي لا ينطبق في هذه الحالة عليها وكتب تقريراً مسهباً في شأن التعليم بمصر ذهب فيه الى لزوم انتشاره باللغة العربية لسهولة تناوله وتعميمه بين العموم مستنداً في ذلك على عمل العرب في صدر الاسلام وعلى عمل الاوروبيين انفسهم فانهم لا يعلمون الا بلغاتهم وقد نجحوا اما مصر فما نفعت طريقة التعليم باللسان الاجنبي لم تنتشر فيها العلوم والفنون مع طول الزمن الذي مضى من حين تأسيس المدارس فيها وله ايضاً عدة كلمات على جملة احاديث نبوية شريفة وهي التي كان يحتفل بختمها في تونس على حسب العادة الجارية هناك في مدرسة العنقبة التي كان شيخاً عليها وفي مصر في مرسى محمد جناب الامير الحالي وسننشر جميع هذه الرسائل والمنشآت والقصائد وغيرها من التحارير العلمية والسياسية التي كتبها في مجموعة خاصة بحول الله تعالى ولم تتركه ايضاً في مصر دسائس بعض الفرنسيس وتهمهم الباطلة فمن ذلك ان جريدة لا مترن

(مصباح) الباريسية نشرت خبراً عن مكاتبها في القاهرة في شهر أغسطس سنة ١٨٨٩ مفاده أن الشيخ بيرم سافر متوجهاً الى الشيخ السنوسي للاتفاق معهُ على مهاجمة نار الفتنة في السودان بواسطة المهدي وقصد من ذلك كلهِ معاكسة فرنسا وصادف نشر هذا الخبر خروج صاحب الترجمة حقيقة من القاهرة ولكن لاستنشاق الهواء البارد على شاطئ البحر في جهة رأس البر بدمياط وقد تجول المرحوم في كثير من انحاء القطر المصري وكان يكتب اثناء تجولهِ في ذهنية بقية صفوة الاعتبار فتم الجزء الرابع واول الخامس ولم يمهلهُ الاجل لاتمامهِ وانهُ كان يقصد التوسع في الكتابة عن بلاد النمسا وسويسره والمانيا ورومانيا والبلغار والصرب واليونان وهي البلاد التي شاهدها ولكن ما كتبهُ اجمالاً عنها في الجزء الاول يمكن ان يغني القارئ عن التفصيل والاسهاب وكان ينوي كتابة خاتمة صفوة الاعتبار على نمط مقدمتي تاريخ ابن خلدون واقوم المسالك فلم تمكنهُ صحتهُ ولا اجلهُ من اخراجها من حيز الفكر الى قوة العمل ونحن نورد هنا بعض تعليقات كتبها ليوسع البحث فيها في هذا الموضوع عسى ان يقيض الله من يمشي على غطاها اذ المقصود هو نفع ملتنا وبقومنا من غفلتنا ولكي يجاري الامة في تقريبين الماضيين من التقهقر والتلاشي والاضمحلال واعتباراً في ديوان العبر واهم باب المبتدا والخبر لمن يروم الاستفادة بالماضي ليدفع به نائلة المستقبل اما تعليقاتهُ فهي فيما ينبغي لنا اتخاذهُ وتدبير نفوسنا عليه وفيه فصول الاول في زيادة نشر العلم الثاني في كيفية الحكم وانهُ ينبغي اتخاذ قول واحد من المذهبين (اي في تونس حيث الاحكام جارية بمقتضى المذهبين الحنفي والمالكي) . الثالث في كيفية ادارة

سياسة وما هو عمل الملك وما هو عمل كل وزير وما هو عمل مجلس النواب الذي حقهُ ان يتخذ من الاهلي وان لا تعطى الكلفة دفعة واحدة بل على قدر استطاعة الاهلي وقابليتهم وان ذلك يأتي في المسلمين من الملك وهو المربي لرعيته والسبب في عدم اعطاء الحرية التامة في فرنسا كما هو جار في انكلترا ثم تعامل الدول مع دول الاسلام على خلاف التصرف في داخليتهم لضعف وعدم انصافهم فعليه بالوسائل بحكم تداكر الملوك شرعاً وليس هو من قبيل المفتحة . والعلاقة للدول والاحكام ووقوعها صحف وفوائد سكك الحديد والبريد والتكلم عليه وعدم تأخير مقصد في الكلام عند الزيارة لاتمين معاً وسعي عن لعبة بين الحرام . جهاد اليهود في حل كل بلاد واغلب صنعات بأيديهم وعدم تعديلهم الصنائع مجهدة . طرق الوجهة للنفرة بالتعاضد . اطلاع الشريعة في الكفر وحب ولو بدون حرب . اجتهاد الاجانب في عمل حتى وصفوا بين شيء امبركا والبحرين الاحمر والابيض وخرق المشي والحرف تحت منش . اسباب عدم استواء الدول الاجانب في نظام بلاد الاسلام على حسب مقاصدهم وقوتهم فامريكا مثلاً وان كانت رعيتها عدد ترك قدر رعية الانكليز فلا نجد منهم تصاماً ولا قوة تجة مستمرة من سعيرهم الوجوب على الحكومة وعمله فيمن يتوجه الى الحج بتعليمه ما يجب عليه قبل السفر ولا فيمنع

وفي ٢٠ جمادي الاولى سنة ١٣٠٦ (١٤ ينابر سنة ١٨٨٩) عين صاحب الترجمة قاضياً في محكمة مصر الابتدائية الاهلية في مدة وزارة رياض باشا الثانية وكان في وزارة نوبار باشا كلف المرحوم بكتابة ما يراه

عن القوانين المعمول بها في المحاكم الاهلية من حيث مطابقتها للشريعة الغراء او القوانين الجارية في الدولة العثمانية الشامل لها كتاب المجلة والدستور فرام اولاً التوسع في الموضوع بتقسيم القوانين المصرية بابًا بابًا ومقارنتها بالمجلة او الدستور واذا لم يجد نصًا مطابقًا لما فيها فيطبقها بقدر الامكان على قول احد المجتهدين بدون تقيد بمذهب مخصوص غير ان عملاً مثل هذا يلزمهُ طول الوقت وكثرة العمل والزمن غير فاض بذلك فالتزم ان يصرف النظر عن هذا العمل وكتب عن القوانين ما نصهُ

" قوانين الاصول التي عليها مدار الحقوق في الحكومة المصرية هي القانون المدني وقانون التجارة البري وقانون التجارة البحري وقانون العقوبات وهاته القوانين الاربعة نظير مطابقتها للقوانين العثمانية وللشريعة المطهرة على التفصيل الآتي

فاما قانون العقوبات وقانون التجارة البرية والبحرية فجميع ما يوجد من موادها في القوانين العثمانية بمالها لما هو مطابق مطابقة كاملة وهو ايضًا الاكثر من مواد القوانين المصرية لكن قليل جدًا من مواد هذه القوانين لا يوجد اصلاً في مثلها من القوانين العثمانية . واما القانون المدني المصري فهو مخالف للمجلة العثمانية التي هي قائمة مقامهُ مخالفة كثيرة كلية غير ان القانون المدني المصري مع ذلك اكثرهُ مطابق للشريعة المطهرة على الاطلاق من غير نظر الى خصوص مذهب معين بل بالنظر الى اقوال الائمة المعمول باقوالهم في الديانة والقليل من هذا القانون المدني مخالف ايضًا لجميع تلك الاقوال غير ان تحويره بما يرجع به الى مطابقة احدها مما يقتضيهِ الحال امر سهل يسير بمعرفة حذاق اهل الخبرة والعلم "

وكذلك كلفه الباشا المشار اليه تقديم تقرير بما يراه لاصلاح حال الاوقاف وقد فعل وكان موجهاً همته في مدة توظفه بالمحاكم للسعي وراء تطبيق قوانينها على الشريعة الغراء ولما قدم ولي عهد الانكليز الى مصر كان صاحب الترجمة من الافراد القليلين الذين اجتمعوا به وفي تلك السنة انهى رياض باشا ترميم منزله بالحلمية فهنأه المرحوم بهذه الابيات

ان الوزير مصطفى في عصره · لا زال عوناً لمليك بازره
ابدى من التدبير في الاصلاح ما · قد حقق المعهود منه بقطره
فلقد اتى في قصره ما يبتغي · حسناً به ومناءة مع وفره
والقطر قصر واسع الارجاء قد · ابدى له اعوجاجاً من قصره
وكلاهما متساهل بعمله · وادارة وصابة من فكره
فكما شهد في الصغير اجادة · فكذا الكبير واه صار بامره
ذا انتم التحسين حتى ازخو · قصر رض فيه جنة مصره

(سنة ١٨٨٩)

وقد عين عضواً في اللجنة التي تشكلت للنظر في تعميم المحاكم الاهلية بالوجه القبلي وعند هذا التعميم وكذلك انتخب عضواً في لجنة تشكلت في المحكمة بناء على طلب نظارة الحقانية لتقديم تقرير للنظارة بكل ما يرى لزوم تعديله في القوانين على حسب ما يلائم حالة البلاد وعين عضواً في لجنة بنظارة الداخلية لمراجعة الاحكام الصادرة من قوميسيونات الاشقياء ونبني على عمل هذه اللجنة الافراج عن عدد عظيم من المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة في طره وكان امضاؤه على تقرير هذه اللجنة آخر اعماله

الرسمية فتوجه الى مدينة حلوان لتغيير الهواء وهناك اشتد عليه المرض وبلغ به الضعف غاية منتهى وظهر في جهة جنبه الايسر خراجان بسبب الحقن المرفين العقيمي بعد فتح الطبيب لهما تكوّن مدة في الرئة وبعد ان لازم الفراش بالمرض المعروف بذات الجنب نحو الخمسة والعشرين يوماً فارق الحياة وذلك في الساعة الخامسة ونصف بعد ظهر يوم الاربعاء ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٠٧ (١٨ دسمبر سنة ١٨٨٩) وقد خلف ثلاثة بنين رزق بهم من بنت عمه التي تزوج بها في ١٤ ربيع الثاني سنة ١٢٧٧ وكان قبل ملازمته للفراش محتفلاً بمولد النبوي الشريف هذا بحضور بعض الاصحاب وقد دخل الى الحرم من تحت الحفلة ولم يخرج حياً وفي مدة مرضه ورد عليه مكتوب من صديقه رياض باشا ونصه

"جناب الاستاذ

من صميم الفؤاد قد تكدرت من خبر ما طرأ على حضرتكم من انحراف المزاج الذي لم اعلم به الا من منذ كم يوم وادعو المولى سبحانه وتعالى ان يمن عليكم بالشفاء وكمال الصحة والعافية ويراكم عن قريب وعلى اي حال ارجو كم ان لا تؤاخذوني والعذر عند الكرام مقبول

في ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٠٧		محبكم المخلص

﴿ رياض ﴾

وقد حضر دولة الباشا المشار اليه الى حلوان وقصد عيادته وارسل اليه عجله وكذلك كان المرحوم توفيق باشا كثير السؤال عنه يومياً بواسطة طبيبه عيسى باشا حمدي ولما توفي اظهر لانجاله جميل تلطف تعمده الله

برحمته وقد شيع رياض باشا جنازة صاحب الترجمة صبيحة يوم الجمعة وكانت مودتهما صافية خالصة ودفنهُ في التربة المخصوصة التي شيدها بقرب ضريح الامام الشافعي رضي الله عنهُ وقد كُتب على قبره هذه الابيات وهي من انشاء شاعر جليل حمدي بك ناصف

يا قبر اسماه البكاه وتبسمُ ادريت ان الفضل فيك مخيمُ
أعلمت انك قد حويت محمّداً وتركت أكباد الورى تتصرمُ
هذا الذي كانت بدائع فكره تملي البيان على يراع فينظمُ
من عترة نوت عموم بدارهم فهم طلاب الهداية انجمُ
اولاهُ مولاهُ مواهب فضله ولله يعطي من يشاء ويرحمُ
واقام في دار النعيم فأرخوا في جنة الفردوس اسكن بيرمُ
سنة ١٣٠٧

وقد رثاهُ جملة من احبابه وكتبت الجرائد تنعيه ونقتصر منها على ما قالتهُ "الوقائع المصرية" جريدة الحكومة المصريَّة الرسميَّة الصادرة في ٢١ دسمبر سنة ١٨٨٩ نمرة ١٤٥ انا لله وانا اليه راجعون . في آخر ليلة الخميس الماضي انتقل من هذه الدار الفانية الى الدار الآخرة لبقية المرحوم الشيخ محمّد بيرم احد قضاة المحكمة الابتدائيَّة الاهليَّة بمصر وصاحب جريدة الاعلام العربيَّة وكانت وفاتهُ رحمهُ الله بمدينة حلوان عقب استداد الداء العصبي الذي مني به من عدة سنين ولم ينجع فيه علاج الاطباء

وفي صباح يوم الجمعة الماضي احتفل بنقل جسده من حلوان احتفالاً يليق بمقامه وفضله وانتظرهُ على محطة ميدان محمّد علي العدد العديد من

رجال الحكومة سنية واكابرها وفي مقدمتهم صاحب الدولة رياض باشا رئيس مجلس النظار ووزير الداخلية والمالية وكثير من العلماء وقضاة المحاكم الاهلية ومشاهير المحامين وذوي الفضل من الوجوه والاعيان . ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام ما كان من صاحب الدولة رياض باشا من العناية بأمر المرحوم والاهتمام بشأنه والمساعدة في اكرام تشييع جنازته ودفنه وتعزية اولاده وتشجيعهم على تحمل المصاب الى غير ذلك من الاحتفال والاكرام ولما وصلت الجنازة الى محطة شيعت في مشهد حافل مشى فيه دولة رئيس النظار ومن تقدم ذكرهم ومن حضروا من حلوان بغاية السكون والوقار وكان في مقدمة المشهد الذاكرون ومن تلو البردة وغيرها من الاحزاب والاوراد ثم المشيعون مجردة فحملة السرير وكلهم آسفون فراق هذا الرجل العظيم الشان وقد دفن رحمه الله في المدفن الذي بناه صاحب الدولة رياض باشا بقرافة الامام الشافعي عليه الرضوان وفرقت صدقات على الفقراء والمساكين ودعا الناس للمرحوم بالرحمة والغفران

اما الرجل رحمه الله فكان عالماً فاضلاً فقيهاً كاملاً متضلعاً من العلوم الشرعية بأنواعها مطلعاً على احوال الامم وله الباع الطولى في فنون التاريخ القديم والحديث وكان من ذوي الاقلام البليغة فيما يريد كتابته من المواضيع وقد ألف رسائل كثيرة في الاحاديث والاصول والاحكام الشرعية والجغرافيا التاريخية والسياسية وغيرها وكلها تدل على غزارة مادته وسعة تفهمه في المعارف والعلوم وكان كثير الاستشهاد بأحوال الامم الغابرة والحاضرة في كتاباته واقواله وله قوة حاضرة في اقامة الدليل والبرهان كما يشهد بذلك

لمقامات الافتتاحية التي كان يشرحها في جريدة الاعلام رحمة الله رحمة واسعة وافرغ على آله وذويه جميل الصبر . وعزاهم على مصابهم فيه اكمل العزاء ونيلهم على الصبر عظيم الاجر آمين "

وهذا ما قالته جريدة الحاضرة الصادرة بتونس في ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٨٩ عدد ٧٤ " صباح يوم الخميس الفارط نشرت اخبار التلغراف من حلوان مصر القاهرة خبر وفاة العلامة المحرير صاحب الصيت الشهير المؤلف الشيخ السيد محمد بيرم وبما انه من مفاخر البلاد التونسية تقوم الحاضرة بواجب رثائه وهي ادرى من غيرها بفضائل رجلها فقد ولد هذا العالم في بيت العلم البيرمي سنة ست وخمسين ومائتين والف وتربى في مهاد العلم والتعليم وقرأ على ابن عمه الشيخ احمد بيرم وعلى عم جده الشيخ مصطفى بيرم وعلى شيخ الاسلام الشيخ محمد معاوية وقرأ على الشيخ الطاهر بن عاشور والشيخ الشاذلي بن صالح والشيخ محمد الشاهد والشيخ علي العفيف وغيرهم من فحول جامع الزيتونة الى ان حصل على رتبة عالية وتقدم لخطة التدريس وقرأ كتباً مهمة بجامع الزيتونة وولي مشيخة مدرسة العنقية بعد وفاة عمه شيخ الاسلام الرابع وختم بها الاختام مهمة وكان يعيدها كل سنة في بيت الحضرة العلية وكان عفا فاضلاً عالي الهمة عزيز النفس رفيع الحسب منتقداً فصيح اللسان جميل المحاضرة صاحب اناة ووقار خبيراً بالسياسات الشرعية والوقتية حسن التدبير وسيع الادارة امتنع من قبول الخطط الشرعية عدة مرار متعللاً بضعف بدنه وكان عضواً في عموم الجمعيات التي انعقدت لوضع التراتيب العلمية والتنظيمية اول الوزارة

الخيرية وهو الذي قام برئاسة جمعية الاوقاف عند تأسيسها فأسس اصولها بعد ان جمع شتمها بما يقتضيه العلم والانصاف وولي نظارة المطبعة الرسمية واعترته امراض عصبية بمدته سافر بسببها عدة مرار لباريز وايطاليا وحكمته الاسفار بما يزيده في الاعتبار وباشارته كان انشاء مستشفى الصادقي ودبّر اقامته على النمط الذي رآه بباريز ومن قبله كان انشاء فنونه وشكره الامير يوم فتحه في الموكب العمومي وولي عضوا في مجلس الدولة الشوري على عهد وزارة ابن اسمعيل واشتد مرضه وخرج في طلب الاستشفاء ولم تسعفه الدولة بذلك وحرج لبيت الله الحرام اواخر سنة ست وتسعين ومائتين والف ورجع على طريق الشام ولما رأت الدولة انحلال وذلك احالتها الغيرة في الثامن والعشرين من محرم سنة ١٢٩٧ وتنقل من الشام الى دار الخلافة العثمانية فنزل عند التعظيم والتكريم وعرضت عليه تقدمة الاشراف والفتوى بالشام فلم يقبل لضعف بدنه ثم اعتصم به ادوؤه وعائلته واجرت عليه الدولة جراية سلطانية وهنالك ألف رحلته صفوة الاعتبار بمستودع الاقطار والامصار واودعها من الاصول السياسية والاصول العلمية ما يدل على كمال تضلعه وقوة عارضته وقام بالاستانة الى ان شق عليه مرضه العصبي واشار عليه الاطباء بالتنقل الى البلاد الحارة فتنقل بأهله وابنائه ولي لمحرم سنة اثنتين وثلاثمائة والف وتلقته الديار المصرية بالرحب والقبول وانزله الجناب الخديوي منزلة التكريم وجرى عليه جراية تليق بأمثاله وفتح بها مطبعته الاعلامية وافادت صحيفة " الاعلام " في سائر الجهات العربية الى ان ولي حاكما بالمحكمة الاهلية وفي اثناء هذه الاسفار كان مجدا في الاعتناء بكرام

ابنائهِ في المدارس الى ان وصلوا الى قدم الكفاءة للمهمات وترقى اولهم لخطة كاتب بمجلس النظار بالديار المصرية نسأل الله ان يجعل منهم خلفاً محموداً وان يديم عليهِ في نعيم الجنان ظلاً ممدودا "

هذا وقد قيل ان قيمة المرء لا تقوم بمقدار مادحيهِ فقط بل بالقدام المنتقدين عليهِ ايضاً وعلى ذلك نقول انهُ من دون سائر الجرائد العربية والافرنجية قد انفردت احدى جرائد الاستانة العربية بنشر ما يخالف امره عليهِ الصلاة والسلام "اذكروا موتاكم بخير"

ولم يكن ذلك ليؤثر على حسن صيته وشهرته فقد قيل — كلام العدى ضرب من الهذيان — ومن تأمل في تاريخ حياة المغفور لهُ علم انهُ كلما خفض الاعداء والحساد من شأنهِ ذراعاً ارتفع ميلاً وكلما اشتدت بهِ ملمات الحوادث وكوارث الزمن زاد قدره اعتلاء فقد خرج المرحوم من دياره مغرباً مشرداً فما زالت بهِ همتهُ حتى بلغت بهِ الى شرف المقابلة بالحضرة الشاهانية ونوال اقصى الرعاية السلطانية وخسر امواله واملاكه فقام له فضله وعلمه بعدم الحاجة لاحد فعاش ميسوراً ومات ميسوراً واجتهد بعض ذوي التقصير في الحط من سيرتهِ والطعن في شهرتهِ فما زاده ذلك الاّ اعتلاء في الصيت واحتراماً في النفوس وتوقيراً في الصدور فقضى حياتهُ حميد السيرة وانتقل الى رحمة ربهِ طاهر السريرة وعلى كل حال فنسأل الله ان يجازي الجميع خيراً ولا يريهم ضيراً هذا وقد كتبت ما كتبتهُ والله يعلم اني لم اقصد بهِ فخراً ولا حباً في الظهور وانما هي حقائق مثبوتة بمستنداتها القيتها تحت نظر القارىء ليرى في حياة هذا المؤلف وما طرأ عليهِ من

نعم وبؤس العبرة التي يتوخاها وفياماً بحقوق الابوة والتربية واجابة لما كان كلفني بهِ عند قدومهِ الى مصر ولكوني اعلم الناس بأحوالهِ رحمهُ الله رحمة الابرار

وكلما تذكرت على قبره محاسن افعاله في حياتهِ العمومية وجميل اخلاقه وشهامة نفسهِ في حياتهِ الخصوصية أكاد انشد بيت المعرّي مخاطباً لقبر ابيهِ

لأطبقتَ اطباق المحارة فاحتفظ		بلؤلؤة المجد الحقيقة بالحزن

٩ ذي الحجة سنة ١٣١١		﴿محمد بيرم﴾

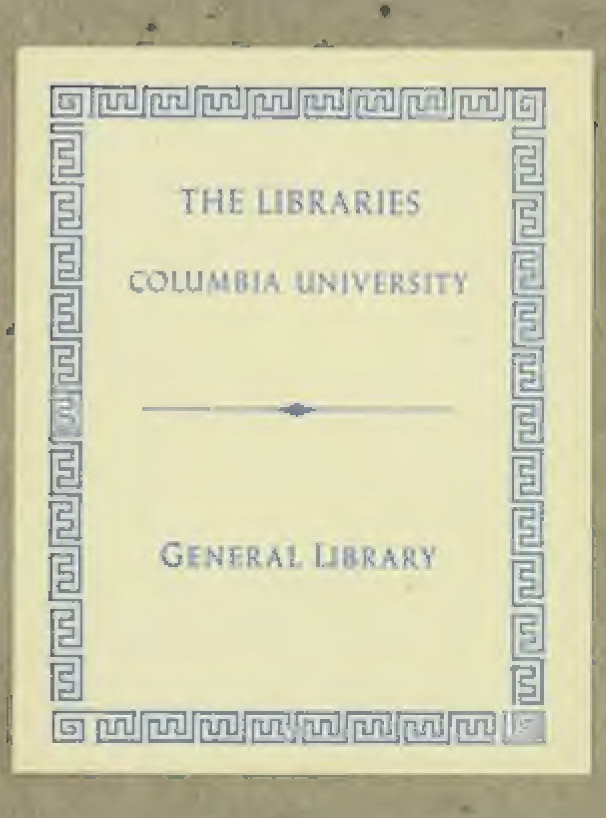
THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY
GENERAL LIBRARY